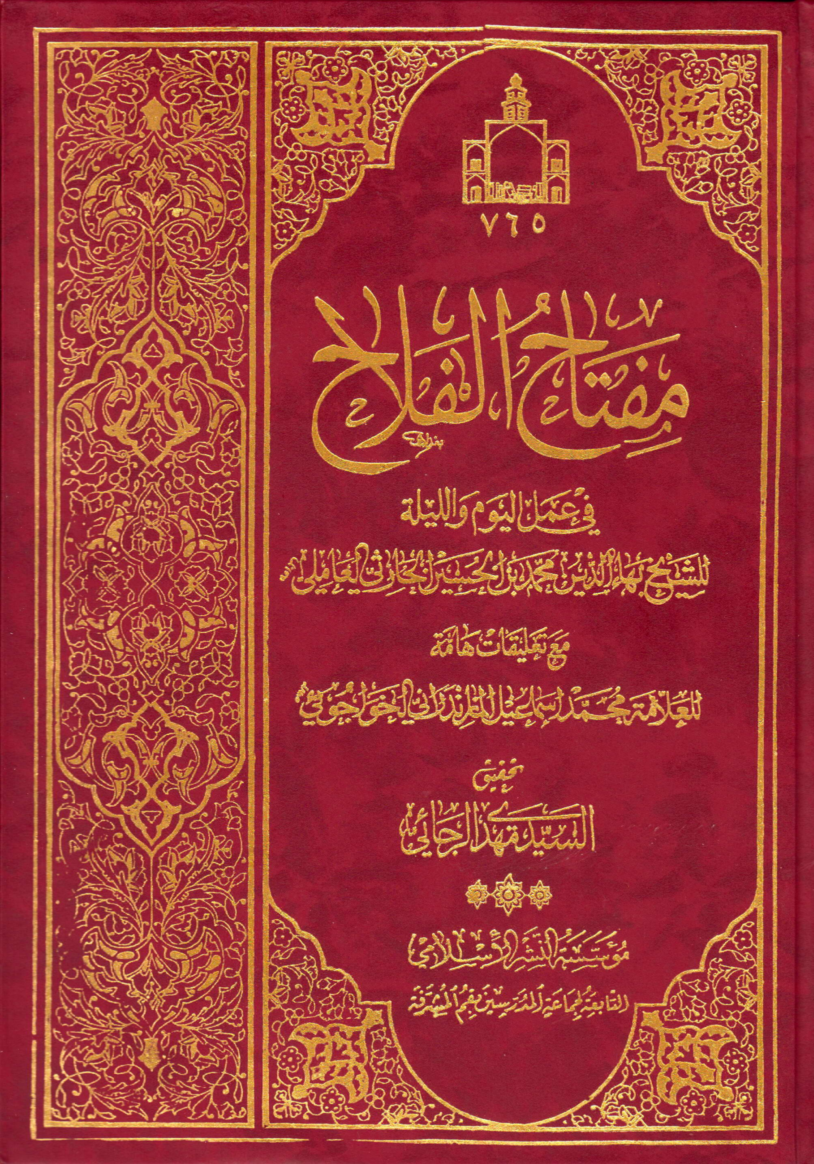
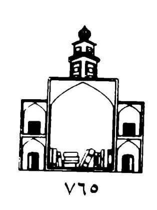

٧٦٥
مفتاح الفلاح
في عمل اليوم والليلة
للشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين الحارثي العاملي
مع تعليقات هامة
للعلامة محمد اسماعيل المازندراني الخواجوئي
تحقيق
السيد مهدي الرجائي
مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة



٧٦٥





في عمل اليوم والليلة

للشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين الحارثي العاملي (ره)

مع تعليقات هامة

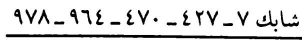
للعلامة محمد إسماعيل المازندراني الخواجوئي

تحقيق

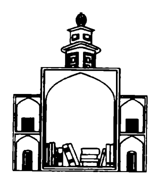
السيد مهدي الرجائي

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة


شابك ٧ـ ٤٢٧ـ ٤٧٠ـ ٩٦٤ـ ٩٧٨

ISBN 978 - 964 - 470 - 427 - 7



مفتاح الفلاح

في عمل اليوم والليلة

■ تأليف : أبي الفضائل الشيخ بهاء الدين محمّد بن الحسين الحارثي العاملي ﵀ □

■ الموضوع: الدعاء □

■ تعليق : العلّامة محمّد إسماعيل المازندراني الخواجوئي □

■ تحقيق : السيّد مهدى الرجائي □

■ طبع ونشر : مؤسّسة النشر الإسلامي □

■ عدد الصفحات : ٨٠٨ □

■ الطبعة : الرابعة □

■ المطبوع : ٥٠٠ نسخة □

■ التاريخ : ١٤٣٢ هـ. ق. □

مؤسّسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الصادق الأمين وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

وبعد، فإنه لا يخفى على الناظر بعين التحقيق والانصاف إلى شريعة سيّد المرسلين (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ما تمتاز به هذه الرسالة من شمولية وسعة لجميع أبعاد حياة الانسان بمختلف طبقاته وعلى مرّ الدهور والاعوام إلى يوم القيام كيف لا تكون كذلك، وقد ختم بها الله عزّ شأنه وجلّ جلاله جميع الشرائع السابقة ونسخ بهذا الدين جميع الأديان السالفة وأبطل العمل بغير الاسلام من الأديان فقال عزّ من قائل: «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه». ولم يجيء هذا جزافاً بل لأجل مدّ يد التحريف والتبديل الى الكتب السماوية السالفة من جهة ولاحتواء الشريعة الاسلامية كلّ الملاكات والمصالح المنظورة في الأديان السابقه مع زيادة تتماشى مع خلودها وشموليّتها لجميع الطبقات البشرية والأحقاب الزمنية.

ومَن الأُمور التي خصّص الشارع المقدس لها النصيب الوافر ورسم للا: ـان فيها الخطوط الواضحة والسُبل اللائحة هي علاقة الانسان اليوميّة بخالقه وباريه منذ الساعة الاولى التي بفتح الانسان بها عينيه والى ان يضع رأسه على الفراش ليلاً بل وما ينبغي له عمله أيضاً قبل النوم وبعده وبكلمة واحدة الوظائف والسُنن الليلية والنهارية فقد ورد في هذا الدين كتاباً وسنّة الكثير الكثير مما يتعلّق بهذا الجانب من حياة الانسان.

وقد صُنّف في هذا المضمار العشرات من الكتب والطوامير قديماً وحديثاً من قبل الرواة والمحدّثين والفقهاء والمجتهدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

والكتاب ـ الماثل بين يديك ـ يؤيّد ما ندّعيه من اهتمام السلف الصالح من علمائنا الأجلاء بهذا الجانب من علوم الشريعة. فقد تصدّى الفاضل النبيل جامع مسائل الحكمة والفقاهة والعالم بأخبار الرواية والدراية المولى اسماعيل الخواجوئي من أعلام القرن الثالث عشر إلى شرح كتاب «مفتاح الفلاح» من تأليفات أُستاذ الاساتذة والمجتهدين الفقيه المحقّق والحكيم المتألّه العالم العامل الشيخ محمّد بن الحسين العاملي الجبعي المعروف بـ«الشيخ البهائي» قدّس سرّه. وهو تأليف مختصر يحتوى على ما لابدّ لأهل الديانة من الاتيان به في كل يوم وليلة من واجب العبادات ومندوبها، ومحمود الآداب ومرغوبها.

ومساهمة منّا في إحياء علوم الشريعة وتراث أهل البيت الخالد قرّرنا طبع هذا الكتاب ونشره شاكرين للأخ الجليل المحقّق النبيل السيّد مهدي الرجائي ـ أيّده الله تعالى ـ على ما بذله في تحقيق هذا السفر من جهد واسع بعد مقابلته مع النسخ الخطيّة المعتبرة وتصحيحه وتخريجه والتعليق عليه في بعض الموارد التي يحتاج فيها إلى توضيح. جزاه الله عن الاسلام خير الجزاء ووفّقه وإيّانا لما فيه رضاه، إنّه خير موفّق ومعين.

مؤسّسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

بسم الله الرحمن الرحيم

من حياة الشيخ البهائي قدّس سرّه

اسمه ونسبه:

هو الشيخ محمَّد بن الحسين بن عبدالصمد بن محمَّد بن علي بن الحسن بن محمَّد ابن صالح بن إسماعيل الحارثي الهمداني العاملي الجبعي.

ينتهي نسبه الشريف الى الحارث الهمداني، وكان من خواصّ أمير المؤمنين عليه السَّلام، وبشّره عليه السَّلام عند وفاته بنتيجة عقيدته وولائه المخلص له بقوله:

يا حار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قبلا

إلى آخر الأبيات.

الاطراء عليه:

ذكر الشيخ البهائي -قدّس سرّه- في أكثر المعاجم الرجاليّة بكمال التجليل والتبجيل وأثنوا عليه كمال الثناء، واليك نبذة من اطرائهم عليه:

قال المولى التقي المجلسي -قدّس سرّه- في الروضة [١:٢٢]: الشيخ الأعظم، والوالد المعظم، الامام العلّامة، ملك الفضلاء والأُدباء والمحدّثين بهاء الملّة والحقّ والدين.

وقال أيضاً في موضع آخر من الكتاب [١٤:٤٣٤]: شيخنا واستاذنا ومن استفدنا منه، بل كان الوالد المعظّم، كان شيخ الطائفة في زمانه، جليل القدر، كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه، ووفور فضله، وعلوّ مرتبته أحداً.

وقال السيّد التفرشي في نقد الرجال [ص٣٠٣]: جليل القدر عظيم المنزلة، رفيع الشأن، كثير الحفظ، مارأيت بكثرة علومه، ووفور فضله، وعلوّ رتبته في كلّ فنون الإسلام كمن له فنٌّ واحد، له كتب نفيسة جيّدة.

وكذا وصفه بهذا الثناء الاردبيلي في جامع الرواة [٢: ١٠٠].

وقال السيّد المدني في سلافة العصر [ص٢٨٩]: علم الائمّة الأعلام، وسيّد علماء الإسلام، وبحر العلم المتلاطمة بالفضائل أمواجه، وفحل الفضل الناتجة لديه أفراده وأزواجه، وطود المعارف الراسخ، وفضاؤها الذي لاتحدّ له فراسخ، وجوادها الذي لايؤمل له لحاق، وبدرها الذي لايعتريه محاق، الرُحلَة الذي ضربت اليها أكباد الإبل، والقبلة التي فطر كلّ قلب على حبّها وجبل.

فهو علّامة البشر، ومجدّد دين الائمّة على رأس القرن الحادي عشر، إليه انتهت رئاسة المذهب والملّة، وبه قامت قواطع البراهين والأدلّة، جمع فنون العلم وانعقد علّيه الإجماع، وتفرّد بصنوف الفضل فبهر النواظر والأسماع، فمامن فنّ الّا و له فيه القدح المعلّى والمورد العذب المحلّى، إن قال لم يدع قولاً لقائل، أو طال لم يأت غيره بطائل، وما مثله ومن تقدّمه من الأفاضل والأعيان إلّا كالملّة المحمّديّة المتأخّرة عن الملل والأديان، جاءت آخراً ففاقت مفاخراً، وكلّ وصف قلته في غيره فانّه تجربة الخواطر.

وقال الشيخ الحرّ العاملي في أمل الآمل [١: ١٥٥]: حاله في الفقه والعلم والفضل والتحقيق والتدقيق وجلالة القدر وعظم الشأن وحسن التصنيف ورشاقة العبارة وجمع المحاسن أظهر من أن يذكر، وفضائله أكثر من أن تحصر، وكان ماهراً متبحّراً جامعاً كاملاً شاعراً أديباً منشئاً ثقة، عديم النظير في زمانه في الفقه والحديث والمعاني والبيان والرياضي وغيرها.

وقال الشيخ البحراني في لؤلؤة البحرين [ص١٨]: كان هذا الشيخ علّامة فهّامة، محقّقاً، دقيق النظر، جامعاً لجميع العلوم، حسن التقرير، جيّد التحرير، بديع التصنيف، أنيق التأليف ـ إلى أن قال ـ: وكان رئيساً في دارالسلطنة اصفهان،

وشيخ الإسلام فيها، وله منزلة عظيمة عند سلطانها الشاه عبّاس.

وقال الشيخ الشيرازي في خزانة الخيال [ص ٤٢١]: بهاء الحقّ وضياؤه، وعزّالدين وعلاؤه، وأُفق المجد وسماؤه، ونجم الشرف وسناؤه، وشمس الكمال وبدره، وروض الجمال وزهره، وبحر الفيض وساحله، وبرّ البرّ ومراحله، وواحد الدهر ووحيده، وعماد العصر وعميده، وعَلم العلم وعلامته، وراية الفضل وعلامته، ومنشأ الفصاحة ومولدها، ومصدر البلاغة وموردها، وجامع الفضائل ومجمعها، ومنبع الفواضل ومرجعها، ومشرق الإفادة ومشرعها، وسلطان العلماء وتاج قمّتهم، وبرهان الفقهاء وتتمّة ائمتهم، وخاتم المجتهدين وزبدتهم، وقدوة المحدّثين وعمدتهم، وصدر المدرّسين وأسوتهم، وكعبة الطالبين وقبلتهم، مشهور جميع الآفاق، وشيخ الشيوخ على الاطلاق، كهف الإسلام والمسلمين، مروج أحكام الدين، العالم العامل الكامل الأوحد بهاء الملّة والحقّ والدين.

وقال العلّامة الأميني في الغدير [١١: ٢٤٩]: أُستاذ الأساتذة والمجتهدين، وفي شهرته الطائلة وصيته الطائر في التضلّع من العلوم، ومكانته الراسية من الفضل والدين، غني عن تسطير ألفاظ الثناء عليه، وسرد جمل الإطراء له. فقد عرفه من عرفه، ذلك الفقيه المحقّق، والحكيم المتألّه، والعارف البارع، والمؤلّف المبدع، والبحّاثة المكثر المجيد، والأديب الشاعر، والضلّيع من الفنون بأسرها، فهو أحد نوابغ الأُمّة الإسلاميّة، والأوحدي من عباقرتها الأماثل.

فهذه نبذة يسيرة من الثناء والاطراء عليه قدّس الله سرّه وجزاه عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

مشايخه العظام:

١ ـ والده العلّامة الشيخ حسين بن عبدالصمد، المتوفّى سنة (٩٨٤) في المصلّى من قرى هجر من بلاد البحرين.

٢ ـ الفقيه المحقّق الشيخ عبدالعالي بن الشيخ علي الكركي العاملي، المتوفّى

سنة (٩٩٣) باصفهان، والمدفون في المشهد الرضوي عليه السّلام.

٣ ـ محمّد بن محمّد بن محمّد بن أبي اللطيف المقدّسي الشافعي الأشعري العلوي، المتوفّى سنة (٩٩٣) وقد أجاز الشيخ البهائي باجازة مؤرّخة سنة (٩٩٢) في شهر جمادي الأُولى منه.

٤ ـ الشيخ المولى عبدالله بن الحسين اليزدي، المتوفّى سنة (٩٨١) في اصفهان.

٥ ـ الشيخ محمّد باقر بن زين العابدين اليزدي، المتوفّى حدود سنة (١٠٥٦).

٦ ـ المولى علي المذهب المدرس.

٧ ـ الشيخ محمّد بن محمّد البكري، المتوفّى سنة (٩٩٣).

٨ ـ الشيخ أحمد الكجائي الكهدمي النهمي الگيلاني.

٩ ـ القاضي المولى أفضل القائني.

١٠ ـ الشيخ عمر العرضي.

١١ ـ النطاسي المحنّك عمادالدين محمود بن مسعود الشيرازي.

وغيرهم ممّا ذكر في كتب التراجم والمعاجم الرجاليّة.

تلامذته ومن روى عنه:

تخرّج من مدرسته جمّ غفير من مشاهير العلماء والأعاظم والفحول، واليك نبذة منهم:

١ ـ الشيخ الفاضل الجواد البغدادي.

٢ ـ السيّد الوزير الكبير الورع المحقّق السيّد حسين الحسيني المرعشي.

٣ ـ سلطان العلماء صاحب الحواشي المشهورة على شرح اللمعة والمعالم المتوفّى سنة (١٠٦٤).

٤ ـ السيّد ماجد البحراني.

٥ ـ المولى محمّد محسن المشتهر بالفيض القاساني على مايفهم من مفتتح كتابه الوافي.

٦ ـ السيّد الأميرزا رفيع الدين النائيني.

٧ ـ المولى شريف الدين محمَّد الروي دشتي.

٨ ـ المولى الأجلّ الخليل بن الغازي القزويني.

٩ ـ المولى محمَّد صالح بن أحمد المازندراني.

١٠ ـ الشيخ زين الدين بن الشيخ محمَّد بن الشيخ حسن بن الشهيد الثاني.

١١ ـ المولى الشيخ محمَّد تقي المجلسي.

١٢ ـ المولى أبوالحسن المشهور بالمولى حسين علي بن المولى عبدالله التستري.

١٣ ـ الشيخ محمَّد بن علي العاملي التبنيني.

١٤ ـ العالم الفاضل نظام الدين محمَّد القرشي، صاحب كتاب نظام الأقوال في الرجال.

١٥ ـ المولى مظفر الدين علي.

١٦ ـ الشيخ محمود بن حسام الدين الجزائري.

١٧ ـ الشيخ زين الدين علي بن سليمان بن درويش بن حاتم القدمي البحراني.

فهذه نبذة يسيرة من تلامذته ومن تخرّج من مدرسته المباركة.

تآليفه القيّمة:

للمترجم ـ قدّس سرّه ـ مؤلّفات ورسائل كثيرة ذات المواضيع المختلفة والمعارف المتعدّدة، قد تجاوزت جهود الفرد الواحد، تمثل اضطلاعه بجوانب المعرفة الشاملة، واليك جملة ممّا وقفت إليه من تصانيفه:

١ ـ الحبل المتين في إحكام أحكام الدين.

٢ ـ مشرق الشمسين واكسير السعادتين.

٣ ـ العروة الوثقى في تفسير القرآن.

٤ ـ الحديقة الهلاليّة في شرح دعاء الهلال.

٥ ـ حاشية الشرح العضدي على مختصر الأُصول.

٦ ـ الزبدة في الاصول.

٧ ـ لغز الزبدة.

٨ ـ رسالة في المواريث.

٩ ـ رسالة في الدراية.

١٠ ـ رسالة في ذبائح أهل الكتاب.

١١ ـ رسالة اثنى عشرية في الطهارة.

١٢ ـ رسالة اثنى عشرية في الصلاة.

١٣ ـ رسالة في الزكاة.

١٤ ـ رسالة في الصوم.

١٥ ـ رسالة في الحج.

١٦ ـ الخلاصة في الحساب.

١٧ ـ الكشكول.

١٨ ـ المخلاة.

١٩ ـ الجامع العباسي.

٢٠ ـ الصمديّة في النحو.

٢١ ـ التهذيب في النحو.

٢٢ ـ بحرالحساب.

٢٣ ـ توضيح المقاصد فيما اتفق في أيّام السنة.

٢٤ ـ حاشية الفقيه.

٢٥ ـ جواب مسائل الشيخ صالح الجزائري اثنتان وعشرون مسألة.

٢٦ ـ جواب ثلاث مسائل أُخر.

٢٧ ـ جواب المسائل المدنيّات.

٢٨ ـ شرح الفرائض النصيريّة للمحقق الطوسي.

٢٩ ـ رسالة في نسبة أعظم الجبال الى قطر الأرض.

٣٠ ـ عين الحياة في تفسير القرآن.

٣١ ـ تشريح الأفلاك .

٣٢ ـ رسالة الكر.

٣٣ ـ رسالة الاسطرلاب عربية سمّاها الصفيحة.

٣٤ ـ رسالة أُخرى في الاسطرلاب فارسيّة سمّاها التحفة الحاتميّة.

٣٥ ـ حدائق الصالحين في شرح الصحيفة السجاديّة.

٣٦ ـ حاشية انوار التنزيل للبيضاوي.

٣٧ ـ حاشية المطوّل.

٣٨ ـ الأربعون حديثاً .

٣٩ ـ رسالة في القبلة.

٤٠ ـ سوانح الحجاز من شعره وانشائه.

٤١ ـ مفتاح الفلاح.

٤٢ ـ حواشي الكشاف .

٤٣ ـ حاشية الخلاصة في الرجال.

٤٤ ـ حاشية الا ثني عشريّة للشيخ حسن.

٤٥ ـ حاشية القواعد الشهيديّة.

٤٦ ـ رسالة في القصر والتخيير في السفر.

٤٧ ـ رسالة في أنّ أنوار سائر الكواكب مستفادة من الشمس.

٤٨ ـ رسالة في حلّ أشكالي عطارد والقمر.

٤٩ ـ رسالة في أحكام سجود التلاوة.

٥٠ ـ رسالة في استحباب السورة و وجوبها .

٥١ ـ شرح شرح الرومي على الملخّص.

٥٢ ـ حواشي الز بدة.

٥٣ ـ حواشي تشريح الافلاك .

٥٤ ـ حواشي شرح التذكرة،

٥٥ ـ ديوان شعره.

٥٦ ـ رسالة في جواب سؤال أحمد خان ملك جيلان.

٥٧ ـ شرح فارسي على ألفية ابن مالك .

٥٨ ـ حاشية حاشية المولى عبدالله اليزدي على تهذيب المنطق للتفتازاني.

٥٩ ـ رسالة في تحقيق عقائد الشيعة في الفروع والاصول.

٦٠ ـ رسالة في النفس والروح.

٦١ ـ صحيح البهائي.

٦٢ ـ رسالة مختصرة في اثبات وجود صاحب الزمان عليه السَّلام.

٦٣ ـ تأويل الآيات.

٦٤ ـ الحاشية على القواعد الشهيديّة.

٦٥ ـ الحاشية على الحاشية الخطائيّة.

مولده ووفاته:

ولد المترجَم ببعلبك عند غروب الشمس يوم الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجّة الحرام سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة. كذا في أمل الآمل نقلاً عن السلافة. وفي الرياض قال: رأيت بخطّ بعض الأفاضل نقلاً عن خطّ البهائي أنّ مولده سنة (٩٥١).

توفّي باصفهان سنة (١٠٣٠) كما في الرياض نقلاً عن خطّ بعض الأفاضل. وفي السلافة أنّه توفّي سنة (١٠٣١) ثمّ قال: وقد سمعنا من المشائخ أنّه مات سنة (١٠٣٥).

ونقل جثمانه الشريف من إصفهان ودفن في المشهد الرضوي عليه السَّلام في بيته الذي كان في طرف رجلي الضريح المقدّس، يزار ويتبرّك إلى الآن. وقيل في

تاريخ وفاته:

بــــدر الـــعـــراقين خفي ضـــوؤه و نير الشـام و شـمس الحــجـاز
أردت تـاريخـاً فـلـم أهـتـد لـه فـالهمـت قـل:الشيـخ فـاز

فيكون على هذا تاريخ وفاته سنة (١٠٢٩).

هذه نبذة يسيرة من حياة الماتن الشيخ البهائي قدّس سرّه.

ترجمة العلّامة الخواجوئي

اسمه ونسبه:

المولى محمَّد إسماعيل بن الحسين بن محمَّد رضا بن علاء الدين محمَّد المازندراني الأصفهاني المشهور بالخواجوئي.

المازندراني نسبة إلى منطقة في شمال إيران، لعلّ آباؤه وأسلافه كانوا يسكنونها، أو كانت ولادته فيها، كما يظهر من بعض آثاره.

والأصفهاني نسبة إلى بلدة معروفة في إيران، كان منشأ ترعرعه فيها إلى أن توفّي ودفن فيها.

والخواجوئي نسبة إلى محلّة معروفة في أصفهان، متّصلة بالجسر العتيق على نهر زاينده رود المعروف بـ«جسر الخواجو» وقد انتقل إليها المترجم في فتنة الأفاغنة، وكانت المحلّة في زمانه خارج بلدة أصفهان، وأخذها مسقط رأسه حتّى اشتهر بالنسبة إليها.

أولاده وأحفاده:

له من الأولاد الملا محمَّد جعفر، وكان من علماء وفضلاء عصره في أصفهان.

وللملا محمَّد جعفر ابن فاضل عالم محقّق إسمه الملا محمَّد إسماعيل الثاني الخواجوئي، وتوفّي في أصفهان في (٢٥) ربيع الأوّل سنة (١٢٨٢) هـ ق.

الإطراء عليه:

قد ذُكر المؤلّف في أكثر المعاجم والتراجم الرجاليّة مع التجليل والتبجيل التامّ، وأثنوا عليه كلّ الثناء والإطراء، وإليك نصّ عباراتهم:

قال الشيخ عبدالنبي القزويني -قدّس سرّه- من معاصريه في كتاب تتميم أمل الآمل ص٦٧: كان من العلماء الغائضين في الأغوار، والمتعمقين في العلوم بالأسبار، واشتهر بالفضل، وعرفه كلّ ذكيّ وغبيّ، وملك التحقيق الكامل، حتى اعترف به كلّ فاضل زكيّ.

وكان من فرسان الكلام، ومن فحول أهل العلم، وكثرة فضله تزري بالبحور الزاخرة عند الهيجان والتلاطم، والجبال الشاهقة والأطواد الباذخة، إذا قيست إلى علوّ فهمه كانت عنده كالنقط، والدراري الثاقبة إذا نسبت إلى نفوذ ذهنه كأنّها حبط.

حكى عنه الثقات أنّه مرّ على كتاب الشفاء ثلاثين مرّة: إمّا بالقراءة، أو بالتدريس، أو بالمطالعة. وأخبرني بعضهم أنّه كان سقط من كتاب الشفاء عنده أوراق، فكتبها من ظهر قلبه، فلمّا عورض بكتاب صحيح ماشذّ منه إلّا حرفان أو حرف.

وبالجملة الكتب المتداولة في الحكمة والكلام والأُصول كانت عنده أسهل من نشر الجراد، حتّى يمكن للناس أن يقولوا: إنّ هذا لشيء عجاب، إنّ هذا لشيء يراد.

وكان -رحمه الله- مع ذلك ذا بسطة كثيرة في الفقه والتفسير والحديث مع كمال التحقيق فيها.

وبالجملة كان آية عظيمة من آيات الله وحجة بالغة من حجج الله. وكان ذاعبادة كثيرة، وزهادة خطيرة، معتزلاً عن الناس، مبغضاً لمن كان يحصّل العلم للدنيا، عاملاً بسنن النبيّ صلّى الله عليه وآله، وفي نهاية الإخلاص لائمّة الهدى

عليهم السَّلام، وذا شدّة عظيمة في تسديد العقائد الحقّة وتشديدها، وذاهمّة جسيمة في إجراء أُمور الدين مجراها وتأييدها.

والميرزا محمّد علي الكشميري ترجم عبارة تتميم الأمل المتقدّمة بالفارسيّة في كتابه نجوم السماء في تراجم الرجال ص٢٦٩.

وقال المحقّق الخوانساري في الروضات ١/١١٤: العلم العالم الجليل مولانا إسماعيل... كان عالماً بارعاً، وحكيماً جامعاً، وناقداً بصيراً، ومحقّقاً نحريراً، من المتكلّمين الأجلّاء، والمتتبّعين الأدلّاء، والفقهاء الأذكياء، والنبلاء الأصفياء.

طريف الفكرة، شريف الفطرة، سليم الجنبة، عظيم الهيبة، قويّ النفس، نقيّ القلب، زكيّ الروح، وفيّ العقل، كثير الزهد، حميد الخلق، حسن السياق، مستجاب الدعوة، مسلوب الإدّعاء، معظّماً في أعين الملوك والأعيان، مفخماً عند أُولي الجلالة والسلطان.

حتّى أنّ نادر شاه ـمع سطوته المعروفة وصولته الموصوفةـ كان لايعتني من بين علماء زمانه إلّا به، ولا يقوم إلّا بأدبه، ولا يقبل إلّا قوله، ولا يمتثل إلّا أمره، ولا يحقّق إلّا رجاه، ولا يسمع إلّا دعاه.

وذلك لإستغنائه الجميل عمّا في أيدي الناس، واكتفائه بالقليل من الأكل والشرب واللباس، وقطعه النظر عمّا سوى الله، وقصده القربة فيما تولّاه.

ثمّ قال: غير أنّ هذا الشيخ الجليل لمّا كان في زمن فاسد عليل، وعصر لم يبق لأحد فيه إلى نصر العلم والدين سبيل ـمن جهة إستيلاء الأفغان على ممالك إيران، وإستحلالهم أعراض الشيعة ودمائهم وأموالهم في كلّ مكان، سيّما محروسة اصبهان ـلم يبق له، مع كونه الفحل المحلّ العجب العجاب، كثير ذكر بين الأصحاب، ولا جدير اشتهار لما صنّف من رسالة وكتاب.

بل لم يعرف من أجل ذلك له أُستاذ معروف، أو إسناد متّصل إليه أو عنه على وجه مكشوف، وكأنّ ذلك كان مفقوداً فيه معوّذاً عليه، وإلّا لنقله ونقل عنه في مبادي كتاب أربعينه لامحالة، كما هو ديدن مؤلّفي الأربعينات، ولم يكن يعتذر

هناك عن تركه ذكر الإسناد منه إلى المعصوم عليه السَّلام بأعذار غير سديدة.

أقول: سيأتي شهرته بين الأصحاب والأعلام المتأخّرين عنه، وله مشايخ وتلامذة، وسلسلة إسناد يتّصل إليه ومنه إلى المعصوم عليه السَّلام، فانتظر.

ثمّ قال: وكان ـ رحمه الله ـ مرتفعاً جدّاً في محبّتهم ـ أي: في محبّة السادة الفاطميّين ـ والإخلاص لهم الوداد، كما حكاه الثقات.

وكان ـ رحمه الله ـ أيضاً صاحب مقامات فاخرة، وكرامات باهرة، يوجد نقل بعضها في بعض المواقف، ويؤخذ بالسائر من الأفواه، وإنّما أعرضنا عن تفصيلها حذراً عن الإطناب المملّ، المخلّ بوضع هذه العجالة.

وخطّه ـ رحمه الله ـ أيضاً قد كان بقسميه المعهودين في قاصي درجة من الجودة والحسن والبهاء، كما اطّلعنا عليه من أكثر أرقامه ومصنّفاته الموجودة لدينا بخطوطه المباركة انتهى.

والمحدّث النوري في خاتمة المستدرك ٣٩٦/٣ ذكر من الإطراء ماذكره الشيخ القزويني في التتميم والمحقّق الخوانساري في الروضات، وذكر نصّ بعض عبارتيهما.

وقال السيّد العاملي في أعيان الشيعة ٤٠٢/٣ عن بعض الكتب في حقّه: عالمٌ عارفٌ حكيمٌ متألّه جامعٌ ناقدٌ بصيرٌ محقّقٌ نحريرٌ عابدٌ زاهدٌ جليلٌ معظّمٌ نبيلٌ، مكتفٍ من الدنيا بالقليل، قاطع نظره عمّا سوى الله تعالى، مستجاب الدعوة، معظّم عند الملوك والسلاطين، وكان نادرشاه مع سطوته يعظّمه ويمتثل أوامره، خطّه في نهاية الجودة.

ثمّ ذكر عن كتاب تجربة الأحرار في علماء قزوين قال: المولى إسماعيل الخواجوئي الفاضل النبيل، جامع مسائل الحكمة والفقاهة، والعالم بأخبار الرواية والدراية، من قدماء العلماء ومشاهير الفضلاء، ممتازٌ بحدّة الذهن، فضائله لا تعدّ، وله تعاليقٌ كثيرةٌ، ولم يكن له نظير، وقد كان في أصفهان التي كانت تفتخر به.

وذكر السيّد الصفائي الخوانساري في كتابه كشف الأستار ١٣٢/١ في مقام الاطراء عليه ماذكره المحقّق الخوانساري في الروضات، فراجع.

مشايخه في الدراية والرواية:

لم يصل إلينا تفصيل مشايخه العظام الذين تلمذ لديهم أو روى عنهم، نعم ورد في بعض المعاجم نبذة قليلة من مشايخه في الرواية والدراية وهم:

١ ـ العالم الجليل الشيخ حسين الماحوزي.

ذكره المحدّث النوري في المستدرك ٣/٣٩٦، راجع حول ترجمته تتميم أمل الآمل واللؤلؤة، وصرّح في اللؤلؤة بأنّه بلغ من العمر مايقارب تسعين سنة ومع ذلك لم يتغيّر ذهنه ولا شيء من حواسّه.

وقال في التتميم: كان الشيخ حسين ـ رحمه الله ـ في عصره مسلّم الكلّ لايخالف فيه أحد من أهل العقد والحلّ الى آخره.

٢ ـ المولى محمَّد جعفر بن محمَّد طاهر الخراساني الاصفهاني صاحب كتاب الإكليل وغيره ولد سنة ثمانين وألف.

قال في الروضات ٣/٢٦١: وظنّي أنّ قراءة مولانا إسماعيل الخواجوئي المتقدّم ذكره أيضاً كان عليه وخصوصاً في فنون الدراية والرجال.

وعدّ في بعض التراجم من مشايخه في العلوم النقلية والعقلية المحقق النحرير الفاضل الهنديّ صاحب كشف اللثام. وأيضاً الحكيم المتألّه الملا محمَّد صادق الاردستاني. وأيضاً الحكيم المتألّه الملا حمزة الگيلاني.

تلامذته ومن روى عنه:

أيضاً لم يصل الينا تفصيل تلامذته العظام الذين تلمذوا لديه أو رووا عنه، الّا ماورد في بعض التراجم الرجاليّة، واليك نبذة ممّا وقفنا عليه في كتب التراجم وهم:

١ ـ العالم النحرير والمولى الخبير الملا مهدي النراقي صاحب كتاب اللوامع ومشكلات العلوم وجامع السعادات وغيرهامن المؤلفات، ذكره في المستدرك ٣/٣٩٦.

أقول: وكان أكثر تلمذه في العلوم لديه حتى قيل: إنه كان في مدّة ثلا ثين سنة يتلمذ لديه لايفارقه ليلاً ولا نهاراً حتى بلغ مابلغ من العلم والعمل. وبعد الفراغ من التحصيل رجع من أصفهان وتوطّن في بلدة كاشان وكانت خالية من العلماء، وببركة أنفاسه الشريفة صارت مملوّة من العلماء والفضلاء الكاملين، وصارت مرجعاً ومحلاً للمشتغلين، وبرز من مجلسه جمع من العلماء الأعلام، وتوفّي سنة ١٢٠٩هـ.

٢ ـ العالم العارف الآقا محمّد بن المولى محمّد رفيع الجيلاني المشهور بالبيدآبادي الاصفهاني، كان من أعظم حكماء عصره ماهراً في العقليّات توفّي سنة سبع وتسعين ومائة بعد الألف من الهجرة.

٣ ـ المولى محراب الجيلاني الحكيم العارف المشهور، المتوفى سنة (١٢١٧)هـ ق.

٤ ـ الميرزا أبوالقاسم المدرّس الاصفهاني الخاتون آبادي المتوفى سنة (١٢٠٢)هـ ق.

تآليفه القيّمة:

كتب المترجَم مؤلّفات ورسائل وحواش كثيرة، قد تجاوزت جهود الفرد الواحد، تمثّل اضطلاعه بجوانب المعرفة الشاملة، وقد يعجب المرء من وفرة تآليفه ذات المواضيع المختلفة في شتّى العلوم والمعارف المتعدّدة، على الرغم ـ كما عرفناه من سيرة حياته ـ من عدم إستقراره وتفرّغه للعلم، للفتنة الهائلة الأفغانيّة.

ولا ريب أنّ ذكاءه المفرط وذاكرته العجيبة ووعيه الشامل، كان ذلك من الأسباب الرئيسيّة في تغلّبه على تلك العقبات التي تحول دون تأليفه وتصنيفه، وقد أشار أكثر أرباب التراجم إلى وفرة تآليفه.

قال في تتميم الأمل: وله ـ رحمه الله ـ تآليفٌ كثيرة وحواش على كتب العلوم.

قال في الروضات بعد عدّ جملة من تصانيفه: الى غير ذلك من الرسائل والمقالات الكثيرة التي تبلغ نحواً من مائة وخمسين مؤلّفاً متيناً في فنون شتّى من العلوم والحكم والمعارف.

وقال في موضع آخر: أكثرها لم يتجاوز نسخة الأصل إلى زماننا هذا انتهى.

أقول: قد وفّقني الله تبارك وتعالى لجمع أكثر مؤلّفاته ورسائله، وتحقيقها ونشرها، وتطبع آثاره الممتعة تحت عنوان سلسلة آثار المحقّق الخواجوئي، وأنا أذكر أوّلاً ماطبع من آثاره تحت عنوان سلسلة آثار المحقّق الخواجوئي:

١ ـ بشارات الشيعة.

وهو من أحسن ماكتب في بابه مشحون بالتحقيقات وبيان النكات وأنواع التنبيهات، شرع فيه سنة (١١٥٥) وفرغ منه أواخر شوّال من تلك السنة.

٢ ـ ذريعة النجاة من مهالك تتوجّه بعد الممات.

في ذكر فضائل الامام أمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السّلام، وانّهم أفضل من سائر الأنبياء عليهم السّلام غير نبيّنا صلّى الله عليه وآله، والاستدلال على ذلك بالآيات والروايات الواردة في ذلك.

٣ ـ الفوائد في فضل تعظيم الفاطميين.

رسالة مبسوطة في فضل اكرام ذريّة فاطمة الزهراء عليها السّلام، وكون المنتسب إليها بالأمّ منهم، ويستحقّ الخمس، ويحرم عليه الصدقة.

٤ ـ رسالة ميزة الفرقة الناجية عن غيرهم.

رسالة استدلاليّة اعتقاديّة في بعض أحكام المخالفين للشيعة.

٥ ـ رسالة في تحقيق وتفسير الناصبي.

تحقيق حول معنى الناصبي لغة واصطلاحاً، وأيّ الفرق من الفرق الاسلاميّة محكوم به، وانّ الناصبي على صنفين: صنف محكوم بأحكام الاسلام، والآخر خارج عن ربقة الاسلام ومحكوم بالكفر.

٦ ـ طريق الارشاد الى فساد امامة أهل الفساد.

في الادلّة الدالّة على جواز لعن الغاصبين لحقوق الائمة عليهم السّلام وماجرى منهم على فاطمة البتول عليها السّلام من الاذى والظلم.

٧ ـ الرسالة الاينيّة.

رسالة تحقيقية حول نفي الأين عن الله جلّ ذكره، وتأويل ماورد من اثبات الاين له تعالى ذكره.

٨ ـ رسالة في توجيه مناظرة الشيخ المفيد.

رسالة مختصرة حول مناظرة الشيخ المفيد قدّس سرّه مع القاضي عبدالجبّار المعتزلي في مسألة خلافة الامام أمير المؤمنين عليه السَّلام.

أقول: طبعت هذه الرسائل من الرقم الاوّل إلى هنا في المجموعة الاولى من الرسائل الاعتقاديّة.

٩ ـ تذكرة الوداد في حكم رفع اليدين حال القنوت.

رسالة استدلالية في استحباب رفع اليدين الى السماء في حال القنوت.

١٠ ـ رسالة في شرح حديث الطلاق بيد من أخذ بالساق.

رسالة استدلاليّة حول الرواية المذكورة عن النبي صلّى الله عليه وآله، وأنّه هل الوكيل والولي في الطلاق بمنزلة الزوج أم لا؟

١١ ـ رسالة في حرمة النظر إلى وجه الاجنبيّة.

رسالة استدلاليّة متقنة في عدم جواز النظر الى وجه الاجنبيّة الّا ماستثني حال الضرورة وغيرها.

١٢ ـ رسالة خمسيّة.

رسالة استدلاليّة في أحكام الخمس ومصارفه في زمن الغيبة، وهي في مقدّمة وأربع فصول وخاتمة.

١٣ ـ رسالة في أقلّ المدّة بين العمرتين.

رسالة استدلاليّة ذهب المؤلّف فيها إلى القول بجواز التوالي بين العمرتين، وناقش الأقوال الأُخر في ذلك.

١٤ ـ رسالة في الرضاع.

رسالة استدلاليّة في جواز النكاح بين إخوان وأخوات المرتضعين، وردّ على رسالة الملا أبوالحسن الفتوني النباطي المتوفّى سنة (١١٣٨)هـ ق.

١٥ ـ رسالة في جواز التعويل على أذان الغير في دخول الوقت.

رسالة استدلاليّة في حكم التعويل على دخول الوقت بأيّ امارة حصلت، كأذان المؤذّن، أو صيحة الديك، أو وقت ساعة وغيرها، وذهب إلى جواز التعويل على تلك الامارات لو لم يحصل له العلم بدخول الوقت.

١٦ ـ رسالة في حكم الاستيجار للحجّ من غير بلد الميت.

رسالة استدلاليّة حول الحديث المرويّ في التهذيب عن أبي عبدالله عليه السَّلام عن رجل أعطى حجّة يحجّ بها عنه من الكوفة فحجّ عنه من البصرة، قال عليه السَّلام: لابأس اذا قضى جميع المناسك، فقد تمّ حجّه.

١٧ ـ رسالة في حكم الاسراج عند الميّت ان مات ليلاً.

رسالة استدلاليّة مختصرة، ذهب فيها إلى عدم استحباب ذلك، وأنّه لادليل عليه.

١٨ ـ رسالة في شرح حديث توضّؤوا ممّا غيرت النار.

١٩ ـ رسالة في حكم الغسل في الأرض الباردة ومع الماء البارد.

٢٠ ـ رسالة في أفضليّة التسبيح على القراءة في الركعتين الأخيرتين.

٢١ ـ رسالة في تحقيق وجوب غسل مسّ الميّت.

٢٢ ـ رسالة في حكم شراء مايعتبر فيه التذكية.

رسالة استدلاليّة حول شراء الفراء واللحوم والجلود وغيرها ممّا يعتبر فيها التذكية.

٢٣ ـ رسالة في حكم لبس الحرير للرجال في الصلاة وغيرها.

رسالة استدلالية في جواز لبس الحرير المحض مطلقا للنساء والاطفال والخنائى، وكراهته للرجال الّا في حال الضرورة والحرب، ويعبر عنها المؤلف في بعض رسائله بالرسالة الحريريّة.

٢٤ ـ رسالة في حكم الغسل قبل الاستبراء.

٢٥ ـ الفصول الاربعة في عدم سقوط دعوى المدعي بيمين المنكر.

رسالة استدلاليّة في عدم سقوط دعوى المدعي لو حلف المنكر على الوجه الشرعي، خلافاً لجماعة من الفقهاء.

٢٦ ـ رسالة في وجوب الزكاة بعد اخراج المؤونة.

رسالة استدلاليّة في وجوب زكاة الغلات بعد اخراج المؤونة والخراج.

٢٧ ـ رسالة في صلاة الجمعة.

رسالة استدلاليّة في حرمة صلاة الجمعة وعدم وجوبها عيناً في زمن الغيبة، والردّ على رسالة الشهاب الثاقب للمحقق الكاشاني، مع عناوين قال أقول.

أقول: طبعت هذه الرسائل من رقم (٩) الى هنا في المجموعة الاولى من الرسائل الفقهية.

٢٨ ـ رسالة في شرح حديث ما من أحد يدخله عمله الجنّة وينجيه من النار.

٢٩ ـ رسالة في شرح حديث لوعلم أبوذر ما في قلب سلمان لقتله.

٣٠ ـ رسالة في شرح حديث أعلمكم بنفسه أعلمكم بربّه.

٣١ ـ رسالة في شرح حديث لايموت لمؤمن ثلاثة من الاولاد فتمسّه النار الّا تحلّة القسم.

٣٢ ـ رسالة في شرح حديث أنّهم يأنسون بكم فاذا غبتم عنهم استوحشوا.

٣٣ ـ رسالة في شرح حديث النظر إلى وجه العالم عبادة.

٣٤ ـ رسالة في تفسير آية «فاخلع نعليك إنّك بالواد المقدّس».

٣٥ ـ رسالة في تعيين ليلة القدر.

رسالة لطيفة في تعيين ليلة القدر مع اختلاف الأُفق في أنحاء العالم شرقها وغربها، ثمّ استدلّ على أنّ ليلة القدر التي تقدّر فيها المقدّرات مطابق للأُفق الذي يعيش فيه الامام عليه السّلام.

٣٦ ـ الحاشية على أجوبة المسائل المهنائيّة.

٣٧ ـ رسالة عدليّة.

رسالة مبسوطة في معنى العدالة، وما تحصل به العدالة، وما تزول به العدالة،

والمناقشة في أقوال الفقهاء في ذلك، في ثلاث أبواب، وكلّ باب يشتمل على عدّة فصول.

٣٨ ـ رسالة في نوم الملائكة.

رسالة لطيفة حول الرواية المروية في الاكمال عن الصادق عليه السَّلام أنّه سئل عن الملائكة أينامون؟ فقال: مامن حيّ الّا وهو ينام،الحديث.

٣٩ ـ هداية الفؤاد إلى نبذ من أحوال المعاد.

رسالة مبسوطة استدلاليّة في المسألة الخلافيّة بين المتكلّمين والحكماء في أنّ ماسوى الله تعالى هل يفنى على عمومه مجرّداته وماديّاته حتّى لايبقى منه شيء ولا يدوم منه موجود أم يبقى منه باق ببقاء الله تعالى؟ اختار المؤلّف الشقّ الثاني، واستدلّ عليه بالآيات والروايات.

٤٠ ـ رسالة في بيان الشجرة الخبيثة.

٤١ ـ رسالة في الجبر والتفويض.

شرح لطيف حول كلام الامام أمير المؤمنين عليه السَّلام في نهج البلاغة «انّا لانملك مع الله شيئاً ولا نملك الّا ماملكنا» تكلّم في هذا الشرح الجبر والاختيار، والقضاء والقدر، وما يستفاد من الآيات والروايات وغيرهما.

٤٢ ـ رسالة في شرح حديث من أحبّنا أهل البيت فليعد للفقر جلباباً أو تجفافاً.

٤٣ ـ المسائل الخمس.

٤٤ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى «وكان عرشه على الماء».

٤٥ ـ رسالة في ذمّ سؤال غير الله.

وفيها ذكر مكاشفة وقعت للمؤلف قدّس سرّه.

أقول: وطبعت هذه الرسائل الشريفة من رقم (٢٨) إلى هنا في المجموعة الثانية من الرسائل الاعتقاديّة.

٤٦ ـ رسالة في أحكام الطلاق.

رسالة استدلالية في الطلاق الرجعي وحقيقته،وفيها بيان حقيقة الطلاق المزيل

لعلاقة النكاح.

٤٧ ـ رسالة في شرح لسان القاضي بين جمرتين من نار.

٤٨ ـ رسالة في ارث الزوجة.

رسالة استدلاليّة في بيان كيفيّة ميراث الزوجة من الزوج في مقدّمة وأربع فصول وخاتمة.

٤٩ ـ رسالة في الحبوة.

رسالة استدلاليّة في ستّة فصول في بيان أحكام الحبوة وما يختصّ من الميراث بالولد الأكبر.

٥٠ ـ رسالة في حرمة تزويج المؤمنة بالمخالف.

رسالة استدلاليّة في جواز التزويج وعدمه.

٥١ ـ رسالة في استحباب كتابة الشهادتين على الكفن.

٥٢ ـ رسالة في حكم التنفّل قبل صلاة العيد وبعدها.

٥٣ ـ رسالة في بيان عدد الأكفان.

٥٤ ـ رسالة في جواز التداوي بالخمر عند الضرورة.

رسالة استدلاليّة ألّفها للسيّد مير محمّد طاهر، في أربع فصول.

٥٥ ـ رسالة في حكم الحدث الأصغر المتخلّل في غسل الجنابة.

رسالة استدلاليّة في ثمان فصول في حكم الحدث الأصغر المتخلّل أثناء الغسل، وأنّه هل يبطل الغسل أم لا؟

٥٦ ـ المسائل الفقهيّة المتفرّقة.

يبحث عن ثلاثين مسألة فقهيّة وغيرها، وفيها مباحث هامّة.

٥٧ ـ رسالة في استحباب رفع اليدين حالة الدعاء.

٥٨ ـ رسالة في بيان علامة البلوغ.

٥٩ ـ رسالة في من أدرك الامام في أثناء الصلاة.

٦٠ ـ الرسالة الهلاليّة.

رسالة استدلاليّة مبسوطة في كيفيّة ثبوت الهلال.

٦١ ـ الرسالة الذهبيّة.

رسالة استدلاليّة في جواز لبس الذهب واللباس المذهّب والصلاة فيه وعدمه.

٦٢ ـ الفصول الأربعة في من دخل عليه الوقت وهو مسافرٌ فحضر وبالعكس والوقت باق.

٦٣ ـ رسالة في حكم من زنا بامرأة ثمّ تزوّج بابنتها.

رسالة استدلاليّة في المسألة المذكورة، ردّ فيها على المحقّق السبزواري ـ قدّس سرّه ـ حيث أجاز ذلك على كراهيّة.

٦٤ ـ رسالة في شرائط المفتي.

مناظرة ومناقشة مع أحد أساتذته في ما يشترط في المفتي والإفتاء.

٦٥ ـ رسالة في منجّزات المريض.

رسالة استدلاليّة في منجّزات المريض إذا كانت تبرّعاً ومات في ذلك المرض.

أقول: وطبعت هذه الرسائل الشريفة من رقم (٤٦) إلى هنا في المجموعة الثانية من الرسائل الفقهيّة. وتصدّى لطبع هذه الرسائل المطبوعة في أربع مجلدات دارالكتاب الإسلامي في قم المقدّسة.

٦٦ ـ الأربعون حديثاً. طبع منشورات مكتبة السيّد الخادمي الصدر ـ قدّس سرّه ـ.

٦٧ ـ الدرر الملتقطة من تفسير الآيات القرآنية. طبع منشورات دارالقرآن الكريم في قم المقدّسة.

٦٨ ـ مفتاح الفلاح ومصباح النجاح في شرح دعاء الصباح.

٦٩ ـ الفوائد الرجاليّة. من أعظم ماأُلّف في هذا الباب.

٧٠ ـ التعليقة على مشرق الشمسين.

ونشرت هذه الكتب الثلاث بإسم منشورات مجمع البحوث الإسلاميّة التابع للآستانة الرضويّة المقدّسة.

٧١ ـ التعليقة على مفتاح الفلاح للشيخ البهائي، وهي هذا الكتاب الذي بين يديك .

٧٢ ـ جامع الشتات: كتابٌ لطيفٌ مشتمل على فوائد متفرّقة وأكثرها شرحٌ للأحاديث المنتخبة في المواضيع المختلفة.

وهناك عدّة رسائل فارسيّة وهي :

٧٣ ـ رسالهٔ اصول الدين، مبسوط .

٧٤ ـ رسالهٔ اصول الدين، كليّات.

٧٥ ـ رسالهٔ بيان أجل محتوم وغير محتوم.

٧٦ ـ رسالهٔ تحقيق در حديث سهو النبيّ وردّ صوفيان.

٧٧ ـ رسالهٔ تحقيق در بارهٔ كوه قاف .

٧٨ ـ ترجمة المناظرة در امامت.

٧٩ ـ رسالهٔ رضاعيّه.

٨٠ ـ رسالهٔ أخبار وأحوال أبو هذيل علاف .

٨١ ـ رسالهٔ نوروزيّه.

٨٢ ـ أجوبهٔ مسائل مير محمّد حفيظ .

٨٣ ـ رسالهٔ جواب از بعض مسائل ضرورية.

٨٤ ـ رسالهٔ وحدت وجود.

ولادته ووفاته:

لم أعثر إلى الآن على تاريخ ولادته، ولم يتعرّض لذلك أرباب المعاجم والتراجم.

وأمّا وفاته، فالصحيح أنّه توفّي في الحادي عشر من شهر شعبان سنة (١١٧٣) هـ ق.

والذي ظهر لي من عمره الشريف أنّه ـ قدّس سرّه ـ ناهز حوالي الثمانين سنة، وذلك أنّه أدرك الفتنة الهائلة، وكان ابتداؤها من سنة (١١٣٣) هـ ق، وانتقل المؤلّف عند ذاك إلى محلّة خواجو مع أهله وأولاده، وألّف في حين الفتنة عدّة كتب

ورسائل، منها كتابه الأربعون حديثاً المحتوية على التحقيقات والتدقيقات اللطيفة، وأشار في آخر الكتاب إلى بعض الوقائع الحادثة في عصره، وكان يعدّ مع ذلك من العلماء والفحول، فمن كان في تلك الرتبة والمرتبة، فلا أقلّ من أن يكون عمره الشريف في حوالي الأربعين سنة، ومن ابتداء الفتنة إلى حين وفاته أيضاً أربعون سنة، فيبلغ المجموع إلى حوالي الثمانين سنة، والله أعلم بحقائق الأُمور.

ومزاره في اصفهان في المزار المعروف بـ«تخت فولاد» في بقعة لسان الأرض المشحونة بالعلماء والصلحاء والأولياء، وقبره الشريف بين قبر الفاضل الهنديّ والشيخ العارف علي أكبر الأژه‌اى -قدّس سرّهما-، وهو أقرب إلى الأخير.

منهج التحقيق

قوبل كتاب مفتاح الفلاح على عدّة نسخ خطيّة ممتازة مصحّحة وهي:

١ ـ ثمان نسخ خطيّة بعضها مصحّحة، وعليها علامة المقابلة والمراجعة، وهذه النسخ لخزانة مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ ـقدّس سرّه ـ، برقم: (٤٢) و(٥٠١) و(٦٩٧) و(١٤٤٥) و(٢٤٩٦) و(٤٩٤٤) و(٤٩٨٠) و(٦٣٢٣).

٢ ـ نسخة ثمينة خطيّة لخزانة مكتبتنا، استنسخت عن خطّ المؤلّف، وهي نسخةٌ مصحّحة كاملة، مزدانة بحواشي العلّامة الخواجوئي ـقدّس سرّه ـ، وكان الأساس في تحقيق المفتاح على متن هذا الكتاب وفي موارد أُشكلت عليّ راجعة إلى النسخ الخطيّة المشار إليه للمكتبة المذكورة.

٣ ـ النسخة المطبوعة من الكتاب، من منشورات دارالكتاب الإسلامي.

وأمّا التعليقة للعلّامة الخواجوئي فقوبلت على نسختين:

١ ـ نسخةٌ كاملةٌ مصحّحةٌ منقّحةٌ لخزانة مكتبتنا، وهذه النسخة غير مدوّنة كتبت بخطّ جيّد ناعم على هوامش كتاب مفتاح الفلاح، وترجع تاريخ كتابتها إلى عصر المؤلّف، وكانت هذه النسخة هي الأساس في استنساخ التعليقة وتحقيقها.

٢ ـ نسخة كاملة مصحّحة ثمينة، لخزانة مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ـقدّس سرّه ـ برقم (٣٤٣١) وكاتب هذه النسخة العلّامة الرجاليّ أبو الهدى ابن أبي المعالي بن محمّد إبراهيم الكرباسي، تاريخ كتابتها سنة (١٣٣٤)

واستنسخت هذه النسخة عن خطّ المؤلّف، وقوبلت التعليقة من أوّلها إلى نهايتها مع هذه النسخة.

هذا ولم آل جهدي في تصحيح الكتاب والتعليقة ومقابلتهما مع النسخ الموجودة لديّ، واستخراج مصادرها من الآيات والروايات والأقوال.

ولعلّ فيهما أخطاء تحقيقيّةٌ أو مطبعيّةٌ، فأرجو من القرّاء الأفاضل والأعزّاء الكرام الذين يراجعون الكتاب أن يمنّوا علينا بما لديهم من التصحيح لنستدركها في الطبعات القادمة.

وبالختام إنّي أُقدّم ثنائي الجزيل لإدارة مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة لنشرها هذا الأثر القيّم، وأسأل الله تبارك وتعالى أنّ يوفّقهم ويسدّدهم لإحياء ونشر آثار أسلافنا الطاهرين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

السيّد مهدي الرجائي

١٥ / ذي القعدة / ١٤١٣ هـق قم المقدّسة

ص ب ٣٧١٨٥ - ٧٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا على جادة النجاة، وهدانا
الى ما يوجب علو الدرجات، والصلوة والسلام على
اشرف البريات، بل افضل اهل الارضين والسموات
المبعوث على كافة المخلوقات محمد وآله
الذين بموالاتهم تقبل الصلوات وببركاتهم تستجاب
الدعوات. اما بعد فان اقل العباد عملا واكثرهم
زللا محمد المشتهر بصفا الدين العاملي وفقه
الله للعمل في يومه لغده قبل ان يخرج من الامر

الصفحة الاولى من نسخة «ر» من التعليقة

ومثله في الحسن منه قوله عز اسمه نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم وفي الخبر عن سيد البشر

هذا وفي عدوله سبحانه عن اسناد
الغضب الى نفسه جل شانه مع التصريح
باسناد عديلها اعني النعمة اليه عز سلطانه
تشييد لمعالم العفو والرحمة وتاسيس
لمباني الجود والكرم حتى كان الصادر
عنه هو الانعام لا غير وان الغضب
صادر عن غيره سبحانه والا فالمناسب
بعد قوله عز وعلا صراط الذين
انعمت عليهم ان يقول غير الذين غضبت
عليهم وعلى هذا النمط من التصريح في
جانب الرحمة والتعريض في جانب
العقاب جرى قوله عز وجل لئن شكرتم

الصفحة الأخيرة من نسخة «ر» من التعليقة

هذه تعليقة للعالم الكامل المحقق النبيل وافضل الافاضل الماهر المدقق الجليل
البدل الخبير والنحرير المولى اسمعيل [illegible]
الحاجي على مفتاح الفلاح للمحقق الوحيد الفريد البهائي اسكنهما
الله تعالى في فراديس الجنان

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا من بيده مفتاح الفلاح ومصباح النجاح والصلاة
على رسوله واله ما طلع الصباح وتكرر الرواح يقول العبد اللائذ
بالخالق [illegible]
[illegible]

الصفحة الاولى من نسخة «ن» من التعليقة

بالجنة والرضوان وأن يسهل علينا سكرات الموت

ويرزقنا من رحمته يومئذ الشفاعة والشهادة والأمان

إنه أهل الفضل والرحمة والجود

والنعمة وهو المستعان

للدارين وعليه

التكلان

ن

ولقد فرغ من تحرير [illegible] العبد المستغفر في بحار الأوزار عصيانا الراجي من الله عفوه وفضله

أوان [illegible] الثاني العشر لعاشر الثلث الأول لليلة ثالث من ربيع

الأول من الخمس الرابع من السنين الأول من العشر الرابع من العشر الرابع

من الألف الثاني ابن [illegible] ابن محمد بن [illegible] المكي

الحنفي [illegible] الأصبحي ما استنساخا من خط الشريف

الفاضل المحشي [illegible] على النسخ المكررة في الأصل مكتوبا

في الحواشي والحمد لله على نعمائه والصلاة والسلام على سيد أنبيائه

وآله وصحبه من الآن إلى يوم لقائه

الصفحة الأخيرة من نسخة «ن» من التعليقة

مقدّمة المؤلّف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي دلّنا على جادّة النجاة، وهدانا إلى ما يوجب علوّ الدرجات،

بســـم الله الرَّحمن الرَّحيم

بعد حمد من بيده مفتاح الفلاح ومصباح النجاح، والصلاة على رسوله وآله ماطلع الصباح وتكرّر الرواح.

يقول العبد الآنس بالخالق المتوحّش الآيس عن الخلائق محمَّد بن الحسين المدعوّ بإسماعيل عامله الله بفضل نبيل ولطف جليل: هذه ألفاظٌ وعباراتٌ ودلالاتٌ وإشارات إلى جملة مافي هذا الكتاب المستطاب المشحون بفصل الخطاب، حرّرتها تذكرة لأُولي الألباب، وتبصرة لمن له بصيرة في الأصحاب، سائلاً من الله السداد في كلّ باب ندخل من تلك الأبواب، إنّه المبدأ المستعان وإليه يرجع في كلّ مآب.

قوله: دلّنا على جادّة النجاة.

أي: هدانا وأرشدنا إلى طريق النجاة من النار، بنصبه لنا الائمّة الأبرار

والصلاة على أشرف البريّات، وأفضل أهل الأرض والسماوات، محمّد وآله الذين

صلوات الله عليهم مااختلف الليل والنهار، فانّهم السبيل الأعظم والصراط الأقوم، فمن سلكه فقد اهتدى ونجى، ومن نكب عنه فقد ضلّ وتردّى.

قوله: والصلاة على أشرف البريّات.

المشرّف بخطاب لولاك لما خلقت الأفلاك . وبقوله تعالى: خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي.

والدليل على كونه أشرف المخلوقات وأكمل الموجودات زائداً على ذلك، أمّا نقلاً فقوله: أنا سيّد من خلق الله(١).

وأمّا عقلاً، فلأنّه أوّل من تشرّف بعناية الله، وصار مظهر جلاله وجماله. وقد تقرّر في مقرّه أنّ أوّل خلق الله أشدّ مناسبة بذاته تعالى، إذ لا واسطة بينه وبين خالقه.

وأمّا استدلال صاحب الكشّاف فيه بكريمة «إنّه لقول رسول كريم»(٢) على أفضليّة جبرئيل عليه السّلام منه صلّى الله عليه وآله بناء على مذهب الاعتزال من القول بأفضليّة الملائكة من بني آدم.

حيث قال: وناهيك بهذا دليلاً على جلالة مكانة جبرئيل وفضله على الملائكة، ومباينة منزلته لمنزلة أفضل الإنس محمّد صلّى الله عليه وآله إذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما، وقايست بين قوله «إنّه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثمّ أمين» وبين قوله «وما صاحبكم بمجنون»(٣).

---

(١) كنز العمال ١١: ٤٣٤. (٢) سورة الحاقة: ٤٠، والتكوير: ١٩. (٣) الكشاف ٤: ٢٢٥.

بموالاتهم تقبل الصلوات،

ففيه أنّه تعالى كشح البيان في هذا المكان عن ذكر نعوت أفضل الإنس والجانّ: إمّا لكونه أجلّ من أن يمدح في عرض مدح غيره وان كان جبرئيل.

أو لأنّ المخاطبين بهذه الآية لمّا زعموا أنّه مجنون، وأنّ القرآن ممّا ألقاه الشياطين إلى الكهنة، اقتضى المقام أن لاينعته بصفات الكمال، لئلّا يزيدهم إنكاراً.

ولذا أخرج الكلام على طريق التلطف بهم والمداراة معهم، حيث أضافه صلّى الله عليه وآله إلى أنفسهم.

وعدّه من جملتهم تنبيهاً على أنّ شأنكم أن تفتخروا به على كافّة البرايا، حيث أنّ الله اصطفى من أنفسكم من بلغ تلك المرتبة العظمى والدرجة القصوى، لا أن تنسبوه إلى مايرجع اليكم نقصاً ويسلب عنكم عزّاً.

قوله: بموالاتهم تقبل الصلوات.

في صحيحة عبدالحميد بن أبي العلاء، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال لي: يا أبامحمّد والله لو أنّ إبليس سجدلله عزّ ذكره بعد المعصية والتكبّر عمر الدنيا مانفعه ذلك ، ولا قبله الله عزّوجلّ مالم يسجد لآدم، كما أمره الله عزّوجلّ أن يسجد له.

وكذلك هذه الأُمّة العاصية المفتونة بعد نبيّها وبعد تركهم الامام الذي نصبه نبيّهم لهم، فلن يقبل الله لهم عملاً، ولن يرفع لهم حسنة، حتّى يأتوا من حيث أمرهم، ويتولّوا الإمام الذي أُمروا بولايته، ويدخلوا من الباب الذي فتحه الله ورسوله لهم[1].

---

(١) روضة الكافي ٨: ٢٧١.

وببركاتهم تستجاب الدعوات.

وفي معتبرة أبي حمزة الثمالي قال: قال لنا علي بن الحسين صلوات الله عليهما: أيّ البقاع أفضل؟ فقلت: الله ورسوله أعلم.

فقال: أما أنّ أفضل البقاع بين الركن والمقام، ولو أنّ رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً، يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان، ثمّ لقي الله عزّوجلّ بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً[١].

وفي رواية عامّية مرويّة عن أبي أُمامة الباهلي: ولو أنّ عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام، ثمّ ألف عام، ثمّ ألف عام حتّى يصير كالشنّ البالي، ثمّ لم يدرك محبّتنا أكبّه الله على منخريه في النار[٢].

وممّا نقلناه يظهر أنّ الشيخ ـ قدّس سرّه ـ لو بدّل «الصلوات» بالعبادات لكانت الفائدة أتمّ، وغاية الموالات أعمّ.

هذا وعن سيّدنا أبي عبدالله الصادق عليه السّلام: لايزال الدعاء محجوباً حتّى يصلّى على محمّد وآله[٣].

والأخبار في ذلك الباب أكثر من أن تعدّ وتحصىٰ في مثل هذا الكتاب.

قوله: وببركاتهم تستجاب الدعوات.

كما دلّت عليه كثير من الروايات:

منها: ماروواه جابر عن أبي جعفر عليه السّلام: انّ عبداً مكث في النار يناشد الله سبعين خريفاً، والخريف سبعون سنة، ثمّ قال: انّه سأل الله بحقّ

---

(١) من لايحضره الفقيه ٢: ٢٤٥.

(٢) كفاية الطالب للعلّامة الكنجي الشافعي: ١٧٨.

(٣) أُصول الكافي ٢: ٤٩١ ح١.

محمّد وأهل بيته لما رحمتني.

قال: فأوحى الله إلى جبرئيل أن اهبط إلى عبدي فأخرجه اليّ، قال: يارب كيف لي بالهبوط في النار؟ قال: انّي قد أمرتها أن تكون عليك برداً وسلاماً، قال: يارب فأعلمني بموضعه، قال: انّه في جبّ في سجّين.

قال: فهبط إليه وهو معقول على وجهه بقدمه، قال: قلت: كم لبثت في النار؟ قال: ماأُحصي كم تركت فيها خلقاً، قال: فأخرجه إليه.

قال: فقال له: ياعبدي كم كنت تناشدني في النار؟ قال: ماأُحصي يارب.

قال: أما وعزّتي وجلالي لولا ما سألتني به لأطلت هوانك في النار، لكنّه حتمٌ حتمته على نفسي لايسألني عبد بحقّ محمّد وأهل بيته الاّ غفرت له ما كان بيني وبينه، فقد غفرت لك اليوم[1].

وما رواه سلمان الفارسي قال: سمعت محمّداً صلّى الله عليه وآله يقول: انّ الله عزّوجلّ يقول: ياعبادي أو ليس من له اليكم حوائج كبار لاتجودون بها الاّ أن يتحمّل عليكم بأحبّ الخلق إليكم تقضونها كرامة لشفيعهم[2].

ألا فاعلموا أنّ أكرم الخلق عليّ وأفضلهم لديّ محمّد وأخوه علي ومن بعده الائمّة الذين هم الوسائل إلى الله، ألا فليدعني من همّته حاجة يريد نفعها[3]، أو دهته داهية يريد كشف ضررها بمحمّد وآله الطيّبين الطاهرين أقضها له

---

(١) أمالي الصدوق ص٦٠٠. والبحار ٩٤: ١ ـ ٢.

(٢) في البحار: لشيعتهم.

(٣) في البحار: نجحها.

في يومه لغده، قبل أن يخرج الأمر من يده، يقول: قد التمس منّي جماعة من إخوان

أحسن مايقضيها من تستشفعون بأعزّ الخلق عليه[١].

وفي رواية هشام بن سالم عن الصادق عليه السَّلام قال: لايزال الدعاء محجوباً حتّى يصلّى على محمَّد وآله[٢].

وعنه عليه السَّلام: من كانت له إلى الله عزّوجلّ حاجة فليبدأ بالصلاة على محمَّد وآله، ثمّ يسأل حاجته، ثم يختم بالصلاة على محمَّد وآله، فانّ الله عزّوجلّ أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط إذا كانت الصلاة على محمَّد وآله لاتحجب عنه[٣].

قوله: في يومه لغده.

أي: في دنياه لآخرته، وفيه مبالغة في سرعة زوال الدنيا وعدم الثبات والقرار فيها، حتّى كأنّها يومٌ واحدٌ. وعنهم عليهم السَّلام: الدنيا ساعة فاجعلها في طاعة. وما أحسن ماقيل:

إنّما الدنيا فناء ليس في الدنيا ثبوت

إنّما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت، بل هي أوهن من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون. نعم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون.

قوله: قبل أن يخرج الأمر من يده.

بالموت، أو الضعف.

---

(١) بحار الأنوار ٩٤: ٢٢ عن عدّة الداعي.

(٢) بحار الأنوار ٩٤: ٦٦ عن كفاية الأثر، اصول الكافي ٢: ٤٩١، ح١.

(٣) اصول الكافي ٢: ٤٩٤، ح١٦.

الدين وخلّان اليقين، تأليف مختصر يحتوي على ما لابدّ لأهل الديانة، من الاتيان به في كل يوم وليلة، من واجب العبادات ومندوبها، ومحمود الآداب ومرغوبها، مقتصراً في الاعمال المسنونة على ما هو قليل المؤونة كثير المعونة، فأجبت مسؤولهم وحققت بتوفيق الله مأمولهم وسميته بـ**(مفتاح الفلاح)** سائلاً من الله سبحانه أن ينفع به الطالبين، وأن يجعله من أحسن الذخائر ليوم الدين، ورتّبته على ستّة أبواب، متوكّلاً على ملهم الصواب في كلّ باب.

(الباب الأوّل) في ما يعمل ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس.

(الباب الثاني) في ما يعمل ما بين طلوع الشمس الى الزوال.

(الباب الثالث) في ما يعمل ما بين الزوال الى المغرب.

(الباب الرابع) في ما يعمل ما بين المغرب الى وقت النوم.

(الباب الخامس) في ما يعمل ما بين وقت النوم الى انتصاف الليل.

(الباب السادس) في ما يعمل ما بين انتصاف الليل الى طلوع الفجر.

قوله: وخلّان اليقين.

الخليل: الصديق الذي يخال لك في أمرك، وهو فعيل من الخلّة، أي: المودّة والصداقة، والجمع الأخلّاء والخلّان، كما في القاموس[1].

قوله: تأليف مختصر.

ألّف -قدّس سرّه- هذا الكتاب المستطاب قبل وفاته -رحمه الله- بخمس عشرة سنة، سنة خمس عشرة بعد الألف، وكان تاريخ وفاته على ما ذكره الميرزا محمّد طاهر النصرآبادي في تذكرته قبل وفاة الشاه عباس سنة الثلاثين والألف

---

(١) القاموس المحيط ٣: ٣٧٠.

....

بعد الهجرة النبـويّة المصطفويّة على مهاجرها وآله السَّلام، وكان ـقدّس سرّه ـ في أكثر أيّام عمره مشغولاً بالسياحة والتجارة.

الباب الأوّل

في ما يعمل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس

وفيه مقدّمة وفصول:

المقدّمة

قد ورد عن أصحاب العصمة سلام الله عليهم في فضيلة هذا الوقت روايات عديدة، ويطلق عليه ساعة الغفلة، كما يطلق ذلك على ما بين غروب الشمس وذهاب الشفق أيضاً. وينبغي أن يكون الانسان فيه متيقظاً، فإنّ

قوله: ويطلق عليه ساعة الغفلة.

روى جابر عن أبي جعفر عليه السَّلام: انّ إبليس يبثّ جنود الليل من حين تغيب الشمس إلى مغيب الشفق، ويبثّ جنود النهار من حين يطلع الفجر إلى مطلع الشمس، وذكر أن نبي الله صلّى الله عليه وآله كان يقول: أكثروا ذكر الله عزّوجل في هاتين الساعتين، وتعوّذوا بالله من شرّ إبليس وجنوده، وعوّذوا صغاركم في هاتين الساعتين، فانّهما ساعتا غفلة[١].

وإلى هذا الحديث يشير كلام الشيخ ـ قدّس سرّه ـ، كما سيصرّح به أيضاً.

قوله: وينبغي أن يكون الإنسان فيه متيقّظاً.

عن محمّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السَّلام قال: سألته عن النوم بعد

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٥٠١ ـ ٥٠٢.

النوم في ذلك الوقت شؤم.

روى رئيس المحدّثين في الفقيه

الغداة، فقال: انّ الرزق يبسط تلك الساعة، فأنا أكره أن ينام الرجل تلك الساعة[١].

وعن الباقر عليه السّلام: النوم أوّل النهار خرق، والقايلة نعمة، والنوم بعد العصر حمق، والنوم بين العشائين يحرم الرزق[٢].

وكان المنّ والسلوى ينزل على بني اسرائيل مابين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فمن نام تلك الساعة لم ينزل نصيبه، فكان إذا انتبه فلا يرى نصيبه إحتاج إلى السؤال والطلب[٣].

وروي الرخصة في النوم بعد الغداة عن أبي عبدالله عليه السّلام وعن فعل الرضا عليه السّلام، ولعلّه كان لضرورة، أو علّة، أو كان لبيان الجواز، أو للسهر. وحينئذٍ يحتمل عدم الكراهة.

وحمله الشيخ ـ قدّس سرّه ـ بعد أن رواه في زيادات التهذيب عن معمّر بن خلاد، قال: أرسل إليّ أبوالحسن عليه السّلام في حاجة فدخلت عليه، فقال: انصرف فاذا كان هذا غداً فتعال، ولا تجئ إلّا بعد طلوع الشمس، فانّي أنام بعد الفجر إلى طلوع الشمس. على كون النوم لعذر[٤].

قال: ويحتمل كون مجيئه من غير اختياره، وهو بعيد، هذا.

وروى معمّر بن خلاد عن الرضا عليه السّلام قال: كان وهو بخراسان إذا

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٥٠١.

(٢) من لايحضره الفقيه ١: ٥٠٢.

(٣) من لايحضره الفقيه ١: ٥٠٣.

(٤) تهذيب الأحكام ٢: ٣٢٠ ـ ٣٢١.

عن الباقر عليه السلام أنه قال: نومة الغداة مشؤمة، تطرد الرزق، تصفّر

صلّى الفجر جلس في مصلاه حتّى تطلع الشمس، ثم يؤتى بخريطة فيها مساويك، فيستاك بها واحداً بعد واحد، ثم يؤتى بكندر فيمضغه، ثم يؤتى بالمصحف فيقرأ فيه(١).

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله: النوم على سبعة أنواع: نوم الغفلة، ونوم الشقاوة، ونوم اللعنة، ونوم العقوبة، ونوم الراحة، ونوم الرخصة، ونوم الحسرة. أما نوم الغفلة، ففي مجلس الذكر، ونوم الشقاوة في وقت الصلاة، ونوم اللعنة وقت الصبح، ونوم العقوبة بعد صلاة الفجر، ونوم الراحة وقت القيلولة، ونوم الرخصة بعد صلاة العشاء، ونوم الحسرة يوم الجمعة(٢).

ولعل المراد بالعقوبة العقوبة الدنيويّة، كحرمان الرزق وطرده وتصفّر اللون وتغيّره ونحو ذلك، لا العقوبة الأُخرويّة مع احتمالها إذا كان النوم من غير ضرورة وعلّة، والله يعلم.

قوله: عن الباقر عليه السَّلام.

الصواب عن الصادق عليه السَّلام، لأنّ هذا الحديث في الفقيه مرويّ عنه عليه السَّلام لا عنه عليه السَّلام.

قوله عليه السَّلام: تطرد الرزق.

لكلّ أحد من بني آدم رزق مقدّرٌ مقسومٌ، توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة، بحسب الأشخاص والأوقات، ثمّ بعد ذلك كما أنّ بعض الأُمور الصادرة منهم

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ٥٠٤.

(٢) لم أظفر عليه في مظانّه.

اللون وتغيّره[١]، وهو نوم كلّ مَشؤوم، إنّ الله تبارك وتعالى يقسّم الأرزاق مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس، فإيّاكم وتلك النومة[٢].

وروى أيضاً في الكتاب المذكور عن أبي الحسن الرضا عليه السَّلام في تفسير قوله تعالى: «فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً»، قال: إنّ الملائكة تقسّم أرزاق بني آدم مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس، فمن نام[٣] مابينهما نام عن رزقه[٤].

يزيده ويغيّر المصلحة، كذلك البعض الآخر ينقصه.

وظاهر هذه الأخبار وما شاكلها يفيد أنّ النوم فيما بين الطلوعين من القسم الثاني.

وأمّا أنّ اليقظة فيما بينهما يوجب ازدياده، فلا دلالة لها عليه إلّا بحكم المقابلة، ولابأس باعتباره، فانّ المخبر الصادق إذا أخبر مثلاً بأنّ غسل الاناء وكسح الفناء مجلبة للرزق، كما أخبر عنه سيّدنا أبوعبدالله الصادق عليه السَّلام، يفهم منه بحكم المقابلة أنّ عدمهما مطردة له، فتأمّل.

قوله: في تفسير قوله تعالى فالمقسّمات أمراً.

هذا تفسير للأمر ببعض أفراده، فانّ الأمر أعمّ من الرزق، والملائكة يقسّمون الأُمور بين الخلق على ما أُمروا به، فيصحّ إسناد قسمة الأرزاق إليهم، كما في هذا الخبر، وإلى الله تعالى كما في الخبر السابق: إمّا حقيقة فيهما، أو مجازاً في أحدهما، كما يقال مثلاً: قطع الأمير اللصّ، وقد قطعه بعض غلمانه.

---

(١) في المصدر: وتقبّحه وتغيّره.

(٢) من لايحضره الفقيه ١:٥٠٢، ح١٤٤١.

(٣) في المصدر في الموضعين: ينام.

(٤) من لايحضره الفقيه ١:٥٠٤، ح١٤٥٠.

وقد روي أنّ صلاة الصبح[١] تكتب في أعمال الليل وأعمال النهار معاً[٢].

روى ثقة الاسلام في الكافي عن الصادق عليه السّلام في قوله تعالى: «إنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً»،

قوله: وقد روي.

قال الصدوق ـ رحمه الله ـ في الفقيه: من صلّى الغداة في أوّل وقتها أثبتت له مرّتين، أثبتها ملائكة الليل وملائكة النهار، ومن صلّاها في آخر وقتها أُثبتت له مرّة واحدة، قال الله عزّوجل «وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً» يعني أنّه تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار[٣].

ولعلّه نقل حاصل مايستفاد من الحديث.

ثمّ الظاهر أنّ فائدة إثباتها مرّتين، إثابة العبد بذلك مرّتين، فمن حيث أنّ الملائكة الليليّة يثبتونها في أعماله الليليّة، فهي من أعماله الليليّة، فيثاب بذلك، ومن حيث أن الملائكة النهاريّة يثبتونها في أعماله النهاريّة فهي من أعماله النهاريّة، فيثاب بذلك أيضاً، وإلّا فلا يتصوّر لإثباتها مرّتين كثير فائدة، فتأمّل.

قوله: روى ثقة الإسلام.

هذا حديثٌ ضعيف السند بعبد الرحمان بن سالم، وهو رواه عن إسحاق بن

---

(١) وفي حديث العامة أيضاً: أن صلاة الصبح مشهودة محضورة قال في النهاية: أي تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار (منه).

(٢) تهذيب الأحكام ٢: ٣٧، ح٦٧.

(٣) من لايحضره الفقيه ١: ٢٢٢.

قال: يعني صلاة الفجر تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار، فإذا صلّى العبد الصبح في[1] طلوع الفجر أُثبتت له مرتين، أثبتها ملائكة الليل وملائكة النهار[2]. وها هنا إشكال وهو أنّه قد روى جماعة من علمائنا عن الصادق عليه السَّلام أنّ رجلاً من النصارى سأل أباه الباقر عليه السَّلام عن الساعة التي ليست من ساعات الليل ولا من ساعات النهار، فقال عليه السَّلام: هي الساعة التي بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس[3].

عمّار، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السَّلام: أخبرني عن أفضل المواقيت في صلاة الفجر؟ قال: مع طلوع الفجر، إنّ الله تعالى يقول: «إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً» يعني صلاة الفجر الحديث[4].

قوله عليه السَّلام: يعني صلاة الفجر.

فيكون من باب ذكر الجزء وإرادة الكلّ، كذكر الرقبة وإرادة النسمة، حيث ذكر القراءة وأُريد بها الصلاة؛ فانّ القرآن مصدر على زنة فعلان بمعنى القراءة والتلاوة، يقال: قرأت الكتاب قراءة وقرآناً، ويقال أيضاً: قرأت الشيء قرآناً جمعته وضممت بعضه إلى بعض.

فيمكن أن يكون المراد بقرآن الفجر وقت اجتماع ملائكة الليل والنهار، لنزول النهاريّة قبل صعود الليليّة.

والأوّل أقرب بالآية وأنسب بالرواية؛ لأنّ اجتماع الملائكتين يفهم من

---

(١) في المصدر: مع.

(٢) فروع الكافي ٣:٢٨٣، ح٢.

(٣) روضة الكافي ٨:١٢٣.

(٤) فروع الكافي ٣: ٢٨٣، ح٢.

ولا يخفى أنّ هذا ينافي مانقل أصحابنا عليه الإجماع، من أنّ صلاة الصبح من صلاة النهار، وأنّه لم يخالف في ذلك.

قوله تعالى «مشهوداً» كما فسّره عليه السَّلام بذلك، فتعيّن أن يكون المراد بقرآن الفجر صلاة الصبح، تسمية للشيء باسم جزئه، كما أشرنا إليه.

قوله: ولا يخفى أنّ هذا ينافي.

هذا كما ينافي كون صلاة الصبح من صلاة النهار، كذلك ينافي كونها من صلاة الليل، ويلزم منه أن لايكتب لا في أعمال الليل ولا في أعمال النهار، وهذا يناقض ماسبق.

فهذا الإشكال مشترك بين ماعليه الأصحاب أعني جمهورهم وما عليه الأعمش، وماهو الجواب عنهم فهو الجواب عنه بأدنى تصرّف، وذلك بأن يقال بعد قوله ـقدّس سرّهـ على مايوافق عرفه واعتقاده، وذلك لاينافي كون صلاة الصبح من صلاة الليل، كما هو مقتضى الدليل، فتأمّل.

قوله: مانقل أصحابنا عليه الإجماع.

لا وجه لتخصيص ذلك بأصحابنا، فانّ النهار عند جميع أهل الشرع من طلوع الفجر المستطير إلى غروب الشمس، ووقت صلاة الصبح المقدّر لها شرعاً إنّما هو من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فهي عند جميعهم من صلاة النهار.

إذ المراد بصلاة النهار مايقع فيه، فهو من باب الإضافة إلى الظرف، كصلاة الجمعة، ومكر الليل والنهار، ونحوهما، والإضافة ممّا يكفيه أدنى ملابسة، أي: الصلاة الواقعة في النهار.

ومنه يعلم أنّ خلاف الأعمش ممّا لاوجه له، إذ لايمكنه إنكار أنّ الوقت المقدّر لها شرعاً هو هذه المدّة المضروبة التي هي ظرف لأدائها، فاذا أقرّ بذلك

إلّا سليمان بن مهران الأعمش[١]، حيث عدّها من صلاة الليل، مستدلاً بقول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم:

يلزمه أن يقول بكونها من صلاة النهار لا من صلاة الليل؛ إذ المراد بها على قياس ماعرفت في ظرف الليل، وهو عندهم من غروب الشمس المتحقّق باستتار القرص، أو ذهاب الحمرة المشرقيّة، على اختلاف الروايتين، إلى طلوع الفجر الثاني.

ومن المعلوم أن ليست هذه المدّة ولا جزء منها ظرفاً لوقوع صلاة الصبح فيه، حتّى يقال انّها من صلاة الليل، وهو أظهر من أن يخفى على أحد، اللهمّ إلّا أن يراد بصلاة الليل والنهار ماله خواصّهما من الجهر والإخفات، وهو كما ترى فتأمّل.

قوله: إلّا سليمان بن مهران الأعمش.

سليمان بن مهران الأعمش أُستاذ أبي حنيفة، ذكره العامّة في كتبهم وأثنوا عليه، مع اعترافهم بتشيّعه.

وقال الشهيد الثاني ـ قدّس سرّه ـ في حواشيه على الخلاصة: أصحابنا المصنّفون في علم الرجال تركوا ذكر الأعمش، ولقد كان حريّاً به لاستقامته وفضيلته.

قوله: مستدلاً بقول النبيّ صلّى الله عليه وآله.

هذا الدليل منقوض بصلاة الظهر يوم الجمعة، فانّه لو تمّ لدلّ على أنّها

---

(١) هذا الرجل مذكور في كتب العامة، وقد شنّعوا عليه بأنّه شيعي، وأصحابنا لم يتعرّضوا للبيان (منه).

صلاة النهار عجمى[١]. أي: إخفاتية.

وقد يستدلّ له أيضاً

أيضاً من صلاة الليل، وهذا لايقول به لا هو ولا غيره، فلابدّ أن يقول: صلاة النهار عجماء إلّا ما أخرجه الدليل، فإذا قال ذلك فلا يتمّ دليله هذا، لأنّ صلاة الصبح مع كونها من صلاة النهار قد أخرجه الدليل أيضاً عن العجميّة.

سأل محمّد بن حمران أبا عبدالله عليه السّلام فقال: لأيّ علّة تجهر في صلاة الجمعة وصلاة الغداة؟ قال: لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله لما أُسري به كان أوّل صلاة فرضها الله عليه الظهر يوم الجمعة، فأضاف الله إليه الملائكة تصلّي خلفه، وأمر نبيّه عليه السّلام أن يجهر بالقراءة ليبيّن لهم فضله.

فلمّا كان قرب الفجر نزل، ففرض الله عزّوجلّ عليه الفجر، وأمره بالإجهار ليبيّن للناس فضله كما بيّن للملائكة، فلهذه العلّة يجهر فيها[٢]. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة، وسيأتيك في ذلك كلامٌ أبسط إن شاء الله العزيز.

قوله صلّى الله عليه وآله: صلاة النهار عجماء.

هذا خبر في معنى الإنشاء، وظاهره وجوب الإخفات فيها، وعليه أخبارٌ صحاحٌ وحسانٌ وموثّقاتٌ، ونقل الشيخ فيه الإجماع.

وقال ابن الجنيد: لوجهر بالقراءة في ما يخافت بها، أوخافت في ما يجهر به جاز ذلك، والاستحباب أن لايفعل ذلك في القراءة، وهو منقولٌ عن المرتضى ـرحمه اللهـ، واستثني من وجوب الاخفات فيها القنوت، فانّه يستحبّ فيه الجهر للامام والمنفرد.

---

(١) نهاية ابن الأثير ٣: ١٨٧.

(٢) من لايحضره الفقيه ١: ٣٠٩.

بما رواه رئيس المحدّثين في الفقيه عن أبي جعفر عليه السّلام أنّه قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لايصلّي بالنهار شيئاً حتى تزول الشمس[١].

ويمكن التفصّي عن هذا الإشكال بأنّ الرواية قد وردت بأنّ ذلك السائل كان قسّيساً

والظاهر جواز الجهر فيها في غير القراءة من ذكر الركوع والسجود والتشهّد والتسليم أيضاً، وهو الظاهر من مذهب العامّة أيضاً، كما يستفاد من كلام ابن الأثير في النهاية.

حيث قال: العجماء البهيمة سمّيت به لأنّها لا تتكلّم، وكلّ ما لايقدر على الكلام فهو أعجم. ثمّ قال: ومنه حديث الحسن «صلاة النهار عجماء» لأنّها لا تسمع فيها قراءة[٢].

ويظهر منه أنّ هذا الحديث في طريقهم غير منقول عنه صلّى الله عليه وآله، إلّا أنّ يقال: انّه انّما أضافه إليه لكونه راوٍ عنه صلّى الله عليه وآله نظيره قول أصحابنا حديث زرارة وصحيحة محمّد بن مسلم ونحوهما، فتأمّل.

قوله: بما رواه رئيس المحدّثين في الفقيه.

أقول: ومثله في الدلالة بل أصرح منه صحيحة ابن أُذينة عن عدّة أنّهم سمعوا أباجعفر عليه السّلام يقول: كان أمير المؤمنين عليه السّلام لايصلّي من النهار حتّى تزول الشمس، ولا من الليل بعد ما يصلّي العشاء الآخرة حتّى ينتصف الليل[٣].

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٢٢٧.

(٢) نهاية ابن الأثير ٣: ١٨٧.

(٣) فروع الكافي ٣: ٢٨٩ - ٢٩٠، ح٧.

من علماء النصارى، و أنّه سأل الباقر عليه السَّلام عن مسائل عديدة، لم تكن معروفة إلّا بين أكابر علمائهم، وهذه المسألة من جملتها، فلعلّ الإمام عليه السَّلام أجاب السائل على ما يوافق عرفه واعتقاده، وذلك لا ينافي

وذلك أنّ صلاة الصبح لو كانت من صلاة النهار، لكان ينبغي استثناؤها أيضاً، بأن يقال: لايصلّي من النهار بعد ما يصلّي الصبح حتّى تزول الشمس، كما قيل في قرينته، ولا يصلّي من الليل بعد مايصلّي العشاء حتّى ينتصف الليل.

قوله: من علماء النصارى.

لعلّ هؤلاء النصارى لمّا رأوا أنّ الساعة التي بين طلوع الفجر وطلوع الشمس متوسّطة بين الظلمة والنور، ولم تكن مظلمة ظلمة الليل، ولا منوّرة نور النهار، زعموا أنّها ليست من ساعاتهما، بل هي ساعة من دورة الفلك، خارجة عن ساعات الليل والنهار، فالنهار بليلته عندهم ثلاث وعشرون ساعة مستوية أو معوجة.

وهذا مجرّد اصطلاح لاينافي كون الليل حقيقة عند المتشرّعة في الزمان الذي يقع مابين غروب الشمس وطلوع الفجر الصادق، ولا كون النهار حقيقة عندهم فيما بين طلوع الفجر وغروب الشمس.

وأمّا الامام عليه السَّلام، فانّما أجابهم بما كان معروفاً عندهم، دون مااصطلح عليه أهل الشرع اظهاراً لعلمه بعرفهم ومصطلحهم، أو تكبيتاً للخصم وقطعاً لمادّة المنازعة، والله يعلم.

قوله: ما يوافق عرفه واعتقاده.

الظاهر أنّ هذا كان عرفاً خاصّاً بهؤلاء النصارى، لا يوافقه ماعليه أهل

كون النهار حقيقة شرعيّة فيما بين طلوع الفجر وغروب الشمس.

وأمّا ما استدلّ به الأعمش[١] من قول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: صلاة النهار عجمى. فقد أجاب عنه علماؤنا قدّس الله أرواحهم بأنّه من قبيل تغليب الأكثر على الأقل، أو أنّه عليه السَّلام جعل صلاة الصبح من صلاة الليل مبالغة في التغليس بها. فقد روي أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يغلّس بها، حتّى أنّه كان إذا فرغ منها انصرف النساء وهنّ لا يعرفن من الغلس[٢].

وروى رئيس المحدّثين في الفقيه أنّ يحيى بن أكثم سأل

اللغة وأرباب العقل.

أمّا الأوّل، فلما قالوا في كتبهم اللغويّة من أنّ الساعة جزء من أجزاء الجديدين.

وأمّا الثاني، فلأنّهم قسّموا اليوم بليلته على أربعة وعشرين قسماً متساوية وسمّوا كلّ قسم منها ساعة، وقد يقسّمون كل يوم وكل ليلة اثني عشر قسماً متساوية ويسمّونها الساعات الزمانية والمعوجة، فلا تتحقق ساعة ليست من ساعات الليل، ولا من ساعات النهار، إلّا بمجرّد اصطلاحهم الخاصّ بهم.

وسيأتي نظير ذلك في أواخر الباب الأوّل من هذا الكتاب في أدعية الساعات، فانّهم هناك قسّموا النهار مطلقاً إلى اثنتي عشرة ساعة، ونسبوا كلّاً منها إلى امام من الائمّة الا ثني عشر صلوات الله عليهم.

ومن المعلوم أنّ هذه الساعات الا ثنتا عشريّة المنقسم إليها النهار على نهج يأتي مفصّلاً مجرّد اصطلاح في عرف المتشرّعة خاصّ بهم، غير مطابق لماسبق،

---

(١) أعمش لقب سليمان بن مهران هو من أصحاب الصادق عليه السَّلام (منه).

(٢) نهاية ابن الأثير٣: ٣٧٧. الغلس-بالغين المعجمة واللام المفتوحتين وآخره سين مهملة-ظلمة آخر الليل والتغليس هو فعل الشيء في وقت الغلس (منه).

أباالحسن[١] الأوّل عليه السَّلام عن صلاة الفجر لم يُجهر فيها بالقراءة وهي من صلاة النهار؟ فقال: لأنّ النبي صلّى الله عليه وآله كان يغلس بها، فقرّبها من الليل[٢].

ولا مشاحّة في الاصطلاح.

قوله: أبا الحسن الأوّل.

كذا في الفقيه[٣]،والمراد بأبي الحسن الأوّل هوالكاظم عليه السلام، والظاهر أنّ لفظ «الأوّل» وقع غلطاً من النسّاخ، لتصريح الصدوق ـ رحمه الله ـ في العلل[٤]: بأنّ المسؤول هو أبو الحسن الثالث، وهو الهادي عليه السَّلام. وعلى هذا فيحيى بن أكثم القاضي قدأدرك الرضاوالجوادوعلي بن محمّد الهادي (ع).

قوله: من صلاة النهار.

وقد قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: صلاة النهار عجماء إخفاتيّة[٥]، فأجاب عليه السَّلام بأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله كان يفعلها في ظلمة آخر الليل، فألحقها بصلاة الليل في كونها جهاراً.

قوله: يغلس بها فقرنها.

الغلس ظلمة آخر الليل اذا اختلطت بضوء الصباح، وحاصل جوابه

---

(١) إذا أُطلق في الروايات أبو الحسن فالأغلب أن المراد به الكاظم عليه السَّلام، وكذلك أبو الحسن الأوّل فالمراد به الكاظم عليه السَّلام دائماً، وأبو الحسن الثاني هو الرضا عليه السَّلام، وأبو الحسن الثالث هو علي الهادي عليه السَّلام (منه).

(٢) من لا يحضره الفقيه ١: ٣٠٩ ـ ٣١٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه ١: ٣٠٩.

(٤) علل الشرائع: ٣٢٣.

(٥) عوالي اللئالي ١: ٤٢١.

وبهذا يظهر الجواب عمّا استدلّ به الأعمش[١]، مع أنّ الظاهر أنّ مراد الإمام عليه السَّلام

عليه السَّلام يرجع الى أنّه انّما يجهر فيها بالقراءة وهي من صلاة النهار، لأنّ علة الجهر وهي الظلمة مشتركة بينها وبين الصلاة الليليّة الجهريّة.

وانّما صارت الظلمة علّة للجهر ليمكن المتابعة والجماعة في الفريضة، كما يظهر ممّا ذكره سيّدنا أبوالحسن الرضا عليه السَّلام من العلّة التي من أجلها جعل الجهر في بعض الصلوات دون بعض، أنّ الصلوات التي يجهر فيها انّما هي في أوقات مظلمة، فوجب أن يجهر فيها ليعلم المارّ أنّ هناك جماعة، فان أراد أن يصلّي صلّى، فانّه إن لم يرجماعة علم ذلك من جهة السماع.

والصلا تان اللّتان لاتجهر فيهما انّما هما بالنهار في أوقات مضيئة، فهي من جهة الرؤية لايحتاج الى السماع.

ويعلم منه أنّ مراده صلّى الله عليه وآله بصلاة النهار مايقع منها في أوقات مضيئة منه، وهي الكامل من النهار، فالإطلاق ينصرف إليه وهي عجماء إخفاتيّة.

وأمّا مايقع منها في أوقات مظلمة، فهي جهريّة لما سبق من العلّة، فهذا الحديث لو أُبقي على عمومه لدلّ على كون صلاة الصبح إخفاتيّة، لكونها من صلاة النهار بالإجماع، ولأنّ تعريف الإضافة للعهد، والمعهود من صلاة النهار عند المتشرّعة مايشمل صلاة الصبح أيضاً، فان كان فيه اشكال فهو من هذه الجهة، ولكنّه مخصوص بما سبق لماسبق.

وأيضاً فانّ هذه قضيّةٌ مهملة؛ إذ لم يقل كلّ صلاة النهار، أو يفيد مفاده

---

(١) للأعمش ـ خ ل.

نفي صلاة النـافلة، ردّاً على المخالفين القـائلين باستحباب صلاة الضحى.

تبصرة

لابأس في تحقيق الفجر الأوّل والثاني بإيراد كلام في هذا المقام، ذكره

عجماء، والمهملة في قوّة الجزئيّة، فقولنا صلاة الصبح من صلاة النهار مع كونها جهريّة لاينافيه قولنا «صلاة النهار عجماء إخفاتيّة» لأنّ موضوع الجهر فرد، والإخفات فردٌ آخر.

بل نقول: قولنا «كلّ صلاة النهار عجماء إخفاتيّة» لايستلزم كون صلاة الصبح من صلاة الليل لكونها جهريّة، وذلك لما اشتهر من قولهم لا عامّ غير مخصّص إلّا قوله تعالى «وهو بكلّ شيء عليم»[1].

وبما قرّرنا ظهر أنّ هذا الحديث لا دلالة فيه على كون صلاة الصبح من صلاة الليل، كما ظنّه الأعمش. وعلى مافهمه منه يلزم أن لايصدق العامّ على بعض أفراده المخصّص منه، وهو باطلٌ قطعاً، لأنّ الشيء في قولنا «الله خالق كلّ شيء» يصدق على الله تعالى بلا خلاف، فتأمّل.

قوله: نفي صلاة النافلة.

أي: في غير يوم الجمعة، فانّ نافلته قبل الزوال على الترتيب المشهور، فلابدّ من استثنائها.

قوله: في تحقيق الفجر.

الفجر على قسمين: مستطيل ويسمّى بالكاذب، ومستطير ويسمّى

---

(١) سورة البقرة: ٢٩.

العلّامة جمال الملّة والحقّ والدين قدّس الله روحه في منتهى المطلب قال طاب ثراه: إعلم أنّ ضوء النهار من ضياء الشمس، وإنّما يستضيء بها ما كان ضياء

بالصادق، وإليه يشير ماورد في الخبر عن سيّد البشر: لايغرنّكم الفجر المستطيل، فكلوا واشربوا حتّى يطلع الفجر المستطير(١).

وهو ضوء الشمس يظهر في جانب المشرق قبل طلوعها، ومظهره: إمّا كرة البخار القابل للظلمة والنور، أو مايقارب الأفق من الأجزاء البخاريّة المختلطة بالهواء القابلة للضوء بكونها متلوّنة في الجملة، فيتحقّق شرط التكليف بالضوء.

والكلام فيه وفي ما فيه يطلب من موضع آخر.

وفي الفقيه عن الصادق عليه السَّلام: وقت الغداة إذا اعترض الفجر فأضاء حسناً. وأمّا الفجر الذي يشبه ذنب السرحان، فذاك الفجر الكاذب، والفجر الصادق هو المعترض كالقباطي(٢).

وفيه عنه عليه السَّلام: الفجر هو الذي إذا رأيته كان معترضاً، كأنّه بياض نهر سوراء(٣).

وفي القاموس: القبط بالكسر أهل مصر، واليهم ينسب الثياب القبطيّة بالضمّ على غير قياس، والجمع قباطي(٤).

وفيه: سورى كطوبى موضع بالعراق، وهو من بلد السريانين، وموضع من أعمال بغداد، وقد يمدّ(٥).

قوله: إنّ ضوء النهار.

فيه ردّ على الفخر الرازي، حيث زعم أنّ ذلك بقدرة الفاعل المختار، فنفى

---

(١) كنزالعمال ٨: ٥٢٧.

(٢) من لايحضره الفقيه ١: ٥٠١.

(٣) من لايحضره الفقيه ١: ٥٠٠.

(٤) القاموس ٢: ٣٧٨.

(٥) القاموس ٢: ٥٤.

كـدراً في نفسه، كـثيفـاً في جـوهره، كالأَرض والـقمر وأجـزاء الأَرض المتّصلة والمنفصلة. وكلّ ما يستضيء من جهة الشمس، فإنّه يقع له ظلّ من ورائه، وقد قدَّر الله سبحـانـه وتـعـالى بلطيف حكمتـه دوران الشـمس حـول الأَرض، فإذا كانت تحتها وقع ظلّها فوق الأَرض على شكل مخروط، ويكون الهواء المستضيء بضياء الشمس محيطاً بجوانـب ذلك المخروط، فتسـتضيء نهايـات الظلّ بذلك الهـواء المضيء، لكنّ ضوء الهواء ضـعـيف؛ إذ هو مستعار، فـلا يـنفذ كثيراً في أجـزاء المخـروط، بـل كـلّما ازداد بعـداً ازداد ضـعـفـاً. فإذاً متى يـكون في وسط المخـروط تـكـون في أشدّ الظلام. فإذا قـربـت الشـمس مـن الأُفق الشرقي، مال مخروط الظلّ عن سمـت الرأس، وقـربت الأجزاء المستضيـئة في حـواشي الظلّ

كـون ضـوء النهار من ضياء الشـمس، بـدلائل اخترعها كـلّـها خلاف المعقول والمنقول من عـلم الرياضة، فـكانت ساقطة عن درجة الاعتبار، زائفة عند أُولي الأبصار.

قوله: وكلّ ما يستضيء.

أي: عـن أجـزاء الأَرض، أو مـمّا له كثـافـة في الجـمـلة، أعمّ من الأَرض وأجـزائها، وإلّا فـالهواء أيضاً يسـتضـيء من جهـة الشمس ولا يقـع مـنه ظلّ، فتأمّل.

قوله: اذ هو مستعار.

ضوء القمر أيضـاً مستعار، مع أنّه ينفذ في أجزاء المخروط كثيراً، فالاستعارة لـيست علّة للضوء؛ بـل قـد تكون الكيفـيّـة الحاصلة بالاستـعارة أشدّ تأثيراً من الكيفيّة الحاصـلة بالذات، كما في الحديدة المحمـاة والأَواني الرصاصيّة، فالاولى ترك هذا التعليل والاكتفاء بضعف ضوء الهواء، فتأمّل.

بضياء الهواء من البصر وفيه أدنى قوّة، فيدركه البصر عند قرب الصباح. وعلى هذا كلّما ازدادت الشمس قرباً من الأُفق ازداد ضوء نهايات الظلّ قرباً من البصر الى أن تطلع الشمس. وأوّل ما يظهر الضوء عند قرب الصباح يظهر مستدقّاً مستطيلاً كالعمود، ويسمى الصبح الكاذب، ويشبَّه بذنب السرحان لدقّته واستطالته، ويسمّى الأوّل لسبقه على الثاني، والكاذب لكون الأُفق مظلماً. أي: لو كان يصدق أنّه نور الشمس لكان[1] المنير ممّا يلي الشمس دون ما يبعد منه ويكون ضعيفاً دقيقاً، ويبقى وجه الأرض على ظلامه بظلّ الأرض. ثم يزداد هذا الضوء إلى أن يأخذ طولاً وعرضاً فينبسط في عرض الأُفق كنصف دائرة، وهو الفجر الثاني الصادق، لأنه صدّقك عن الصبح وبيّنه لك،

قوله: وأوّل مايظهر الضوء.

أوّل مايرى من الضوء المحيط بمخروط الظلّ هو الأقرب إلى موضع الناظر؛ لانّه أصدق رؤية، وهو موضع خطّ[2] يخرج من بصره عموداً على الخطّ المماسّ للشمس والأرض، فيرى الضوء مرتفعاً عن الأُفق مستطيلاً، ومابينه وبين الأُفق مظلماً، لقربه من قاعدة المخروط الموجب لبعد الضوء هناك عن الناظر وهو الصبح الكاذب.

ثمّ إذا قربت الشمس جدّاً يرى الضوء معترضاً منبسطاً، وهو الصبح الصادق، فعلم وجه توسّط المظلم بينه وبين الأُفق.

ومنهم من قال انّما سمّي الأوّل كاذباً، لأنّه معقّب بالظلمة، بناء على فناء الضوء وزواله، بخلاف الثاني.

---

(١) فيه نظر لأنه من نور الشمس البتة. وقد ذكرت الوجه في توسط الظلمة بينه وبين الأُفق في كتاب الحبل المتين (منه).

(٢) في «ن»: خيط.

إنتهى.(١) هذا كلامه أعلى الله مقامه.

واعلم أنّه لا يتعلّق بطلوع الفجر الأول من العبادات إلّا أُمور يسيرة، كدخول وقت فضيلة الوتر؛ فإنّ أفضل أوقاتها مابين الفجرين.

كما رواه شيخ الطائفة في التهذيب بسند صحيح عن إسماعيل بن سعد الأشعري، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السَّلام عن ساعات الوتر، فقال:

وفيه أنّ الضوء لاينتفي، بل يختفي بغلبة الضوء الثاني عليه، كما أنّ ضوء المصباح يختفي في جنب ضوء الصباح.

قوله في الحاشية: وفي هذا الكلام شيء.

هذا كلامٌ حقٌّ كما أشرنا إليه في الحاشية السابقة، وبيّنا هناك وجه توسّط المظلم بينه وبين الأُفق. والقول بأنّه ليس من نور الشمس غريب، وصدوره من الفاضل العلّامة عجيب، اذ لايتصوّر هناك نور غير نور الشمس، فتأمّل.

قوله: كدخول وقت فضيلة الوتر.

وكذا دخول وقت فضيلة ركعتي الفجر، كما قال في المعتبر: انّ تأخيرهما حتّى يطلع الفجر الأوّل أفضل(٢).

أقول: بعد ماثبتت أفضليّة تأخير الوتر إلى أن يطلع الفجر الاوّل، تثبت أفضليّة تأخير ركعتي الفجر بطريق أولى؛ لأنّ هذه قبل هذه.

وتدلّ على أن الأفضل تأخيرهما حتّى يطلع الفجر الأوّل صحيحة عبدالرحمان بن الحجّاج، قال: قال أبوعبدالله عليه السَّلام: صلّهما بعدما يطلع

---

(١) منتهى المطلب: ج١ ص٢٠٦ س٢١-٣٠.

(٢) المعتبر ٢: ٥٥.

أحبّها إليّ الفجر الأوّل[١].

وروي أنّ رجلاً سأل أمير المؤمنين عليه السّلام عن الوتر أوّل الليل، فلم يجبه. فلمّا كان بين الصبحَين خرج أمير المؤمنين عليه السّلام إلى المسجد،

الفجر[٢].

وانّما حملنا الفجر على الأوّل ليناسب حسنة زرارة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السّلام: الركعتان اللّتان قبل الغداة أين موضعهما؟ فقال: قبل طلوع الفجر، فاذا طلع الفجر فقد دخل وقت الغداة[٣].

فبمجموعهما معاً يظهر أنّ وقت فضيلة ركعتي الفجر ما بين الفجرين بعد طلوع الأوّل وقبل طلوع الثاني، وهو المطلوب.

قوله عليه السّلام: أحبّها إليّ الفجر الأوّل.

لعلّ المراد أنّ أحبّ ساعات الوتر أقربها إليه.

قوله: أوّل الليل.

إمّا ظرفٌ للسؤال، أو الوتر، أو لهما معاً، والأوسط أوسط.

قوله: فلم يجبه.

فيه دلالة على جواز تأخير الجواب عن وقت السؤال إلى وقت الحاجة، حيث أنّه عليه السّلام لم يجبه في ذلك الوقت بأنّ وقت صلاة الوتر هو ما بين

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٣٣٩، ح٢٥٧.

(٢) تهذيب الأحكام ٢: ١٣٤، ح ٢٩١.

(٣) تهذيب الأحكام ٢: ٣٣٦ - ٣٣٧.

فنادى أين السائل عن الوتر ثلاث مرات، نَعَمْ ساعةُ الوتر هذه، ثمّ قام عليه السّلام فأوتر(١).

وأمّا الفجر الثاني(٢)، فالعبادات المتعلقة به كثيرة، فإذا تحقّق طلوعه، فقل:

الطلوعين، فلمّا جاء وقت الحاجة أجابه وعيّن الوقت. ولعلّه لعلمه عليه السّلام بأنّه لايفوته، ويمكنه أن يجيبه مسؤوله وقت حاجته، فمن لم يعلم ذلك، فالظاهر أنّه يجب عليه الجواب وقت السؤال إن كان من أهل الإفتاء، ولا مانع له منه.

قوله في الحاشية: فيطلع في الشرقيّة قبل الغربيّة.

هذا بناءً على أنّ الأرض كرةٌ، فجاز أن يرى طلوع الفجر في بلد ولا يرى في آخر، لأنّ حدبة الأرض مانعةٌ لرؤيته، يدلّ عليه أنّ طلوع الكواكب في المساكن الشرقيّة قبل طلوعها في المساكن الغربيّة، وكذا الغروب. فكلّ بلد شرقيّ بعد عن الغربيّ بألف ميل يتقدّم طلوع الفجر فيه عن طلوعه في الغربيّ بساعة.

وانّما عرف ذلك بإرصاد الكسوفات القمريّة، حيث ابتدأت في ساعات أقلّ من ساعات بلدنا في المساكن الغربيّة، وأكثر من ساعات بلدنا في المساكن الشرقيّة، فيعلم منه أنّ غروب الشمس في المساكن الشرقيّة قبل غروبها في بلدنا، وغروبها في المساكن الغربيّة بعد غروبها في بلدنا.

ويلزم منه أن يكون طلوعها وطلوع الفجر في المساكن الشرقيّة قبل طلوعها

---

(١) الذكرى: ١٢٥.

(٢) لا ريب أنّ الفجر يختلف طلوعه باختلاف الآفاق، فيطلع في الشرقيّة قبل الغربية، فمن هو في الأُفق

يَا فَالِقَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ أَرَى، وَمُخْرِجَهُ مِنْ حَيْثُ أَرَى، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، واجْعَلْ أَوَّلَ يَوْمنا هٰذَا صَلاَحاً، وَأَوْسَطَهُ فَلاَحاً، وَآخِرَهُ نَجَاحاً.

في بلدنا، وطلوعهما في المساكن الغربيّة بعد طلوعهما في بلدنا، وهو المطلوب.

قوله في الحاشية: فمن هو في الأفق الغربي.

قد سبق أنّ أوّل مايظهر الضوء يظهر مستدقّاً مستطيلاً، وهو الفجر الأوّل، ثمّ يزداد إلى أن يأخذ طولاً وعرضاً في عرض الأُفق، وهو الفجر الثاني، فالثاني كأنّه مخرج من الأوّل، وهو كأنّه مبدأ له، وبذلك يصدق أنّه تعالى أخرجه من حيث يرى.

ثمّ إنّ الأُفق كأنّه كان بحراً مملوّاً من الظلمة، وهو تعالى فلق ذلك البحر المظلم، بأن أجرى فيه جدولاً من النور. ومن المعلوم أنّ ذلك البحر المظلم لظلمته لايرى، فيصدق أنّه تعالى خلقه من حيث لايرى.

وبوجه آخر: انّه تعالى فلق ظلمة الليل بظهور نور الصبح، فهو فالقه من حيث لايرى، وعليه فلا حاجة إلى القول باختلاف الأُفقين، بل يتصوّر ذلك بالنظر إلى أُفق واحد أيضاً، فتأمّل فيه.

قوله: يومنا هذا صلاحاً إلى آخره.

الصلاح ضدّ الفساد، وهو خروج الشيء عن الاعتدال اللائق به، فالصلاح حصول الشيء على الحالة المستقيمة النافعة، وكلاهما يعمّان كلّ

الغربي لايرى انفلاقه في الأُفق الشرقي، فقد انفلق من حيث لايرى (منه).

وقل أيضاً مارواه رئيس المحدّثين في الفقيه، بسند صحيح عن الصادق عليه السَّلام، قال: كان نوح عليه السَّلام يقول إذا أصبح وأمسى:

اَللّهُمَّ إنِّي اُشْهِدُكَ أَنَّهُ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ وَعافِيَةٍ فِي دِينٍ أَوْ دُنْياً فَمِنْكَ وَحْدَكَ لاَشَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ بِهَا عَلَيَّ حَتَّى تَرْضَى

ضارّ ونافع. ولعلّ المراد به هنا الأوامر والنواهي الشرعيّة.

قال الزمخشري في الأساس: أمر الله ونهى لاستصلاح العباد[1].

والصالح قيل: هو الخالص من كلّ فساد، وقيل: هو المقيم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق الناس.

وكذا قال الزجّاج في معاني القرآن: الصالح هو الذي يؤدّي ما افترض الله عليه، ويؤدّي إلى الناس حقوقهم. والفلاح البقاء والفوز والظفر، وهو من أفلح، كالنجاح من النجح.

وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدلّ على الشقّ والفتح. ويقال: نجح فلان وأنجح إذا أصاب طلبته ونجحت طلبته وأنجحت وأنجحه الله. وهذا من قبيل تقديم الأهمّ فالأهمّ، لأنّ الصلاح أهمّ من الفلاح وهو النجاح.

ووجه تخصيص كلّ منها بأوقاته المخصوصة يظهر بأدنى تأمّل، فتأمّل.

قوله عليه السَّلام: فمنك وحدك .

كما قلت في كتابك العزيز «وما بكم من نعمة فمن الله»[2] وذلك لأنّ

---

(١) أساس البلاغة: ٣٥٩.

(٢) سورة النحل: ٥٣.

وَبَعْدَ الرِّضَا.

يقولها إذا أصبح عشراً، وإذا أمسى عشراً، فسمّي بذلك عبداً شكوراً[١].

وقل أيضاً ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسند حسن عن أبي عبدالله عليه السَّلام أنّ أمير المؤمنين عليه السَّلام كان يقول إذا أصبح:

الخيرات كلّها حقيرها وخطيرها مستندة إليه تعالى، وهو معطيها ومُوليها: إمّا بوسط كما عليه المعتزلة، أو بلاوسط كما عليه الأشاعرة، وذكر العافية بعد النعمة ذكر الخاصّ بعد العامّ لزيادة الاهتمام.

قوله عليه السَّلام: وبعد الرضا.

للرضا والسخط مراتب، بعضها فوق بعض، فلعلّه عليه السَّلام أراد بقوله «بعد الرضا» أعلى مراتبه، فتأمّل.

أو يقال: انّ «حتّى» لمّا دلّت على الغاية، والغاية تستلزم الانتهاء لم يرض بذلك، بل قال: بعد الرضا ليكون الحمد والشكر له جارياً مستمرّاً غير واقف عند حدّ ولا منتهٍ عند غاية.

قوله عليه السَّلام: فسمّي بذلك عبداً شكوراً.

في الكافي في مرسلة أبي حمزة عن الباقر عليه السَّلام قال: قلت له: ماعنى بقوله في نوح «إنّه كان عبداً شكوراً»[٢]؟ قال: كلماتٌ بالغ فيهنّ، قلت: وما هنّ؟ قال: كان إذا أصبح قال: أصبحت أُشهدك ما أصبحت بي من نعمة أو عافية في دين أو دنيا فمنك وحدك لاشريك لك، فلك الحمد عليّ في ذلك،

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٣٣٥.

(٢) سورة الاسراء: ٣.

سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوس (ثَلاَثاً) اَللّهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَال نِعْمَتِكَ، وَمِنْ تَحْوِيلِ عَافِيَتِكَ، وَمِنْ فَجْأَة نَقْمَتِكَ،

ولك الشكر كثيراً. كان يقولها إذا أصبح ثلاثاً، وإذا أمسى ثلاثاً[١].

قوله عليه السَّلام: من زوال نعمتك.

الدنيويّة والاخرويّة، الموهبيّة والكسبيّة، الروحانيّة والجسمانيّة، والعافية الروحانية والجسمانية من أعظم نعمة الله تعالى، فالاستعاذة من تحويلها وتغييرها بعد الاستعاذة من زوال النعمة مطلقاً من باب ذكر الخاصّ بعد العامّ كما سبق.

قوله عليه السَّلام: ومن فجأة نقمتك.

الفجأة بالضمّ والمدّ، وبعضهم قيّده بفتح الفاء وسكون الجيم من غير مدّ على المرّة، يقال: فجأه الأمر وفجاءه وفاجأه إذا جاءه بغتة من غير تقدّم سبب. ومنه موت الفجأة.

والنقمة: العقوبة والله المنتقم أي البالغ في العقوبة.

والدرك بالتحريك اللحاق والوصول إلى الشيء، وقد يكون في مقابل الدرج، فانّ الدرك إلى أسفل، والدرج إلى فوق، ومنه دركات النار ودرجات الجنّة منازلهما، قال الله تعالى «في الدرك الأسفل من النار»[٢].

والشقاء ضدّ السعادة، كما أنّ الشقيّ ضدّ السعيد. والاستعاذة: إمّا من شقاء الآخرة، أو الأعمّ منها ومن شقاء الدنيا، وهو أولى وأحرى.

---

(١) اصول الكافي ٢: ٥٣٥، ح ٣٨.
(٢) سورة النساء: ١٤٥.

ومِنْ دَرَكِ الشَّقَاء، وَمِنْ شَرِّ مَا سَبَقَ فِي اللَّيْلِ والنَّهار. اللَّهُمَّ أَسأَلُكَ بعِزَّةِ مُلكِكَ وَشدَّةِ قُوتكَ، وبعَظيمِ سُلْطانِكَ، وَبِقُدْرتِكَ عَلىٰ خَلْقِكَ، أَنْ تفعل بي كذا وكذا[١].

وممّا يقال عند طلوع الفجر مارواه ـقدّس الله روحهـ في الكافي أيضاً بسند صحيح، عن الباقر عليه السّلام، قال: مرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم برجل يغرس غرساً في حائط له، فوقف وقال: ألا أدلّك على غرس أثبت أصلاً، وأسرع إيناعاً، وأطيب ثمراً وأبقى؟ قال: بلى فدلّني يا رسول الله، فقال:

قوله عليه السَّلام: ومن درك الشقاء.

في عدّة الداعي: بعد قوله «ومن درك الشقاء»: ومن سوء القضاء، ومن شرّ ماسبق في أُمّ الكتاب[٢]، وهو الأظهر.

قوله عليه السَّلام: بعزّة ملكك.

هذه الإضافات بثلاثتها من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: بملكك العزيز، وقوّتك الشديدة، وسلطانك العظيم.

قوله عليه السَّلام: وأسرع ايناعاً إلى آخره.

أي: نضجاً، يقال: ينع الثمرة يينع يَنَعاً ويَنِعاً وينوعاً، أي: نضج، وأينع مثله. والوجه في كونه أثبت أصلاً ظاهر، إذ لا زوال ولا فناء، بل يبقى ببقاء الجنّة وأهلها.

وأمّا أنّه أسرع ايناعاً، فلما روي أنّه صلّى الله عليه وآله قال: والذي نفس محمّد بيده أنّ الرجل من أهل الجنّة ليتناول الثمرة ليأكلها، فما هي واصلة إلى

---

(١) اصول الكافي ٢:٥٢٧، ح١٦.

(٢) عدّة الداعي: ٢٥١ - ٢٥٢.

إذا أصبحت وأمسيت فقل[١]:

سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلاَ إلٰهَ إلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَر.

فيه حتّى يبدّل الله مكانها مثلها.

وأمّا أنّه أطيب ثمراً، فظاهر أيضاً؛ بل لانسبة بين ثمرات الدنيا والآخرة الّا بمجرّد الاسم، كما قال ابن عبّاس: ليس في الجنّة من أطعمة الدنيا الّا الأسماء.

فهما وإن كانا متشابهين في الهيئة واللون اللذين هما مناط الاسم، لكنّهما متفاوتان في المقدار والطعم واللذّة تفاوتاً فاحشاً لايقاس أحدهما إلى الآخر الّا بحسب الاسم.

هذا ولا يذهب عليك أنّ ما في الكافي لايجامع مافي غيره ـ وسيأتي مفصّلاً ـ الّا بضرب من التكلّف، بأن يقال: انّ هذه الآيات نزلت مرّتين: مرّة في واقعة هذا الرجل، وأُخرى في قصّة أبي الدحداح.

والقول باتّحادهما تدفعه قصّتهما، فانّ أحدهما تصدّق بحائطه على فقراء المسلمين بعدما سمع هذه البشارة عنه صلّى الله عليه وآله، والآخر باعه بنخلة ثمّ بادلها بحدائق وحدائق أو بنخلة في الجنّة، فعليك بملاحظة هذه الأخبار ثمّ التأمّل فيها.

قوله عليه السّلام: فقل سبحان الله إلى آخره.

هذه الكلمات الطيّبات مشهورات بالتسبيحات الأربع، ولعلّ اطلاق التسبيح عليها لكونها في حكم جملة واحدة، فاعتبر في التعبير عنها الجزء الأوّل، وذلك كما يقول أهل الأدب والعربيّة: زيد قائم جملة اسميّة، وقام زيد جملة

---

(١) لايخفى أن هذا الحديث يشعر باطلاق التسبيح على كل من التحميد والتهليل والتكبير (منه قدس سره).

فإنّ لك عندالله إن قلته بكل تسبيحة عشر شجرات في الجنة من أنواع الفاكهة، وهنّ من الباقيات الصالحات[١].

فعليّة؛ لاعتبارهم في التسمية مابدأ به الكلام، فيكون من قبيل تسمية الكلّ باسم الجزء، فتأمّل فيه.

قوله في الحاشية: هذا الحديث يشعر باطلاق التسبيح على كلّ من التحميد والتهليل والتكبير.

هذا اطلاق مجازي لاحقيقي ولا حجر منه.

قال ابن الأثير في النهاية: قد يطلق التسبيح على غيره من أنواع الذكر، كالتحميد والتمجيد وغيرهما. وقد يطلق على صلاة التطوّع والنافلة، ويقال أيضاً للذكر ولصلاة النافلة: سبحة، يقال: قضيت سبحتي، والسبحة من التسبيح، كالسخرة من التسخير. وانّما خصّت النافلة بالسبحة وان شاركتها الفريضة في معنى التسبيح، لأنّ التسبيحات في الفرائض نوافل، فقيل لصلاة النافلة: سبحة، لأنّها نافلة كالتسبيحات والأذكار في أنّها غير واجبة[٢].

قوله عليه السّلام: وهنّ من الباقيات الصالحات.

ورد في رواية أُخرى: وهنّ الباقيات الصالحات بدون كلمة «من»

---

(١) الآية في سورة الكهف هكذا: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربّك ثواباً وخيرٌ أملاً» ذكر المفسّرون من الخاصّة والعامّة أنّ المراد بها أعمال الخير فإن ثمرتها تبقى أبد الآبدين فهنّ باقيات. ومعنى كونها خيرٌ أملاً أنّ فاعلها ينال بها في الآخرة ما كان يأمل بها في الدنيا. فقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم «هنّ من الباقيات الصالحات» أنّ تلك الكلمات من جملة ما ذكره الله تعالى في القرآن المجيد، وعبّر عنه بالباقيات الصالحات، وجعل ثوابه وأمله خيراً من المال والبنين (منه رحمه الله).

(٢) نهاية ابن الأثير ٢: ٣٣١.

قـال: فقـال الرجـل: فإنـي أُشهدك يـا رسول الله أنّ حـائطي هـذا صدقة مقبـوضة على فقـراء المسلمين من أهـل الصدقة، فـأنـزل الله عزّوجلّ آيـات من القرآن:

وظاهره يفيد الحصر، والظـاهر أنّه غير مراد، كما تشهد له هـذه الرواية، فيمكن أن يكون الحصر إضافياً، أو كلمة «من» محذوفة.

روي عن الصادق عليه السّلام أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال لأصحابه ذات يوم: أرأيتم لو جمعتم ماعندكـم من الثياب والأمتعـة، ثمّ وضعتم بعضه على بعض، أكنتم ترون أنّه يبلغ السماء؟

قالوا: لا يارسول الله.

قال: أفلا أدلكم على شيء أصله في الأرض وفرعه في السماء؟

قالوا: بلى يارسول الله.

قال: يقول أحدكـم اذا فرغ مـن الفريضة: سبـحان الله والحـمد لله ولا إله الّا الله والله أكبر ثلاثين مرّة، فانّ أصلهنّ في الأرض وفـرعهنّ في السماء، وهنّ يدفعن الهدم والحـرق والغرق والتردّي في البئر وأكل السبع وميتة السوء، والبليّة التي تنزل من السماء في ذلك اليوم على العبد، وهنّ الباقيات الصالحات[١].

قوله: فأنزل الله عزّوجلّ آياً من القرآن.

في تفسير علي بن إبراهيم: انّها نـزلـت في رجل من الأنصار، كانت له نخلة في دار رجـل آخر، وكان يدخله بـغير إذن، فشكـا ذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، فـقال رسول الله صلّى الله عـليه وآله لصاحـب النخلة: بـعني نخلتك

---

(١) التهذيب ٢:١٠٧، ومعاني الاخبار: ٣٢٤.

«فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى»[١].

وروى السيّد الجليل جمال العارفين رضي الدين علي بن طاووس ـ قدّس

هذه بنخلة في الجنّة.

فقال: لا أفعل.

فقال: بعنيها بحديقة في الجنّة.

فقال: لا أفعل وانصرف.

فمضى إليه أبو الدحداح واشتراها منه، وأتى أبو الدحداح إلى النبي صلّى الله عليه وآله، فقال: يارسول الله خذها واجعل لي في الجنّة الحديقة التي قلت لهذا، فلم يقبله، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لك في الجنّة حدائق، فأنزل الله في ذلك «فأمّا من أعطى واتّقى وصدّق بالحسنى» يعني: أبا الدحداح «فسنيسّره لليسرى»[٢].

وقريب منه ما في قرب الإسناد للحميري، عن أحمد بن محمّد، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ـ فالسند صحيح ـ عن أبي الحسن الرضا عليه آلاف التحيّة والثناء، قال: سمعته يقول في تفسير «والليل إذا يغشى» انّ رجلاً من الأنصار كان لرجل في حائطه نخلة وكان يضرّ به، فشكا ذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، فدعاه، فقال: اعطني نخلتك بنخلة في الجنّة، فأبى.

فسمع ذلك رجلاً من الأنصار يكنّى أبا الدحداح، فجاء إلى صاحب النخلة فقال: بعني نخلتك بحائطي، فباعه، فجاء إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: يارسول الله قد اشتريت نخلة فلان بحائطي، قال: فقال له رسول الله

---

(١) اصول الكافي ٢:٥٠٦، ح٤.

(٢) تفسير القمّي ٢:٤٢٥ ـ ٤٢٦.

الله روحه ـ عن الباقر عليه السَّلام أنّه قال: مَن أصبح وعليه خاتم فصّه عقيق متختماً به في يده اليمنى، فأصبح[١] من قبل أن يرى أحداً فقلّب فصّه إلى باطن كفّه وقرأ «إنّا أنزلناه في ليلة القدر» إلى آخرها، ثمّ قال:

صلّى الله عليه وآله: فلك بدلها نخلة في الجنّة، فأنزل الله تعالى على نبيّه «وما خلق الذكر والانثى * إنّ سعيكم لشتّى * فأمّا من أعطى» يعني النخلة «واتّقى * وصدّق بالحسنى» بوعد رسول الله صلّى الله عليه وآله «فسنيسّره لليسرى» إلى قوله «تردّى»[٢].

ومثله ما في مجمع البيان مع زيادة[٣].

قوله عليه السَّلام: وعليه خاتم فصّه عقيق.

الأخبار الدالّة على مدح خاتم فصّه عقيق أكثر من أن تحصى:

منها: ماروي عن سيّدنا أبي عبدالله الصادق عليه السَّلام أنّه قال: مارفعت كفّ إلى الله عزّوجلّ أحبّ إليه من كفّ فيها خاتم عقيق، ولم يقض له الّا بالتي هي أحسن[٤].

ومرّ به رجل من أهله مع غلمان الوالي، فقال: اتّبعوه بخاتم فصّه عقيق، فاتّبع، فلم ير مكروهاً[٥].

---

(١) إنما أعاد عليه السَّلام لفظ: (فأصبح) لئلا يتوهم أنّ الجار في قوله من قبل أن يرى أحداً متعلق بقوله متختماً (منه).

(٢) قرب الإسناد: ٣٥٥ ـ ٣٥٦ الطبعة المحقّقة.

(٣) مجمع البيان ٥: ٥٠١.

(٤) ثواب الأعمال: ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ومهج الدعوات: ٣٥٩.

(٥) فروع الكافي ٦: ٤٧١، ح٧، وثواب الاعمال: ٢٠٧.

....

قال عليه السَّلام: العقيق حرز في السفر[١].

وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السَّلام: تختّموا بالعقيق، يبارك عليكم وتكونوا في أمن من البلاء[٢].

وشكا رجل إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قطع عليه الطريق، فقال له: هلّا تختّمت بالعقيق، فانّه يحرس من كلّ سوء[٣].

وعن الباقر عليه السَّلام: من تختّم بالعقيق لم يزل في الحسنى مادام في يده، ولم يزل عليه من الله واقية[٤].

وعن علي بن الحسين صلوات الله تعالى عليهما: من صاغ خاتماً من عقيق ونقش فيه محمّد نبيّ الله وعلي وليّ الله، وقاه الله ميتة السوء ولم يمت الّا على الفطرة[٥].

وقال عليه السَّلام: صلاة ركعتين بفصّ عقيق تعدل بألف ركعة بغيره[٦].

ولـمّا ناجى الله موسى عليه السَّلام وكلّمه على طور سيناء، ثمّ اطّلع على الأرض اطّلاعاً فخلق [من نور وجهه] العقيق، فقال سبحانه: آليت على نفسي أن لا أُعذّب كفّاً لبسته بالنار وتوالي عليّاً صلوات الله عليه[٧].

---

(١) ثواب الاعمال: ٢٠٨، وعدّة الداعي: ١١٨.

(٢) ثواب الاعمال: ٢٠٨، ح٥.

(٣) فروع الكافي ٦: ٤٧١، ح٨، وثواب الاعمال: ٢٠٨، ح٦.

(٤) ثواب الاعمال: ٢٠٨، ح٧.

(٥) ثواب الاعمال: ٢٠٩، ح٨.

(٦) عدّة الداعي: ١١٩.

(٧) ثواب الاعمال: ٢٠٩، ح١١. وفيه: لا أُعذّب كفّ لابسه ـ اذا تولّى عليّاً ـ بالنار.

آمَنْتُ بِاللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَكَفَرْتُ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوت، وَآمَنْتُ بِسِرِّ آلِ مُحَمَّدٍ وَعَلانِيَتِهِمْ وَظَاهِرِهِمْ وَبَاطِنِهِم وَأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ.

قوله عليه السَّلام: بالجبت والطاغوت.

الطاغوت: اللات والعزّى والكاهن والشيطان والاصنام، وكلّ رأس ضلال، وكلّ ماعبد من دون الله، والغالب في أخبارنا اطلاق الطاغوت على الثاني، والجبت على الأوّل، ومنه قول علي عليه السَّلام: اللّهم العن صنمي قريش وجبتيها وطاغوتيها[١].

وأمّا هنا فيحتمل المعنيين الأوّل والثاني، وسابقه يؤيّد الأوّل، كما أنّ لاحقه يؤيّد الثاني، وهو الأظهر فتدبّر.

قوله عليه السَّلام: وآمنت بسرّ آل محمَّد.

لعلّ المراد بسرّهم ما أسرّوه من علومهم الربّانيّة الغريبة الوحشيّة المتعلّقة بما لايدركه الحسّ ولا يقتضيه العقل، لعدم الدليل عليه التي لايحتملها الّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، ولذلك كانوا يسرّونها ويمنعونها عن الغاغة.

حتّى أنّ كميل بن زياد مع جلالة قدره وكونه من أصحاب سرّ أمير المؤمنين عليه السَّلام لمّا سأله عن الحقيقة، قال: مالك والحقيقة؟ قال: أولست صاحب سرّك ؟ قال: بلى ولكن رشح عليك مايطفح منّي. أي: مايفيض، والكلام استعارة، فتأمّل تعرف.

وعنه عليه السَّلام: اندمجت عليّ مكنون علم لو بحت لاضطربتم اضطراب

---

(١) الفقرة الأُولى من دعاء لعن صنمي قريش ،وهو دعاء مذكور في كتب الأدعية.

وقاه الله تعالى في ذلك اليوم شرّ ماينزل من السماء وما يعرج فيها، وما يلج

الأرشية في الطوى البعيدة(١).

وقال عليه السلام مشيراً إلى صدره: انّ ها هنا العلماً جمّاً لوأصبت له حملة(٢).

وقال علي بن الحسين سلام الله عليهما:

انّي لأكتم من علمي جواهره	كي لا يرى الحقّ ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدّم في هذا أبوحسن	الى الحسين ووصّى قبله الحسنا
يارب جوهر علم لو أبوح به	لقيل لي أنت ممّن يعبد الوثنا
ولاستحلّ رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وعن سيّدنا أبي عبدالله الصادق عليه السّلام: انّ أمرنا سرّ مستور في سرّ مقنّع بالميثاق، من هتكه أذلّه الله(٣).

وقال: هو الحقّ وحقّ الحقّ، وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن، وهو السرّ وستر مستتر وسرّ مقنّع بسرّ، خالطوا الناس بما يعرفون، ودعوهم ممّا ينكرون، ولا تحتملوا على أنفسكم وعلينا، انّ أمرنا صعب مستصعب، لايحتمله الّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل، أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للايمان(٤).

ونعم ما قال العارف الشيرازي:

مصلحت نيست كه از پرده برون افتد راز

ورنه در مجلس رندان خبرى نيست كه نيست

قوله عليه السلام: شرّما ينزل من السماء الى آخره.

من الأمطار والثلوج والصواعق، وملائكة العذاب وغيرها.

---

(١) نهج البلاغة ص ٥٢، رقم الخطبة: ٥.

(٢) نهج البلاغة ص ٤٩٦، رقم الحديث: ١٤٧.

(٣) اصول الكافي ٢: ٢٢٦، ح١٥.

(٤) بصائر الدرجات: ٢٦ و ٢٨.

في الأرض وما يخرج منها، وكان في حرز الله وكنفه حتّى يمسي[(١)].

وممّا يقال عند الصبح ما روي عن الصادق عليه السَّلام:

أَسْتَوْدِعُ اللهَ الْعَلِيَّ الْأَعْلَى الْجَلِيْلَ الْعَظِيْمَ، دِيْنِي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي وَوَلدِي وإخْوانِيَ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَجَمِيْعَ مَا رَزَقَنِي رَبِّي وَجَمِيعَ مَنْ يُعْنِيني أَمْرُهُ. أَسْتَوْدِعُ اللهَ الْمَخُوْفَ المَرْهُوب الْمُتَضَعضِعَ لِعَظَمَتِهِ كُلُّ شَيء، دِينِي وَنَفسِي وَأَهْلِي وَمَالِي وولَدي وَإخْوَانِي الْمُؤْمنينَ وَجَمِيْعَ مَا رَزَقَنِي رَبِّي، وَجَمِيْعَ مَنْ يُعْنِيْنِي أَمْرُهُ. يقول ذلك ثلاث مرّات.

«وما يعرج فيها» من الأبخرة والأدخنة وغيرهما، وتعديته بـ«في» دون «إلى» للإشارة إلى الحصول والاستقرار فيها، فالمراد بالسماء جهة الفوق لا المظلمة، لاقتضاء المقام التعميم.

«وما يلج» أي: يدخل «في الأرض» من الغيث وبعض الحيوانات.

«وما يخرج منها» من الحيوان والنبات وماء العيون. بقي شرّ ما على الأرض، فاستدركه بقوله «وكان في حرز الله» أي: كهفه «وكنفه» والكنف بالتحريك الجانب والناحية، وهذا تمثيل لجعله تحت ظلّ حمايته وحفظه ورحمته.

قوله عليه السَّلام: المخوف المرهوب المتضعضع.

هذه بثلاثتها منصوبة لتكون نعتاً لله. والرهبة الخوف، والمرهوب المخوف، فالعطف تفسيري.

وتضعضع له أي: خضع وذلّ، ومنه الحديث «ما تضعضع امرؤٌ لآخر يريد

---

(١) عدّة الداعي: ١١٨.

فصل

فإن لم تكن عند طلوع الفجر على وضوء فبادر الى الوضوء؛ لتكون حال أذان الفجر متطهّراً. ولنذكر هنا صفة الوضوء الكامل، فنقول:

إذا أردت الوضوء، فابدأ قبله بالسواك ، وليكن على عرض الأسنان لاطولها، ويجزي الإصبع عن المسواك .

روى شيخ الطائفة في التهذيب بسند صحيح عن الصادق عليه السَّلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: السواك بالإبهام والمسبحة عند الوضوء سواك [١] [٢] .

وينبغي استقبال القبلة حال الوضوء، وأكثر علمائنا ـقدّس الله أرواحهم ـ

به عرض الدنيا الآ ذهب ثلثا دينه»[٣].

و«يعنيني أمره» أي: يهمّني ويشغلني، ومنه الحديث «من حسن إسلام المرء ترك ما لايعنيه»[٤] أي: ما لايهمّه.

قوله: صفة الوضوء الكامل.

أي: المشتمل على المستحبّات، فانّه كامل بالنسبة إلى مااقتصر فيه على الواجبات، وهو ناقص بالإضافة إليه، وإن كان كاملاً في نفسه، فتأمّل.

---

(١) تهذيب الاحكام ١:٣٥٧، وفيه: التسوّك بالابهام الى آخره.

(٢) أي سواك شرعي يترتّب عليه الثواب، فلا يرد أنّ الخبر عين المبتدأ (منه).

(٣) نهاية ابن الأثير ٣: ٨٨.

(٤) نهاية ابن الأثير ٣: ٣١٤.

لم يذكروه، وقد ذكره بعضهم مستنداً بما روي عن ائمتنا عليهم السَّلام: خبر المجالس ماستقبل بهِ القبلة[١].

ثمّ إن كان وضوؤك من إناء يمكن الاغتراف منه، فضعه على يمينك ، ولو توضّأت من نهر أوحوض مثلاً، فينبغي أن تجلس بحيث يكون على يمينك ، ولو تعارض جعله على اليمنى واستقبال القبلة، فالظاهر ترجيح الاستقبال. وقل عند النظر إلى الماء:

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي جَعَلَ الْمَاء طَهُوراً وَلَمْ يَجْعَلْهُ نَجِساً.

قوله: بما روي عن أئمّتنا عليهم السَّلام.

هذا دليل أخصّ من المدّعى لو سلّم دلالته عليه؛ لأنّ الجلوس بل الاستقرار والسكون أيضاً غير معتبر حال الوضوء لاشطراً ولا شرطاً، بل وليس من مستحباته ولا محسّناته.

ثمّ إنّ هذا الحديث غير باق على عمومه، إذ لابدّ من استثناء مجالس البول والغائط والجماع ونحوها منه، لو أُريد بالمجلس والجلوس هنا مايعمّ هذا ونحوه، كما عمّمه هذا البعض، ولا يبعد أن يراد بالمجالس والجلوس ماهو المعهود والمتعارف منها، فلا دلالة له على المدّعى، بل ولا حاجة حينئذٍ إلى الاستثناء، فتأمّل فيه.

قوله: فالظاهر ترجيح الاستقبال.

هذا ترجيح من غير مرجّح، لأنّ لفظة «ينبغي» في الموضعين يشعر بأنّ وضع الإناء على اليمين في الصورة المفروضة، وكذلك جلوس المتوضّي بحيث

---

(١) البحار ٧٥: ٤٦٩، ح٤ عن كتاب الغايات.

ثمّ اغسل يدَيك إلى الزندَين قبل إدخالهما الإناء مرّة واحدة، إن كان وضوؤك من حدث البول أو النوم، لا من حدث الريح مثلاً، ومرّتين إن كان من حدث الغائط، ولا يستحبّ غسلهما من غير هذه الأحداث الثلاثة. ولو كان وضوؤك من حوض أو إبريق مثلاً، فالأكثر على سقوط غسل اليدين،

يكون النهر أو الحوض مثلاً على يمينه مستحبّ، كما أنّ استقبال القبلة حال الوضوء كذلك لو تمّ دليله.

فاذا لم يمكن الجمع بين المستحبّين، فالظاهر أنّ المكلّف مختار في الإتيان بأيّهما شاء، الاّ أن يكون هناك مرجّح في أحد الطرفين، وهو غير ظاهر في طرف الاستقبال، فمن ادّعاه فعليه البيان، فانّ مجرّد دعوى الظهور مع عدمه غير مفيد، فتأمّل.

قوله: ثم اغسل يديك إلى الزندين إلى آخره.

في صحيحة الحلبي قال: سألته عن الوضوء كم يفرغ الرجل على يده اليمنى قبل أن يدخلها الاناء، قال: واحدة من حدث البول، واثنتان من حدث الغائط، وثلاثة من الجنابة[١].

وفي صحيحة حريز عن الباقر عليه السّلام قال: يغسل الرجل يده من النوم مرّة، ومن الغائط والبول مرّتين، ومن الجنابة ثلاثاً[٢].

ويمكن التوفيق بينهما بأنّ غسلها مرّة من حدث البول يتحقّق به أصل الاستحباب، ولكن غسلها منه مرّتين يكون أفضل. ولما كانت العبادات

---

(١) فروع الكافي ٣: ١٢، ح٥، تهذيب الاحكام ١:٣٦، ح٣٥.

(٢) تهذيب الاحكام ١: ٣٦، ح ٣٦.

ومال بعضهم إلى بقائه ولا بأس به.

ثمّ ضع يدك اليمنى في الماء آتياً بالتسمية، كما رواه شيخ الطائفة في التهذيب بسند صحيح عن الباقر عليه السّلام أنّه قال: إذا وضعت يدك في الماء فقل:

بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ اَللّٰهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِيْنَ واجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ[١].

ثمّ تمضمض ثلاثاً بثلاث أكفٍّ، ثمّ استنشق كذلك، وقل عقيب كلّ منها ما يأتي ذكره في الفصل الآتي. ثمّ اغترف بيمناك غرفة وانو الإتيان بالوضوء الواجب امتثالاً لأمر الله تعالى أو طاعة له، أو قربة إليه سبحانه.

توقيفيّة متلقّاة من الشارع، ولم يرد في الشريعة المطهّرة مايدلّ على رجحان غسلها في غير هذه الاحداث، دلّ ذلك على عدم استحبابه، لأنّه حكم شرعي، وكلّ حكم شرعي لادليل عليه وجب نفيه.

ولذا قالوا: كلّ حكم شرعيّ لامدرك له شرعاً، فعدم المدرك الشرعي مدرك شرعيّ لعدمه.

قوله: ومال بعضهم إلى بقائه.

كأنّه يدلّ عليه اطلاق صحيحة حريز، ولكن قول الحلبي قبل أن يدخلها في الاناء، وتقرير الامام عليه السّلام له عليه، كأنّه يؤيّد ماعليه الأكثر، فتدبّر.

قوله: آتياً بالتسمية.

من الاخبار الدالّة على راجحيّة التسمية عند الطهارة مطلقاً موثّقة عيص بن

---

(١) تهذيب الاحكام ١:٧٦، ح٤١.

وأمّا أفعالُه المستحبة، فتندرج في ذلك إذا نويت الإتيان بأفضل الواجبين، ولو نويت كلّاً منهما عند الإتيان به لكان أولى. وقارن بالنيّة غسل أعلى وجهك مستديماً لها حكماً إلى فراغك، وقل بسم الله، كما رواه ثقة الاسلام في الكافي عن الباقر عليه السَّلام بسند حسن[1]. والظاهر عدم إغناء التسمية الأُولى عن هذه؛ لأنها للشروع في الواجب، وتلك للشروع في المستحب.

وقد جوّزوا مقارنة النيّة لغسل اليدين إذا اجتمعت شرائطه، وللمضمضة

القاسم، عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: من ذكر اسم الله على وضوئه فكأنّما اغتسل[2].

ومرسلة محمّد بن أبي عمير عن بعض أصحابه عنه عليه السَّلام قال: إذا سمّيت في الوضوء طهر جسدك كلّه، وإذا لم تسمّ لم يطهر الّا مامرّ عليه الماء[3]. وهذه محمولة على المبالغة في طلب التسمية.

قوله: وأمّا أفعاله المستحبّة إلى آخره.

للوضوء الواجب فردان: المقصور فيه على الواجبات، والمشتمل على المستحبّات أيضاً، لكنّه لاشتماله على تلك الزيادات المستحبّة الموجبة لزيادة الثواب يسمّى بأفضل الواجبين، كما سمّيت الجمعة إذا فعلت عوضاً عن الظهر الواجبة بأفضل الواجبين، ومثله العتق وغيره من خصال الكفّارة.

---

(١) فروع الكافي ٣:٢٥، ح٤.

(٢) تهذيب الاحكام ١: ٣٥٨، ح٣.

(٣) تهذيب الاحكام ١: ٣٥٨، ح٤.

والاستنشاق أيضاً، معلّلين بأنّ هذه الأفعال الثلاثة من أفعال الوضوء الكامل. وتوقّف ابن طاووس ـ طاب ثراه ـ في جواز مقارنتها لغير غسل الوجه والاحتياط معه رحمهُ الله.

فإذا صببت الماء على وجهك، فينبغي إمرار يدك عليه، تأسّياً بما نقل عن أصحاب العصمة سلام الله عليهم عند حكايتهم الوضوء البياني، وخروجاً من خلاف بعض علمائنا حيث أوجب ذلك[١].

قوله: أيضاً معلّلين إلى آخره.

فيه أنّ الأذان والاقامة أيضاً من أفعال الصلاة الكاملة، فلو تمّ هذا التعليل لزم منه جواز مقارنة نيّة الصلاة للأذان وللاقامة أيضاً، وهم لايجوّزون ذلك، فما هو جوابهم عن هذا فهو جوابنا عن ذاك، فتأمّل.

قوله: فينبغي امرار يدك عليه.

نقل البيضاوي عن مالك أنّه قال بوجوب ذلك الوجه حال غسله، وكذلك قال بعض الزيديّة بوجوب امرار اليد على الوجه حال غسله، وعليه بعض أصحابنا أيضاً.

والمشهور بين الأصحاب عدمه، وانّ المتوضّيء لو غمس وجهه في الماء ناوياً مبتدئاً بأعلاه لكفى، واستدلّ عليه العلّامة بأنّ قوله تعالى «فاغسلوا وجوهكم»[٢] يصدق مع امرار اليد وعدمه، فيكون الآتي بالمهية في أيّ جزئي أوجدها فيه ممتثلاً للأمر، فيخرج عن العهدة.

---

(١) أي إمرار اليد، فلا يكفي عند هؤلاء غمس الوجه في الماء من دون إمرار اليد عليه (منه).

(٢) سورة المائدة: ٦.

ولا يجب عليك تقديم غسل كلّ جزء من أجزاء الوجه على ما سفل عن ذلك الجزء، بل إذا ابتدأت بغسل أعلاه كفى.

وأورد عليه الشيخ ـقدّس سرّهـ بأنّ هذا الاستدلال انّما يجدي لو لم يوجد امرار اليد في الوضوء البياني، أمّا بعد وجوده فلا، لانّه عليه السّلام قد مسح وجهه بيده في معرض البيان، فيجب كما أوجبتم الابتداء بأعلى الوجه.

وأيضاً فما استدللتم به على ذلك ـمن أنّه عليه السّلام لـمّا توضّأ الوضوء البياني: إمّا أن يكون بدأ بأعلى الوجه، أو بأسفله، لاسبيل إلى الثاني، والّا لوجب على التعيين، لكنّه غير واجب، فتعيّن الاوّلـ جارٍ هنا، فيقال: انّه عليه السّلام امّا أن يكون قد أمرّ يده على وجهه حال غسله أو لا، لاسبيل إلى الثاني، والّا لتعيّن على الأُمّة، لكنّه غير متعيّن، فتعيّن الأوّل.

أقول: امرار اليد في هذا الوضوء انّما كان ليوصل به الماء إلى أجزاء الوجه، فيتحقّق به غسله جميعاً؛ إذ بدونه لايتحقّق هذا الغسل، لا أنّه كان من أفعاله الواجبة المعتبرة في تحقّقه مطلقاً؛ إذ الأصل عدمه، وعدم هذا التكليف كما هو ظاهر اطلاق الآية، فحيث يمكن ايصاله إليه بدونه كما في صورة الغمس يسقط هذا الوجوب.

وبهذا يندفع النقض أيضاً؛ لأنّا نختار أنّه قد أمرّ يده على وجهه حال غسله، لكن لا لكونه من أجزائه وأفعاله الواجبة مطلقاً، بل لكونه واجباً في خصوص هذه الصورة، فمن ادّعى وجوبه مطلقاً فعليه البيان، وبالله التوفيق وعليه التكلان.

قوله: ولا يجب عليك تقديم إلى آخره.

ردّ على من قال انّ المعتبر في غسل الوجه غسل الأعلى فالأعلى، لكنّه

وحدّ الوجه طولاً وعرضاً مادارت عليه الإبهام والوسطى، كما نطقت به صحيحة زرارة عن الباقر عليه السَّلام[١]. وقد بسطنا الكلام في ذلك في شرح (الحديث الرابع) من كتاب الأربعين.

ويجب تخليل الشعر الذي تُرى بشرة الوجه من تحته في مجلس التخاطب، بحيث يصل الماء إليها على سبيل الغسل. أما الذي لا تُرى البشرة من تحته فلا، بل إنّما يجب عليك غسل ما تواجه به منه.

وافتح عينيك حال الوضوء، فقد روى رئيس المحدّثين في الفقيه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله أنّه قال: افتحوا عيونكم عند الوضوء لعلّها لا ترى نار

لاحقيقةً لتعسّره أو تعذّره بل عرفاً، والمستفاد من الأخبار وجوب البدأة بالأعلى، بمعنى صبّ الماء على أعلى الوجه، ثمّ اتّباعه بغسل الباقي، وأمّا عدم جواز غسل شيء من الأسفل قبل الأعلى وان لم يكن في سمته، فلا.

قوله: وقد بسطنا الكلام إلى آخره.

ونحن أيضاً قد بسطنا القول فيه في تعليقاتنا على الأربعين.

قوله عليه السَّلام: افتحوا عيونكم عند الوضوء.

ظاهره يفيد استحباب فتح العين عند الوضوء، لا ايصال الماء اليها؛ لأنّ فتحها أعمّ من إيصاله إليها.

فان قلت: أيّة فائدة للأمر بفتحها عنده؟ فانّ كلّ انسان بحسب جبلّته وعادته يفتح عينيه في جميع أوقات يقظته، الّا أن يكون هناك مانع منه، ولا أظنّ أحداً يغمض عينيه وقت الوضوء من غير ضرورة حتّى يحتاج إلى الأمر

---

(١) تهذيب الاحكام ١: ٥٤، ح٣.

جهنم[١]. وأكثر علمائنا ـ رحمهم الله ـ لم يذكروا ذلك في مستحبّات الوضوء. وقد يظنّ أن سبب إهمالهم له نقلُ الشيخ الإجماع على عدم استحباب إيصال ماء الوضوء إلى داخل العينين.

وقال شيخنا في الذكرى: إنّه لا منافاة بين الأمرين لعدم التلازم بين فتح العينين وإيصال الماء إلى داخلهما[٢]، وهو جيد. ولا يبعد ترتّب الثواب على رؤية ما يأتي به المتوضّي من أفعال الوضوء.

بفتحهما عنده.

اللهمّ الّا حال صبّ الماء على الوجه، فانّه حينئذٍ يغمضهما حذراً عن أن يدخلهما الماء، فبعد أن ثبت الاجماع على عدم استحباب ايصال الماء إلى داخلهما، كما نقله الشيخ، بل روي النهي عنه، وانّ ابن عبّاس عمي بسببه، فلا وجه ظاهراً للأمر به، للاستغناء عنه بالعادة والجبلّة.

قلت: لعلّه كناية عن معاهدة أعضاء الوضوء وايصال الماء إليها، وملاحظة أفعاله والتذكّر بها وعدم الغفلة عنها، والتوجّه إليها ليأتي بذلك الوضوء مسبوغاً تمام الأجزاء، فانّك كثيراً ماتقول لمن تخطبه عند ظنّك غفلته عمّا أمرته به: افتح عينك ، وعينه مفتوحة، فلا تريد به ظاهره، بل تنبيهه عن سنة الغفلة.

فان قيل: هذا الوجه لايجري في الوجه ولا في الأكمه ومن كفّ عينه، أو يتوضّأ في ظلمة الليل.

فالجواب عن الثاني أنّ السالبة بانتفاء الموضوع. وأمّا الأوّل والثالث، فيدفعهما قوله عليه السّلام «إذا أُمرتم بشيء فأتوا منه بما استطعتم»[٣].

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٥٠.

(٢) الذكرى: ٩٥.

(٣) عوالي اللئالي ٤: ٥٨.

تتمّة

فإذا فرغت من غسل وجهك فخذ غرفة من الماء بيدك اليسرى، كما فعله الباقر عليه السَّلام عند بيان وضوء النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم[١]، واغسل بها اليمنى مبتدئاً بالمرفق، مُمِرّاً يدَك عليها إلى أطراف الأصابع، كما مَرّ في الوجه، لكن يجب هنا تخليل الشعر وإن ستر ما تحته.

ويمكن أن يكون الغرض من هذا الأمر هو الإخبار عن غايته، وهي عدم رؤيتها نار جهنّم، فانّ هذه الغاية لمّا كانت مجهولة لهم احتاجوا في العلم بها إلى الإخبار عنها، فيكون تقديم هذا الأمر من باب تقديم الوسيلة، فتأمّل.

قوله: بيدك اليسرى.

ظاهر المفيد في المقنعة: ثمّ إنّه يأخذ الماء لغسل يده اليمنى بيده اليمنى، فيديرها إلى يده اليسرى، ثمّ يغسل يده اليمنى[٢]. يفيد استحباب هذا الترتيب، وهو الأخذ والادارة ثمّ الغسل مطلقا في أيّ طرف كان الماء، في بركة أم في إناء، موسّعاً كان رأسه أم مضيّقاً، موضوعاً كان بين يديه أم في جنبته، يده اليمنى أو اليسرى، الى غير ذلك.

واستدلّ عليه الشيخ بصحيحة زرارة عن الباقر عليه السَّلام عند بيان وضوء النبي صلّى الله عليه وآله[٣]، ولا دلالة لها على هذا الترتيب، وانّما دلّت على ادخاله يده اليسرى ابتداء في الإناء وأخذه منه كفّاً من الماء، ثم غسله به يده اليمنى.

---

(١) تهذيب الاحكام ١: ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) المقنعة: ٤٣.

(٣) تهذيب الاحكام ١: ٥٥، ح ٦.

وابدأ بغسل ظاهر الذراع، والمرأة بباطنه. ثمّ خذ غرفة أُخرى بيدك اليمنى، فاغسل اليسرى كأُختها، وليكن غسل كلّ من الوجه واليدين مرّة واحدة لا أزيد، كما هو مختار ثقة الإسلام في الكافي[١]، ورئيس المحدّثين في الفقيه[٢]، وقد بسطنا الكلام في ذلك في كتاب مشرق الشمسين[٣] وفي الحبل المتين[٤].

فالصواب أن يستدلّ عليه بموثّقة الأخوين بكير وزرارة، فانّهما سألا أباجعفر عليه السَّلام عن وضوء رسول الله صلّى الله عليه وآله فدعا بطشت أو بتور فيه ماء فغسل كفّيه، ثمّ غمس كفّه اليمنى في التور فغسل وجهه بها، واستعان بيده اليسرى بكفّه على غسل وجهه، ثمّ غمس كفّه اليمنى في الماء، فاغترف بها من الماء فأفرغه على يده اليسرى، فغسل يده اليمنى من المرفق إلى الأصابع،الحديث[٥].

وأمّا صحيحة زرارة، فمقصورة على بيان الواجبات الغسلتين والمسحتين.

قوله: وابدأ بغسل ظاهر الذراع.

في مجهولة محمّد بن إسماعيل بن بزيع عن الرضا عليه السَّلام قال: فرض الله تعالى على النساء في الوضوء أن يبدأن بباطن أذرعهنّ، وفي الرجال بظاهر الذراع[٦].

قوله: وقد بسطنا الكلام إلى آخره.

نحن أيضاً قد بسطنا القول فيه في تعليقاتنا على الأربعين.

---

(١) فروع الكافي ٣:٢٧.
(٢) من لايحضره الفقيه ١:٣٨.
(٣) مشرق الشمسين: ٢٩٥.
(٤) الحبل المتين: ٢٤.
(٥) تهذيب الاحكام ١: ٥٦، ح ٧.
(٦) تهذيب الاحكام ١: ٧٧، ح ٤٢.

ثمّ امسح بشرة مقدَّم رأسك ، أو شعره الذي لا يخرج بمدّه عن حدّه بمقدار ثلاث أصابع مضمومة ببلل يمينك ، ثمّ امسح ببقيّة ذلك البلل ظهر قدمك اليمنى من رؤوس الأصابع إلى الكعب، أعني: مفصل الساق والقدم. ولا يجزي المسح الى مادونه، وبيَّنا ذلك في الكتابين بما لا مزيد عليه. ثمّ امسح ظهر قدمك اليسرى ببلل يسارك .

وليكن مسح الرأس والقدمين بباطن الكفّ لا بظاهرها إلّا لضرورة. ولابدّ من إمراره على الممسوح، فلا يكفي وضع الكفّ عليه من دون إمرار[١] .

وينبغي مسحك القدمين بكلّ الكفّ، كما رواه شيخ الطائفة في التهذيب بسند صحيح عن أحمد بن محمَّد بن أبي نصر البزنطي ، قال: سألت أباالحسن الرضا عليه السَّلام عن المسح على القدمين كيف هو؟ فوضع كفّه على الأصابع، ثمّ مسحها إلى الكعبين. فقلت: لو أنّ رجلاً قال[٢] بإصبعين من

قوله: وقد بيّنا ذلك إلى آخره.

نحن أيضاً قد بيّنا مايرد عليه في الكتاب المذكور.

قوله: وينبغي مسحك القدمين بكلّ الكفّ.

انّما حكم باستحباب ذلك ولم يحكم بوجوبه، كما هو ظاهر صحيحة البزنطي ، لأنّ المحقّق وكذا العلّامة ـقدّس سرّهماـ ادّعيا الاجماع على الاجتزاء بمسمّى المسح، وقالا: قوله عليه السَّلام «لا إلّا بكفّه كلّها» من قبيل لاصلاة لجار المسجد إلّا فيه، أي: هو محمول على الاستحباب دون الوجوب.

قوله في الحاشية: لفظ قال هاهنا بمعنى فعل.

القول يستعمل من طريق المجاز والاتّساع في كثير من الافعال، يقال: قال

---

(١) لكن هل يكفي إمرار الممسوح على الكف؟ الأظهر عدم الاجزاء (منه رحمه الله).

(٢) لفظ (قال) هنا بمعنى فعل، واستعمالها بهذا المعنى شائع في كلام العرب (منه).

أصابعه هكذا إلى الكعبين؟ قال: لا، إلّا بكفّه كلّها[١].

ولكن أفعال وضوئك على التوالي من دون تراخ بينها، مراعياً فيها الترتيب

برأسه إذا أشار، وقال برجله إذا مشى. وعن ابن الأنباري أنّه قال: يقول العرب: قال بمعنى تكلّم وبمعنى أقبل وبمعنى مال، وبمعنى ضرب، وبمعنى استراح، وبمعنى غلب، ومن هذا الباب «وقالت له العينان سمعاً وطاعة» أي: أدمت. ومنه «وأشهد أنّ القول كما حدث».

والأظهر أن يحمل القول في كلام الراوي على معنى ضرب، فانّي لم أجد في كلامهم قال به بمعنى فعل به، فضلاً عن أن يكون شائعاً، وهو ـ قدّس سرّه ـ أعرف بما قال، وآنس بالمقال والاستعمال.

قوله عليه السّلام: إلّا بكفّه كلّها.

لفظة «كلّها» غير موجودة في نسخ الكافي[٢].

قوله: وليكن أفعال وضوئك على التوالي.

فسّر الموالاة بالمتابعة، وهو الظاهر من كلام الشيخين، الّا أنّه ذهب في الجمل[٣] إلى اعتبار الجفاف، فانحصرت المتابعة في المفيد.

وقيل: وجوب المتابعة اختياراً، ومراعاة الجفاف اضطراراً، الّا أنّه لا يبطل الّا بالجفاف، واختاره المحقّق.

واستدلّ العلّامة على وجوب المتابعة بأنّ الأمر يقتضي الفور، لأنّه أحوط،

---

(١) تهذيب الاحكام ١: ٦٤، ح٢٨.

(٢) فروع الكافي ٣: ٣٠، ح٦.

(٣) الجمل والعقود: ١٥٩.

المذكور، حتّى في مسح القدمين، كما هو مختار جماعة من قدماء علمائنا. ورواه ثقة الإسلام في الكافي بسندٍ حسن عن أبي عبدالله عليه السَّلام أنه قال: امسح على القدمين وابدأ بالشقّ الأيمن(١).

وينبغي الإتيان عند كلّ فعل من الغسلات والمسحات بدعائه الموظّف له، كما يأتي في الفصل الآتي، فإذا فرغت من الوضوء، فقل:

اَلْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِيْنَ.

كما رواه شيخ الطائفة في التهذيب بسندٍ صحيح(٢)، ثمّ قل:

اَللّٰهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ. اَللّٰهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ تَمامَ الْوُضُوءِ وَتَمامَ الصَّلاةِ وَتَمامَ رِضْوانِكَ وَالْجَنَّةَ.

واعلم أنّ أكثر الأفعال وجميع الأذكار المذكورة مستحبّة. والأفعال الواجبة عشرة: النيّة مستدامة الحكم، والغسلات الثلاث، ومسمّى المسحات الثلاث

وبأنّه أوجب غسل الوجه واليدين والمسح عقيب إرادة القيام إلى الصلاة بلا فصل. وفعل الجميع دفعة متعذّر، فيحمل على الممكن وهو المتابعة.

وفيه منع اقتضائه الفوريّة، بل هو للطلب مطلقاً، والاحتياط لايستلزم الوجوب، ولو حمل على الفور يلزم عدم جواز تأخير الوضوء عن وقت إرادة الصلاة.

وكون الفاء للتعقيب يستلزم أن لايكون بين الارادة والغسل، وكذا بينها وبين المسح فصلٍ، إذ المعطوف في حكم المعطوف عليه، فيلزم المقارنة بين الغسل والمسح، فاحتيج إلى القول بأنّ الفوريّة في المسح غير مرادة بالاتّفاق، فيبقى الغسل على ظاهره من الفوريّة.

---

(١) فروع الكافي ٣:٢٩، ح١.

(٢) تهذيب الاحكام ١:٧٦، ح٤١.

بشرط اتّصاله في الأخيرتين من طرف القدم إلى الكعبين، والترتيب، والموالاة، ومباشرة الوضوء بنفسك إلّا لضرورة.

وينبغي ترك التمندل من الوضوء، فقد روى ثقة الإسلام في الكافي عن

وهذا التأويل المستلزم لاختلاف حال المعطوف والمعطوف عليه ليس بأقرب من القول بأنّ الفاء هنا منسلخة عن عدم التراخي ومستعملة في الترتيب فقط، أو في الجزائيّة من غير ترتيب أصلاً، لابدّ للترجيح من دليل.

وأيضاً لو حملت على هذا المعنى يلزم أن يكون غسل الوجه واليدين معاً بعد الارادة هو خلاف ماثبت من الترتيب، ولا يصحّ حملها على التعقيب بلا مهلة بالنسبة إلى غسل الوجه واليد، فلا يلزم المتابعة.

قوله: من طرف القدم إلى الكعبين.

ظاهره يعطي أنّه يذهب إلى وجوب الاستيعاب الطولي. والمشهور وظاهر الآية عدمه.

لا يقال يفهم منه البعض المنتهى إلى الكعب، وكلّ من ذهب إلى هذا ذهب إلى وجوب الاستيعاب الطولي، فالتقييد لازم.

لأنّا نمنع الصغرى ونقول: يجوز أن يكون التحديد للممسوح، كما يستفاد من رواية ابني أعين عن أبي جعفر عليه السّلام في حديث طويل: انّ الله قال «فامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين» فاذا مسح بشيء من رأسه أو بشيء من قدميه مابين الكعبين إلى أطراف الأصابع فقد أجزأه[١].

قوله: وينبغي ترك التمندل من الوضوء.

المشهور بين الفقهاء كراهة التمندل من الوضوء، ومستندهم ماذكره الشيخ

---

(١) تهذيب الاحكام ١: ٧٦، ح ٤٠.

الصادق عليه السَّلام أنّه قال: مَن توضّأ فتمندل كانت له حسنة، وإن توضّأ ولم يتمندل حتّى يجفّ وضوؤه كانت له ثلاثون حسنة[١]. والظاهر أنّ تعمّد التجفيف بالشمس أو النار مثلاً كالتمندل.

ولا بأس بالوضوء في المسجد من غير حدثي البول والغائط، أمّا منهما فيُكره، كما رواه ثقة الاسلام في الكافي بسند صحيح[٢].

فصل

روى ثقة الاسلام في الكافي، ورئيس المحدّثين في الفقيه، وشيخ الطائفة

-قدّس سرّه-، وهذا حديث ضعيف السند بسلمة بن الخطاب، وفيه علي بن المعلّى، وإبراهيم بن محمَّد بن حمران، وهما مجهولان، فلا اعتماد على سنده.

وفي التهذيب في الموثّق كالصحيح عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي، قال: رأيت أباعبدالله عليه السَّلام توضّأ للصلاة، ثمّ مسح وجهه بأسفل قميصه، ثمّ قال: ياإسماعيل افعل هكذا، فانّي هكذا أفعل[٣].

وهذا كما ترى مع دلالته على استمرار ذلك الفعل منه عليه السَّلام يدلّ على استحباب ذلك، فلو كان التمندل مفوّتاً لتلك الحسنات لما كان الامام عليه السَّلام أن يفعله من غير ضرورة ويأمر غيره به.

وفيه في صحيحة محمَّد بن مسلم قال: سألت أبا عبدالله عليه السَّلام عن التمسّح بالمنديل قبل أن يجفّ، قال: لا بأس به[٤].

(١) فروع الكافي ٣: ٧٠، ح٤.

(٢) فروع الكافي ٣: ٣٦٩، ح٩.

(٣) تهذيب الاحكام ١: ٣٥٧، ح ٣٢.

(٤) تهذيب الاحكام ١: ٣٦٤، ح ٣١.

في التهذيب، عن عبدالرحمان بن كثير الهاشمي، عن أبي عبدالله عليه السَّلام، قال: بينا أمير المؤمنين عليه السَّلام ذات يوم جالس مع ولده محمَّد بن الحنفية رضي الله عنه إذ قال له: يا محمَّد ائتني بإناء من ماء أتوضّأ للصلاة. فأتاه محمَّد بالماء، فأكفأه بيده اليمنى على يده اليسرى، ثم قال:

بِسْمِ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ الَّذي جَعَلَ الْمَاءَ طَهُوراً وَلَمْ يَجْعَلْهُ نَجِساً.

قال: ثمّ استنجى فقال:

اَللَّهُمَّ حَصِّن فَرْجي، وأَعِفَّهُ، وَاسْتُرْ عوْرَتي، وَحَرِّمْني عَلَى النَّار.

قال: ثمّ تمضمض، فقال:

اَللَّهُمَّ لَقِّنِّي حُجَّتي يَوْمَ أَلقَاكَ، وأَطْلِقْ لِسَانِي بِذِكْرِكَ (بذكراك خ ل).

قال: ثمّ استنشق، فقال:

اَللَّهُمَّ لاَ تُحَرِّمْ عَلَيَّ رِيْحَ الْجَنَّةِ، وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَشَمُّ رِيْحَهَا وَرَوْحَها وَطيبَها.

وفيه في موثّقة أبي بكر الحضرمي عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: لابأس بمسح الرجل وجهه بالثوب إذا توضّأ إذا (كان) الثوب نظيفاً[١].

ومنه علم أنّ تجفيفه بالشمس أو النار وأمثالها ممّا لابأس به ولا قصور فيه، ولا ينقص به الثواب.

قوله: عن عبدالرحمان بن كثير الهاشمي.

عبدالرحمان هذا ضعيف، كان يضع الحديث. وقال الشيخ في الأربعين في

---

(١) تهذيب الاحكام ١: ٣٦٤، ح ٣٢.

....

الحاشية: هذه الرواية وان كان في طريقها عبدالرحمان بن كثير، وهو ضعيف، الّا أنّ ضعفها منجبر بالشهرة بين الأصحاب. وممّن قال بشهرتها شيخنا الشهيد في الذكرى، على أنّها واردة في المستحبّات، فالضعف لايمنع من العمل بها[1].

وفيه أنّ هذه الشهرة غير مؤثّرة في جبر الضعيف، فانّ هذا انّما يتمّ لو كانت الشهرة متحقّقة قبل زمن الشيخ الطوسي، والأمر ليس كذلك، فانّ من قبله كانوا بين مانع من خبر الواحد مطلقاً، كالمرتضى والأكثر على مانقله جماعة، وبين جامع للأحاديث من غير التفات إلى تصحيح مايصحّ وردّ مايردّ، فالعمل بمضمون الخبر الضعيف قبل زمنه على وجه يجبر ضعفه غير متحقّق.

ولمّا عمل هو به في كتبه الفقهيّة، جاء من بعده من الفقهاء وأتبعه الأكثر تقليداً له، فجاء المتأخّرون بعد ذلك ووجدوه ومن شيّعه قد عملوا به، فحسبوا أنّ العمل به مشهور، وجعلوها جابرة لضعفه.

ومثل هذه الشهرة لا يكفي في جبره، كما صرّح به بعض المحقّقين. نعم جوّز أكثرهم العمل به في نحو المستحبّات، لتساهلهم في أدلّة السنن، ولما ورد عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال: من بلغه عن الله فضيلة، فأخذها وعمل بها ايماناً بالله ورجاء ثوابه أعطاه الله ذلك وان لم يكن كذلك[2].

وله نظائر، وهو حسن حيث لايبلغ الضعف حدّ الوضع، وقد عرفت أنّ أصحابنا قد صرّحوا بأنّ هذا الهاشمي كان يضع الحديث، وانّ ابن أخيه علي ابن الحسّان الراوي عنه ضعيف غال كذّاب واقفيّ. فاحتمال كون هذا

---

(١) الأربعين: ٥٦، ح٥.

(٢) كنز العمال ١٥: ٧٩١.

قال: ثمّ غسل وجهه، فقال:

اَللَّهُمَّ بَيِّضْ وَجْهِي يَوْمَ تَسْوَدُّ فِيهِ الْوُجُوهُ، وَلاَ تُسَوِّدْ وَجْهِي يَوْمَ تَبْيَضُّ فِيهِ الْوُجُوهُ.

الحديث موضوعاً قويّ، لأنّ له طريقين، وهو بطريقيه ينتهي إلى هذا الهاشمي الواضع.

قوله عليه السّلام: اللهمّ بيّض وجهي إلى آخره.

للمفسّرين في قوله تعالى «يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه»[1] قولان:

أحدهما: أنّ المراد بابيضاض الوجوه إشراقها واسفارها بنيل البغية والظفر بالامنية، والاستبشار بما يصير إليه من الثواب، كقوله تعالى «وجوه يومئذٍ مسفرة * ضاحكة مستبشرة»[2] وباسودادها ظهور أثر الحزن والكآبة عليها لما تصير إليه من العقاب، كقوله تعالى «وجوه يومئذٍ باسرة»[3] وقوله تعالى «وجوه يومئذٍ عليها غبرة * ترهقها قترة»[4].

وثانيهما: أنّ البياض والسواد محمولان على ظاهرهما، وهما النور والظلمة؛ اذ الأصل في الاطلاق الحقيقة، فمن كان من أهل نور الحقّ وسُمّ ببياض اللون واسفاره واشراقه، ابيضّت صحيفته وسعى النور بين يديه وبيمينه. ومن كان من أهل ظلمة الباطل، وسمّ بسواد اللون وكمده، اسودّت صحيفته، وأحاطت به الظلمة من كلّ جانب.

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٦.

(٢) سورة عبس: ٣٨ - ٣٩.

(٣) سورة القيامة: ٢٤.

(٤) سورة عبس: ٤٠ - ٤١.

قال: غسل يده اليمنى فقال:

اللهمّ أعطِني كِتابِي بِيَمِيني، وَالخُلْدَ في الجِنانِ بيَساري وَحاسِبْني حِساباً يسيراً.

ثمّ غسل يده اليسرىٰ، فقال:

اَللَّهُمَّ لاَ تُعْطِنِي كِتَابِي بِشِمَالي، وَلاَ تَجْعَلْهَا مَغْلُولَةً إلَى عُنقِي، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ مُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ.

ثمّ مسح رأسه، فقال:

اَللَّهُمَّ غَشِّنِي رَحْمَتَكَ وَبَرَكَاتِكَ.

ثمّ مسح رجليه، فقال:

اَللَّهُمَّ ثَبِّتْنِي عَلَى الصِّراط يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ ٱلأَقْدَامُ، وَاجْعَلْ سَعْيِي فِيمَا

قالوا: والحكمة في ذلك أن يعرف أهل الموقف كلّ صنف، فيعظّموهم ويصغّروهم بحسب ذلك، ويحصل لهم بسببه مزيد بهجة وسرور، أو ويل وثبور.

وأيضاً إذا عرف المكلّف في الدنيا أنّه تحصل له في الآخرة احدى الحالتين، ازدادت نفسه رغبة في الطاعات وحرفاً عن السيئات.

والتحقيق في ذلك: أنّ الهيئات والأخلاق الحميدة أنوار، والملكات والعادات الذميمة ظلمات، وكلّ منها لايظهر آثاره الاّ بعد المفارقة إلى الآخرة، فابيضاض الوجوه عبارة عن آثار تلك الأنوار، واسودادها عبارة عن آثار تلك الظلمات، أعاذنا الله منها.

ولنا في ذلك رسالة مفردة، قد فصّلنا القول فيه، فليطلب من هناك.

قوله عليه السَّلام: ولا تجعلها مغلولة.

أي: ممنوعة مجعولاً فيها غلّ، وهي الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه.

يُرْضِيكَ عَنِّي (ياذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَام خ).

ثمّ رفع عليه السَّلام رأسه، فنظر إلى محمَّد فقال: يامحمَّد، مَن توضّأ مثل وضوئي وقال مثل قولي، خلق الله تعالى له من كل قطرة ملكاً يقدّسه ويسبّحه ويكبّره، ويكتب الله له ثواب ذلك إلى يوم القيامة[1].

توضيح:

ولا بأس ببيان ما لعلّه يحتاج إلى البيان في هذا الحديث ممّا تضمّنه من أمر أمير المؤمنين عليه السَّلام ولدَه رضي الله عنهُ بإحضار الماء.

قد يستفاد منه أنّ الأمر بإحضار ماء الوضوء ليس من الاستعانة المكروهة

قوله عليه السَّلام: من كلّ قطرة ملكاً.

ظاهره يفيد أنّ ذلك الملك انّما يخلق من تلك القطرة، أي: تكون هي مادّة خلقه، كما في قوله «كمثل آدم خلقه من تراب»[2] ويمكن أن تكون كلمة «من» تعليليّة، أو بدليّة، أي: يخلق بدل كلّ قطرة وعوضاً منها ملكاً، فتأمّل.

قوله: قد يستفاد منه أنّ الأمر باحضار ماء الوضوء إلى آخره.

المشهور بين الأصحاب أنّ احضار الغير ماء الوضوء ليس من الاستعانة المكروهة في الوضوء، وانّما هي صبّ الماء في اليد ليغسل به العضو، ولعلّ مستندهم فيما ذكروه صحيحة معاوية بن وهب المذكورة في التهذيب، قال: سمعت أباعبدالله عليه السَّلام يقول: كان أبي يدعو بالطهور في السفر وهو في

---

(١) فروع الكافي ٣: ٧٠ - ٧١، من لايحضره الفقيه ١: ٤١ - ٤٣، تهذيب الاحكام ٣: ٥٣ - ٥٤.

(٢) سورة آل عمران: ٥٩.

صوناً لفعل المعصوم عن الكراهة، واحتمال كون صدور ذلك عنه عليه السَّلام لبيان جوازه لا يخلو من بعد.

محمله، فيؤتى بالتور فيه الماء، فيتوضّأ ثمّ يصلّي الثماني والوتر في محمله، فاذا نزل صلّى الركعتين والصبح(١).

ولا قائل بجواز ذلك في السفر دون الحضر، إذ لاقائل بالفصل فيما علمنا.

وأمّا مااستفاده الشيخ ـ قدّس سرّه ـ من حديث عبدالرحمان، ففيه أنّه ضعيف، فالاستدلال به عليه أيضاً ضعيف.

واعلم أنّه يظهر من بعض الأخبار أنّ صبّ الغير ماء الوضوء في اليد ليس أيضاً من الاستعانة المكروهة في الوضوء.

روى العامّة والخاصّة عن علي بن الحسين عليهما السَّلام أنّه كان يتوضّأ وجارية واقفة تسكب الماء في يده، فسقط الابريق من يدها على وجهه فجرحه، فرفع عليه السَّلام رأسه إلى الجارية، فقالت: انّ الله يقول «والكاظمين الغيظ» فقال: قد كظمت غيظي، فقالت: «والعافين عن الناس» فقال: عفوت عنك، فقالت: «والله يحبّ المحسنين»(٢) فقال: أنت حرّة لوجه الله(٣).

وهذا يؤيّد ما نقل عن ابن الجنيد أنّه قال: مستحبّ أن لايشرك الانسان في وضوئه غيره، بأن يوضّيه أو يعينه.

ولعلّ مستند الأصحاب فيما ذكروه، ماروي أنّ أباالحسن الرضا عليه السَّلام دخل يوماً على المأمون، فرآه يتوضّأ للصلاة والغلام يصبّ على يده

---

(١) تهذيب الاحكام ٣: ٢٣٢، ح ١١٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٣) بحار الأنوار ٤٦: ٦٨.

....

الماء، فقال: لايشرك بعبادة ربّه أحداً، فصرف المأمون الغلام وتولّى اتمام وضوئه بنفسه[١].

وروي أنّ علياً عليه السَّلام كان لايدعهم يصبّون الماء عليه يقول: لاأُحبّ أن أُشرك في صلاتي أحداً[٢].

وعن الحسن بن علي الوشّاء أنّه أراد الصبّ على الرضا عليه السَّلام فقال: مه ياحسن، فقلت له: أتكره أن أُوجر؟ قال: توجر أنت وأُوزر أنا، وتلىٰ قوله تعالى «فمن كان يرجوا لقاء ربّه»[٣] الآية وها أنا إذا أتوضّأ للصلاة وهي العبادة فأكره أن يشركني فيها أحد[٤].

ويمكن التوفيق بينهما بحمل ماروي عن علي بن الحسين عليهما السَّلام على بيان الجواز، أو على أنّه كان لضرورة أو علّة، أو على كون الوضوء لغير الصلاة، أو على أنّ الصبّ كان في مندوبات الوضوء، كغسل اليدين مرّة أو مرّتين، كالمضمضة والاستنشاق، لا في واجباته كالغسلات الثلاثة.

وفيه أنّ الوضوء عبادة في نفسه، فالاشراك فيه إشراك في العبادة، وهو منهيّ عنه.

وفوق هذا كلام، وهو أنّ هذه الأخبار تدلّ على صحّة هذا الفعل، وخصوص خبر الوشّاء يدلّ على حصول الثواب للمعين والعقاب على المعان، وهو مشكل؛ لانّه كان ينبغي بطلان العبادة. والعقاب على المعين أيضاً لإعانته على الإثم، فكان يجب على المأمون إعادة الوضوء، وعلى الامام عليه السَّلام الأمر

---

(١) ارشاد المفيد: ٣١٥.

(٢) تهذيب الاحكام ١: ٣٥٤، ح ٢٠.

(٣) سورة الكهف: ١١١.

(٤) تهذيب الاحكام ١: ٣٦٥.

وإكفاء الاناء بمعنى صبّه.

والجيم في نجساً يجوز كسرها وفتحها.

وعطف إعفاف الفرج على تحصينه تفسيريّ. وعطف ستر العورة عليه من قبيل عطف العامّ على الخاصّ إذ العورة في اللغة كلُّ مايستحيي الإنسان من اطّلاع غيره عليه.

بها، الّا أن يحمل على الكراهة ويكون الغرض من قراءة الآية الإشارة الى المبالغة في المنع لاالحقيقة، ويكون المعين جاهلاً وقصد القربة فيثاب، فيكون هذا دليلاً على كون الجاهل معذوراً، فتأمّل فيه.

قوله: واكفاء الاناء بمعنى صبّه.

في جلّ نسخ التهذيب بل في كلّها «فأكفاه بيده اليسرى على يده اليمنى»[1] وهذه النسخة مع مناسبتها لما دلّ على استحباب غسل اليمنى قبل إدخالها في الاناء مناسبة لمعنى الإكفاء، أي: فقلّب الاناء بيده اليسرى على يده اليمنى.

والشيخ لمّا أرجع الضمير إلى الماء، اختار النسخة الاخرى وتجوّز في معنى الاكفاء، حيث قال: فأكفاه أي صبّه. ولعلّه انّما اختار هذه النسخة لاعتماده عليها، كما سيصرّح به، حيث يقول: وأنا نقلت هذا الحديث من التهذيب من نسخة معتمدة بخطّ والدي، وهي التي قرأها على شيخنا الشهيد الثاني.

ولكن أكثر نسخ التهذيب الذي وصل إلينا هو الأوّل، وفي بعضها كتب في الحاشية اليمنى بدل اليسرى، واليسرى بدل اليمنى، والأكثر والأظهر هو الأوّل.

***

---

(١) تهذيب الاحكام ١: ٥٣.

ولقّني حجتي بالقاف والنون المشدّدتين من التلقين، وهو التفهيم.

ويشمّ بفتح الشين وأصله يشمم كيعلم، وماضيه شمم بالكسر.

والريح الرائحة. والروح بفتح الراء النسيم الطيبة.

والمراد بالخلد براءة الخلد، أي: أعطني صحيفة الأعمال بيميني، وبراءة خلودي في الجنّة بيساري، وله تفسيرات أُخر أوردتها في شرح الحديث الخامس من كتاب الأربعين.

والمقطّعات بالقاف والطاء المهملة المفتوحة الثياب التي تقطع، كالقميص

قوله: ولقّني.

لقّن بالقاف المشدّدة والنون الساكنة أمر من تلقّن، فلمّا لحقته ياء المتكلّم أتى بنون الوقاية إلتق آخره عن الكسرة المختصّة بالاسم، فاجتمعت النونان، فأُدغمت الاولى في الثانية.

قوله: والمقطّعات.

في نهاية ابن الأثير: فيه «انّ رجلاً أتاه وعليه مقطّعات له» أي: ثياب قصار لأنّها قطّعت عن بلوغ التمام.

وقيل: المقطّع من الثياب كلّ ما يفصّل ويخاط من قميص وغيره، وما لايقطع كالأُزر والأردية.

ومن الأوّل حديث ابن عبّاس في وقت صلاة الضحى «إذا تقطّعت الظلال» أي: قصرت لأنّها تكون بكرة ممتدّة، فكلّما ارتفعت الشمس قصرت.

ومن الثاني حديث ابن عبّاس في صفة نخل الجنّة «منها مقطّعاتهم وحللهم» ولم يكن يصفها بالقصر لأنّه عيب.

وقيل: المقطّعات لاواحد لها، فلا يقال للجبّة القصيرة مقطّعة، ولا

والجبّة، لا ما لايقطع كالازار والرداء. وبعضهم ضبط المقطّعات بالفاء والظاء المعجمة، من قولهم «أمر فظيع» أي: شديد شنيع، والمنقول هو الأول، ويؤيّده قوله تعالى: «فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ[1]».

للقميص مقطع، وانّما يقال لجملة الثياب القصار مقطّعات واحد ثوب[2] انتهى.

وانّما قصرت ثياب أهل النار وقطّعت دون بلوغ التمام، لتناسب هيئآتهم صورهم في القباحة والشناعة، لأنّ الثياب القصار عن بلوغ التمام عيب تحدث في لابسها قباحة المنظر وكراهة المحضر، وظنّي أنّ هذا الوجه أعذب ممّا أفاده الشيخ في الأربعين كما سيأتي، فتأمّل فيه.

قوله: كالإزار والرداء.

ولعلّ السرّ في كون ثياب أهل النار مقطّعات كونها أشدّ اشتمالاً على البدن، فالعذاب بها أشدّ، كذا أفاد الشيخ ـ قدّس سرّه ـ في الأربعين[3].

وفي تفسير علي بن إبراهيم في ذيل كريمة «فالذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نار»[4] في صحيحة أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السّلام حديث يذكر فيه شدّة عذاب جهنّم ـ نعوذ بالله منه ـ ولو أنّ سربالاً من سرابيل أهل النار علّق بين السماء والأرض لمات أهل الأرض من ريحه ووهجه[5].

---

(١) سورة الحج: ١٩.

(٢) نهاية ابن الأثير ٤: ٨١ ـ ٨٢.

(٣) الأربعين: ٥٨، ح ٥.

(٤) سورة الحج: ١٩.

(٥) تفسير القمي ٢: ٨١.

وغشّني رحمتك: بالمعجمات وتشديد الشين، أي: غطّني بها واجعلها شاملة لي، ونَصب رحمتك بنزع الخافض.

واعلم أنّ بين نسخ الكافي والفقيه والتهذيب اختلافاً يسيراً في بعض ألفاظ هذه الأدعية. والذي أوردته هنا هو ما أورده شيخ الطائفة في التهذيب، ونسخته التي عندي نسخة معتمدة بخطّ والدي طاب ثراه، وقد قرأها على شيخه[١] الشهيد الثاني قدّس الله روحه، وفي آخرها الإجازة بخطّه نوّر الله مرقده.

فصل

وإذا فرغت من الوضوء، فتوجّه إلى المسجد. روى رئيس المحدّثين في الفقيه، عن الصادق عليه السَّلام، أنّه قال: مَن مشى الى المسجد لم يضع رجلاً[٢] على رطب ولا يابس إلّا سبّحت[٣] له الأرض إلى الأرض السابعة[٤].

قوله: بنزع الخافض.

لأنّ غشّني يتعدّى إلى المفعول الثاني بالباء، ولعلّه ضمّن معنى ألبسني، فعدّي بغير باء، وهو أولى من الحمل على النصب بنزع الخافض، لأنّه مع عدم حاجته إلى الإضمار، وتقدير الباء أكثر وروداً وأدقّ مسلكاً منه.

قوله عليه السَّلام: من مشى إلى المسجد إلى آخره.

لأجل الصلاة فيه، أو الذكر، أو الدرس، أو الدعاء، أو لمطلق العبادة، أو

---

(١) شيخنا: خ ل.

(٢) في المصدر: رجليه.

(٣) في المصدر: يسبّح.

(٤) من لايحضره الفقيه ١: ٢٣٣.

وينبغي أن تقول عند خروجك من بيتك:

بِسْمِ اللهِ الَّذي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِيْنِ، وَالَّذي هُوَ يُطْعِمُني وَيَسْقِين، وإذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين، وَالَّذي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِيْنِ، وَالَّذي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّين. رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ، وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ، واجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيم، واغْفِرْ لأَبِي.

فقد روى جمال السالكين في كتاب عدّة الداعي، عن النبيّ صلّى الله

للجلوس فيه مطلقاً. وظاهره يفيد عدم الفرق في حصول ذلك الثواب بين المسجد الأعظم والقبيلة ومسجد السوق.

ومثله في إفادة العموم مافي رواية أُخرى في الفقيه: أن في التوراة مكتوباً: انّ بيوتي في الأرض المساجد، فطوبى لعبد تطهّر في بيته، ثمّ زارني في بيتي، ألا انّ على المزور كرامة الزائر، ألا بشّر المشّائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة[1].

هذا وتسبيح الأرض له: إمّا بلسان المقال، كما هو الظاهر من الحديث، وسيأتي في هذا الكتاب أنّ جمعاً غفيراً من العلماء ذهبوا إلى أنّ للجمادات تسبيحاً لسانيّاً، واحتجّوا عليه بقوله تعالى «وإن من شيء الاّ يسبّح بحمده»[2] أو هو كناية عن حصول الثواب الجزيل والأجر الجميل.

قوله: فقد روى جمال السالكين.

عن ثمرة بن جندب عنه صلّى الله عليه وآله، وثمرة هذا مجهول غير مذكور في الرجال.

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٢٣٩، ح ٧٢٠.
(٢) سورة الاسراء: ٤٤.

عليه وآله وسلّم، أنّه قال: مَن توضّأ ثمّ خرج إلى المسجد، فقال حين يخرج من بيته: «بِسْمِ اللهِ الَّـذي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ» هداه الله إلى الصواب والإيمان.

وإذا قال: «والَّـذي هُوَ يُطْعِمُني وَيَسْقِيـنِ» أطعمه الله من طعـام الجنّة وسقّاه من شرابها.

وإذا قال: «وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ» جعل الله ذلك كفارة لذنوبه.

وإذا قـال: «وَالَّـذي يُمِيتُنِي ثُـمَّ يُحْيِينِ» أماته الله مـيتة الشهداء وأحياه حياة السعداء.

قوله صلّى الله عليه وآله: جعل الله تعالى ذلك كفّارة لذنوبه.

لمّـا كان المرض كفّارة لـذنوب المريض إذا صبر وشكر، حتى ورد انّ حمى يوم كفّارة سيّـئة، جعل هذا القول لتضمّنه اعتقاده بأنّ شفاء الأمراض من الله لامـن الـداوي ودوائه، بـل هما مـن قـبيـل الأسبـاب كفّـارة لـذنوبه صغـائره وكـبائره، كما تفـيده اضافة الجمع إلى الضمير، الّا أن يخصّ بالأوّل، ولا دليل هنا عليه، بل الظاهر هو العموم ولا مانع منه، نظراً إلى كرم الله وجوده، فتأمّل.

قوله صلّى الله عليه وآله: أماته الله تعالى ميتة الشهداء إلى آخره.

تشبيه بلـيغ كزيد أسد، وهو أرفع درجة من التشبيه الصريح مثل كالأسد، إذ يخيّل أنّ زيداً نـفس الأسد لافرق بـينهما، فـكأنّه صـلّى الله علـيه وآله قال: أمـاته الله ميـتة لها غـايـة الشبه بمـيتة الشـهداء، حتّى يظـن أنّها نـفس ميتتهم. وهكذا قوله «وأحياه حياة السعداء».

والميـتة بالـكسر كـالجلسة والـركبة، ويقال: مـات فلان ميتة حسـنة، قاله الجوهري[1].

---

(١) صحاح اللغة ١: ٢٦٧.

وإذا قال: «وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» غفر الله له خطأه[١] كلّه وإن كان أكثر من زبد البحر.

وإذا قال: «رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ» وهب الله له حكماً وعلماً، وألحقه بصالح من مضى وصالح من بقي.

وإذا قال: «وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ» كتب الله له في ورقة بيضاء انّ فلان بن فلان من الصادقين.

وإذا قال: «وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ» أعطاه الله منازل في جنة النعيم.

والذي يقتضيه النظر ويفيده التشبيه البليغ أن يكون وجه الشبه كونه مغفور السيّئآت، مضاعف الحسنات، مستحقاً من الله تعالى لأنواع الكرامات عند موته وعند السؤال في القبر وعند البعث، وكونه حيّاً مرزوقاً عند ربّه، إلى غير ذلك من الكرامات التي أعدّها الله للشهداء.

ولا استبعاد في ذلك إذا كانت تلك الكرامات للشهداء بالأصالة، وله بوسيلة قراءة هذه الآيات عند خروجه من بيته متوجّهاً إلى المسجد.

قوله صلّى الله عليه وآله: وإن كان أكثر إلى آخره.

لحسن ظنّه بالله، وطمعه ورجائه في الله، والله عند حسن ظنّ عبده به، كما ورد في الخبر[٢].

قوله صلّى الله عليه وآله: أعطاه الله تعالى منازل في جنّة النعيم.

الجنّات ثمانية: جنّة عدن، وجنّة نعيم، وجنّة الخلد، وجنّة المأوى، وجنّة

---

(١) في المصدر: خطاياه.

(٢) اصول الكافي ٢: ٧٢، ح٢ و ٣.

وإذا قال: «وَاغْفِرْ لأَبِي» غفر الله لأبويه(١).

وإذا أردت الدخول إلى المسجد، فتعاهد نعليك أوّلاً، وقدّم رجلك اليمنى، وقل:

بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ، وَمِنَ اللهِ وَإِلَى اللهِ، وَخَيْرُ الأَسْماء كُلِّها للهِ. تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لاحَوْلَ وَلاَ قُوَّة إِلَّا بِاللهِ. اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّد، وافتحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَتَوْبَتِكَ، وَأَغْلِقْ عَنِّي أَبْوَابَ مَعْصِيَتِكَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ زُوَّارِكَ وَعُمَّارِ مَسَاجِدِكَ، وَمِمَّنْ يُناجيكَ في

الفردوس، ودارالجلال، ودارالكمال، ودارالسلام، لبنة من ذهب ولبنة من فضّة، حصاها اللؤلؤ والمرجان، هكذا روي عن سيّد العابدين سلام الله عليه.

ثمّ انّ جنّة عدن أعلى الجنان، وهي مقام رسول الله صلّى الله عليه وآله ومستقره،وفيهاشجرة طوبى، وسورها ياقوت أحمر وحصاها اللؤلؤ.

وفي رواية أُخرى: جنّة عدن دار الله التي لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر، لايسكنها غير ثلاثة: النبيّون، والصدّيقون، والشهداء، يقول الله: طوبى لمن دخلك،الحديث.

قوله: واذا أردت الدخول إلى المسجد الى آخره.

في رواية يونس عنهم عليهم السَّلام قال: قال: الفضل في دخول المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى إذا دخلت، وباليسرى إذا خرجت، كذا في الكافي(٢).

وفيه في صحيحة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: إذا دخلت المسجد فصلّ على النبيّ، وإذا خرجت فافعل ذلك(٣).

---

(١) عدّة الداعي: ٢٨٢.

(٢) فروع الكافي ٣: ٣٠٨ - ٣٠٩.

(٣) فروع الكافي ٣: ٣٠٩، ح٢.

اللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَمِنَ الَّذينَ هُمْ في صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ، وادْحَرْ عَنِّي الشَّيْطانَ الرَّجِيمَ وَجُنُودَ إبْليسَ أَجْمَعينَ.

قوله: في صلاتهم خاشعون.

الخشوع في الصلاة خشية القلب، وإلزام البصر موضع السجود، وبالجملة هو حضور القلب وتأثّره وخوفه وطمعه.

ويظهر ذلك بالتوجّه التامّ إلى الصلاة، وإلى الله تعالى، بحيث يظهر أثر البكاء في العين، والاضطراب في القلب، واستعمال الأعضاء الظاهرة على الوجه المندوب، وترك المكروهات، مثل العبث بثيابه وجسده، والالتفات يميناً وشمالاً، بل النظر إلى غير المسجد حال القيام، والتمطّي، والتثأب، والفرقعة، وغير ذلك ممّا بيّن في الفروع وورد في الاصول.

في مجمع البيان عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته، فقال: أما أنّه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه.

ثمّ قال الشيخ: وفي هذا دلالة على أنّ الخشوع في الصلاة يكون بالقلب والجوارح. فأمّا بالقلب، فهو أن يفرغ قلبه بجمع الهمّة لها والاعراض عمّا سواها، فلا يكون فيه غير العبادة والمعبود. وأمّا بالجوارح، فهو غضّ البصر والاقبال عليها وترك الالتفات والعبث(١).

وأُورد عليه: أنّ اقبال الجوارح إلى العبادة ليس له معنى ظاهر؛ لأنّ الاقبال انّما يكون بالقلب.

ويمكن أن يجاب عنه بأنّ اقبال الجوارح عبارة عن النظر إلى موضع السجود

---

(١) مجمع البيان ٤: ٩٩.

فإذا خلعت نعليك، فاخلع اليسرى قبل اليمنى بعكس لبسهما. فإن كانا عربيّين وأمكنك أن لا تنزعهما فلا تنزعهما، فإنّ الصلاة فيهما مستحبة، لكن بشرط طهارتهما.

وقد روى شيخ الطائفة في التهذيب بسند صحيح، عن معاوية بن عمّار، قال: رأيت أبا عبدالله عليه السَّلام يصلي في نعلَيه غير مرّة، ولم أره ينزعهما قطّ[١].

وروي عن عبدالرحمان بن أبي عبدالله، عن أبي عبدالله عليه السَّلام أنّه قال: إذا صليت فصلِّ في نعليك إذا كانت[٢] طاهرة[٣]، فإنه يقال[٤] ذلك من

إلى آخر ماهو المشهور وعدم الالتفات يميناً وشمالاً وعدم العبث، إلى غير ذلك كما سبق إليه الايماء، فتأمّل.

قوله: فان كانا عربيّين.

هكذا في نسختين عندنا، والصواب فان كانتا عربيّتين بالتأنيث فيهما، فانّ النعل مؤنّثة سماعيّة، كما سيصرّح ـ قدّس سرّه ـ به في الحاشية، ويدلّ عليه أيضاً حديث عبدالرحمان الآتي.

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٢٣٣، ح١٢٣.

(٢) لما كانت النعلان لعدم افتراقهما في حكم الشيء الواحد، وكانت النعل مؤنثة بالسماع، أعاد عليه السَّلام إليه الضمير المفرد المؤنّث (منه رحمه الله).

(٣) هذا الحديث صريح في أنّ استحباب الصلاة في النعلين مشروط بكونهما طاهرين، وإن كانت الصلاة في النجس الذي لا تتم فيه جائزة. لكن لا يخفى أنّه يمكن البحث في أن النعلين العربيَّين ممّا لا تتمّ فيه الصلاة وحده، فإن شراكَيهما يعينان على ستر العورة بهما (منه).

(٤) لا يخفى أنه ليس من دأب ائمّتنا عليهم السَّلام أن يقولوا عند بيان الأحكام الشرعية يقال كذا وكذا؛ فإنّ هذه العبارة تشعر بعدم الجزم بالحكم، فلذلك قلت: الظاهر أنّه أراد به إلخ... (منه).

السنّة[1].

وقوله عليه السَّلام «إنه يقال» إلى آخره، الظاهر انّه أراد به أنّك إذا صليت في نعليك عرفت الشيعة أنّ الصلاة فيهما من السنّة وقالوا بذلك، فإنّ هذا الراوي من أعيان أصحاب الصادق عليه السَّلام الموثوق بأقوالهم وأفعالهم.

ثمّ أذّن، فإنّ أذان الصبح من المتحتّمات، حتّى أنّ السيّد المرتضى -رضي الله عنه- قال بوجوبه على الرجال، ووافقه ابن أبي عقيل وزاد عليه بطلان الصلاة بتركه عمداً.

قوله: فانّ هذا الراوي من أعيان أصحاب الصادق عليه السَّلام.

عبدالرحمان بن أبي عبدالله البصري وإن وثّقه النجاشي[2] في ترجمة إسماعيل بن همام، الاّ أنّه لايظهر منه ولا من غيره أنّه من أعيان أصحابه عليه السَّلام، وعلى تقدير كونه كذلك فليس فعله حجّة، ولا يدلّ على أنّه من السنّة، لجواز أن يكون من الكراهة؛ إذ الكراهة لا تنافي العدالة، فكيف يستدلّ به الشيعة على ذلك ؟!

وبالجملة المقرّر عندهم أنّ فعل المعصوم حجّة، وينقسم: إلى الواجب والمندوب والمباح لعدم المعصية. وأمّا فعل غيره، فلا دلالة فيه على شيء من ذلك ، لجواز أن يكون مكروهاً أو محرّماً.

والأولى أن يقال: ذلك من السنّة معناه يسمّى ذلك ويعدّ من سنن الصلاة، كما في قوله تعالى «يقال له إبراهيم»[3] ولا اشعار فيه بعدم الجزم بالحكم المحوج إلى هذا التكلّف، فتأمّل.

---

(١) تهذيب الأحكام ١: ٢٣٣، ح١٢٧.

(٢) رجال النجاشي: ٣٠.

(٣) سورة الأنبياء: ٦٠.

وصورة الأذان: الله أكبر أربعاً، وكلّ من الشهادتين، وحيَّ على الصلاة، وحيَّ على الفلاح، وحيَّ على خير العمل، والله أكبر، ولا إله إلَّا الله مرّتين. ولتكن في حال الأذان قائماً، مستقبلاً، رافعاً صوتك، متأنّياً، واضعاً إصبعيك

قوله: الله أكبر أربعاً.

وفي صحيحة ابن سنان عن أبي عبدالله عليه السَّلام الله أكبر مرّتين(١).

وفي رواية زرارة والفضيل مثله(٢).

ويجوز في السفر ووقت العذر نقص الأذان والاقامة بافراد فصولها، لصحيحة أبي عبيدة الحذّاء، قال: رأيت أباجعفر عليه السَّلام يكبّر واحدة واحدة في الأذان، فقلت له: لِمَ تكبّر واحدة واحدة؟ فقال: لابأس به إذا كان مستعجلاً(٣).

وفي رواية أُخرى: الأذان يقصّر في السفر، كما تقصّر الصلاة، الأذان واحداً واحداً، والاقامة واحدة واحدة(٤).

قوله: ولتكن في حال الأذان قائماً مستقبلاً.

ويتأكّد الاستقبال في الشهادتين، لصحيحة محمّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السَّلام وقد سأله عن الرجل يؤذّن وهو يمشي، قال: نعم إذا كان التشهّد مستقبل القبلة فلابأس(٥).

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٥٩، ح٢.

(٢) تهذيب الاحكام ٢: ٦٠، ح٣.

(٣) تهذيب الاحكام ٢: ٦٢، ح٩.

(٤) تهذيب الاحكام ٢: ٦٢، ح١٢.

(٥) تهذيب الاحكام ٢: ٥٦، ح٣٦.

في أُذنيك، واقفاً على الفصول الثمانية عشر، غير ملتفت يميناً وشمالاً، ولا متكلم في أثنائه.

وصلِّ على النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلّم عند ذكره، فقد روى رئيس المحدّثين في الفقيه بسند صحيح عن أبي جعفر عليه السَّلام، أنّه قال: صلِّ على النبيِّ وآله صلَّى الله عليه وآله وسلّم كلَّما ذكرته، أو ذكره ذاكرٌ عندك في أذان وغيره[1].

ولا يخفى أنّ ظاهر هذا الحديث يدلّ على وجوب الصلاة عليه صلَّى الله

قوله: غير ملتفت يميناً وشمالاً.

الالتفات يميناً وشمالاً مكروه، على المنارة كان أم على الأرض.

قوله: ولا متكلّم.

في صحيحة عمرو بن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السَّلام أيتكلّم الرجل في الأذان؟ قال: لا بأس، قلت: في الاقامة؟ قال: لا[2].

وهو محمول على الكراهة، لصحيحة حمّاد بن عثمان عنه عليه السَّلام عن الرجل أيتكلّم بعدما يقيم الصلاة؟ قال: نعم[3]. وتتأكد الكراهة بعد «قد قامت الصلاة». وقيل بتحريمه.

قوله: انّ ظاهر هذا الحديث.

كون ظواهر الأوامر الواردة في كلامهم عليهم السَّلام للوجوب غير ظاهر،

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٨٤.

(٢) تهذيب الاحكام ٢: ٥٤، ح٢٢.

(٣) تهذيب الاحكام ٢: ٥٥، ح٢٧.

عليه وآله على كلّ ذاكرٍ وسامعٍ كلّما ذكره أو سمع ذكره. وذهب بعض العامّة إلى وجوبها في العمر مرّة، وبعضهم الى وجوبها في كلّ مجلس مرّة، وبعضهم إلى وجوبها كلّما ذُكر، وهو مذهب رئيس المحدّثين قدّس الله روحه.

لشيوع استعمالها في الندب، حتّى قيل: انّها صارت حقيقة عرفيّة فيه ومجازاً في الوجوب. وكون الأصل في الأمر الوجوب لو سلّم ذلك في الأوامر القرآنيّة، فلا نسلّم في غيرها، فما ذكره مجرّد دعوى بلا دليل.

قوله: وبعضهم إلى وجوبها كلّما ذكر.

ظاهر كثير من الأخبار، كقوله صلّى الله عليه وآله: من ذكرت عنده فنسي الصلاة عليّ خطئ به طريق الجنّة[1]. وجوب الصلاة عليه عند ذكره، على الذاكر والمذكور عنده، لمكان الوعيد الدالّ عليه.

وهو مختار الصدوق والمقداد من أصحابنا، والطحاوي من العامّة. وقال الزمخشري: وهو الذي يقتضيه الاحتياط[2].

والقول بوجوبها في كلّ مجلس مرّة، أو في مدّة العمر مرّة، ممّا لا مستند له، فالقول به تحكّم، والأحوط وجوبها عند كلّ ذكر، للأخبار الكثيرة الصريحة بالأمر بها كلّما ذكر، والأصل في الأمر الوجوب.

وأمّا القول بالاستحباب مطلقاً، كما ذهب إليه جماعة، مستدلّين عليه بالأصل والشهرة، المستندين إلى عدم تعليمه صلّى الله عليه وآله للمؤذّنين. وتركهم ذلك مع عدم وقوع نكير عليهم، كما يفعلونه الآن، ولو كان لنقل.

---

(١) كنز العمال ١: ٤٩١.

(٢) الكشاف ٣: ٢٧٣.

وأمّا ما ذهب إليه من عدم وجوب الصلاة على النبيّ وآله صلّى الله عليه وآله وسلّم في التشهّد الأوّل في الصلاة، فلا يريد به عدم وجوبها من هذه الجهة، بل من حيث كونها جزء من الصلاة، فلا تنافي بين كلامَيه أعلى الله درجته، وقد وافقه صاحب كنز العرفان[١] على الوجوب كلّما ذُكر، وهو الأصحّ.

ففيه أنّ عدم التعليم ممنوع، وكذا عدم النكير كعدم النقل.

لما في الكافي عن الباقر عليه السَّلام: إذا أذّنت فافصح بالألف والهاء، وصلّ على النبيّ صلّى الله عليه وآله كلّما ذكرته، أو ذكره ذاكر في أذان أو غيره[٢].

على أنّ عدم النقل لايدلّ على عدمه، وأصالة البراءة لايصحّ التمسّك بها، بعد ورود القرآن والأخبار.

قيل: والظاهر من بعض الأخبار، كقول الصادق عليه السَّلام «إذا ذكر النبي فأكثروا الصلاة عليه»[٣] حيث رتّب الأمر بالصلاة على الذكر بالفاء التعقيبيّة هو ايقاعها على الفور، فلو أهمل الفور أثم على القول بالوجوب ولم يسقط.

وفيه أنّ الفاء التعقيبيّة هي العاطفة، وأمّا الداخلة على جزاء الشرط، فقد نصّوا على عدم إفادتها التعقيب. فهذا الحديث لايدلّ على وجوب ايقاعها على الفور.

هذا والظاهر أنّ الأمر بها عامّ لكلّ أحد وعلى كلّ حالة، حتّى في الصلاة،

---

(١) يعني المقداد (منه) كنز العرفان ١: ١٤٠.

(٢) فروع الكافي ٣: ٣٠٣، ح٧.

(٣) اصول الكافي ٢: ٤٩٢، ح٦.

وقد يستدلّ على ذلك بقوله تعالى: «لاَ تَجْعَلُوا دُعاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاء بَعْضِكُمْ بَعْضاً»(١).

وبما روي عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: من ذكرت عنده، فلم يصلِّ عليَّ فدخل النار فأبعده الله(٢).

وبما روي أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم سئل عن قول الله تعالى: «إنَّ اللهَ وَمَلائكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً» فقال: هذا من العلم المكنون، ولو لا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به، إنّ الله

فلو ترك الامتثال واشتغل بالقراءة فيها، هل تبطل على تقدير الوجوب أم لا؟ فان قلنا إنّ الأمر بالشيء نهي عن ضدّه الخاصّ، والنهي في العبادة يقتضي الفساد بطلت، وإن قلنا بعدمه فلا.

فلو تكرّر الذكر تكراراً كثيراً، بحيث يخرج بالاشتغال بالصلاة عليه عن كونه مصلّياً، لايبعد القول بسقوط التكليف بها، لأنّ الفعلين إذا تضيّقا وتعذّر الجمع بينهما، علمنا أنّ أحدهما ليس بواجب قطعاً، ولمّا كان مشتغلاً بالصلاة، ووجب اتمامها والاستمرار فيها، كان ما ينافيه غير مأمور به، فليتأمّل.

قوله: وقد يستدل على ذلك بقوله تعالى «ولا تجعلوا دعاء الرسول» إلى آخره.

لا دلالة عليه؛ لأنّ معناه لا تدعوه كما يدعو بعضكم بعضاً باسمه وكنيته، بل دعوه بألقابه، فقولوا يانبيّ الله، يارسول الله، لأنّه أقرب إلى التعظيم، وأدخل في التفخيم.

---

(١) سورة النور: ٦٣.

(٢) كنز العرفان ١:١٣٣.

وكّل بي[١] ملكين، فلا أُذكر عنـد مسلم فيصلّي عليّ إلّا قال له ذلك الملكان: غفرالله لك، وقال الله وملائكته آمين. ولا أُذكر عند[٢] مسلم ولم[٣] يصلّ عليّ إلّا قال له الملكان: لا غفر الله لك، وقال الله وملائكته آمين[٤].

ولا يخفى أنّ ظاهر قول الباقر عليه السّلام في الحديث الأوّل «كلّما ذكرته أو ذكَره ذاكر» يقتضي وجوب الصلاة[٥].

كما يدلّ عليه ما في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السّلام قال: يقول: لا تقولوا يامحمّد يا أباالقاسم، لكن قولوا يانبيّ الله يارسول الله[٦].

وما في مناقب ابن شهراشوب عن الصادق عليه السّلام قالت فاطمة عليها السّلام: لمّا نزلت هذه الآية هبت رسول الله صلّى الله عليه وآله أن أقول له ياأبه، فكنت أقول يارسول الله، فأعرض عنّي مرّة أو ثنتين أو ثلاثاً، ثمّ أقبل عليّ فقال: يافاطمة انّها لم تنزل فيك ولا في أهلك ولا في نسلك، أنت منّي وأنا منك، انّما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش أصحاب البذخ والكبر، قولي ياأبه، فانّها أحيى للقلب، وأرضى للربّ[٧].

قوله: آمين.

آمين اسم فعل معناه اللهمّ استجب أي: هذا الدعاء، يعني اغفر له، فقوله

---

(١) لي: خ ل.

(٢) كل: خ.

(٣) فلا: خ ل.

(٤) كنز العرفان ١:١٣٣.

(٥) عليه: خ.

(٦) تفسير القمي ٢: ١١٠.

(٧) نور الثقلين ٣: ٦٢٨ ـ ٦٢٩ عن المناقب.

سواء ذكر صلّى الله عليـه وآله وسلّم باسمه أو بلقبه أو بكنيته.

ويمكـن أن يكـون ذكرُه صلّى الله عليه وآلـه وسلّم بـالضمير الـراجع إليه صلوات الله عليه وآله. كذلك ولم أظفرِ في كلام علمائنا قدّس الله أرواحهم في ذلك بشيء، والاحتياط يقتضي ما قلناه من العموم.

واعلم أنّ الأظهر تأدية القدر الواجب بقولنا: «اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ».

وأمّا ما رُوي أنّه لما نزلت تلك الآية، قيل: يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إبْراهيمَ وَآل إبْراهيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآل مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْراهيمَ وَآلِ إبْراهيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجيدٌ[1].

تعالى عقيب هذا الدعاء «آمين» لعلّ معناه أجبته وغفرت له، فتأمّل.

قوله: سواء ذكر صلّى الله عليه وآله باسمه إلى آخره.

غاية مايقتضيه هذا الحديث بظاهره وجوب الصلاة عليه إذا ذكر باسمه؛ لأنّ المذكور في الأذان أصالة هو ذلك، فهذا قرينة على أنّ المراد بذكره الموجب لوجوب الصلاة عليه هو ذكره باسمه، ولعلّه لذلك لم يعمّمه علماؤنا، بل اقتصر من قال منهم بالوجوب على ذكر اسمه.

وأمّا حديث الاحتياط، فليس هنا موضعه، لأنّه انّما شرع فيما ثبت وجوبه،

---

(١) مجمع البيان ٤: ٣٦٩.

فالظاهر أنّ المراد به بيان أفضل كيفيّات الصلاة عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم. وينبغي إذا قلت ذلك أن تلاحظ أنّه صلّى الله عليه وآله من جملة آل إبراهيم، فالصلاة عليه حاصلة أوّلاً في ضمن الصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم، ويكون الغرض من التشبيه أن يختصّ نبيّنا وآله صلوات الله عليهم بصلاةٍ أُخرى على حدة، مماثلة للصلاة التي عمّتهم مع غيرهم، لئلّا يلزم خلاف القاعدة المقرّرة بين البلغاء، من أنّه لابدّ من كون المشبَّه به أقوى من المشبَّه،

كما قالوا في احدى الصلوات المنسيّة الغير المعيّنة، أو كان ثبوت الوجوب هو الأصل، كما في صوم ثلاثين من شهر رمضان اذا غمّ الهلال؛ إذ الأصل بقاء شهر رمضان.

وأمّا ما لا وجوب فيه ولا أصل، فلا يجب فيه احتياط، والصلاة عليه بذكره باللقب والكنية والضمير ممّا لم يثبت وجوبه، وليس ثبوته هو الأصل، بل الأصل عدم الوجوب إلى أن يثبت الوجوب ولم يثبت بعد، فالاحتياط هنا لايصلح دليلاً، بل هو محتاج إلى الدليل.

على أنّه صلّى الله عليه وآله مذكور في كثير من الأدعية المأثورة والأخبار المنقولة عن ذرّيّته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين باسمه وكنيته ولقبه من دون اتّباعه بالصلاة عليه، وبعيد من دأب الرواة أن يرووا أصل الأدعية والأخبار ويتركوا الصلاة عليه المسموعة من المعصوم عليه السّلام الواجبة عليهم عند ذكره.

وما ذكرناه يعلم في مواضع من الصحيفة السجّاديّة، منها: قول أبي عبدالله عليه السّلام وهو مذكور قبل الشروع في الأدعية في مقام بيان السند: أخبر الله نبيّه بما يلقى أهل بيت محمّد وأهل مودّتهم وشيعتهم منهم، أي: من بني أُميّة إلى قوله: ونعمة الله محمّد وأهل بيته،الحديث، وله نظائر.

فإنّ نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم أفضل من إبراهيم عليه السَّلام.

وبتلك الملاحظة ينطبق الكلام على تلك القاعدة أنّه لا ريب أنّ الصلاة العامّة للكلّ من حيث العموم أقوى من الخاصّة بالبعض.

وقد يوجّه هذا التشبيه تارة بأنّ الصلاة على إبراهيم من حيث الأقدميّة أقوى، وهو كاف في التشبيه. وأُخرى بأنّ المشبَّه إنّما هو الصلاة على الآل وحدهم.

قوله: فان نبيّنا صلّى الله عليه وآله أفضل من إبراهيم عليه السَّلام.

لامنافاة بين أفضليّته على سائر المخلوقات ومساواة الصلاة عليه للصلاة عليهم.

فان قيل: إذا كان أفضل كانت الصلاة عليه كذلك، طلبنا الدليل.

فان قيل: الأفضليّة عبارة عن علوّ الدرجة، وهي لايكون الّا بالرحمة، والصلاة منه تعالى عبارة عنها، فكلّ منهما لازم للآخر وملزوم.

فالجواب: أنّ الرحمة كسبيّة وموهبيّة، ولا يلزم من مساواة الموهبيّة مساواة الكسبيّة أيضاً. ولو سلّم أنّ جميعها موهبيّة، فأيّ مانع من تعدّد أفرادها، ولا يلزم من المساواة في فرد المساواة في الجميع.

مثلاً إذا قلت في الانشاء: إعط زيداً ما أعطيت عمراً، فأيّ مانع من اختصاص زيد بشيء ليس ذلك الشيء لعمرو، وكذا إذا قلت في الخبر: أعطيت زيداً ما أعطيت عمراً، فلا دلالة فيه على أنّك لم تعط زيداً غيره، بل لادلالة فيه على أنّك لم تفضّل زيداً على عمرو في العطاء، فيسقط الاشكال رأساً.

وقيل: انّ التشبيه باعتبار التحقّق والظهور في المشبّه به، ونقل عن الشافعي

....

أنّ التشبيه لأصل الصلاة بأصل الصلاة، لا للقدر بالقدر، كما في قوله تعالى «إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح»[١] وعن الحليمي أنّ سبب هذا التشبيه أنّ الملائكة قالت في بيت إبراهيم «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنّه حميد مجيد»[٢].

وقد علم أنّ محمّداً وآله من آل بيت إبراهيم، فكأنّه قال: أجب الملائكة الذين قالوا ذلك في محمّد وآل محمّد، كما أجبتها عندما قالوها في آل إبراهيم الموجودين حينئذٍ، ولذلك ختم بما ختمت به الآية، وهو قوله «إنّه حميد مجيد».

وقيل: وجه التشبيه كون كلّ من الصلاتين أفضل من السابقين عليه ومنهم إبراهيم عليه السَّلام، كما أنّ الصلاة على إبراهيم أفضل من الصلاة على جميع من سبقه من الأنبياء، فيلزم من التشبيه المذكور كون الصلاة على محمَّد أفضل من الصلاة على إبراهيم عليه السَّلام.

أقول: ويمكن أن يكون وجه التشبيه كون كلّ من الصلاتين عليهما وآلهما جميعاً، يعني كما صلّيت على إبراهيم وآله جميعاً لا على إبراهيم فقط، كذلك صلّ على محمَّد وآله جميعاً لا على محمَّد فقط.

فالغرض الأصلي من هذا التشبيه استدعاء الداعي من الله تعالى أن يصلّي على آل محمَّد وقت صلاته عليه، كما صلّى على آل إبراهيم حين صلاته عليه.

وتشبيه الشيء بالشيء لايلزم أن يكون من كلّ الوجوه، بل يتمّ من وجه واحد، كما في قوله تعالى «إنّ مثل عيسى عندالله كمثل آدم»[٣] يعني من وجه واحد، وهو خلقه بغير[٤] أب، فتأمّل فيه.

---

(١) سورة النساء: ١٦٣.

(٢) سورة هود: ٧٣.

(٣) سورة آل عمران: ٥٩.

(٤) في «ن»: من غير.

ويضعف الأوّل بقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين[١].

والثاني بأنّه خلاف المتبادر إلى الأفهام، كيف؟ وسؤالهم إنّما هو عن كيفيّة الصلاة عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم. وقد يوجّه هذا التشبيه بتوجيهات أُخر، ذكرنا بعضها في بحث التشهّد من كتاب الحبل المتين[٢].

قوله صلّى الله عليه وآله: كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين.

لأنّه كان أبا الأرواح، كما كان آدم أبا الأجساد، فروحه أصل الأرواح، فكما كان آدم أبا البشر وخليفة الله في الأرض كان النبيّ صلّى الله عليه وآله أبا الأرواح وخليفة الله في عالم الأرواح، فالروح خليفته ومجتمع صفاته الذاتيّة، كالعلم والحياة والقدرة والارادة، والجسد خليفة الروح، وهو مجتمع صفاته الفعليّة.

وذلك أنّ الله تعالى لمّا خلق روح النبيّ صلّى الله عليه وآله كان الله ولم يكن معه شيء آخر حتّى ينسبه أو يضاف إليه الروح غير الله، بل كان روحه أوّل ما تعلّقت به القدرة الأزليّة، كما قال: أوّل ماخلق الله روحي.

ولذلك شرّفه بتشريف الاضافة إلى نفسه حيث قال «فاذا سوّيته ونفخت فيه روحي»[٣] بدون «من» ليكون فيه دلالة على أنّ الروح المنفوخ فيه هو بعينه متولّد من روح النبيّ، فالنبيّ الأب الروحاني لأب البشر وسائر الأنبياء، وأبو البشر الأب الجسماني للنبيّ وسائر البشر، كما قال: وإنّي وإن كنت ابن

---

(١) كنز العمال ١١: ٤٠٩، نحوه.

(٢) الحبل المتين: ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٣) سورة الحجر: ٢٩، وص: ٧٢.

توضيح:

لا بأس ببيان ما لعلّه يحتاج إلى البيان في هذا الفصل، فنقول: قد فسّر الحكم في قوله تعالى في سورة الشعراء حكاية عن دعاء إبراهيم على نبيّنا وعليه السّلام: «ربِّ هَبْ لي حُكْماً»[1]. بالحكم بين الناس بالحقّ، فإنّه من أفضل الأعمال. وفسّر أيضاً بالكمال في العلم والعمل، وعلى هذا يكون عطف العلم في الحديث على الحكم من قبيل التجريد وإرادة العمل لا غير.

وفسّر لسان الصدق في الآخرين بتفسيرين: الأوّل الصيت الحسن والذكر

آدم صورة، فلي فيه معنى شاهد بأُبوّتي.

قوله: وفسّر لسان الصدق إلى آخره.

إشارة إلى ما في مجمع البيان، حيث قال: أي ثناء حسناً في آخر الأُمم، وذكراً جميلاً وقبولاً عامّاً في الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة، والعرب تضع اللسان موضع القول على الاستعارة؛ لأنّ القول يكون بها، ويقولون: جاءني لسان فلان، أي: مدحه وذمّه، قال:

انّي أتتني لساناً لا أسرّ بها ... من علوّ لا عجب منها ولا سخر

وقيل: انّ معناه واجعل لي ولد صدق في آخر الأُمم يدعو إلى الله ويقوم بالحقّ وهو محمّد صلّى الله عليه وآله[2] انتهى.

والمراد بالصدق في مثل هذا المقام مطلق الجودة والحسن، لا الصدق في الحديث، وإن كان أصله ذلك؛ لأنّ الصدق في الحديث مستحسن جيّد

---

(١) سورة الشعراء: ٨٣.

(٢) مجمع البيان ٤: ١٩٤.

الجميل بين من يتأخّر عنه من الأمم، وقد استجيب دعاؤه، فإنّ كلّ من تأخّر عنه من الأُمم يحيّونه ويثنون عليه.

والثاني أنّ مراده عليه السّلام اجعل من ذرّيتي صادقاً يجدّد معالم ديني ويدعو الناس إلى مثل ماكنت أدعوهم إليه، وهو نبيُّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وأنت إذا قلت ذلك حال دخولك المسجد، فاقصد بقاء ذكرك الجميل[1] بعد موتك ، أو أن يرزقك الله ولداً صالحاً يدعو الناس إلى أعمال الخير.

وأمّا قوله على نبينا وعليه السّلام: «وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّآلِّينَ»[2]. فقد قال أصحابنا: إنّ المراد عمُّه وهو آزر، والعمّ يسمى أباً، وإلاّ

عندهم حتّى صاروا يستعملونه في مطلق الجودة، فيقال: رجل صدق، وقدم صدق، ومقعد صدق، ومعنى كلّ ذلك جيّد مستحسن.

وقال الرضيّ: والاضافة في نحو رجل صدق للملابسة، وهم كثيراً مايضيفون الموصوف إلى مصدر الصفة، نحو خير السوء، أي الخير السيء.

قوله: انّ المراد عمّه وهو آزر.

الذي كان أبا إبراهيم حقيقة اسمه تارخ، وأمّا آزر فانّما كان جدّه لامّه أو عمّه على الخلاف فيه، ولا شكّ أنّ أهل اللغة يطلقون اسم الأب على العمّ تارة، وعلى الخال أُخرى، لقوله تعالى «ورفع أبو يه»[3] وكان يعقوب وخالته، ماتت أمّه فتزوّجها. وعلى جدّ الأمّ، لأنّه أب أحد الأبوين، ومنه قولهم يابن

---

(١) بالجميل: خ ل.

(٢) سورة الشعراء: ٨٦.

(٣) سورة يوسف: ١٠٠.

فالأنبياء عليهم السَّلام عندنا منزّهون عن وصمة الكفر في آبائهم عليهم السَّلام. ولعلّه عليه الصلاة والسَّلام لم يكن في ذلك الوقت ممنوعاً من الاستغفار للكفّار.

وما تضمّنه دعاء الدخول الى المسجد في قوله: «وَاجْعَلْنِي مِنْ زُوَّارِكَ» أي: من القاصدين لك الملتجئين إليك . وفي قوله: «وَعُمَّارِ مَسَاجِدِكَ» إشارة إلى قوله تعالى في سورة براءة: «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ»[1].

رسول الله للحسنين وسائر الائمّة عليهم السَّلام.

وانّما صرنا إلى ذلك لاجماعنا على أنّ آباء نبيّنا إلى آدم كلّهم مسلمون موحّدون، لقوله: لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهّرات حتّى أخرجني في عالمكم هذا. والكافر غير موصوف بالطهارة، لقوله تعالى «انّما المشركون نجس»[2].

والأقوى أن يستدلّ عليه بقوله «ربّنا اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب»[3] فانّه صريح في أنّ أبويه لم يكونا كافرين؛ لأنّه انّما يسأل المغفرة لهما يوم القيامة. فلو كانا كافرين لما سأل ذلك ، لقوله «فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله تبرّأ منه»[4].

ومن قال: انّه دعا لأبيه، لأنّه كان وعده أن يسلم، فلمّا مات على الكفر تبرّأ منه. فقوله فاسد؛ لأنّ دعاءه هذا كان بعد الكبر، وبعد أن وهب له

---

(١) سورة التوبة: ١٨.

(٢) سورة التوبة: ٢٨.

(٣) سورة إبراهيم: ٤١.

(٤) سورة التوبة: ١١٤.

وقد فسّرت عمارة المساجد في الآية بتفسيرين: الأوّل بناؤها وكنسها، أو فرشها والإسراج فيها. الثاني: إكثار التردّد إليها وشغلها بالعبادة، وإخلاؤها

إسماعيل وإسحاق، وقد تبيّن له وقتئذٍ عداوة أبيه الكافر، لقوله «فلمّا اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً»[١] فلا يجوز أن يقصده بدعائه هذا.

وذهب أبو الصلاح إلى أنّ آباء الأنبياء كلّهم يجب أن يكونوا على التوحيد والاسلام، ولم يفرّق بين نبيّنا وغيره في وجوب تنزيه آبائه عن الشرك بالله.

ويؤيّده قوله صلّى الله عليه وآله في حديث جابر بن عبدالله: انّ الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمة الله جلّ ثناؤه، ويودّع الله أنوارهم أصلاباً طيّبة وأرحاماً طاهرة، يحفظها بملائكته، ويربّيها بحكمته، ويغذوها بعلمه، الحديث[٢].

وهو كما يدلّ على اسلام آباء الأنبياء وتوحيدهم، كذلك يدلّ على اسلام آباء الأوصياء وتوحيدهم. وظاهر شيخنا ـ قدّس سرّه ـ أنّه يذهب مذهب أبي الصلاح، ولكن قوله «عندنا» يدلّ على أنّ ذلك أيضاً إجماعيّ، وليس كذلك.

قوله: وقد فسّرت عمارة المساجد إلى آخره.

قيل: المراد بالتعمير رمّ المساجد باصلاح مايستهدم وتزيينها، وإزالة ماتكره النفس منه مثل كنسها، فانّه روي: من كنس مسجداً يوم الخميس وليلة الجمعة، وأخرج منه من التراب مقدار مايذر في العين غفرالله له[٣].

---

(١) سورة مريم: ٤٩.

(٢) من لايحضره الفقيه ٤: ٤١٤، باب النوادر برقم: ٥٩٠١.

(٣) تهذيب الاحكام ٣: ٢٥٤، ح ٢٣.

من الأعمال الدنيويّة والصنائع.

وادحر بالمهملات على وزن اعلم صيغة أمر بمعنى أبعد.

والرجيم بمعنى المطرود، وهو فعيل بمعنى مفعول، وأصله من الرجم بالحجارة.

وقد روي في تفسير الله أكبر أنّ المراد أنّه أكبر من كلّ شيء، أو أكبر من أن يوصف.

وأمّا الاسراج فيها، فقد روي من أسرج في مسجد من مساجد الله سراجاً لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام في ذلك المسجد ضوء من السراج[1].

ويحتمل أن يكون المراد بالتعمير شغلها بالعبادة، مثل الصلاة والدرس والذكر وتلاوة القرآن، وتجنّبها من أعمال الدنيا واللعب واللهو وعمل الصنائع بل الحديث، فانّه روي: أنّ الحديث في المسجد تأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب. قيل: المراد اللهو من الحديث[2].

قوله: أكبر من كلّ شيء.

الله أكبر قيل: معناه الكبير، فوضع أفعل موضع فعيل.

وقيل: معناه الله أكبر من كلّ شيء أي أعظم من كلّ شيء، فحذفت من كلّ شيء لوضوح معناها. وأكبر خبر، والاخبار لاينكر حذفُها.

وقيل: معناه الله أكبر من أن يعرف كنه كبريائه وعظمته.

قوله: أو أكبر من أن يوصف.

أو من أن يدرك بالحواسّ، أو يقاس بالناس، فاذا كبّرت فليكن قلبك

---

(١) تهذيب الاحكام ٣: ٢٦١، ح ٥٣، ومن لايحضره الفقيه: ٢٣٧/١ برقم: ٧١٦.

(٢) جامع الأخبار: ٨٣.

وحيَّ في: «حيَّ على الصلاة» بفتح الياء اسم فعل بمعنى أَقبلْ.

والفلاح بمعنى الفوز بالأُمنية، والظفر بالمطلوب. فمعنى حيَّ على الفلاح أقبلْ على مايوجب الفوز والظفر بالسعادة العظمى في الآخرة. ومعنى حيَّ على خير العمل أقبلْ على عمل هو أفضل الأعمال أعني الصلاة.

مواطئاً للسانك، فان كان في قلبك شيء من الله تعالى، فانّه يشهد أنّك كاذب. وإن كان قولك صادقاً، كما شهد على المنافقين في قولهم «انّ محمَّداً رسول الله».

قال سيّدنا الصادق عليه السَّلام: إذا كبّرت فاستصغر مابين السماوات العلى والثرى دون كبريائه، فانّ الله إذا اطّلع على قلب العبد وهو يكبّر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره، قال: ياكاذب أتخدعني وعزّتي وجلالي لأحرمنّك حلاوة ذكري، ولاحجبنّك عن قربي والمسارّة بمناجاتي[١].

فهذا معيار لصدقك وكذبك في التكبير، فاعتبر قلبك في الصلاة، فان كنت تجد حلاوة مناجاته ولذّة مخاطباته، فهذا دليل على تصديقه لك في تكبيرك له، والاّ فهو دليل على تكذيبه لك وتبعيده ايّاك عن حرم كبريائه وأبواب عزّه وفنائه.

قوله: أعني الصلاة.

أي: الواقعة في أوّل وقتها، كما تدلّ عليه رواية عبدالله بن مسعود أنّه سأل النبيّ صلّى الله عليه وآله عن أفضل الأعمال، فقال: الصلاة في أوّل وقتها[٢]

---

(١) أسرار الصلاة للشهيد الثاني: ١٩١.

(٢) عوالي اللئالي ١: ١١٠.

وقد روى ثقة الاسلام في الكافي -بسند صحيح- عن معاوية بن وهب، قال: سألت أبا عبدالله عليه السَّلام عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى ربّهم، وأحبّ ذلك الى الله عزّوجلّ ما هو؟ فقال: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، الحديث[١].

والمراد بالمعرفة الاعتقادات التي يتحقّق بها الإيمان، فالصلاة بعد الإيمان أفضل من جميع الأعمال النفسيّة والبدنيّة والماليّة، وقد انعقد الإجماع على ذلك.

فهذه مقيّدة وصحيحة معاوية ونحوها مطلقة، والمطلق يحكم عليه المقيّد.

والمراد بالصلاة خصوص اليوميّة، كما ينبّه أيضاً قوله عليه السَّلام «من هذه الصلاة» فانّه إشارة إلى ماهو المتعارف المتكرّر، ويدلّ عليه الأذان والاقامة أيضاً، فانّهما قد اشتملا على حيّ على خير العمل، وهي الصلاة اليوميّة، لعدم مشروعيّتهما في غيرها.

قوله: والبدنيّة.

ليس المراد بالأعمال البدنيّة مايكون بمحض البدن، والاّ يلزم أن لايكون الحجّ والزكاة والصوم والصلاة، على القول بأنّ النيّة جزء منها، وهي من الأعمال القلبيّة من الأعمال البدنيّة، بل المراد بها مايكون للبدن مدخل في حصوله.

وعلى هذا فالايمان إن أُريد به التصديق بالجنان والاقرار باللسان، فهو من الأعمال البدنيّة. وإن أُريد به مجرّد التصديق القلبي بالله ورسوله وبماجاء به، فهو من الأعمال القلبيّة، ولعلّه أظهر.

---

(١) فروع الكافي ٣: ٢٦٤، ح١.

وربّما يشكل الجمع بين أفضليّة الصلاة على بعض الأعمال، كالحج والجهاد مثلاً، وبين قول النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: أفضل الأعمال أحمزها، أي: أكثرها مشقّة؛ فإنّ هذه العبادات أشقّ من الصلاة.

قوله صلّى الله عليه وآله: أفضل الأعمال أحمزها.

يعني: إذا عرض لمكلّف أمران مثلاً كلاهما لله عزّوجلّ، الّا أنّ أحدهما أشدّ على نفسه من الآخر، فأفضلها وأكثرهما ثواباً أشدّهما وأحمزهما عليه، وذلك ممّا يختلف باختلاف الأوقات والأشخاص والدواعي الخارجة والداخلة.

روي عن ابن عبّاس أنّه قال: سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله أيّ الأعمال أفضل؟ قال: أحمزها. أي: أقواها وأشدّها، يقال: رجلٌ حامز الفؤاد وحميزه أي شديده، كذا في نهاية ابن الأثير[١].

والمراد بالأفضل الاكثر ثواباً، والمتتبّع في الأخبار خبير بأنّ ظاهر هذا الخبر ينافيه كثير من الأخبار، مثل ماورد أن أجر البكاء على الحسين سلام الله عليه يكون مساوياً لأجرمائة شهيد، وانّ من كظم غيظاً وهو قادر على انفاذه أعطاه الله أجر شهيد، وانّ صلاة فريضة خير من عشرين حجّة، وأمثال ذلك.

إذ لا شكّ أنّ الشهادة أشدّ وأشقّ على النفس من البكاء وكظم الغيظ بمراتب، وكذا حجّة واحدة فضلاً عن عشرين حجّة أشدّ من صلاة فريضة أي يوميّة، والّا فالحجّ مشتمل على الصلاة أيضاً، كركعتي الطواف ونحوهما.

فلابدّ لهذا الخبر من توجيه، وله وجوه:

الأوّل: تخصيصه بما سوى ذلك المذكور من الصلاة والبكاء وكظم الغيظ وأمثاله، فالمراد أنّ أحمز الأعمال أفضلها الّا ماأخرجه الدليل.

---

(١) نهاية ابن الأثير ١: ٤٤٠.

وقد يقال في دفع الإشكال: إنّ معنى الحديث أنّ كلّ عمل يمكن وقوعه على أنحاءٍ شتّى، فأفضلها أحمزها، كالصوم فإنّ وقوعه في الصيف أحمز منه في الشتاء، وكالوضوء فإنّه بالعكس، وكإخراج الزكاة والصدقات في أيام الغلاء وأيام الرخص إلى غير ذلك. وبهذا يحصل الجمع أيضاً بين هذا الحديث وبين حديث: نية المؤمن خير من عمله[١].

وقد قيل في الجمع بينهما وجوه أُخر، ذكرناها في شرح الحديث السابع والثلاثين من كتاب الأربعين.

فصل

فإذا فرغت من الأذان فافصل بينه وبين الإقامة بسجدة أو جلسة، وقل وأنت ساجد أو جالس:

الثاني: أنّ الشهيد وكلّ فاعل حسنة فأجره مضاعف بعشرة أمثاله، لقوله تعالى «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها»[٢] فلعلّ أجر كاظم الغيظ والباكي ونحوهما مع المضاعفة مثل أجر الشهيد بدونها.

الثالث: مانقله الشيخ ـ قدّس سرّه ـ، وحاصله أنّ كلّ عمل له أفراد مختلفة ايقاع بعضها أحمز على النفس من ايقاع بعض آخر، فالأحمز منها أفضلها، ولذلك كان الحجّ ماشياً أفضل من الحجّ راكباً، وعليه فقس البواقي.

قوله: وقد يقال في دفع الاشكال إلى آخره.

لمّا دلّت الأخبار على أفضليّة الصلاة فيما يوجد في بعضها من تفضيل غيرها

---

(١) عوالي اللئالي ١:٤٠٦، ح٦٧.

(٢) سورة الأنعام: ١٦٠.

اَللَّهُمَّ اجْعَلْ قَلْبي بَارّاً، وَعَيْشي قَارّاً، وَرِزْقِي دَارّاً، وَاجْعَلْ لِي عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ مُسْتَقَرّاً وَقَرَاراً.

ثم تدعو بما شئت وتسأل حاجتك.

فقد روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُردّ.

ثمّ تقوم إلى الإقامة، وفصولها كلّها مَثنى إلاّ التهليل آخرها فإنّه مرة. وتزيد بعد التعميل: قد قامت الصلاة مرّتين، وتأتي بالآداب المذكورة في الأذان، إلاّ التأنّي، ووضع الإصبعين في الأُذنين، ورفع الصوت فليكن فيها أخفض، والطهارة والقيام فيها آكد حتّى أوجبهما المرتضى رضي الله عنه.

عليها، وجب تأويله توفيقاً بينهما، فالمراد بالمفضل عليه في قوله «أفضل الأعمال أحمزها» ماسوى اليوميّة، ونحن قد بسطنا الكلام في هذا المقام في جامع الشتات، وفي تعليقاتنا على أربعين الشيخ قدّس سرّه.

قوله: اللهمّ اجعل قلبي بارّاً.

لم أجد لهذا الدعاء وما شاكله مأخذاً تركن إليه النفس، والظاهر أنّه وماشابهه مأخوذ ممّا في رواية مجهول السند عن جعفر بن محمّد بن يقطين رفعه إليهم قال: يقول الرجل إذا فرغ من الأذان وجلس: اللهم اجعل قلبي بارّاً، ورزقي دارّاً، واجعل لي عند قبر رسول الله صلّى الله عليه وآله قراراً ومستقرّاً[١].

وفي صحيحة سليمان بن جعفر الجعفري قال: سمعته يقول: افرق بين الاذان والاقامة بجلوس أو بركعتين[٢].

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٦٤، ح٢٣.

(٢) تهذيب الاحكام ٢: ٦٤، ح٢٠.

وتقول إذا فرغت من الإقامة وأنت مستقبل القبلة:

اَللَّهُمَّ إِلَيْكَ تَوَجَّهْتُ، وَمَرْضَاتَكَ طَلَبْتُ، وَثَوَابَكَ ابْتَغَيْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وافْتَحْ قَلْبِي لِذِكْرِكَ وَثَبِّتْنِي عَلَى دِينِكَ، وَلاَ تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

وفي صحيحة أحمد بن محمّد قال: قال: القعود بين الأذان والاقامة في الصلوات كلّها إذا لم يكن قبل الاقامة صلاة تصلّيها[١].

وعن الصادق عليه السّلام أنّه قال: كان أمير المؤمنين عليه السّلام يقول لأصحابه: من سجد بين الأذان والاقامة، فقال في سجوده: ربّ لك سجدت خاضعاً خاشعاً ذليلاً، يقول الله: ملائكتي وعزّتي وجلالي لأجعلنّ محبّته في قلوب عبادي المؤمنين وهيبته في قلوب المنافقين[٢].

وعن ابن أبي عمير عن أبيه عن الصادق عليه السّلام قال: رأيته أذّن ثمّ أهوى للسجود ثمّ سجد سجدة بين الأذان والاقامة، فلمّا رفع رأسه قال: يا أبا عمير من فعل مثل فعلي غفرالله له ذنوبه كلّها، وقال: من أذّن ثمّ سجد، فقال: لا إله إلّا أنت ربّي سجدت لك خاضعاً خاشعاً غفرالله له ذنوبه[٣].

قوله: اللهمّ إليك توجّهت إلى آخره.

تقديم المفاعيل بواسطة أو بلا واسطة لقصد الحصر والاشارة إلى الاخلاص.

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٦٤، ح٢١.

(٢) فلاح السائل: ١٥٢.

(٣) فلاح السائل: ١٥٢.

....

وفي قوله «وثوابك ابتغيت» تصريح بأنّ فعل الطاعة والعبادة لأجل الثواب أو دفع العقاب، لا يخرجهما عن حدّ الاخلاص، ولا ينافيه بوجه، خلافاً لأكثر الأصحاب.

بل ادّعى العلّامة في بعض فوائده الاجماع عليه، حيث قال: اتّفقت العدليّة على أنّ من فعل فعلاً لطلب الثواب أو لخوف العقاب، فانّه لايستحقّ بذلك الفعل ثواباً. وفيه نظر كما سنشير إليه.

والحقّ ما أفاده الشهيد الثاني ـ قدّس سرّه ـ في أسرار الصلاة بقوله: وظيفة النيّة العزم على إجابة الله تعالى في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها، والكفّ عن نواقضها ومفسداتها، وإخلاص جميع ذلك لوجه الله تعالى رجاء ثوابه وطلب القربة منه إن عجزت عن مرتبة عبادته، لكونه أهلاً للعبادة التي هي عبادة الأحرار، فاذا فاتتك درجة الأحرار الأبرار، فلا تفتك درجة التجّار، وهو العمل رجاء العوض، فان فاتتك هذه المرتبة فاجلس مع العبيد في مجالستهم ومشاركتهم في مقاصدهم، فانّهم انّما يعملون ويخدمون في الغالب خوفاً من الضرب والعقوبة[1].

وهذا منه ـ رحمه الله ـ صريح في صحّة العبادة إذا أتى بها على هذين الوجهين، وهما أن يطلب بها الثواب، أو يدفع بها العقاب، مع الاشارة إلى أنّ الأولى هو الاتيان بها لكونه تعالى أهلاً لها، بحيث لايخطر بباله سواه، وهو عبادة الأحرار الأبرار.

وعن الصادق عليه السّلام: الناس يعبدون الله على ثلاثة أصناف: صنف منهم يعبدونه رجاء ثوابه، فتلك عبادة الخدّام، وصنف منهم يعبدونه خوفاً من

(١) أسرار الصلاة: ١٩٠.

ولكن قيامك في الصلاة بالوقار والسكينة والخشوع، واضعاً يديك على فخذيك بإزاء ركبتيك، مُفرّجاً بين قدميك بقدر ثلاث أصابع منفرجات إلى شبر، ناظراً إلى موضع سجودك، غير رافع نظرك [١] إلى السماء، محضراً [٢] ببالك أنّها صلاة مودِّع.

ثمّ اقصد أداء صلاة الصبح [٣] الواجبة، امتثالاً لأمر الله تعالى، أو طاعة

ناره، فتلك عبادة العبيد، وصنف منهم يعبدونه حبّاً له، فتلك عبادة الكرام [٤].

قوله: واضعاً يديك على فخذيك.

هذا للرجل، وأمّا المرأة فيستحبّ لها وضع كلّ يد على الثدي المحاذي لها، وكذا التفريق بين القدمين بالقدر المذكور مستحبّ للرجل، وأمّا المرأة فانّ المستحبّ لها جمعهما، لأنّه أستر لها.

قوله: أو طاعة له أو قربة إليه سبحانه.

لا طلباً للثواب أو دفعاً للعقاب، فانّ المشهور بين الأصحاب أنّ قصدهما يخرج العمل عن الاخلاص، وكلّ عمل غير مخلص فهو منهيّ عنه، فيكون فاسداً.

---

(١) بصرك: خ ل.

(٢) مخطراً: خ ل.

(٣) لما كان الباب الأول في مايعمل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس خصّ الكلام بالصبح ولم يقل مثلاً (منه).

(٤) نحوه في نهج البلاغة: ٥١٠، ح ٢٣٧.

لـه، أو قربة إليه سبحـانه، وقارن النيّة بإحدى التكبيرات السبع الافتتاحية،

أمّا الأُولى، فبيّنوه بأنّ من فعل فعلاً ليجلب أو يدفع عنه ضرّاً، فانّه لايستحق به المدح على ذلك، ولا يسمّى من أفاد غيره شيئاً ليستعوض عن فعله جواد، فكذا فاعل الطاعة لأجل الثواب أو دفع العقاب.

وأمّا الثانية، فلأنّ الأمر في قوله تعالى «وما أُمروا الّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين»[١] منحصر في العبادة المخلصة، والأمر بالشيء نهي أو مستلزم للنهي عن الضدّ.

وفيه أنّ الثواب لمّا كان من عندالله، كان مبتغيه مبتغياً لوجهه، فلا يقدح ذلك في الاخلاص. نعم قصد الطاعة والانقياد وكونه تعالى أهلاً للعبادة من غير طمع في الثواب أو دفع العقاب هو الأليق بمقام العبوديّة، وعنه العبارة بعبادة الكرام.

وإليه الاشارة بقوله عليه السَّلام «ماعبدتك خوفاً من نارك ولا شوقاً الى جنّتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».

وأمّا أنّ عبادة التجّار الذين يعبدونه رجاء ثوابه، والعبيد الذين يعبدونه خوفاً من عقابه، خارجة عن حدّ الاخلاص وباطلة، فهي في حيّز المنع؛ لأنّ المراد بالاخلاص هو القربة التي يذكرها أصحابنا في نيّاتهم، وهو ايقاع الطاعات خالصة لله وحده، فتجب العبادة له وتحرم لغيره، كما أشار إليه بقوله: من عمل لي عملاً أشرك فيه غيري تركته لشريكه[٢].

قوله: باحدى التكبيرات السبع الافتتاحية.

انّما جرت السنّة في افتتاح الصلاة بسبع تكبيرات لوجوه:

---

(١) سورة البينة: ٥.

(٢) عوالي اللئالي ١: ٤٠٤.

رافعاً بكلٍّ منها يديك، مستقبلاً بكفّيك القبلة، ضامّاً أصابعك سوى الإبهامين، غير متجاوز بكفّيك أذُنيك، مبتدئاً بالتكبير حال ابتداء الرفع منتهياً بانتهائه.

الأوّل: ماسيأتي من افتتاح رسول الله صلّى الله عليه وآله الصلاة بالتكبير، ومتابعة الحسين عليه السَّلام له[١].

الثاني: مارواه هشام بن الحكم عن الكاظم عليه السَّلام أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله لـمّا أُسري به إلى السماء قطع سبع حجب، فكبّر عند كلّ حجاب تكبيرة، فأوصله الله بذلك منتهى الكرامة[٢].

الثالث: ماذكره الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السَّلام وهو أنّه انّما صارت التكبيرات في أوّل الصلاة سبعاً، لأنّ أصل الصلاة ركعتان واستفتاحها بسبع تكبيرات: تكبيرة الافتتاح، وتكبيرة الركوع، وتكبيرتي السجدتين، وتكبيرة الركوع في الثانية، وتكبيرتي السجدتين، فاذا كبّر الانسان في أوّل صلاته سبع تكبيرات ثمّ نسي شيئاً من تكبيرات الاستفتاح من بعد أو سهى عنها، لم يدخل عليه نقص في صلاته[٣].

قوله: مبتدئاً بالتكبير إلى آخره.

قال الشهيد في الذكرى: والأصح أنّ التكبير يبتدأ به في ابتداء الرفع، وينتهي عند انتهاء الرفع، لا في حال الفراغ مرفوعتين، ولا حال ارسالها، كما قاله بعض الأصحاب[٤].

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٣٠٥، ح٩١٧.
(٢) من لايحضره الفقيه ١: ٣٠٥، ح٩١٨.
(٣) من لايحضره الفقيه ١: ٣٠٥ - ٣٠٦، ح٩١٩.
(٤) الذكرى: ١٧٩.

واعلم أنّ بعض فقهائنا[١] المتأخّرين أطنبوا في أمر النيّة، وطوّلوا زمام الكلام فيها، وليس في أحاديث أئمّتنا سلام الله عليهم شيء من ذلك.

بل المستفاد من تتبّع ما ورد عنهم عليهم السَّلام في بيان الوضوء والصلاة وسائر العبادات التي علّموها شيعتهم سهولة أمر النيّة، وأنّها غنيّة عن البيان، مركوزة في أذهان جميع العقلاء عند صدور أفعالهم الاختيارية عنهم.

ولذلك لم يتعرّض قدماء فقهائنا ـ رضوان الله عليهم ـ للبحث عنها، وإنما خاض فيها جماعة من المتأخّرين، وساقوا الكلام فيها على وجه يوهم تركها من أجزاء متكثّرة، وأوجب ذلك صعوبتها على أكثر الناس، فأدّاهم ذلك الى الوقوع في الوسواس.

وليست النيّة في الحقيقة إلّا القصد، لا يكاد ينفكُّ عنه عاقل عند كلّ فعل، حتّى قال بعض علمائنا: لو كلّفنا الله تعالى بإيقاع الفعل المعيَّن من دون

قوله: مركوزة في أذهان جميع العقلاء.

الذي هو مركوز في الأذهان عند صدور الأفعال الاختيارية هو القصد إلى الفعل والشعور به، لا النيّة الشرعيّة التي هي الفعل لله، فيمكنه[٢] قصد الفعل المأمور به لكن لا لله بل للرياء.

ولعلّهم انّما لم يتعرّضوا للبحث عنها، لأنّه أغناهم التشديد العظيم الواقع في الشريعة في تحريم الرياء وايجاب كون الطاعات لله عن ذكرها بخصوصها، فتأمّل.

---

(١) علمائنا خ ل.

(٢) في «ن»: فيمكن.

النيّة لكان تكليفاً بما لايطاق، وإحضار المنويّ في الذهن بوجه مميّز له عن غيره، وقصد الإتيان به امتثالاً لأمر الله تعالى في غاية السهولة.

قوله: واحضار المنويّ.

كالأداء والقضاء والوجوب، أو الندب والقربة والتعيين من كون الصلاة ظهراً أو عصراً أو غيرهما، فاعتبروا فيها أُموراً أربعة، وذلك يوهم تركّبها منها، وليس كذلك، بل هذه الأمور كلّها مميّزات للفعل المنوي، لا أجزاء للنيّة، لانّها أمر واحد بسيط وهو القصد، وإنّما التركيب في متعلّقه ومعروضه، وهو الصلاة الواجبة، أو المندوبة المؤدّاة آو القضاء.

وملخّص كلام الشيخ قدّس سرّه: أنّ المعتبر في النيّة أن يحضر المكلّف بباله، مثلاً صلاة الظهر الواجبة المؤدّاة ويقصد فعلها لله تعالى، وهذا أمر سهل وتكليف يسير قلّ أن ينفكّ عن ذهن المكلّف عند إرادته الصلاة، وتجشّمه أُمر زائد على ذلك وسواس شيطانيّ، قد أُمرنا بالاستعاذة منه والبعد عنه.

هذا ونقل أنّ العلّامة لمّا سئل عن النيّة التي ينويها، قال في الجواب: العبد يقول في الظهر مثلاً حال قصده أُصلّي فرض الظهر بأن أُوجد النيّة وتكبيرة الاحرام والقراءة وسورة بعدها والركوع والذكر فيه مطمئناً، والرفع منه مطمئناً، والسجود على سبعة أعضاء والذكر فيه مطمئناً، ورفع الرأس والجلوس مطمئناً، والسجود الثاني وُالذكر فيه مطمئناً والرفع منه، وهكذا باقي الركعات.

الّا أنّي أسقط النيّة وتكبيرة الاحرام ومازاد على الحمد في الأخيرتين، وأُزيد التشهدين بعد الثانية والرابعة وأُخافت في الكلّ، هذا في الواجب، وأفعل الندب لندبه أُصلي فرض الظهر أداء لوجوبه قربة إلى الله الله أكبر،انتهى كلامه رفع مقامه.

فإنّ الظهر التي نحن مكلّفون بأدائها في هذا الوقت مثلاً متصوَّرة بهذا الوصف العنواني الذي تمتاز به عن جميع ما عداها من العبادات وغيرها، وقصد إيقاعها امتثالاً للأمر لاصعوبة فيه أصلاً، كما يشهد به الوجدان الصحيح. ومن وجده صعباً، فيسأل[١] الله أن يصلح وجدانه، إنّه على كلّ شيء قدير.

وتأتي بين[٢] التكبيرات السبع بالأدعية الثلاثة التي رواها ثقة الإسلام في الكافي بطريق حسن عن الصادق عليه السّلام، فبعد التكبيرة الثالثة:

اَللّٰهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، لاَ إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.

ومعلوم أنّ المراد أنّ كلّ ذلك منويّ لا على التفصيل بل على الإجمال.

قوله: بطريق حسن.

بل صحيح عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد بن عثمان، عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: إذا افتتحت الصلاة فارفع كفّيك ثم ابسطهما بسطاً، ثمّ كبّر ثلاث تكبيرات، ثمّ قل اللهمّ الدعاء، ثمّ كبرّ تكبيرتين، ثمّ قل لبيّك الدعاء، ثمّ كبّر تكبيرتين، ثمّ تقول: وجّهت وجهي الدعاء[٣].

ويستفاد من هذه الرواية الصحيحة أُمور:

---

(١) فنسأل: خ ل.

(٢) في العبارة تغليب إذ الدعاء الثالث بعدها لا بينها (منه).

(٣) تهذيب الاحكام ٢:٦٧، ح١٢.

لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، والـخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَـيْسَ إِلَيْكَ ، وَالْمَهْدِيُّ

الأوّل: سهولة أمر النيّة، لأنّه عليه السّلام لم يتعرّض لها بوجه، بل اكتفى بمجرّد الافتتاح بالصلاة والابتداء بها، وجعل أوّل واجباتها تكبيرة الاحرام، ايذاناً بأنّ المعتبر في النيّة قصد الفعل المعيّن طاعة لله، وهذا القدر لاينفكّ منه عاقل متوجّه إلى ايقاع العبادة، فلاحاجة إلى ذكره والتعرّض له.

الثاني: رجحان جعل تكبيرة الافتتاح الاولى من هذه التكبيرات لمكان قوله «إذا افتتحت الصلاة» والافتتاح بها انّما يتصوّر بالنيّة، فالتكبيرة الواقعة بعدها لابدّ وأن تكون تكبيرة الاحرام.

الثالث: مقارنة تكبيرة الافتتاح للنية، لوجود الفاء في قوله «فارفع يديك ثم كبر».

الرابع: رفع اليدين بالتكبيرة الافتتاحيّة وغيرها: امّا وجوباً كما في الأوّل، أو استحباباً كما في الثاني[1]، فيكون من باب عموم المجاز فتأمّل.

الخامس: بسط الكفّين، وهما الراحتان في التكبيرات مطلقا بعد رفعهما.

السادس: الاتيان بالأدعية الثلاثة بين التكبيرات السبع. ولا يخفى مافي كلام الشيخ ـ قدّس سرّه ـ من التوسّع، لأنّ الأدعية الثلاثة لا تكون بينها، بل بينها وبعدها، وإليه أشار بقوله «وبعد السابعة وجّهت وجهي».

السابع: وجوب الاستعاذة أو استحبابها قبل الشروع في قراءة فاتحة الكتاب، كما تدلّ عليه تتمّة الرواية وسيأتي الايماء إليه. والظاهر منها اختصاصها بالركعة الأُولى، وستأتي بقيّة الكلام فيها ان شاء الله العزيز.

قوله: والخير في يديك.

قيل: هو شيء من أعمال القلب نورانيّ زائد على الايمان وغيره من

---

(١) في «ن»: كما في غيره.

مَنْ هَدَيْتَ، لاَ مَلْجَأَ مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ، سُبْحانَكَ وَحَنَانَيْكَ، تَبارَكْتَ وَتَعالَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ.

الصفات المرضيّة، يدلّ على ذلك ما في حديث أنس: يخرج من النار من قال لا إله الّا الله وكان في قلبه مايزن مثقال ذرّة من خير[١].

وقيل: هو الوجود ويطلق على غيره بالعرض، وهو: إمّا خير مطلق كوجود العقل، لأنّه خير محض لايشوبه شرّ ونقص، وامّا خير مقيّد، كوجود كلّ من الصفات المرضيّة.

وقيل: هو ما يطلبه ويؤثره كلّ عاقل، وهو ينقسم إلى خير بالذات وخير بالعرض، فالأوّل هو الحقيقي، ومرجعه إلى الوجود البحت، والموجود بما هو موجود، كالعلم والايمان الحقيقيّين، والثاني ماهو وسيلة إلى الأوّل، كالعبادة والزهد.

وقيل: هو مايتشوّقه كلّ أحد بلا مثنويّة، وهو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لأجله، فانّ الكلّ مطلبه بالحقيقة الخير، وإن كان قد يعتقد في الشرّ أنّه خير، فمقصده الخير ويضادّه الشرّ، وهو المحتوي من أجل نفسه والمحتوي غيره من أجله.

والحقّ أنّ الخير كلّيّ يندرج تحته جميع الأعمال الصالحة، كما يدلّ عليه قول أمير المؤمنين عليه السّلام: إفعلوا الخير ولا تحقّروا منه شيئاً، فانّ صغيره كبير وقليله كثير[٢].

ويؤيّده ما في بعض الأخبار[٣]: يخرج منها ـ أي: من جهنّم ـ قوم لم يعملوا

---

(١) كنز العمال ١: ٤٧، برقم: ١٢٦.

(٢) نهج البلاغة: ص ٥٥٠، ح٤٢٢.

(٣) نحوه في كنز العمال ١: ٧٢.

وبعد السابعة سواء كانت تكبيرة الإحرام أوّلا:

وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماوٰاتِ وَالْأَرْضَ، عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ، حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذٰلِكَ اُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ[١].

وفي رواية اُخرى هكذا:

وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماوٰاتِ والأَرْضَ

خيراً قطّ، وهؤلاء الذين ليست معهم إلّا الايمان. ويقابله الشرّ، فيكون كليّاً يندرج تحته جميع الأعمال السيّئة.

قوله: وما أنا من المشركين.

هذا صادق إن كانت عبادتك خالصة لله، وكنت أنت بريئاً من الرياء والسمعة ومن حمد الناس لك في عبادتك، والّا فأنت كاذب في هذا القول، مشرك بالله في عبادتك له غيره.

فانّ الشرك كما يطلق على الجليّ المعروف، كذلك يطلق على الخفيّ المخوف، فلابدّ لك في إخلاصك في عبادة ربّك من البراءة من هذا الشرك، قال الله تعالى «فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً»[٢].

قوله: وجّهت وجهي إلى آخره.

المراد به هنا وجه القلب لا الجارحة المعروفة، لأنّك انّما تتوجّه بها إلى جهة

---

(١) فروع الكافي ٣: ٣١٠ ـ ٣١١. (٢) سورة الكهف: ١١٠.

عَلَى[١] مِلَّةِ إبْرٰاهِيمَ وَدِينِ مُحَمَّدٍ وَمِنْهاجِ عَلِيٍّ حَنِيفاً مُسْلِماً[٢]، من دون إضافة عالم الغيب والشهادة.

القبلة، والله سبحانه لاتحدّه الجهات ولا تحويه الأمكنة حتّى يتوجّه إليه بهذا الوجه.

ومن المعلوم أنّ وجه القلب انّما يتوجّه إلى الله بعد الانصراف عمّا سواه، فانّه بمنزلة المرآة كلّما أقبلت بها إلى شيء انطبع فيها واستدبر غيره، فلا ينطبع فيها، فالصادق في هذا القول من صرف وجه باطنه إلى الله بالانصراف عمّا سواه.

والّا فو كاذب في دعواه خائب عن مدّعاه، بعيد عن رحمة الله، قريب إلى غضبه، نعوذ بالله منه، فالخطر وخيم والخوف عظيم لولا كرم الله وعفوه. وكذا الكلام في سائر المقام، وخاصّة في مخاطبات الله ومكالماته مع غفلة القلب عنه وصرفه إلى غيره.

قوله: على ملّة إبراهيم.

قال الراغب الاصفهاني: الملّة كالدين، وهما اسمان[٣] لما شرع الله لعباده على لسان الأنبياء، ليتوصّلوا بها إلى جوار الله. والفرق بينها وبين الدين، أنّ الملّة لا تضاف الّا إلى النبيّ الذي يستند إليه، نحو «اتّبع ملّة إبراهيم»[٤] ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد أُمّة النبيّ، ولا تستعمل الّا في جملة

---

(١) متعلق بوجّهت وقد يظن تعلقه بفطر وهو وهمٌ (منه).

(٢) الوسائل ٦: ٢٥، ح٣ عن الاحتجاج.

(٣) في المصدر: وهو اسم.

(٤) سورة النحل: ١٢٣.

وقد اتّفق علماؤنا على جواز مقارنة نيّة الصلاة لكلّ واحدة من هذه التكبيرات، فأنت مخيَّر في ذلك، وكلّ تكبيرة قارنت النيّة بها، فاجعلها تكبيرة

الشرائع دون آحادها، فلا يقال للصلاة ملّة الله، كما يقال دين الله وأصل الملّة من أمللت الكتاب[١] انتهى.

ويرد عليه ما في الصحيفة السجاديّة الملقّبة بزبور آل محمَّد صلوات الله تعالى عليهم أجمعين: اللهمّ وثبّت على طاعتك نيّتي -إلى قوله -عليه السَّلام-: وتوفّني على ملّتك وملّة نبيّك محمَّد إذا توفّيتني. حيث أضاف الملّة إلى الله تعالى، الّا أن يقال: المراد أنّها لا تضاف إلى خصوص لفظة الجلالة، وهو عن سياق كلامه بعيد.

وفي نهاية ابن الأثير: الملّة الدين، كملّة الاسلام واليهوديّة والنصرانيّة. وقيل: هي معظم الدين وجملة مايجيء به الرسل[٢].

أقول: فظهر أنّ ماورد في هذا الدعاء من قوله «على ملّة إبراهيم ودين محمَّد صلّى الله عليه وآله» مجرّد تفنّن في العبارة، أُريد بهما[٣] معنى واحد من غير ملاحظة أمر آخر.

أو يقال: انّ الدين لـمّا كان أعم وأشرف باضافته أحياناً إلى الله وإلى آحاد أُمّة النبيّ أيضاً، وكان محمَّد صلّى الله عليه وآله أشرف الموجودات وأتمّ المخلوقات، والمبعوث على كافّة أهل الأرض والسماوات، وكانت ملّته البيضاء أشرف الملل وأعمّها وأتمّها.

---

(١) مفردات الراغب: ٤٧١ - ٤٧٢.

(٢) نهاية ابن الأثير ٤: ٣٦٠.

(٣) في «ن»: به.

الإحرام. وقد رجَّح شيخ الطائفة ـ نوَّر الله مرقده ـ في المصباح[١] جَعْلَها الأخيرة.
والذي يظهر من صحيحة زرارة في افتتاح النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

كان المناسب أن يضاف الدين إليه تشريفاً لمنزلته وإجلالاً لمرتبته، والملّة إلى إبراهيم قضاء لحقّ العبارة، وجرياً في مقام الفصاحة والبلاغة، مع مافيه من التلميح إلى قوله تعالى «ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل»[٢].

أو يقال: الغرض هنا هو الاشعار بأنّ مايجب على هذه الأُمّة بالاضافة إلى ماجاء به خليل الرحمن هو التصديق بجملة ماجاء به اجمالاً من غير حاجة إلى التصديق بآحاد شرائعه تفصيلاً، بخلافه بالنسبة إلى ماجاء به حبيب الرحمن، فانّه يجب على أُمّته أن يصدّقوه تفصيلاً فيا علم تفصيلاً، واجمالاً فيا علم اجمالاً، مع الاقرار باللسان، وهذا هو الايمان عند أكثر الامامية، هذا ماخطر بالبال والله أعلم بحقيقة الحال.

قوله: في المصباح جعلها الأخيرة.

وكذا رجّحها الشهيد الثاني في شرحه[٣] على اللمعة، والأوّل في الذكرى، حيث قال: والأفضل جعلها الأخيرة[٤]. وقال صاحب المدارك: ولا أعرف مأخذه[٥].

قوله: والذي يظهر من صحيحة زرارة إلى آخره.

روى محمّد بن بابويه في الصحيح عن زرارة عن أبي جعفر عليه السّلام أنّه

---

(١) المصباح: ٣٣.
(٢) سورة الحج: ٧٨.
(٣) شرح اللمعة ١:٢٨١.
(٤) الذكرى: ١٧٩.
(٥) مدارك الاحكام ٣:٣٢١.

الصلاة بالتكبير ومتابعة الحسين[١] عليه السَّلام له[٢]. جعلها الأولى، كما ذكرته في المقالة الاثني عشرية، وبسطت الكلام فيه في الحبل المتين.

قال: خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى الصلاة، وقد كان الحسين عليه السَّلام أبطأ عن الكلام، حتّى تخوّفوا أنّه لايتكلّم وأن يكون به خرس، فخرج به حامله على عاتقه وصفّ الناس خلفه، فأقامه على يمينه، فافتتح رسول الله صلّى الله عليه وآله الصلاة، فكبّر الحسين عليه السَّلام فلما سمع رسول الله صلّى الله عليه وآله تكبيره عاد فكبّر وكبّر الحسين عليه السَّلام حتّى كبّر رسول الله صلّى الله عليه وآله سبع تكبيرات وكبّر الحسين، فجرت السنّة بذلك[٣].

أقول: ظاهره يفيد استحباب التوجّه للمصلّي بسبع تكبيرات ولاءً، ولكنّ الكليني روى في الصحيح على ماتقرّر عندنا والحسن على المشهور بابراهيم بن هاشم عن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: إذا افتتحت الصلاة فارفع يديك ثمّ ابسطهما بسطاً، ثمّ كبّر ثلاث تكبيرات، ثمّ قل اللهمّ أنت الملك الحقّ الدعاء. ثمّ كبّر تكبيرتين، ثمّ قل لبيّك الدعاء، ثمّ تكبّر تكبيرتين، ثمّ تقول: وجّهت وجهي الدعاء، ثمّ تعوّذ من الشيطان الرجيم، ثم اقرأ فاتحة

---

(١) عن أبي جعفر عليه السَّلام أنه قال: خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الصلاة وقد كان الحسين عليه السَّلام أبطأ عن الكلام حتى تخوّفوا أن لا يتكلم أو يكون به خرس فخرج عليه السَّلام حامله على عاتقه وصفّ الناس خلفه فأقامه على يمينه فافتتح صلّى الله عليه وآله وسلّم الصلاة فكبّر الحسين عليه السَّلام فلمّا سمع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تكبيره عاد فكبّر الحسين حتى كبّر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سبع تكبيرات فكبّر الحسين عليه السَّلام فجرت السنّة بذلك (منه).

(٢) من لايحضره الفقيه ١:٣٠٥.

(٣) من لا يحضره الفقيه ١:٣٠٥، ح ٩١٧.

ثمّ تأتي بالاستعاذة بعد فراغك من الدعاء الثالث، فتقول:
أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ.

الكتاب[١].

وكلام الشيخ ـ قدّس سرّه ـ ينظر إلى هذا، كما أومأ اليه آنفاً.

قوله: فتقول أعوذ بالله السميع العليم إلى آخره.

في صورة الاستعاذة خلاف، والمرويّ عن ابن مسعود أنّه قال: قرأت على رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقلت: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبرئيل عن القلم عن اللوح المحفوظ[٢].

وعن أبي سعيد الخدري أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله كان يقول قبل القراءة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وفي الذكرى: وصورة الاستعاذة مارواه الخدري. وروى البزنطي عن معاوية عن الصادق عليه السّلام أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. واختاره المفيد في المقنعة. وقال ابن البرّاج تقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم إنّ الله هو السميع العليم[٣] ولعلّه تمسّك في ذلك بموثّقة سماعة قال: سألته عن الرجل يقوم في الصلاة فينسى فاتحة الكتاب، قال: فليقل أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم انّ الله هو السميع العليم، ثمّ ليقرأها مادام لم يركع، فانّه لاقراءة حتّى يبدأ بها في جهر أو اخفات[٤].

---

(١) فروع الكافي ٣: ٣١٠ ـ ٣١١.
(٢) زبدة البيان: ٩٢.
(٣) الذكرى: ٦٩١.
(٤) تهذيب الاحكام ٢: ١٤٧، ح٣٢.

والاستعاذة عندنا مختصّة بالركعة الأولى لا غير، وتُخافت[١] بها، ثمّ اقرأ الحمد مرتّلاً، واجهر بها مراعياً للوقوف[٢] في مواضعه، محضراً قلبك، متدبّراً معانيها، وتسكت بعدها بقدر نفَس.

ثمّ اقرأ سورة كذلك، ولتكن سورة النبأ، أو الغاشية، أو القيامة، أو الدهر، وما شابهها في الطول، كما رواه شيخ الطائفة في التهذيب ـ بسند صحيح ـ عن أبي عبدالله عليه السَّلام[٣]. وتسكت بعدها كما سكتّ[٤] قبلها.

وأمّا استحباب الإسرار بالاستعاذة في الصلاة ولو في الجهريّة، فعليه أكثر الأصحاب، ونقل الشيخ فيه الاجماع منّا، ولا يحضرني الآن فيه رواية.

وفي التهذيب في حسنة حنان بن سدير، قال: صلّيت خلف أبي عبدالله عليه السَّلام فتعوّذ باجهار، ثمّ جهر ببسم الله الرحمن الرحيم[٥]. ولعلّهم حملوها على الجواز والله يعلم.

قوله: والاستعاذة عندنا مختصّة بالركعة الأُولى.

ظاهر قوله تعالى «فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم»[٦] يفيد وجوب الاستعاذة أو استحبابها عند قراءة القرآن مطلقاً، حتّى أنّه لو قطعها في الأثناء بكلمة غير القرآن ثمّ أراد قراءته، فعليه أن يستعيذ ثمّ يقرأ، فيلزم

---

(١) والذي ورد في الأثر من جهر الصادق عليه السَّلام بها محمول على الجواز (من إفاداته رحمه الله).

(٢) للوقف: خ ل.

(٣) تهذيب الاحكام ٢:٩٥.

(٤) تسكت: خ ل.

(٥) تهذيب الاحكام ٢:٢٨٩، ح١٤.

(٦) سورة النحل: ٩٨.

ثمّ ترفع يديك كرفعك في السبع، وتقول: الله أكبر، ثمّ اركع واضعاً يمناك على ركبتك اليمنى قبل يسراك على اليسرى، مالياً كفّيك بركبتيك ، مُلقّماً لهما بأطراف أصابعك ، رادّاً لهما إلى خلف، مسوّياً ظهرك ، مادّاً عنقك ، مغمضاً

وجوبها أو استحبابها في كلّ ركعة يقرأ فيها.

ولكنّ الظاهر أنّه لم يذهب إليه أحد من علمائنا، فكأنّهم حملوها على الاستحباب دائماً. وانّما أخرجوا منه غير الركعة الأُولى من سائر الركعات، للاجماع والأخبار، فانّها أيضاً ظاهرة في الاستحباب في الركعة الأُولى فقط.

وقال البيضاوي: والجمهور على أنّه للاستحباب، وفيه دليل على أنّ المصلّي يستعيذ في كلّ ركعة، لأنّ الحكم المرتّب على شرط يتكرّر بتكرّره قياساً.

وهذا جيّد لو كان مراده بالقياس هو القاعدة، كما يقال وقد يحذف كذا قياساً، وحذف حرف الجرّ من «أن» قياس. وأمّا إذا كان مراده به هو القياس الفقهي المحتاج إلى الأصل والعلّة، فلا لعدم ظهورهما هنا ولبطلانه، فالتكرّر والعموم ليس للقياس، بل للعموم العرفي المفهوم من مثل هذه العبارة عرفاً، كما في قوله تعالى «وإذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا»[1] الآية.

قوله: ثم اركع واضعاً يمناك إلى آخره.

أكثر ذلك بل كلّه يدلّ عليه صحيحة حمّاد[2] في الصلاة التعليميّة، ونحن قد بسطنا الكلام فيه في تعليقاتنا على الأربعين، فليطلب من هناك .

---

(١) سورة المائدة: ٦.

(٢) تهذيب الاحكام ٢: ٨١.

عينيك، أو ناظراً[١] إلى ما بين قدميك، ثمّ تقول ما رواه ثقة الإسلام في الكافي ـ بسند صحيح ـ عن الصادق عليه السّلام:

اَللّٰهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَأَنْتَ رَبِّي. خَشَعَ لَكَ قَلْبِي وَسَمْعِي وَبَصَرِي وَشَعْرِي وَبَشَرِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَمُخِّي وَعَصَبِي وَعِظَامِي وَمَا أَقَلَّتْهُ قَدَمايَ، غَيْرَ مُسْتَنْكِفٍ وَلاَ مُسْتَكْبِرٍ وَلاَ مُسْتَحْسِرٍ[٢]. ثمّ تقول:

سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ.

وليكن سبعاً، أو خمساً، أو ثلاثاً، ثم انتصب وتقول:

سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ.

ثمّ تكبّر واهوِ للسجود بخضوع وخشوع، متلقّياً للأرض بكفّيك قبل ركبتيك، وتجنح في سجودك بيديك، باسطاً كفّيك مضمومَتي الأصابع حيال منكبيك ووجهك، غير واضع شيئاً من جسدك على شيء منه، مُمكّناً جبهتك

قوله: أو ناظراً الى مابين قدميك.

المشهور بين الأصحاب استحباب نظر المصلّي حال ركوعه إلى مابين قدميه، كما يدلّ عليه خبر زرارة[٣]، وخبر حمّاد[٤] يدلّ على استحباب تغميضه عينيه حال ركوعه، والشيخ في النهاية[٥] عمل بالخبرين جميعاً، وجعل التغميض أفضل من النظر إلى مابين الرجلين. والمحقّق في المعتبر[٦] عمل بخبر حمّاد،

---

(١) كما يوجد في العبارات الواجبة التخييري كذلك يوجد في المستحب التخييري (منه).

(٢) فروع الكافي ٣: ٣١٩.

(٣) فروع الكافي ٣: ٣٣٤، ح١.

(٤) تهذيب الاحكام ٢: ٨١.

(٥) النهاية: ٧١.

(٦) المعتبر ٢: ٢٤٦.

من الأَرض، وأفضلها التربة الحُسينية على صاحبها أفضلُ الصلاة والسَّلام، جاعلاً أنفك ثامن مساجدك السبعة، مُرغماً به، ناظراً إلى طرَفه، ثمّ تقول ماروواه ثقة الإسلام في الكافي أيضاً ـ بسند حسن ـ عنه عليه السَّلام:
اَللّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ،

والشهيد في الذكرى[١] جمع بين الخبرين، بأنّ الناظر إلى مابين قدميه يقرب صورته من صورة المغمّض. وهو جمع بعيد مأخوذ من كلام الشيخ.

قال الفاضل الأردبيلي في آيات أحكامه بعد الاشارة إلى روايتي حمّاد وزرارة: حمل الشيخ الاولى على الثانية بأنّه إذا لم ينظر الّا إلى مابين رجليه فكأنّه غضّ بصره. ثمّ قال: ويحتمل العمل بهما، فيكون كلّ واحد من الغضّ والنظر مستحبّاً تخييريّاً[٢].

وإليه أشار الشيخ بقوله «مغمّضاً عينيك أو ناظراً إلى مابين قدميك» ومنه يعلم أنّه يوجد في المستحبّات المستحبّ التخييري، كما يوجد في الواجبات الواجب التخييري. وإلى مثل ذلك أشار الشيخ ـ قدّس سرّه ـ في الحاشية المتعلّقة بقراءة السورة والتخيير بينها، فلا تغفل.

قوله: وأفضلها التربة الحسينيّة.

في الفقيه: قال يعني الصادق عليه السَّلام: السجود على طين قبر الحسين عليه السَّلام ينوّر إلى الارضين السابعة[٣].

وفي مصباح المتهجّد: وسئل عن السجدة على لوح من طين القبر هل فيه

---

(١) الذكرى: ١٩٨.

(٢) زبدة البيان: ٥٣.

(٣) من لايحضره الفقيه ١: ٢٦٨، ح٨٢٩.

وأَنْتَ رَبِّي ، سَجَدَ وَجْهي لِلَّذي خَلَقَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرهُ، الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ تَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.

ثم قل: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ وَبِحَمْدِهِ.

وليكن كما في الركوع، ثمّ ارفع رأسك وتكبّر وتجلس متورّكاً، وتقول: أَسْتَغْفِرُ اللهَ رَبِّي وَأَتُوبُ إِلَيْهِ.

فضل؟ فأجاب: يجوز ذلك وفيه الفضل[١].

وفي الدروس: السجود على تربة الحسين عليه السَّلام أفضل[٢].

ولعلّ مراده السجود عليه في الصلاة، والمراد من طين القبر التراب القريب منه، ويتفاوت في الفضيلة قرباً وبعداً، وما أُخذ من قرب قبره عليه السَّلام بعد وضعه هناك أفضل.

قوله عليه السَّلام: سجد وجهي الى آخره.

إسناد السجود إلى الوجه مجاز، كإضافة السمع والبصر إليه، فانّ الاضافة في الاولى اضافة أحد المتجاورين إلى الآخر، وفي الثانية إضافة الجزء إلى الكلّ. والمشقوق انّما هو آلة السمع والبصر لا نفسهما، فانّهما قوّتان مودعتان: احداهما في ملتقى العصبتين المقدّمتين من الدماغ، والأُخرى في العصب المفروش في باطن الصماخ. ففي الكلام مضاف محذوف.

واستدلّ الزهري بقوله «شقّ سمعه» على أنّ الأُذنين من الوجه، فأوجب في الوضوء غسلهما معه، والجواب ما أومأنا إليه من أنّ الاضافة لأدنى ملابسة وهي هنا الجوار.

---

(١) راجع مصباح المتهجد: ٦٧٧.

(٢) الدروس: ٢٩، الطبع الحجري.

ثمّ تقول ما رواه ثقة الإسلام أيضاً بذلك السند عنه عليه السّلام:

اَللّهُمَّ اغْفِرلي وَارْحَمْنِي وَأجرْني وادْفَع عنّي انّي لِما أنْزلْت اِليَّ مِنْ خَيْرٍ فَقيرٌ، تَبارَكَ الله رَبُّ الْعالَمينَ[١].

ثمّ تكبّر واسجد[٢] السجدة الثانية كالأُولى، ثمّ ارفع رأسك وتجلس متوركاً هُنيئة، وهي جلسة الاستراحة، ولا[٣] تهملها، فقد أوجبها المرتضى رضي الله

قوله: وهي جلسة الاستراحة.

المشهور بين الأصحاب استحباب هذه الجلسة، وأوجبها المرتضى في الانتصار[٤]، محتجاً عليه بالاجماع والاحتياط، والاجماع لم يثبت لكثرة المخالف، والاحتياط ليس بدليل شرعي يثبت به الأحكام، مع أصالة براءة الذمّة عنه.

واحتجّ له في المختلف بمارواه الشيخ عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: إذا رفعت رأسك من السجدة الثانية في الركعة الاولى حين تريد أن تقوم فاستو جالساً ثمّ قم، فانّ ظاهر الأمر الوجوب[٥].

وفيه مع أصالة عدم الوجوب، وشيوع استعمال الأمر في كلامهم عليهم السّلام في الندب، حتّى قيل: انّه حقيقة عرفيّة فيه، أنّه معارض بما رواه الشيخ عن زرارة قال: رأيت أباجعفر وأبا عبدالله عليهما السّلام إذا رفعا رؤوسهما من السجدة الثانية نهضا ولم يجلسا[٦]. والسندان متقاربان.

---

(١) فروع الكافي ٣: ٣٢١، ح١.

(٢) وتسجد: خ ل.

(٣) فلا: خ ل.

(٤) الانتصار: ٤٦.

(٥) مختلف الشيعة: ٩٦، كتاب الصلاة. الطبع الحجري.

(٦) تهذيب الاحكام ٢: ٨٣، ح٧٣.

عنه، مدّعياً[١] على ذلك الإجماع، ثمّ قم رافعاً ركبتيك قبل كفّيك، معتمداً عليهما، قائلاً: بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ أَقُومُ وأَقْعُدُ وأَرْكَعُ وأَسْجُدُ.

فإذا انتصبت فاقرأ الحمد وسورة، كما مرَّ في الأُولى. ولتكن بسورة التوحيد، ثمّ تسكت بقدر نفس، ثمّ تكبّر للقنوت وتقنت بكلمات الفرج، رافعاً كفّيك

قوله: رافعاً ركبتيك إلى آخره.

دليل استحباب رفع الركبتين قبل الكفّين معتمداً عليهما صحيحة أبي بكر الحضرمي عن سيّدنا أبي عبدالله الصادق عليه السَّلام: إذا قمت من الركعتين فاعتمد على كفّيك وقل بحول الله وقوّته أقوم وأقعد، فانّ عليّاً عليه السَّلام كان يفعل ذلك[٢].

ثمّ المذكور في كثير من الأخبار الصحيحة هو قوله «بحول الله وقوّته أقوم وأقعد» بدون إضافة وأركع وأسجد.

وظاهر صحيحة ابن سنان عنه عليه السَّلام: إذا قمت من السجود قلت ربّي بحولك وقوّتك أقوم وأقعد، وان شئت قلت وأركع وأسجد[٣]. يفيد التخيير بينهما بدلاً لا جمعاً، والكلّ حسن.

قوله: ولتكن سورة التوحيد.

لأنّ الدعاء بعدها مستجاب، وهي ثلث القرآن المجيد.

قوله: رافعاً كفّيك تلقاء وجهك.

استحباب رفع اليدين حال القنوت في الصلوات الخمس اليوميّة على الهيئة

---

(١) حتى ادعى: خ ل.

(٢) تهذيب الاحكام ٢:٨٩، ح٩٦.

(٣) تهذيب الاحكام ٢:٨٦، ح٨٨.

تلقاءَ وجهك ، مستقبلاً ببطنهما السماء، ضامّاً أصابعهما ماعدا الإبهامَين، فتقول:

لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبِّ الأَرْضِينَ السَّبْعِ، وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهنَّ[١] وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وهذه هي كلمات الفرج على ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسند حسن عن الباقر عليه السَّلام[٢]. وفي بعض كتب الدعاء زيادة: وَمَا تَحْتَهُنَّ وَما

المذكورة في الكتاب من المشهورات بين علمائنا الامامية وفقهائنا الا ثنا عشرية رحم الله تعالى السلف منهم والخلف.

ولكن لم نجد لهم على ذلك دليلاً يعوّل عليه، أو حديثاً تركن النفس إليه، سوى ماورد في صلاة الوتر في صحيحة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: تدعو في الوتر على العدوّ، وإن شئت سمّيتهم وتستغفر وترفع يديك في الوتر حيال وجهك، وإن شئت تحت ثوبك[٣].

قال في المدارك : وأمّا استحباب جعلهما في حال القنوت تلقاء وجهه، فربّما كان مستنده صحيحة ابن سنان: وترفع يديك في الوتر حيال وجهك[٤].

وقال في الذكرى: يستحبّ رفع اليدين تلقاء وجهه مبسوطتين، يستقبل

---

(١) ضمير فيهن وبينهن يعود الى السماوات والأرضين معاً، لا إلى الأرضين فقط، والمراد بما في السماوات الكواكب وبعض الأنبياء والملائكة، وبما في الأرضين المواليد، أعني: المعادن والنباتات والحيوانات وكذلك الجن. وقوله «وما فيهن» يقتضي بطلان قول الفلاسفة بأن الأفلاك متلاصقة ليس بينها شيء (منه).

(٢) فروع الكافي ٣: ٤٢٦، ح١.

(٣) تهذيب الاحكام ٢: ١٣١، ح٢٧٢.

(٤) مدارك الاحكام ٣: ٤٥٠.

بَيْنهُنَّ. وفي بعضها زيادة: وَما فَوقهُنَّ، بعد وَمـا تَحتهُنَّ. وفي بعضها وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. ولم آظفر بهذه الزيادات فيما اطَّلعت عليه من الروايات المعتبرة.

ببطونهما السماء وظهورهما الأرض، قاله الأصحاب[١].

وحكى في المعتبر[٢] قولاً بجعل باطنهما إلى الأرض، ويفرق الابهام عن الأصابع، قاله ابن إدريس. وعلى منوالهما نسج غيرهما.

ولنا في هذه المسألة رسالة مفردة[٣] قد فصّلنا القول فيه بما لامزيد عليه، فليطالع من هناك .

قوله: وما فوقهنّ.

من العرش والكرسيّ، أو الجنّة ومافيها. وكون مافوق الفلك الأعظم وهو العرش لاخلأ ولا ملأ فلسفيّ لانقول به.

قوله: وما تحتهنّ.

من الصخرة، أو الثور، أو الحوت، أو الأعمّ.

قوله: من الروايات المعتبرة.

كرواية أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السَّلام[٤]، وحسنة زرارة عن أبي

---

(١) الذكرى: ١٨٤.

(٢) المعتبر ٢:٢٤٧.

(٣) وهي رسالة تذكرة الوداد في حكم رفع اليدين حال القنوت، طبعت في المجموعة الاولى من الرسائل الفقهية للمؤلّف برقم (٩) وطبعت رسالة اخرى للمؤلّف في المجموعة الثانية من الرسائل الفقهية برقم (٥٧) فراجعها.

(٤) تهذيب الاحكام ٣:١٨، ح٦٤.

وتقول بعد كلمات الفرج:

اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَعافِنَا وَاعْفُ عَنَّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيء قَديرٌ.

ثمّ تقول:

اَللَّهُمَّ إلَيْكَ شَخَصَتِ الأَبْصَارُ، وَنُقلَتِ الأَقْدَامُ، وَرُفِعَتِ الأَيْدِي، ومُدَّتِ الأَعْنَاقُ، وأَنْتَ دُعيتَ بِالأَلْسُن، وإلَيْكَ سِرُّهُمْ وَنَجْواهُمْ فِي

جعفر عليه السَّلام[1]، فانّ هذه الزيادات ليست فيهما.

قوله: وتقول بعد كلمات الفرج اللهم اغفرلنا إلى آخره.

في حسنة سعد بن أبي خلف عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: يجزيك في القنوت «اللهمّ اغفرلنا» الدعاء[2].

واعلم أنّ العافية عبارة عن دفع الله سبحانه عن العبد ماهو شرّ له، وتستعمل في الصحّة البدنيّة والنفسيّة، وهي كونها سالمة من الكبر والحسد والغلّ والغرور والحرص وحبّ المال والجاه، وغيرها من دواعي النفس وحظوظها، ومشتهياتها البهيميّة والسبعيّة.

فانّ طلب العافية من هذه الآفات التي هي بمنزلة الكلاب العادية والحيّات الضارية الموجبة للهلاك الحقيقي أهمّ وأحرى وأليق وأولى، فعليك أن تقصد هذه العافية أيضاً وقت الدعاء، ولا تقتصر على العافية البدنيّة فقط.

قوله: واليك سرّهم.

أي: سرّ الشاخصين أبصارهم، والناقلين أقدامهم، والرافعين أيديهم،

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٢٠٩، برقم: ٩٤٤.

(٢) فروع الكافي ٣: ٣٤٠، ح١٢.

الأعْمالِ، رَبَّنَا افتَحْ بيننا وَبَيْنَ قَوْمنَا بالْحَقِّ، وأنْتَ خَيرُ الْفاتِحينَ. اَللّهُمَّ إنّا نَشكُوا إلَيْكَ فَقْدَ نبيِّنا، وَغَيْبَةَ إمامِنا، وَقلّةَ عَدَدِنا، وكَثْرَة

والمادّين أعناقهم، والدّاعين بألسنتهم، الدالّة عليه هذه الأفعال، ويمكن ارجاعه إلى الاخير فقط.

قوله: وقلّة عددنا.

يدلّ على قلّة عدد الاماميّة كثّرهم الله بظهور دولة إمامهم، وكذلك كانوا سلفاً عن سلف، كما يدلّ عليه قوله تعالى «وقليل من عبادي الشكور»(١) وقوله «ولقد صدّق عليهم ابليس ظنّه فاتّبعوه إلّا فريقاً من المؤمنين»(٢).

وفي الكافي عن سيّدنا الصادق عليه السَّلام: المؤمنة أعزّ من المؤمن، والمؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر؟(٣).

وفي رواية حمران بن أعين، قال: قلت لأبي جعفر عليه السَّلام: جعلت فداك ماأقلّنا لو اجتمعنا على شاة ماأفنيناها، فقال: ألا أُحدّثك بأعجب من ذلك، المهاجرون والأنصار ذهبوا إلّا ـ وأشار بيده ـ ثلاثة. قال حمران فقلت: جعلت فداك ماحال عمّار؟ قال: رحم الله عمّاراً أبااليقظان بايع وقتل شهيداً، فقلت في نفسي ماشيء أفضل من الشهادة، فنظر إليّ فقال: لعلّك ترى أنّه مثل الثلاثة أيهات أيهات(٤).

وعن الكاظم عليه السَّلام: ليس كلّ من قال بولايتنا مؤمناً، ولكن جعلوا أُنساً للمؤمنين(٥).

---

(١) سورة سبأ: ١٣.
(٢) سورة سبأ: ٢٠.
(٣) اصول الكافي ٢:٢٤٢، ح١.
(٤) اصول الكافي ٢:٢٤٤، ح٦.
(٥) اصول الكافي ٢:٢٤٤، ح٧.

عَدُوِّنَا، وَتظاهُرَ الأَعْداء عَلَيْنَا، وَوُقُوعَ الْفِتَنِ بِنَا، فَفَرِّج ذٰلِكَ اللّٰهُمَّ بِعَدْلٍ تُظْهِرُهُ، وَإمام حَقٍّ نَعْرِفُهُ[١]، إلَهَ الْحَقِّ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

ثمّ تقول:

اَللّٰهُمَّ مَنْ كَانَ أَصْبَحَ وأَمْسَى وَلَهُ ثِقَةٌ أَوْ رَجاءٌ غَيرُكَ، فأَنْتَ ثِقَتِي وَرَجائِي، يا أَجْوَدَ مَنْ سُئِلَ، وَيا ارْحَمَ مَنِ اسْتُرْحِمَ، ارْحَمْ ضَعْفِي وَمَسكنَتِي وقلَّةَ حِيلَتِي، وَامْنُنْ عَلَيَّ بِالْجَنَّةِ، وَفُكَّ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ، وَعَافِنِي فِي نَفْسِي وَفي جَمِيعِ أُمُوري، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

ومن أراد التطويل في القنوت، فليُضف إلى ذلك ما شاء من القنوتات التي نذكرها في الباب السادس إن شاء الله تعالى.

ثمّ ترفع يديك بالتكبير، واركع واسجد السجدتين كما مرّ، ثمّ اجلس للتشهد متورّكاً ناظراً إلى حِجْرِكَ، وتقول[٢]:

قوله: وإمام حقّ نعرفه.

أي: بعينه وشخصه وحليته المباركة على وجه يمتاز به عمّن عداه، وإلّا فنحن نعرفه باسمه ورسمه ونسبه وحسبه وجلالة قدره، ونتيقّن بوجوده وحياته وبقاء الأرض به، وإلّا لساخت بأهلها.

وفي صحاح الأخبار: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة[٣]، نعوذ بالله منها.

---

(١) المراد بالمعرفة هنا المشاهدة أو معرفة مكانه ليمكن التوصل إليه وإلّا فهو معروف لشيعته أتم المعرفة وأكملها (منه).

(٢) فإن قلت: كيف صدّرت هذا بالفعل المضارع مع أن التشهد واجبٌ، فكان ينبغي أن يصدر بفعل الأمر؟ قلت: لمّا كان هذا التشهد المذكور هاهنا أفضل الواجبين، فاختياره مستحب، فلذلك صدّرنا ذلك بالفعل المضارع (منهُ رحمهُ الله).

(٣) اصول الكافي ٢: ٢٠ و ٢١.

بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ وَخَيْرُ الأَسْمَاءِ للهِ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، وأَشْهَدُ أَنَّ رَبِّي نِعْمَ الرَّبُّ، وأَنَّ مُحَمَّداً نِعْمَ الرَّسُولُ. اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَتَقَبَّلْ شَفَاعَتَهُ فِي أُمَّتِهِ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ.

ثمّ تحمد الله مرّتين أو ثلاثاً. والواجب منه الشهادتان والصلاة على النبيّ

قوله: بين يدي الساعة.

أي: قريب منها، فانّ حقيقة قولك «جلست بين يدي فلان» أي: أن تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريباً منه، فسمّيت الجهتان يدين، لكونهما على سمتهما مع القرب منهما توسّعاً.

والكلام هنا على طريقة الاستعارة المكنية مع المخيّلة والمرشّحة، حيث شبّه الساعة وهي القيامة أو الوقت الذي تقوم فيه القيامة بشخص انسانيّ، ثمّ أثبت له بين يديه.

وفيه دلالة على غاية قربها، والوجه فيه أنّ الساعة آتية لاريب فيها، وكلّ ما هو آت فهو واقع لامحالة، وإن بعد زمان وقوعه، انّهم يرونها بعيداً ونراها قريباً.

قوله: والواجب منه الشهادتان.

واقتصر الصدوق في المقنع[١] على الشهادتين، ولم يذكر الصلاة على النبيّ وآله صلّى الله عليه وآله. ويدلّ عليه صحيحة زرارة عن الباقر عليه السّلام[٢]،

---

(١) المقنع: ٢٩.

(٢) تهذيب الاحكام ٢: ١٠٠ - ١٠١.

صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثمّ تسلّم ناوياً به الخروج من الصلاة، فتقول:
السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ.

قاصداً به الأنبياء والائـمّة والحفَظة، مومياً بمؤخّر عينَيك[١] إلى يمينك.

واعلم أنّ جميع ما ذُكر في هذا الفصل من الأفعال والأقوال، فهو مستحب،

وصحيحة محمّد بن مسلم عن الصادق عليه السَّلام[٢]، ولكنّ المحقّق في المعتبر[٣] نقل الاجماع على وجوبها، وعليه العمل.

قوله: ثمّ سلّم ناوياً به الخروج من الصلاة.

القول بوجوب نيّة الخروج من الصلاة بالتسليم ضعيف، لضعف دليله، والأصل عدم الوجوب.

قوله: فتقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال في البيان: انّ السلام علينا لم يوجبه أحد من القدماء، وانّ القائل بوجوب التسليم يجعلها مستحبّة، كالتسليم على الأنبياء والملائكة، غير مخرجة من الصلاة، والقائل بندب التسليم يجعلها مخرجة[٤].

أقول: صحيحة الحلبي قال: قال أبو عبدالله عليه السَّلام: كلّما ذكرت الله عزّوجلّ والنبيّ فهو من الصلاة، وإن قلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقد انصرفت[٥].

---

(١) عينك: خ ل.

(٢) تهذيب الاحكام ٢: ١٠١ - ١٠٢.

(٣) المعتبر ٢: ٢٢٦.

(٤) البيان للشهيد الاول: ٩٤.

(٥) تهذيب الاحكام ٢: ٣١٦، ح١٤٩.

إلّا ما هو مبدوء بفعل الأمر فهو واجب[١].

مع دلالتها على أنّ التسليم ليس من الصلاة، تدلّ على أنّ الخروج منها يقع بهذه الصيغة.

ومثلها مارواه الشيخ في التهذيب في الصحيح عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السَّلام، قال: إذا كنت إماماً، فانّما التسليم أن تسلّم على النبي صلّى الله عليه وآله، وتقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فاذا قلت ذلك فقد انقطعت الصلاة، ثمّ تؤذّن القوم، فتقول وأنت مستقبل القبلة: السلام عليكم، وكذلك إذا كنت وحدك تقول: السلام علينا وعلى عبادالله الصالحين مثل ماسلّمت وأنت إمام[٢].

وهذه مع دلالتها على أنّ الخروج من الصلاة يقع بهذه الصيغة، متضمّنة للأمر بالصيغتين على الترتيب المذكور، وهو الأحوط، جمعاً بين القولين.

والقول بأنّ في طريق هذه الرواية محمّد بن سنان وهو ضعيف، ضعيف لأنّ محمّداً هذا وإن كان كذلك على المشهور الّا أنّه من الأجلّاء الموثوقين بهم، ونحن قد بسطنا الكلام فيه في بعض رسائلنا، وبالله التوفيق.

قوله في الحاشية: ومن ذلك التسليم فانّ الأصح وجوبه.

اختلفوا في وجوب التسليم واستحبابه، والأقوى هو الثاني.

أمّا أوّلاً، فلأصالة عدم الوجوب، وبراءة الذمّة.

وأمّا ثانياً، فلما روي أنّ الحدث إن وقع قبل الصلاة على النبيّ وآله بطلت

---

(١) ومن ذلك التسليم، فإنّ الأصحّ وجوبه، وقد أوضحت ذلك في كتاب الحبل المتين وحواشي المختلف (منه رحمه الله).

(٢) تهذيب الاحكام ٢:٩٣، ح١١٧.

توضيح:

ولنبيّن ما لعلّه يحتاج إلى البيان في هذا الفصل. في الدعاء بين الأذان والإقامة «قلبي بارّاً»[١] «وعيشي قارّاً» له تفسيرات ثلاثة:

الصلاة، وإلّا فلا. قال زرارة: سألت الباقر عليه السَّلام عن رجل يصلّي ثم يجلس، فيحدث قبل أن يسلّم، قال: تمّت صلاته[٢].

وعن محمَّد بن مسلم عن الصادق عليه السَّلام قال: إذا استويت جالساً فقل أشهد أن لا إله الّا الله وحده لاشريك له، وأشهد أنّ محمَّداً عبده ورسوله ثمّ تنصرف[٣].

وعنه عن الباقر عليه السَّلام: إذا فرغ من الشهادتين فقد مضت صلاته[٤].

وفي رواية علي بن جعفر عن أخيه عليه السَّلام وقد سأله عن المأموم يطوّل فتعرض له الحاجة، فقال: يتشهّد وينصرف ويدع الامام[٥].

وعن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السَّلام: إذا التفت في صلاة مكتوبة من غير فراغ، فأعد الصلاة إذا كان الالتفات فاحشاً، وإن كنت قد تشهّدت فلا تعد[٦].

وقال غالب بن عثمان: سألت الصادق عليه السَّلام عن الرجل يصلّي

---

(١) أي مطيعاً محسناً (منه).

(٢) تهذيب الاحكام ٢: ٣٢٠، ح١٦٢.

(٣) الاستبصار ١: ٣٤٢، ح٦.

(٤) تهذيب الاحكام ٢: ٣١٧، ح١٥٤.

(٥) تهذيب الاحكام ٢: ٣٤٩، ح٣٤.

(٦) تهذيب الاحكام ٢: ٣٢٣، ح١٧٨.

الأول: أنّ المراد بالعيش القار أن يكون مستقرّاً دائماً[١] غير منقطع.

المكتوبة فيقضي صلاته ويتشهّد، ثمّ ينام قبل أن يسلّم، قال: تمّت صلاته[٢].

وأمّا استدلالهم على وجوبه بقوله عليه السّلام «تحريمها التكبير وتحليلها التسليم» بأنّ التسليم وقع خبراً عن التحليل، وهما معرفتان، فوجب تساويهما، فلو وقع التحليل بغيره لكان المبتدأ أعمّ من الخبر، ولمواظبة النبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السّلام على فعله.

فالجواب عن الخبر أنّه مرسل، فلا يعارض المسند، وعن المواظبة أنّ مجرّد الفعل لايدلّ على جهته، فانّهم كانوا يداومون على الندب مداومتهم على الواجب.

وكذا القول بأنّ التحليل مصدر مضاف الى الصلاة، فيتناول كلّ تحليل يضاف إليها فيفيد الحصر. مجاب بأنّ كون الاضافة هنا للعموم والاستغراق ممنوعة، لاحتمال كونها للجنس، أو العهد الخارجي، ومنه يظهر جواب آخر عن استدلالهم الأوّل مع قطع النظر عن ارسال الخبر.

وأمّا الاستدلال: بأنّ شيئاً من التسليم واجب لقوله «وسلّموا تسليماً» ولا شيء منه في غير الصلاة بواجب اجماعاً، فمردود. أمّا أوّلاً، فلأنّ الأمر لايقتضي التكرار. وأمّا ثانياً، فلأنّ ظاهر الآية هو التسليم على النبي صلّى الله عليه وآله، ولم يقل أحد بوجوبه، مع أنّ الظاهر منه هنا هو الاطاعة والانقياد لا التحيّة المتعارفة.

---

(١) دائمياً: خ ل.

(٢) تهذيب الاحكام ٢:٣١٩، ح١٦٠.

الثاني: أن يكون واصلاً إليّ حال قراري في بلدي، فلا أحتاج في تحصيله الى السفر والانتقال من بلد الى بلد.

الثالث: أن المراد بالعيش القارّ العيش في السرور والابتهاج، أي: قارّاً لعيني، مأخوذ من قرّة العين.

والمراد بالرزق الدارّ الذي يتجدّد شيئاً فشيئاً من قولهم «درَّ اللبن» إذا زاد وكثر جريانه من الضرع.

والمستقرّ على صفة اسم المفعول المكان والمنزل.

والقرار المكث فيه. ونقل عن شيخنا الشهيد ـ رحمه الله تعالى ـ أنّ المستقرّ في الدنيا، كما قال الله سبحانه وتعالى: «ولكم في الأَرض مستقر»[١] والقرار في

قوله: واصلاً إليّ حال قراري في بلدي.

إنّما صار ذلك مطلوباً بالدعاء، لما فيه من الدعة والراحة والسعادة، كما روي عن سيّدنا علي بن الحسين صلوات الله عليهما أنّه قال: انّ من سعادة المرء أن يكون متجره في بلاده، ويكون خلطاؤه صالحين، ويكون له أولاد يستعين بهم، كذا في الفقيه[٢].

وأنت خبير بأنّ الأوسط منها أوسط وأسعد.

قوله: مأخوذ من قرّة العين.

قرّة العين برودتها وانقطاع بكائها ورؤيتها ما كانت مشتاقة إليه. والقرّ بالضمّ ضدّ الحرّ، ودمع الباكي من شدّة السرور بارد، ودمعه من الحزن حارّ، وله وجه عقليّ. فقرّة العين كناية عن الفرح والسرور والظفر بالمطلوب.

---

(١) سورة البقرة: ٣٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ١٦٤، ح٣٥٩٨.

الآخرة، كما قال جلّ وعلا: «وانّ الآخرة هي دار القرار»[١].

وأورد عليه أنه لا يلائم قوله «عند قبر رسولك».

وأُجيب بأنّ المراد بالآخرة ليس ما بعد يوم القيامة، بل ما قبله، أعني: أيّام الموت. والمراد أن يكون مسكنه في الحياة ومدفنه بعد الممات في المدينة المقدّسة على ساكنها وآله أفضل الصلاة والسلام.

ولبّيك وسعدَيك أي: إقامة على طاعتك بعد إقامة، ومساعدة على امتثال

قوله: وأُجيب بأنّ المراد بالآخرة إلى آخره.

فيه أنّ الآخرة التي هي دار القرار هي مابعد يوم القيامة لا ماقبله، فانّ البرزخ ليس بدارالقرار، ولذلك أهله يقولون: ربّنا أقم لنا الساعة وأنجز لنا ما وعدتنا.

فهذا الجواب لا يلائم ماتمسّك به، والمورد نظره انّما هو عليه، والمجيب غفل عنه، فتأمّل.

قوله: ولبّيك وسعديك.

أصل لبّيك ألبّ البابين لك، أي: أُقيم لخدمتك وامتثال أمرك، ولا أبرح عن مكاني كالمقيم في موضع، من ألبّ بالمكان أي أقام به، والتثنية للتكرير، كما في قوله تعالى «ثمّ ارجع البصر كرّتين»[٢] أي: رجعاً كثيراً مكرّراً.

والمعنى ألباباً كثيراً متتالياً، فحذف الفعل وأُقيم المصدر مقامه بعد حذف زوائده وردّه إلى الثلاثي، ثمّ حذف حرف الجرّ من المفعول وأُضيف المصدر إليه، وحذفت النون للاضافة.

---

(١) سورة غافر: ٣٩.

(٢) سورة الملك: ٤.

أمرك بعد مساعدة.

والشرّ ليس إليك أي: ليس منسوباً إليك ولا صادراً عنك .

والحنَان بتخفيف النون الرحمة، وبتشديدها ذو الرحمة.

ومعنى سبحانك وحنانَيك : أُنزِّهك عمّا لا يليق بك تنزيهاً، والحال أنّي أسألك رحمة بعد رحمة.

والحنيف المائل عن الباطل إلى الحق، وهو وما بعده حالان من الضمير في وجّهت.

والنُّسُك قد يفسر بمطلق العبادة[1]، فيكون من قبيل عطف العامّ على الخاصّ. وقد يفسّر بأعمال الحج.

ويجوز أن يكون من لبّ بالمكان بمعنى ألبّ، فلا يكون محذوف الزوائد. وأمّا قولهم لبيّته، فهو مشتقّ من لبيّك ، لأنّ معناه قلت له لبيّك ، كما أنّ معنى بسمل قال بسم الله.

وفي القاموس: ألبّ أقام كلبّ، ومنه لبيّك أي أنا مقيم على طاعتك إلباباً بعد إلباب وإجابة بعد إجابة. أو معناه اتّجاهي وقصدي لك من تلبّ داره أي تواجهها. أو معناه محبّتي لك من امرأة لبّته محبّة لزوجها. أو معناه اخلاصي لك من حسب لباب خالص[2]،انتهى.

قوله: والشرّ ليس إليك.

الشرّ على قسمين: حقيقيّ وهو العدم، واضافيّ وهو ماوجوده في نفسه خير، ولكنّه بالاضافة الى غيره شرّ، كوجود النار للثوب مثلاً، ومصادفة القاطع للمقطوع .

---

(١) العبادات: خ ل.

(٢) القاموس المحيط ١:١٢٦ - ١٢٧.

ومحياي ومماتي قد يفسّر المحيا بالخيرات التي تقع في حال الحياة منجّزة، والممات بالخيرات التي تصل الى الغير بعد الموت، كالوصية بشيءٍ للفقراء، وكالتدبير وسائر ما ينتفع به الناس بعدك.

وفي دعاء الركوع «وما أقلّته قدماي» بتشديد اللام، أي: ما حملته قدماي،

والشرور الحقيقيّة ليست منسوبة إليه تعالى، لأنّها أعدام، فلا تستدعي مبدأً مؤثّراً موجوداً، بل علّتها عدم الوجود.

وأمّا الشرور الاضافيّة، فهي وان استدعت علّة موجودة، لكنّه انّما هو من حيث كونها شروراً مجعولة، وصادرة من المبدأ الذي هو صرف الوجود بالعرض لابالذات ولا استحالة فيه.

والمنقول عن أرسطو أنّه تعالى ليس مبدأ لما هو شرّ محض لاخير فيه أصلاً ولا ما شرّيته غالبة، بل ولامايتساوىٰ فيه الخير والشرّ، وانّما هو مبدأ لما لاشرّ فيه أصلاً. أو يكون خيريّته غالبة، لأنّ ترك الخير الكثير لأجل الشرّ القليل شرّ كثير.

وهذا يدفعه النقل والعقل. أمّا الأوّل فظاهر. وأمّا الثاني، فلأنّ الشرّ وإن كان قليلاً: إمّا عدم، أو تابع له وراجع إليه، فكيف يصدر عن الوجود المحض.

وأمّا ما ذكره من الدليل، فمغالطة لأنّ الخير الكثير المشتمل على الشرّ القليل، لما امتنع صدوره عن محض الخير وصرف الوجود، فتركه ليس بشر، بل هو خير.

قوله: ومحياي ومماتي.

وقيل: كون نفس الحياة والموت لله تعالى هي العبادة خالصة له، والحياة والممات خاصّة لله لايقدر عليهما ولا يفعلهما غيره.

وقيل: هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيّده، فمن كان غضبه ورضاه

فهي من قبيل عطف العامّ على الخاص.

والاستنكاف معناه بالفارسية ننك داشتن.

والاستكبار: طلب الكبر من غير استحقاق.

والاستحسار بالحاء والسين المهملتين التعب. والمراد انّي لا أجد في الركوع تعباً ولا كلالاً ولا مشقّة، بل أجد لذّة وراحة.

ومعنى «سبحان ربي العظيم وبحمده» أنزّه ربي العظيم عمّا لايليق بعز شأنه

وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لامور الدنيا، لم يكن حاله هذا ملائماً لهذا الحال.

قوله: ومعنى سبحان ربّي العظيم وبحمده.

الواو: إمّا حاليّة، والتقدير وأنا متلبّس بحمده. قيل: وربّما يرجّح الحاليّة قوله سبحانه «يسبّحون بحمد ربّهم»[1] ونظائره التي بدون الواو.

أو اعتراضيّة ومدخولها جملة مقدّرة والحمد قائم مقامه، والتقدير أُسبّحه سبحاناً وبنعمته التي توجب عليّ حمده أُسبّحه، وتلك النعمة هي حوله وقوّته التي ملّكنيها.

أو زائدة والجارّ بمجروره في محلّ النصب على الحاليّة، والتقدير متلبّساً بحمده.

أو عاطفة تعطف الجملة الاسميّة أو الفعليّة المقدّرة على الفعليّة المضمرة في سبحان، فان جعلت الباء في بحمده للمصاحبة، فاضافة الحمد إلى الضمير اضافة المصدر إلى المفعول. وإن جعلتها للاستعانة، فاضافته إليه اضافة المصدر إلى الفاعل.

---

(١) سورة الشورى: ٥.

تنزيهاً، وأنا متلبّس بحمده على ماوفّقني له من تنزيهه وعبادته، كأنّ[1] المصلّي لما أسند التنزيه إلى نفسه، خاف أن يكون في هذا الإسناد نوع تبجّح بأنّه مصدر

ولعلّ المراد بالحمد التوفيق عليه، والتقدير أُسبّحه سبحاناً وأُسبّحه مستعيناً بتوفيقه ايّاي على حمده.

وإلى هذا أشار الشهيد الثاني بقوله: الواو في بحمده قيل: زائدة والباء للمصاحبة، والحمد مضاف إلى المفعول، ومتعلّق الجارّ عامل المصدر، أي: سبّحت لله حامداً، أي: أُنزّهه عمّا لايليق به وأُثبت له مايليق به.

ويحتمل كونها للاستعانة، والحمد مضاف إلى الفاعل، أي: سبّحته بماحمد به نفسه، إذ ليس كلّ تنزيه محموداً.

وقيل: إنّ الواو عاطفة ومتعلّق الجارّ محذوف، أي: بحمده سبّحته. وذكر بعضهم أنّ المعنى وبمعونته التي هي نعمة توجب عليّ حمده سبّحته لابحولي وقوّتي، فتكون ممّا أُقيم المسبّب مقام السبب. أو هو بمعنى والحمد له، نظير «ماأنت بنعمة ربّك بمجنون»[2] أي: والنعمة له، فالواو حاليّة والباء زائدة.

والحمد لمّا قطع عن الاضافة أُدخل عليه الألف واللام تتميماً للاسم، وأُبرزت اللام المقدّرة في الاضافة، فانّها كانت بتقدير اللام. وكذا الكلام في الآية، فانّ معناها لست يامحمّد بمجنون والنعمة لربّك ، والتركيب كما سبق، فتأمّل.

قوله: أن يكون في هذا الاسناد نوع تبجّح.

بجّحني بتقديم الجيم على الحاء فبجّحت، أي: فرّحني ففرحت.

---

(١) لأن: خ ل.

(٢) سورة القلم: ٢.

لهذا الفعل العظيم، فتدارك ذلك بقوله وأنا متلبّس بحمده على أن صيَّرني أهلاً لتسبيحه وقابلاً لعبادته.

فسبحان مصدر كغفران، ومعناه التنزيه. ونصبُه على أنّه مفعول مطلق وعامله محذوف سماعاً.

والواو في «وبحمده» واو الحال، وبعض النحاة يجعلها عاطفة، وهو من قبيل عطف الجملة الاسميّة على الفعليّة.

وسمع في قوله «سمع الله لمن حمده» إنّما عُدّي باللام مع أنّه متعدٍّ بنفسه، لتضمّنه معنى الاستجابة، أو الشكر، أو الإصغاء ولو مجازاً.

وينبغي أن يقصد المصلّي به الدعاء لا مجرد الثناء، كما اشرنا إليه في الحبل المتين.

وشَخَص بالفتح فهو شاخص إذا فتح عينه وصار لا يطرف بجفنه، وشخوص الأبصار أي: استمرار انفتاحها من غير انطباق، كما يفعل السائل المسكين المترجّي الإحسان من كريم عند عرض حاجته عليه واظهار فاقته لديه.

فصل

فإذا فرغت من الصلاة، فاشرع في التعقيب، فقد ورد في تفسير قوله تعالى: «فَإذا فَرغْتَ فَانْصَبْ * وَإلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ»[١] أي: إذا فرغت من الصلاة

وقيل: عظّمني فعظمت نفسي عندي، يقال: فلان يتبجّح بكذا أي يتعظّم و يفتخر.

والحاصل أنّه لمّا أسند التسبيح إلى نفسه أوهم ذلك تبجّحاً، فأتى بتلك الجملة الحاليّة ليزول عنه هذا العجب على قياس ما قيل في إيّاك نعبد وايّاك نستعين.

قوله تعالى: فاذا فرغت فانصب.

عن أبي جعفر وأبي عبدالله وغيرهما عليهم السّلام: وانصب من النصب وهو

---

(١) سورة الشرح: ٧ ـ ٨.

المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء وارغب إليه في المسألة يعطِك[١].

وروى شيخ الطائفة في التهذيب ـ بسند صحيح ـ عن الصادق عليه السَّلام

التعب، أي: لا تشتغل بعد الصلاة بالراحة[٢]، مثل النوم والأكل، وعدم الاشتغال بشيء بل اشتغل بالعبادة وأوصل بعضها ببعض، ولا تخل وقتاً من أوقاتك فارغاً لم تشغله بعبادة، فيكون المراد التعقيب، وهو الدعاء بعد الصلاة.

وعن أبي عبدالله عليه السَّلام: هو الدعاء في دبر الصلوات وأنت جالس[٣].

فيكون اشارة إلى استحباب التعقيب، كما هو المشهور والمجمع عليه، وهو الاشتغال بعد الفريضة بالدعاء والمسألة، كما تدلّ عليه الأخبار من الخاصّة والعامّة.

قال الجوهري: التعقيب في الصلاة الجلوس بعد أن يقضيها لدعاء أو مسألة[٤]. وينبغي ايقاعها بعد الفريضة قبل الاشتغال بشيء حتّى النافلة في صلاة المغرب، وتدلّ عليه الأخبار بخصوصها، فماورد من فعلها قبل الكلام وتعجيلها، فالمراد غير التعقيب، كما صرّح به في رواية في الفقيه[٥]، وسيأتي في كلام الشيخ أيضاً.

وينبغي أن يكون على هيئة الصلاة، كما تشعر به الآية وتدلّ عليه الأخبار، وقاله بعض الأصحاب، حتّى بالغ في الذكرى[٦] أنّه يضرّ بالتعقيب جميع

---

(١) مجمع البيان ٥:٥٠٩.

(٢) مجمع البيان ٥:٥٠٩.

(٣) نفس المصدر.

(٤) صحاح اللغة ١:١٨٦.

(٥) من لايحضره الفقيه ١:٢٢١، برقم: ٦٦٥.

(٦) الذكرى: ٢١٠.

....

مـايضرّ بالصلاة. والظاهر أنّ المـراد بـه المبالغة ونقص الـفضـيلة، والّا فالدعاء مستحبّ على كلّ هيئة.

وورد في الحـديـث[١] أنّه معقّب مـادام مـتطـهّراً وإن خرج عن مصلاه الى قضاء حوائجه.

هذا وفي تفسير القمّي: إذا فـرغـت من حجّة الوداع، فانصب أمير المؤمنين عليـه السَّلام. وروي عن أبي عبـدالله عليـه السَّلام: «فاذا فرغـت» من نبـوّتك «فانصب» عليّاً «والى ربّك فارغب» في ذلك[٢].

وفي الكافي عنه عليه السَّلام: فاذا فرغت فانصب علمك وأعلن وصيّك[٣].

والمستفـاد من هذه الأخـبـار أنّه بكسـر الصاد من النصـب بالسكـون بمعنى الرفع والوضـع، يعني: إذا فرغـت من أمر تبـليغ الـرسالة فانصـب علمـك بفتح الـلام، أي: ارفع علم هدايتـك لـلناس، وضع من يقـوم بـه خلافك موضعك، يكون قائماً مقامك بتبليغ الأحكام وهداية الأنام.

وفي الـكشّـاف: ومن البـدع مـاروي عـن بعض الرافضـة أنّـه قـرأ فانصب بكسر الصاد، أي: فانصب عليّاً للامامة، ولوصحّ هذا للرافضي لصحّ للناصبي أن يقرأه هكذا ويجعله أمراً بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته[٤].

وفيه أنّ نصب الخليفة بعد تـبليغ الرسالة أو الفراغ من العبادة أمر معقول، بل واجب لئلّا يكون الناس بعده في حيرة وضلالة، فصحّ أن يترتّب عليه.

وأمّـا بغض علي عليه السَّلام وعـداوته، فما وجه ترتّبه على تـبليغ الرسالة، أو الفراغ من الـعبادة؟ على أنّ كـتـب العامّـة مشحونـة بذكر محبّته صلّـى الله عليه

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٣٢٠.

(٢) تفسير القمي ٢: ٤٢٨ - ٤٢٩.

(٣) اصول الكافي ١: ٢٩٤.

(٤) الكشاف ٤: ٢٦٧ - ٢٦٨.

أنّه قال: التعقيب أبلغ في طلب الرزق من الضرب[١] في البلاد، يعني بالتعقيب الدعاء بعقب الصلاة[٢].

وروي أيضاً فيه -بسند صحيح- عن أحدهما عليهما السَّلام أنّه قال: الدعاء دُبر المكتوبة أفضل من الدعاء دُبر التطوّع، كفضل المكتوبة على التطوّع[٣].

وروى ثقة الإسلام في الكافي -بسند حسن- عن الباقر عليه السَّلام أنّه قال: الدعاء بعد الفريضة أفضل من الصلاة تنفّلاً[٤].

والروايات في هذا الباب عنهم عليهم السَّلام كثيرة جدّاً، وأفضل التعقيبات تسبيح الزهراء عليها السَّلام.

وآله لعلي عليه السَّلام واظهار فضله للناس مدّة حياته، وانّ حبّه ايمان وبغضه كفر.

أُنظر أيّها العاقل إلى هذا الملقّب بجار الله العلّامة كيف أعمى الله بصره بغشاوة حميّة التعصّب في مثل هذا المقام، حتّى أتى بمثل هذا الكلام المنكر والزور، بلى انّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

قوله: يعني بالتعقيب الدعاء.

الظاهر أنّ هذا التفسير من الراوي أبي العباس الوليد بن صبيح.

قوله: والروايات في هذا الباب عنهم عليهم السَّلام كثيرة جدّاً.

وورد فيها حثٌّ عظيمٌ وترغيبٌ كثيرٌ وثوابٌ جزيلٌ في التعقيب، فعن النبي صلّى الله عليه وآله: من عقّب في صلاة فهو في صلاة[٥].

---

(١) المراد من الضرب في البلاد السفر من بلد إلى بلد لتحصيل الرزق بالتجارة ونحوها (منه رحمه الله).

(٢) تهذيب الاحكام ٢: ١٠٤، ح١٥٩.

(٣) تهذيب الاحكام ٢: ١٠٤، ح١٦٠.

(٤) فروع الكافي ٣: ٣٤٢، ح٥.

(٥) الذكرى: ٢١٠.

روى شيخ الطائفة في التهذيب ـ بسند صحيح ـ عن الصادق عليه السَّلام

وفي التهذيب عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: ماعالج الناس شيئاً أشدّ من التعقيب[١].

وعنه عليه السَّلام: من صلّى صلاة فريضة وعقّب إلى أُخرى، فهو ضيف الله، وحقٌّ على الله أن يكرم ضيفه[٢].

وعن الباقر عليه السَّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: قال الله تعالى: يابن آدم أُذكرني بعد الفجر ساعة، واذكرني بعد العصر ساعة، أكفك ماأهمّك[٣].

وقيل للصادق عليه السَّلام: يقال ما استنزل الرزق بشيء مثل التعقيب فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، قال: أجل لكن أُخبرك بخير من ذلك، أخذ الشارب وتقليم الأظفار يوم الجمعة[٤].

قيل: تصديقه عليه السَّلام الراوي في عدم استنزال الرزق بشيء مثل التعقيب لا يلائم قوله بعد ذلك «لكن أُخبرك بخير من ذلك» بل ينافيه.

وأُجيب بأنّه يمكن أن يقال: انّ أجل انّما هو تصديق الراوي في قوله «يقال كذا وكذا» لا تصديق واعتراف بصحّة هذا القول المحكيّ. ولو سلّم أنّه تصديق لذلك القول، أمكن أن تكون الخيريّة في كثرة الثواب لا في استنزال الرزق.

قوله: في التهذيب بسند صحيح.

عن الحسين بن سعيد، عن فضالة، عن ابن سنان عنه عليه السَّلام. وهذه

---

(١) تهذيب الاحكام ٢:١٠٤، ح١٦١.

(٢) تهذيب الاحكام ٢:١٠٣، ح١٥٦.

(٣) تهذيب الاحكام ٢:١٣٨، ح٣٠٤.

(٤) من لايحضره الفقيه ١:١٢٧، ح٣١٠.

أنّه قال: مَن سبَّح تسبيح الزهراء عليهاالسَّلام قبل أن يثنّي رجلَيه من صلاة الفريضة غفر الله له، ويبدأ بالتكبير[١] [٢].

وقد روى أيضاً عنه عليه السَّلام أنّه قال: إنَّا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة الزهراء عليهاالسَّلام، كما نأمرهم بالصلاة، فالزَمْهُ فإنّه لم يلزمه عبدٌ فشقي[٣].

وعنه عليه السَّلام أنّه قال: تسبيح فاطمة الزهراء عليهاالسَّلام في كلّ يوم دُبُرَ كلّ صلاة أحبُّ إليَّ من صلاة ألف ركعة في كل يوم[٤].

الصحيحة لاصراحة فيها بأنّ المراد بالابتداء بالتكبير هو التكبير في تسبيح الزهراء عليهاالسَّلام، لإمكان أن يراد به التكبيرات الثلاث بعد التسليم، فانّها أوّل التعقيب، فتدبّر.

قوله: قبل أن يثني رجليه.

أي: يصرفهما عن حالتهما التي هما عليها في حال التشهّد.

قوله: وقد روي أيضاً.

هذه الرواية مجهولة بصالح بن عقبة، ضعيفة بأبي هارون المكفوف الكذّاب.

قوله: وعنه عليه السَّلام.

بسند صحيح.

---

(١) قد يظنّ أنّ مراده عليه السَّلام بالابتداء بالتكبير وسكوته عن تقدّم التحميد على التسبيح يعطي عدم الترتيب بينهما، والحقّ في هذه المسألة ماستسمعه في الباب الخامس إن شاءالله تعالى (منه رحمه الله).

(٢) تهذيب الاحكام ٢:١٠٥، ح١٦٣.

(٣) تهذيب الاحكام ٢:١٠٥، ح١٦٥.

(٤) تهذيب الاحكام ٢:١٠٥، ح١٦٧.

وعن الباقر عليه السَّلام أنّه قال: ما عبدالله بشيء من التحميد أفضل من تسبيح فاطمة الزهراء عليها السَّلام، ولو كان شيء أفضل منه لَنحلَه رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاطمةَ عليها السَّلام[١].

والروايات في فضيلة تسبيح الزهراء عليها السَّلام غير محصورة.

وليكن جلوسك في التعقيب متّصلاً بجلوسك في التشهد، وعلى تلك الهيئة، من الاستقبال، والتورُّك، واترك في أثنائه الكلام والتلفُّت ونحوهما، فقد روي أنّ ما يضرّ بالصلاة يضرّ بالتعقيب[٢].

فإذا سلَّمت، فكبِّر التكبيرات الثلاث، رافعاً بها كفَّيك حيال وجهك، مستقبلاً بظهرهما وجهك وبطنهما القبلة، وهذه التكبيرات أوّل التعقيب، ثمّ تقول:

لاَ إلـهَ إلَّا الله إلهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مسلِمُونَ، لاَ إلَهَ إلَّا الله لاَ نَعْبُدُ إلَّا إيَّاهُ مُخْلِصينَ لَهُ الدّينَ وَلَوْ كَرهَ المُشْرِكُونَ، لاَ إلَهَ إلَّا الله رَبُّنا وَرَبُّ

قوله: وعن الباقر عليه السَّلام.

هذه الرواية ضعيفة السند.

قوله: والروايات في فضيلة إلى آخره.

في الكافي في صحيحة سعيد الأعرج عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: تسبيح فاطمة الزهراء عليها السَّلام من الذكر الكثير الذي قال الله تعالى «اذكروا الله ذكراً كثيراً»[٣].

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ١٠٥، ح١٦٦.

(٢) الوسائل ٦: ٤٥٨، أبواب التعقيب ١٧ ح٤.

(٣) اصول الكافي ٢: ٥٠٠، ح٤.

آبـائنا الأَوَّلِيـنَ، لاَ إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ وَحْدَهُ، أنجـزَ وَعْـدَهُ، وَنَصرَ عَبْدَهُ، وأَعَزَّ جُنْـدَهُ، وَهزَمَ الأَحْزَابَ وَحْـدَهُ، فَلَهُ الْـمُـلْكُ وَلَهُ الْـحَـمْدُ يُـحْـيِي وَيُميتُ وَهُوَ حَيٌّ لاَيَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَعَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ. أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّـذي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إليهِ.

قوله: وهزم الأحزاب وحده.

الأحزاب الطوائف من الناس جمع حزب بالكسر، ويوم الأحزاب هو غزوة الخندق، وماغزى فيه أحـد الاّ علي بن أبي طالب عليه السَّلام وحده، قتل عمرو ابن عبدودّ. فهزم الاحزاب.

ولمّا كان عليـه السَّلام من خاصّـة الله تعالى أسند فـعله اليه، كقولك قطع الأمير اللصّ، وقد قطعه بعض غلـمانه، وفيه ورد: لضربة عـليٍّ يوم الخندق خير من عبادة الثقلين[١].

قوله: لا إله إلّا هو الحيُّ القيّوم.

إمّا منصوب صفة لـقـوله «الله» أو مرفوع على المدح، أو صفـة لـلضمير على مـذهـب الـكسائي؛ إذ المشهور أنّ الضـمير لايـوصـف، وأجـاز الكسائي وصف ضمير الـغـائب في مثل قـوله تـعـالى «لا إله الاّ هو الـعـزيز الحكيم»[٢] وقـولك مررت بـه المسكين. والجـمهور يحـملـون مثله على البـدليّـة، إذ يجوز الابدال من ضمير الغائب اتّفاقاً.

* * *

---

(١) حديث متواتر بين الفريقين.

(٢) سورة آل عمران: ٦.

اللّهُمَّ اهْدِني مِنْ عِنْدِكَ ، وأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ ، وَانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحمتِكَ ، وأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَركاتِكَ . سُبْحانَكَ لاَ إلَهَ إلاّ أَنْتَ اِغْفِرْ لِي ذُنُوبي كُلَّها جَميعاً، فَإنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ كُلَّها جميعاً إلّا أَنْتَ.

اللّهُمَّ إنّي أَسأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَحاطَ بِهِ عِلْمُكَ وأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ

قوله: وأفض عليّ من فضلك.

فاض الماء يفيض فيضاً: كثر وسال من شفا الوادي، وأفض على رأسك الماء صبّه وشيّعه عليه. وكلمة «من» في هذه الفقرات بثلا ثتها تبعيضيّة.

شبّه فضله تعالى وهو عطاؤه ورزقه وزياداته في الآخرة بماء الوادي إذا سال وكثر. فهذا استعارة مكنية، ثمّ أثبت له الفيض، وهو يجيء بمعنى السيلان والجريان والصبّ ونحو ذلك، فهذا استعارة تخييليّة.

وعليه فقس قوله «وأنزل عليّ من بركاتك» حيث شبّه بركاته تعالى بأجسام كائنة في جهة العلوّ، ثمّ أثبت له النزول، وهو والصعود وما شاكل ذلك من خواصّ الأجسام، وبركاته تعالى وهي خيراته وتشريفاته وكراماته ليس منها، ففي الكلام مكنية وتخييليّة.

قوله: من كلّ خير أحاط به علمك.

اللائق بي، وإلّا فمن الخيرات المحيط بها علمه تعالى لايجوز السؤال عنها، كالنبوّة والامامة.

قال أهل التفسير في قوله تعالى «ادعوا ربّكم تضرّعاً وخفية إنّه لايحبّ المعتدين»[1] أي: المتجاوزين الحدفي دعائهم، كأن يطلبوا في دعائهم منازل الانبياء.

---

(١) سورة الأعراف: ٥٥.

شَرٍّ أَحاطَ بِهِ عِلْمُكَ .

اَللّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ عافِيَتَكَ فِي اُمُوري كُلِّها، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ خِزْيِ الدُّنْيا وَعذابِ الآخِرَةِ، وأَعُوذُ بِوَجْهِكَ الكَريمِ، وَسُلْطانِكَ الْقَديمِ، وَعِزَّتِكَ الَّتي لا تُرامُ، وقُدْرَتِكَ الَّتي لاَ يَمتَنِعُ مِنْها شَيء، مِنْ شَرِّ الدُّنْيا

وقال سيّدنا أمير المؤمنين سلام الله عليه: ياصاحب الدعاء لا تسأل ما لايكون ولا يحلّ[١].

وقال عليه السّلام: من سأل فوق قدره استحقّ الحرمان[٢].

نعم الكلّيّة في طرف الشرّ غير مخصّصة؛ إذ ما من شرّ إلّا ويجب الاستعاذة منه، لوجوب دفع الضرر الممكن. وانّما قدّم جلب النفع مع عدم وجوبه على دفع الضرر مع وجوبه، لأنّ الأوّل مرغوب بالطبع، والثاني مهروب إمّا بالعقل أو بالنقل، والانسان إلى مايقتضيه طبعه أميل، وفي الوسيلة الى الوصول اليه أحيل .

قوله: وأعوذ بوجهك الكريم.

وجهه تعالى هنا: إمّا ذاته كقوله تعالى «كلّ شيء هالك إلّا وجهه»[٣] أو صفاته من حيث توجّه كلّ شيء إليها في جميع الأُمور. وكرمه عبارة عن اتّصافه بجميع المحامد وتنزّهه عن جميع النقائص.

قوله: وعزّتك التي لا ترام.

العزّة في الأصل القوّة والشدّة والغلبة والرفعة والامتناع.

يقال: عزّ يعزّ بالكسر إذا صار عزيزاً، وعزّ يعزّ بالفتح إذا اشتدّ، والعزيز

---

(١) بحار الأنوار ٩٣: ٣٢٤، ح١ عن الخصال.

(٢) بحار الأنوار ٩٣: ٣٢٧، ح١١ عن عدّة الداعي.

(٣) سورة القصص: ٨٨.

وَعَذَاب الآخِرَة، وَمِنْ شَرِّ الأَوْجاعِ كُلِّها، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلّا بالله الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. تَوكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذي لاَ يَمُوتُ، وَالْحَمْدُ لله الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تَكْبيراً.

ثمّ تسبّح تسبيح الزهراء عليها السّلام، ثمّ تقول عشر مرّات وهي ممّا يختص بتعقيب الصبح[1]:

المنيع الذي لايغلب. وعزّته تعالى عبارة عن قدرته وغلبته على الممكنات، ولذلك لا ترام أي: لا تقصد، لأنّ كلّ من رامها يغلب.

قوله: ومن شرّ الأوجاع كلّها.

تخصيص بعد التعميم.

قوله: ثمّ تقول عشر مرّات إلى آخره.

في صحيحة عبدالكريم بن عتبة، عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: سمعته يقول: من قال عشر مرّات قبل أن تطلع الشمس وقبل غروبها «لا إله الّا الله» إلى قوله «وهو على كلّ شيء قدير» كانت كفّارة لذنوبه ذلك اليوم[2].

---

(١) روى ثقة الإسلام في الكافي عن عبدالكريم بن عتبة عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: سمعته يقول: من قال عشر مرات قبل أن تطلع الشمس وقبل غروبها: لا إله إلّا الله وحده الى آخر ما ذكر في المتن كانت كفارة لذنوبه في ذلك اليوم.

وروى أيضاً فيه عن عمر بن محمّد عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: مَن صلّى الغداة فقال قبل أن ينقض ركبتيه عشر مرات: لا إله إلّا الله وحده إلى آخر الدعاء. وفي المغرب مثلها، لم يلقَ الله عزّوجلّ عبد بعمل أفضل من عمله إلّا من جاء بمثل عمله (منه).

(٢) اصول الكافي ٢: ٣٧٦، ح١.

....

وعنه عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من صلّى الغداة، فقال قبل أن ينقض ركبتيه عشر مرّات: لا إله الاّ الله الدعاء، وفي المغرب مثلها، لم يلق الله عزّوجلّ عبد بعمل أفضل من عمله الاّ من جاء بمثل عمله[1].

وفي هذا الاستثناء نظر يظهر بالتأمّل.

ويمكن دفعه بأنّ أفضل بعد النفي بمعنى فضل، لأنّه إذا استولى على اسم التفضيل توجّه إلى القيد الذي هو الزيادة، فيفيد أنّ فضل عمل غيره ليس زائداً على فضل عمله، فيبقى أصل فضل عمل غيره مقيساً إلى فضل عمله، إمّا مساوياً له أو دونه. والمساواة غير مناسبة لمقام المدح، فيرجع إلى أنّ فضل عمل كلّ أحد دون فضل عمله.

ويمكن جعل أفضل قبل تسلّط النفي عليه مجرّداً عن الزيادة عرفاً، لأنّ نفي الزائد غير ملائم للمدح، فيبقى أصل الفضل، وتوجّه النفي إلى فضل عمل غيره بالقياس إلى فضل عمله: إمّا بالمساواة أو بكونه دونه، والثاني كما عرفته، فيؤول المعنى إلى لم يلق الله أحد بعمل يكون فضله فضل عمله، فانتفت المساواة والزيادة بطريق أولى.

ولا يبعد أن يقصد بنفي المساواة نفي الزيادة أيضاً؛ لأنّ الزائد على شيء مايساويه مع زيادة، فيصحّ أن يقصد به عرفاً نفي المساواة مطلقاً ولو في ضمن الزائد أيضاً، فيحصل من جميع ذلك أنّ فضل عمل كلّ أحد دون فضل عمله الاّ من جاء بمثل عمله، فانّ فضله لايكون دون فضل عمله، بل يكون مساوياً له، والاّ لزم ترجّح أحد المتساويين على الآخر.

---

(١) اصول الكافي ٢: ٣٧٦، ح٢.

لاَ إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيُمِيتُ وَيُحْيِي، وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

وعشر مرّات وهي ممّا يختص بتعقيب الصبح أيضاً:

سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

ومائة مرّة[1]:

مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

ومائة مرّة:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إلَيْهِ.

ومائة مرّة:

أَسْتَجِيرُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ وَأَسْأَلُهُ[2] الْجَنَّةَ.

قوله: يحيي ويميت ويحيي وهو حيّ لايموت.

الاحياء أوّلاً في الدنيا، والاماتة أوّلاً فيها، والاماتة ثانياً في القبر، فتدلّ ضمناً على احياء آخر، ولمّا كان مدّة تلك الحياة قليلة لم يذكرها صريحاً، والاحياء ثانياً في الآخرة.

وانّما لم يذكر الاحياء والاماتة في الرجعة، لعدم عمومها وشمولها لكلّ أحد، مع أنّه يحتمل أن تكون الاماتة الثانية إشارة إليه.

---

(١) روى ثقة الإسلام في الكافي عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السَّلام يقول: من قال: ماشاء الله إلى آخره مائة مرة حين يصلي الفجر لم ير يومه ذلك شيئاً يكرهه (منه).

(٢) وأسأل الله: خ ل.

ومائة مرّة:

اَللّهُمّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآل مُحمَّدٍ وَعَجِّلْ فَرَجَهُمْ.

وعشر مرّات[١]:

أَشْهَدُ أَنْ لاَ إلَهَ إلّاَ الله وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ إلَهاً وَاحِداً أَحَداً فَرْداً صَمَداً لَمْ يَتَّخِذْ صاحِبَة وَلا وَلَداً.

ولا يبعد أن يكون المراد بكلّ من الفقرتين جنس الاماتة والاحياء، والتكرير لبيان استمرارهما وكثرتهما، كذا قيل، والله يعلم.

قوله: وعجّل فرجهم.

كلّ فرج مسبوق بالشدّة، فيدلّ على أنّهم عليهم السَّلام كانوا في شدّة، كما أنّه عليه السَّلام الآن يكون في شدّة بمايرى من حقّه وحقوق شيعته ومواليه في أيدي الظلمة، وبما حرّفوه من كتاب الله وسنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله حدوداً وإن نقلوه حروفاً.

ويستفاد منه أنّ آل محمّد عليهم السَّلام يرجعون إلى الدنيا بعد ظهور دولتهم بخروج قائمهم صاحب العصر والزمان عليهم سلام الله الملك المنّان، ليكونوا فيها في فرج كما كانوا في شدّة، وإلّا فهم بعد رحلتهم من الدنيا إلى الآخرة في فرج أيّ فرج.

قوله: لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً.

عدم اتّخاذ الصاحبة يتضمّن عدم اتّخاذ الولد، فذكره بعده من باب

---

(١) روى ثقة الإسلام في الكافي عن عمر بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السَّلام، قال: مَن قال في كل يوم: أشهد أن لا إله إلّا الله إلى آخر الدعاء كتب الله له خمسة وأربعين ألف حسنة، ومحا عنه خمسة ←

وثلاثين مرّة:

سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَر.

وينبغي أن تعدّ الأذكار والتسبيحات بسبحة من التربة الحسينيّة على صاحبها السلام، فقد روى شيخ الطائفة في التهذيب ـ بسند صحيح ـ عن صاحب الأمر عليه السَّلام أنّها أفضل شيء يسبَّح به، وأنّ المسبِّح ينسى التسبيح ويدير السبحة، فيكتب له ذلك التسبيح[١].

التصريح بما علم ضمناً مبالغة في نفيه وردّاً عليهم، حيث خرقوا له بنين وبنات، سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

قوله: وينبغي أن تعدّ الأذكار والتسبيحات إلى آخره.

في مصباح المتهجّد: روي عن الصادق عليه السَّلام من أدار الحجر من تربة الحسين، فاستغفر به مرّة واحدة، كتب له سبعين مرّة، وإن أمسك السبحة بيده ولم يسبّح بها، ففي كلّ حبّة منها سبع مرّات[٢].

وفي التوقيع: سئل هل يجوز أن يسبّح الرجل بطين القبر؟ وهل فيه فضل؟ فأجاب: يسبّح به فما من شيء أفضل منه، ومن فضله أنّ المسبّح ينسى التسبيح ويدير السبحة، فيكتب له التسبيح[٣]. وقريب منه كلام الدروس.

وفي الفقيه عن الصادق عليه السَّلام: ومن كانت معه سبحة من طين قبر

وأربعين ألف سيئة، ورفع له خمسة وأربعين ألف درجة. وفي رواية أُخرى: وكُنَّ له حرزاً في يومه من الشيطان والسلطان، ولم تحط به الكبيرة من الذنوب، اهـ. لكن ليس فيما ذكره لفظ فرداً (منه).

(١) الوسائل ٦: ٤٥٦، ح٧ عن الاحتجاج.

(٢) مصباح المتهجّد: ٦٧٨.

(٣) الاحتجاج ٢: ٣١٢.

ثمّ تقول وهو ممّا يختصّ بتعقيب الصبح:

يا مُقَلِّبَ الْقُلُوب وَالأَبْصار، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَدينِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، وَلاَ تُزغْ قَلْبِي بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنِي، وهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

اَللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَال نِعْمَتِكَ، وَتَحْويل عافِيَتِكَ، وَمِنْ فُجْأَة نَقمَتِكَ، وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاء، وَمِنْ شَرِّ ماسَبَقَ فِي الْكِتاب.

اَللَّهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ بِعزَّة مُلْكِكَ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَشِدَّة قُوَّتِكَ

الحسين عليه السّلام كتب مسبّحاً وإن لم يسبّح بها[١].

قوله: يا مقلّب القلوب.

القلوب الأفئدة، وتقليبها وتصريفها من حال إلى حال من الإيمان إلى الكفر، ومنه إلى الإيمان، ومن المودّة إلى العداوة، ومنها إلى المودّة، كما قال «عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودّة»[٢].

وقوله «ولا تزغ قلبي» أي: لا تمله عن الايمان، ومنه قوله تعالى «مازاغ البصر وماطغى»[٣] وقوله «وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر»[٤] يقال: زاغ عن الطريق إذا عدل عنه.

قوله: بعزّة ملكك وعظم سلطانك.

هذه الاضافات بثلاثتها إمّا بتقدير اللام، أو من اضافة الصفة إلى

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١:٢٦٨. والظاهر أنّه من كلام الصدوق لا الامام عليه السّلام.

(٢) سورة الممتحنة: ٧.

(٣) سورة النجم: ١٧.

(٤) سورة الأحزاب: ١٠.

عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ ، أَن تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وأَن تَفْعَلَ بي كذا وكذا.

ثمّ تقول:

أُعِيذُ نَفْسِي وَدِينِي وَأَهْلِي وَمَالِي وَوَلَدِي وَإِخْوانِي وَمَا رَزَقَنِي رَبِّي ، وَجَمِيعَ مَنْ يُعْنِينِي أَمْرُهُ، بِاللهِ الأَحَدِ[1] الصَّمَدِ الَّذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدْ، وَبِرَبِّ الْفَلَقِ إِلَى آخِرِها، وَبِرَبِّ النَّاسِ إِلَى آخِرِها.

ثمّ اقرأ الحمد وآية الكرسي إلى «هم فيها خالدون» وآية:

شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ ماجاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُم وَمَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ. وآية المُلك ، وهي:

الموصوف، أي: بملكك العزيز الغالب، وسلطانك العظيم، وقوّتك الشديدة.

قوله: وآية الكرسي إلى هم فيها خالدون.

أكثر مفسّري العامّة، كالقاضي البيضاوي وغيره على أنّ آخر آية الكرسي هو قوله تعالى «وهو العليّ العظيم» حيث ذكروا بعده ماشتملت عليه هذه الآية من المسائل الالهيّة، ونقلوا ثواب قراءتها وفوائدها، وبعضهم أفردها ليفسّرها، فنقلها إلى قوله «وهو العليّ العظيم» ولمّا كان هذا مخالفاً لما عليه الخاصّة، قيّده الشيخ ـقدّس سرّهـ بقوله «إلى هم فيها خالدون».

---

(١) الواحد القهار: خ.

«قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاء وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاء وَتُعِزُّ مَنْ تَشاء وَتُذِلُّ مَنْ تَشاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيء قَدِيرٌ* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهار وتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وتَرْزُقُ مَنْ تَشاء بِغَيْرِ حِسابٍ». وآية السخرة، وهي:

«إِنَّ رَبَّكُمُ الله الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّة أَيّام ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْش يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبارَكَ الله رَبُّ العالَمينَ* أُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفيَة إِنَّهُ لايُحِبُّ الْمُعْتَدينَ* وَلاَ تُفْسِدُوا فِي

قوله: وآية السخرة.

من فوائد آية السخرة أنّها كافية للحفظ من الشياطين إذا أخذ مضجعه يقرأها.

روي أنّ رجلاً تعلّم ذلك عن أمير المؤمنين عليه السَّلام ثمّ مضى فاذا هو بقرية خراب فبات فيها ولم يقرأ هذه الآية، فتغشّاه الشيطان فاذا هو به آخذ بلحيته، فقال له صاحبه: انظره، فاستيقظ الرجل فقرأ هذه الآية. فقال الشيطان لصاحبه: أرغم الله تعالى أنفك احرسه الآن حتّى يصبح.

فلمّا رجع إلى أمير المؤمنين عليه السَّلام فأخبره، فقال له: رأيت في كلامك الشفاء والصدق، ومضى بعد طلوع الشمس فاذا هو بأثر شعر الشيطان منجرّاً في الأرض[١].

---

(١) بحار الأنوار ٩٢: ٢٧٦، ح٢.

الأَرْض بَعْدَ إصْلاحِها وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطمَعاً إنَّ رَحْمَةَ الله قَريبٌ مِنَ المُحْسِنينَ». وآخر الكهف:

قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِداداً لِكَلماتِ ربِّي لَنَفِدَ الْبحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئنا بِمثْلِهِ مَدَداً * قُلْ إنَّما أَنا بَشرٌ مثلُكُمْ يُوحىٰ إليَّ أَنَّما إلٰهُكُمْ إلهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرجُو لِقَاء رَبِّه فَليعمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلاَ يُشرِكْ بِعبَادَة رَبِّه أَحداً. ومن أوّل الصافات:

«بِسْمِ الله الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ * وَالصَّافَّاتِ صَفَّاً * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً *

قوله تعالى: قل لو كان البحر مداداً لكلمات إلى آخره.

قد تطلق الكلمة مجازاً على معاني الألفاظ، والموجودات العينيّة، والعلم بالألفاظ، كما ورد في حقّ عيسى عليه السَّلام «وكلمته ألقاها إلى مريم»[١] وقال الله تعالى «إليه يصعد الكلم الطيّب»[٢].

وكما قيل: بسائط الموجودات حروف ومركّباتها كلمات.

والمراد بالكلمات هنا متعلّقات علمه تعالى، وهي كعلمه تعالى غير متناهية، وماء البحر لكونه جسماً متناهياً لما ثبت من تناهي الأبعاد، فلو ضمّ مثله إليه، لكان مجموعهما متناهياً.

لأنّ الحاصل من ضمّ المتناهي إلى المتناهي متناه، ومعلوم أنّ المتناهي ينفد قبل نفاد غير المتناهي، بل لانفاد له ولا نسبة بينهما، فالمفهوم هنا غير معتبر، فتأمّل.

---

(١) سورة النساء: ١٧١.

(٢) سورة فاطر: ١٠.

فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً * إِنَّ إِلَـهَـكُمْ لَوَاحِدٌ * رَبُّ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِق * إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ * وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلى الْمَلأ الأَعْلىٰ وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ * دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثَاقِبٌ». وثلاث آيات من آخرها:

«سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * والْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ». وثلاث آيات من سورة الرحمن:

«يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمواتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا، لاَ تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَانِ». وأربع آيات من آخر سورة الحشر:

قوله: سبحان ربّك ربّ العزّة إلى آخره.

في قرب الاسناد: باسناده إلى أبي عبدالله عليه السَّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السَّلام: من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى، فليقل في دبر كلّ صلاة سبحان ربّك الآيات الثلاث[١].

وفي الفقيه: عنه عليه السَّلام: من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى، فليكن آخر قوله سبحان ربّك الآيات[٢].

وفي مجمع البيان: عنه عليه السَّلام من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى من

---

(١) بحار الأنوار ٢٣:٨٦ عن قرب الاسناد: ٢٤.

(٢) من لايحضره الفقيه ١:٣٢٥.

«لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ والشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللهُ الذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ

الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه في مجلسه سبحان ربّك الآيات[١].

وفي أُصول الكافي: عن أبي جعفر عليه السّلام: من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى، فليقل إذا أراد أن يقوم من مجلسه سبحان ربّك الآيات[٢].

وفي روضة الكافي: عنه عليه السّلام أنّه قال لرجل من أهل الشام: انّ الله كان ولا شيء غيره، وكان عزيزاً ولا أحد كان قبل عزّه، وذلك قوله «سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون» الحديث[٣].

قوله تعالى: هو الملك القدّوس السلام إلى آخره.

الملك لأصناف المملوكات كما قال «ملكوت السماوات والأرض»[٤] فانّ الملكوت ملك الله زيدت فيه التاء، كما زيدت في رهبوت ورحموت، يقول العرب، رهبوت خير من رحموت، أي: لئن ترهب خير من أن ترحم.

والقدّوس: فعّول من القدس، وهو الطهارة، والقدّوس الطاهر من العيوب المنزّه عن الأنداد والأضداد والأولاد، والتقديس التطهير والتنزيه.

والسلام هو الذي سلم من كلّ عيب وبريء من كلّ آفة ونقص.

---

(١) مجمع البيان ٤: ٤٦٣.

(٢) اصول الكافي ٢: ٤٩٦، ح٣.

(٣) روضة الكافي ٨: ٩٤.

(٤) سورة الأنعام: ٧٥.

المتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللهُ الْخَالِقُ البَارِىءُ المصَوِّرُ لَهُ الأَسْماءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا في السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

وقيل: معناه المسلم، لأنّ السلامة تنال من قبله، والسلام والسلامة مثل الرضاع والرضاعة، وقوله «لهم دارالسلام»[1] يجوز أن تكون مضافة إليه، ويجوز أن يكون قد سمّيت الجنّة سلاماً، لأنّ الصائر إليها يسلم من كلّ آفة الدنيا، فهي دارالسلامة.

والايمان في اللغة التصديق، فالمؤمن المصدّق، أي: يصدّق وعده، ويصدّق ظنون عباده المؤمنين ولا يخيب آمالهم، أو أنّه آمنهم من الظلم والجور.

وعن سيّدنا الصادق عليه السَّلام: سمّي الباري عزّوجلّ مؤمناً، لأنّه يؤمن عذابه من أطاعه، وسمّي العبد مؤمناً، لأنّه يؤمن على الله فيجيز الله أمانه[2].

والمهيمن: الشهيد، والله هو الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قول أو فعل. وقيل: المهيمن الأمين. وقيل: الرقيب على الشيء والحافظ له.

والعزيز: هو المنيع الذي لايغلب، يقال: من عزّ بزّ، أي: من غلب سلب، وقد يقال للملك، كما قال اخوة يوسف «ياأيّها العزيز»[3].

والجبّار: هو الذي جبر مفاقر الخلق وكثّرهم، وكفاهم أسباب المعاش والرزق. وقيل: الجبّار العالي فوق خلقه، والقامع لكلّ جبّار، أو القاهر الذي لاينال، يقال للنخلة التي لا تنال: جبّارة.

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٧.

(٢) التوحيد: ٢٠٥.

(٣) سورة يوسف: ٨٨.

ثمّ تقرأ سورة الإخلاص اثنتَي عشرة مرة، ثمّ تقول وأنت باسط يدَيك[(١)]:

اَللَّهُمَّ إنِّي أسأَلُكَ بِاسْمِكَ الْمَكْنُون الْمَخْزون الطُّهْر الطَّاهِر الْمُبَارَك، وَأَسأَلُكَ باسْمِكَ الْعَظِيم، وَسُلْطَانِكَ الْقَديم، يَا وَاهِبَ الْعَطَايَا، يَا مُطْلِقَ الأُسَارَى، يَا فَكَّاكَ[(٢)] الرِّقَاب مِنَ النَّار، أسأَلُكَ أَنْ تُصلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تُعْتِقَ رَقَبَتِي مِنَ النَّار، وَأَنْ تُخْرِجَنِي مِنَ الدُّنْيَا آمِناً، وَتُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ سَالِماً، وَأَنْ تَجْعَلَ دُعَائِي أَوَّلَهُ فَلَاحاً، وأَوْسَطَهُ نَجَاحاً، وَآخِرَهُ صَلاحاً، إنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ.

والمتكبر: هو المتعالي عن صفات الخلق، أو المتكبّر على عتاة خلقه، إذ نازعوه العظمة.

قوله: يافكّاك الرقاب من النار.

شبّه ارتباط الرقاب واختلاطها ومجاورتها النار، باتّصال الأشياء واختلاط بعضها ببعض. وشبّه نجاتها منها وخلاصها من ايلامها بافتكاك الأشياء بعضها من بعض، فانّ أصل الفكّ الفصل بين الشيئين، وتخليص بعضها من بعض.

وكذلك لمّا كان أهل النار مقيّدين بها، وهي متصرّفة فيهم، فكأنّهم عبيد

---

(١) ذكر رئيس المحدّثين في الفقيه قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: مَن أحبّ أن يخرج من الدنيا وقد خلص من الذنوب، كما يتخلص الذهب الذي لا كدر فيه، ولا يطلبه أحد بمظلمة، فليقل في دبر الصلوات الخمس نسبة الرب تبارك وتعالى اثنتي عشرة مرّة، ثم يبسط يديه ويقول: اللّهم إني أسألك باسمك المكنون إلى آخر الدعاء. ثم قال أمير المؤمنين عليه السّلام هذا من المخبئات ممّا علّمني رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأمرني أن أُعلّم الحسن والحسين عليهما السّلام (منه).
من لا يحضره الفقيه ١: ٣٢٤.

(٢) يا فاكّ: خ ل.

ثمّ تقول وهو ممّا يختصّ بتعقيب الصبح:

اَللَّهُمَّ إنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَكَفَى بِكَ شَهِيداً، وَأُشْهِدُ مَلائِكَتَكَ، وَحَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَسُكَّانَ سَمَاوَاتِكَ وَأَرْضِكَ، وأنبياءكَ

تحت الشدّة، فشبّه نجاتهم منها بالاعتاق والاحرار، والمراد بالرقبة الشخص نفسه تسمية للكلّ باسم ماينوط به.

قوله: أُشهدك .

جملة حاليّة.

قوله: وحملة عرشك.

يمكن أن يراد بالعرش هنا علم الله، وبحملته رسول الله صلّى الله عليه وآله والأوصياء من بعده عليهم السَّلام، فانّهم يحملون علمه.

والعرش: قد يراد به الجسم المحيط بالكلّ، مع مافيه من الأجسام والجسمانيّات. وقد يراد به جميع ماسوى الله. وقد يراد به علم الله بما سواه. وقد يراد به علمه الذي أطلع عليه أنبياءه ورسله وحججه خاصّة عليهم السَّلام.

وفي الكشّاف: عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: انّ حملة العرش اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيّدهم الله بأربعة آخرين، فيكونون ثمانية.

وروي أنّهم ثمانية أملاك، أرجلهم في تخوم الأرض السابعة، والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبّحون. وقيل: بعضهم على صورة الانسان، وبعضهم على صورة الأسد، وبعضهم على صورة الثور، وبعضهم على صورة النسر.

وقيل: ثمانية أملاك في خلق الأوعال مابين أظلافها إلى ركبها مسيرة

وَرُسُلِكَ ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ ، فاشْهَدْ لِي وَكَفَى بِكَ شَهِيداً، أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، وَأَنَّ كُلَّ مَعْبُودٍ مِمَّا دُونَ عَرْشِكَ إِلَى قَرَارِ أَرْضِكَ السَّابِعَةِ السُّفْلَىٰ بَاطِلٌ مُضْمَحِلٌّ، مَا عَدَا

سبعين عاماً.

وقيل: أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهمّ وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك ، وأربعة يقولون: سبحانك اللهمّ وبحمدك لك الحمد على حلمك .

وقيل: هم ثمانية صفوف لايعلم عددهم الّا الله(١).

قوله: والصالحين من عبادك .

انّما أشهد الصالحين من عباد الله، لأنّ الطالحين منهم مردودي الشهادة.

قوله: ممّا دون عرشك.

أي: تحته، والمراد بالعرش هنا هو الجسم المحيط بالكلّ.

قوله: باطل مضمحلّ.

لأنّ العبادة أقصى غاية الخضوع والتذلّل، فلا يليق بها الّا من هو مولى النعم كلّها دقيقها وجليلها، وما هو في عالم الوجود الّا الله، إذ ما من خير الّا وهو مولاه بوسط أو غيره، كما قال «ومابكم من نعمة فمن الله»(٢).

قوله: ماعدا وجهك الكريم.

أي: ذاتك المعطي من غير سؤال، فانّه معبود حقّ ثابت، فحذف المدّعى

---

(١) الكشاف ٤: ١٥٢.

(٢) سورة النحل: ٥٣.

وَجْهَكَ الْكَرِيمَ، فَإِنَّهُ أَعَزُّ وَأَكْرَمُ وَأَجَلُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَصِفَ الوَاصِفُونَ كُنْهَ جَلالِهِ، أَوْ تَهْتَدِيَ الْقُلُوبُ إِلَى كُنْهِ عَظَمَتِهِ. يَا مَنْ فَاقَ مَدْحَ الْمَادِحِينَ فَخْرُ مَدْحِهِ، وَعَدَا[1] وَصْفَ الْوَاصِفِينَ مآثِرُ حَمْدِهِ، وَجَلَّ عَنْ مَقَالَةِ النَّاطِقِينَ تَعْظِيمُ شَأْنِهِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَافْعَلْ بِنَا مَا أَنْتَ أَهْلُهُ، يَا أَهْلَ التَّقْوَى وَأَهْلَ الْمَغْفِرَةِ.

ثم تقول:

سُبْحَانَ اللهِ كُلَّمَا سَبَّحَ اللهَ شَيْءٌ، وَكَمَا يُحِبُّ اللهُ أَنْ يُسَبَّحَ،

وأقام الدليل مقامه، لأنّ من هذا شأنه فهو الواجب الوجود المستحقّ للعبادة.

والمراد بالقلوب العقول، فانّها وان تدرك الأشياء كما هي، الاّ أنّها لا تدرك ذاته وصفاته التي هي عين ذاته تعالى، لا لكونه غير قابل للادراك، فانّه مجرّد من كلّ وجه لايحتاج إلى عمل يعمل فيه، بل لكونها قاصرة عن ادراكه، لانّه سبحانه لاماهيّة له، فلا مهيّة له معلومة لغيره.

فكيف يمكن وصفه بكنه ذاته وصفاته، وهوغيرمدرك من هذه الجهة، و وصف الشيء فرع ادراكه، ولذاقيل: لاأُحصي ثناءعليك أنت كماأثنيت على نفسك.

گر كسى وصف او زمن پرسد بى دل از بى نشان چه گويد باز

قوله: يا أهل التقوى.

أي: هو حريّ لأن يتّقى منه ويخاف لبطشته الكاملة وقدرته الشاملة.

قوله: سبحان الله كلّما سبّح الله شيء.

كلمة «ما» زمانيّة، أي: سبّحت الله تسبيحاً، ونزّهته تنزيهاً عمّا لايليق

---

(١) وعلا: خ ل.

وَكَمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَكَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِهِ وَعِزِّ جَلالِهِ، وَالْحَمْدُ للهِ كُلَّمَا حَمِدَ اللهَ شَيْءٌ، وَكَمَا يُحِبُّ اللهُ أَنْ يُحْمَدَ، وَكَمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَكَمَا

بجناب قدسه وعزّ جلاله، كلّ زمان سبّحه شيء. والوجه في وضع اسم الظاهر هنا موضع الضمير هو الوجه في قوله:

تالله يا ظبيّات القاع قلن لنا ليلاي منكنّ أم ليلى من البشر

قال العلّامة الطبرسي: سبحان الله صار في الشرع علماً لأعلى مراتب التعظيم الذي لايستحقّه الّا هو سبحانه، ولذلك لايستعمل في غيره، وإن كان منزّهاً عن النقائص.

ولعلّه ناظر إلى ماقيل: انّ التنزيه المستفاد من سبحان الله ثلاثة أنواع: تنزيه الذات عن نقص الامكان الذي هو منبع السوء. وتنزيه الصفات عن الحدوث، بل عن كونها مغايرة للذات وزائدة عليها. وتنزيه الأفعال عن القبح والعبث وعن كونها جالبة إليه نفعاً، أو دافعة عنه ضرّاً كأفعال العباد.

ثمّ التسبيح يدلّ على كونه مبرّاً في ذاته وصفاته عن النقائص والآفات، والحمد يدلّ مع حصول تلك الصفة على كونه محسناً إلى الخلق منعماً عليهم رحيماً بهم، فالتسبيح اشارة إلى كونه تامّاً، والتحميد على كونه فوق التمام، فلتقديمه عليه وجه.

قوله: لكرم وجهه وعزّ جلاله.

من اضافة الصفة إلى الموصوف، والوجه هو الذات «كلّ شيء هالك الّا وجهه»[1].

---

(١) سورة القصص: ٨٨.

يَنْبَغِي لِكَرَم وَجْهِهِ وَعزِّ جَلالِهِ، وَلاَ إلَهَ إلَّا الله كُلَّمَا هَلَّلَ الله شَيءٌ، وَكَمَا يُحِبُّ الله أَنْ يُهَلَّلَ، وَكَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَكَمَا يَنْبَغي لِكَرَم وَجْهِهِ وَعزِّ جَلالِهِ، والله أَكبَرُ كُلَّمَا كَبَّرَ الله شَيءٌ، وَكَمَا يُحِبُّ الله أَنْ يُكَبَّرَ، وَكَمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَكَمَا يَنْبَغِي لِكَرَم وَجْهِهِ وَعزِّ جَلالِهِ، سُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله وَلاَ إلَهَ إلَّا الله والله أَكبَرُ، عَلَى كُلِّ نِعمَةٍ أَنْعَمَ الله بِهَا عَلَيَّ ،وَعَلى كُلِّ أَحدٍ مِنْ خَلْقِهِ، مِمَّنْ كَانَ أَوْ يَكُونُ إلَى يَوْم الْقِيَامَةِ.

اللَّهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَسأَلُكَ خَيْرَ ما أَرْجُو، وَخَيْرَ مَا لاَ أَرْجُو، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أحذَرُ،وَمنْ شرِّمَالاأحذَرُ.

ثـمّ تقول[١] وهو ممّا يُدعى به في المساء أيضاً بإبدال لفظ أصبحتُ،

قوله: والله أكبر على كلّ نعمة.

متعلّق بقوله والحمد لله.

قوله: وعلى كلّ أحد من خلقه.

انعام النعمة جميل اختياريّ يورث الحمد والثناء، سواء أنعم بها على الحامد أو على غيره، فكثيراً ماتقول: حمدت فلاناً على كرمه وانعامه وهو لم ينعم عليك ولم يكرمك بل أنعم على غيرك .

---

(١) قال علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن محمّد الطاووس العلوي الفاطمي ـ أعلى الله درجته ـ في كتاب مهج الدعوات: انّه دعاء مجرَّب رواه أنس عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: من استعمله كلّ صباح وكل مساء وكّل الله به أربعة أملاك يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، وكان في أمان الله عزّوجلّ لو اجتهد الخلائق من الجن والإنس أن يضارُّوه ما قَدِرُوا، ثم ذكر الدعاء المذكور في المتن (منه). مهج الدعوات: ٧٥.

بأمسيتُ (نسخة).

بِسْمِ اللهِ خَيْرِ الأَسْماءِ، بِسْمِ اللهِ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّماءِ، بِسْمِ اللهِ الَّذي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ سَمٌّ وَلاَ دَاءٌ بِسْمِ اللهِ أَصْبَحْتُ، وَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ، بِسْمِ اللهِ عَلَى قَلْبِي وَنَفْسِي، بِسْمِ اللهِ عَلَى دِينِي وَعَقْلِي، بِسْمِ اللهِ عَلَى أَهْلِي وَمَالِي، بِسْمِ اللهِ عَلَى مَا أَعْطاني رَبِّي، بِسْمِ اللهِ الَّذي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّماءِ، وَهُوَ السميعُ العَلِيمُ.

قوله: لا يضرّ مع اسمه سمّ.

أي: غذاء من أغذية الدنيا، سمّاه سمّاً مبالغة في ايذائها، كما في حديث عليّ عليه السَّلام يذمّ الدنيا: غذاؤها سمام[١]، وهي بالكسر جمع سمّ القاتل، فلا يرد أنّه خلاف الواقع.

أو المراد أنّه لايضرّ معه إذا كان له يقين صادق وجزم كامل، كما روي عن الكاظم عليه السَّلام أنّه قال: من استكفى بآية من القرآن من المشرق إلى المغرب كفي إذا كان له يقين[٢]. والله وحججه أعلم بمقاصدهم.

قوله: بسم الله على قلبي ونفسي.

أي: أقرأ بسم الله عليها ليكونا محفوظين ممّا يضرّهما، وكذا في البواقي.

قوله: لايضرّ مع اسمه شيء.

يحتمل أن يكون هذا وأمثاله اخبار من الداعي بحسن ظنّه بأسماء الله تعالى، وانّ كلّ واحد منها كاف في مقام الاستكفاء إذا كان المستكفي على

---

(١) نهج البلاغة: ١٦٥، ط ١١١.

(٢) اصول الكافي ٢: ٦٢٣، ح١٨.

اَللهُ اَللهُ رَبِّي حَقّاً لاَ أُشْرِكُ بِهِ شَيئاً. اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، اَللهُ أَعَزُّ وَأَجَلُّ مِمّا أَخافُ وَأَحْذَرُ، عَزَّ جارُكَ وَجَلَّ ثَناؤُكَ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْماؤُكَ، وَلاَ إلَهَ غَيْرُكَ.

اَللّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ سُلْطان شَدِيدٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْطان مَرِيدٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ جَبّار عَنِيدٍ، وَمِنْ شَرِّ قَضاء السُّوء، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دابَّة أَنْتَ آخِذٌ بِناصِيَتِها، إنَّكَ عَلَى صِراط مُسْتَقِيم، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيء حَفِيظٌ. إنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذي نَزَّلَ

يقينه، كما مرّ، فتأمّل.

قوله: أعوذ بك من شرّ نفسي.

فانّ نفسي هالكة أو تعصمها، وانّما قدّم الاستعاذة من شرّها لأنّ أعدا عدوّك نفسك التي بين جنبيك. ونعم ماقيل بالفارسيّة.

گر شود دشمن درونى نيست باكى از دشمن بيرونى نيست

قوله: أنت آخذ بناصيتها.

أي: أنت متصرّف فيها تصرّف المالك في المملوك والقادر على المقدور، فتقدر على دفع شرّها وضرّها عنّي، لأنّ من أخذ بناصية الفرس يجرّه حيثما شاء، ويتصرّف فيه كيفما أراد.

وهذا ـ أي: الأخذ بالناصية ـ عبارة عن كونها مهانة ذليلة في جنب قدرة الله القادر، خاضعة عنده خاشعة لديه. وفي الكلام استعارة، والناصية شعر مقدّم الرأس، سمّيت بذلك لانّها متّصلة بالرأس، من قولهم «ناصى مناصاة» إذا واصل.

الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لاٰ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السميعُ الْعَلِيمُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

ثمّ تقول وهو ممّا يختص بتعقيب الصبح(١):

بِسْمِ اللهِ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ، فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئاتِ مَا مَكَرُوا، لاَ إِلٰـهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذلكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ. حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سوءٌ(٢) ماشاء اللهُ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ماشاء اللهُ لاَ

قوله: وهو يتولّى الصالحين.

أي: يحبّهم، أو ينصرهم، أو يتولّى أُمورهم.

---

(١) رواه الصدوق ـ طاب ثراه ـ في الفقيه عن ابن الفرج قال: كتب إليَّ أبوجعفر بن محمّد بن علي الرضا عليه السّلام هذا الدعاء وعلّمنيه، وقال: من دعا به في دبر صلاة الفجر، لم يلتمس حاجة إلّا استُجيب له، وكفاه الله ما أهمّه (منه). من لايحضره الفقيه ١:٣٢٦.

(٢) وروى رئيس المحدّثين في الفقيه [٤:٣٩٢ ـ ٣٩٣] عن محمّد بن عمر، عن أبان بن عثمان، وهشام ابن سالم، ومحمّد بن حمران، عن الصادق عليه السّلام قال: عجبت لمن فزع من أربع كيف لايفزع إلى أربع، عجبت لمن خاف كيف لايفزع إلى قوله عزّوجلّ: «حسبنا الله ونعم الوكيل» فإنّي سمعت الله عزّوجلّ يقول بعقبها: «فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء» وعجبت لمن اغتمّ كيف لايفزع الى قوله تعالى: «لا إله إلّا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» فإنّي سمعت الله عزّوجلّ يقول بعقبها: «فاستجبنا له ونجيناه من الغمّ وكذلك ننجي المؤمنين» وعجبت لمن مُكِرَ به كيف لايفزع إلى قوله تعالى: «وأفَوِّضُ أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد» فإني سمعت الله عزّوجلّ

ــــ

ماشاء النَّاسُ، ماشاء الله وَإنْ كَرِهَ النَّاسُ، حَسْبِيَ الرَّبُّ مِنَ الْمَرْبُوبِينَ، حسْبيَ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، حسْبِيَ الرَّازِقُ مِنَ الْمَرْزُوقِينَ، حَسْبِيَ الله رَبُّ الْعَالَمِينَ، حسْبيَ مَنْ هُوَ حَسْبي، حَسْبي مَنْ لَمْ يَزَلْ حسبي، حَسْبي مَنْ كَانَ مُذْ كُنْتُ حَسْبي، حَسْبيَ الله الَّذي لا إلَهَ إلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

ثمّ تقول:

اَللّهُمَّ أَصْبَحَ ظُلْمِي مُستَجِيراً بِعَفْوِكَ ، وَأَصْبَحَتْ ذُنُوبِي مُستَجِيرَةً بِمَغْفِرَتِكَ ، وَأَصْبَحَ خَوْفِي مُستَجِيراً بِأَمانِكَ ، وَأَصبَحَ فقْري مُستَجِيراً بِغِناكَ ، وَأَصْبَحَ ذُلِّي مستجيراً بِعزِّكَ ، وَأَصْبَحَ ضَعْفِي مُستَجِيراً بِقُوَّتِكَ ،

قوله: وأصبحت ذنوبي مستجيرة بمغفرتك.

اسناد الاصباح والاستجارة إلى ما ذكر من الظلم والذنوب وغيرهما مجاز، فانّها أسباب لاستجارة موصوفاتها بالله تعالى باعتبار فعل من أفعاله المقابلة لتلك الأفعال، كعفو الظلم ومغفرة الذنب وهكذا.

وفي الحقيقة المستجار به في جميع هذه الصور هو الله تعالى، ولكن في كلّ صورة باعتبار فعل و وصف آخر،فانّ الفقير مثلاً انّما يستجير الى الغني لفقرة وغناه .

وكذلك كلّ ناقص من حيث هو ناقص انّما يرجع إلى الكامل من حيث

يقول بعقبها: «فوقاه الله سيئات مامكروا» وعجبت لمن أراد الدنيا وزينتها كيف لايفزع الى قوله تعالى: «ماشاء الله لا قوة إلّا بالله» فإنّي سمعت الله عزّوجلّ يقول بعقبها: «إن ترَني أنا أقل منك مالاً وولداً، فعسى ربّي أن يؤتيني خيراً من جنّتك» الآية. وعسى موجبة، انتهى الحديث.

ولا يخفى أنّه قد جمع في الدعاء المذكور في المتن الآيات الأربع، وأنّ الظاهر عدم ذكر لا حول في الدعاء كما في بعض نسخ الفقيه عند ذكر الدعاء، لعدمه في الآية المباركة (منه).

وَأَصْبَحَ وَجْهِيَ الْفَانِي مُسْتَجِيراً بِوَجْهِكَ الْبَاقِي،

هو كامل، فالصفات من الطرفين علل وأسباب للرجوع، وكلّ واحد من الراجع والمرجع هو الذات باعتبار وصف من الأوصاف.

قوله: بوجهك الباقي.

المراد بالوجه هنا هو الذات، كما في قوله تعالى «كلّ شيء هالك الاّ وجهه»[1] والبقاء صفة الوجود وهو استمراره، وهو وجود مخصوص، فانّه وجود مستمرّ، وبقاؤه تعالى عين ذاته، فاستحال أن يسبقه عدم، أو يلحقه انقطاع، بل هو باقٍ أزلاً وأبداً، وان مرّت الدهور والأعوام، ومضت الأزمان والأيّام.

إذ لا غاية له من الزمان ينتهي إليها، ولا مدّة مضروبة منه يقف عليها، كما يكون للزمانيّات من زمانها؛ لأنّ الدهور والأعوام والأزمان والأيّام من مخلوقاته.

و وجوده تعالى وإن كان مساوقاً لوجود الزمان، بمعنى أنّه معه في الوجود، إذ كان هو موجده وخالقه، الاّ أنّ مساوقة الزمان لايقتضي الكون فيه، كالعالم فانّه مع الخردلة وليس فيها. وإذا كان تعالى ليس في الزمان، لم تكن له غاية منه يقف عندها.

فثبت أنّه تعالى باقٍ دائم على مرّ الدهور والأزمان والشهور؛ لأنّ الواجب بالذات ممتنع العدم دائماً، فانّ كلّ ما كان واجب الوجود لذاته في وقت، فهو واجب الوجود في جميع الأوقات أزلاً وأبداً مادام الذات، لأنّ الواجب بالذات ماكان مجرّد ذاته كافياً في كونه واجباً.

وكلّ ما كان مجرّد ذاته كافياً في كونه واجباً، وجب وجوده في كلّ وقت؛

---

(١) سورة القصص: ٨٨.

يـا كائنـاً قَبْلَ كُلِّ شَـيء، وَيا كـائنـاً بَعْـدَ كُلِّ شَيء،وَيَـا مُـكَوِّنَ كُـلِّ شَيء، صَلِّ عَلَى مُحَمَّـدٍ وَآلِ مُحَـمَّدٍ، واجْـعَلْ لِي مِـنْ امْـري فَـرَجـاً وَمخـرجاً، وارْزُقْني مِنْ حَيْثُ أَحتَسِبُ وَمنْ حَيْثُ لاَ أَحْتَسِبُ.

إذ لـو وجد في وقت دون وقـت لزم: إمّا الـترجيح بـلا مرجّح، أو الـوقوع بسبب وهم قـد فسّروا الـبـاقي من أسمائـه تـعالى بمـا لاسبيـل للـفناء عـليـه، أو الذي لايعرض له عوارض الزوال، ولا ينتهي تقدير وجوده في الاستقبال.

ويعبّر عنه بأنّـه أبديّ الوجود، لأنّ بقاءه غير متناه ولا محدود، وليست صفة بقـائه ودوامـه كبقـاء الجنّـة والنار ودوامهما، لأنّ بقـاءه أبديّ أزلـيّ، وبقاؤهما أبديّ غير أزليّ.

ولـيس المراد ببقائه اسـتـمرار وجوده من حيث انـتسـابه إلى الزمان الثاني، كما هو المشهـور في تفسيره، وجـوّزه بعض الفضلاء المتأخّريـن المائلين إلى القول بالزمان الموهوم.

نعم يمكن تصـحيح المعنى المشهـور على القول بالزمان التقديري، كما أومـأنا إليه في بعض رسائلنا المعمولة لتحقيق الحدوث الدهري، فليطالع من هنالك.

قوله: يا كائناً قبل كلّ شيء.

ظاهر المقابـلة يفيد أنّـه تعالى كما كان ولم يكن معه شيء، كذلك سيكون ولا يكون معه شيء، فيدلّ على أنّه تعالى يفني الأشياء جميعاً ثمّ يوجدها.

وظاهر أدلّة امتـنـاع اعـادة المعدوم، والأخبار الـدالّـة على أنّ الأرواح بـعد مفارقتها الأبـدان باقيـة: إمّا منعّمة، أو معـذّبة إلى أن يردّها الله بقدرته الـكاملة إلى أبدانهـا، وبعـده من غير خـلاف لامـوت ولا فنـاء لشيء مـن الأرواح، وما يدلّ على أبديّة الجنّة والنار وأهاليهما. ينافيه، فلابدّ له من تأويل.

ثمّ تقول سبع مرّات وأنت قابض لحيتك بيدك اليمنى، باسط باطن يدك اليسرى إلى السماء:

يا رَبَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، صلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَعَجِّلْ فَرَجَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.

وسبع مرّات:

يا رَبَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وأَعْتِقْ رَقَبَتِي مِنَ النَّار.

فنقول: كلّ شيء في معرض الزوال والفناء والتغيّر، وهو تعالى باقٍ ذاتاً وصفة، بحيث لا يتطرّق إليه تغيّر وتحوّل من هيئة إلى هيئة، ومن حال إلى حال، ومن صفة إلى صفة.

تدل عليه صحيحة ابن أبي يعفور التي رواها ثقة الاسلام والصدوق رحمهما الله عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: سألته عن قوله عزّوجلّ «هو الأوّل والآخر» قلت: أمّا الأوّل فقد عرفناه، وأمّا الآخر فبيّن لنا تفسيره؟

فقال: انّه ليس شيء الاّ يبيد أو يتغيّر، أو يدخله التغيّر والزوال، أو ينتقل من لون إلى لون، ومن هيئة إلى هيئة، ومن صفة إلى صفة، ومن زيادة إلى نقصان، ومن نقصان إلى زيادة إلّا ربّ العالمين، فانّه لم يزل ولايزال واحد، هو الأوّل قبل كلّ شيء، وهو الآخر على ما لم يزل، لاتختلف عليه الصفات والأسماء، كما تختلف على غيره، مثل الانسان الذي يكون تراباً مرّة، ومرّة لحماً، ومرّة دماً، ومرّة رفاتاً ورميماً، كالتمر الذي يكون مرّة بلحاً ومرّة بسراً ومرّة رطباً ومرّة تمراً، فتتبدّل عليه الأسماء والصفات، والله عزّوجلّ بخلاف ذلك.[١]

---

(١) اصول الكافي ١: ١١٥، ح٥، التوحيد: ٣١٤، ح٢.

ثمّ تقول:

يَا أَللّٰهُ يَا رَحْمٰنُ يَا رَحِيمُ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَستَغِيثُ، اَللّٰهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي فِي كُلِّ كُربَةٍ، وَأَنْتَ رَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ، وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وعُدَّةٌ، فَاغْفِرْلِي ذُنُوبِي كُلَّها، واكْشِفْ هَمِّي، وَفَرِّجْ غَمِّي. اَللّٰهُمَّ أَغْنِنِي[1] بِحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ.

وبالجملة كلّ ماعداه ممكن هالك في حدّ ذاته، معدوم لضعف الوجود الامكاني، فالتحق بالهالك المعدوم، كما أشار إليه بهمنيار في التحصيل حيث قال: كلّ ممكن بالقياس إلى ذاته باطل وبه تعالى حقّ، كما يرشد إليه قوله تعالى «كلّ شيء هالك الاّ وجهه»[2] فهو آناً فآناً يحتاج إلى أن يقول له الفاعل الحقّ: كن، ويفيض عليه الوجود، بحيث لو أمسك عنه هذا القول والاضافة طرفة عين، لعاد إلى البطلان الذاتي والزوال الأصلي، كما أنّ ضوء الشمس لو زال عن بسطه المستضيء لعاد إلى ظلمته الأصليّة انتهى.

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل　　　وكلّ نعيم لا محالة زائل

ولنا في تحقيق هذه المسألة رسالة مبسوطة بسطنا الكلام فيها بما لامزيد عليه، فليطلب من هناك[3].

---

(١) روى رئيس المحدّثين محمّد بن بابويه عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: شكوت إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ديناً كان عليّ فقال: ياعلي قل: اللهم اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك فلو كان عليك مثل صبير ديناً قضاه الله عنك وصبير جبل باليمن ليس فيها جبل أعظم منه (منه).

(٢) سورة القصص: ٨٨.

(٣) راجع الرسائل الاعتقادية ٢: ٣٦٤.

ثمّ تقول وهو ممّا يُدعى به في المساء أيضاً:
أَصْبَحْتُ اَللّهُمَّ مُعْتَصِماً بِذِمامِكَ الْمُنِيعِ الَّذي لاَ يُحَاوَلُ وَلاَ يُطَاوَلُ، مِنْ شَرِّ كُلِّ غَاشِمٍ وَطَارِقٍ، مِنْ سَائِرِ مَا خَلَقْتَ وَمَنْ خَلَقْتَ مِنْ خَلْقِكَ الصَّامِتِ وَالنَّاطِقِ، فِي جُنَّةٍ مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ بِلِبَاس سَابِغَةٍ وَلاَءِ

قوله: أصبحت اللهمّ معتصماً بذمامك إلى آخره.

روي عن سهل بن يعقوب الملقّب بأبي نواس أنّه قال: قلت لأبي الحسن علي بن محمّد العسكري عليهماالسّلام: ياسيّدي قد وقع إليّ اختيارات الأيّام عن الصادق عليه السّلام ممّا حدّثني به الحسن بن عبدالله بن مطهّر، عن محمّد ابن سليمان الديلمي، عن أبيه، عن الصادق عليه السّلام في كلّ شهر فأعرضه عليك، قال: افعل.

فلمّا عرضته عليه وصحّحته، قلت له: ياسيّدي في أكثر هذه الأيّام قواطع عن المقاصد، لما ذكر فيها من النحس والمخاوف، فتدلّني على الاحتراز عن المخاوف فيها، فربّما تدعوني الضرورة إلى التوجّه إلى الحوائج فيها.

فقال لي عليه السّلام: ياسهل انّ لشيعتنا بولايتنا عصمة، لو سلكوا بها في لجّة[1] البحار الغامرة وسباسب البيداء الغائرة بين سباع وذئاب وأعادي الجنّ والانس، لآمنوا من مخاوفهم بولايتهم لنا، فثق بالله عزّوجلّ، واخلص في الولاء لأئمّتك الطاهرين، وتوجّه حيث شئت واقصد ماشئت.

ياسهل إذا أصبحت وقلت ثلاثاً «أصبحت اللهمّ معتصماً بذمامك» إلى قوله «فهم لايبصرون ولا حول ولا قوّة الّا بالله العليّ العظيم» وقلتها عشيّاً

---

(١) في النسختين: لجج.

أَهْل بَيْتِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم، مُحْتَجباً مِنْ كُلِّ قَاصِدٍ لِي بِأَذِيَّة، بِجِدَارٍ حَصِينِ الإِخْلاصِ فِي الاعْتِرَافِ بِحَقِّهِمْ وَالتَّمَسُّكِ بِحَبْلِهِمْ، مُوقناً بِأَنَّ الْحَقَّ لَهُمْ وَمَعَهُمْ وَفيهِمْ وَبِهِمْ، أُوَالي مَنْ وَالَوْا،

ثلاثاً، دخلت في حصن من مخاوفك، وأمن من محذورك.

فاذا أردت التوجّه في يوم قد حذرت فيه، فقدّم أمام توجّهك الحمد والمعوّذتين والاخلاص وآية الكرسي وسورة القدر والخمس آيات من آل عمران.

ثمّ قل: اللهمّ بك يصول الصائل، وبقدرتك يطول الطائل، ولا حول لكلّ ذي حول الّا بك، ولا قوّة يمتاربها ذو قوّة الّا منك بصفوتك من خلقك وخيرتك من بريّتك محمّد نبيّك وعترته وسلالته عليه وعليهم السّلام وصلّ عليهم.

واكفني شرّ هذا اليوم وضرّه وارزقني خيره ويمنه، واقض لي في متصرفاتي بحسن العاقبة وبلوغ المحبّة، والظفر بالأُمنيّة وكفاية الطاغية الغويّة، وكلّ ذي قدرة لي على أذيّة، حتّى أكون في جنّة وعصمة من كلّ بلاء ونقمة.

وابدلني من المخاوف فيه أمناً، ومن العوائق فيه يسراً، حتّى لايصدّني صادّ عن المراد، ولا يحلّ بي طارق من أذى العباد، انّك على كلّ شيء قدير والأُمور اليك تصير، يامن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[١].

قوله: والتمسّك بحبلهم.

الحبل ما يرتبط به، ثمّ استعير لكلّ ما يتوصّل به إلى الشيء، ومنه

---

(١) امالي الشيخ ١: ٢٨٣ - ٢٨٤. بحار الانوار ٥٩: ٢٤ - ٢٦.

وَأُجَانِبُ مَنْ جانَبُوا، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مَحَمَّدٍ، وأَعِذْنِي اَللّهُمَّ بِهِمْ مِنْ شرِّ كُلِّ مَا أَتَّقِيهِ، يَا عَظِيمُ حَجَزْتَ الأَعادِيَ عَنِّي بِبَدِيعِ السَّماواتِ وَالأرض، (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِم سَدّاً فأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ).

ثمّ تقول وهو ممّا يختص بتعقيب الصبح:

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ اللَّيْلَ بِقُدْرَتِهِ، وَجاء بالنَّهار مُبْصِراً بِرَحْمَتِهِ

«واعتصموا بحبل الله جميعاً»[١].

قال الراغب: حبله هو الذي يكون معه التوصّل به إليه من القرآن والنبيّ والعقل، وغير ذلك ممّا إذا اعتصمت به أدّاك إلى جواره[٢].

ويقال للعهد والذمّة حبل أيضاً؛ لأنّه يعقد بهما الأمان، كما يعقد بالحبل، ومنه «ضربت عليهم الذلّة أينما ثقفوا الّا بحبل من الله وحبل من الناس»[٣] أي: ذمّة الله وذمّة المسلمين. وفسّر حبل الله في بعض الروايات بولايته.

وروى علي بن إبراهيم بسنده عن سيّدنا أبي عبدالله الصادق عليه السَّلام قال: من وفى بذمّتنا فقد وفى بعهد الله وذمّته، ومن حقّر ذمّتنا فقد حقّر ذمّة الله عزّوجلّ وعهده. فهذا معنى التمسّك بحبلهم.

وفي الكلام استعارة مصرّحة، حيث أنّه استعار للعهد والذمّة، والولاية الحبل من حيث أنّ التمسّك به سبب للنجاة عن التردّي، واستعار للوثوق به والاعتماد عليه التمسّك ترشيحاً للمجاز.

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) مفردات الراغب: ١٠٧.

(٣) سورة آل عمران: ١١٢.

خَلْقاً جَدِيداً، وَنَحْنُ فِي عافِيَةٍ بِمَنِّهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ، مَرْحَباً بِالْحَافِظِينَ.

والْتفت إلى يمينك وقل:

وَحَيَّاكُمَا اللهُ مِنْ كَاتِبَيْنِ وَشَاهِدَيْنِ.

والتفت إلى شمالك وقل:

أُكْتُبَا رحمَكُمَا اللهُ: بِسْمِ اللهِ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ

قوله: مرحباً بالحافظين.

أي: لقيتما رحباً وسعة.

وقيل: معناه رحّب الله بكما مرحباً، فجعل المرحب موضع الترحيب.

وفي الخبر: انّ لكلّ انسان معه ملكين بين كتفيه، قلمهما لسانهما ودواتهما فمهما، ومدادهما ريقهما وصحيفتهما فؤادهما، فيكتبان عمله إلى موته[١].

قوله: أُكتبا رحمكما الله.

ورد في بعض الأخبار أنّ لكلّ انسان معه ملكان: أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره، أمّا الذي في يمينه فيكتب الحسنات من غير إذن صاحبه، وأمّا الذي في يساره فيكتب السيئات، ولا يكتبها إلّا بشهادة صاحبه، وإن قعد قعد أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، وإن مشى يمشي أحدهما خلفه والآخر أمامه، وإن نام نام أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله.

وفي رواية: خمسة أملاك: ملكان بالليل، وملكان بالنهار، وملك لا يفارق في وقت من الأوقات، وذلك قوله تعالى «له معقّبات من بين يديه ومن

---

(١) بحار الانوار ٥٩: ١٨٦، ح٣٢.

رَيْبَ فيها، وأَنَّ الله يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُور، عَلى ذلِكَ أَحْيَا، وَعَلَيْهِ أَمُوتُ، وَعَلَيْهِ أُبْعَثُ إنْ شاء الله، أَقْرِئَا مُحَمَّداً صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ مِنِّي السَّلام.

خلفه»[1] يريد بالمعقّب ملائكة الليل والنهار يحفظونه من الجنّ والانس والشياطين.

وفي رواية أُخرى: صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فاذا عمل سيّئة وأراد صاحب الشمال أن يكتبها، قال له صاحب اليمين: أمسك، فيمسك سبع ساعة، فان قال العبد أستغفر الله لم يكتبها، وإن لم يستغفر يكتبها سيّئة واحدة[2].

فاذا قبض روح العبد ووضع في قبره، فيقول الملكان: ياربّنا وكّلتنا بعبدك حتّى نكتب وقد قبضت روح عبدك، فأذن لنا حتّى نصعد إلى السماء، فيقول الله تعالى: السماء مملوّة من الملائكة، سبّحا على رأس عبدي وكبّرا وهلّلا واكتبا ذلك لعبدي حتّى أبعثه من قبره، وقال الله تعالى «وإنّ عليكم لحافظين * كراماً كاتبين * يعلمون ماتفعلون»[3].

فسمّاهم كراماً كاتبين، لأنّهم إذا كتبوا حسنة يصعدون إلى السماء، ويعرضون على الله تعالى، ويشهدون على ذلك ويقولون: عبدك فلان عمل حسنة كذا وكذا.

وإذا كتبوا من العبد سيّئة، يصعدون كراماً كاتبين بها إلى السماء مع الغمّ

---

(١) سورة الرعد: ١١.

(٢) كنز العمال ٤: ٢١٤.

(٣) سورة الانفطار: ١٠ ـ ١٢.

ثمّ تقول:

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّـدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فِي النَّهـار إذَا تجلَّى، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَـمَّدٍ فِي اللَّيْـلِ إذَا يَغْشَى، وَصَلِّ عَلَـى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ في الآخِـرَة والأُولَـى، وَصَلِّ على مُحَمَّدٍ وَآل مُـحَـمَّـدٍ مَا لاَحَ الْجَدِيدَانِ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ مَا اطَّرَدَ الخَافِقَانِ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّـدٍ مَا حَدَا الحادِيَـانِ، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّـدٍ ما عَسْعَسَ لَيْلٌ وَمَا ادْلَهَمَّ ظَلامٌ، وَمَا تَنَفَّسَ صُبْحٌ وَمَا أَضَاء فَجْرٌ.

والحزن، فيقول الله: يـا كرام الكاتبين مـافعل عبدي، فيسكتون حتّى يسأل الله تعالى ثانيـاً، فيقولون: إلهـي أنت أعلم وأنت ستّار العيوب، فأمرت عبادك أن يستروا عـيوبهـم، فـانّهـم يقـرؤون كتابـك كلّ يـوم ويمدحونـك، فيـقول كرام الكاتبين: أُستر عيوبهم فانّك علام الغيوب، فلهذا يسمّون كراماً كاتبين.

قوله: في النهار إذا تجلّى.

أي: نار وظهر من بين الظلمة والليل إذا يغشى بظلمته النهار، أو الأفق، أو جميع مابين السماء والأرض، أو أظلم وغشى الأنام بالظلام.

ولعلّ تخصيص هذين الوقـتين بالصلاة لكونهما أدلّ على قدرة الله وعظمـته، أو لكونهما ساعتي دعة واستراحـة، والمصلّون فيهما ذاهلون عن الصلاة عـليه وآله، والله يعلم.

قوله: في الآخرة والاولى.

هذا ومابعده تـعميم بعد التخصيص، وحاصله صلّ عليه وآله إلى يوم الدين بل أبد الآبدين.

اَللّهُمَّ اجْعَلْ مُحَمَّداً خَطِيبَ وَفْدِ الْمُؤْمنينَ إلَيْكَ ، وَالْمكْسُوَّ حُلَلَ الأَمان إذَا وَقَفَ بَينَ يَدَيكَ ، وَالنَّاطِقَ إذَا خَرسَت الأَلْسُنُ بالثَّناء عَلَيكَ .

اَللّهُمَّ أَعْلِ مَنْزِلَتَهُ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ، وأَظْهِرْ حُجَّتَهُ، وَتَقَبَّلْ شَفَاعَتَهُ، وابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذي وَعَدْتَهُ، واغْفِرْ لَهُ ما أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ مِنْ اُمَّتِهِ بَعْدَهُ.

قوله: واغفر له ما أحدث المحدثون إلى آخره.

من الامور المنكرة التي لم تكن معتادة ولا معروفة في السنّة، وابقاء هذا على عمومه مشكل؛ لأنّه يشمل ماأحدثوه في قرب رحلته من المنكرات، وما أحدثوه بعده بزمان وبقي في اُمّته إلى يومنا هذا.

والظاهر من الأخبار أنّ هذا غير مغفور له، كيف؟ وقد ورد أنّ كلّ حدث بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

وفي صحيح مسلم: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فانّه نهر وعدنيه ربّي وعليه خير كثير، وهو حوضي ترد عليه اُمّتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء، فيختلج القرون منهم، فأقول: ياربّ اُمّتي، فيقال: انّك لا تدري ماأحدثوا بعدك [١].

وجملة الكلام في هذا المقام: انّ محدثات الامور بعد عهد النبي صلّى الله عليه وآله تنقسم إلى أقسام، يطلق على بعضها البدعة، وهو كلّ ماتناوله قواعد التحريم وأدلّته من الشريعة، كالجماعة في النوافل، والأذان الثاني في يوم

---

(١) صحيح مسلم ١: ٣٠٠، ح٥٣.

اللَّهُمَّ إنّي أسأَلُكَ مُوجبات رَحْمَتِكَ، وَعزائم مَغْفِرتكَ، والغنيمة مِن كُلّ برٍّ، والسَّلامةَ مِن كُلّ إثْمٍ، وأَسأَلُكَ الفَوزَ بالجنّةِ والنَّجاة مِن النَّار.

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآل مُحَمَّدٍ، واجْعَلْ لِي فِي صَلاتي وَدُعائِي بَرَكَةً تُطَهِّرُ بهَا قَلْبِي، وَتُؤْمِنُ بها رَوْعي، وَتكْشِفُ بها كَربي، وَتَغْفِرُ بِها ذَنْبِي، وَتُصْلِحُ بِها أَمْري، وَتُغْنِي بِها فَقْري، وَتُذْهِبُ بِها ضُرِّي، وَتُفَرِّجُ بِها هَمِّي، وَتُسلِّي بِها غَمِّي، وَتُشْفِي بِها سُقْمِي، وَتُؤْمِنُ بِها خَوفي، وَتجلو بها حُزْني، وَتَقْضِي بِها دَيْنِي، وَتَجْمَعُ بها شَمْلِي، وَتُبَيِّضُ بِها وَجْهِي، واجْعَلْ ما عِنْدَكَ خَيْراً لِي.

ثمّ تقول:

الجمعة، والغسل في المسح، والمسح على غيرِ القدم، إلى غير ذلك من المحدثات المشهورات.

وأمّا ماسوى ذلك، فبعضه واجب، كتدوين السنّة إذا خيف عليها التفلّت من الصدور. وبعضه مستحبّ، وهوماتناولته أدلّة الندب، كبناء المدارس والربط.

وبعضه مكروه، وهو ما اشتملته أدلّة الكراهة، كالزيادة في تسبيح الزهراء عليها السّلام، وسائر الموظّفات أو النقيصة منها.

وبعضه مباح، وهو الداخل تحت أدلّة الاباحة، كنخل الدقيق، فقد ورد أنّ أوّل شيء أحدثه الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله اتّخاذ المناخل، لأنّ لين العيش والرفاهيّة من المباحات.

والظاهر أنّ المغفور له هو ماعدا القسم الأوّل، وأمّا هو فلا، كيف لا وقد لعن سيّدنا أمير المؤمنين عليه السّلام المحدثين من أُمّته بعده في غير موضع من دعاء صنمي قريش، فارجع إليه ثمّ تأمّل فيه.

اَللّهُمَّ إنِّي أَدْعُوكَ لِهمٍّ لاَ يُفَرِّجُهُ غَيْرُكَ ، ولرحْمةٍ لاَ تُنالُ إلَّا مِنْكَ ، وَلحاجَةٍ لاَ يَقْضِيهَا إلَّا أَنْتَ ياكَرِيمُ. اَللّهُمَّ كَمَا كَانَ مِنْ شَأْنك مَا أَرِدْتَنِي بهِ مِنْ ذِكْرِكَ ، وأَلْهَمْتَنيهِ مِنْ شُكرِكَ ودُعائكَ ، فَليكُنْ مِنْ شَأْنكَ الإجَابَةُ لي فِيمَا دَعوتُكَ ، والنَّجَاةُ فِيمَا فَزعْتُ إلَيْكَ مِنْهُ، فَإنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلاً أَنْ أَبْلُغَ رَحْمَتَكَ فإنَّ رَحْمَتَكَ أَهْلٌ أَنْ تَبْلُغَنِي وَتَسعَنِي ، لأنَّها وَسعَتْ كُلَّ شَيء، وأنا شَيء فَلْتَسَعْنِي رَحْمَتُكَ يَا مَوْلاَيَ.

قوله: لهمّ لايفرّجه غيرك .

هو العذاب ودخول النار.

قوله: ولرحمة لا تنال إلّا منك.

هي التوفيق على الطاعات، والاجتناب عن السيئات.

قوله: ولحاجة لايقضيها إلّا أنت.

أي: جنانك ورضوانك .

قوله: فان لم أكن أهلاً.

لقصوري في الاستعداد لها.

قوله: لأنّها وسعت كلّ شيء.

قوله تعالى حكاية عن حملة العرش «ربّنا وسعت كلّ شيء رحمة وعلماً»[١] وقوله «ورحمتي وسعت كلّ شيء»[٢].

أصل «كل» يصلح أن يكون كبرى لصغرى سهلة الحصول، فيستخرج

---

(١) سورة غافر: ٧. (٢) سورة الأعراف: ١٥٦.

ثمّ تقول وأنت تبكي أو تتباكى:[١]

إِلَهِي إِنَّ ذُنُوبِي وَ كَثْرَتَها قَدْ غَبَّرَتْ وَجْهِي عِنْدَكَ ، وَحَجَبَتْنِي عَنْ اسْتِئْهالِ رَحْمَتِكَ ، وَبَاعَدَتْنِي عَنْ اسْتِنْجازِ[٢] مَغْفِرَتِكَ ، وَلَوْلا تَعَلُّقِي بِآلائِكَ وَتَمَسُّكِي بِالرَّجاءِ لِمَا وَعَدْتَ أَمْثالِي مِنَ الْمُسْرِفِينَ، وَأَشْباهِي مِنَ الْخَاطِئِينَ، بِقَوْلِكَ : «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» وحذَّرْتَ الْقَانِطِينَ مِنْ رَحْمَتِكَ ، فَقُلْتَ «وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ» ثُمَّ نَدَبْتَنَا بِرَحْمَتِكَ إِلَى دُعائِكَ ، فَقُلْتَ: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» إِلَهِي لَقَدْ كَانَ ذُلُّ الأَيَاسِ عَلَيَّ مُشْتَمِلاً، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَتِكَ بِي مُلْتَحِفاً[٣]، إِلَهِي لَقَدْ[٤] وَعَدْتَ الْمُحْسِنَ ظَنَّه بِكَ ثواباً، وأَوعَدْتَ الْمُسِيءَ بِكَ ظَنَّهُ[٥] عِقَاباً.

منه الفرع عن القوّة إلى الفعل هكذا: هذا شيء، وكلّ شيء تسعه رحمة الله، فهذا تسعه رحمة الله، فاستوسع رحمة الله أيّها المذنب، ولا تقنط من رحمته على حال.

قوله: وأوعدت المسيء بك ظنّه عقاباً.

قيل: معنى حسن الظنّ بالله أن يحسن ظنّه بالغفران إذا ظنّه حين يستغفر،

---

(١) هذا الدعاء يسمّى دعاء الاعتقاد، وهو مرويٌّ عن الكاظم والرضا عليهما السّلام، ونسخُه مختلفة بالزيادة والنقصان. وهو دعاء جليل القدر عظيم الشأن، يدعى به في الصباح والمساء أيضاً بإبدال أصبحت، أمسيتُ (منه رحمه الله).

(٢) استيجاب: خ ل.

(٣) ملتحقاً: خ ل.

(٤) قد: خ ل.

(٥) ظنه بك : خ ل.

اَللّـٰهُمَّ وَقَدْ أَسْبَلَ دَمْعِي حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ فِي عِتْقِ رَقَبَتِي مِنَ النَّار، وَتَغَمُّدِ زَلَلِي، و إقالَةِ عَثـرَتِي، وقُلْتَ وقَوْلُكَ الحَقُّ الَّـذِي لاَ خُلْفَ فِيهِ وَلاَ تَبْدِيلَ: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ اُناسِ بِإمامِهِمْ».

وبالقبول إذا ظنّه حين يتوب، وبالاجابة إذا ظنّه حين يدعو، وبالكفاية إذا ظنّه حين يستكفي؛ لأنّ هذه صفات لا تظهر إلّا إذا حسن ظنّه بالله تعالى.

وكذلك تحسين الظنّ بقبول العمل عند فعله إيّاه، فينبغي للمستغفر والتائب والداعي والعامل أن يأتوا بذلك موقنين بالاجابة بوعد الله الصادق، فان الله وعد بقبول التوبة الصادقة والأعمال الصالحة.

وأمّا لو فعل هذه الأشياء وهو يظنّ أن لا يقبل ولا ينفعه، فذلك قنوط من رحمة الله تعالى، والقنوط كبيرة مهلكة.

وفي صحيحة محمّد بن إسماعيل بن بزيع عن أبي الحسن الرضا عليه السَّلام قال: أحسن الظنّ بالله، فان الله عزّوجلّ يقول: أنا عند ظنّ عبدي المؤمن بي، إن خيراً فخيراً، وإن شرّاً فشرّاً[١].

وفي صحيحة بريد بن معاوية عن أبي جعفر عليه السَّلام قال: وجدنا في كتاب عليّ عليه السَّلام انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال وهو على منبره: والذي لا إله الّا هو، ما أُعطي مؤمن قطّ خير الدنيا والآخرة الّا بحسن ظنّه بالله ورجائه له، وحسن خلقه، والكفّ عن اغتياب المؤمن.

والذي لا إله الّا هو لا يعذّب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار الّا بسوء ظنّه بالله، وتقصيره من رجائه، وسوء خلقه، واغتيابه للمؤمنين.

والذي لا إله الّا هو لا يحسن ظنّ عبد مؤمن بالله الّا كان الله عند ظنّ

---

(١) اصول الكافي ٢: ٧٢، ح٣.

اَللّهُمَّ إنّي اُقِرُّ وَأَشْهَدُ وَأَعتَرِفُ ولاَ أَجْحَدُ، واُسِرُّ واُظْهِرُ واُعْلِنُ واُبْطِنُ، بأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذي لا إلَهَ إلاّ أَنْتَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، وأَنَّ محمَّداً صلَّى اللهُ عَلَيْه وآلِهِ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وأَنَّ عَليّاً أَميرَ الْمُؤْمنينَ وَسَيِّدَ الوَصيِّينَ، ووَارِثَ علْمِ النَّبيِّينَ، وَقاتِلَ الْمُشْركينَ، وإمَامَ المُتَّقينَ، وَمُجَاهِدَ النّاكثينَ والْقاسطينَ والْمَارِقينَ، إمَامِي وَحُجَّتي وَصِرَاطِي وَدَليلي وَمَحَجَّتِي، وَمَنْ لاَ أَثِقُ بِالأَعْمالِ وإنْ زكَتْ، وَلا أَرَاها مُنْجِيَة وَإنْ صَلَحتْ

عبده المؤمن، لأنّ الله كريم بيده الخيرات، يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظنّ، ثمّ يخلف ظنّه ورجاءه، فأحسنوا بالله الظنّ وارغبوا إليه[1].

قوله: ولا أراها منجية وان صلحت.

أي: وان كانت صحيحة تامّة الأركان في نفسها، وواقعة مع المبالغة في الاجتهاد، لأنّها بالنسبة إلى عظمة الحقّ وما يستحقّه من العبادة ناقصة، وقد نطقت ألسنة الأولياء بأنّهم ماعبدوه حقّ عبادته فكيف غيرهم.

وفي صحيحة أبي عبيدة الحذّاء عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: قال الله تبارك وتعالى: لا يتّكل العاملون لي على أعمالهم التي يعملونها لثوابي، فانّهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم ـ أعمارهم ـ في عبادتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جنّاتي، ورفيع الدرجات العلى في جواري، ولكن برحمتي فليثقوا، وفضلي فليرجوا، وإلى حسن الظنّ بي فليطمئنّوا، فانّ رحمتي عند ذلك

---

(١) اصول الكافي ٢: ٧١ ـ ٧٢.

إلّا بِولايَتِهِ والإئتمـامِ بِهِ،

تدركهم، ومنّي يبـلغهم رضواني، ومغفـرتي تلبسهم عفوي، فـانّي أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسمّيت(١).

قوله: إلّا بولايته.

هذا وأمثاله تـدلّ على أنّ غير أهل ولايته عليـه السَّلام هالكـة كلّهم كائـناً من كان، وإن بالغوا في تزكـية الأعمال، وجاهدوا في إصلاح الأحـوال، وتدلّ عليه أيضاً روايات ليس هذا محلّ ذكرها.

وهو على قاعدة الاماميّة ظـاهر، لأنّ ولايته عليه السَّـلام من الايمان، فمن لم يكن مؤمناً لم يكن ناجياً، كما يظهر من روايات كثيرة، وعليه معظم أصحابنا.

ومـنه يظهـر سرّ قول سـيّدنا أبي عبـدالله الصادق علـيه السَّلام: ولايتي لعلي أحبّ من ولادتي منه، لأنّ الأُولى بدون الثانية منجية بخلاف العكس.

وأيضاً فانّ الـنسـبـة الحاصلة بـالأُولى نسـبة معنـويّـة روحانيّة، والحـاصـلة بالثانية نسبـة صوريّة جسمانيّة، وشتّان مابينهما. وإذا اجتمعت النسبتان كما في الائمّة المشهورين من ذرّيّـته الطاهرة وغيرهم مـن أهل ولايته السادة، كان نوراً على نور، يهـدي الله لنـوره من يشاء. فـغرضـه عليه السَّلام بـيان تـفضيل احدى النسبتين المجتمعتين فيه على الاخرى.

هذا والأُولى أن يجعل الاستـثناء منقطـعاً بمعنى لكن، لـيكون الموثوق بـه هو ولايته علـيـه السَّلام وما عطف عليها فقط، لا مجموع الأعمـال المقرونة بولايـته عليه السَّلام وماضمّ إليها.

وعلى تـقـدير جعل الاستـثـناء متّصلاً، فولايتـه عـليه السَّلام كالجزء الأخير

---

(١) اصول الكافي ٢: ٧١، ح١.

والإِقْرَارِ بِفَضائِلِهِ، وَالقَبُولِ منْ حَمَلَتِها وَالتَّسْلِيمِ لِرُوَاتها.

اللّهُمَّ وَأُقِرُّ بأَوْصِيَائِهِ مِنْ أَبْنائِهِ أَئِمَّةً وَحُجَجاً، وأَدِلَّةً وَسُرُجاً، وأَعْلاماً وَمَنَاراً، وَسَادَةً أَبْرَاراً، وَأَدِينُ بسِرِّهِمْ وَجَهْرِهِم، وَظَاهِرِهِمْ وَبَاطِنِهِمْ، وَحَيِّهِمْ وَمَيِّتِهِمْ وَشَاهِدِهِمْ وَغَائِبِهِمْ، لاَ شَكَّ فِي ذلكَ وَلاَ ارْتِيَابَ، وَلاَ تَحَوُّلَ عنْهُ وَلاَ انْقِلاَبَ. اللّهُمَّ فَادْعُنِي يَوْمَ حَشْري وَحينَ نَشْري بإِمامَتِهِمْ[١]، واحْشُرْنِي فِي زُمْرَتِهِمْ، واكْتُبْنِي فِي أَصْحَابِهِمْ، وأَنْقذْنِي بهِمْ يا مَوْلاَيَ مِنْ حَرِّ[٢] النِّيرَانِ، فإنَّكَ إنْ اعْتَقْتَنِي[٣] مِنْها كُنْتُ مِنَ الْفَائزينَ.

اللّهُمَّ وَقَدْ أَصْبَحْتُ فِي يَوْمي هذا لاَ ثِقَةَ لي وَلاَ مَفْزَعَ، وَلاَ مَلْجأ غَيْرَ

للعلّة التامّة، حيث لايظهر منها أثر الّا به، وهو الأظهر من عبارة الدعاء، والأوّل أدلّ على شدّة الاحتياج إلى الولاية، حتّى أنّها يرون الأعمال الموصوفة منجية بخلاف العكس، وهو كذلك، لأنّ الأعمال غير داخلة في الايمان بخلاف الولاية.

قوله: والاقرار بفضائله.

الغير المحصورة، كما ورد في الخبر عن سيّد البشر صلّى الله عليه وآله أنّه قال: لو أنّ الرياض أقلام والبحر مداد والجنّ حسّاب والانس كتّاب ماأحصوا فضائل علي بن أبي طالب[٤].

---

(١) فيه إشارة إلى قوله تعالى: «يوم ندعوا كل أُناس بإمامهم» (منه رحمه الله).

(٢) شرّ: خ ل، ضرّ: خ ل.

(٣) أعفيتني: خ ل.

(٤) المناقب للخوارزمي: ص٢.

مَنْ تَوَسَّلْتُ بِهِمْ إلَيْكَ مِنْ آلِ رَسُولِكَ ، عَلِيٍّ وَفاطِمَةَ والْحَسَنِ والْحُسَين وَعليٍّ وَمُحَمَّدٍ وَجَعْفَرَ وَمُوسَى وَعَلَيٍّ وَمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ والْحَسَن

کتاب فضل تورا آب بحر كافي نيست که ترکنی سر انگشت وصفحه بشماری

قال ابن الجوزي بعدما سئل عن فضائله: ماأقول في رجل كتمت أحبّاؤه فضائله خوفاً وفرقاً، وكتمت أعداؤه فضائله بغياً وحسداً، وظهر بين الكتمين ماملأ الخافقين.

باکبریای قدر تو مکر مخالفان چون معجزات وسحر وکلیم است وسامری

قال عمر بن الخطّاب: عقمت النساء فلا يلدن مثل عليّ، فليس لمستثن أن يقول الّا أنّه، ولا لمستدرك أن يقول لكنّه.

تعریف علي به گفتگو ممکن نیست گنجایش بحر در سبو ممکن نیست
من ذات علي به واجبی نشناسم امّا دانم که مثل او ممکن نیست
رومی نشد از ذات علي کس آگاه زان سان که نشد کس آگه از ذات اله
یک ممکن واین همه صفات واجب لا حول ولا قوّة الّا بالله

قوله: من آل رسولك.

هذا يدلّ على أنَّ المراد بآله صلّى الله عليه وآله عترته الطاهرة من أهل العصمة عليهم السَّلام، فلا وجه لتخصيص الشهيد الثاني في شرحه على اللمعة بأصحاب الكساء، وهم: عليّ وفاطمة وابناهما الحسن والحسين عليهم السَّلام، ثمّ قال: ويطلق تغليباً على باقي الائمّة عليهم السَّلام.

أقول: بل على غيرهم أيضاً، كما ورد عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال: كلّ تقيّ ونقيّ آلي.

ثمّ أصل هذا الكلام من ذلك العلّام مأخوذ من المحقّق الثاني الشيخ علي

وَمُحَمَّدٍ صَلواتُكَ عَلَيْهِم أَجْمَعينَ.

ـقدّس سرّهما ـ في حواشيه على الشرائع، حيث قال عند قول المحقّق الاوّل «ثمّ يأتي بالصلاة على النبيّ وآله»: الآل عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السَّلام، وليس ببعيد أن يراد معهم باقي الائمّة المعصومين عليهم السَّلام، ومثل ذلك في الاستعمالات واقع انتهى.

وللعامّة في آله صلّى الله عليه وآله اختلافات، فقيل: آله أُمّته. وقيل: عشيرته. وقيل: من حرم عليه الزكاة من بني هاشم وعبدالمطلب.

قوله: ومحمّد صلواتك عليهم أجمعين.

هذا صريح في أنّ التصريح باسمه عليه السَّلام لاحرمة فيه ولا كراهة، فهو يدلّ على ماذهب إليه جماعة من متأخّري أصحابنا من جوازه، كآية الله العلّامة، فانّه صرّح باسمه عليه السَّلام في بعض كتبه، وكذا الشيخ الشهيد والشيخ علي ونظراؤهم.

وما قيل من أنّ كتابة اسمه ليس من محلّ النزاع، وغاية مايستفاد من تصانيف هؤلاء كتابته. ففيه أنّ كتابة اسمه عليه السَّلام في هذا الدعاء المسمّى بدعاء الاعتقاد المرويّ عن الامامين الهمامين عليهما السَّلام ليست الّا ليقرأه الداعي ويصرّح باسمه عليه السَّلام، لأنّ هذا الدعاء انّما ورد مورد تعليم الامّة والرعيّة، فكما جاز لهم أن يصرّحوا بأسماء سائر الائمّة عليهم السَّلام المكتوبة في هذا الدعاء، جاز لهم التصريح باسمه عليه السَّلام أيضاً، وقد وقع التصريح به في كثير من الروايات.

نعم ورد في بعضها المنع منه، وإليه ذهب جماعة من قدماء أصحابنا، كالشيخ الكليني ومحمّد بن بابويه والشيخ المفيد والشيخ الطوسي والطبرسي.

اللّهُمَّ فاجْعَلْهُمْ حِصْنِي مِنَ الْمكاره وَمَعْقِلِي من الْمَخاوف، ونجّنِي بِهِمْ منْ كُلِّ عَدُوٍّ طَاغٍ، وفاسقٍ بَاغٍ، وَمنْ شَرِّ ماأعْرِفُ وَما أُنكِرُ وَما اسْتَتَرَ عَلَيَّ وَما أُبْصِرُ، وَمنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ رَبِّي آخِذٌ بِنَاصِيَتِها، إنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاط مُسْتَقِيم.

اَللّهُمَّ بِوَسيلَتِي إلَيكَ بِهِم وَتَقَرُّبِي بِمَحَبَّتِهِمْ افْتَحْ عَلَيَّ أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَمَغْفِرَتِكَ، وحَبِّبْنِي إلَى خَلْقِكَ، وجَنِّبْنِي عَدَاوَتَهمْ وَبُغْضَهُمْ[١]، إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيء قَدِيرٌ.

اَللّهُمَّ وَلكُلِّ مُتَوَسِّل ثَوَابٌ، وَلكُلِّ ذِي شَفاعَةٍ حَقٌّ، فأَسأَلُكَ بِمَنْ جَعَلْتُهُمْ إلَيْكَ سَبَبِي، وَقَدَّمْتهمْ أَمام طَلِبَتِي أَنْ تُعرِّفَنِي بَرَكَةَ يَوْمِي هَذا،

والأحوط ترك التصريح به؛ لأنّ الأمر إذا دار بين الاباحة والكراهة والحرمة كان الترجيح للحرمة، كما تقرّر في الاصول، وقد صرّح الخضر عليه السّلام في حديثه الصحيح بأنّ حرمة التسمية مستمرّة إلى وقت ظهور دولته عليه السّلام.

فالقول باختصاصها بزمن الغيبة الصغرى مخافة أن يشتهر اسمه، فيصير سبباً للتفتيش عن المسمّى، كما يدلّ بعض الروايات، ضعيف، وستأتي في جملة الكلام فيه في دعائه عليه السّلام إن شاء الله العزيز.

قوله: أن تعرّفني بركة يومي هذا.

أي: اجعلني عارفاً بها، بأن تجعلها مباركة بالطاعات والعبادات، وما

---

(١) عداوتهم وبغضهم يجوز أن يكون إضافة كل منهما من إضافة المصدر إلى الفاعل أو إلى المفعول (منه رحمه الله).

وَشَهْري هذَا، وَعَامي هذا.

اَللّهُمَّ فَهُمْ مُعوَّلِي فِي شِدَّتِي وَرَخائي، وَعافِيَتِي وَبلائي، وَنَومي وَيَقَظتِي، وَظعَنِي وإقامَتي، وعُسْري ويُسْري، وَصَبَاحِي وَمَسائِي، ومُنقَلَبي وَمَثْوايَ.

اَللّهُمَّ فَلاَ تُخْلِني بِهِمْ منْ نِعْمَتِكَ، وَلاَ تُخَيِّبْنِي بِهِمْ مِنْ نائِلِكَ، وَلاَ تَقْطَعْ رَجَائي مِنْ رَحْمَتِكَ، وَلاَ تَفْتِنِّي بإغْلاق أَبْواب الأَرْزَاقِ، وانْسِدَادِ

يوجب رضوانك ويؤدّي إلىٰ جنانك، أو بالسعة والرخاء والعافية عن الشدائد والعناء والبعد عن الأمراض والبلاء. والأحسن أن يراد بها الكلّ.

قوله: اللهمّ أنت معوّلي.

أي: أنت معتمدي في جميع أُموري وأحوالي، وانّما فصّله بما فصّله لأنّ بسط الكلام في مقام عرض المهام على الحبيب حبيب.

قوله: ولا تفتنّي باغلاق أبواب الرزق وانسداد مسالكها.

هذه كناية مشهورة شبّه الوسائل والأسباب بالمسالك والأبواب وعدمها بالاغلاق، كما يقال بالفارسيّة عند ضيق المعاش وعدم تهيّؤ أسبابه: در روزى بسته شد. ومن هذا القبيل قوله:

درتنور رزق چون نوبت به خوان ما رسد   چرخ گو يابيجنى از چاه مى آرد برون

وقوله:

هر روزه كرده تنك تر   سوراخ اين غربالها

فالاغلاق والفتح تخييل أو ترشيح. والمراد بقوله «من كلّ ضنك» ما كان حاليّاً وبقوله «إلى كلّ ضنك» مايكون استقباليّاً، وفي الكلام استعارة،

مَسَالكِها، وَارْتِتاج مَذَاهِبِها، وَافْتَحْ لِي مِنْ لَدُنْكَ فَتْحاً يَسِيراً، وَاجْعَلْ لِي مِنْ كُلِّ ضَنْكٍ مَخْرَجاً وَإِلَى كُلِّ سَعَةٍ مَنْهَجاً، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اَللّهُمَّ وَاجْعَلِ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ مُخْتَلفَين عَلَيَّ بِرَحْمَتِكَ وَمُعافاتِكَ وَمَنِّكَ وَفَضْلِكَ، وَلاَ تُفْقِرْني إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ، إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، وَبِكُلِّ شَيءٍ مُحِيطٌ.

ثمّ تقول:
اَللّهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ يَا مُدْرِكَ الْهَاربِينَ، وَيَا مَلْجأَ الْخَائفِينَ، وَيَا

والمخرج والمنهج ترشيح أو تخييل.

قوله: مختلفين عليّ.

لأنّ من ساوى يوماه فهو مغبون. ويحتمل أن يكون الغرض طلب طول العمر، أو التوسعة في الأرزاق، بأن يكون رزق كلّ ليل ونهار أوسع ممّا سبقه.

قوله: ويا ملجأ الخائفين إلى آخره.

لأنّ كلّ من خاف من مخوف لجأ منه إليه، واستند ظهره عليه.

والصراخ: الصياح، أو الصوت، أو شديده، ومنه قولهم «له صراخ كصراخ الثكلى» والصريخ: المغيث، والاستصراخ الاستغاثة.

والغياث اسم من أغاثه الله برحمته إذا كشف عنه شدّته، فالعطف تفسيريّ، أو قريب منه، وعنه العبارة بالفارسيّة: اى فريادرس فرياد كنندگان، ونصرت ده نصرت جويندگان.

ومعنى كونه تعالى منتهى غاية السائلين أنّهم يطلبون منه الحوائج بعد يأسهم

صَريخَ الْمُسْتَصْرخينَ، وَيَا غِيَاثَ الْمُسْتَغيثينَ، وَيَا مُنْتَهى غايَةِ السَّائلينَ، وَيَا مُجيبَ دعْوَة الْمُضطرِّينَ، يا أَرحَمَ[١] الرَّاحِمينَ، يا أَللهُ، يا رَبَّاهُ، يا عَزيزُ، يا حكيمُ، يا غَفُورُ، يا رَحيمُ، يَا قَاهِرُ، يا عَليمُ، يا سَميعُ، يا بَصيرُ، يا لَطيفُ، يا خَبيرُ، يَا قَهَّارُ، يَا جَبَّارُ، يا رَحْمنُ، يا مَنَّانُ، يا سبُّوحُ، يَا قُدُّوسُ، يَا مُبْدِىءُ، يَا مُعيدُ، يا باعثُ، يَا وَارثُ، يا

عن المخلوقين وطلبهم منهم.

والغاية تطلق على المدى والنهاية، وعلى امتداد المسافة، وعلى الغرض والمقصود من الشيء، فان جعلت الغاية بهذا المعنى، فمعناه أنّه تعالى غاية من جعله غاية، ومقصود من جعله مقصود، أو ذريعة من جعله ذريعة. أي: كلّ من له مطلب وعجز عن تحصيله بسعيه يتوسّل إليه به تعالى.

والاضطرار افتعال من الضرّ، وهو الهزال وسوء الحال، وهو تعالى يجيب المضطرّ إذا دعاه، ويكشف عنه السوء إذا ناداه، كما كشف عن أيّوب إذ ناداه بقوله «أنّي مسّني الضرّ وأنت أرحم الراحمين»[٢] فكشف عنه ما به من ضرّ وآتاه أهله ومثلهم معهم رحمة منه وذكرى للعابدين.

قوله: ياسبّوح يا قدوس.

يرويان بالضمّ والفتح، والفتح أقيس، والضمّ أكثر استعمالاً، وهو من أبنية المبالغة، والمراد بهما التنزيه، لأنّ أصل التسبيح التنزيه والتقديس والتبرئة من النقائص، ثمّ استعمل في مواضع يقرب منه «وله من في السماوات

---

(١) ويا أرحم: خ ل.

(٢) سورة الانبياء: ٨٣.

فَارِجَ الْهَمِّ، يَا كَاشِفَ الْغَمِّ، يَا مُنْزِلَ الْحَقِّ، يَا قَائِل الصِّدْق، يا ذَا الْبلاء الْجَمِيلِ وَالطَّوْل الْعَظِيم، يَا مَعْرُوفاً بِالإحْسانِ، يَا مَوْصُوفاً بالامتِنان، يَا مَنْ قَصُرتْ عَنْ وَصْفِهِ أَلسُنُ الْوَاصِفِينَ، وانْقَطَعَتْ[1] عَنْهُ أَفكَارُ الْمُتَفَكِّرينَ، يَا شَاهِدَ النَّجْوَى، يَا كاشِفَ الْغَمِّ وَدَافِعَ الْبَلْوَى، يَا نِعْمَ النَّصِيرُ وَالْمَوْلَى، يا مُنعِمُ، يَا مُفْضِلُ، يَا مُحسِنُ، يَا مجْمِلُ، يَا مَنْ لاَ يَشغَلُهُ صَغِيرٌ عَنْ كَبِيرٍ، وَلاَ حَقِيرٌ عَنْ خَطِيرٍ، يَا مَنْ بَدَأَ بِالنِّعْمَةِ قَبْلَ اسْتِحْقاقِها، وَبِالفَضِيلَةِ قَبْلَ اسْتيجَابِها، يَا أَحَقَّ مَنْ عُبِدَ وَحُمِدَ وَرُجِيَ واعْتُمِدَ.

أَسأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ مُقَدَّسٍ مُطَهَّرٍ مَكْنُونٍ اخْتَرتَهُ لِنَفْسِكَ، وكُلِّ ثَناء

والأَرض كلّ له قانتون»[2].

قوله: يامنزل الحقّ.

أي: القرآن، كما قال «وبالحق أنزلناه وبالحقّ نزل»[3].

قوله: ياأحقّ من عبد وحمد.

غيره تعالى لا يحقّ أن يكون معبوداً بل ولا محموداً، فصيغة افعل هنا كما في قولك زيد أعلم من الجدار وأفضل من الحمار.

قوله: أسألك بكلّ اسم مقدّس.

مسمّاه، فهو من قبيل الوصف بحال المتعلّق، أو مقدّس من أن يسمّى به

---

(١) وتقطّعت: خ ل.

(٢) سورة الروم: ٢٦.

(٣) سورة الاسراء: ١٠٥.

عَال رَفيعٍ كَرِيـمٍ رَضيتَ بِهِ مِدْحـةً لَكَ، وَبحَقِّ كُلِّ مَـلَكٍ قَرَّبْتَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَكَ، وَبحَقِّ كُـلِّ نَبيٍّ أَرْسَلْتَـهُ إلَى عِبَادِكَ، وَبحَقِّ كُلِّ شَيء جَعَلْتَهُ مُصَـدِّقـاً لِرُسُلِكَ، وَكُلِّ كِـتَـاب فَصَّلتَهُ وأَحكَمـتَـهُ وَشَرعْتَهُ، وكُلِّ دُعاء سمِعْـتَهُ فـأَجَبتَهُ، وَكُلِّ عَـمَلٍ رَفَعْتَـهُ، وأسأَلُكَ بِكُلِّ مَنْ عَظَّمْـتَ حقَّهُ، وأَعْلَيْتَ قدْرَهُ، وعَرَّفتَـنَا أَمْرَهُ، وَمنْ لَمْ تُعرِّفْـنا مَقامَهُ، وَلَمْ تُظْهِرْلنا شأْنَهُ، ممَّنْ تَخـلُـقُهُ[١] منْ أَوَّل ما ابْتَـدَأْتَ بِهِ مِنْ خَلْـقِـكَ، وَممَّنْ تَخـلُـقُهُ إلى انْقِضَاء الدَّهْر.

وأَسأَلُـكَ بِتَـوْحِـيـدِكَ الَّـذِي فَطَـرْتَ عَلَـيْـهِ الـعُـقُـولَ، وأَخَـذْتَ بِهِ الْـمَواثيقَ، وأَرْسَلْتَ بِـهِ الرُّسُلَ، وَجَعَلْتَهُ أَوَّلَ فـرُوضكَ، ونهايَةَ طاعَتِكَ،

غيره تعالى، كما قـال «هل تـعلم له سميّاً»[٢] وورد في بـعض الأخبار: انّ الله تـعـالى ثلا ثمائة وستّين اسـماً، حجب عن الخلـق واحـداً، وهو الاسم المكنون المخزون.

قيل: لمّـا كـان كنه ذاته تعـالى مستوراً عن عقـول جميع الخلائق، فـالاسم الدالّ عليه ينبغي أن يكون مستوراً عنهم.

قوله: بتوحيدك الذي فطرت عليه العقول.

هـذا يؤيّد القـول بأنّ وحـدتـه تعالى كـوجوده فطريّ بـديـهـيّ، لاحاجة في اثباتها إلى دليل، كما عليه رؤساء المعتزلة ومن يحذو حذوهم.

اثبات وحدتش به دلائل چه احتياج　　　خورشيد را نجسته كسى با چراغها

---

(١) خلقته: خ ل.

(٢) سورة مريم: ٦٥.

....

والظاهر أنّ معنى فطرته التـوحيد أنّ الناس مفطور عليه، بمعنى أنّه إن لم يمنع مانع من الخـارج وخلّي الانسان وطبعـه لآثر التوحـيـد، لوضوح آياتـه وظـهور اماراته، لا أنّه مجبـور عليه أو هو بـديهيّ، والاّ لما توجّه إلـيه طلب التوحيد؛ لأنّ الطلب متفـرّع على الاختيار والنظـر، وعليه تحمل ماورد من الأخبار الدالّة على أنّ الله تبارك وتعالى فطر الناس على التوحيد.

منها: صحـيحة هشـام بـن سالم عن أبي عـبدالله علـيه السَّلام قال: قـلت: «فطرة الله التي فطر الناس عليها»[1] قال: التوحيد.

ومثلها مـوثّقة زرارة عنه عـليه السَّلام في هذه الآيـة قال: فطرهم جميـعاً على التوحيد[2].

وبالجمـلة كلّ سليم الـفطرة لو رجع إلى عقله ومـا أوضح الله له من الآيات الباهرة، والعلامـات الظـاهرة الدالّة على أنّه خالق السـماوات والأرض لاغير، لاعترف على اضطرار بالـتوحيد، لظهـور الدلائل ووضوحهـا، والمنكر انّما ينكر: إمّا عناداً، أو لانسلاخه عن الفطرة الانسانيّة.

وإلـيـه يشير قول سيّدنا أبي جـعـفـر الثاني عليـه السَّـلام وقد سئل عن معنى الواحد: الذي اجتـماع الألسن عليه بالتوحيد، كما قال «ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنّ الله»[3].

والأولى أن يستدلّ على وحـدته تعالى بـاتّفاق الأنبياء عليهـا واخبارهم بها، فانّه يفـيد اليـقين بذلك، لعدم توقّف صـدقهم على ثبوت الوحدانـيّة، وإلى مثل

(١) اصول الكافي ٢:١٢، ح١.

(٢) اصول الكافي ٢:١٢، ح٣.

(٣) التوحيد: ٨٣، ح٢.

وأَتوَجَّهُ إليكَ بِجُودكَ ومـجْدِكَ [١] و كَرَمكَ وعزِّكَ وجَلالِكَ وعَفْوكَ وَامتنانِكَ وطَوْلكَ [٢].

وأَسأَلُكَ يَا أَللهُ يا أَللهُ يـا أَللهُ، يَا رَبَّاهُ يا رَبَّاهُ يـا ربَّاهُ، وأَرغَبُ إلَيْكَ

ذلك يشير كلام سيّدنا أمير المؤمنين عليه السّلام في وصيّته لبعض بنيه [٣].

وانّما كان ذلك أولى لأنّ الأدلّة العقليّة القائمة على هذا المطلب لايخلو كلّ واحد منها عن وصمة شكّ وشوب شبهة، وخاصّة شبهة اللعين ابن كمّونة اليهودي.

ونحن قد بسطنا الكلام على هذا المقام في رسالة لنا في اصول الدين، فليطالع من هنالك.

قوله أيضاً: بتوحيدك الذي فطرت عليه العقول.

ذهب تمامة من المعتزلة وعمرو بن بحر المعروف بالجاحظ إلى أنّ وحدة الواجب بديهيّة، بل المعارف الالهيّة كلّها ضروريّة، وكلّ أحد عارف بالله وبوحدته ونفي الصفات الزائدة، وانّما ينكر ذلك من ينكره بمجرّد اللسان لا بماعقد عليه القلب والجنان.

وفي كلّ شيء له آية   تدلّ على أنّه واحد

قوله: وأرغب إليك خاصّاً وعامّاً إلى آخره.

يقال: رغب إليه إذا حرص عليه وطمع فيه. والرغبة السؤال والطلب، أي: أطمع فيما عندك وأسألك عنه خاصّاً، أي: بخصوصي وانفرادي، وعامّاً

---

(١) بجولك وجودك : خ ل.

(٢) وتطوُّلك : خ ل.

(٣) نهج البلاغة: ٣٩٦، وصية الامام أمير المؤمنين عليه السّلام للحسن عليه السّلام.

خاصّاً وَعـامّاً وأَوّلاً وآخـراً، بحَبيبِـكَ وَرَسُولكَ مُـحَمَّـدٍ سيِّدِ المُرْسَلِينَ وأَشْرَف الأَوَّلين والآخِرينَ، وبِالـرِّسالةِ الَّتي أَدّاها، وَالْعِبادَةِ الَّتي اجْتَهَدَ فِيها، وَالمِحْنَـةِ الَّتي صَبَرَ عَلَيْـها، والمَغْفِـرَةَ الَّتي دَعا إلَيْها، والـدِّيانَة الَّتي حَضَّ عَليهـا، مُنْذُ وقْتِ رسالَـتِكَ إيّاهُ إلَى أَنْ توَفَّيتَـهُ، وبما بيْنَ ذَلِكَ منْ

أي: في جملة الراغبين اليك.

«وأوّلاً وآخـراً» أي: في أُمـور دنـيـاي وآخـرتي وفي أوّل أُمـوري وآخـرهـا. وبالجملة أرغب اليك في كلّ شأن من شؤوني وفنّ من فنوني.

قوله: والعبادة التي أجتهد فيها.

روي عن الباقر والصـادق عليهـما السَّلام أنّ رسول الله صلّى الله عليـه وآله كان إذا صلّى قام على أصابع رجـليه حتّى تورّمت، فأنزل الله «طه» بلغة طيّ يامحمّد «ما أنزلنا عليك القرآن لتشق»[١].

وفي حديث آخر: عن أمير المؤمنين عـليه السَّلام: ولقد قام رسـول الله صلّى الله عليه وآله عشر سنين على أطراف أصابعه حتّى تورّمت قدماه واصفرّ وجهه، يقوم الليل أجمع حتّى عوتب في ذلك، فقال الله عزّوجلّ «طه» الآية[٢].

وروي عن الصادق عليه السَّلام أيضـاً: انّ النبي صلّى الله عليه وآلـه كان يرفع احدى رجليه في الصلاة ليزيد تعبه فنزلت[٣].

وعـن ابن عبّـاس كان النبي صـلّـى الله عليـه وآله إذا قام مـن الـليل ربط

---

(١) تفسير القمي ٢:٥٧ ـ ٥٨.

(٢) نور الثقلين ٣:٣٦٧ عن الاحتجاج.

(٣) نور الثقلين ٣:٣٦٦، ح٥.

أَقْوالِهِ الْحكيمَةِ، وأَفعالِهِ الكريمَةِ، وَمقَامَاتِهِ الْمشهودَةِ، وَساعاتِهِ الْمَعْدودةِ، أَنْ تُصلِّيَ عَلَيْهِ، كَمَا وَعَدْتَه مِنْ نَفْسِكَ، وتُعْطِيَهُ أَفْضَلَ ما أَمَّ مِنْ ثوابِكَ، وتُزلفَ لَدَيكَ مَنْزلَتَهُ، وتُعْلِيَ عِنْدَكَ دَرَجَتَهُ، وتَبْعثَهُ الْمُقَامَ

صدره بحبل كي لا ينام، فأنزل الله هذه الآية. فهذه نبذة من اجتهاده في العبادة.

قوله: من أقواله الحكيمة وأفعاله الكريمة.

اسناد الحكمة والكرم إلى الأقوال والأفعال اسناد مجازيّ، أي: الحكيمة قائلها والكريمة فاعلها، كما في قوله تعالى «في عيشة راضية»[١] أي: المتعيّش بها.

قوله: وتعطيه أفضل ما أمّ.

أي: قصد، وهذا صريح في أنّ قصد الثواب، أو دفع العقاب في فعل الطاعات لايخرجها عن حدّ الاخلاص ولا ينافيه، وإن صدر عن غيره، وقد قدّمنا الكلام فيه وفيما فيه، فتذكّر.

قوله: وتبعثه المقام المحمود.

اشارة إلى قوله تعالى «ومن الليل فتهجّد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً»[٢] وهو: إمّا نصب على الظرف، أي: يبعثك ربّك فيقيمك مقاماً محموداً، أو ضمن يبعثك معنى يقيمك.

---

(١) سورة الحاقة: ٢١.

(٢) سورة الاسراء: ٧٩.

الْمَحمودَ، وتُورِدَهُ حوْضَ الكَرم وَالجُود، وَعَلىٰ آلِهِ الطَّيِّبينَ الأَطْهار، الْمُنتَجَبِينَ الأَبرار، وَعَلىٰ جَبْرئيلَ وميكائيلَ والْملائكةِ المُقرَّبين،

والمقام المحمود هو الذي يحمده فيه الأوّلون والآخرون، وهو مقام الشفاعة، يسأل فيه فيعطى ويشفع فيشفع، فيشرف فيه على جميع الخلائق، فيوضع في كفّه لواء الحمد، يجتمع فيه الأنبياء والملائكة.

قوله: وتورده حوض الكرم والجود.

هو نهر في الجنّة أعطاه الله نبيّه صلّى الله عليه وآله أشدّ بياضاً من اللبن، وأشدّ استقامة من القدح، حافّتاه قباب الدرّ والياقوت، ترده طير خضر لها أعناق كأعناق البخت، عرضه مابين ايلة وصنعاء، فيه أباريق عدد نجوم السماء.

والوالي عليه يوم القيامة علي بن أبي طالب عليه السَّلام، يسقي منه أولياءه، ويذود عنه أعداءه، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

وفي صحيح مسلم: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فانّه نهر وعدنيه ربّي وعليه خير كثير، هو حوضي ترد عليه أُمّتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء، فيختلج القرون منهم، فأقول: ياربّ أُمّتي، فيقال: انّك لا تدري ما أحدثوا بعدك [1].

قوله: وميكائيل والملائكة.

تعميم بعد التخصيص.

---

(١) صحيح مسلم ١: ٣٠٠، ح٥٣.

وَعلى جمِيعِ الأَنبياء والْمُرْسَلِينَ والشُّهَداء والصَّالِحينَ.

اَللّهُمَّ إنِّي أَصْبَحْتُ لاَ أَملِكُ لِنفْسِي ضَرّاً ولا نَفْعاً، ولا مَوْتاً ولا حياةً، قدْ[١] انْقَطعَتْ وَسائِلِي وذَهبَتْ مَسائلِي، وذَلَّ ناصري، وأَسلَمَني أَهْلِي ووُلْدِي.

اللّهُمَّ وَقدْ أَكْدَى الطَّلبُ وأَعيَتِ الْحِيَلُ إلَّا عِنْدَكَ، وانْقَطَعَتِ الطُّرُقُ وَضاقَتِ الْمَذاهِبُ إلَّا إلَيْكَ، وَدُرِسَت الآمالُ وانقطَعَ الرَّجاء إلَّا مِنْكَ، وَكُذِبَ الظَّنُّ واختلِفَتِ الْعِدَاتُ إلَّا عِدَتُكَ.

قوله: وأسلمني أهلي وولدي.

أسلم فلاناً إذا ألقاه في الهلكة ولم يحمه من عدوّه، وهو عامّ في كلّ من أسلمته إلى شيء، لكن غلب عليه الالقاء في الهلكة.

ويعلم منه أنّ الأولاد والأزواج أعداء للمرء، وإن لم يكونوا مضطغنين للعداوة، لكن يؤدّي حالهم بالانسان إلى أن يقع به في مثل مايقع من عدوّه، فسمّوا لذلك أعداء وعليه قوله تعالى «إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوّاً لكم فاحذروهم»[٢].

وقال صلّى الله عليه وآله: ليس عدوّك الذي إذا قتلته آجرك الله، وإن قتلك دخلت الجنّة، ولكن أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك، وامرأتك التي تضاجعك، وأولادك الذين من صلبك[٣].

---

(١) وقد: خ ل.

(٢) سورة التغابن: ١٤.

(٣) كنز العمال ٤: ٤٣١.

اللّـهُمَّ إنَّ مَنَاهِلَ الـرَّجَاء بِـفَضْلِكَ[١] مُترَعَـةٌ، وأَبوَابَ الـدُّعاء لِمَنْ دَعَاكَ مُفتَّـحةٌ، والاسْتـعَانَةَ لِمَـنْ إستَعـانَ بِكَ مُباحَةٌ، وَالاستغَـاثَةَ لِمَنْ استَغَاثَ بِكَ مَوْجُودَةٌ، وأَنْـتَ لِدَاعِـيكَ بِمَوضع إجَـابَةٍ، وَللصَّارخ إلَيْكَ وَلـيُّ ٱلإغـاثَةِ، وَلِلْقَاصِـدِ إلَـيْكَ قَرِيبُ الْمَسَافَـةِ، وأَنْـتَ لاَ تَحْتَجِبُ عَنْ

قوله: انّ مناهل الرجاء لفضلك مترعة.

المناهل جمع المنهل، وهو من المياه مايطأه الطريق، وما كان على غير الطريق لايسمّى منهلاً، ولكـن يضاف إلى مـوضعه، أو إلى من هو مختصّ به، فـيقال: منهل بني فلان أي: مشربهم.

والمترعة: المملوّة، أترعت الحوض ملأته، ومنه قوله:

فيـا قبر معن كـيف واريت جوده وقد كـان منه البرّ والـبحر مترعا

وقـول سيّدنـا أمير المؤمنين عـليه السّلام في دعـاء الصباح: كـلّا وحياضك مترعة في ضنـك المحول. والكلام استـعارة مكنية وترشيحيّة، حيث شبّه الرجاء لفضله تعالى بالابل العطاش، ثمّ أثبت له المناهل المترعة.

قوله: وأنت لاتحتجب عن خلقك.

إذ ليس له حـجـاب، فـانّه مجرّدٌ من كـلّ الـوجوه، فيكـون سـالبة بانـتفاء المـوضـوع وانّما حـجـابهـم عـيـوبهـم وذنـوبهـم «بـل ران على قـلـوبهـم مـا كـانـوا يكسبون»[٢].

زنگ تو بر توت ای دیـگ سـیاه کرده سیـمـای درونـت را سـیاه

---

(١) لفضلك: خ ل.

(٢) سورة المطفّفين: ١٤.

خَلْقِكَ إلَّا أَنْ تَحجُبَهُمُ الأَعمالُ السَّيِّئَةُ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَفْضَلَ زَاد الرَّاحِلِ إلَيْكَ عَزْمُ إرَادَة وَإخْلاصُ نِيَّةٍ، وَقَدْ دَعَوتُكَ بِعَزْم ارَادَتِي وإخْلاص طَوِيَّتِي وَصَادِق نِيَّتِي، فَهَا أَنا ذا مِسْكِينُكَ بَائِسُكَ أَسِيرُكَ

وفي الحقيقة حجابهم وجودهم، فانّه ذنب لايقاس به ذنب.

تو خود حجاب خودى حافظ از ميان برخيز

قوله: الاّ أن تحجبهم الأعمال السّيئة إلى آخره.

فيه دلالة على أنّ الذنوب والعيوب والأعمال القبيحة والأقوال الشنيعة ستر وحجاب بين العبد وبين فضل الله تعالى، وفيضه تمنعه من الوصول إليه والنزول عليه، ولذلك لمّا قال رجل لمولانا أمير المؤمنين عليه السَّلام: انّي قد حرمت صلاة الليل، قال عليه السَّلام: أنت رجل قد قيّدتك ذنوبك.

والعزم: الجدّ والقطع، أي: إرادة عزيمة ونيّة خالصة من اضافة الصفة إلى الموصوف.

والطويّة: الضمير والنيّة، فعلى الأوّل فالفقرة التالية مؤسّسة، وأمّا على الثاني فمؤكّدة، والتأسيس خير من التأكيد.

قوله: فها أنا ذا مسكينك بائسك.

من المسكنة وهي الذلّة والافتقار، وهو مفعيل من السكون، وقد يطلق على من لاكسب له ولا مال يفيء بمؤونته، وهل هو أسوء حالاً أم الفقير؟ خلاف. والحقّ أنّه أسوء حالاً منه، لما ورد عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: الفقير الذي لايسأل الناس، والمسكين أجهد منه. والبائس أجهدهم[1].

---

(١) فروع الكافي ٣: ٥٠١، ح١٦.

فَقِيرُكَ ، سَائِلُكَ مُنِيخٌ بِفَنائكَ ، قَارِعٌ بَابَ رَجَائِكَ ، وَأَنْتَ أَوْلَىٰ بِنَصْرِ الْوَاثِقِ بِكَ ، وأَحَقُّ بِرِعَايَةِ الْمُنْقَطِعِ إِلَيْكَ ، سِرِّي لَكَ مَكْشُوفٌ، وأَنا

والمراد به هنا من لاحسنة له ولا قدرة له على كسب حسنة، بل هو مغمور في بحار الذنوب مستور في حجب العيوب، فهو أسوء حالاً من الفقير، وإنّما جمع بين هذه الصفات مع هذه الاضافات، استعطافاً وترقّباً للرحمة والشفقة بذكر المسكنة والبؤس وغيرهما.

قوله: قارع باب رجائك.

القرع: الدقّ والضرب، قرع ناقته ضربها بسوطه، ومنه:

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم ... بهنّ فلول من قراع الكتائب

ومنه من قرع الباب ولجّ ولج، وما ورد في الخبر: متى تكثر قرع الباب يفتح لك . والباب مدخل الشيء، وأصله مداخل الأبنية، كباب المدينة والدار، ثمّ تجوّز فيه فاستعمل فيما يتوصّل به إلى الشيء. ومنه: أنا مدينة العلم وعليّ بابها[1]. أي: به يتوصّل إليه.

وأبواب الرحمة والمغفرة هي الأسباب التي بها يتوصّل إليها.

والرجاء بالفتح والمدّ حالة نفسانيّة موجبة لفرجها بسبب توقّع أمر مطلوب مظنون حصوله. أي: باب رجاء رحمتك وفضلك واحسانك وجودك وامتنانك بحذف المضاف، فتشبيه الرحمة بالنفائس المصونة في دار مغلق بابها استعارة، واثبات الباب تخييل، والقرع ترشيح، والبوّاب الديّار الفاتح لباب الرحمة هو المخاطب جلّت عظمته وعمّت رحمته.

---

(١) حديث نبوي متواتر عند الفريقين.

إِلَيْكَ مَلْهُوفٌ، إذا أَوْحَشَتْنِي الْغُرْبَةُ آنسَنِي ذِكْرُكَ ،

قوله: إذا أوحشتني الغربة آنسني ذكرك .

فيه اشارة إلى أنّ المؤمن مادام في عالم الزور ودار الغرور غريب، يتوحّش من كلّ مافيه، فاذا أعرض مافيه وتوجّه إلى عالم النور وفضاء السرور آنس واطمأنّ قلبه وسكن، كما يشير إليه قوله عزّ من قائل «ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب»(١).

وعن العسكريّ عليه السَّلام: من آنس بالله استوحش من الناس، وعلامة الانس الوحشة من الناس.

وفي كتاب التوحيد عن أبي عبدالله الصادق عليه السَّلام: انّ روح المؤمن لأشدّ اتّصالاً بروح الله من اتّصال شعاع الشمس بها(٢).

وفي مصباح الشريعة عنه عليه السَّلام: العارف شخصه مع الخلق، وقلبه مع الله، لو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه، والعارف أمين ودائع الله، وكنز أسراره، ومعدن نوره، ودليل رحمته على خلقه، ومطيّة علومه، وميزان فضله وعدله، قد غنا عن الخلق والمراد والدنيا، ولا مونس له سوى الله، ولا نطق ولا إشارة ولا نفس الاّ بالله من الله مع الله، فهو في رياض قدسه متردّد، ومن لطائف فضله متزوّد، والمعرفة أصل وفرعه الايمان(٣).

وفي الكافي عن كامل التمّار، قال: سمعت أباجعفر عليه السَّلام يقول: الناس كلّهم بهائم ـ ثلاثاً ـ الاّ قليل من المؤمنين، والمؤمن غريب ـ ثلاث مرّات ـ(٤).

---

(١) سورة الرعد: ٢٨.

(٢) اصول الكافي ٢:١٦٦، ح٤.

(٣) مصباح الشريعة: ١٩١، الباب ٩١.

(٤) اصول الكافي ٢:٢٤٢، ح٢.

و إذا صَعُبَتْ[١] عَلَيَّ الأُمُورُ اسْتَجَرْتُ بِكَ ، وَ إذا تَلا حَكَتْ عَلَيَّ الشَّدائِدُ أَمَّلْتُكَ ، وأَينَ يُذهَبُ[٢] بِي يا رَبِّ عَنْكَ ،

الغريب من سكن منزل غيره، وبعد عن الأهل والأقران، والمؤمن كذلك لأنّه بعد عن أهل الايمان وسكن منزل أهل الكفر والعصيان.

وسئل عارف من الغريب؟ فقال: الذي يطلبه رضوان في الجنّة فلا يجده، ويطلبه مالك في النار فلا يجده، ويطلبه جبرئيل في السماوات فلا يجده، ويطلبه ابليس في الأرض فلا يجده، فقال له أهل المجلس وقد تفطّرت قلوبهم: ياأباجعفر فأين هذا الغريب؟ فقال: في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

قوله: وإذا صبّت عليّ الأُمور.

الصبّ ريختن، صبّ الماء يصب صبّاً إذا أفرغه، شبّه الأُمور وهي نوائب الدهر ومصائبها بالماء أو الغيث، ثمّ أثبت له الصبّ. في الكلام استعارة مكنيّة وترشيح، نظيره ماقالته سيّدتنا فاطمة الزهراء صلوات الله تعالى عليها في مرثية أبيها سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله:

صبّت عليّ مصائب لو أنّها   صبّت على الأيّام صرن لياليا

وقوله «استجرت» استعذت بك لتعيذني وتنقذني منها.

وقوله «أمّلتك» أي: جعلتك مأمولاً ومرجوّاً في كشفها. والأمل محرّكة الرجاء، وحقيقته: ابتهاج النفس لانتظار ماهو محبوب عندها، فهو حالة تصدر عن علم وتصفّي عملاً.

---

(١) صبّت: خ ل.

(٢) المذهب: خ ل.

وَ أَزِمَّةُ الأُمُورِ كُلِّها بِيَدِكَ، صادِرَةٌ عَنْ قَضائِكَ، مُذعِنَةٌ بالخُضُوعِ لِقُدرَتِكَ، فَقِيرَةٌ إلَى عَفْوِكَ، ذاتُ فاقَةٍ إلى رَحْمَتِكَ، قَدْ مَسَّنِيَ الْفَقْرُ، وَنالَني الضُّرُّ، وَشَمَلَتْنِي الْخَصاصَةُ وَعَرَتْنِي الْحاجَةُ، وَتُوُسِّمْتُ بِالذِّلَةِ وَعَلَتْنِي الْمَسْكَنَةُ، وَحَقَّتْ عَلَيَّ الكَلِمَةُ، وَأَحاطَتْ بِيَ الخَطِيئَةُ، وَهذا الْوَقْتُ الَّذي وَعَدْتَ أَوْلِياءكَ فيهِ الإجابَةَ، فَامسَحْ ما بِي بِيَمِينِكَ الشَّافِيَةِ، وانْظُرْ إلَيَّ بِعَيْنِكَ الرَّاحِمَةِ،

وقال بعضهم: أكثر مايستعمل الأمل فيما يستبعد حصوله، فانّ من عزم على سفر إلى بلد بعيد يقول: أمّلت الوصول إليه، ولا يقول طمعت الّا إذا قرب منه، فانّ الطمع لايكون الّا فيما قرب حصوله، وقد يكون الأمل بمعنى الطمع، والرجاء بين الأمل والطمع، فانّ الراجي قد يخاف أن لايحصل مأموله، ولهذا يستعمل بمعنى الخوف، فان قوي الخوف استعمل استعمال الأمل، وعليه قول زهير:

* أرجو وآمل أن تدنو مودّتها *

قوله: وأزمّة الامور كلّها بيدك .

الأزمّة كالائمّة جمع زمام، وهو مايعمل ويجعل في أنف البعير ليقاد به. وفي الكلام استعارة حيث شبّه كون الأشياء كلّها مسخّرة مدبّرة مطيعة منقادة لأمره تعالى ونهيه ومشيّته وإرادته، بنوق ذوات أزمّة يقادها صاحبها حيث مايشاء وأراد، فهو مكنية، واثبات الأزمّة تخيليّة واليد ترشيحيّة.

قوله: فامسح مابي بيمينك الشافية.

مثّل حال قدرته تعالى على دفع الضرر والآفات ورفع الفقر والعاهات

وَأَدْخِلْنِي فِي رَحْمَتِكَ الْواسِعَةِ، وأَقْبِلْ عَلَيَّ بِوَجْهِكَ يَاذَا[١] الْجَلاَلِ

واذهاب الذلّة والمسكنة، وإزالة الخصاصة وسائر المؤذيات، بحال من له يد يمسح بها الأذى، فيذهب به من غير أن يذهب بها إلى جهة حقيقة بالنسبة إليه تعالى، كما يذهب إليه المجسّمة. أو مجاز بأن يراد باليمين القدرة.

وإنّما المراد في مثل ذلك حقائقها في نفسها، كما في قولك أراك تقدّم رجلاً وتؤخّر أُخرى، لكن لا بالنسبة إلى الممثّل له، بل بالنسبة إلى الممثّل به.

وهذا هو التمثيل الذي يسمّيه أهل البيان تمثيلاً تخييليّاً، أي: الايقاع في الخيال بتصوير المعاني العقليّة بصور الأعيان الحسيّة، لكونها أظهر حضوراً وأكثر خطوراً. وهي وان كانت تراها على الظاهر كاذبة الّا أنّها ليست بكاذبة، لأنّ القصد منها تشبيه تلك الحال بحال من تفرض له تلك الصورة الحسيّة.

وهذا باب جليل في علم البيان، عليه يحمل كثير من متشابهات القرآن، كقوله تعالى «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويّات بيمينه»[٢] «والسماء بنيناها بأيد»[٣] فانّ ذلك تمثيل وتصوير لعظمته تعالى من غير ذهاب بالقبضة واليمين والأيدي إلى جهة حقيقة أو مجاز، بل يذهب إلى آخر الزبدة والخلاصة من الكلام من غير أن يتمحّل بمفرداته حقيقة أو مجاز، كقوله «يدالله مغلولة» أي: هو بخيل «بل يداه مبسوطتان»[٤] أي: هو جواد من غير تصوّر يد ولا غلّ ولا بسط.

قوله: ذي الجلال والاكرام.

أي: أحسن إليّ، أو أكرم، أو ألطف، أو أرض، فانّ من يلطف بشخص

---

(١) ذي: خ ل.

(٢) سورة الزمر: ٦٧.

(٣) سورة الذاريات: ٤٧.

(٤) سورة المائدة: ٦٤.

وَٱلإِكْرَامِ، فَإِنَّكَ إذا أَقْبَلْتَ عَلى أَسيرٍ فَكَكْتَهُ، وَعَلى ضالٍّ هَدَيْتَهُ، وَعَلى حائرٍ آوَيْتَهُ، وَعَلى ضَعيفٍ قَوَّيْتَهُ، وَعَلى خائفٍ أَمَّنْتَهُ.

اَللّهُمَّ إِنَّكَ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَمْ أَشكُرْ، وابْتَلَيْتَنِي فَلَمْ أَصْبِرْ، فَلَمْ يُوجِبْ عَجْزي عَنْ شكْرِكَ مَنْعَ المُؤَمَّلِ مِنْ فَضْلِكَ، وَأَوْجَبَ عَجْزي عَنِ الصَّبْرِ عَلى بَلائكَ كَشْفَ ضُرِّكَ وَإنْزَالَ رَحْمَتِكَ. فَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ بَلائهِ صَبْري فَعَافَانِي، وعِنْدَ نَعْمائهِ شُكْري فَأَعْطانِي، أَسأَلُكَ المَزيدَ مِنْ فَضْلِكَ، وَالإِيْزَاعَ لشكْرِكَ، والإغْتِذاء بِنَعْمائكَ، في أَعْفَى الْعَافِيَةِ وأَسبَغِ النِّعمَةِ، إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

ويكرمه، يقبل عليه ويتوجّه إليه ويخاطبه، فشبّه الهيئة الحاصلة من لطف الله بعبده واحسانه إليه واكرامه له بالهيئة الحاصلة من اقبال السيّد على عبده ومخاطبته له وتوجّهه إليه، فانّه دليل لطفه ورضائه عنه. وهذا الكلام في النظر وما يجري مجراه، ولذلك قيل في صفاته تعالى: خذ الغايات واحذف المبادي.

قوله: انّك أنعمت عليّ فلم أشكر إلى آخره.

حقّ شكرها لعجزي عنه. وقوله «فلم أصبر» إمّا مطلقاً، أو حقّ صبره، والثاني أولى لقوله فيما سيأتي «قلّ عند بلائه صبري».

قوله: والاغتذاء بنعمائك.

الاغتذاء افتعال من الغذاء، وهو ما به نماء الجسم وقوامه، وانّما قدّم طلب العافية على سبوغ النعمة، لكونها أهمّ في باب الاغتذاء، فربّ منعم عليه لاعافية له فلا اغتذاء، فملاك الأمر في باب الاغتذاء هو العافية لامجرّد الغذاء والنعمة.

اَللّـهُمَّ لاَ تُخَلِّنِـي مِنْ يَدِكَ ، وَلاَ تَترُكنِي لَـقًى لِعَدُوِّكَ وَلاَ لِعَدُوِّي، وَلاَ تُوحِشْنِي مِنْ لَطَـائفِكَ الْخَفِـيَّةِ وَكفايَتِـكَ الْجَميلَةِ. هذا مَقَامُ الْعائذِ بكَ اللاَّئذِ بِعَفْوكَ ، الْـمُستَجِيرِ بعِزِّ جَلالِكَ ، قَدْ رَأى أعلامَ قُدْرَتِكَ ، فأَره آثَارَ رَحْمَتِكَ .

اَللّهُمَّ تَـولَّـنِي ولايَةً تُغْـنِـينِي بِهـا عَـنْ سِواها(١)، وأَعْطِـنِـي عَطِـيَّةً لاَ أَحْتاجُ إلَى غَيْـرِكَ مَعَها، فَإنَّـها لَيْسَتْ بِبِـدْعٍ مِنْ ولايَتِكَ ، وَلاَ بِنُكْرٍ مِنْ عَطِيَّتِكَ ، ادْفَـعِ الصَّـرعَـةَ، وأَنْـعِشِ السَّقطَةَ، وَتَجاوَزْ عَـنِ الـزَّلَّـةِ، واقْـبَلِ التَّوبَةَ، وَارْحَـمِ الْهَفْوَةَ، وأَنْجِ مِنَ الْوَرْطَةِ، وَأَقِلِ الْعَثْرَةَ، يا مُنْـتَهى الرَّغبَةِ، وَيَا غَـيَاثَ(٢) الْـكُـربَةِ، وَوَلِيَّ الـنِّعْـمَةِ، وَصاحباً فِـي الغُـربَةِ، وَرَحْمانَ الدُّنْـيَا والآخِرَة، خُذْ بيَـدِي مِنْ دَحضِ الْمَزلَّة فَقَدْ كَـبَوْتُ، وَثَبِّتنِي عَلى

قوله: لاتخلّني من يدك .

من تصرّفك أو نعمتك وحمايتك ، والأولى أن يحمل على التمثيل بنحوما مرّ آنفاً.

قوله: ولا توحشني إلى آخره.

أي: اجعلني آنساً بها ترادفها عليّ ، فانّ قلّة الورود وطول العهد يوحش ولا يونس.

قوله: خذ بيدي من دحض المزلّة إلى آخره.

الدحض: الزلق والمزلّة والمزلّة مفعلة من زلّ يزلّ إذا زلق، وتفتح الزاي

---

(١) سواك : خ ل.

(٢) وغياث: خ ل.

الصِّراط الْمُستَقِيمُ، وَإلَّا غَوَيتُ، يَا هَادِيَ الطَّرِيق، يَا فَارِجَ الْمَضيق، يَا جَارِيَ اللَّصيقُ، يا رُكنِيَ الْوَثيقُ، أُحْلُلْ عَنِّي المَضِيقَ، واكْفِنِي شَرَّ

وتكسر، ومنه ماورد في صفة الصراط: مدحضة مزلّة، أراد أنّه تزلق عليه الأقدام ولا تثبت. والكبوة العثرة، ومنه الجواد قد يكبو، والظاهر أنّ المراد بالمزلّة هنا محلّ الزلل، وهو الخطأ والذنب.

ثمّ انّه شبّه بالدحض، أي المزلق الذي لا تثبت عليه الأقدام، فاضافة الدحض إلى المزلّة اضافة اللجين إلى الماء.

وفي قوله «خذ بيدي» استعارة مصرّحة شبّه حفظه تعالى ووقايته عن الوقوع في الخطيئة بأخذ من يأخذ بيد من يزلق في المزلقة، ولك أن تقول في الكلام استعارة تمثيليّة.

قوله: يا جاري اللصيق.

الظاهر أنّه شبّه السالك في طريق المعرفة وسلوكه فيه وحصول العائق له في بعض مقاماته من احتياجه إلى من يرفع عنه ذلك العائق، ليصل إلى المقام المقصود، بجسم كان جارياً على وجه الماء، ثمّ لصق بما يعوّقه على الجريان والوصول إلى لجّة المحيط، فيحتاج إلى معين يزيل عنه المانع ليجري مجراه ويصل إلى ماقصده، فالكلام استعارة تمثيليّة، فتأمّل فيه.

قوله: يا ركني الوثيق.

أركان كلّ شيء جوانبه التي يستند اليها ويعتمد عليها ويقوم بها، والله تعالى أشدّ الأركان وأقواها، فمن استند إليه واعتمد عليه، فقد آوى إلى ركن شديد، والكلام استعارة تمثيليّة أو مكنية مرشّحة.

ماأَطِيقُ وَشَرَّ مَا لاَ أُطِيقُ[١]، يَا أَهْلَ التَّقْوى وأَهْلَ الْمَغْفِرَة، وَالْعِزَّة والْقُدْرَة والآلاَء والْعظَمَةِ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وأكرَمَ النَّاظِرِينَ، وَربَّ الْعَالَمِينَ، لاَ تَقْطَعْ رَجائي، وَلاَ تُخيِّبْ دُعائِي، وَلاَ تَجْهَدْ بَلائي، وَلاَ تُسيء قَضائِي، وَلاَ تَجْعَلِ النَّارَ مأْوَايَ، واجْعَلِ الجَنَّةَ مَثوايَ، وأَعطِنِي مِنَ الدُّنْيَا مُنايَ، وَبَلِّغْنِي مِنَ الآخِرَة أَمَلِي وَرَجَائي، وآتِني في الدُّنْيا حَسَنةً وَفي الآخِرَة حَسَنةً، وَقِنِي عَذَابَ النَّار، إنَّكَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ وَبِكُلِّ شَيءٍ مُحِيطٌ.

قوله: وفي الآخرة حسنة إلى آخره.

اقتباس من قوله تعالى «ربّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[٢] قيل: المراد بالحسنتين أمّا في الدنيا، فالصحّة والأمن والكفاية، والولد الصالح، والزوجة الصالحة، والنصر على الأعداء. وأمّا في الآخرة، فالفوز بالثواب والخلاص من العقاب.

وعنه صلّى الله عليه وآله: من أُوتي قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة تعينه على أمر دنياه وآخرته، فقد أُوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقي عذاب النار[٣].

وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السَّلام: الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة، وفي الآخرة الحوراء، وعذاب النار امرأة السوء[٤].

---

(١) وما لا أطيق: خ ل.

(٢) سورة البقرة: ٢٠١.

(٣) مجمع البيان ١:٢٩٨.

(٤) تفسير الصافي ١:٢١٧.

ثمّ تدعو بدعاء الصباح لسيّد العابدين عليه السَّلام، وهو من أدعية الصحيفة:

الْحَمْدُ للهِ الَّذي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ بِقُوَّتِهِ، وَمَيَّزَ بَيْنَهُما بِقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُما حَدّاً مَحْدُوداً وَأَمَداً مَمْدُوداً، يُولِجُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُما في صَاحِبِهِ، وَيُولِجُ صاحِبَهُ فِيهِ، بِتَقْديرٍ مِنْهُ لِلْعِبادِ فِيما يَغْذُوهُمْ بِهِ وَيُنشِئُهُمْ عَلَيْهِ، فَخَلَقَ لَهُمُ اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ مِنْ حركاتِ التعب وَنَهضاتِ[1] النَّصَب، وَجَعَلَهُ لَهُمْ لِبَاساً لِيَلْبَسُوا مِنْ رَاحَتِهِ وَمَنامِهِ،

وفي الكافي: في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السَّلام في هذه الآية: رضوان الله والجنّة في الآخرة، والمعاش وحسن الخلق في الدنيا[2].

وقيل: هي في الدنيا فهم كتاب الله، وفي الآخرة الجنّة.

وقيل: في الدنيا العلم والعباذة، وفي الآخرة الجنّة.

وقيل: الأُولى المال والنعمة، والثانية تمام النعمة وهو النجاة من العقاب والوصول إلى دار الثواب.

وقيل: الأُولى الاخلاص، والثانية الخلاص. إلى غير ذلك من الأقوال.

ولمّا كان دفع الضرر أهمّ من جلب النفع، صرّح بذلك في قوله «وقنا عذاب النار» قيل: معناه واحفظنا من الشهوات والذنوب المؤدّية إلى النار.

قوله: وجعله لهم لباساً ليلبسوا من راحته ومنامه.

شبّه الراحة والمنام بالثوب في شموله للبدن والجامع الشمول، وهي استعارة بالكناية، وأثبت لهما اللبس الذي لايملّ شمول الثوب للبدن الّا به، وهي

---

(١) وبهضات: خ ل.

(٢) فروع الكافي ٥: ٧١، ح١٢.

فَيكُونَ ذٰلِكَ لَهُمْ جَمَاماً[١] وَقُوَّة، وَلِيَنَالُوا بِهِ لَذَّة وَشَهْوَة، وَخلَقَ لَهُمُ النَّهارَ مُبْصِراً لِيَبتَغُوا فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ، وَليتَسَبَّبُوا إلى رِزْقِهِ، وَيَسرَحُوا في

استعارة تخييليّة.

و«من» في «من راحته» إمّا للابتداء، أو زائدة، والضمير في «راحته» و«منامه» للّيل، والاضافة امّا بمعنى في مثل «مكرالليل» أو بمعنى اللام الاختصاصيّة، وجوّز عود الضمير فيهما إلى الله باعتبار خلقه لهما.

والفاء في «فيكون» عاطفة سببيّة، وذلك إشارة إلى لبس الراحة والمنام.

والباء في قوله «به» ظرفيّة بمعنى في، والضمير عائد إلى الليل.

والمراد باللذّة والشهوة اللتين تنالان في الليل الرفث إلى النساء، وانّما خصّ ذلك بالليل لأنّه أستر من النهار.

قوله: ويسرحوا في أرضه طلباً إلى آخره.

سرحت الابل سرحاً خرجت بالغداة إلى المرعى، شبّه انتشار الناس لطلب المعاش في أوّل النهار بخروج الابل إلى مراعيها، وهي استعارة تبعيّة.

وطلباً: امّا مفعول له، أو مصدر، أي: لاجل الطلب، أو طالبين.

و«ما» موصولة، أو موصوفة.

ونيل الشيء إدراكه واصابته.

والعاجل اسم الفاعل من عجل بمعنى حضر.

والدرك بفتح الراء الادراك ، وهو اللحاق والوصول.

والآجل خلاف العاجل اسم فاعل من أجل بمعنى تأخّر.

---

(١) بفتح الجيم الراحة من التعب (منه).

أَرْضِهِ، طَلَباً لِمَا فيهِ نيلُ الْعَاجِلِ مِنْ دُنيَاهُمْ وَدَرِكُ الآجِلِ في أُخْرَاهُمْ، بِكُلِّ ذٰلِكَ يُصْلِحُ شأنـهُـمْ وَيَبْلُو أَخْبَارَهُـمْ، وَيَنظُرُ كَيْفَ هُمْ في أَوقاتِ طاعَتِهِ، وَمَنازِل فُرُوضِهِ، وَمَواقِعِ أحكامِهِ «لِيَجْزِيَ الَّذينَ أساؤا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذينَ أَحسَنُوا بِالحُسْنى».

والباء في «بكلّ ذلك» للاستعانة متعلّقة بيصلح، وذلك اشارة إلى خلق الليل لباساً والنهار مبصراً، واعدادهما لمصالحهم من لبس الراحة والمنام ونيل اللذّة والشهوة، والابتغاء من فضله، والتسبّب إلى رزقه، أو السروح في أرضه لطلب المنافع الدنيويّة والاخرويّة.

قوله: وينظر كيف هم في أوقات طاعته.

النظر: إمّا بالقلب، وهو ملاحظة معقول لتحصيل مجهول. أو بالعين، وهو تقليب الحدقة نحو المرأى طلباً لرؤيته، وهما لايجوزان عليه سبحانه، فاطلاقه عليه من باب الاستعارة.

فقيل: أُستعير النظر للعلم الحقيقي الذي لايتطرّق إليه شكّ، ويعني به العلم الذي يتعلّق به الجزاء، فانّ النظر انّما هو بطلب العلم، وهو تعالى يعامل عباده معاملة المختبر الذي لايعلم مايكون منهم، فيطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم على مايظهر منهم دون ماقد علم أنّهم يفعلونه.

قوله: الذين أساؤا بما عملوا.

بعقاب ماعملوا.

قوله: أحسنوا بالحسنى.

بالمثوبة الحسنى، أو المنزلة الحسنى وهي الجنّة.

اَللّٰهُمَّ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلىٰ مَا فَلَقْتَ لَنا مِنَ الإصبَاح، ومَتَّعتَنَا بِهِ مِنْ ضَوء النَّهار، وَبَصَّرْتَنَا بِهِ مِنْ مَطالِبِ الأَقْواتِ، وَوقَيْتَنا فِيهِ مِنْ طَوارِقِ الآفاتِ، أَصْبَحْنا وَأَصْبَحَتِ الأَشْيَاء كُلّها بِجُمْلَتِها لَكَ، سَمَاؤهَا وأَرضُها وَمَا بَثَثْتَ في كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، سَاكِنِهِ وَمُتحرِّكِهِ ومُقيمِهِ وَشَاخِصِهِ، وَمَا عَلا في الْهَواء وَمَا كُنَّ تَحْتَ الثَّرَى، أَصْبَحْنا في قَبْضَتِكَ يَحْوِينَا مُلكُكَ وَسُلْطانُكَ، وتَضُمُّنا مَشِيَّتُكَ، وَنتصرَّفُ عَنْ أَمْرِكَ، وَنَتَقَلَّبُ في تَدْبِيرِكَ، لَيْسَ لَنا مِنَ الأَمْرِ إلَّا مَا قَضَيْتَ، وَلاَ مِنَ الْخَيْرِ إلَّا مَا أَعْطَيْتَ.

قوله: وما كنّ تحت الثرى.

فيه ايماء لطيف إلى أنّ ماتحته مستور عن علم غيره تعالى، كما تدلّ عليه روايات كثيرة، منها: مافي كتاب علل الشرائع عن عليّ عليه السَّلام أنّه قال لليهودي وقد سأله عن مسائل: أمّا قرار هذه الأَرض لايكون إلّا على عاتق ملك، وقدما ذلك الملك على صخرة، والصخرة على قرن ثور، والثور قوائمه على ظهر الحوت، والحوت في اليمّ الأسفل، واليمّ على الظلمة، والظلمة على العقيم، والعقيم على الثرى، وما يعلم تحت الثرى الّا الله[١].

وفي تفسير علي بن ابراهيم، عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: سئل عن الارض على أيّ شيء هي؟ قال: على الحوت، قيل له: فالحوت على أيّ شيء هو؟ قال: على الماء، فقيل له: فالماء على أيّ شيء هو؟ قال: على الثرى، قيل له: فالثرى على أيّ شيء هو؟ قال: عند ذلك انقضى علم العلماء.

---

(١) علل الشرائع: ٢.

اَللّٰهُمَّ وَهذا يَومٌ حَادِثٌ جَدِيدٌ، وَهُوَ عَلَيْنا شَاهِدٌ عَتِيدٌ، إنْ أحسَنّا

وعن أبان بن تغلب، قال: سألت أبا عبدالله عليه السَّلام عن الأرض على أيّ شيء هي؟ قال: على الحوت، قلت: فالحوت على أيّ شيء هو؟ قال: على الماء، قلت: فالماء على أيّ شيء هو؟ قال: على الصخرة، قلت: فعلى أيّ شيء الصخرة؟ قال: على قرن ثور أملس، قلت: فعلى أيّ شيء الثور؟ قال: على الثرى، قلت: فعلى أيّ شيء الثرى؟ قال: هيهات عند ذلك ضلّ علم العلماء[1].

وفي روضة الكافي بسند صحيح عن أبان عنه عليه السَّلام مثله[2].

وفي كتاب التوحيد عن النبيّ صلّى الله عليه وآله يذكر فيه عظمة الله، وفيه يقول عليه السَّلام بعد أن ذكر الأرضين السبع وما فيهنّ وما عليهنّ: والسبع ومن فيهنّ ومن عليهنّ على ظهر الديك كحلقة في فلاة قيّ، والديك له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، ورجلاه بالتخوم؛ والسبع والديك بمن فيه ومن عليه على الصخرة كحلقة في فلاة قيّ، والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم عند الهواء كحلقة في فلاة قيّ، والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء عند الثرى كحلقة في فلاة قيّ، ثمّ تلىٰ هذه الآية «له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى» ثمّ انقطع الخبر[3].

وفي روضة الكافي عنه صلّى الله عليه وآله مثله[4].

قوله: وهذا يوم حادث جديد.

في الكافي عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: ما من يوم يأتي على ابن آدم

---

(١) تفسير القمّيّ ٢: ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) روضة الكافي ٨: ٨٩، ح٥٥.

(٣) التوحيد للصدوق: ٢٧٦.

(٤) روضة الكافي ٨: ١٥٣، ح١٤٣.

وَدَّعَنا بِحَمْدٍ، وإنْ أَسأْنا فَارَقَنا بِذَمٍّ، اَللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِ[١] مُحَمَّدٍ، وارْزُقْنا حُسنَ مُصاحِبَتِهِ، واعصِمْنَا مِنْ سُوءِ مُفَارقَتِهِ، بارْتِكابِ جَرِيرَةٍ، أَو اقتِرافِ صَغيرَةٍ، أَوْ كَبيرَةٍ، وَأَجْزِلْ لَنَا فِيهِ مِنَ الْحسَنَاتِ، وأَخلِنَا فِيهِ مِنَ السَّيئاتِ، وَامْلأْ لنا مابَيْنَ طَرفَيْهِ حَمْداً وَشُكراً، وأَجْراً وذُخْراً وَفَضْلاً و إحْساناً.

الاّ قال له ذلك اليوم: يابن آدم أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد، فقل فيَّ خيراً واعمل فيَّ خيراً، أشهد لك به يوم القيامة، فانّك لن تراني بعدها أبداً[٢].

قيل: هذا القول وهذه الشهادة بلسان الحال.

[فانّ اليوم هنا كان ظرفاً لمباشرة الفعل كان حضور ذلك اليوم وما صدر فيه في علم الله تعالى بمنزلة الشهادة بين يديه، واسناد التوديع والمفارقة الى اليوم: إمّا مجاز عقليّ، أو استعارة مكنية أو تخييليّة أو تمثيليّة، بأن يعتبر تشبيه التلبّس الغير الفاعلي بالتلبّس الفاعلي، ويستعمل فيه اللفظ الموضوع لافادة التلبّس الفاعلي. ويمكن أن يكون ذلك على وجه التقدير، أي: لو كان اليوم عاقلاً، ثمّ أراد الذهاب عنّا، لكان أن أحسنّا مودعة السناء بحمد، وان أسأنا مفارقة لنا ندم][٣].

قوله: وأجزل لنا.

أيّ: عظّم.

---

(١) وآله: خ ل.

(٢) اصول الكافي ٢: ٥٢٣، ح٨.

(٣) مابين المعقوفتين من نسخة «ن» فقط.

اَللّـهُمَّ يَسِّرْ عَلى اَلـكِرام الـكَاتِبـينَ مَـؤونَتَـنـا، وَاملأْ لَنا مِنْ حَسَـناتِنا صَحَائـفنا، وَلاَ تُخـزنَا عِنْـدَهُمْ بِسُوء أَعمَـالِنَا، اَلـلّهُمَّ اَجعَـلْ لَنَا فِي كُلِّ سَاعَـةٍ مِنْ سَـاعَاتِه حَظـاً مِنْ عِـبَادَتِـكَ، وَنَصِيبـاً مِنْ شُـكرِكَ، وَشَـاهِدَ صِدْقٍ مِنْ مَلائكَتِكَ.

قوله: اللّهمّ يسّر على الكرام الكاتبين.

ورد في الخبر: انّ لكلّ انسان معه ملكين، أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره. أمّا الذي في يمينه، فيكتب الحسنات من غير إذن صاحبه. أمّا الذي في يساره، فيكتب السيّئات ولا يكتبها إلّا بشهادة صاحبه، وإن قعد قعد أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، وإن مشى يمشي أحدهما خلفه والآخر أمامه، وإن نام نام أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله.

وفي رواية خمسة أملاك: ملكان الليل، وملكان النهار، وملك لايفارقه في وقت من الأوقات، ذلك قوله تعالى «له معقّبات من بين يديه ومن خلفه»[١] يريد بالمعقّب ملائكة الليل والنهار يحفظونه من الجنّ والانس والشياطين، قال: ملكان بين كتفيه قلمهما لسانها، ودواتها فمها، ومدادهما ريقهما، وصحيفتها فؤادهما، فيكتبان أعماله إلى موته.

وروي أنّ صاحب اليمين أمين على صاحب الشمال، فاذا عمل سيّئة وأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين: أمسك، فيمسك سبع ساعات، فان قال العبد: أستغفر الله لم يكتبها، وإن لم يستغفر كتبها سيّئة واحدة، فاذا قبض روح العبد ووضع في قبره، فيقول الملكان: ياربّنا وكّلتنا بعبدك حتّى نكتب، وقد قبضت روح عبدك، فأذن لنا حتّى نصعد إلى السماء،

---

(١) سورة الرعد: ١١.

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآله، واحْفَظْنا مِنْ بَيْنِ أَيدِينا وَمِنْ خَلفِنا، وَعَنْ أَيمَانِنَا وَعَنْ شَمائِلِنا، وَمِنْ جَمِيعِ نَواحِينَا، حفْظاً عَاصِماً مِنْ مَعصِيَتِكَ هَادِياً إلى طَاعَتِكَ، مُستَعْمِلاً لِمَحبَّتِكَ.

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَوفِّقنَا فِي يَوْمِنَا هَذا، وَلَيْلَتِنَا هٰذِهِ، وَفِي جَمِيعِ أَيّامِنَا، لاسْتِعْمَالِ الْخَيْر، وَهجرانِ الشَّرِّ، وَشكْرِ النِّعَمِ وَاتِّباعِ السُّننِ، وَمُجانَبَةِ الْبِدَعِ وَالأمرِ بالْمعْرُوفِ، وَالنَّهْي عَنِ الْمُنكَر، وَحِيَاطَةِ الْإِسْلامِ وانْتِقَاصِ الْباطِلِ وَإِذْلالِهِ، وَنُصْرة الْحَقِّ واعْزازه، وَإِرشَادِ الضَّالِّ وَمُعاوَنَةِ الضَّعيفِ، وإدْرَاكِ اللَّهيفِ.

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، واجْعَلْهُ أَيْمَنَ يَومٍ عَهِدْنَاهُ، وأفضَلَ

فيقول الله تبارك وتعالى: السماء مملوّة من الملائكة، سبّحا على رأس عبدي وكبّرا وهلّلا واكتبا ذلك لعبدي حتّى أبعثه من قبره، قال الله «وإنّ عليكم لحافظين * كراماً كاتبين * يعلمون ماتفعلون»[١].

وسمّوا كراماً كاتبين لأنّهم إذا كتبوا حسنة يصعدون الى السماء ويعرضون على الله تعالى، ويشهدون على ذلك، ويقولون: عبدك فلان عمل حسنة كذا وكذا، وإذا كتبوا من العبد سيئة يصعدون بها إلى السماء مع الغمّ والحزن، فيقول الله تعالى: ياكراماً كاتبين مافعل عبدي، فيسكتون حتّى يسأل تعالى ثانياً، فيقولون: الهي أنت أعلم وأنت ستّار العيوب، فأمرت عبادك أن يستروا عيوبهم، فانّهم يقرؤون كلّ يوم كتابك ويمدحونك فيقولون: ستّر عيوبهم فانّك علّام الغيوب، فلهذا يسمّون كراماً كاتبين[٢].

---

(١) سورة الانفطار: ١٠ ـ ١٢.

(٢) هذه التعليقة لم توجد في نسخة «ن» وتقدّم هذه التعليقة آنفاً، فراجع.

صاحِبٍ صَحِبْنَاهُ، وخيْرَ وَقْتٍ ظَلِلْنَا فِيهِ واجْعَلْنا مِنْ أَرْضَى مَنْ مَرَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ مِنْ جُمْلَةِ خَلْقِكَ، أَشْكَرَهُمْ لِمَا أَولَيْتَ مِنْ نِعَمِكَ، وأَقوَمَهُمْ بِمَا شَرَعْتَ مِنْ شَرَائعِكَ، وأَوْقَفَهُمْ عَمَّا حذَّرْتَ مِنْ نَهْيِكَ.

اَللَّهُمَّ إنِّي أُشهِدُكَ وَكفى بِكَ شَهيداً، وأُشْهِدُ سَمَاءَكَ وأَرْضَكَ وَمَنْ أَسكَنْتَهُما مِنْ مَلائكَتِكَ وَسَائِر خَلْقِكَ، فِي يَوْمِي هَذا وَسَاعَتِي هٰذهِ ولَيْلَتِي هٰذهِ[1] وَمُستقَرِّي هٰذا، أَنِّي أَشهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذي لاَ إلَه إلَّا أَنْتَ، قَائمٌ بالْقِسْطِ، عَدْلٌ فِي الْحُكْمِ، رَؤوفٌ بالْعِبَادِ، مَالِكُ الْمُلْكِ، رَحيمٌ بِالْخَلْقِ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولكَ وخيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، حَمَّلْتَهُ رِسَالَتَك فَأَدَّاهَا، وأَمَرْتَهُ بالنُّصْحِ لأُمَّتِهِ فَنصَحَ لَها.

اَللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ، أَكثَرَ ما صلَّيْتَ عَلىٰ أَحدٍ مِنْ خَلْقِكَ، وَآتِهِ عَنَّا أَفضَلَ ماآتيْتَ أَحداً مِنْ عِبَادِكَ، واجزه عنَّا أَفْضَلَ وأَكرَمَ ماجَزَيْتَ أَحداً مِنْ أَنبيائكَ عَنْ أُمَّتِهِ، إنَّكَ أَنْتَ الْمَنَّانُ بِالْجَسِيمِ الْغَافِرِ لِلْعَظِيمِ، وأَنْتَ أَرْحَمُ مِنْ كُلِّ رَحِيمٍ، وَصلَّى[2] اللهُ عَلىٰ سيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهِرِينَ الأَخْيَار الأَنْجَبينَ.

واعلم أنّ الأدعية والأذكار الواردة عن أصحاب العصمة سلام الله عليهم

قوله: وخير وقت ظللنا فيه.

الظلول بالنهار بمنزلة البيتوتة بالليل.

---

(١) في بعض نسخ الصحيفة وليلتنا هذه المراد أنّه إذا قُرىء هذا الدعاء في المساء فيبدل اليوم بالليلة، ويجوز أن يكون المشار إليه هذه الليلة الآتية، وعلى هذا يُقرءان معاً. وكون هذا الدعاء من أدعية الصباح يؤيّد هذا (منه).

(٢) فَصَلّى: خ ل.

في التعقيبات، وسيّما تعقيب صلاة الصبح كثيرة جدّاً، وإنما اقتصرنا على هذا القدر رعاية للاختصار، والله وليّ الاعانة والتوفيق.

واعلم أيضاً أنّ ما ذكرناه من التعقيب مأخوذ من روايات عديدة، وليس مجتمعاً في رواية واحدة، فلك أن تقتصر على البعض إذا لم يتّسع وقتك للكلّ، فإذا[1] وجدت من نفسك كلالاً، فاقطعه ولا تكلّفها إكماله من دون ميلها إليه وإقبالها عليه، فإنّ التوجّه والإقبال روح العبادة والدعاء.

قوله: ولا تكلّفها اكماله من دون ميلها إليه.

بل ينبغي للعابد أن يقتصد في عبادته، بأن يأتي منها بما لايلحق النفس والبدن منه مشقّة شديدة، لئلا يتنفّر الطبع عنها.

في الكافي عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السَّلام: ياعلي انّ هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، لا تبغّض إلى نفسك عبادة ربّك، ان المنبتّ - يعني المفرط - في السير لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع، فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً، واحذر حذر من يتخوّف أن يموت غداً[2].

قوله عليه السَّلام «فأوغل فيه» أي: أدخل فيه برفق، ولا تكلّف نفسك ما لا تطيقه فتعجز وتترك الدين والعمل، يقال: أوغل القوم إذا مضوا في سيرهم.

وقال في مجمع البحرين: في الحديث «لا تكرهوا إلى أنفسكم عبادة ربّكم، فانّ المبْتت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» يقال للرجل إذا انقطع به في سفره

---

(١) وإذا: خ ل.

(٢) اصول الكافي ٢:٨٧، ح٦.

ويستحب جلوسك في مصلاك بعد فراغك من صلاة الصبح إلى أن تطلع الشمس، وإن لم تكن مشتغلاً بالتعقيب، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: من صلّى فجلس في مصلاه إلى طلوع الشمس كان له ستراً من النار[١].

وعطبت راحلته: قد أبتت، أي: انقطع من البتّ القطع، يقال: بتّه بتّاً من باب ضرب وقتل قطعه، ومنه رجل مبتّ أي منقطع. والمعنى: انّه بقي في طريقه عاجزاً عن مقصده لم يقض وطره وقد أعطب ظهره. وفي الحديث المبتّ المفرط[٢] انتهى.

والظهر كناية عن الدابّة والراحلة، ومنه أتأذن في نحر ظهرنا، يريد إبلنا، فهو من باب تسمية الشيء باسم جزئه.

قوله: وان لم تكن مشتغلاً بالتعقيب إلى آخره.

بل كنت مشتغلاً بالمباحات، كالأكل والشرب والغليان ونحوها من الأُمور المباحة.

والمتبادر من قوله «من صلّى فجلس في مصلاه» أنّ جلوسه فيه للتعقيب، أو المطالعة، أو التلاوة، ونحوها من العبادات، والاّ فمجرّد الجلوس فيه من دون الاشتغال بدعاء أو مسألة ونحوها ممّا لا ثمرة فيه، فضلاً عن أن يكون له ستراً من النار، بل الضرب في أرض الله طلباً لرزقه خير منه وأكثر ثواباً؛ لأنّ فيه ضياع العمر دونه.

ولو أُبقي هذا الخبر على عمومه لدلّ على ترتّب هذا الجزاء على كلّ من جلس

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٣٢١، ح١٦٦.

(٢) مجمع البحرين ٢: ١٨٩ ـ ١٩٠.

وينبغي قراءة سورة يس بعد التعقيب، فإن قارئها في الصباح لا يزال محفوظاً مرزوقاً حتّى يمسي، وتسمّى الدافعة، لأنّها تدفع عن قارئها كلّ شرّ، والقاضية لأنّها تقضي له كلّ حاجة.

في مصلاه إلى هذه الغاية، وان لم يكن متطهّراً، بل وان كان مشتغلاً باللهو واللعب، لأنه يصدق عليه أنّه صلّى فجلس في مصلاه.

فان قلت: قد ورد في رواية هشام بن سالم أنّه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السَّلام: انّي أخرج وأحببت أن أكون معقّباً، فقال: إن كنت على وضوء فأنت معقّب[١].

وعنه عليه السَّلام: المؤمن معقّب مادام على وضوئه[٢]. وإذا كان الخارج إلى حاجته معقّباً بعد أن كان على وضوئه وان لم يكن مشتغلاً بالتعقيب، فالجالس في مصلاه أولى بذلك.

قلت: للحديث احتمالان، أحدهما: أن يكون غرضه عليه السَّلام أنّه لايعتبر في المعقّب جلوسه في موضع الصلاة عند التعقيب مطلقاً، بل هو معقّب مادام متطهّراً، أي: له أجر التعقيب المتعارف إذا دعا وعقّب وان لم يجلس في مصلاه في بعض الصور، فليس المقصود حينئذٍ أنّه بمحض كونه متطهّراً معقب.

وثانيهما: أنّه مادام متطهّراً بعد الصلاة في بعض الصور فهو معقّب، أي: له أجر التعقيب في الجملة وإن لم يعقّب، فتأمّل.

قوله: وينبغي قراءة سورة يس الى آخره.

في كتاب ثواب الأعمال عن الصادق عليه السَّلام: من قرأ سورة يس قبل

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٣٢٠.

(٢) من لايحضره الفقيه ١: ٥٦٨.

توضيح:

ولنبيّن ما لعلّه يحتاج إلى البيان في هذا الفصل، كما هو عادتنا في هذا الكتاب.

«ونحن له مسلمون» أي: مذعنون بحكمه[١]، منقادون لأمره، مخلصون في عبادته، كما قاله المفسّرون في قوله تعالى «لانفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون»[٢] وليس المراد بالإسلام هنا معناه المتعارف.

«لا نعبد إلّا ايّاه مخلصين له الدين» أي: عبادتنا منحصرة فيه سبحانه، حال كوننا غير خالطين مع عبادتهِ عبادة غيره. والمراد: إنّا لانعبد غيره، لا على الانفراد، ولا على الاشتراك.

القيوم الذي به قام كلّ موجود، أو القيّم على كلّ شيء بمراعات حاله وتبليغه درجة كماله.

«اهدني من عندك» يمكن أن يراد بالهداية هنا الدلالة الموصلة إلى

أن ينام، أو في نهاره قبل أن يمسي، كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتّى يمسي، ومن قرأها في ليلة قبل أن ينام، وكّل الله به ألف ملك يحفظونه من شرّ كلّ شيطان ومن كلّ آفة[٣].

وفي رواية أُخرى: سورة يس تدعى الدافعة القاضية، تدفع عن صاحبها كلّ شرّ، وتقضي له كلّ حاجة[٤]. والأخبار في ثواب قراءتها وفوائدها

---

(١) لحكمه: خ ل.

(٢) سورة البقرة: ١٣٦.

(٣) ثواب الأعمال: ١١١، طبع النجف الاشرف.

(٤) مجمع البيان ٤: ٤١٣.

المطلوب. وأن يراد بها الدلالة على مايوصل إلى المطلوب، وهو الفوز بالجنّة، أو محو آثار العلائق الجسمانية، ورفع أستار العوائق الهيولانية، وقصر العقل والحسّ على مطالعة أسرار الجلال وملاحظة أنوار الجمال.

الدنيويّة والأُخرويّة أكثر من أن تحصى.

قوله: وأن يراد بها الدلالة على مايوصل إلى المطلوب.

إن رجّحت الارادة الثانية، بأنّ الهداية الحقيقيّة هي الدلالة على ماشأنه الايصال الى البغية من غير أن يشترط في مدلولها الوصول، ولذلك كانت الدلالات التكوينيّة المنصوبة في الآفاق والأنفس والبيّنات الواردة في الكتب السماويّة على الاطلاق بالنسبة إلى البريّة كافّة برّها وفاجرها هدايات حقيقيّةٌ فائضة من الله تعالى، رجّحت الاولى بأنّها الأنسب بالمقام والأليق بهذا الكلام.

إذ الدلالة على مايوصل الى المطلوب، وهو إراءة طريق الخير حاصلة لكلّ أحد، فانّ القوى التي يتمكّنون بها من الاهتداء الى مصالحهم، ونصب الدلائل الفارقة بين الحقّ والباطل، وكذا إرسال الرسل وإنزال الكتب مشتركة، فكيف صارت الهداية بهذا المعنى هنا مطلوباً بهذا الدعاء.

فالاولى أن يكون المراد به هنا الدلالة الموصلة الى المطلوب، وهو النجاة من النار والوصول الى الجنّة.

وأمّا التفصيل بأنّها إن تعدّت الى المفعول الثاني بنفسها، كانت بمعنى الدلالة الموصلة، وإن تعدّت باللام أو إلى كانت بمعنى الدلالة على مايوصل. فيعلم ضعفه من قوله تعالى «وهديناه النجدين»[1] أي: طريق الخير والشرّ،

---

(١) سورة البلد: ١٠.

«وقدرتك التي لايمتنع[1] منها شيء» فيه إشارة الى عدم صدق الشيئيّة على الممتنعات الذاتية.

والمراد اراءتها، فانّ الآية موردة في معرض الامتنان. ولا منّة بالايصال إلى الشرّ.

ويمكن أن يراد بالهداية هنا الهداية الخاصّة، وهي كشف الأسرار على قلب المهدىٰ بالوحي أو الالهام، لكنّها مرتبة فوق المراتب اللائقة بأمثالنا أهل العيوب المستورين بستور الذنوب، فكيف نريدها وقت قراءتنا هذا الدعاء وقد ورد: من سأل فوق قدره استحقّ الحرمان[2].

قوله في الحاشية: فلو كان الممتنع شيئاً لما يتخلّف عن المقدوريّة.

فيه أنّ الممتنع كما لايصدق عليه الشيئيّة كذلك الممكن المعدوم، كما هو المشهور، حيث قالوا: انّ المعدوم ليس بشيء وانّما هو نفي محض لاامتياز فيه، فنسبة الذات إلى المعدومات نسبة واحدة، فاذا ثبت قدرته على بعضها ثبت على كلّها، ويلزم منه عموم القدرة، كما هو ظاهر قوله «وقدرتك التي لايمتنع منها شيء».

وفيه أنّه يلزم على هذا جريان الدليل في قدرته تعالى بالنسبة إلى الممتنعات أيضاً، لأنّ المعدوم لمّا لم يكن شيئاً ولم يكن فيه تمايز، فلا معنى لكون بعضه

---

(١) أي لا يتخلّف ولا يخرج عنها ما صدق عليه اسم الشيئيّة، فلو كان الممتنع شيئاً لما تخلّف عن المقدورية، ولما خرج عن القدرة، لكنه خارج عنها، فهو ليس بشيء، ثمّ كونه غير مقدور ليس لقصور القدرة بل لكون الممتنع غير لائق لأن يكون مقدوراً له تعالى، وغير قابل لتأثير القدرة فيه. فالقصور من جانبه لا من جانب القدرة الكاملة (منه).

(٢) بحار الانوار ٩٣: ٣٢٧، ح ١١ عن عدّة الداعي.

«ولا تزغ قلبي» من الزيغ، وهو الميل عن طريق الحق، والمراد لا تسلبني التوفيق للبقاء على الاهتداء.

«ومن فجأة نقمتك» الفجأة بالضمّ والمدّ وقوع الشيء بغتة، والمراد بالنقمة العقاب، وهي بفتح النون وكسرها، فبالفتح على وزن كلمة، وبالكسر على وزن نعمة.

«ومن درك الشقاء» الدرك بالتحريك يطلق على المكان وطبقاته دركات، يقال: النار دركات، والجنة درجات. ويطلق أيضاً على أقصى قعر الشيء.

ممكناً وبعضه ممتنعاً، فإمّا أن يكون الكلّ ممكناً أو ممتنعاً، فامّا أن يقدر على الكلّ، أو لا يقدر على شيء.

بل نقول: قدرته على الممكنات دون الممتنعات مع أنّه لا يتميّز أصلاً ممّا لاوجه له، فاذا جوّز مثل هذا التميز في المعدومات، أي: مثل أن يكون بعضها مقدوراً دون بعض، وبعضها ممكناً دون بعض، فعدم تجويز اختلاف نسبة الذات اليها بعد ذلك تحكّم.

فظهر أنّ اثبات عموم القدرة وتصحيحه موقوف على ثبوت المعدومات وصدق الشيئيّة عليها، وتخصيص الممتنع بأنّه ليس بشيء ولا مقدور؛ إذ الوجوب والامتناع يحيلان المقدوريّة. وما ذكرناه يظهر من كلام الامام عليه السّلام، حيث جعل متعلّق القدرة شيئاً، فلو كان الوجود يساوق الشيئية ولا يتحقّق بدونه كما هو المشهور، لزم منه تحصيل الحاصل وايجاد الموجود، فتأمّل.

قوله: ومن درك الشقاء.

الدرك بالتحريك وقد يسكن واحد الادراك وهي منازل في النار،

«ومن يعنيني أمره» بالعين المهملة والياء المثنّاة التحتانية بين نونين، يقال: عني بالشيء[١] إذا اهتمّ بشأنه.

«بالله الواحد الأحد الصمد» كما يراد من لفظة الله الجامع لجميع صفات الكمال، أعني: الصفات الثبوتية، كذلك يراد بلفظ الأحد الجامع لجميع صفات الجلال، أعني: الصفات السلبيّة، إذ الواحد الحقيقي[٢] مايكون منزّه الذات عن التركيب الذهني والخارجي والتعدّد، وما يستلزم أحدهما، كالجسمية والتحيّز والمشاركة في الحقيقة، ولوازمهما كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة.

والصمد هو المرجع والمقصود في الحوائج.

والدرك الى أسفل، والدرج الى فوق، قال الله تعالى «في الدرك الأسفل من النار»[٣] وأصل الدرك اللحاق والوصول الى الشيء، أدركته ادراكاً ودركاً، والشقيّ ضدّ السعيد والشقاء ضدّ السعادة.

قوله: بالله الواحد الأحد الصمد.

لفظة «الله» تدلّ على نفي الشريك، والأحد على نفي التركيب، وانّه واحد في المعبوديّة بالحقّ لايشاركه فيها أحد.

---

(١) عناه الشيء: خ ل.

(٢) لأنّه قد تقرّر أنّ الله جزئيّ حقيقي، لا اسم لمفهوم واجب الوجود، وإلّا لم يفد كلمة الشهادة التوحيد، وإذا كان جزئياً حقيقياً، لم يكن في ذكر الأحد بعده فائدة إذا كان بمعنى الواحد، إذ الجزئي الحقيقي واحد البتة. وأمّا إذا كان الأحد بمعنى الغير القابل للانقسام الذهني والخارجي، فالفائدة ظاهرة، وحينئذٍ لا تكون الوحدة مفهومة من قوله سبحانه ولم يكن له كفؤاً أحد، إذ الكفؤ المثل (منه رحمه الله).

(٣) سورة النساء: ١٤٥.

والكفؤهوالمثل فأول هذه السورة الكريمة دلّ على الأحديّة، وآخرها على الواحديّة .
«بربّ الفلق» الفلق هو ماينفلق عنه الشيء، أي: يشق فعل بمعنى

قوله: فأوّل هذه السورة الكريمة الى آخره.

هذه السورة دلّت على معرفة الله وتوحيده، وتنزيهه عن مشابهة الخلق بالصمديّة، وذلك لأنّ كلّ ممكن زوج تركيبيّ فله جوف، بخلافه تعالى فانّه فرد واحد أحديّ المعنى، لاينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم. فيفسّر الصمد بما لاجوف له، كما ورد في كثير من الأخبار ممّا لاقصور فيه ولا نقص.

كما ظنّه ثقة الاسلام الكليني في الأُصول، فانّه قال فيه بعد أن روى روايتين ضعيفتين دالّتين على أنّ المراد بالصمد السيّد المصمود اليه في القليل والكثير: هذا هو المعنى الصحيح في تأويل الصمد، لا ماذهب إليه المشبّهة أنّ تأويل الصمد المصمت الذي لاجوف له؛ لأنّ ذلك لايكون الّا من صفة الجسم، والله جلّ ذكره متعال عن ذلك، هو أعظم وأجلّ من أن تقع الأوهام على صفته، أو تدرك كنه عظمته. ولو كان تأويل الصمد في صفة الله المصمت، لكان مخالفاً لقوله «ليس كمثله شيء» لأنّ ذلك من صفة الأجسام المصمتة التي لاجوف لها تعالى الله عن ذلك. فأمّا ماجاء في الأخبار من ذلك، فالعالم عليه السَّلام أعلم بما قال[1].

وفيه أنّ العالم عليه السَّلام أشار بقوله «الصمد هو الذي لاجوف له» إلى ما أشرنا اليه لا إلى مافهمه منه رحمه الله، فتأمّل.

قوله: الفلق ما ينفلق عنه الشيء.

عن معاوية بن وهب، قال: كنّا عند أبي عبدالله عليه السَّلام فقرأ رجل

---

(١) اصول الكافي ١/١٢٤.

مفعول، وهو يعمّ جميع الممكنات، فإنّه جلّ شأنه فلق عنها ظلمة عدمها بنور إيجادها.

والفلق: بإسكان اللام مصدر فلقت[١] الشيء فلقاً، أي: شققته شقاً.

والغاسق: الليل الشديد الظلمة.

ووقب أي: دخل ظلامه في كلّ شيء.

«والنفاثات في العقد» أي: النفوس، أو النساء السواحر اللاتي يعقدن في الخيوط عقداً وينفثن عليها.

«قل أعوذ بربّ الفلق» فقال الرجل: وما الفلق؟ قال: صدع في النار فيه سبعون ألف دار، في كلّ دار سبعون ألف بيت، في كلّ بيت سبعون ألف أسود، في جوف كلّ أسود سبعون ألف جرّة من سمّ، لابدّ لأهل النار أن يمرّوا عليها[٢].

وفي تفسير علي بن ابراهيم: الفلق جبّ في جهنّم يتعوّذ أهل النار من شدّة حرّه، سأل الله أن يأذن له أن يتنفّس، فأذن له فأحرق جهنّم، وفي ذلك الجبّ صندوق من نار يتعوّذ أهل ذلك الجبّ من حرّ ذلك الصندوق وهو التابوت، وفيه ستّة من الأوّلين: ابن آدم الذي قتل أخاه، ونمرود، وفرعون، والسامريّ، والذي هوّد اليهود، والذي نصّر النصارى، وستّة من الآخرين: الأوّل والثاني والثالث والرابع، وصاحب الخوارج، وابن ملجم[٣].

* * *

---

(١) ومنه قوله تعالى: «إن الله فالق الحبّ والنوى» أي: شاقّ الحبّ بالنبات، والنوى بالشجر (منه).

(٢) معاني الأخبار: ٢٢٧.

(٣) تفسير القميّ ٢: ٤٤٩.

واعلم أنّا معاشر الإمامية على أنّ السحر لم يؤثّر في النبيّ صلّى الله عليه وآله، وأمرهُ في هذه السورة بالاستعاذة من سحرهنّ لايدلّ على تأثير السحر فيه

قوله: واعلم أنّا معاشر الامامية على أنّ السحر الى آخره.

السحر لغة: كلّ ما لطف مأخذه ودقّ، ومنه قوله «وانّ من البيان لسحراً» لأنّه للطافته ودقّته وحلاوته يأخذ بمجامع قلوب السامعين، ويصرفها اليه، ويعكفها عليه.

وفي الاصطلاح: كلام أو كتابة أو عقد في خيوط مع نفث عليها ونفخ، يحدث به ضرر على من عمل له في بدنه أوعقله، وله أثرحقيقيّ، وهوأمروجداني.

والظاهر من الأكثر، ومنهم الكشّاف أنّ السحر لا أثر له حقيقيّ، وانّما هو مجرّد تخييل، قال: ولكنّ الله قد يفعل عند ذلك فعلاً على سبيل الامتحان، ليتميّز به الثابت على الحقّ من الباطل، فينسبه الجهلة والعوامّ الى السحرة، وأمّا الثابتون على الحقّ، فلا يكتفون اليه ولا يعبأون به.

ثمّ أوّل الأمر بالاستعاذة من سحرهنّ الى الاستعاذة من عملهنّ والاثم المترتّب عليه ومن فتنتهنّ الناس من باطلهن وخدعتهنّ لهم بسحرهنّ، قال: ويجوز أن تكون الاستعاذة ممّا يصيب الله به من الشرّ عند سحرهنّ.

وفي كلامه هذا ما لايخفى، ومنه يظهر أنّ اسناد القول بتأثير السحر فيه صلّى الله عليه وآله الى المخالفين مطلقاً ليس بجيّد، ومجرّد ورود ذلك في طرقهم لايدلّ عليه، فقد ورد مثله في طرق الاماميّة بل أكثرمنه، وهم لايقولون بتأثيره فيه.

ففي كتاب طبّ الائمة باسناده إلى محمّد بن الفضيل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: أتى جبرئيل النبيّ صلّى الله عليه وآله وقال: يامحمّد، قال: لبيّك ياجبرئيل، قال: انّ فلاناً سحرك وجعل السحر في بئر فلان، فابعث اليه -يعني إلى البئر- أوثق الناس

صلّى الله عليـه وآله كالدعاء في «ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا» وأمّا ما نقـلوه من أنّ السحر أثّـر فيـه صلّى الله عليـه وآله، كما روَوه مـن أنّه صلّى الله

عندك وأعظمهم في عينيك وهوعديل نفسك حتّى يأتيك بالسحر.

قال: فبعث الـنبيّ صلّى الله عليه وآله عليّاً عليه السّلام، وقال: انطلق إلى بئر ازوان، فانّ فيها سحراً سحرني به لبيد بن أعصم اليهوديّ فأتني به.

قال: فـانطلقت في حاجـة رسول الله صـلّى الله عليه وآلـه فهبطت فإذا ماء البئر قد صار كأنّـه ماء الحياض من السـحر، فطلبته مستعجلاً حتّى انتهيت الى أسفل القـليب فلم أظـفـر به، قال الذين مـعي: مافيه شـيء فاصعد، فقـلت: لاوالله ماكذب ولا كذب، وما نفسي بيده مثل أنفسكم، يعني رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثـمّ طلبت طلـباً بلطف، فاسـتخرجت حُقّاً، فأتيت النبيّ صلّى الله عليه وآله، فـقال: افتحه، ففتحته وإذا في الحقّ قطعة كرب النخل في جوفه وتر عليها أحد وعشرون عقدة، وكان جبـرئيل عليه السّلام أنزل يومئذٍ المعوّذتين على النبيّ صلّى الله عليـه وآله، فقال النبـيّ صلّى الله عليه وآله: يـاعليّ اقرأه على الوتر، فجعـل إمير المؤمنين عليـه السّلام كلّما قرأ آية انحلّت عقدة حتّـى فرغ منها، وكشف الله عزّوجلّ عن نبيّه ماسحر به وعافاه.

وفيه أيضاً: ويروى أنّ جبرئـيل وميكائيل أتيا النبيّ صلّى الله عليه وآله، فجلس أحدهما عـن يمينه والآخر عـن شماله، فقـال جبرئيل لميكائيل: ماوجع الرجل؟ فقال مـيكائيل: هـو مطبوب، فقال: ومـن طبّه؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودي، ثمّ ذكر الحديث إلى آخره[1].

قوله: وأمّا مانقله مخالفونا إلى آخره.

روى الـعامّة عـن عـائشة وابـن عـبّاس أنّ لبـيد بن أعصـم اليهوديّ سحر

---

(١) طب الائمة: ١١٨ط ايران مع اختلاف يسير.

عليه وآله سُحر حتّى أنّه كان يُخيّل إليه أنّه فعل الشيء ولم يكن فعله، فهو من جملة الأكاذيب، ولو صحّ ما نقلوه لصح[١] قول الكفار «إن تتّبعون إلّا رجلاً مسحوراً». وأمّا الاعتذار بأنّهم أرادوا أنّ السحر أثّر فيه جنوناً، فهو اعتذار واهٍ إذ الأثر الذي نقلوه لايقصر عنه.

رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثمّ دفن ذلك في بئر لبني زريق، فمرض رسول الله صلّى الله عليه وآله، فبينا هو قائم إذ أتاه ملكان، فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فأخبراه بذلك وانّه في بئر زروان في جفّ طلعة تحت راعوفة. والجف قشر الطلع، والراعوفة حجر في أسفل البئر تكون ثابتة هناك.

فانتبه رسول الله صلّى الله عليه وآله وبعث عليّاً عليه السّلام والزبير وعمّار اقترحوا ماء تلك البئر، ثمّ رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف، فاذا فيه مشاطة رأس وأسنان من مشط، وإذا معقد فيه احدى عشرةعقدة مغروزة بالابر، فنزلت هاتان السورتان، فجعل كلّما يقرأ آية انحلّت عقدة ووجد رسول الله صلّى الله عليه وآله خفّة، فكأنّما نشط من عقال، وجعل جبرئيل عليه السّلام يقول: بسم الله أُرقيك من كلّ شيء يؤذيك من حاسد وعين والله يشفيك[٢].

قوله: فهو من جملة الأكاذيب.

فان قلت: كيف يكون من الأكاذيب وقد ورد مثله في طرقنا أيضاً عن الصادق عليه السّلام أنّه قال: انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله سحره لبيد بن أعصم اليهوديّ، فقال أبوبصير: وما كاد وعسى أن يبلغ من سحره؟ قال عليه السّلام: بلى كان النبيّ صلّى الله عليه وآله يرى أنّه يجامع وليس يجامع،

---

(١) لصدق: خ.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٦: ٤١٧ - ٤١٨.

والخنّاس الذي يخنس، أي: يتأخر إذا ذكر الإنسان ربّه تعالى، وسنذكر تفسير الفاتحة في خاتمة هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وكان يريد الباب ولا يبصره حتّى يلمسه بيده. والسحر حقّ، وما سلّط السحر الاّ على العين والفرج الحديث(١).

قلت: نعم قد ورد أمثاله في طرقنا، ولكن أصحابنا قالوا: هذا ممّا لايجوز، لما ذكره الشيخ ـقدّس سرّهـ، ولكن يجوز أن يكون اليهودي أو بناته على ماروي اجتهدوا على ذلك فلم يقدروا عليه، وأطلع الله نبيّه صلّى الله عليه وآله على مافعلوه من التمويه، وكان ذلك دلالة على صدقه صلّى الله عليه وآله، وكيف يجوز أن يكون المرض من فعلهم؟ ولو قدروا على ذلك لقتلوه وقتلوا كثيراً من المؤمنين لشدّة عداوتهم.

قوله: والخنّاس الذي يخنس الى آخره.

في اصول الكافي في صحيحة أبان بن تغلب عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: مامن مؤمن الاّ ولقلبه أذنان في جوفه: أُذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس، وأُذن ينفث فيها الملك، فيؤيّد الله المؤمن بالملك، فذلك قوله «وأيّدهم بروح منه»(٢).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: انّ الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فاذا ذكر الله خنس، واذا نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخنّاس .

---

(١) البحار ٩٥: ١٢٦ - ١٢٧.

(٢) اصول الكافي ٢: ٢٦٧، ح٣، والآية في سورة المجادلة: ٢٢.

(٣) الدر المنثور ٦: ٤٢٠.

«لا تأخذه سنة ولا نوم» السنة: فتور يتقدّم النوم، وتقديمها عليه مع أنّ القياس في النفي الترقّي من الأعلى إلى الأسفل بعكس الإثبات، لتقدّمها عليه

وفي مجمع البيان: وقوله «من شرّ الوسواس» معناه من شرّ ذي الوسواس، كما جاء في الحديث انّه يوسوس فاذا ذكر العبد ربّه خنس[1].

قوله: السنة فتور يتقدّم النوم.

السنة كالعدة مثال واويٍّ، وهي مايتقدّم النوم من الفتور الذي يقال له النعاس أيضاً. والنوم حال يعرض للحيوان عند استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة، بحيث يقف الحواسّ الظاهرة عن الاحساس رأساً.

فان قلت: ذكر النوم كان مغنياً عن ذكر السنة للزومها له وتقدّمها عليه طبعاً.

قلت: ليس كذلك، لأنّه يمكن تحقّق النوم بدون السنة، فتقدّمها عليه غير لازم. ولو سلّم اللزوم فيمكن أن يكون ذكرها للتصريح بالاستقصاء والاحاطة، ثمّ القول بفوات المبالغة التي تناسب المقام، لايليق بكلام الملك العلّام.

فالحقّ أن يقال: انّ في تقديمها عليه مبالغة لطيفة مع رعاية ترتيب الوجود، لأنّ مفهوم قوله «لا تأخذه سنة ولا نوم» أنّه لايغلبه السنة التي هي سبب غفلة الشخص في الجملة، ولا النوم الذي هو سبب الغفلة بالكليّة. وحاصله أنّه لايمنعه مانع جزئي ولا مانع كليّ عن حسن قيامه بحفظ المخلوقات.

---

(١) مجمع البيان ٥: ٥٧١.

طبعاً[١]؛ أو المراد نفي هذه الحالة المركّبة التي تعتري الحيوان.

«ولا يؤدُه حفظهما» أي: لايثقله ولا يتعبه.

والطاغوت: الشيطان، أو مايعبد من دون الله، أو مايصدُّ ويمنع عن عبادته جلَّ شأنه.

«لا انفصام لها» أي: لا انقطاع لها.

«ثم استوى على العرش» استوى أي: استولى.

«يغشي الليل النهار» أي: يغطيه به.

ولا يخفى أنّ هذا الأداء مشتمل على المبالغة، وهذه الجملة تأكيد للقيّوم، فانّ من كان دائم القيام بحفظ شيء، لزمه عدم عروض السنة والنوم له أصلاً، والّا لاختلّ لزوم الحفظ وذكر لازم الشيء بعده تأكيد له، ولمّا كانت هذه الجملة تأكيداً لما اشتملت عليه الاولى ترك العاطف بينهما.

قوله في الحاشية: بل الكلّ كلمة واحدة الى آخره.

يمكن أن يقال: انّ كلمة «لا» على الوجه الثاني مزيدة لتأكيد النفي، وعلى تقدير عدم زيادتها أيضاً لا تدلّ على التعدّد ولا ينافي الوحدة، كما في قولك الرمان ليس حلواً ولا حامضاً، فتأمّل.

قوله تعالى: ولا يؤده حفظهما.

فيه اشارة إلى احتياج الباقي في بقائه إلى المؤثّر.

---

(١) الوجه الثاني ذكره بعضهم ومبناه على أن يراد من مجموع النوم والسنة الحالة الواحدة الممتدّة التي مبدؤها أول استرخاء أعصاب الدماغ، فلا تقديم لكلمة على أُخرى بل الكل كلمة واحدة من قبيل: الرمان حلوٌ حامض، أي: مزّ لكن لايخفى أن توسط كلمة لا ممّا لايساعد عليه (منه). والفرق بين هذين الوجهين بأدنى اعتبار فتدبَّر (منه).

«يطلبه حثيثاً» فعيل من الحثّ أي: يتعقّبه سريعاً كأنّ أحدهما يطلب الآخر بسرعة.

«والشمس والقمر والنجوم» منصوبة بالعطف على السماوات، ومسخرات حال منها في قراءة النصب، وهي مرفوعة بالابتداء، ومسخرات خبرها في قراءة الرفع.

«تضرّعاً وخفية» أي: حال كونكم متضرّعين ومخفين، فإنّ دعاء السرّ أفضل.

«إنّه لا يحبّ المعتدين» فسّر بالطالبين ما لا يليق بهم كرتبة الأنبياء وبالصياح بالدعاء.

«وادعوه خوفاً وطمعاً» أي: حال كونكم خائفين من الرد لقصور

قوله: فانّ دعاء السرّ أفضل.

كما يدلّ عليه ما رواه اسماعيل بن همام عن أبي الحسن الرضا عليه السَّلام قال: دعوة العبد سرّاً دعوة واحدة تعدّ سبعين دعوة علانية[١].

وفي رواية أُخرى: دعوة تخفيها أفضل عند الله من سبعين دعوة تظهرها[٢].

قوله: أي حال كونكم خائفين الى آخره.

من شرائط اجابة الدعاء أن لا يسأل الداعي محرّماً، ولا ما تتضمّن قلّة الحياء واساءة الأدب.

قال سيّدنا أمير المؤمنين سلام الله عليه: يا صاحب الدعاء لا تسأل ما لا يكون ولا يحلّ[٣].

وقال عليه السَّلام: من سأل فوق قدره استحقّ الحرمان[٤].

---

(١) و (٢) اصول الكافي ٢: ٤٧٦.

(٣) بحار الأنوار ٩٣: ٣٢٤، ح ١.

(٤) بحار الأنوار ٩٣: ٣٢٧، ح ١١.

أعمالكم، وطامعين في الإجابة لسعة رحمته ووفور كرامته.

«مداداً لكلمات ربي» أي: مداداً تكتب به كلمات علمه وحكمته عزّ شأنه.

«لنفد البحر» أي: انتهى ولم يبق منه شيء.

«ولو جئنا بمثله» الضمير للبحر (مداداً) أي: زيادةومعونة له.

«فمن كان يرجو لقاء ربّه» أي: حسن الرجوع إليه يوم القيامة.

«والصافات صفّاً» قد تفسّر الصافات والزاجرات والتاليات بطوائف[1]

قوله تعالى: فمن كان يرجو لقاء ربّه.

أي: لقاء رحمة ربّه وفضله واحسانه، على حذف المضاف.

قوله: بطوائف الملائكة الصافّين.

الاولى الصافات والزاجرات والتاليات كما في الآية؛ لأنّها: إمّا أوصاف للطوائف أو أوصاف للنفوس، وعلى التقديرين وجبت تأنيثها للمطابقة.

ولذلك قال الكشّاف: أقسم الله تعالى بطوائف الملائكة، أو بنفوسهم الصافّات أقدامها في الصلاة، فالزاجرات السحاب، فالتاليات كلام الله، أو بنفوس العلماء العمّال الصافّات أقدامها في التهجّد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات، فالزاجرات بالوعظ والنصائح، فالتاليات آيات الله، والدارسات شرائعه. أو بنفوس قوّاد الغزاة في سبيل الله التي تصفّ الصفوف، وتزجر الخيل للجهاد، وتتلو الذكر، مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل، كما يحكى عن

---

(١) إنما أورد الطوائف ليستقيم الجمع بالألف والتاء، كما فعله صاحب الكشّاف، وقد غفل البيضاوي عن ذلك، فأسقط لفظ الطوائف (منه رحمه الله).

الملائكة الصافّين في مقام العبوديّة على حسب مراتبهم، الزاجرين للأجرام العلوية والسفلية إلى مايراد منها بالأمر الإلهي، التالين آيات الله تعالى على أنبيائه.

وقد تفسّر بنفوس العلماء الصافين في العبادات، الزاجرين عن الكفر والفسق بالبراهين والنصائح، التالين آيات الله وشرائعه.

وقد تفسّر بنفوس المجاهدين الصافّين حال القتال، الزاجرين الخيل والعدو، والتالين ذكر الله لا يشغلهم عنه ماهم فيه من المحاربة.

«ورب المشارق»[١] أي: مشارق الشمس، أو مشارق الكواكب.

عليّ رضي الله عنه[٢].

والشيخ ـ قدّس سرّه ـ لـمّا غفل عن ذلك ذكرها وجعلها أو صافاً للملائكة والعلماء والمجاهدين، وهو كما ترى.

قوله في الحاشية: وقد غفل البيضاويّ عن ذلك.

لعلّ البيضاوي اكتفى في استقامة هذا الجمع بالتأنيث اللفظي الحاصل بالتاء في لفظة الملائكة، فتأمّل تعرف.

قوله: أي مشارق الشمس.

فانّ لها ثلاثمائة وستّين مشرقاً تشرق كلّ يوم في واحد منها، وتغرب في ما

---

(١) وهي ثلاثمائة وستّون تشرق كلّ يوم من أيام السنة في واحدة، وقد يظن أنها مائة وثمانون، إذ المدارات التي تشرق الشمس كلّ يوم من أحدها لا تزيد على ذلك. لأنّ مداراتها في نصف منطقة البروج الذي منتصفه أوّل الحمل مثلاً هي بعينها مداراتها التي منتصفها أول الميزان. وفيه أنّ هذا الظن إنّما يصحّ إذا وافقت أوقات انتقالها إلى مدارات أحد النصفين أوقات انتقالها إلى مدارات النصف الآخر بأن يكون كلّ منها كان وقت انتقالها إلى المدار إلى الحمل مثلاً وقت إشراقها أيضاً. وليس الأمر كذلك، كما لا يخفى على من له أُنس بفن الهيئة (منه رحمه الله).

(٢) الكشّاف ٣: ٣٣٤.

«إنّا زيّنا السماء الدنيا» أي: التي هي أقرب إليكم من دَنی يدنو «بزينة

يقابله من المغرب، مثلاً لها من أوّل السرطان إلى أوّل الجدي في كلّ يوم مطلع، وهي مائة واثنان وثمانون، ثمّ تعود على مطالعها كذلك، وكذلك حال المغرب.

ومنه يعلم وجه قوله «ربّ المشرقين وربّ المغربين»(١) فانّه أراد مشرقيها ومغربيها، باعتبار البدو والعود. وقيل: أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيها.

هذا فيما فيه طلوع وغروب، وذلك من خطّ الاستواء إلى قريب من عرض تسعين، وأمّا فيه فلا شرق ولا غرب، فانّ الدور هناك رحويّ، والشمس فيه في نصف السنة فوق الافق، وفي نصفها الآخر تحته.

روى ابن بابويه ـ رحمة الله عليه ـ أنّ أبا عبدالله عليه السَّلام سئل عن السنة كم يوماً هي؟ قال: ثلا ثمائة وستّون يوماً، منها ستّة أيّام خلق الله عزّوجلّ فيها الدنيا، فطرحت من أصل السنة، فصارت السنة ثلا ثمائة وأربعة وخمسين يوماً(٢).

قوله: أي التي أقرب اليكم.

فيما إذا لم تكن أبديّة الخفاء، أو أبديّة الظهور، تأمّل فيه.

قوله تعالى: بزينةٍ الكواكب.

الزينة مايتزيّن به، والكواكب بالنسبة إلى السماء كذلك، لأنّها تزيّنت بها، فالاضافة بيانيّة والباء آليّة على القراءتين، فتأمّل.

---

(١) سورة الرحمن: ١٧.

(٢) الخصال: ٦٠٢.

الكواكب» الإضافة بيانيّة، وعلى قراءة تنوين الزينة، فالكواكب بدل منها، وما اشتهر من أن الثوابت بأسرها مركوزة في الفلك الثامن وكلّ واحد من السبعة الباقية منفرد بواحدة من السيارات السبع لاغير، فلم يقم برهان[١] على ثبوته، واشتمال فلك القمر على كواكب[٢] واقعة[٣] في غير ممرّ السيارات وممّر

قوله في الحاشية: لأنّه لم يقم برهان على وجود الفلك الثامن والتاسع.

بل وجودهما فضل، ونحن لانثبت في الفلكيّات فضلاً لانحتاج إليه.

بيانه: انّهم لما وجدوا تسع حركات متخالفة، أثبتوا لكلّ منها فلكاً، وذلك ممّا لاحاجة إليه، لأنّه يمكن أن يسند حركة الفلك التاسع الى مجموع الثمانية من حيث هو مجموع، بأن تتعلّق به نفس واحدة تحرّكه بهذه الحركة، فحينئذٍ لاحاجة الى التاسع، بل إلى الثامن أيضاً، لامكان أن يتعلّق بمجموع السبعة نفس تحرّكه بتلك الحركة، وتكون الثوابت مركوزة في السابع متحرّكة بحركته الخاصّة.

قوله في الحاشية: لكسفت بأحد الصنفين.

الصواب ترك الباء في قوله «لكسفت بأحد الصنفين» لأنّ تلك الكواكب لو كانت واقعة في أحد الممرّين، لكانت كاسفة لأحد الصنفين لامنكسفة به، ضرورة أنّ فلك المنكسف فوق فلك الكاسف، كما صرّح به في

---

(١) كما لم يقم برهان على وجود الفلك الثامن والتاسع (منه).

(٢) إنما قيّدنا الكواكب بقولنا واقعة في غير ممرّ السيارات وممرّ الثوابت، لأنّها لو كانت واقعة في أحد الممرّين لكسفت بأحد الصنفين والارصاد شاهدة بخلافه، وإنما قيّدنا الثوابت بالمرصودة لاحتمال كسفها غير المرصودة، كما لايخفى (منه).

(٣) إنما قيّد بالوقوع في غير الممرّين، لأنّها لو كانت واقعة في ممرّ السيارات أو الثوابت لانكسف بعضها بها في بعض الأوقات، ولا يقع ذلك أصلاً في شيء من الزمان (منه رحمه الله).

الثوابت المرصودة، لم يثبت دليل على امتناعه، ولو ثبت لم يقدح في تزيين فلك القمر بتلك الأجرام المشرقية لرؤيتها فيه وإن كانت مركوزة فيما فوقه.

«وحفظاً من كل شيطان مارد» نصب حفظاً على المصدرية، أي: حفظناها حفظاً؛ إذ لم يسبق مايصلح لعطفه عليه، وقد يجعل عطفاً على علّة يدلّ عليها الكلام السابق، أي: إنّا جعلنا الكواكب زينة وحفظاً. والمارد: الخارج عن الطاعة.

«لا يسمّعون[1] إلى الملأ الأعلى» جملة مستأنفة لبيان حالهم بعد الحفظ، لا

آخر كلامه «لاحتمال كسفها غير المرصودة» والظاهر أنّها زيادة من قلم الناسخ.

قوله: لم يقدح في تزيين فلك القمر.

فائدة تزيين فلك القمر وظهورها للناظرين انّما يتصوّر بعد كونه مرئيّاً، وهذا غير مستقيم على قاعدة أهل الرصد القائلين ببساطته وعدم لونه وضوئه.

قوله: لرؤيتها فيه.

لا يخفى أنّها لاترى فيه، وانّما يرى في الطبقة الزمهريريّة التي تسمّى كرة البخار، وكرة الليل والنهار. والزرقة التي يظنّ أنّها لون السماء انّما يتخيّل فيها، وعليه ينزّل قول الشاعر:

وكأنّ أجرام النجوم لوامعا   درر نثرن على بساط أزرق

فيمكن أن يقال: انّ المراد بالسماء الدنيا هو هذه الطبقة، وانّما سمّيت بالسماء لأنّ ماعلاك سماك.

قوله تعالى: لايسمّعون إلى الملأ الاعلى.

الملأ: الجماعة من الناس الذين يملأون العين والقلب هيبة. وقيل: هم

---

(١) قرأ بالتشديد حمزة والكسائي وحفص، وقرأ الباقون بالتخفيف (منه رحمه الله).

صفة للشياطين المفهومة من كلّ شيطان، إذْ لاحفظ ممن لا يسمع[١]. والملأ الأعلى الملائكة الساكنون الأعلى، كما أنّ الملأ الأسفل الإنس والجنّ الساكنون في الأَرض، وتعدية السماع أو التسمع على قراءتي التخفيف والتشديد بإلى لتضمين معنى الإصغاء مبالغة في نفيه.

«ويقذفون من كلّ جانب دحوراً» أي: يرمون من كلّ جانب من جوانب السماء يقصدونه لاستراق السمع، ودحوراً أي: طرداً مفعولاً لأجله، أي: يقذفون للطرد، أو مفعول مطلق لقربه من معنى القذف.

«ولهم عذاب واصب» في الآخرة، والواصب: الدائم الشديد.

«إلّا من خطف الخطفة» استثناء من فاعل يسمعون، أي: اختلس خلسة من كلام الملائكة.

«فأتبعه شهاب ثاقب» أي: تبعه شهاب مضيء. كأنّه يثقب الجوّ بضوئه. والشهاب مايرى كأنّ كوكباً انقض[٢]. وما خمّنه الطبيعيّون من أنّه بخار فيه دهنيّة يصعد إلى كرة النار فيشتعل لم يثبت، ولو صحّ لم يناف مادلّت عليه الآية الكريمة، ولا مادلّ عليه قوله جلَّ شأنه «إنا زيّنا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين»[٣] فإنّ الشهاب والمصباح يطلقان على المشتعل،

أشراف الناس ورؤساهم الذين يرجع إلى قولهم. وقيل: انّما قيل لهم ذلك لأنّهم ملأ بالرأي والغنىٰ.

---

(١) لما فيه من الإشارة إلى أنّهم من كمال بأسهم من استماع كلام الملأ الأعلى لايصغون إليه بآذانهم (منه رحمه الله).

(٢) ويجوز أن يكون المنقض بعض الكواكب الصغيرة التي لا ترى لبعدها، أو التي ترى ويخلق سبحانه عوضها في الحال، فلذلك ترى على حالها من غير انتقاص، والله أعلم بحقيقة الحال (منه رحمه الله).

(٣) سورة الملك: ٥.

وكلّ مشتعل في الجوّ زينة للسماء، ولا استبعاد في إصعاد الله سبحانه ذلك البخار الدهني عند استراق الشيطان السمع، فيشتعل ناراً فتحرقه، وليس خلق الشيطان من محض النار الصرفة، كما أنَّ خلق الإنسان ليس من محض التراب، فاحتراقه[١] بالنار التي أقوى من ناريّته ممكن، ولعلّ الشياطين

قوله: وكلّ مشتعل في الجوّ زينة للسماء.

ان أراد بها الزرقة التي يظنّ أنّها لون السماء، فمسلّم أنّ كلّ مشتعل في الجوّ زينة لها، إن كان له بقاء ومكث، لكنّ الشهاب مايطول ويذهب ولا يمكث.

وإن أراد بها فلك القمر، فكون كلّ مشتعل في الجوّ زينة له غير مسلّم، كيف وهو لايرى لعدم ضوئه ولونه على ماخمّنه الطبيعيّون، وهو بصدد تطبيق ذلك على قواعدهم.

قوله: وليس خلق الشيطان الى آخره.

الشيطان عند المتكلّمين جسم شفّاف، يتشكّل بأيّ شكل شاء، ويقدر على الولوج في بواطن الحيوان، وينفذ في منافذه الضيّقة نفوذ الهواء المستنشق، فلو كان خلقه من محض النار الصرفة لأحرق بواطن الحيوان ومنافذه، والواقع خلافه، فقوله «خلقتني من نار»[٢] كقوله «خلقته من طين»[٣] والتسمية بغالب الأجزاء.

---

(١) هذا جواب عمّا يقال انّ الشيطان مخلوق من النار، فكيف تحرقه النار. وقوله «ولعل الشياطين لايسمعون» إلى آخره جواب عمّا يقال انّ كرة النار في طريقهم، فكيف يتجاوزونها ولا يحرقون؟ وتقرير الجواب: أنّ وجود كرة النار لم يقم عليه دليل يعوّل عليه، ولو سلّمنا فيجوز أن تسمع الشياطين كلام الملائكة بصعودهم إلى قرب كرة النار، ولا يتوقّف سماعهم على الارتقاء في الصعود عن ذلك القدر (منه رحمه الله).

(٢) و (٣) سورة الاعراف: ١٢.

لايسمعون كلام الملائكة إلّا إذا انتهوا في الصعود إلى قرب كرة الأثير[١] فإذا استرق الشيطان السمع وبادر الى النزول لحقه الشهاب فأحرقه، فلذلك عبّر سبحانه عن انتهاء الشهاب إليه باتباعه له.

قوله في الحاشية: جواب عما يقال ان كرة النار الى آخره.

هذا الجواب لايلائم ماورد في أخبار كثيرة أنّ الشياطين كانوا يرتقون في صعودهم الى السماء، وكانت لهم مقاعد في السماء الثالثة، وكانوا يسترقون فيها الكلمات، ثمّ يلقونها إلى الكواهن، فلمّا ولد سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله حجبوا منها ورموا بالشهب.

في كتاب الاحتجاج حديث طويل عن مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليه يذكر فيه مناقب رسول الله صلّى الله عليه وآله،وفيه: ولقد رؤي الملائكة ليلة ولد تصعد وتنزل وتسبّح وتقدّس وتضطرب النجوم وتتساقط علامة لميلاده، ولقد همّ ابليس بالظعن في السماء لما رأى من الأعاجيب في تلك الليلة، وكان له مقعد في السماء الثالثة، والشياطين يسترقون السمع، فلمّا رأوا العجائب أرادوا أن يسترقوا فإذا هم قد حجبوا من السماوات كلّها، ورموا بالشهب جلالة لنبوّته صلّى الله عليه وآله[٢].

وعن أبي عبدالله عليه السَّلام حديث طويل، وفيه: وأمّا أخبار السماء، فانّ الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السمع، إذ ذاك وهي لاتحجب ولا ترجم

---

(١) وأمّا ما في سورة الجنّ من قوله تعالى حكاية عنهم: «إنّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً» فليس نصّاً في أنّهم كانوا يتجاوزون كرة الأثير، فإنّ المراد بلمس السماء تجسس أخبارها أيضاً، فالسماء قد تطلق على جهة العلوّ، كما قال سبحانه: «وأنزلنا من السماء ماء طهوراً» (منه رحمه الله).

(٢) الاحتجاج ٣٣٢/١.

....

بالنجوم، وانّما منعت من استرقاق السمع لئلا يقع في الأرض سبب تشاكل الوحي من خبر السماء، ويلبس على أهل الأرض ماجاءهم عن الله لإثبات الحجّة ونفي الشبهة، وكان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء ويلبس على أهل الأرض ما جاءهم عن الله من خبر السماء بما يحدث من الله في خلقه، فيتخطّفها ثمّ يهبط بها إلى الأرض، فيقذفها إلى الكاهن، فاذا قد زاد كلمات من عنده فيختلط الحقّ بالباطل.

فما أصاب الكاهن من خبر ممّا كان يخبر به، فهو ممّا أدّاه إليه شيطانه ممّا سمعه، وما أخطأ فيه فهو من باطل مازاد فيه، فمذ منعت الشياطين عن استراق السمع انقطعت الكهانة.

فقال: كيف صعدت الشياطين إلى السماء وهم أمثال الناس في الخلقة والكثافة، وقد كانوا يبنون لسليمان بن داود عليهماالسَّلام من البناء مايعجز عنه ولد آدم.

قال: غلظوا لسليمان لما سخّروا وهم خلق رقيق غذاهم التنسّم، والدليل على ذلك صعودهم إلى السماء لاستراق السمع ولا يقدر الجسم الكثيف على الارتقاء اليها الّا بسلّم أو بسبب[1].

قوله في الحاشية: ولو سلّمنا فيجوز أن تسمع الشياطين الى آخره.

سماع الصوت هو كيفيّة تحدث في الهواء بتموّجه المعلول للقرع، والقرع انّما يحصل بقرع الهواء المتموّج تجويف الصماخ، فحيث لاهواء كما في الفلك وكرة الأثير، فلا تموّج فلا صوت فلا مسموع فلا سماع، فكيف يجوز أن يسمع الشياطين كلام الملائكة، لصعودهم الى قرب كرة النار ولا هواء بينهما حتّى

---

(١) نور الثقلين ٤٣٧/٥، ح٥. الاحتجاج ٨١/٢.

«إن استطعتم أن تنفذوا» أي: تخرجوا «من أقطار السَّموات والأَرض» هاربين من الله سبحانه «فانفذوا لا تنفذون إلّا بسلطان» جملة برأسها، أي: لا تقدرون على النفوذ منها إلّا بقوّة تامّة ومن أين لكم ذلك. وسلطان مصدر كغفران ومعناه التسلط، ومنه قوله تعالى: «ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً»[١] أي: تسلّطاً على القصاص، أو أخذ الدية.

«يرسل عليكما شواظ» لهب «من نار ونحاس» دخان أصفر مذاب يُصبّ على رؤوسهم، ورفعه بالعطف على شواظ وعلى قراءة الجر عطف على نار «فلا

تحدث فيه أصواتهم وتصل به اليهم، مع أنّ البعد المفرط أيضاً مانع منه.

فبعد تسليمه وجود كرة النار لايتمّ جوابه هذا، فانّ من قال بوجودها لايقول بوجود الهواء فيها ولا فيما فوقها، فاذا انتفى الهواء انتفى السماع والمسموع.

اللهمّ الّا أن يمنع توقّف حدوث الصوت وسماعه على وجود الهواء أو تموّجه، ومعه فشبهة البعد المفرط المانع من السماع باقٍ بحاله، والظاهر أنّه غير قابل للمنع، والّا فلا وجه لصعودهم الى قرب كرة الأثير، على أنّ الطبقة الدخانيّة من الهواء المجاورة للنار لشدّة حرارتها تحرق ماتصل إليها من الأجسام القابلة للاحتراق، فكيف يمكنهم الصعود إلى قرب كرة الأثير، غاية ما يمكنهم أن يصلوا في صعودهم إليه هو طبقة الهواء الغالب القريب من الخلوص.

فالصواب في الجواب أن يمنع وجود كرة الأثير، وتوقّف حدوث الصوت وسماعه على وجود الهواء وتموّجه. ويقال: انّ الشياطين لايسمعون كلام الملائكة الّا إذا انتهوا في صعودهم إلى قرب السماء، فاذا استرق الشيطان إلى آخره.

---

(١) سورة الاسراء: ٣٣.

تنتصران» أي: لا تمتنعان من ذلك.

«خاشعاً متصدّعاً من خشية الله» التصدع: التشقّق، والغرض توبيخ القارىء على عدم تخشّعه عند قراءة القرآن بقساوة قلبه وقلّة تدبّر معانيه.

«عالم الغيب والشهادة» أي: ما غاب عن الحسّ وما حضر، أو السرّ والعلانية.

القدّوس: البالغ في النزاهة عمّا يوجب النقص.

السلام: مصدر وصف به للمبالغة، والمراد السالم من النقائص بأسرها، وسمّيت الجنّة دارالسلام، لأنّ سكّانها سالمون من كلّ آفة، أو لأنّها داره جلّ شأنه.

المؤمن: واهب الأمن، وعن الصادق عليه السَّلام سمّي سبحانه مؤمناً لأنّه يؤمن عذابه من أطاعه[١].

المهيمن: الرقيب الحافظ لكلّ شيء.

قوله تعالى: عالم الغيب والشهادة.

الغيب: ما لايدركه الحسّ ولا يقتضيه العقل لعدم الدليل عليه، كوقت قيام الساعة، وخواصّ الاعداد، كعدد الزمانيّة في قوله «تسعة عشر»[٢] وأمثالها، وأمّا من علم من ذلك فانّما علمه بعد اعلام الله وإلهامه.

قوله: المؤمن واهب الأمن.

ومنه قوله:

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكّة بين الغيل والسلم

---

(١) عدة الداعي: ٣٠٤.

(٢) سورة المدثر: ٣٠.

العزيز: الذي لا يعدله شيء ولا يماثله شيء، أو الغالب الذي لا يغلب، ومنه قوله تعالى: «وعزّني في الخطاب»[٣] أي: غلبني.

الجبّار: الذي يجبر الخلق ويقهرهم على بعض الأُمور التي ليس لهم فيها اختيار ولا على تغييرها قدرة، أو يجبر حالهم ويصلحه.

المتكبّر:ذو الكبرياء عن الحاجة والنقص.

«الخالق البارىء المصوّر» قد يظنّ أن الثلاثة مترادفة، لأنّها بمعنى الإيجاد والإنشاء، فذكرها للتأكيد، وليس كذلك بل هي أُمور متخالفة. ألا ترى أنّ

قوله تعالى: الخالق البارئ المصوّر.

اسناد التصوير إليه سبحانه على الاطلاق يدلّ على بطلان القول بوجود قوّة مصوّرة في الانسان والحيوان يصدر عنها التصوير، كما ذهبت إليه الفلاسفة بناءً على أُصولهم.

وكيف يصحّ القول باسناده اليها؟ وهي قوّة عديمة الشعور، وتلك الأفعال في غاية الاتقان والاحكام، وقد روعي فيها من الحكم والمصالح ماتحيّرت فيه الأوهام، وقصرت عن ادراكها العقول والأفهام، فكلّ من له عقل سليم وطبع مستقيم يحكم بأنّ أمثال هذه الصور العجيبة والأشكال الغريبة والنقوش المؤتلفة والألوان المختلفة ممّا لايمكن أن يصدر إلّا عن حكيم عليم خبير قدير.

وقد بالغ في ذلك الغزالي حتّى نفى مطلق القوى، وادعى أنّ الأفعال المنسوبة اليها صادرة عن ملائكة موكّلة بهذه الأفعال يفعلها بالشعور والاختيار.

قوله: ألا ترى أنّ البنيان الى آخره.

كلّ ما يخرج من العدم الى الوجود مفتقر الى تقديره أوّلاً، والى ايجاده على

---

(١) سورة ص: ٢٣.

البنيان يحتاج إلى تقدير في الطول والعرض، وإلى إيجاد بوضع الأحجار والأخشاب على نهج خاصّ، وإلى تزيين ونقش وتصوير، فهذه أُمور ثلاثة مرتّبة تصدر عنه جلّ شأنه في إيجاد الخلائق من كتم العدم، فله سبحانه باعتبار كلّ منها اسم على ذلك الترتيب.

«يسبّح له ما في السماوات وما في الأَرض» هذا التسبيح: إما بلسان الحال، فإنّ كلّ ذرّة من الموجودات تنادي بلسان حالها على وجود صانع حكيم واجب الوجود لذاته، وإمّا بلسان المقال، وهو في ذوي العقول ظاهر، وأما غيرهم من الحيوانات، فذهب فرقة عظيمة إلى أنّ كلّ طائفة منها تسبّح ربّها

وفق التقدير ثانياً، والى تصويره بعد الايجاد ثالثاً، وهذا كالبناء المحتاج الى تقدير ما لابدّ منه في وجوده من الخشب واللبن ومساحة الأرض، وعدد الأبنية وطولها وعرضها، وهذا يتولّاه المهندس، ثمّ يحتاج إلى بنّاء يتولّى الأعمال التي عندها تحدث أُصول الأبنية، ثمّ إلى مزيّن ينقش ظاهره ويزيّن صورته. هذا في غير أفعاله تعالى، وأمّا فيها فانّ ذاته بذاته هو الخالق والبارئ والمصوّر من حيث ترتيبه صور المصنوعات أحسن الترتيب المشاهد.

قوله تعالى: يسبّح له ما في السماوات وما في الأَرض.

أي: يسبّح له جميع الموجودات، حاليّاً كان التسبيح أم مقاليّاً، فهو من قبيل التعبير عن الشيء بأكثر أجزائه، وفيه ردّ لما توهّمه الدهريّة وطائفة من الفلاسفة أنّ المؤثّر فيما عدا السماوات من الموجودات هو السماوات والأوضاع الفلكيّة، لأنّه لو كان كذلك لكان التسبيح لها أولى من التسبيح له.

قوله: تسبّح ربّها بلغاتها وأصواتها.

ويؤيّد هذا المذهب كثير من الأخبار الواردة في طريقي العامّة والخاصّة.

....

قال الثعلبي والبغوي وغيرهما في تفسير سورة النمل عند قوله تعالى «ياأيها الناس علّمنا منطق الطير»[1] سمّي صوت الطير منطقاً لحصول الفهم منه، كما يفهم من كلام الناس، فقالوا: قال كعب الأحبار: مرّ سليمان عليه السَّلام ببلبل فوق شجرة يحرّك ذنبه ورأسه، فقال لأصحابه: أتدرون مايقول هذا البلبل؟ قالوا: لا يارسول الله، قال عليه السَّلام: يقول أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء.

ومرّ عليه السَّلام بهدهد، فأخبر أنّه يقول: إذا نزل القضاء عمي البصر.

ومن رواية كعب أنّه يقول: من لايرحم لايرحم. والفاختة تقول: ياليت هذا الخلق ماخلقوا، وليتهم إذا خلقوا علموا لما خلقوا وعملوا بما علموا. والورشان يقول: لدّوا للموت وابنوا للخراب. والطاووس يقول: كما تدين تدان. والصرد يقول: استغفروا الله يامذنبين. وطيطوى يقول: كلّ حيّ ميّت، وكلّ حديد بال. والسرطان يقول: سبحان ربّي المذكور بكلّ لسان. والدرّاج يقول: الرحمن على العرش استوى.

وإذا صاحت العقاب قالت: البعد من الناس راحة. وفي رواية: البعد من الناس أنس. وإذا صاح الخطّاف قرأ الفاتحة الى آخرها، ويمدّ صوته بقوله «ولا الضالّين» كما يمدّ القارئ. والبازي يقول: سبحان ربّي وبحمده. والقمري يقول: سبحان ربّي الأعلى، وقيل: انه يقول ياكريم. والغراب يلعن العشاء ويدعو عليه. والحداة يقول: كلّ شيء هالك الاّ الله.

والقطاة يقول: من سكت سلم. والببغاء يقول: ويل لمن كانت الدنيا همّه. والزرزور يقول: اللهمّ انّي أسألك رزق يوم بيوم يارزّاق. والقبّرة يقول:

---

(١) سورة النمل: ١٦..

بلغتها وأصواتها كبني آدم، وحملوا عليه قوله تعالى: «وما من دابّة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلّا أُمم أمثالكم»(١) وأما غير الحيوانات من الجمادات، فذهب جمّ غفير إلى أنّ لها تسبيحاً لسانياً أيضاً، واعتضدوا بقوله سبحانه: «وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده»(٢) وقالوا: لو أُريد به التسبيح بلسان الحال لاحتاج قوله جلّ شأنه «ولكن لا تفقهون تسبيحهم» إلى تأويل. وذكروا أنّ الإعجاز في تسبيح الحصى في كفّ النبيّ صلّى الله عليه وآله ليس من حيث نفس التسبيح، بل من حيث إسماعه للصحابة، وإلّا فهي في التسبيح دائماً.

«أن تخرجني من الدنيا آمناً» أي: سالماً من الذنوب التي بيني وبينك، بأن توفّقني للتوبة منها قبل الموت، ومن التي بيني وبين خلقك بأن توفّقني للتخلّص منها.

«وتدخلني الجنّة سالماً» أي: من العقاب قبل دخولها بأن تعفو عن ذنوبي

اللهمّ العن مبغضي محمّد وآل محمّد. والديك يقول: أُذكروا الله ياغافلين. والنسر يقول: يا ابن آدم عش ماشئت وفي آخره الموت.

وفي رواية انّ الفرس يقول إذا التقى الجمعان: سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح. والحمار يلعن الكاسب وكسبه. والضفدع يقول: سبحان ربّي القدّوس(٣).

قوله: أن تخرجني من الدنيا سالماً.

أي: سالماً منها، فانّها رأس كلّ خطيئة.

قوله: وتدخلني الجنّة آمناً.

أي: آمناً من الحساب فضلاً عن العقاب، أو آمناً من أهوال القيامة

---

(١) سورة الانعام: ٣٨. (٢) سورة الاسراء: ٤٤. (٣) تفسير البغوي ٣: ٤٠٩ - ٤١٠.

وتدخلنيها. وهذه الجملة كالمؤكّدة لسابقتها.

«ولا حول ولا قوّة إلّا بالله» وقد يراد من الحول هنا القدرة، أي: لاقدرة على شيء، ولا قوّة إلّا بإعانة الله سبحانه، وقد روي أنّ الحول هنا بمعنى التحوّل والانتقال، والمعنى: لاحول لنا عن المعاصي إلّا بعون الله، ولا قوّة لنا على الطاعات إلّا بتوفيق الله سبحانه، روى ذلك رئيس المحدّثين ـ قدّس الله روحه ـ في كتاب التوحيد عن الباقر عليه السّلام[1]، فينبغي قصد هذا المعنى المرويّ لا غير.

وماقبلها من العقبات وما يجري فيها من العقوبات.

قوله: ولا حول ولا قوّة الّا بالله.

في كتاب التوحيد للصدوق عن الباقر عليه السّلام: انّ الحول هنا بمعنى التحوّل والانتقال، والمعنى لاحول لنا عن المعاصي، ولا قوّة لنا على الطاعة الّا بتوفيق الله سبحانه، فينبغي قصد هذا المعنى المرويّ لاغير، وإليه يشير كلام الشيخ قدّس سرّه. وفي الحديث: لاحول ولا قوّة الّا بالله كنز من كنوز الجنّة.

قال بعض العلماء: في هذه الكلمة الشريفة تسليم للقضاء والقدر، واظهار للفقر إلى الله تعالى بطلب المعونة منه في جميع الامور وابراز لعجز البشر بسلب القوّة والحركة في الخيرات والطاعات، وصرف الشرور والسيّئات عنهم، واثباتها للملك العلّام توقيراً وتعظيماً له، ودلالة على التوحيد الخفيّ، لأنّ من نفى الحيلة والحركة والقوّة والاستطاعة عن غيره، وأثبتها له سبحانه على الحصر الحقيقي، وبيّنه أنّه بايجاده واستعانته وتوفيقه، لزم القول بأنه لم يخرج شيء من ملكه وملكوته، وانّه لاشريك له تحقيقاً لمعنى الحصر.

---

(١) التوحيد: ٢٤٢، ح٣.

«واكشف همّي وفرّج غمّي» قد يفرّق بينهما بأنّ

قوله: واكشف همّي وفرّج غمّي.

أصل الكشف في الأعيان، يقال: كشف الغطاء ونحوه، أي: رفعه، ثمّ استعمل في المعاني، فقيل: كشف الله همّه أي أزاله.

والهمّ هو الحزن. وقيل: اشتقاقه من هممت الشحم إذا أذبته، سمّي به الحزن لأنّه يذيب الانسان، وفرج الله غمّه وفرّجه بالتشديد لغتان صحيحتان بمعنى كشفه، والثانية أكثر في الاستعمال، والاسم الفرج بفتحتين.

والهمّ والغمّ قيل: هما مترادفان بمعنى الحزن. وقيل: الغمّ الكرب، وهو الحزن الشديد، فيكون أخصّ من الهمّ. وقيل: الهمّ قبل نزول المكروه، ولذلك يطرد النوم والغمّ بعده ولذلك يجلبه.

وسؤاله تفريج الغمّ بعد كشف الهمّ: إمّا من باب الترقّي، أو من باب التأكيد بعطف الشيء على مرادفه، نحو «إنّما أشكو بَثّي وحزني إلى الله»[١] على القول بعدم الفرق بينهما معنى.

واعلم أنّ الهمّ على نوعين: دنيويّ يجب التخلّي عنه، والرغبة الى الله في كشفه وإزالته، لأنّه من أعظم الشواغل عن سلوك سبيل الحقّ. وأُخرويّ يجب التحلّي به، وحمل النفس عليه وعدم الانفكاك عنه، لأنّه من أعظم أخذ بزمام النفس إلى سلوك سبيل الهدى.

وفي الصحيح عن الصادق عليه السَّلام: من أصبح وأمسى والدنيا أكبر همّه جعل الله الفقر بين عينيه، وشتّت أمره ولم ينل من الدنيا الّا ماقسم الله له، ومن أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّه جعل الله الغنا في قلبه وجمع له أمره[٢].

---

(١) سورة يوسف: ٨٦.

(٢) اصول الكافي ٢: ٣١٩، ح١٥.

الهمّ مايقدر الإنسان على إزالته كالإفلاس مثلاً، والغمّ ما لا يقدر على إزالته، كموت الولد، وقد يفرّق بينهما بأنّ الهمّ قبل نزول المكروه والغمّ بعده.

«من شرّ كلّ غاشم» أي: مبغض معتد «وطارق» أي: وارد في الليل لشرّ.

«الصامت والناطق» كثيراً ما يطلق الصامت على الجماد، والناطق على الحيوان وإن كان من الحيوانات العجم، يقال: فلان لا يملك صامتاً ولا ناطقاً، أي: لايملك شيئاً. ومنه قول الفقهاء: الزكاة في الناطق والصامت، ويجوز أن يراد هنا بالناطق معناه المعروف.

«بديع السموات والأرض» من قبيل حسن الغلام، أي: أنّ السماوات

ومنه يظهر أنّ المراد بالهمّ المطلوب كشفه هو الهمّ الدنيويّ لا الاخرويّ.

قوله: بأنّ الهمّ مايقدر الانسان الى آخره.

أي: هو ادراك منافٍ يمكن دفعه. والغمّ ادراك منافٍ لايمكن دفعه.

قوله: قول الفقهاء الزكاة في الناطق والصامت.

أرادوا بالناطق المواشي الثلاثة: الابل والبقر والغنم، وبالصامت الغلات الأربع والنقدين وهما الذهب والفضّة.

قوله: ببديع السماوات والأرض.

أي: مبدعهما ومخترعهما من غير امتثال يحتذيه ولا قانون ينتجيه، فانّ البديع كما يطلق على المبدع اسم مفعول، يطلق على المبدع اسم فاعل، نصّ عليه أساطين اللغة، وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى إنشأه كابتدعه، كما ذكر في القاموس وغيره، ونظيره السميع بمعنى المسمع في قول عمرو بن معد يكرب:

* أمن ريحانة الداعي السميع *

والأرض بديعة، أي: عديمة النظير. وقد يقال: المراد بالبديع المُبدع، أي: الموجد من غير مثال سابق، فليس من قبيل إجراء الصفة على غير من هي له. ونوقش بأنّ مجيء فعيل بمعنى مفعل لم يثبت في اللغة. وإن ورد فشاذّ لا يقاس عليه، وفيه كلام سنذكره في الباب الثالث.

«ما لاح الجديدان» هما: الليل والنهار «وما اطّرد الخافقان» هما: المشرق والمغرب، واطّرادهما بقاؤهما «وما حدا الحاديان» هما الليل والنهار كأنّهما يحدوان بالناس ليسيروا إلى قبورهم، كالذي يحدو بالإبل.

فلا عبرة بمن توقّف في اطلاق البديع على المبدع، وعليه فقيل: هو من اضافة الصفة المشبّهة الى فاعلها للتخفيف، تشبيهاً لها باسم الفاعل كما هو المشهور، أي: بديع سماواته من بدع الشيء اذا كان ذا شكل فائق وحسن زائق.

وقيل: هو من باب الاضافة الى الظرف، بمعنى أنّه عديم النظير فيهما، والأوّل هو الوجه.

قوله: وما اطّرد الخافقان.

في الحديث: منكبا اسرافيل يحكّان الخافقين. قيل: هما طرفا السماء والأرض. وقيل: المغرب والمشرق[1].

قوله: وما حدا الحاديان.

شبّه الليل والنهار بالحادين والناس بالابل، ثمّ ذكر المشبّه به وأُريد به المشبّه، فالاستعارة مصرّحة، وذكر الحدي ترشيح الّا أنّه أسقط المحدى له من الجانبين اكتفاءً بذكرى الحدي والحادي.

---

(١) نهاية ابن الأثير ٢:٥٦.

«ما عسعس ليل» أقبل أو أدبر، وهو من الأضداد.

«وما ادلهمَّ ظلام» بتشديد الميم على وزن اقشعرَّ، أي: اشتدت ظلمته.

«وما تنفَّس صبح» أي: ظهر، وعبّر عنه بالتنفس لهبوب النسيم عنده فكأنّه تنفّس به.

«خطيب وفد المؤمنين» خطيب القوم في اللغة كبيرهم الذي يخاطب السلطان ويكلّمه في حوائجهم. والوفد بفتح الواو يراد به هنا الجماعة الوافدون.

«المكسو حلل الأمان» المراد أمانُ أُمّته من النار، فإنّ الله تعالى قال له: «ولسوف يعطيك ربك فترضى» وهو صلّى الله عليه وآله لايرضىٰ بدخول أحد من أُمته في النار، كما ورد في الحديث.

وملخّصه: انّ الدنيا قنطرة، والآخرة منزل، والناس في عبورهم على تلك القنطرة بمنزلة إبل يحدو بها الحادي، ليسير بها الى المنزل وهو الليل والنهار.

ويمكن أن يكون هذا من باب تشبيه آحاد جملة بأُخرى مثلها، بأن يشبّه كلّ من الليل والنهار بالحادي والناس بالابل، وما ينقصه من أعمارهم وآجالهم مرور الأيّام وكرور الليالي، ليقرّبهم بذلك الى منازلهم وقلوبهم بسياق الحادي الابل، وتقريبه لها إلى المنازل، ولك أن تجعله من باب تشبيه الهيئة الحاصلة من آحاد جملة بأُخرى مثلها، فتأمّل فيه.

قوله: خطيب وفد المؤمنين.

الوفد قوم يجتمعون ويردون البلاد واحدهم وافد، وكذلك يقصدون الامراء لزيارة أو استرفاد، أي صلة وعطيّة وانتفاع وغير ذلك .

قوله: كما ورد في الحديث.

روي عن الصادق عليه السّلام أنّه قال: رضي جدّي أن لايبقى في النار

وحلل الأمان استعارة وذكر الكسوة ترشيح.

«وعزائم مغفرتك» أي: متحتماتها. والمراد ما يجعلها حتماً.

«فيما فزعت إليك منه» فزعت بالفاء والزاي المعجمة والعين المهملة بمعنى التجأت.

موحّد[١].

وعن محمّد بن علي بن الحنفيّة أنّه قال: وهي والله الشفاعة ليعطينّها في أهل لا اله الّا الله حتّى يقول: ربّ رضيت[٢].

ونقل الغزالي في الاحياء عن أبي جعفر عليه السّلام أنّه كان يقول لأصحابه: أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عزّوجلّ قوله «قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله»[٣] ونحن أهل بيت نقول: أرجى آية في كتاب الله قوله سبحانه «ولسوف يعطيك ربّك فترضى»[٤].[٥]

أراد عليه السّلام أنّه صلّى الله عليه وآله لا يرضى وواحد من أُمّته في النار.

قوله: حلل الأمان.

اضافة الحلل إلى الأمان اضافة اللجين الى الماء في قوله:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ... ذهب الأصيل على لجين الماء

حيث قدّم المشبّه به على المشبّه وأُضيف اليه، أي: أمان كالحلل، فانّ

---

(١) مجمع البيان ٥:٥٠٥.

(٢) مجمع البيان ٥:٥٠٥.

(٣) سورة الزمر: ٥٣.

(٤) سورة الضحى: ٥.

(٥) احياء العلوم ٤:١٤٧.

«قد غبّرت وجهي» بالغين المعجمة والباء الموحّدة المشدّدة من الغبار والكلام استعارة.

«ولو لا تعلّقي» جواب لو لا مايأتي من قوله لقد كان ذلّ الايـاس عليّ مشتملاً.

«لا تقنطوا» أي: لا تيأسوا «ندبتنا» أي: دعوتنا «داخرين» ذليلين صاغرين.

«قد أسبل دمعي حسن الظنّ بك» إسبال الدمع إجراؤه. والمراد أنّ حسن

الواقف بين يديّ سلطان يخاف منه إذا لم يأمن يضطرب ويرتجّ لسانه ويشن بيانه، بخلاف ما إذا أمن، فانّه حينئذٍ تسكن جوارحه ويقوى قلبه ويزين كلامه، فالأمان في إفادته الزينة كأنّه حلية لمن تحلّى به، فتدبّر.

قوله: قد غبّرت وجهي.

لمّا كانت الذنوب ولا سيّما كثرتها سبب سواد الوجه عنده تعالى، شبّهها بما يغبّره عنده.

ويمكن أن يكون المراد انّي ألصقت وجهي عندك بالتراب، وعفّرته حياءً من ذنوبي وكثرتها، ورجاءً أن تغفرها لي، الاّ أنّها لمّا كانت سبب ذلك التغبير والتعفير أسنده اليها مجازاً، من قبيل أنبت الربيع البقل.

قوله: قد أسبل دمعي حسن الظنّ بك.

سبل كهطل وزناً ومعنى، أي: جرى وسال. والسابل الهاطل، ومنه حديث الاستسقاء «اسقنا غيثاً سابلاً»[1] أي: هاطلاً جارياً سائلاً.

---

(١) نهاية ابن الأثير ٢: ٣٤٠.

ظنّي بعفوك عن المذنبين وصفحك عن العاصين وإن عظمت ذنوبهم وكثرت خطاياهم قد أبكاني.

فإن قلت: حسن الظنّ موجب للمسرّة والابتهاج لا للبكاء.

قلت: المراد البكاء من شدّة الفرح.

والدمع ماء العين من حزن أو سرور. وإذ سبق ذلك نقول: انّ الهمزة في أسبل يمكن أن تكون للسلب والإزالة، كما في قوله تعالى «انّ الساعة آتية أكاد أُخفيها»[1] أي: ازيل خفاءها.

والمراد أنّ ذنوبي كثرت وكبرت، ولولا حسن الظنّ بك لكان دمعي جارياً حزناً عليها وخوفاً منها، وانّما سلبه ومنعه وأزال جريانه حسن ظنّي بك في عتق رقبتي من النار، لأنّ من لوازم حسن الظنّ بك أن يوقن المحسن ظنّه أنّك تفعل به ذلك، فاذا أيقن بذلك اطمأنّ قلبه وسكن دمعه.

وكيف لا وقد قال سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله: انّ الله بيده الخيرات يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظنّ، ثمّ يخلف ظنّه ورجاءه، فأحسنوا بالله الظنّ وارغبوا إليه[2].

قوله: من شدّة الفرح.

الفرح قد يوجب الدمع، كما أنّ الحزن كذلك، وذلك أنّ الفرح كيفيّة تتبعها حركة الروح الى خارج البدن قليلاً قليلاً، طلباً للوصول الى الملذّ، فاذا تحرّك الروح إلى الخارج انفصل أجزاء الشؤون والمفاصل بعضها عن بعض، فتخرج الرطوبات الباردة المحتبسة في الدماغ.

---

(١) سورة طه:١٥.

(٢) اصول الكافي ٢:٧٢، ح٢.

«وتغمد زللي» أي: اجعله مشمولاً بالعفو والغفران.
«وإقالة عثرتي» الإقالة: المسامحة والتجاوز. والعثرة: الخطيئة، مأخوذة من عثرة الرجل.
«ومجاهد الناكثين» المراد بهم عسكر الجمل ورؤساؤه

والحزن كيفيّة تتبعها حركة الروح الى الداخل قليلاً قليلاً هرباً من المؤذي، فاذا انقبض الروح متراجعاً نحو الدماغ عصر شيئاً من الرطوبات الباقية على سخونتها السابقة.

قوله: وإقالة عثرتي.

الاقالة: التجاوز عن الذنب، وأصلها من أقال عثرته إذا رفعه من سقوطه. ومنه الاقالة في البيع لأنّها رفع العقد، ومنه: أقيلوني فلست بخيركم وعليٌّ فيكم. وفي الحديث «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم»[١] وفي رواية أُخرى «ذوي المروّات»[٢].

وإقالة العثرة استعارة للتجاوز عن الذنوب. والعثرة السيّئة والخطيئة من عثر يعثر من باب قتل عثاراً بالكسر إذا كبا وسقط، لأنّها سقوط في الاثم. وقيل: هي المرّة من العثار في المشي وهي الزلّة، ومنه العاثور المكان الوعث الخشن لأنّه يعثر فيه. ومنه قول أبي يوسف يعقوب المعروف بابن السكّيت، وكان من أكابر علماء العربيّة وعظماء الشيعة، وهو من أصحاب الجواد والهادي عليهما السّلام، في التحذير من عثرات اللسان:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

---

(١) كنزالعمال ٥: ٣٠٩، ح١٢٩٧٥.
(٢) كنزالعمال ٥: ٣١٠، ح١٢٩٧٨.

الذين نـكثوا بيعته عليه السَّلام.

فعثرته في القول يذهب رأسه وعثرته في الرجل تبرأ عن مهل

قيل: فاتّفق أنّ المتوكّل العبّاسي ألزمه تأديب ولديه المعتزّ والمؤيّد، فقال له يومـاً: أيّما أحبّ اليـك ابـنـاي هذان أم الحسـن والحسين، فقـال: والله انّ قنبر خادم علـيّ علـيه السَّلام خير مـنك ومـن ابنيك، فقـال المتوكّل لا تراكـه: سلّوا لسـانـه من قفاه ففـعـلوا فمات رحمه الله. وهذا من غـريـب ماوقع منه رضوان الله عليه.

قوله: الذين نكثوا بيعته عليه السَّلام.

محاربوه علـيـه السَّلام يوم الجمل، وهـم الناكثون من أصحاب طلحة والزبير وعائشة، لنكثهـم البيعة بعد عقدها، كانت جملتهم ثلاثين ألفاً، فقتل منهم ستّة عشر ألفاً وسبعمـائة وتسعون رجلاً، فأتى القتل على أكثرهم، وقتل من أصحابه عـليه السَّلام ألف رجل وسـبـعون رجلاً، وكانت عدّتهـم عشرين ألفاً، وقيل غير ذلك.

ولـمّا اتّفـقت وقعـة الجـمل في البصـرة، اتّفق حـرب صفّين، وهو كسجّين مـوضـع قـرب الرقّـة بشـاطـئ الفـرات، كـانت بـه الـوقـعة الـعظـمى بين علي عليه السَّلام ومـعاوية غرّة صفـر سنة (٣٧) فمن ثمّ احترز الناس السفر في صفر، كذا في القاموس[١].

وقال ابن خيثمة: وفي أوائل سبعة وثلاثين سار معاوية من الشام وكان قد دعـا لـنفسه، وعلي بن أبي طالـب عـليه السَّلام من العـراق، فـالتقيا بصفّين على

---

(١) القاموس المحيط ٤: ٢٤٢.

«والقاسطين» معاوية وأعوانه الذين عدلوا عنه عليه السَّلام، والقسوط هو العدول عن الحقّ.

«والمارقين» المراد بهم الخوارج الذين مرقوا من الدين، كما يمرق السهم من القوس، كما ورد في الحديث.

«إمامي» خبر إنّ، والأوصاف الستة السابقة نعوت ويراد بها معنى الثبوت لا الحدوث[١] فصحّ وقوعها نعتاً للمعرفة، كما قالوه في قوله تعالى: «مالك يوم الدين».

الفرات، فقتل من أصحاب علي عليه السَّلام خمسة وعشرون ألفاً، منهم عمّار بن ياسر، وخمسة وعشرون بدريّاً، وكانت عدّة عسكره عليه السَّلام تسعون ألفاً، وقتل من أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً، وكانت عدّتهم مائة ألف وعشرين ألفاً، وذكر أنّهما أقاما بصفّين مائة يوم وعشرة أيّام، وكان بينهم سبعون وقعة، ثمّ تداعيا إلى الحكومة، وهؤلاء هم القاسطون.

وأمّا المارقون فهم الخوارج، وكانوا أربعة آلاف، فقتلهم ولم يفلت منهم الآ تسعة أنفس لاغير، وغنم شيعته عليه السَّلام منهم غنائم كثيرة، وقتل من شيعته عليه السَّلام رجلان، ولم يسلم من الخوارج المارقين غير هذه التسعة المذكورين، وهذا كان من جملة إخباره عليه السَّلام بالغائب والكائن قبل كونه، فانّه قال قبل ذلك نقتلهم ولا يقتل منّا عشرة ولا يسلم منهم عشرة.

والخوارج هم هؤلاء الذين خرجوا على عليّ عليه السَّلام لـمّا حكم الحكمان، وقالوا: لاحكم إلّا لله، وهم الذين قال فيهم النبيّ صلّى الله عليه وآله: يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

---

(١) لأنه لو أريد الحدوث لكانت الإضافة لفظية، فلا تفيد تعريفاً للمضاف، فلا يوصف بها المعرفة (منه رحمه الله).

«والقبول من حملتها والتسليم لرواتها» العطف للبيان والتوضيح، والحملة بالحاء المهملة بالفتحات جمع حامل والمراد ناقلوها[١].

«أعلاماً ومناراً» أي: هداة. والأعلام جمع علم، وهو الجبل الذي يُعلم به الطريق في الصحارى. والمنار بفتح الميم الموضع المرتفع الذي يوقد في أعلاه النار لهداية الضالّ ونحوه «لا مفزع ولا ملجأ» العطف تفسيري.

«ومعقلي من المخاوف» المعقل: بفتح الميم وكسر القاف قريب من المعنى الحصن ويطلق على الملجأ.

«أمام طلبتي» أي: قدّام حاجتي ومطلبي، والطلبة بفتح الطاء وكسر اللام.

«ومعوّلي» على صيغة اسم المفعول، أي: ثقتي ومعتمدي.

«وظعْني» بالظاء المعجمة والعين المهملة ساكنة ومفتوحة، أي: سيري، أو سفري.

«ومنقلبي ومثواي» أي: رجوعي وإقامتي، أو حركتي وسكوني.

قوله: ومنقلبي ومثواي.

أي: أنت معوّلي في وقت رجوعي عن الدنيا إلى الآخرة بعد الموت وقراري في قبري، أو الجنّة بعد الحساب، أو بعد النجاة عن العذاب.

والمنقلب الانقلاب من السفر والعود إلى الوطن، ومنه دعاء السفر «أعوذ بك من كآبة المنقلب» وهو بفتح اللام مصدر ميميّ بمعنى الانقلاب، وهو الرجوع مطلقا، أي: مرجعي، يعني انّه يعود كلّ روح بعدما فارق البدن إلى وطنه الاصلي ومقامه الحقيقي «وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون»[٢].

---

(١) ويمكن أن يراد بالحملة المتحمّلون للحديث بالمعنى على أحد الأنحاء الستة المذكورة في كتب الأُصول (منه رحمه الله).

(٢) سورة الشعراء: ٢٢٧.

«من نائلك» أي: من عطيتك و إحسانك، ومنه النوال.

«من رَوحك» بفتح الراء أي من فرَجك ولطفك.

«ارتتاج مذاهبها» الارتتاج بتاءين مثنّاتين فوقانيّتين وآخره جيم بمعنى الانغلاق، يقال: ارتجت الباب، أي: أغلقته.

«من كلّ ضنك مخرجاً» الضنك بالضاد المعجمة المفتوحة والنون الساكنة الضيق.

«ومجدك» أي: كبريائك وعظمتك.

«والديانة التي حضّ عليها» بالضاد المعجمة المشدّدة، أي: بالغ في شأنها وحثّ على الاتّصاف بها.

«أمَّ» بتشديد الميم، أي: قصد.

«وتزلّف» على وزن تكرّم، أي: تقرّب.

«وقد أكدى الطلب» بالدال المهملة، أي: تعسّر وتعذّر وانقطع.

«وأعيت الحيل» بالعين المهملة والياء المثنّاة التحتانيّة، أي: أتعبت.

«منيخ» بالنون وآخره خاء معجمة، أي: مقيم.

«بفنائك» الفناء بكسر الفاء وبعدها نون: الفضاء حول الدار والكلام استعارة.

والمثوى: المقام والمسكن والمنزل، من ثوى بالمكان يثوي إذا قام فيه «والذين كفروا يتمتّعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم»[١] «والله يعلم متقلّبكم ومثواكم»[٢] والجار بمجروريه متعلّق بقوله «معوّلي» كما أومأنا إليه.

قوله: والكلام استعارة.

لأنّه شبّهه تعالى عن ذلك بملك يرفع إليه الحوائج، ثمّ أثبت له الدار،

---

(١) سورة محمّد(ص): ١٢.

(٢) سورة محمّد(ص): ١٩.

«وإذا تلاحكت عليَّ الشدائد» بالحاء المهملة، أي: تداخلت والتصقت بي.

«ونالني الضرّ» أي: أصابني. والضرّ هنا بضمّ الضاد سوء الحال، وأمّا بفتحها فضدّ النفع.

«وشملتني الخصاصة» بالخاء المعجمة المفتوحة وصادين مهملتين بينهما ألف بمعنى الاحتياج.

«وعرتني الحاجة» أي: شملتني.

«وتوسّمت بالذلّة» أي: صرت موسوماً بها.

«وحقّت عليّ الكلمة» أي: صرت حقيقاً بكلمة العذاب.

وجعل للدار فناءً ليكون مناخ الركاب ومقام الرجال.

قوله: ونالني الضرّ.

الضرّ بالضمّ الهزال وسوء الحال، ومنه قوله تعالى «أنّي مسّني الضرّ وأنت أرحم الراحمين»[١].

قوله: وحقّت عليّ الكلمة.

أي: وجب عليّ وعدالله إليّ بالعقاب. واللام في «الكلمة» للعهد والمعهود كلمة العذاب، قال الله تعالى «أفمن حقّ عليه كلمة العذاب أفانت تنقذ من في النار»[٢] وقال «قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين»[٣] أراد بكلمة العذاب قوله «لأملأنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين»[٤].

---

(١) سورة الانبياء: ٨٣.
(٢) سورة الزمر: ١٩.
(٣) سورة الزمر: ٧١.
(٤) سورة ص: ٨٥.

«فامسح ما بي» أي: أذْهِبْ وأزلْ، ويجوز قراءته بالصاد المهملة أيضاً والمعنى واحد.

«والإيزاع لشكرك » الإيزاع بالياء المثنّاة التحتانية وبعدها زاي وآخره عين مهملة: الإلهام.

«ولا تخلني من يدك »(١) بالخاء المعجمة وتشديد اللام من التخلية.

«ليست ببدع من ولايتك » بدع بإسكان الدال، والمراد أنّ العطية التي لايحتاج معها إلى غيرك ليست أمراً بديعاً غريباً لم يعهد مثله.

«من ولايتك » بفتح الواو أي: من إمدادك وإعانتك .

«ادفع الصرعة» بكسر الصاد المهملة وإسكان الراء: الوقوع في بليّة.

«وأنعش السقطة» أنعش بالنون والعين المهملة المفتوحة وآخره شين معجمة، وهو كادفع وزناً ومعنى، ويراد بالسقطة مايراد من الصرعة، والكلام استعارة.

«ولا ينكر» أي: منكر ومستبعد.

«وارحم الهفوة» بفتح الهاء وإسكان الفاء، أي: الزلّة.

«خذ بيدي من دحض المزلّة» دحض بالحاء المهملة والضاد المعجمة، أي:

قوله: من الصرعة والكلام استعارة.

شبّه الزلّات الناشئة من قدم النفس بفعلها المنهيّات وتركها المأمورات بالصرعة والسقطة، ثمّ ذكر المشبّه به وأراد به المشبّه، فالاستعارة تحقيقيّة تصريحيّة.

---

(١) ويجوز أن يراد باليد النعمة، وحينئذٍ يقرأ تخلني بتخفيف اللام، أي: لاتجعلني خالياً من نعمتك (منه).

أنقذنيْ من مزلقة الخطيئة.

«فقد كبوت» بالباء الموحّدة، أي: وقعت على وجهي.

«يولج كلّ واحد منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه» أي: يدخل كلّاً من الليل والنهار في الآخر، بأن يُنقص من أحدهما شيئاً ويزيده في الآخر، كنقصان نهار الشتاء وزيادة ليله، وزيادة نهار الصيف ونقصان ليله.

قوله: يولج كلّ واحد منهما في صاحبه.

ايلاجه تعالى الليل في النهار وبالعكس ادخاله أحدهما في الآخر: إمّابالتعقيب بأن يأتي به بدلاً مكانه وذلك كلّيّ، أو بالزيادة والنقصان، وهذا أكثريّ.

بيانه: أنّ كلّ مازاد في النهار نقص من الليل وبالعكس، وأطول ما يكون من النهار يوم سابع عشر حزيران عند حلول الشمس آخر الجوزاء، فيكون النهار حينئذٍ خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات، وهو أقصر مايكون من الليل، ثمّ يأخذ في النقصان والليل في الزيادة الى ثامن عشر ايلول عند حلول الشمس آخر السنبلة، فيستوي الليل والنهار، ويسمّى الاعتدال الخريفي، فيصير كلّ منهما اثنتا عشرة ساعة.

ثمّ ينقص النهار ويزيد الليل الى سابع عشر من كانون الأوّل عند حلول الشمس آخر القوس، فيصير الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات، فيكون الليل في غاية الطول والنهار في غاية النقصان، ثمّ يأخذ الليل في النقصان والنهار في الزيادة الى سادس عشر آذار عند حلول الشمس آخر الحوت، فيستوي الليل والنهار، ويسمّى الاعتدال الربيعي، ثمّ يستأنف الدور ويرجع الى الأوّل.

ثمّ كلّما ازداد البلد عرضاً عن خطّ الاستواء ازداد نهاره في الصيف طولاً

فإن قلت: هذا المعنى يستفاد من قوله عليه السَّلام «يولج كلَّ واحد منهما في صاحبه» فأيّ فائدة في قوله عليه السَّلام «ويولج صاحبه فيه»؟

قلت: مراده عليه السَّلام التنبيه على أمر مستغرب، وهو حصول الزيادة والنقصان معاً في كلّ من الليل والنهار في وقت واحد، وذلك بحسب اختلاف البقاع كالشماليّة عن خطّ الاستواء والجنوبية عنه، سواء كانت مسكونة أو لا، فإنّ صيف الشماليّة شتاء الجنوبية وبالعكس، فزيادة النهار ونقصانه واقعان في وقت واحد لكن في بقعتين وكذلك زيادة الليل ونقصانه، ولو لم يصرح عليه السَّلام بقوله «ويولج صاحبه فيه» لم يحصل التنبيه على ذلك، بل كان الظاهر من كلامه عليه السَّلام وقوع زيادة النهار في وقت ونقصانه في آخر وكذا الليل، كما هو محسوس معروف للخاصّ والعامّ. فالواو في قوله عليه السَّلام

وفي الشتاء قصراً وبالعكس في الليل، وقد يرتقي طول النهار بحسب تزايد ارتفاع القطب إلى حيث يصير اليوم بليلته نهاراً كلّه وبازائه الليل، ثمّ أكثر من ذلك إلى حيث يكون نصف السنة نهاراً ونصفها الآخر ليلاً، فتكون السنة كلّها يوماً وليلة.

وذلك إذا صار قطب الفلك الأعظم محاذياً لسمت الرأس، ولا عمارة هناك ولا فيما يقرب منه، إذ لا يتمّ النضج لشدّة البرد اللازم من انحطاط الشمس، ولا يصلح مسكناً للحيوان، ولا يتهيّأ فيه شيء من أسباب المعيشة.

وأمّا البقاع التي هي تحت خطّ الاستواء، فالليل والنهار فيها في جميع السنة متساويان، كلّ منهما اثنتا عشرة ساعة متساوية، فلا يتصوّر فيها ايلاج أحدهما في الآخر الّا بالتعقيب لا بالزيادة والنقصان.

قوله: فالواو في قوله عليه السَّلام ويولج صاحبه فيه الى آخره.

كون الواو للحال مبنيّ على تقدير المبتدأ كما في «نجوت وأرهنهم مالكاً»

«ويولج صاحبه فيه» واو الحال بإضمار مبتدأ، كما هو المشهور بين النحاة.

«ونهضات النصب» بالنون والضاد المعجمة من النهوض، والمراد التردّدات البدنية الموجبة للنصب، أي: التعب. ويروى بهظات بالباء الموحدة والظاء المعجمة من بهظه الحمل، أي: أثقله.

و«قمت وأصك وجهه» وحاصل الجواب أنّ معنى الجهة الحاليّة وان كان مفهوماً من الاولى فيكون تأكيداً، الّا أنّها ذكرت للتنبيه.

وأنت خبير بأنّ ايلاج كلّ واحد منهما في صاحبه يتضمّن حصول الزيادة والنقصان معاً في كلّ واحد منهما بحسب اختلاف البقاع؛ إذ لايمكن ايلاج الليل في النهار في بقعة الّا حال ايلاج النهار في الليل في بقعة أُخرى وبالعكس، وزيادة النهار يتضمّن نقصانه حال زيادته، وكذلك الليل في بقعتي الشماليّة والجنوبيّة عن خطّ الاستواء، فالتنبيه حاصل بدون ذكرها، وانّما ذكرت للتصريح بما علم ضمناً، لأنّه لمّا كان أمراً مستغرباً لم يكتف في الدلالة عليه بالتضمّنية، بل دلّ عليه بالدلالتين التضمّنية والتصريحيّة ايماءاً لطيفاً الى شأن الأمر.

ثمّ أقول: اختلاف البقاع في العرض الشمالي والجنوبي وانتقال الشمس عن مدار من المدارات اليوميّة بحركتها الخاصّة، يوجب أن يدخل بعض زمان الليل في زمان النهار وبالعكس في البقاع الشماليّة عن خطّ الاستواء والجنوبيّة عنه، في كلّ يوم بليلته من أيّام السنة في جميع الآفاق الّا في المستقيم والرحوي. وهذا معنى قوله «يولج كلّ واحد منهما في صاحبه».

وكذا اختلاف طول البقاع مع الحركة الاولى، ففي حال زيادة زمان النهار ونقصان الليل وبالعكس في البقاع المذكورة بحسب الاختلافات العرضيّة يدخل بعض زمان الليل في النهار وبالعكس في الأماكن الشماليّة عن خطّ

«ليكون لهم جماماً» بفتح الجيم أي: راحة.

الاستواء المختلفة في الطول، وكذا الجنوبيّة عنه المختلفة فيه بحسب هذا الاختلاف، وهذا معنى قوله «ويولج صاحبه فيه» فالحاليّة تأسيس، لأنّها إشارة إلى نوع آخر من الزيادة والنقصان.

وعليه يتفرّع وجوب صوم أحد وثلاثين يوماً في صورة وثمانية وعشرين في أُخرى على المسافر من بلد إلى آخر بعيد عنه بعد رؤية الهلال.

ويحتمل عكس ذلك بأن يكون الاولى اشارة الى مايكون بالاختلافات العرضية مع الحركة الخاصّة الشمسيّة.

ويحتمل أن يكون معنى الاولى ادخال كلّ من الليل والنهار مكان الآخر بدلاً منه في كلّ البقاع، فعبّر عن احداث النهار مع امتلاء العالم بالليل وبالعكس بالايلاج، ومعنى الثانية ادخال بعض زمان كلّ منهما في زمان الآخر في كلّ يوم بليلته في كلّ البقاع بحسب اختلافاتها العرضية والطولية في حال الادخال الاوّل، ويحتمل العكس، وعليه فالحاليّة تأسيس، ومعنى الجملتين أكثر ممّا سبق، ويتحقّق معناهما في كلّ الآفاق حتّى في الرحوي في بعض أيّامه.

ثمّ الحكمة في نقصان كلّ منهما وزيادة الآخر على التدريج ظاهرة، إذ لو كان دخول أحدهما على الآخر، وذلك بحركة الشمس بغتة لأضرّ بالأبدان والثمار وغيرهما، كما أنّ الخروج من حمّام حارّ الى موضع بارد دفعة يضرّ البدن ويسقمه.

قوله: ليكون لهم جماماً.

يقال جمّ الفرس جمّاً وجماماً إذا ترك فلم يركب، فذهب أعباؤه وتعبه،

«ويبلو أخبارهم» أي: يختبرها، ومنه قوله تعالى «يوم تبلى السرائر»[١].
«فلقت لنا من الإصباح»[٢] قد علم ممّا سبق.
«وما بثثت» بثاءين مثلّثين من البث بالتشديد وهو التفريق.
«مقيمه وشاخصه» المراد بالشاخص هنا ضدّ المقيم.

فقوله «جماماً» اشارة الى استراحة القوى النفسانيّة، وقوله «قوة الى تقوى» القوى الطبيعيّة.

قوله: فلقت لنا من الاصباح.

الاصباح مصدر سمّي به الصبح، قال الله تعالى «فالق الاصباح»[٣] قيل: المراد فالق ظلمة الاصباح، وهو الغبش في آخر الليل، وكأنّ الافق كان بحراً مملوّاً من الظلمة، ثمّ انّه تعالى شقّ ذلك البحر المظلم، بأن أجرى فيه جدولاً من النور، فالمعنى فالق ظلمة الاصباح بنور الاصباح. وحسن الحذف للعلم به.

أو المراد فالق الاصباح بضياء النهار واسفاره، ومنه قولهم انشقّ عمود الفجر وانصدع.

أو المراد مظهر الاصباح بواسطة فلق الظلمة، فذكر السبب وأراد المسبّب.

والفالق بمعنى الخالق، وعن ابن عبّاس والضحّاك الفلق بالسكون بمعنى الخلق، وأمّا الفلق بالتحريك، فهو ضوء الصبح، لأنّه بمعنى مفعول و«من» في «من الاصباح» مبيّنة لما، ومفعول فلقت محذوف، أي: على مافلقته لنا.

---

(١) سورة الطارق: ٩.

(٢) الإصباح بالكسر مصدر بمعنى الصباح، والذي علم ممّا سبق أنّ الفلْق ـ بسكون اللام ـ مصدر فلقت الشيء، أي: شققته وبالتحريك مايفلق عنه الشيء فعل بمعنى مفعول (منه رحمه الله).

(٣) سورة الانعام: ٩٦.

«وما كنَّ تحت الثرى» ماكنّ بالتشديد أي: ما خفي تحت التراب.

«ليس لنا من الأمر إلّا ماقضيت» المراد بالأمر النفع، فالمعطوفة عليها كالمفسّرة لها.

«شاهد عتيد» بالتاء المثنّاة الفوقانيّة، أي: مهيّأ.

«بارتكاب جريرة» الجريرة بالجيم والراء الجناية، ومنه ضمان الجريرة، والمراد بها هنا الخطيئة.

«واقتراف صغيرة» أي: اكتسابها.

«وأجزل لنا» أي: أكثر.

«وأخلنا فيه من السيّئات» أي: اجعلنا خالين منها.

«يسّر على الكرام الكاتبين مؤونتنا» هذا كناية عن طلب العصمة عن

قوله: وما كنّ تحت الثرىٰ.

الثرىٰ التراب النديّ، والمراد به الأرض الصرفة المحيطة بالمركز، وهي الطبقة الثالثة منها.

قوله: ليس لنا من الأمر الّا ماقضيت.

أي: ماعلمت لا ماخلقت حتّى يلزم منه الجبر وسلب اختيار العبد، لو أُريد بالأمر مطلقه الشامل لأفعال العباد، فيحتاج في دفعه إلى تخصيصه بالنفع ليكون من أفعاله تعالى، ويخرج عنه أفعال العباد، كما فعله الشيخ قدّس سرّه، فتأمّل.

قوله: يسّر على الكرام الكاتبين مؤونتنا.

في الحديث: عجبت لابن آدم وملكاه على عاتقيه ولسانهما قلمهما وريقهما

إكثار الكلام والاشتغال بما ليس فيه نفع دنيوي ولا أُخروي؛ إذ يحصل بها التخفيف على الكرام الكاتبين بتقليل مايكتبونه من أقوالنا وأفعالنا.

«مستعملاً لمحبّتك» من إضافة المصدر إلى الفاعل أو المفعول.

«وحياطة الإسلام» بالحاء المهملة والياء المثنّاة التحتانيّة والطاء المهملة، أي: حفظه وحراسته.

«وأوقفهم عمّا حذّرت» من وقف عن الشيء، أي: لم يدخل فيه.

«وسائر خلقك» بالجرّ عطفاً على ملائكتك، أو بالنصب عطفاً على سمائك.

«وخيرتك من خلقك» بكسر الخاء المعجمة والياء المثنّاة التحتانيّة والراء المفتوحتين أي: المختار المنتخب، وجاء بتسكين الياء.

مدادهما، كيف يتكلّم فيما لايعنيه.

وسمع بعض الأكابر رجلاً يكثر الكلام فيما لايعنيه، فقال: انّ حفظة هذا منه في مؤونة.

وقال بعض العلماء: ليس على الكرام الكاتبين في كتابة الحسنات مؤونة وكلفة، وانّما المؤونة والكلفة عليهم في كتابة السيئات.

وقد ورد في بعض الأخبار أنّهم إذا كتبوا الحسنات صعدوا بها فرحين، وعرضوها على ربّهم مسرورين، وإذا كتبوا سيئة صعدوا بها وجمين محزونين، فيقول الله عزّوجلّ: مافعل عبدي، فيسكتون حتّى يسألهم ثانياً وثالثاً، فيقولوا: إلٰهنا أنت الستّار على عبادك وقد أمرت بستر العيوب، فاستر عيوبهم وأنت علام الغيوب، ولهذا يسمّون كراماً كاتبين.

* * *

فصل

واعلم أنّه قد ورد قسمة النهار إلى اثنتي عشرة ساعة، ونسبة كلّ واحدة منها إلى واحد من الائمة الا ثني عشر سلام الله عليهم، وتخصيصها بدعاء يدعى به فيها. وأنا أذكر كلّاً منها مع دعائها في محلّها إن شاء الله تعالى.

فالساعة الأُولى هي هذه الساعة التي كلامنا في هذا الباب فيها أعني ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وهي منسوبة إلى أمير المؤمنين علي عليه السَّلام وهذا دعاؤها:

قوله: واعلم أنّه قد ورد قسمة النهار.

المراد بالنهار هنا هو الزمان الذي يقع بين طلوع الفجر الثاني واستتار القرص، أو زوال الحمرة المشرقيّة، وظاهر أنّ ساعاته تختلف في العدد وإن لم تختلف في المقدار بحسب طول كلّ من الليل والنهار وقصره، إن أُريد بها الساعات المستوية، وبالعكس إن أُريد بها الساعات الزمانيّة والمعوجة. فقسمته كلّية الى اثنتي عشرة ساعة على نهج سيأتي مفصّلاً باباً فباباً، مجرّد اصطلاح شرعيّ مستحدث، غير مطابق لما عليه أرباب العقل.

تفصيله: أنّهم قسّموا اليوم بليلته على أربعة وعشرين قسماً متساوية، وسمّوا كلّ قسم ساعة، وقسّموا كلّ ساعة بستّين قسماً، وسمّوا كلّ قسم دقيقة، وسمّوا الساعات المذكورة مستويات، لتساويها في المقدار أبداً، طال مكث كلّ من الليل والنهار أم قصر، لكنّها تختلف في العدد بحسب طول كلّ منهما وقصره.

وقد يقسّمون كلّ يوم وكلّ ليلة باثني عشر قسماً متساوية، ويسمّونها الساعات الزمانية والمعوجّة، لعدم تساويها في المقدار وان استوت في العدد، فانّ مقدار كلّ ساعة يزيد وينقص بحسب طول كلّ من الليل والنهار وقصره، لكنّها

اَللّهُمَّ ربَّ الظَّلام وَالفَلَقِ، وَالْفَجْرِ وَالشَّفقِ، وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ، وَالْقَمَرِ إذا اتَّسَقَ، خَالِقَ الْإِنْسانِ مِنْ عَلَقٍ، أَظْهَرْتَ قُدْرَتَكَ بِبَدِيعِ صُنْعَتِكَ، وَخَلَقْتَ عِبَادَكَ لِمَا كَلَّفتَهُمْ مِنْ عِبَادَتِكَ، وَهَدَيْتَهُمْ بكَرَمِ فَضْلِكَ إلى سُبُلِ طَاعَتِكَ، وَتَفَرَّدْتَ فِي مَلَكُوتِكَ بِعَظِيمِ السُّلْطَانِ،

لاتختلف في العدد، فهي عكس المستويات، وظاهر أنّ هذه الساعات الاثنتا عشرية المنقسم اليها النهار غير مطابقة لواحد منها، فهو مجرّد اصطلاح في عرف المتشرّعة ولا مشاحّة فيه.

قوله عليه السّلام: اللهمّ ربّ الظلام والفلق.

الفلق بالتحريك الصبح نفسه، وقد يقال: فلق الصبح لضوئه ونوره، وهو المراد هنا بقرينة المقابلة والفجر والشفق استنارة في كرة البخار لقرب الشمس من الأُفق صاعدة الى جانبه الشرقي وهابطة عن الغربي، وقد سبق أنّ أوّل ما يظهر الضوء عند قرب الفجر، يظهر مستدقّاً مرتفعاً عن الافق مستطيلاً، وهو الفجر الكاذب، ثمّ إذا قربت الشمس جدّاً رؤي الضوء معترضاً، وهو الفجر الصادق، ثمّ يرى محمرّاً، والشفق بعكس الفجر، يظهر محمرّاً مبيضّاً معترضاً ثمّ مرتفعاً مستطيلاً، وقد علموا بالتجربة أنّ أوّل الفجر الكاذب وآخر الشفق انّما يكون اذا كان انحطاط الشمس ثمانية عشر درجة.

قوله عليه السّلام: بكرم فضلك.

أي: بافاضتك عليهم المشاعر الظاهرة والباطنة، والعقل المدرك المميّز، وبانزالك عليهم الكتب، وارسالك اليهم الرسل.

وأصل الفضل أن يبقى من الشيء زيادة لايحتاج اليها، وفضله تعالى افاضة

وَتَوَدَّدْتَ إلى خَلْقِكَ بِقَدِيمِ ٱلْإِحْسَانِ، وَتَعَرَّفْتَ إِلىٰ بَرِيَّتِكَ بِجَسِيمِ ٱلامْتِنانِ. يَا مَنْ يَسأَلُهُ مَنْ في السَّماواتِ وَالأَرْض كُلَّ يَوْم هُوَفِي شأن، أَسأَلُكَ اللّٰهُمَّ بِمُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَبالْقُرْآن الَّذي نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ [خاتم النبيين الذي نزل الروح ـخ ل] الأَمِينُ، على قَلْبِهِ لِيَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبيٍّ مُبِينٍ، وَبِأَمِيرِ الْمُؤْمنينَ عَليَّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، ابْنِ

جوده ابتداءً من دون سابقة استحقاق ولا تقدّم استيهال.

والمراد بكرمه تعالى فيضان الخير عنه على كلّ من يستحقّه ويقبله بقدر مايقبله. شبّه فضله تعالى بالكريم، ثمّ أثبت له الكرم، ففيه استعارة مكنية مرشّحة، وانّما كان ذلك كرماً وفضلاً لمافيه من التعريض للثواب الدائم، والنفع القائم المقرون بالتعظيم والتبجيل.

والملكوت من الملك، زيدت التاء فيه، كما في رهبوت ورحموت وجبروت، والممكنات كلهاملك الله،والاضافات بثلا ثتهامن اضافة الصفة الى الموصوف.

وتودّدت أي: صرت مودوداً محبوباً الى خلقك باحسانك القديم، لأنّ المحسن محبوب عند من أحسن إليه، ومن هنا يقال: الانسان عبيد الاحسان.

قوله عليه السَّلام: وبأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السَّلام.

هذا من ألقابه المختصّة، خصّه النبيّ صلّى الله عليه وآله به لمّا قال سلّموا على عليّ عليه السَّلام بامرة المؤمنين. ولم يجوّز أصحابنا رضوان الله عليهم أن يطلق هذا اللفظ على غيره من الائمّة عليهم السَّلام، قالوا: انّه تفرّد بهذا التلقيب ولا يجوز أن يشاركه فيه غيره، ونعم ماقيل في هذا المعنى بالفارسية:

هست بى شك نام حق اطلاق كردن بربتان

بركسى غير تواطلاق أميرالمؤمنين

عَمِّ الرَّسُول وَبَعْلِ الْبَتُول، الَّذي فَرَضْتَ ولاَيَتَهُ عَلىٰ الْخَلْق، وَكَانَ يَدُورُ حَيْثُ دَارَ الْحَقُّ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، فَقَدْ جَعَلتُهُمْ وَسيلَتِي، وَقَدَّمتُهُمْ أَمَامِي وَبَيْنَ يَدَيْ حَوائجي، وَأَنْ تَغْفِرَ لي ذَنْبي، وَتُطَهِّرَ قَلْبي، وتَسْتُرَ عَيْبي، وَتُفَرِّجَ كَربي، وَتُبَلِّغَني مِنْ طاعَتِكَ وَعِبادَتِكَ أَمَلي، وَتَقْضِي لي حَوَائجِي للدُّنْيا وَالآخِرَة، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ.

قوله عليه السَّلام: فقد جعلتهم وسيلتي الى آخره.

لمّا كانت النفوس البشريّة في الأغلب منغمسة في العلائق البدنيّة الحاصلة بتدبير البدن، وتكميله مكدّرة بالكدورات الطبيعيّة الناشئة من القوّة الشهويّة والغضبيّة، وكان ذات المفيض عزّ اسمه في غاية التنزّه عنها، ولم يكن بينهما بذلك مناسبة موجبة لفيضان الفيض، وجب عليها في استفاضة الكمالات واستنجاح المطالب والحاجات من تلك الحضرة المتنزّهة التوسّل الى متوسّط، يكون ذا جهتي التجرّد والتعلّق، ليقبل ذلك المتوسّط الفيض منه بتلك الجهة الروحانيّة، وتقبل النفس منه بهذه الجهة الجسمانيّة التعلّقيّة، فذلك وقع منه التوسّل الى المؤيّد بالرئاستين مالك أزمّة الامور في الجهتين وإلى أتباعه الذين قاموا مقامه بأفضل الوسائل وأكمل الفضائل، أعني الصلاة عليه أصالة وعليهم تبعاً، تقديماً للوسيلة على طلب الحاجة.

وعن سيّدنا الصادق عليه السَّلام: لايزال الدعاء محجوباً حتّى يصلّىٰ على محمّد وآله[1].

وعنه عليه السَّلام: من دعا ولم يذكر النبيّ صلّى الله عليه وآله رفرف

---

(١) اصول الكافي ٢: ٤٩١، ح١.

ولك أن تجعل هذا الدعاء من جملة التعقيب، وليكن آخر ما تأتي به بعد الصلاة سجدة الشكر.

روى رئيس المحدّثين في الفقيه عن أبي عبدالله عليه السَّلام أنّه قال: سجدة الشكر واجبة على كلّ مسلم، تُتم بها صلاتك، وتُرضي بها ربك، وتعجب[1]

الدعاء على رأسه، فاذا ذكر النبي صلّى الله عليه وآله رفع الدعاء[2].

قوله: وليكن آخر ما تأتي به الى آخره.

أي: يستحبّ أن تكون هذه السجدة عقيب التعقيب، بحيث يجعل خاتمته.

قوله: سجدتا الشكر.

أي: الشكر على التوفيق على أدائها.

قوله: روى رئيس المحدّثين في الفقيه.

في الصحيح عن مرازم عنه عليه السَّلام. والمراد بالوجوب شدّة الاستحباب.

قوله في الحاشية: مرفوع ان فتحت ومضموم ان ضممت.

يعني: انّ صلاتك إمّا فاعل تتمّ، أو مفعوله، على أنّه من تمّ أو أتمّ، وكذا المعطوفان عليه. والخبر يدلّ على أنّ الانس محتجبون عن نظر الملائكة، وانّهم

---

(١) حرف المضارعة في الافعال الثلاثة يجوز فتحه وضمّه وما بعدها مرفوع ان فتحت، ومضموم ان ضممت (منه).

(٢) اصول الكافي ٢: ٤٩١، ح٢.

الملائكة منك . وإنّ العبد إذا صلّى ثم سجد سجدة الشكر، فتح الرب الحجاب بين العبد وبين الملائكة، فيقول: يا ملائكتي أنظروا إلى عبدي أدّى فرضي وأتمّ عهدي، ثمّ سجد لي شكراً على ما أنعمت بهِ عليه، ملائكتي ماذا له؟ فتقول الملائكة: ياربّنا رحمتك ، ثم يقول الربّ تعالى: ثم ماذا؟ فتقول الملائكة: ياربّنا جنتك ، فيقول الرب تعالى: ثمّ ماذا؟ فتقول الملائكة: ياربّنا كفاية مهمّه، فيقول الرب تعالى: ثمّ ماذا؟ فلا يبقى شيء من الخير إلّا قالته الملائكة، فيقول الله تعالى: يا ملائكتي ثمّ ماذا؟ فتقول الملائكة: ياربّنا لا علم لنا، فيقول الله تعالى: لأشكرنّه كما شكرني وأُقبل إليه بفضلي، وأُريه رحمتي[1].

ويستحب الإطالة فيها، فقد روى في الفقيه أيضاً: أن الكاظم عليه السّلام

لايطّلعون على أحوالهم الآ برفع الحجاب.

قوله: فلا يبقى شيء من الخير.

أي: الذي تعلمه الملائكة، والآ فشكره تعالى له واقباله إليه بفضله وإراءته له رحمته من أكمل أفراد الخير وأحسنها، فتأمّل.

قوله: وتستحبّ الاطالة فيها.

عن الفضل بن شاذان: دخلت العراق، فرأيت واحداً يعاتب صاحبه، ويقول له: أنت رجل عليك عيال وتحتاج أن تكتسب عليهم، وما آمن أن تذهب عيناك بطول سجودك ، قال: فلمّا أكثر عليه، قال: أكثرت عليّ ويحك لو ذهبت عين أحد من السجود لذهبت عين ابن أبي‌عمير، ماظنّك برجل سجد سجدة الشكر بعد صلاة الفجر، فما رفع رأسه الآ عند الزوال[2].

---

(١) من لايحضره الفقيه ١ :٣٣٣ - ٣٣٤.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٨٥٥، برقم: ١١٠٦.

كان يسجد بعدما يصلّي الصبح فلا يرفع رأسه[١] حتى يتعالى النهار[٢].[٣].

وهذا مثل الرواية المذكورة في الفقيه في أنّه كان لايرفع رأسه الّا عند كذا[٤]. ويدلّ على ماقال الشيخ في الحاشية من أنّه يقال سجدة الشكر بالافراد، ومثله مافي التهذيب[٥] عن يحيى بن عبدالرحمان، وما في الكافي عن عبدالله بن جندب[٦]، وسيأتيان بعيد ذلك إن شاءالله العزيز. والوجه فيها أيضاً ما أفاده ـقدّس سرّهـ في الحاشية.

ويمكن أن يقال: انّ المراد أنّه كان لايرفع رأسه، أي من السجدة الاولى الى الثانية الّا عند الزوال، أو حتّى يتعالى النهار، فاذا قرب الزوال أو تعالى النهار رفعه منها و وضع الخدّين، ثمّ عاد إلى الثانية، فالرفع المنفيّ المستمرّ الى كذا انّما هو بالنظر إلى السجدة الاولى، فلا دلالة فيها على وحدة السجدة، وعدم الفصل بينها وبين الثانية بوضع الخدّين حتّى يحتاج الى التوجيه والتأويل، فتأمّل.

قوله في الحاشية: بالنظر الى عدم رفع الرأس بينهما كأنّهما سجدة واحدة.

منقوض بقولهم سجدة السهو بالافراد، إذ لا يمكن أن يقال: انّ هذا بالنظر

---

(١) قد يظن دلالة هذه الرواية على أنه عليه السَّلام إنما أطال في السجدة الثانية وليس بشيء لأنه لما لم يكن بين سجدتي الشكر فصل برفع الرأس وإنما هو بوضع الخدين على الأرض صدق عدم رفع الرأس فتدبر (منه رحمه الله).

(٢) يقال سجدتا الشكر بالتثنية وسجدة الشكر بالافراد، والأول بالنظر إلى الفصل لوضع الخدين، والثاني بالنظر إلى عدم رفع الرأس بينهما، فكأنّهما سجدة واحدة، ولعلّ هذا هو المراد ممّا تضمّنته هذه الرواية من أنّه عليه السَّلام كان لايرفع رأسه بينهما حتّى يتعالى النهار (منه).

(٣)و(٤) من لايحضره الفقيه ١: ٣٣٢.

(٥) تهذيب الاحكام ٢: ٨٥.

(٦) فروع الكافي ٣: ٣٢٥، ح١٧.

وإذا سجدتهما تفرش ذراعيك، وتلصق صدرك وبطنك بالأرض، وتأتي بما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسند حسن عن أبي الحسن الماضي عليه السَّلام،

الى عدم رفع الرأس بينهما كأنّهما سجدة واحدة.

والظاهر أنّ قولهم سجد الشكر أو السهو بالافراد مبنيّ على ارادة الجنس، وليس هو مبنياً على عدم رفع الرأس بينهما، والّا لم يتحقّق التعدّد ورفع الرأس من السجدة الاولى من سجدتي الشكر، ليس بلازم أن ينتهي الى حدّ الاعتدال، بل يكفي فيه أقلّ ما يتحقّق به الرفع، بأن يرفع رأسه بقدر أن يضع الخدّين على التراب، وبه يتحقّق تعدّد سجود الشكر، لأنّ عوده إلى السجود بعد وضعه الخدّين على التراب سجوداً آخر.

قوله: واذا سجدتهما تفترش.

في التهذيب عن يحيى بن عبدالرحمان، قال: رأيت أباالحسن الثالث عليه السَّلام سجد سجدة الشكر، فافترش ذراعيه، وألصق صدره وبطنه، فسألته عن ذلك، فقال: كذا يجب[١]. والمراد به تأكّد الاستحباب.

وفي رواية أُخرى: فبسط ذراعيه وألصق جؤجؤه بالأرض في ثيابه[٢]. والجؤجؤ بضمّ الجيمين والهمز هو الصدر.

وروى ابن بابويه في الحسن عن الصادق عليه السَّلام: انّ العبد اذا سجد، فقال: ياربّ ياربّ حتّى ينقطع نفسه، قال له الربّ عزّوجلّ: لبّيك حاجتك[٣].

قوله: في الكافي بسند حسن.

بل صحيح عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن عبدالله بن جندب، قال:

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٨٥، ح٨٠.

(٢) تهذيب الاحكام ٢: ٨٥، ح٧٩.

(٣) من لايحضره الفقيه ١: ٣٣٣، ح٩٧٦.

فتقول في الأُولى:

اَللّهُمَّ إنّي أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ مَلائكَتَكَ، وَأَنْبِيَاءك وَرُسُلَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ(١) اللهُ رَبّي، وَالإِسْلاَمَ دِيني، وَمُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَبِيِّي، وَعَلِيّاً وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَعَلِيّاً وَمُحَمَّداً وَجَعْفَراً وَمُوسَى وَعَلِيّاً وَمُحَمَّداً وَعَلِيّاً وَالْحَسَنَ وَمُحَمَّداً سَلاَمُ اللهِ عَلَيْهِمْ(٢) ائمَّتِي، بِهِمْ أَتوَلَّى، وَمِنْ أَعْدائهم أَتبَرَّأ.

ثمّ تقول: اَللّهُمَّ إِنّي أَنشُدُكَ دَمَ الْمَظلُوم، ثَلاثَ مرّات. ثمّ تقول: اَللّهُمَّ إِنّي أَنشُدُكَ بإيوائكَ عَلىٰ نَفْسِكَ لأَوليَائكَ، لَتُظْفِرَنَّهُمْ بِعَدُوِّكَ

سألت أباالحسن الماضي عليه السّلام عمّا أقول في سجدة الشكر فقد اختلف أصحابنا فيه، فقال: قل وأنت ساجد اللهمّ انّي الدعاء(٣).

قوله عليه السّلام: ومحمّداً سلام الله عليهم ائمّتي.

هذا أيضاً صريح في أنّ التصريح باسمه عليه السّلام ممّا لاحرمة فيه ولا كراهة، وقد مرّ مثله في دعاء الاعتقاد المرويّ عن الكاظم والرضا عليهما السّلام، وقد ذكرنا هنالك خلاف أصحابنا فيه، فارجع إليه.

قوله عليه السّلام: لتظفرنّهم بعدوّك وعدوّهم.

أيّ عدوّ كان وذلك عند ظهور دولتهم وملكهم وخلافتهم وتمكّنهم في الأَرض في أيّام صاحب الأمر صلوات الله عليهم، وانّما أضافه إلى جميعهم: إمّا

---

(١) أنك أنت الله: خ، بأنك الله: خ ل.

(٢) أجمعين: خ.

(٣) فروع الكافي ٣: ٣٢٥، ح١٧.

وَعَدُوِّهِمْ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَعلى الْمُسْتَحْفِظِينَ مِنْ آل مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. ثمّ تقول: اَللّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ الْيُسْرَ بَعْدَ الْعُسْر، ثلاث مرّات. ثم تضع خدّك الأيمن على الأرض وتقول: يَا كَهفِي حِينَ تُعيِينِي[1] الْمَذَاهِبُ، وتَضِيقُ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، يَا بَارِىء خَلْقِي

لأنّ كلّهم عليهم السّلام يرجعون إلى الدنيا ويظفرون بعدوّهم، كما قال سيّدنا أميرالمؤمنين سلام الله عليه: لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها، ثمّ تلا «ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم ائمّة ونجعلهم الوارثين»[2].

أو لأنّ دولته عليه السّلام دولتهم وكلمته كلمتهم، فالمنسوب إلى بعضهم منسوب إلى كلّهم، كما قال ابن عبّاس في قوله تعالى «فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً»[3] انّ الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان، وانّما نسبه الى عامّتهم لأنّ تشريف البعض تشريف للكلّ.

وانّما حملناه على ذلك لأنّ ظفرهم على عدوّهم على الاطلاق لم يتحقّق بعد، فهو منتظر لأنّ الله وعدهم بذلك ولا يخلف الله وعده، كما قال «وعدالله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منكم ليستخلفنّكم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئاً»[4] فتكون هذه الآية بشارة لهم بالاستخلاف

---

(١) تعنّيني: خ ل.

(٢) نهج البلاغة: ٥٠٦، ح٢٠٩. والآية في سورة القصص:٥.

(٣) سورة النساء: ٥٤.

(٤) سورة النور: ٥٥.

رَحْمَة بِي وَكَانَ عَنْ خَلْقِي غَنِيّاً، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ الْمُسْتَحْفِظِينَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ.

ثمّ تضع خدّك الأيسر، فتقول ثلاث مرّات: يَا مُذِلَّ كُلِّ جَبَّارٍ، وَيَا مُعِزَّ كُلِّ ذَلِيلٍ، قَدْ وَعِزَّتِكَ بَلَغَ بِي مَجْهودي. ثمّ تقول ثلاث مرّات: يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ، يَا كاشِفَ الْكُرَبِ الْعِظَامِ. ثمّ تأتي بالسجدة الثانية، فتقول فيها مائة مرّة: شُكْراً شُكْراً، ثمّ تسأل حاجتك[1].

وعنه عليه السَّلام: أنّه كان يقول في سجدَتي[2] الشكر بصوت حزين ودموعه تجري: عَصيتُكَ رَبِّ بِلِسَانِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لأَخْرَسْتَنِي، وَعَصَيْتُكَ بِبَصَري وَلَوْ شِئْتَ وعِزَّتِكَ لأَكْمَهْتَنِي، وَعَصَيْتُكَ بِسَمْعِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لأَصْمَمْتَنِي، وَعَصَيْتُكَ بِيَدِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لَكَنَعْتَنِي، وَعَصَيْتُكَ بِرِجْلِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لَجَذَمْتَنِي، وَعَصَيْتُكَ بِفَرْجِي وَلَوْ شِئْتَ

والتمكّن في البلاد وارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي منهم سلام الله عليهم.

قوله عليه السَّلام: عصيتك بفرجي ولو شئت وعزّتك لعقمتني.

فان قلت: كان المناسب أن يقول لعنّنتني، فانّ العنّين من لايأتي النساء عجزاً ولايريدهن، فالمانع من الزنا هو العنّة لا العقم.

قلت: بل المناسب ماقاله عليه السَّلام، لأنّ من البيّن أنّ هذا الكلام منه عليه السَّلام تأديب للرعيّة، وتعليم لهم كيفيّة الاقرار والاعتراف بالتقصير

---

(١) فروع الكافي ٣: ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

(٢) سجدة: خ ل.

....

والذنوب، والاستغفار عنها والتوبة منها، والّا فهو معصوم بريء من الكبائر والصغائر، فضلاً عن الزنا والعنّة كما عرفت مختصّة بالرجال، فلا يصحّ للنساء أن يقلن في سجودهن هذه الكلمة، بخلاف العقم فانّه مشترك بين الرجال والنساء جميعاً، فيصحّ أن يقوله كلّهم في السجود.

ويؤيّد ما قلناه أنّه عليه السّلام قال: عصيتك بفرجي، ولم يقل بذكري أو قضيبي ونحوهما ممّا يختصّ بالرجال، بل بالفرج المشترك بين الرجال والنساء الشامل للقبل والدبر، ليصحّ أن يقوله كلّهم في السجود.

وفي نهاية ابن الأثير: الفرج مابين الرجلين، وبه سمّي فرج المرأة والرجل، لأنّهما بين الرجلين[1].

فمن عصى الله تعالى بقبله أو دبره أو هما معاً يصحّ له أن يقول: ربّ عصيتك بفرجي ولو شئت وعزّتك لعقمتني. والمراد أنّك لو شئت لأيبست مفاصلي وآلات زنائي ولواطي، وصيّرتها مشدودة على وجه لا أقدر عليها، ولكنّك لم تفعل ذلك بي لفضل رحمتك، ولئلا يبطل التكليف والثواب والعقاب، ولذلك أتى بكلمة «لو» ليشير الى امتناع تعلّق تلك المشيئة، فدلّ على أنّ للعبد قدرة مؤثّرة، وانّ الله قادر على صرفه عن المعصية. ففيه دلالة على بطلان مذهبي الجبر والتفويض، فتأمّل.

قال الفيروزآبادي: عُقمت مفاصله كعُنيَ يبست[2].

وقال ابن الأثير: في حديث ابن مسعود «انّ الله يظهر للناس يوم القيامة فيخرّ المسلمون للسجود وتعقم أصلاب المنافقين فلا يسجدون» أي: تيبس

---

(١) نهاية ابن الأثير ٣: ٤٢٣.

(٢) القاموس المحيط ٤: ١٥٤.

وَعِزَّتِكَ لَعَقَمْتَنِي، وَعَصَيْتُكَ بِجَمِيعِ جَوَارِحِي الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ،

مفاصلهم وتصير مشدودة[١] انتهى.

واعلم أنّ العصيان بالفرج كما يكون بالزنا واللواط والمساحقة، يكون بعدم حفظه عن نظر غير المحارم، كما ورد في صحيح الخبر عن الصادق عليه السَّلام في قوله تعالى «قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم»[٢] قال عليه السَّلام: كلّما كان في كتاب الله عزّوجلّ من ذكر حفظ الفروج فهو من الزنا، الاّ في هذا الموضع، فانّه للحفظ من أن ينظر إليه[٣].

ولكن المراد بالعصيان به هنا الثلاثة الأُول، بقرينة ذكر العقم، ولعلّ التخصيص لكونها أقبح وأفحش، فكانت التوبة منها أهمّ وأولى، فدلّ على جواز التوبة من بعض الذنوب دون بعض، فتأمّل.

قوله: وعزّتك لعقمتني.

لعلّه أراد بالعقم العنّة وعدم القدرة على الايلاج وادخال الفرج في الفرج، والاّ فالعقيم من لايولد، وهذا لا ينافي العصيان بالفرج، فتأمّل.

قوله عليه السَّلام: وعصيتك بجميع جوارحي.

تعميم بعد تخصيص، ولعلّ المراد بعصيان الجوارح عدم صرفها مصارفها، فانّ لكلّ جارحة فرضاً ومصرفاً، كصرف البصر إلى مصنوعاته تعالى، والسمع الى تلقّي ماينبئ عن مرضاته، والاجتناب عن منهيّاته وهكذا.

قال سيّدنا أمير المؤمنين عليه السَّلام في وصيّته لابنه محمّد بن الحنفيّة:

---

(١) نهاية ابن الأثير ٣: ٢٨٢.

(٢) سورة النور: ٣٠.

(٣) اصول الكافي ٢: ٣٦، مع اختلاف يسير.

....

يـابـنـيّ لا تقل ما لا تـعـلـم، بـل لا تقل كلّ مـا تـعـلم، فانّ الله قد فرض على جوارحك كـلّهـا فرائض يحتجّ بها عـليك يـوم القـيامة ويسألك عنهـا، وذكّرها ووعظها وحـذّرها وأدّبها ولم يتـركها سـدى، فقال: «ولا تقـف ماليس لـك به علم إنّ السمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولاً» وقال: «إذ تلقّونه بألسنتكـم وتقولون بافواهكـم ماليس لكم به علم وتحسبونه هيّناً وهو عند الله عظيم».

ثمّ استعبدها بطـاعته، فقال: «ياأيّها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربّكـم وافعلـوا الخير لعلّكم تـفلحون» فهـذه فريضة جامعـة واجبة على الجوارح، وقال: «وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مـع الله أحداً» يعني بالمساجد الوجه واليدين والركـبتين وابهـاميّ الـرجلين، وقال «ومـا كنتم تستـتـرون أن يشـهد عـليـكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم» يعني بالجلود الفروج.

ثمّ خصّ كلّ جارحة من جوارحك بفرض ونصّ عليها، ففرض على السمع أن لا تصـغي به الى المـعاصي، فـقـال: «وقد نزّل عـليكـم في الـكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكـفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتّى يخوضوا في حديث غيـره انكم إذاً مثلـهم» وقـال: «وإذا رأيت الذين يخوضـون في آياتـنا فأعرض عنهـم حتّى يخوضوا في حديـث غـيره» ثمّ استثنى موضـع الـنسيان فقال «وإمّا ينسينّك الشيطان فلا تقعـد بعد الذكرى مع القوم الظالمين» وقال «فبشّر عباد الذين يستـمعون الـقول فيتّـبعون أحسـنه أُولئك الذين هداهـم الله وأُولئك هم أُولوا الالباب» وقال «واذا مرّوا بالـلغو مرّوا كراماً» وقال «والـذين إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه» فهذا مافرض الله على السمع وهو عمله.

وفرض على البصر أن لا ينظر به الى ماحرّم الله عليه، فقال: «قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم» فحرّم أن ينظر أحد الى فرج غيره.

وَلَيْسَ هذا جَزاؤُكَ مِنِّي.

وفرض على اللسان الاقرار، والتعبير عن القلب بما عقد عليه، فقال «قولوا آمنّا بالله وما أُنزل الينا» الآية «وقولوا للناس حسناً».

وفرض على القلب، وهو أمير الجوارح الذي به تعقل وتفهم وتصدر عن أمره ورأيه، فقال «إلّا من أُكره وقلبه مطمئنّ بالايمان» الآية وقال حين أخبر عن قوم أُعطوا الايمان بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، فقال «الذين قالوا آمنّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» وقال «ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب» وقال «وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء».

وفرض على اليدين أن لا تمدّهما الى ماحرّم الله عليك وأن تستعملهما بطاعته، فقال «ياأيّها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا» الآية، وقال «فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب».

وفرض على الرجلين أن تنقلهما في طاعته، وأن لا تمشي بهما مشية عاص، فقال «ولا تمش في الأرض مرحاً انّك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كلّ ذلك كان سيّئه عند ربّك مكروهاً» وقال «اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» فأخبر عنها أنّها تشهد على صاحبها يوم القيامة، فهذا مافرض الله على جوارحك، فاتّق الله يابنيّ واستعملها بطاعته ورضوانه، وإيّاك أن يراك الله عزّ ذكره عند معصيته أو يفقدك عند طاعته فتكون من الخاسرين[١].

قوله: وليس هذا جزاؤك منّي.

لأنّ انعامه تعالى بها عليه احسان، وهل جزاء الاحسان الّا الاحسان.

---

(١) من لايحضره الفقيه ٢: ٦٢٦ ـ ٦٢٨.

ثمّ يقول: العفوَ العفوَ ألف مرّة، ثمّ يلصق خدّه الأيمن بالأرض، ويقول ثلاث مرّات بصوت حزين: بُؤتُ إلَيْكَ بذَنْبي، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبي فإنَّهُ لاَ يَغفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ مَوْلاَيَ.

ثمّ يلصق خدّه الأيسر بالأرض، ويقول ثلاث مرّات:
إرْحَمْ مَنْ أَساء واقْتَرَفَ، وَاسْتَكَانَ واعْتَرَفَ[١].

وتقول إذا رفعت رأسك من سجدتي الشكر: اَللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا

قوله: اللهمّ لك الحمد كما خلقتني الى آخره.

الكاف للتعليل و«ما» مصدريّة، أي: لاجل خلقك ايّاي، نظيره قوله تعالى «وقل ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً»[٢] قال أبو حيّان: الظاهر أنّها للتعليل وصل بما المصدريّة، نحو «كما أرسلنا فيكم»[٣] الآية. قال الأخفش: أي لأجل ارسالي فيكم رسولاً منكم فاذكروني، وهو ظاهر في قوله تعالى «واذكروه كما هداكم»[٤].

وقوله «وأعنّي على أهوال الدنيا» أي: شدائدها وأخاويفها جمع هول، وهو الخوف والرعب والأمر الشديد.

والنكبة بالفتح مايصيب الانسان من الحوادث.

وقوله «فاخلفني» أي: كن خليفة لي. ومنه الدعاء للميت: اخلف على عقبه في الغابرين، أي: كن خليفة لهم بعده.

---

(١) فروع الكافي ٣:٣٢٦، ح١٩.

(٢) سورة الاسراء: ٢٤.

(٣) سورة البقرة: ١٥١.

(٤) سورة البقرة: ١٩٨.

....

وقوله «وعظّمني» أي: اجعلني عظيماً، والعظم في صفات الأجسام كبر الطول والعرض والعمق، والمراد به هنا الجلالة والرفعة والقدر، فهو منصرف إلى عظم الشأن وجلالة القدر، وانّما طلب ذلك منه تعالى لأنّه يعزّ من يشاء وبيده الخير، وهو على كلّ شيء قدير. وقد ورد في كلام بعض الصادقين: اللهمّ انّك إن رفعتني فمن ذا الذي يضعني، وإن وضعتني فمن ذا الذي يرفعني. وجاء في بعض الآثار: انّ الله يقسّم الثناء كما يقسّم الرزق.

والمراد بالنور العدل، وبالوجه الذات، وبالظلمة الجور، وقد شاع فيهم تشبيه العدل بالنور والجور بالظلمة حتّى يخيّل أنّ الأوّل ممّا له بياض واشراق، والثاني ممّا له سواد واظلام، ولذلك يقولون للملك العادل: أشرقت الآفاق بعدلك، وأضاءت الدنيا بقسطك، كما يقولون: أظلمت البلاد بجور فلان. وفي الحديث: الظلم ظلمات يوم القيامة[1].

وقوله «لك الحمد حتى ترضى» جملة منقطعة ممّا قبلها لفظاً، مستأنفة استئنافاً نحويّاً، و«حتّى» للغاية، أي: الى أن تقول رضيت، ولمّا كانت الغاية تستلزم الانتهاء، لأنّ كلّ شيء إذا بلغ غايته انتهى ووقف عندها لم يرض بذلك، بل قال بعد الرضا ليكون الحمد له جارياً مستمرّاً أبداً لايقف عند حدّ، ولا ينتهي عند غاية.

وانّما ختم الدعاء بـ«لاحول ولا قوّة الّا بالله» اظهاراً للفقر الى الله بطلب المعونة منه في جميع الأُمور وابراز العجز للبشر بسلب القوّة والحركة في الطاعات والخيرات وصرف الشرور والسيّئات عنهم، واثباتها له تعالى توقيراً وتعظيماً ودلالة على التوحيد الخفيّ، لأنّ من نفى الحيلة والحركة والقوّة والاستطاعة عن

(١) كنزالعمال ٣: ٥٠٥، برقم: ٧٦٣٧.

خَلَقْتَنِي وَلَمْ أَكُ[١] شَيْئاً مَذكُوراً، رَبِّ أَعِنِّي عَلَىٰ أَهوَال الدُّنْيا، وَبَوَائِق الدَّهْر، وَنَكَبَاتِ الزَّمَانِ، وَمُصيباتِ اللَّيَالِي وَالأَيَّام، واكْفِنِي شَرَّ مَا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ فِي الأَرْضِ، وَفِي سَفَري فَاصْحَبْنَي، وَفِي أَهْلِي فَاخلُفْنِي، وَفِيما رَزَقتَنِي فَبَارِكْ لي، وَفِي نَفْسِي لَكَ فَذَلِّلْنِي، وَفِي أَعيُنِ النَّاسِ فَعظِّمْنِي، وَإلَيْكَ فَحبِّبْنِي، وَبذُنُوبِي فلا تَفْضَحْنِي، وَبعَمَلِي فَلاَ تُبْسِلْنِي، وَبسَريرَتي فَلاَ تُخْزني، وَمِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَالْإنْسِ

غيره تعالى، وأثبتها له على الحصر الحقيقي، وبيّنه أنّه بإيجاده واستعانته وتوفيقه، لزمه القول بأنّه لم يخرج شيء من ملكه وملكوته، وانّه لا شريك له تحقيقاً لمعنى الحصر.

قوله في الحاشية: فلا دليل في قوله هل أتى الى آخره.

بل يظهر من بعض الأخبار أنّ فيه دلالة على أنّ المعدوم كان شيئاً معلوماً وإن لم يكن مذكوراً، في رواية عبدالله بن بكير عن زرارة، قال: سألت أباجعفر عليه السَّلام عن قوله «لم يكن شيئاً مذكوراً»[٢] قال: كان شيئاً ولم يكن مذكوراً[٣].

وعنه عليه السَّلام: كان مذكوراً في العلم ولم يكن مذكوراً في الخلق[٤].

وعن حمران بن أعين، قال: سألته عنه، فقال: كان شيئاً مقدوراً ولم يكن مذكوراً.

---

(١) لما كان النفي راجعاً إلى القيد، فالمراد والله أعلم أنّي كنت نسياً منسيّاً، عنصراً أو نطفة مثلاً، فلا دليل في قوله تعالى: «هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً» على أن المعدوم ليس شيئاً (منه رحمه الله).

(٢) سورة الانسان: ١.

(٣) و (٤) مجمع البيان ٥: ٤٠٦.

فَسَلِّمْنِي، وَلِمَحَاسِنِ الأَخْلاَقِ فَوفِّقْنِي، وَمِنْ مَسَاوِىءِ الإخْلاَفِ فَجَنِّبْنِي، إلى مَنْ تَكِلُنِي يَا رَبِّ(١) الْمُسْتَضْعَفِينَ وأَنْتَ رَبِّي، إلى عَدُوٍّ مَلَّكتَهُ أَمْرِي، أَمْ إلى بَعِيدٍ فَيَتَجهَّمُنِي، فَإنْ لَمْ تكُنْ غَضبْتَ عَلَيَّ يَا رَبِّ فَلاَ أُبالِي، غَيْرَ أَنَّ عافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي وَأَحَبُّ إلَيَّ، أَعُوذُ بنُورِ وَجْهكَ الَّذي أَشرَقَتْ بِهِ السَّماواتُ وَالأَرْضُ، وكُشِفَتْ بِهِ الظُّلمَةُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمرُ الأَوَّلينَ والآخِرينَ، منْ أَنْ يَحِلَّ عَليَّ غَضَبُكَ، وَينْزلَ بِي سَخَطُكَ، لَكَ الْحَمْدُ حتَّى تَرْضى وَبَعْدَ الرِّضا، وَلاَ حوْلَ وَلاَ قُوَّة إلَّا بِكَ.

قوله عليه السَّلام: ولمحاسن الأخلاق فوفّقني.

اختلفوا في الخلق، فقيل: هو غريزيّ من جنس الخلقة، لايستطاع تغييره، خيراً كان أو شرّاً، كما قال:

وما هذه الأخلاق الّا غرائز ... فمنهنّ محمود و منها مذمّم

ولن يستطيع الدهر تغيير خلقه ... ليتم و لا يستطيعه متكرّم

ويدلّ عليه قوله صلّى الله عليه وآله: من آتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً فليشكر الله. ومحال أن يمكن للمخلوق تغيير فعل الخالق، فالتكليف بتهذيب الأخلاق تكليف بما لايطاق. وقيل: بل هو كسبيّ لقوله صلّى الله عليه وآله: «حسّنوا أخلاقكم» فلو لم يكن كسبيّاً لما أمر به، ولأنّا نرى كثيراً من الناس يزاولون ويمارسون خلقاً من الأخلاق حتّى يصير ملكة.

وقيل: الحق أنّ أصله غريزيّ وتمامه مكتسب. وبيانه: انّ الله تعالى خلق الأشياء على ضربين: بالفعل ولم يجعل للعبد فيه عملاً، كالسماء والأرض والهيئة. وبالقوّة وهو ماخلقه خلقاً ما وجعل فيه قوّة رشّح الانسان لاكماله

---

(١) يا إلّه: خ ل.

....

وتغيير حاله، وإن لم يرشّحه لتغيير ذاته، كالنوىٰ الذي جعل فيه قوّة النخل، وسهّل للانسان سبيلاً أن يجعله بعون الله نخلاً وأن يفسده افساداً.

قال: والخلق من الانسان يجري هذا المجرى في أنّه لاسبيل له الى تغييره القوّة التي هي السجيّة والغريزة، وجعل له سبيلاً الى اسلاسها، ولهذا قال تعالى «وقد خاب من دسّاها»(١) ولولم يكن كذلك لبطلت فائدة المواعظ والوصايا والوعد والوعيد والأمر والنهي.

ولمّا جوّز العقل أن يقال للعبد لم فعلت؟ ولم تركت؟ وكيف يكون هذا في الانسان ممتنعاً؟ وقد وجدناه في بعض البهائم ممكناً، فالوحشيّ قد ينقل بالعادة الى التأنّس، والجامح الى السلاسة، لكنّ الناس في غرائزهم مختلفون، فبعضهم جبل جبلّة سريعة القبول، وبعضهم بطيئة القبول، وبعضهم في الوسط، وكلّ لاينفكّ من أثر قبول وإن قلّ، ومن هنا ماورد في الأدعية من طلب التوفيق لمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وفي الأحاديث من الأمر بها والحثّ عليها.

وقيل: أرى أنّ من منع من تغيير الخلق، فانّه اعتبر القوّة نفسها، وهذا صحيح، فانّ النوى محال أن ينبت الانسان منه تفّاحاً، ومن أجاز تغييره فانّه اعتبر اظهار ما في القوّة الى الوجود، وامكان افساده باهماله نحو النوى، فانّه ان يتفقّد فيجعل نخلاً، وأن يترك مهملاً حتّى يفسد، وهذا أيضاً صحيح، فإذن اختلافهما بحسب اختلاف نظريّهما.

وهذا الدعاء كما ترى صريح الدلالة على امكان تغييره واسلاسه، ولكن بفضل الله وحسن توفيقه، كما قال الله تعالى «فبما رحمة من الله لنت لهم»(٢) والله الموفّق والمعين.

---

(١) سورة الشمس: ١٠.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

توضيح:

«رب الظلام والفلق» المراد بالفلق النور «والليل وما وسق» أي: جمع وستر «والقمر إذا اتّسق» أي: اجتمع وتمَّ وصار بدراً.

«وكان يدور حيث دار الحق» المضارع عامل في الحقّ، وضمير الماضي عائد إليه عليه السَّلام لينطبق على قول النبي صلَّى الله عليه وآله: اللّهُمَّ أدر

قوله: وضمير الماضي عائد اليه عليه السَّلام.

فيه من التكلّف ما لايخفى، فانّ ضمير «كان» عائد اليه عليه السَّلام، فلو كان ضمير الماضي وهو دار أيضاً عائداً إليه، وكان المضارع وهو يدور عاملاً في الحقّ، لكان من الواجب أن يقال: وكان حيث دار يدور الحقّ، فانّه مع سلاسته حيث جمع فيه بين دار ويدور، وسلامته عن الانتشار الموجب لتشويش الذهن، كان منطبقاً على قوله صلّى الله عليه وآله من غير تكلّف، مع مافيه من رعاية الفواصل من دون تأخير الفاعل، كما هو الأصل.

وبالجملة تأخير الفاعل وإن كان له باعث على هذا الفرض، ولكن تقديم الفعل لاباعث له أصلاً، فلم قدّم وأفحم الأجنبيّ بينه وبين الفاعل والأصل خلافه، حتّى صار هذا كلاماً مشوّشاً مصروفاً عن وجهه. ولو جاز مثل هذا التكلّف في مثل هذا الكلام، لجاز أن يقال انّه من باب القلب، كقولهم عرضت الناقة على الحوض، بعد جعل الجملة حاليّة كما سيأتي. أي: وقد كان الحقّ يدور حيث دار أمير المؤمنين عليه السَّلام، بل هذا أولى منه وأقلّ تكلّفاً. فتأمّل.

والأولى ترك أمثال هذا التكلّف وحمل الكلام على ظاهره، فانّ تطبيقه على قوله صلّى الله عليه وآله غير لازم، مع أنّ مؤدّاهما واحد؛ لأنّ الحقّ اذا كان

الحقّ معه كيف ما دار. ولعلّ تأخير الفاعل لرعاية الفواصل، كما قال سبحانه «فأوجس في نفسه خيفة موسى»[١].

«أنشدك دم المظلوم» أنشد على وزن أقعد، يقال نشدت فلاناً وأنشده أي: قلت له نشدتك الله[٢] أي: سألتك بالله، والمراد هنا أسألك بحقك أن تأخذ بدم المظلوم أعني: الحسين بن علي عليهما السّلام، وتنتقم من قاتليه، ومن الأولين الذين أسّسوا أساس الظلم والجور عليه وعلى أبيه وأخيه سلام الله عليهم أجمعين.

معه كان هو أيضاً مع الحقّ، فانّ المَعَيْن متلازمان.

نعم بينهما فرق في التابعيّة والمتبوعيّة؛ إذ الحقّ إذا كان دائراً معه كان هو متبوعاً وأُسوة للحقّ، وهذا أبلغ في مدحه، وآكد في حقيّته، لدلالته على أنّه بلغ في رشده وهدايته حيث يتبعه الحقّ ويدور معه حيث دار، وهذا نهاية غاية التمدّح، فكلام النبيّ صلّى الله عليه وآله أبلغ.

وانّما لم يقل حيث دار، كما في هذا الدعاء، لأنّ كيف دار أبلغ، وذلك أنّ كيف هنا في محلّ النصب على التشبيه بالحال، أو الظرف أي أدر الحقّ معه على أيّ حال وصفة، أو في أيّ حال وصفة دار، وهذا أعمّ وأفيد من قوله في أيّ مكان دار.

وفيه دلالة على عصمته عليه السّلام، لأنّ دعوة النبيّ صلّى الله عليه وآله مستجابة، فاذا كان الحقّ معه في جميع أحواله، فمحال أن يصدر منه مايخالفه، ولا يعنى بالعصمة الّا هذا.

---

(١) سورة طه: ٦٧.

(٢) أنشدك الله: خ.

«بإيوائك على نفسك» الإيواء بالياء المثنّاة التحتانيّة وآخره ألف ممدودة: العهد.

«وعلى المستحفظين»(١) يقرأ بالبناء للفاعل والمفعول معاً، أي: استحفظوا الإمامة، أي: حفظوها، أو استحفظهم الله إيّاها.

«يا كهفي حين تعييني المذاهب» أي: يا ملجئي حين تتعبني مسالكي إلى الخلق وتردداتي إليهم «وتعييني» بياءين مثنّاتين من تحت، أو بنونين أوّلهما(٢) مشدّدة وبينهما ياء مثنّاة تحتانيّة.

«وتضيق عليّ الأرض بما رحبت» أي: بسعتها وما مصدرية. والرحب: السعة.

ثمّ الأحسن أن يحمل قوله «وكان يدور حيث دار» على الحاليّة بتقدير «قد» ليكون كالعلّة لما سبقه من فرض ولايته، فضلاً عن فرض طاعته على الخلق، لأنّه حينئذٍ من قبيل تعليق الشيء على الوصف ليشعر بعليّته له، تأمّل تعرف.

قوله: بايوائك على نفسك.

أصله اعوائك قلبت الهمزة ياءاً، وأوىٰ وآوىٰ بمعنى، يقال: اَويت المنزل واليه واَوّيت غيري وآويته أنزلته، والظاهر أنّه مقلوب آيائك.

قال ابن الأثير في النهاية: وفي حديث وهب «انّ الله تعالى قال اني أويت

---

(١) روى ثقة الإسلام الكليني في الكافي عن أبي عبدالله عليه السّلام: وإنّما سمّاهم الله عزّوجلّ المستحفظين، لأنّهم استُحفظوا الاسم الأكبر، وهو الكتاب الذي يعلم به علم كل شيء الذي كان مع الأنبياء صلوات الله عليهم (منه).

(٢) أولاهما: خ ل.

«ولو شئت وعزّتك لأكمهتني» أي: لأعميتني، والأكمه: الذي وُلد أعمى.

«لكنعتني» بالنون والعين المهملة، أي: لقبضت أصابعي.

«لجذمتني» بالجيم والذال المعجمة، أي: لقطعت رجلي.

فإن قيل: كيف يصدر عن المعصوم مثل هذا الدعاء؟ قلنا: إنّ[١] الأنبياء والائمة سلام الله عليهم لما كانت أوقاتهم مستغرقة في ذكر الله، وقلوبهم مشغولة

على نفسي أن أذكر من ذكرني» قال القتيبي: هذا غلط الآ أن يكون من المقلوب، والصحيح وأيت من الوأي الوعد، يقول جعلته وعداً على نفسي[٢].

قوله: لكنعتني.

الأكنع الأشل، وقد كنعت أصابعه كنعاً إذا تشنّجت ويبست، والمكنع الذي قطعت يداه.

قوله: قلنا انّ الأنبياء والائمّة عليهم السَّلام.

أصل هذا الجواب من صاحب كتاب كشف الغمّة بهاء الدين بن عيسى الأربلي. ويمكن أن يجاب بأنّ التكاليف الشرعيّة لمّا كانت بحسب مراتب العقل ضعفاً وقوّة، ونظر جلّ وعزّ الى أضعف خلقه عقلاً، فشرع له من التكاليف مايحتمله عقله، لئلا يلزم تكليف ما لايطاق.

ثمّ سوّى بينه وبين أقوى الأقوياء عقلاً أو فهماً في هذه التكاليف، ليكون قواعد الشرع كليّة مصونة عن تطرّق الخلل، فالأنبياء ومن يحذو حذوهم لمّا

---

(١) قلت لأن: خ ل.

(٢) نهاية ابن الأثير ١: ٨٢ - ٨٣.

به جلّ شأنه، فكانوا إذا اشتغلوا بلوازم البشرية من الأكل والشرب والنكاح وسائر المباحات، عدّوا ذلك ذنباً وتقصيراً، كما أنّ الذين يجالسون الملك لو

علموا أنّ جلّ تكاليفهم بل كلّها انّما خفّف فيها لأجل ضعف الشركاء، لم يرضوا بأداء تلك التكاليف من أنفسهم، بل وضعوا أنفسهم مواضع التكاليف التي كانوا أحقّاء بها في ذواتهم، ثمّ حاولوا أداء ما كان ينبغي أن يكلّفوا به لو لم يضمّوا مع الضعفاء.

ولمّا كانت التفاوت بين عقولهم وعقول الضعفاء بمراتب لا يخفى، كان تكليفهم الذي يليق بهم فوق هذا التكليف بتلك المراتب. فحينئذٍ لا يبعد أن يقع منهم تقصير ما في تكاليفهم، كما تقع منّا تقصيرات كثيرة في تكاليفنا.

ولا يستبعد أيضاً أن يحدث ما يقع منهم من التقصير حجاباً بين قلوبهم المقدّسة وبين ربّهم، حتّى يحتاجوا الى التوبة والاستغفار، كما يشير اليه قوله «ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله سبعين مرّة» أي: لرفع هذا الغين كما دلّ عليه السياق.

فظهر أن تماديهم في العجز والاستغفار والنوح والبكاء مع عصمتهم وعدم ارتكابهم معصية حقيقة، وتقصيرهم فيما كلّف الله به أضعف عباده ممّا لا يستبعد، لأنّهم وإن لم يرتكبوا ما هو معصية حقيقة، فلعلّهم يرتكبون ما هو بمنزلة المعصية في حقّهم، وهذا معنى قول الأكابر: حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين.

قوله: عدّوا ذلك ذنباً وتقصيراً.

ذنوبهم غفلتهم عن الله ولو بطرفة عين، والتفاتهم عنه إلى غيره، وتوبتهم رجوعهم عمّا سواه إليه.

اشتغلوا وقت مجالسته وملاحظته بالالتفات إلى غيره لعدُّوا ذلك ذنباً وتقصيراً واعتذروا منه.

وعلى هذا يحمل مارواه ثقة الإسلام في الكافي عن الصادق عليه السَّلام: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله عزّوجلّ في كل يوم سبعين مرّة[(١)].

وكذا مارواه العامّة في صِحاحهم أنّه صلَّى الله عليه وآله قال: إنّه لَيُغان[(٢)] على قلبي، وإنّي لأستغفر بالنهار سبعين مرّة[(٣)].

«بؤت إليك بذنبي» بالباء الموحّدة المضمومة والهمزة وآخره تاء مثنّاة، أي: أقررت.

وربّما يحمل ذلك على تأديبهم الرعيّة وتعليمهم إيّاهم كيفيّة الاقرار بالتقصير والذنوب والاستغفار عنها والتوبة منها، أو على التواضع والاعتراف بالعبوديّة، وانّ البشر في مظنّة المعصية، وليسوا كالملائكة الذين لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون، وله مؤيّد من طريق الخبر أوردناه في تعليقاتنا على الأربعين، فليطلب من هناك.

قوله: بؤت اليك بذنبي.

باء بذنبه يبوء بوءاً احتمله. وقيل: اعترف به. وقيل: ثقل به. وقيل: رجع

---

(١) اصول الكافي ٢:٤٣٨، ح٤.

(٢) نقل البيضاوي في شرح المصابيح أنّه سئل الأصمعي عن معنى قوله صلّى الله عليه وآله: (ليُغان على قلبي)، فقال: هذا قلب من؟ فقالوا: قلب رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال: لو كان قلبُ غيره لَفسّرته، وأمّا قلبه صلّى الله عليه وآله فلا أجترىء على تفسيره (منه).

(٣) نهاية ابن الأثير ٣:٤٠٣.

«و بوائق الدهر» مصائبه.

«و بعملي فلا تبسلني» بالباء الموحدة والسين المهملة، أي: لا تؤدّني إلى الهلاك ، ومنه قوله تعالى: «أن تبسل نفس بما كسبت»[١].

«أم إلى بعيد فيتجهّمني» أي: يعبس وجهه إذا واجهني.

به «وباؤا بغضب»[٢] أي: رجعوا، وباء بحقّه أقرّ، والشيخ ـ قدّس سرّه ـ أشار إليه، ولكنّ الأنسب بلفظ «الى» هو الرجوع لا الاقرار، فتأمّل.

قوله: وبوائق الدهر.

بوائق الدهر غوائله وشروره ونوازله وحوادثه ونوائبه، واحدتها بائقة، وهي الداهية. وفي الحديث: لا يدخل الجنّة من لايأمن جاره بوائقه[٣].

ومن كلامهم: ينام عن الحقائق ويستيقظ للبوائق.

والدهر اسم للزمان الطويل ومدّة الحياة الدنيا، ومنه قولهم «ماهي الّا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الّا الدهر»[٤] وفي الحديث «لا تسبّوا الدهر فانّ الدهر هو الله»[٥] أي: هو الآتي بالحوادث المقدّر لها لا الدهر فلا تسبّوه، فانّ سبّه يعود الى سبّه.

وقال العلّامة الدواني في الحاشية الجديدة: قد حقّق في موضعه أنّ نسبة الثابت الى الثابت هو الدهر، ونسبة الثابت الى المتغيّر هو السرمد، ونسبة المتغيّر

---

(١) سورة الانعام: ٧٠.

(٢) سورة البقرة: ٦١.

(٣) كنزالعمال ٩:٥٤.

(٤) سورة الجاثية: ٢٤.

(٥) كنز العمّال ٣:٦٠٦، ح ٨١٣٧.

....

الى المتغيّر هو الزمان.

وهذا الذي أفاده يخالف ما في المباحث المشرقيّة: الموجود الذي لا يكون حركة ولا في الحركة، فهو لا يكون في الزمان، بل إن اعتبر ثباته مع الزمان، فتلك المعيّة على تفسيره هي الدهر، وإن اعتبر ثباته مع الامور الثابتة كالعقول، فتلك المعيّة هي السرمد.

الباب الثاني

فيما يعمل ما بين طلوع الشمس إلى الزوال

قد مرّ في أواخر الباب الأوّل أنّه قد ورد قسمة النهار إلى اثنتي عشر ساعة، لكلّ واحد من الائمّة الا ثني عشر عليهم السّلام ساعة، ولكلّ ساعة دعاء يختص بها.

فالساعة الأُولىٰ، وهي مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس لأمير المؤمنين عليه السّلام، وقد ذكرنا دعاءها في أعمال ذلك الوقت، فلنذكر هنا ما يختصّ بهذا الوقت، فنقول:

الساعة الثانية من طلوع الشمس إلى ذهاب حمرتها، وهي للحسن عليه السّلام، وتدعو فيها بهذا الدعاء:

اَللّهُمَّ يَا خَالِقَ السَّماواتِ وَالأَرضِ، وَمَالِكَ[1] الْبَسْطِ وَالْقَبْضِ، وَمُدبِّرَ الْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ، وَمَنْ لاَ يُخيِّبُ الْمُضْطَرَّ إذَا دَعَاهُ ويَكْشِفُ السُّوء، يَا مَالِكُ

قوله: يا مالك.

كلّ شيء، أو مالك يوم الدين، كما وصف نفسه في كتابه العزيز.

---

(١) ويا مالك: خ ل.

يَا جَبَّارُ، يَا وَاحِدُ يَا قَهَّارُ، يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ، يَا مَن لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ، وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ، يَا مَنْ لاَ يُمْسِكُ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ، وَلاَ يُقَتِّرُ خَوْفَ الإِمْلاَقِ، يَا كَرِيمُ يَا رَزَّاقُ، يَا مُبتَدِئاً بِالنِّعَمِ قَبْلَ الاسْتِحْقَاقِ، يَا مَنْ يُنزِّلُ الرُّوحَ[١] مِنْ أَمْرِه عَلى مَنْ يَشاء مِنْ عِبَادِه لِيُنْذِرَ يَومَ التَّلاقِ، كَبُرَتْ نِعْمَتُكَ عَلَيَّ، وَصَغُرَ فِي جَنْبِها شُكْري، وَدَامَ غِنَاكَ عَنِّي، وَعَظُمَ إِلَيْكَ فَقْرِي، أَسأَلُكَ يَا عَالِمَ سِرِّي وَجَهْري، يَا مَنْ لاَ يَقْدِرُ سِوَاهُ عَلىٰ كَشْفِ ضُرِّي، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولكَ

قوله: يا جبّار.

وهو الذي جبر و فقر خلقه، وكثّرهم وكفاهم أسباب المعاش والمعاد، أو العالي فوق عباده والقامع لكلّ جبّار، أو القاهر الذي لاينال، يقال للنخلة التي لا تنال جبّارة.

قوله: يامن ينزل الروح.

أي: القرآن، أو الوحي، أو جبرئيل لقوله «نزل به الروح الأمين على قلبك»[٢] والروح يطلق على ذلك كلّه، وعلى روح القدس، وعلى المجرّد المدبّر للبدن «يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربّي»[٣] وعلى الذي يقوّم به الجسد وتكون به الحياة، والروح يذكّر ويؤنّث.

---

(١) يا منزل الملائكة بالروح من أمره: خ ل.

(٢) سورة الشعراء: ١٩٣.

(٣) سورة الاسراء: ٨٥.

الْمُخْتَار، وَحُجَّتِكَ عَلَى الأَبْرَار وَالفُجَّار، وَعَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ الأَخْيَار، وأَتَوسَّلُ إلَيْكَ بالأَنْزَع الْبَطِينِ عِلْماً،

قوله: وحجّتك على الفجّار والأبرار.

أي: على المؤمنين والكافرين وهم أُمّة[1] الاجابة والدعوة، أو على الصالحين والطالحين، إمّا جمع برّ كأبرار، أو جمع بارّ كأصحاب.

والبرّ هو العطوف المحسن، وقد يكون بمعنى الصادق، ومنه برت يمين فلان اذا صدقت وصدق فلان وبرّ، ويقال: برّ الرجل يبرّ برّاً مثل علم يعلم علماً فهو برّ بالفتح، وبارّ وهو خلاف الفاجر، وقيل: هو كثير البرّ أي الخير والا تّساع في الاحسان.

وقال الطبرسي: هو الذي برّ الله بطاعته إيّاه حتّى أرضاه.

قوله: وأتوسّل اليك بالأنزع البطين.

كون هذين الوصفين له عليه السّلام ممّا اتّفق عليه المخالف والمؤالف، وإن اختلفوا في تفسيرهما.

قال ابن الأثير في نهايته: وفي صفة عليّ عليه السّلام البطين الأنزع، كان أنزع الشعر له بطن. وقيل: معناه الأنزع من الشرك المملوّ البطن من العلم والايمان[2] انتهى.

أقول: والظاهر أنّ المراد هو الثاني، كما هو صريح هذا الدعاء، مع أنّ كونه منزوعاً من الشرك ومملوّ البطن من العلم والايمان ممّا لا نزاع فيه، لأنّه أوّلهم

---

(١) كذا في نسختي، وفي «ن»: أزمّة. وكلاهما غير مفهوم.

(٢) نهاية ابن الأثير ٥: ٤٢.

و بالإمامِ الزكيِّ الْحَسَنِ المَقْتُول سُمّاً، فَقَدِ اسْتشفَعْتُ بِهِمْ إلَيْكَ، وَقَدَّمتُهُمْ أَمامِي وَبيْنَ يَدَيْ حَوائجي، أَنْ تَزِيدَني مِنْ لَدُنكَ عِلْماً، وَتَهَبَ لِي حُكْماً، وَتَجْبُرَ كَسْري، وَتَشْرَحَ بِالتَّقْوَى صَدْري.

ايماناً بالله وبرسوله، ولم يشرك طرفة عين أبداً، وقد قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله: أقضاكم عليّ[1]. الى غير ذلك ممّا ورد فيه من الطرفين، وقضاياه الغريبة وأحكامه العجيبة مشهورة، وفي الكتب والدفاتر مسطورة.

والأظهر أن يكون المراد هو الأوّل والثاني جميعاً، إذ لا منع جمع بينهما، بل المشهور أنّه عليه السَّلام كان كذلك، كان أنزع الشعر وكان له بطن صلّى الله عليه وعلى من انتسب بالولاية إليه.

قوله: وبالامام الزكيّ الحسن المقتول سمّاً.

ائمّتنا صلوات الله عليهم كلّهم مضوا سمّاً الّا عليّ وابنه الحسين عليهما السَّلام فانّهما قتلا بالسيف جهراً، وسمّ الحسن عليه السَّلام سرّاً، وسمّ الوليد زين العابدين عليه السَّلام، وسمّ ابراهيم بن الوليد الباقر عليه السلام، وسمّ المنصور الصادق عليه السَّلام، وسمّ الرشيد الكاظم عليه السَّلام، وسمّ المأمون الرضا عليه السَّلام، وسمّ المعتصم التقيّ عليه السَّلام، وسمّ المتوكّل النقيّ عليه السَّلام، وسمّ المعتمد الزكيّ صلوات الله عليهم، ولعنة الله على من قتلهم وظلمهم.

قوله: وتشرح بالتقوى صدري.

شرح فلان أمره أظهره وأوضحه، ومنه شرح المسألة اذا بيّنها وفسّرها

---

(١) رواه جمع من أعلام السنّة في كتبهم.

....

وأوضح معناها، وشرح الله صدره للإسلام وسّعه لقبول الحقّ.

إذا عرفت ذلك فنقول: الباء في «بالتقوى» للسببيّة أو الآلية، وذلك أنّ باجتناب الذنوب والسيئات وارتكاب الطاعات والعبادات ينوّر القلب، فيصير قابلاً للحقّ، محلّاً لحلوله فيه، مصفّى عمّا يمنعه منه وينافيه، وهو المعنّى بشرح الصدر، وإلّا فتوسيعه حقيقة غير ممكن.

يؤيّد ما قلناه ماورد من الرواية الصحيحة أنّه لما نزلت «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام»[١] سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله عن شرح الصدر ماهو؟ فقال: نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له صدره وينفسح، قالوا: فهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال صلّى الله عليه وآله: نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله[٢].

قيل: إذا اعتقد الانسان في عمل من الأعمال أنّ نفعه زائد وخيره راجح، مال طبعه اليه وقوي طلبه ورغبته في حصوله، وظهر في القلب استعداد شديد لتحصيله، فسمّيت هذه الحالة سعة الصدر. وإن حصل في القلبْ علم أو اعتقاد أو ظنّ بكون ذلك العمل مشتملاً على ضرر زائد ومفسدة راجحة، دعاه ذلك الى تركه، وحصل في النفس نَبوة عن قبوله، فيقال لهذه الحالة ضيق الصدر، لأنّ المكان إذا كان ضيّقاً لم يتمكّن الداخل من الدخول فيه، وإذا كان واسعاً قدر من الدخول فيه.

---

(١) سورة الانعام: ١٢٥.

(٢) مجمع البيان ٢:٣٦٣.

وَتَرْحَمَني إذا انْقَطَعَ مِن الدُّنيا أَثري، وَتَذكُرني إذا نُسِيَ ذِكْري، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرحَمَ الرَّاحِمينَ.

والساعة الثالثة من ذهاب حمرة الشمس إلى ارتفاع النهار للحسين عليه السَّلام، وتدعو فيها بهذا الدعاء:

اَللّهُمَّ رَبَّ الأَربَابِ، ومُسَبِّبَ الأَسْبَابِ، وَمَالِكَ الرِّقَابِ، وَمُسخِّرَ

قوله: وترحمني إذا انقطع من الدنيا أثري.

انقطاع الأثر عبارة عن فناء الشيء وذهابه وعدمه، يقال: انقطع الشيء إذا ذهب وعدم، والأثر حصول مايدلّ على وجود الشيء، ويطلق على الأصل بمعنى مدة العمر، ومنه حديث: من سرّه أن يبسط الله في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه[1]. أي: يؤخّر في أجله.

قال ابن الأثير: الأثر الأجل، وسمّي به لأنه يتبع العمر. قال زهير:

والمرء ما عاش ممدود له أمل لا ينتهي العمر حتّى ينتهي الأثر

وأصله من أثر مشيه في الأرض، فانّ من مات لا يبقى له أثر، فلا يرى لأقدامه في الأرض أثر[2].

وذكر الشيء حضوره في النفس، وهو تارة يكون بالقلب وتارة باللسان، وهو هنا مجاز، ونسيانه عدم حضوره بالبال، نسيه ينساه نسياناً وهو منسيء، ومنه «وكنت نسياً منسيّاً»[3].

قوله: اللهمّ ربّ الأرباب إلى آخره.

ربّ الأرباب أي مالك الملّاك. ومسبّب الأسباب أي مهيىء الوصل

---

(١) كنز العمال ٣:٣٦٥، برقم: ٦٩٦٥.

(٢) نهاية ابن الاثير ١:٢٣.

(٣) سورة مريم: ٢٣.

....

والمؤدّات، والسبب في الأصل حبل يتوصّل به الى الماء، ثمّ استعير لكلّ مايتوصّل به الى المطلوب من القدرة والعلم والآلة وغيرها، وهذا معنى ماورد في الأدعية يامسبّب الاسباب من غير سبب.

والرقبة في الاصل العنق، فجعلت كناية عن جميع ذات الانسان، تسمية للكلّ باسم جزئه، ومنه قولهم «دينه في رقبته» وقوله تعالى في قسم الصدقات «وفي الرقاب»[1] يريد المكاتبين من العبيد يعطون نصيباً من الزكاة يفكّون رقابهم يدفعونه الى مواليهم، وماسوى الله عبيده واماؤه، فهو مالكهم وموجدهم.

ومسخّر السحاب بين السماء والأرض، وهو جسم ثقيل متحرّك في الجوّ من غير أن يسقط «انّ في ذلك لآية لقوم يعقلون»[2].

والهبة العطيّة الخالية عن الأعواض، فاذا كثرت سمّي صاحبها وهّاباً، وهي من أبنية المبالغة.

يامفتّح الأبواب، أي: أبواب المغفرة والرحمة والفضل والاحسان والجود والامتنان، وهي الأسباب التي بها يتوصّل اليها؛ إذ كان الباب في الأصل مدخل الدار الذي يتوصّل منه اليها، ثمّ استعير لكلّ مايتوصّل به الى شيء، وذكر الفتح تخييل أو ترشيح.

وصفيّك، من تصافيه الودّ وتخلّصه له، فعيل بمعنى فاعل أو مفعول. وسيّدنا أمير المؤمنين عليه السّلام كان حبيب الله ورسوله، كما يدلّ عليه قوله صلّى الله عليه وآله يوم خيبر: لاعطينّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. وقوله: اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك اليك ليأكل معي

---

(١) سورة البقرة: ١٧٧. (٢) سورة الرعد: ٤.

السَّحَاب، وَمُسهِّلَ الصِّعاب، يَا حَلِيمُ يَا تَوَّابُ، يَا كَرِيمُ يَا وَهَّابُ، يَا مُفَتِّحَ الأَبوَابِ، يَا مَنْ حَيْثُ مَا دُعِيَ أَجَابَ، يَا مَنْ لَيْسَ لَهُ حِجَابٌ[١] وَلاَبَوَّابٌ، يَا مَنْ لَيْسَ لِخَزَائِنِهِ قُفْلٌ وَلاَبَابٌ، يَا مَنْ لاَ يُرخىٰ عَلَيْهِ سِتْرٌ وَلاَ يُضْرَبُ دُونَهُ حِجَابٌ، يَا مَنْ يَرْزُقُ مَنْ يَشاء بِغَيْرِ حِسَابٍ، يَا غَافِرَ الذَّنْبِ وَقابِلَ التَّوْب شَدِيدَ الْعِقَابِ.

من هذا الطير[٢].

قوله: يامن لا يرخى عليه ستر.

هذا وما سبقه وصفان سلبيّان لايجوز وصفه تعالى بهما الّا على طريق النفي والسلب، وذلك لأنّه تعالى ليس بجسم ولا جسمانيّ، فليس له محلّ ولا مكان ولا هو في جهة، فكيف يكون له حاجب وبوّاب، أو يرخىٰ عليه ستر ويضرب دونه حجاب، وإذا امتنعت عليه الجسميّة ولواحقها، فنسبة جميع الأمكنة اليه نسبة واحدة، فيجيب داعيه حيثما دعاه، ولما كان وجوده لا بخل فيه ولا منع من جهته؛ إذ لا أثر للنقصان في خزائن ملكه وعموم جوده، بل جوده غير متناه، وكرمه غير محدود، ولم يكن لخزائنه قفل ولاباب، لأن ذلك انّما يكون فيما اذا كان محصوراً أو كان له نفاد، وهو سبحانه تعالى لاينفد عطاؤه ولا ينتهي الى حدّ سخاؤه.

قوله: يا من يرزق من يشاء بغير حساب.

بغير طلب وكسب، أو بغير أن يعرف سبيل رزقه ويجعله محسوباً في عداد

---

(١) حاجب: خ ل.

(٢) حديثان متواتران عند الفريقين، قد رواهما جمع من أعلام القوم.

اَللّهُمَّ انْقَطَعَ الرَّجاء إلاَّ مِنْ فَضْلِكَ ، وخَابَ الأَمَلُ إلاَّ مِنْ كَرَمكَ ، فأسألُكَ بِمُحَمَّدٍ رَسُولكَ ، وَبعَلِي بْنِ أَبِي طَالِب صَفِيِّكَ ، وَبالحُسَيْنِ الإمامِ التَّقِيِّ الَّذي اشْتَرَى نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِكَ ، وَجَاهَدَ النَّاكِثِينَ عَنْ صِرَاطِ طَاعَتِكَ ، فَقتَلُوهُ سَاغِباً ظَمآناً، وَهتكُوا حُرْمَتَهُ بَغْياً وَعُدْوَاناً، وَحَملُوا رَأسَهُ فِي الآفاق، وأحلُّوهُ مَحَلَّ أَهْلِ الْعِنَادِ وَالشِّقَاقِ.

اللّهُمَّ فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ[١]، وَجَدِّدْ عَلىٰ الْبَاغِي عَلَيْهِ مُخزيَاتِ لَعْنَتِكَ[٢] وَانْتِقَامِكَ ، ومُردِيَاتِ سَخَطِكَ وَنكَالِكَ .

وجه معائشه، أو بغير تقتير وتقدير، أو بما لايأتي عليه الحساب، فيوسع في الدنيا على من توجب الحكمة التوسعة عليه: إمّا استدراجاً، أو ابتلاءً.

أو المراد أنّه يعطي ولا يحاسب عليه، وذلك: إمّا لاختلاف استعداد الأشخاص، أو العلم بأنّه أصلح بحاله وأوفق بمآله، كما يشير اليه: وانّ من عبادي من لايصلحه الاّ الغنىٰ ولو أفقرته لأفسده.

ثمّ الأرزاق نوعان: ظاهرة للأبدان كالأقوات، وباطنة للقلوب كالمعارف والعلوم. والرزق بالكسر اسم للمرزوق. وفي الصحاح: انّه ماينتفع به[٣].

قوله: الذي اشترىٰ نفسه ابتغاء مرضاتك الى آخره.

شراه يشريه ملكه بالبيع وباعه كاشترى فيهما ضدّ، وكلّ من ترك شيئاً وتمسّك بغيره فقد اشتراه، ومنه «اشتروا الضلالة بالهدى»[٤] والمراد أنّه عليه السّلام ترك رعاية نفسه النفيسة، وجاهد في سبيل الله حتّى قتل طلباً

---

(١) وآل محمّد: خ ل.

(٢) لعنك: خ ل.

(٣) صحاح اللغة ٣: ١٤٨١.

(٤) سورة البقرة: ١٦.

....

لمرضاته. وفيه تلميح لقوله تعالى «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله»[١].

والنكث: نقض العهد، ولعلّ المراد به هنا الميل، أو الخروج، أي: المائلين عن طريق طاعتك، أو الخارجين عنه.

والساغب: الجائع، ولا يكون إلّا مع تعب، وهو عليه السَّلام كان كذلك.

والضمآن كالعطشان وزناً ومعنى، ويقابله الريّان، أو الظمأ شدّة العطش، ومنه قول القاضي عبدالعزيز الجرجاني:

يقولون لي فيك انقباض وانّما ... رأوا رجلاً عن مورد الذلّ أحجما
اذا قيل هذا مورد قلت قد أرى ... ولكن نفس الحرّ تحتمل الظما

والهتك: خرق الستر عمّا وراءه.

والحرمة بالضمّ ما لايحلّ انتهاكه، وهو اشارة الى مافعلوا به وبأهل بيته عليهم السَّلام من القتل والنهب والأسر وغيرها ممّا هو مشهور، وفي الروايات والتواريخ مسطور.

والبغي: الظلم والاستطالة والعدول عن الحقّ، وفئة باغية خارجة عن طاعة الامام العادل.

والشقاق: الخلاف والعداوة، ومنه «فان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً»[٢] الآية.

وفي صحيحة أبان بن تغلب، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السَّلام يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من أراد أن يحيىٰ حياتي ويموت ميتتي،

---

(١) سورة البقرة: ٢٠٧.

(٢) سورة النساء: ٣٥.

....

ويدخل جنّة عدن التي غرسها الله بيده، فليتولّ علي بن أبي طالب، وليتولّ وليّه، وليعاد عدوّه، وليسلم للأوصياء من بعده، فانّهم عترتي من لحمي ودمي، أعطاهم الله فهمي وعلمي، الى الله أشكو أمر أُمّتي المنكرين لفضلهم القاطعين فيهم صلتي، وأيم الله ليقتلنّ ابني لا أنالهم الله شفاعتي[١].

وانّما أقسم على قتلهم ابنه، وهو صادق مصدّق فيما أخبر به، لكون تلك الفاحشة الكبيرة مستبعدة الوقوع عن أُمّته، ولا تجتمع مع التصديق بنبوّته، وانّما نسب قتل ابنه الى جميع المنكرين لفضلهم، مع أنّ قاتليهم جماعة معدودة منهم، تنبيهاً على أنّ جميع المنكرين شركاء في دمه، لأنّهم بين قاتل وآمر ومعين لهما ومقوّ وناصر لأحد هؤلاء الثلاثة، وراض بفعل أحد هؤلاء الأربعة، فكانوا بأجمعهم شركاء في دمه، ومنه يعلم وجه اسناد قتله وهتك حرمته وحمل رأسه وغيرها اليهم جميعاً، مع أنّ فاعلي ذلك ما كانوا كلّهم.

وهذا كما وبّخ الله في كتابه العزيز منكري اليهود الذين كانوا في زمنه صلّى الله عليه و آله باضافة قتل الأنبياء اليهم، مع أنّ قتلهم صدر عن أسلافهم وأهل ملّتهم، لكونهم راضين بأفعالهم.

وفي الكافي: عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: لعن الله القدريّة، لعن الله الخوارج، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة، قيل له: لعنت هؤلاء مرّة مرّة، ولعنت هؤلاء مرتين؟ قال: انّ هؤلاء يقولون: ان قتلتنا مؤمنون فدماؤنا متلطّخة بثيابهم الى يوم القيامة، انّ الله حكى عن قوم في كتابه «ألّا نؤمن لرسول حتّى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبيّنات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين»[٢] قال: كان بين القائلين والقاتلين خمسمائة

---

(١) اصول الكافي ١: ٢٠٩، ح٥.

(٢) سورة آل عمران: ١٨٣.

اَللّهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وأَسْتَشْفِعُ بِهِمْ إلَيْكَ، واُقَدِّمُهُمْ أَمَامِي وَبَيْنَ يَدَيْ حَوائِجِي، أَنْ لاَ تَقْطَعَ رَجَائِي من امْتِنَانِكَ وَإفْضَالِكَ، وَلاَ تُخَيِّبْ تَأمِيلِي في إحْسَانِكَ وَنَوالِكَ، وَلاَ تَهْتِكِ السِّتْرَ الْمَسْدُولَ عَلَيَّ مِنْ جِهَتِكَ، وَلاَ تُغَيِّرَ عَنِّي عَوائِدَ طَوْلِكَ وَنِعَمِكَ، وَوَفِّقْنِي لِمَا يَنْفَعُنِي[١] إلَيْكَ، واصْرِفْنِي عَمَّا يُبَاعِدُنِي عَنْكَ، وأَعْطِنِي مِنَ الخَيْرِ أَفْضَلَ مَا أَرْجُو[٢]، واكْفِنِي مِنَ الشَّرِّ مَا أَخَافُ وَأَحْذَرُ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ.

عام، فألزمهم الله القتل برضاهم مافعلوا[٣].

قوله: ألّا تقطع رجائي من امتنانك الى آخره.

الامتنان من المنّة بالكسر النعمة، منّ عليه أنعم، ومنه امتنّ.

وخيّبه الله: لم يسأل ماطلب.

والتأميل: من الأمل وهو الرجاء.

والنوال: العطاء، ناله ينوله اذا أعطاه. وهتك الستر خرقه. والمسدول المرخى، وهو تعالى بكرمه يستر على عبده المعصية ويظهر له الطاعة، ولذا يدعى بـ«يا من أظهر الجميل وستر القبيح» وفي الحديث: ماستر الله على عبد في الدنيا الّا ستر عليه في الآخرة[٤]، وفي الكلام استعارة.

والعائدة المعروف،والصلة والمنفعة.

والطول الفضل والعطاء والسعة، ومنه قوله: أوّلكنّ لحوقاً بي أطولكن يداً.

---

(١) يقربني: خ ل.

(٢) ممّا أرجو: خ ل.

(٣) اصول الكافي ٢: ٤٠٩، ح١.

(٤) كنز العمّال ٤: ٢٣١.

والساعة الرابعة: من ارتفاع النهار إلى الزوال، وهي لسيّد العابدين عليه السَّلام، وتدعو فيها بهذا الدعاء:

اَللّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ الْمَلِيكُ الْمَالِكُ، وكُلُّ شَيء سِوَى وَجْهِكَ الْكَرِيم هَالِكٌ، سَخَّرتَ بِقُدْرَتِكَ النُّجُومَ السَّوالكَ، وأَمْطَرتَ بِقُدْرَتِكَ

أي: أمدّكنّ يداً بالعطاء، والله تعالى لايغيّر مابقوم حتّى يغيّروامابأنفسهم، والدعاء لعدم تغيير المسبّب دعاء لعدم تغيير السبب.

والقرب والبعد بالاضافة اليه تعالى لما لم يكونا مكانياً مسافياً، لاستحالة التحيّز عليه، فلابدّ من صرفه الى القرب من رضوانه وثوابه وجنانه بالطاعات والعبادات، والبعد عنه بالمعاصي والسيئات.

قوله: سخّرت بقدرتك.

في نهاية ابن الأثير: التسخير التكليف والحمل على الفعل بغير أُجرة[١].

وفي القاموس: سخره كمنعه كلّفه ما لايريد وقهره[٢].

وهذا يدلّ على أنّ حركات الكواكب غير إراديّة، ويؤيّد ما قاله المرتضى علم الهدى في بعض مسائله: لاخلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب، وانّها مسخّرة مدبّرة مصرّفة، وذلك معلوم من دين رسول الله صلّى الله عليه وآله، وذكر نحو ذلك في ملحقات الغرر والدرر.

قيل: وللبحث في دعوى الاجماع والعلم بذلك من الشريعة مجال.

---

(١) نهاية ابن الاثير ٢: ٣٥٠.

(٢) القاموس المحيط ٢: ٤٦.

الـغُيُومَ السَّوافِكَ، وَعَلِمْتَ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ، وَمَا تَسقُطُ مِنْ وَرَقَة فِي الظُّلُمَاتِ الْحَوَالكِ، يَا سَمِيعُ يَا بَصِيرُ، يَا بَرُّ يَا شَكُورُ، يَا غَفُورُ يَا رَحِيمُ، يَا مَنْ يَعْلَمُ خَائنَةَ الأَعيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، يَا مَنْ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولىٰ والآخِرَة، وَهُوَ الحَكِيمُ الْخَبِيرُ، أَسأَلُكَ سُؤالَ الْبَائس الْحَسِيرِ، وَأَتضَرَّعُ إلَيْكَ تَضرُّعَ الضَّالعِ الكَسِيرِ، وَأَتوكَّلُ عَلَيْكَ تَوكّل

أقول: لا مجال له وكثير من الأخبار الصحيحة والموثّقة صريحة فيما ادّعاه السيّد، وقد ذكرنا نبذة منها في بعض رسائلنا، مع ايمائنا هنالك الى أنّها غير قابلة الصرف والتأويل، فليطلب من هناك .

قوله عليه السَّلام: أسألك سؤال البائس الحسير الى آخره.

السؤال: إمّا منصوب بنزع الخافض، أي: أسألك كسؤاله فانّه أكثر سؤالاً، أو أحقّ اجابة، وعليه فقس البواقي. أو مرفوع على الاستئناف، كأنّه قيل: أيّ نحو من السؤال قال، سؤال البائس اسم من بئس يبأس بؤساً إذا افتقر واشتدّت حاجته.

وفي صحيحة أبي بصير عن سيّدنا أبي عبدالله عليه السَّلام: الفقير الذي لايسأل الناس، والمسكين أجهد منه، والبائس أجهدهم[1].

والحسير المعيى، فعيل بمعنى المفعول أو الفاعل، من حسر إذا أعيا وتعب.

والتضرّع: التذلّل والمبالغة في السؤال والرغبة، يقال: تضرّع إذا خضع وذلّ.

والضالع من أثقله حمله، ومنه مافي عهد سيّدنا أمير المؤمنين سلام الله عليه

---

(١) فروع الكافي ٣: ٥٠١، ح١٦.

الخاشِع المُستَجِير، وأَقِفُ بِبابِكَ وُقُوفَ الْمُؤَمِّلِ الْفَقِير، وأَتوسَّلُ إِلَيْكَ بالْبَشِيرِ النَّذِير، وَالسِّراجِ الْمُنِير، مُحَمَّدٍ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ، وابْنِ عَمِّهِ أمير

الى الأشتر النخعي: واردد الى الله ورسوله مايضلعك من الخطوب، ويشتبه عليك من الامور[١]. أي: يثقلك من ضلع بالكسر ضلعاً بالتحريك، وأمّا ضلع بالفتح ضلعاً بالتسكين فهو بمعنى الميل.

والمستجير المستنقذ والمستعيذ، أي: من يطلب منك أن تنقذه من المهالك، أو العذاب، أو تجيره من أن يظلم.

وشبّه الأسباب التي بها يتوصّل الى مغفرة الله وفضله واحسانه وجوده وامتنانه بالباب، فانّه وإن كان في الأصل مدخل الشيء، إلّا أنّه تجوّز فيه واستعمل فيما يتوصّل به الى الشيء، ومنه «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» يعني به يتوصّل اليه، ففي الكلام استعارة مكنية وترشيح، أو شبّه المخاطب جلّ طوله بالمنعم الجواد المحسن الكريم، فأثبت له الباب لطلب الطالبين و وقوف الواقفين ودخول الراغبين، ليستفيضوا من كرمه وينتفعوا من نعمه جلّت نعماؤه وعظمت آلاؤه.

قوله عليه السّلام: والسراج المنير الى آخره.

السراج معروف، ويقال له النبراس أيضاً، وهو المشبّه به، وهذا تشبيه للمعقول بالمحسوس.

فان قلت: المشبّه به واجب أن يكون أقوى وأزيد في وجه الشبه من المشبّه.

قلت: يجوز عند ارادة الجمع بين الشيئين في أمر كمطلق اللون مثلاً

---

(١) نهج البلاغة: ٤٣٤.

الْمُؤمنينَ، وَبِالإمامِ عَلي بنِ الْحُسَيْنِ، زَيْنِ الْعَابِدِينَ وَإمَامِ الْمُتَّقِينَ، الْمُخْفِي لِلصَّدَقَاتِ، والْخَاشِع فِي الصَّلوَات، والدَّائب الْمُجْتَهِدِ فِي الْمُجَاهَدَاتِ، السَّاجِدِ ذِي الثَّفِنَاتِ، أَنْ تُصلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، فَقَدْ تَوسَّلْتُ بِهِمْ إلَيْكَ، وَقَدَّمتُهُمْ أَمَامِي وَبَيْنَ يَدَيْ حَوائجِي، وأَنْ تَعْصِمَنِي مِنْ مُوَاقَعةِ مَعَاصِيكَ، وتُرشِدَنِي إلى مُوافَقَةِ مَا يُرْضِيكَ، وَتَجْعَلَنِي مِمَّن يُؤمِنُ بِكَ وَيتَّقِيكَ، وَيَخافُكَ وَيرتَجِيكَ، وَيُراقِبُكَ وَيَستَحْيِيْكَ، وَيَتقرَّبُ إلَيْكَ بِمُوالاَةِ مَنْ يُوَالِيكَ، وَيَتحَبَّبُ إلَيْكَ

التشبيه أيضاً، كتشبيه الصبح بغرّة الفرس متى أُريد ظهور منير في مظلم أكثر من ذلك المنير من غير قصد الى المبالغة في وصف غرّة الفرس بالضياء والانبساط وفرط التلألأ؛ إذ لو قصد شيء من ذلك لوجب جعل الغرّة مشبّهاً والصبح مشبّهاً به، لأنّه أزيد من ذلك.

ويمكن أن يكون هذا التشبيه من باب تشبيه آحاد من الجمل بأُخرى مثلها، بأن يشبّه سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله بالسراج المنير، ويشبّه من يستضيء بنوره وينتفع به بمن يستضيء بنوره وينتفع به، وازالته ظلمة الجهل والكفر واظهاره حقائق الأشياء على ماهي عليه بازالته ظلمة الليل واظهاره الأشياء، الى غير ذلك من الاعتبار. وفيه تلميح لقوله تعالى «ياأيّها النبيّ انّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً»[1].

قوله: ويتقرّب اليك بموالاتك.

موالاتك أحداً انّما تصير كاملة بمجموع أُمور ثلاثة: موالاته، وموالاة من

---

(١) سورة الاحزاب: ٤٥.

بِمُعادَاةِ مَنْ يُعَادِيكَ . وَيَعْتَرِفُ لَدَيْكَ بِعَظِيمِ نِعَمِكَ وأَيادِيكَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

واعلم أنّ نسخ أدعية الساعات كثيرة الاختلاف بالزيادة والنقصان، والذي أوردته في هذا الكتاب هو الذي أثق به وأعتمد عليه، والله ولي التوفيق.

توضيح:

«مالك البسط والقبض» أي: بيده توسعة الرزق وتضييقه، أو سرور القلب وانقباضه.

يواليه، ومعاداة من يعاديه، فانّ بذلك تتمّ المحبّة وتخلص المودّة، ولا يكفي الأوّل بدون الثالث، والّا فأنت مخلّط بين الموالاة والمعاداة.

كما تدلّ عليه صحيحة اسماعيل الجعفي، قال: قلت لإبي جعفر عليه السَّلام: رجل يحبّ أمير المؤمنين عليه السَّلام ولا يتبرّأ من عدوّه، ويقول: هو أحبّ إليّ ممّن خالفه؟ قال: هذا مخلط وهو عدوّ فلا تصلّ خلفه ولا كرامة الّا أن تتّقيه[1].

فموالاة الله ومحبّته انّما تتمّ بموالاته، ثمّ بموالاة من يواليه ومعاداة من يعاديه، وكذلك موالاته تعالى العبد انّما تتمّ بهذه الثلاثة، كما يدلّ عليه قوله صلّى الله عليه وآله: اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، فاعرفه.

والوجه في ذلك كلّه أنّ محبّ المحبّ محبّ، كما أنّ محبوب المحبوب محبوب، وكذلك عدوّ العدوّ ومحبّ المحبوب، كما أنّ محبّ العدوّ وعدوّ المحبّ عدوّ ومبغوض، والى ذلك يشير قول سيّدنا أمير المؤمنين عليه السَّلام: الأصدقاء

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٣٨٠.

«ومدبّر الإبرام والنقض» الإبرام في الأصل فتل الحبل. والنقض بالضاد المعجمة نقيضه، والكلام استعارة، والمراد تدبير أُمور العالم على ما تقتضيه حكمته البالغة من الإبقاء والإفناء والإعزاز والإذلال والتقوية والإضعاف وغير ذلك.

ثلاثة: صديقك، وصديق صديقك، وعدوّ عدوّك. والأعداء ثلاثة: عدوّك، وعدوّ صديقك، وصديق عدوّك [١].

قوله: ومدبّر الابرام والنقض.

دبّر الأمر تدبيراً قرّره عن فكر ورويّة كأنّه نظر في دبره، وهو عاقبته وآخرته. وأصل الابرام فتل الحبل من طاقين حتّى يصيرا واحداً، ثمّ استعمل في احكام الشيء وتدبيره استعارة.

ونقض الحبل نقضاً من باب قتل حلّ برمه، ومنه نقضت ما أبرمه اذا أبطلته.

قوله أيضاً: ومدبّر الابرام والنقض.

هذا في الحقيقة معنى قوله تعالى «كلّ يوم هو في شأن»[٢] ولا ينافيه قوله صلّى الله عليه وآله: انّ القلم جفّ بما هو كائن الى يوم القيامة. لأنّها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها.

وروي أنّه صلّى الله عليه وآله تلاها، فسئل وما ذلك الشأن؟ فقال: من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرّج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين[٣].

---

(١) نهج البلاغة: ٥٢٨، ح٢٩٥.
(٢) سورة الرحمن: ٢٩.
(٣) مجمع البيان ٥: ٢٠٢.

«يا من لا يقترّ خوف الإملاق» يقترّ بالقاف والتاء الفوقانية المثنّاة المشدّدة من التقتير، والمعنى لايضيق الرزق لخوف الفقر بلْ لمصلحة هو أعلم بها،

وسأل بعض الملوك وزيره عنه، فاستمهله الى الغد، وذهب كئيباً يفكّر فيها، فقال غلام له أسود: يا مولاي أخبرني ما أصابك؟ لعلّ الله يسهّل لك على يديّ، فأخبره، فقال: أنا أُفسّرها للملك فأعلمه، فقال: أيّها الملك شأن الله أن يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويخرج الحيّ من الميّت، ويخرج الميّت من الحيّ، ويشفي سقيماً ويسقم سليماً، ويبتلي معافاً ويعافي مبتلى، ويعزّ ذليلاً ويذلّ عزيزاً، ويفقر غنيّاً ويغني فقيراً، فقال الملك: أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة، فقال: يا مولاي هذا من شأن الله.

قوله أيضاً: ومدبّر الابرام والنقض.

ومنه قوله تعالى «كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة»[1] شبّه احكام الأُمور واتقانها بتعلّق المشيئة بفعلها وايجادها، لكونه من مقتضيات الحكمة بالابرام، وشبّه نقيضه بنقيضه، ثمّ ذكر المشبّه به وأراد به المشبّه، فالكلام استعارة مصرّحة.

قوله: يامن لايقتّر خوف الاملاق.

منصوب بنزع الخافض، أي: لخوف الاملاق، بل لمصلحة أراد وشاء، فيوسّع على من يشاء في وقت دون وقت، ويضيّق على من يشاء كذلك، بحسب ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة، والفقير يزعم أنّ فقره لمهانته عندالله، كما أنّ الغنيّ يزعم أنّ غناه لكرامته على الله تعالى.

---

(١) سورة النحل: ٩٢.

كما ورد في الحديث القدسي: أنّ من عبادي من لايصلحه إلّا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك.

«ينزل الروح» أي: الوحي.

«ويوم التلاق» من أسماء يوم القيامة، لأنّ فيه يتلاقى أهل السماوات وأهل الأرض. والأوّلون والآخرون، أو الظالم والمظلوم، أو الخالق والمخلوق، أو المرء وعمله، أو الأرواح والأجساد، أو كلّ واحد من هذه الستّة[١] مع قرينه منها.

كما أخبر الله عن ذلك بقوله «فأمّا الانسان إذا ما ابتلاه ربّه» أي: اختبره بالنعمة وأكرمه بالمال «ونعّمه» بما وسّع عليه من أنواع الافضال «فيقول ربّي أكرمن»[٢] فيفرح ويقول: ربّي أعطاني هذا لكرامتي عنده ومنزلتي لديه، يحسب أنّه كريم عندالله حيث وسّع عليه الدنيا «وأمّا إذا ما ابتلاه» بالفقر والفاقة «فقدرعليه رزقه» وجعله على قدر البلغة «فيقول ربّي أهانن» فيظنّ أنّ ذلك هوان من الله ويقول: ربّي أذلّني بالفقر.

وليس الأمر كما ظنّ، فانّه تعالى لا يغني أحداً لكرامته، ولا يفقره عنده، بل انّما يفعل ذلك: إمّا ابتلاءً بالشكر والصبر، وإمّا لضرب من المصلحة. وأمّا الاكرام والاهانة، فانّما يكونان بالمعصية والطاعة.

قوله تعالى: ولوأغنيته لأفسده ذلك.

كلمة «لو» تدلّ على امتناع ذلك الغنىٰ واستحالته، ووجوب الا تيان بما هو مصلح له من الفقر. وهذا يؤيّد ماذهب اليه المعتزلة من أنّه يجب على الله

---

(١) أي: مجموع الستة مع الستة من قرائنها (نقل من خطه رحمه الله).

(٢) سورة الفجر: ١٥.

«ومخزيات لعنك» بالخاء المعجمة والزاي، أي: مايوجب الخزي من لعنك.

«ومرديات سخطك ونكالك» أي: ما يوجب الردى، أي: الهلاك من سخطك. والنكال بفتح النون العقاب.

تعالى ما هو أصلح لعباده، واستدلّوا عليه بأنّ الفعل يجب عند وجود الداعي والقدرة وانتفاء الصارف.

مثلاً لمّا كان الفقر أصلح بحاله والغنى يفسده، وهو تعالى قادر على أن يجعله فقيراً ولا مانع منه بوجه، وجب عليه ذلك لئلا يفسده الغنى «انّ ربّك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنّه كان بعباده خبيراً بصيراً»[١] أي: يوسّع لمن يشاء ويرى المصلحة له في ذلك، فانّ الله تعالى هو العالم الحكيم لا يفعل الّا لغرض ومصلحة عائدة الى عبيده، فالبسط والقبض والغنى والفقر انّما يكون في محلّه ومصلحته وتدبيره لهم ذلك لاغير «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزّل بقدر مايشاء انّه بعباده خبير بصير»[٢].

قوله: ومخزيات لعنك.

الخزي: الذلّ والهوان والهلاك والوقوع في البليّة، وأخزاه الله أهانه وأذلّه، أو أوقعه في البليّة.

والردىٰ: الهلاك، وأرداه أهلكه.

والسخط: كراهيّة الشيء وعدم الرضاء به، وسخطه تعالى يرجع إلى ارادته العقوبة.

---

(١) سورة الاسراء: ٣٠.

(٢) سورة الشورى: ٢٧.

«والغيوم السوافك» من سفك الدم بمعنى أهرقه، فكأنّه استعارة.
«والظلمات الحوالك» بالحاء المهملة جمع حالكة، أي: الشديدة السواد.
«يا من يعلم خائنة الأعين» أي: النظرة الخائنة الصادرة عن الأعين، أو خائنة مصدر كالعافية، أي: خيانة الأعين.

والنكال: العقوبة التي ينكل الناس عن فعل ما جعلت له جزاءً، نكّل به تنكيلاً ونكّل به جعله عبرة لغيره، ومنه قوله تعالى «فأخذه الله نكال الآخرة والاولى»[١] والاضافة في الموضعين بتقدير «من» والمراد جدّد على الباغي عليه لعنك وانتقامك وسخطك ونكالك، فانّه يوجب خزيه وذلّه وهوانه وهلاكه.

قوله: والغيوم السوافك.

لا يتوهّم أنّ وصف الغيم وهو السحاب بالسفك، وهو اهراق الدم مجاز، لأنّ السفك وان كان بالدم أخصّ الّا أنّه جاء بمعنى الاراقة والاجراء لكلّ مائع، يقال: سفك الدم والدمع والماء يسفكه سفكاً، فكان الاولى أن يقال: انّ السوافك من سفك الماء أراقه وأجراه، دفعاً لتوهّم المجاز رأساً، ومنه يعلم أنّ قوله تعالى «ويسفك الدماء»[٢] ممّا لاحاجة فيه الى القول بالتجريد كما هو المشهور، لأنّ المسفوك أعمّ من الدم وغيره، فتأمّل.

قوله: أي النظرة الخائنة.

في نهاية ابن الأثير: وفيه «ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين» أي: يضمر في نفسه غير ما يظهره، فاذا كفّ لسانه وأومأ بعينه فقد خان، واذا كان

---

(١) سورة النازعات: ٢٥.
(٢) سورة البقرة: ٣٠.

«الضالع الكسير» بالضاد المعجمة، أي: المائل الحائر.

«المخفي للصدقات» ذكر المؤرّخون أنّ زين العابدين عليه السَّلام كان يعول أربعمائة بيت في المدينة، وكان يوصل قوتهم إليهم بالليل وهم لا يعرفون من أين يأتيهم، فلمّا مات عليه السَّلام انقطع ذلك عنهم، فعلموا أنّ ذلك كان منه عليه السَّلام[1].

«الدائب المجتهد في المجاهدات» الدائب بالدال المهملة والياء المثنّاة التحتانيّة والباء الموحدة اسم فاعل من دأب، أي: جدّ وتعب. والمراد بالمجاهدات العبادات الشاقّة، فقد روي عنه عليه السَّلام أنّه كان يصلي كلّ ليلة ألف ركعة.

ظهور تلك الحالة من قبل العين سمّيت خائنة الأعين، ومنه قوله تعالى «يعلم خائنة الأعين» أي: مايخونه[2] من مسارقة النظر الى ما لايحلّ. والخائنة بمعنى الخيانة، وهي من المصادر التي جاء على لفظ الفاعل كالعافية[3].

قوله: المخفي للصدقات.

في الكافي عن الصادق عليه السَّلام قال: وكان علي بن الحسين عليهما السَّلام يخرج في الليلة الظلماء، فيحمل الجراب فيه الصرر من الدنانير والدراهم حتّى يأتي باباً باباً فيقرعه ثمّ ينيل من يخرج اليه، فلمّا مات علي بن الحسين عليهما السَّلام فقدوا ذلك، فعلموا أنّ عليّاً عليه السَّلام كان يفعله[4].

---

(١) سلام الله عليه: خ ل.

(٢) في المصدر: ما يخونون فيه.

(٣) نهاية ابن الأثير ٢: ٨٩.

(٤) اصول الكافي ١: ٤٦٨، ح٤.

«الساجد ذي الثفنات» بالثاء المثلّثة والفاء والنون المفتوحات جمع ثفنة، وهي ما في ركبة البعير وصدره من كثرة مماسّته الأرض، وقد كان حصل[١] في جبهته عليه السَّلام مثل ذلك من طول السجود وكثرته.

«وتجعلني ممّن يؤمن بك» يراد بالإيمان هنا المعرفة والتصديق الكامل، فإن مراتب ذلك متفاوتة.

قوله: الساجد ذي الثفنات.

الثفنة بكسر الفاء ما ولي الأرض من كلّ ذات أربع إذا بركت كالركبتين وغيرهما، ويحصل فيه غلظ من أثر البروك . وكان يقال لسيّد العابدين عليه السَّلام ذو الثفنات؛ لأنّه قد ظهر في مواقع سجوده أشباه ثفنات البعير.

وقال الصدوق في معاني الأخبار: وسمّي علي بن الحسين عليهما السَّلام السجّاد لما كان في مساجده من آثار السجود، وقد كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة، وسمّي ذو الثفنات لأنّه كان له في مواضع سجوده آثار نائتة، فكان يقطعها في السنة مرّتين، كلّ مرّة خمس ثفنات، فسمّي ذو الثفنات لذلك[٢] انتهى كلامه رفع مقامه.

قوله: وتجعلني ممّن يؤمن بك.

ايماناً مستقرّاً ثابتاً جازماً، مستفاداً من الأدلّة والبراهين المفيدة لليقين، حتّى يطمئنّ قلبي في جميع الأمور المبدئيّة والمعاديّة، قال تعالى «أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي»[٣] وعنه العبارة تارة بالاحسان وأُخرى بالايقان.

---

(١) قد حصل: خ ل.

(٢) معاني الأخبار: ٦٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٦٠.

قال رئيس المحقّقين نصير الملّة والدين الطوسي ـقدّس الله روحه ـ في بعض رسائله: إنّ مراتب ذلك متخالفة، كمراتب معرفة النار مثلاً، فإنّ أدناها معرفة من سمع أنّ في الوجود شيئاً يظهر أثره في كلّ شيء يحاذيه وإن اُخذ منه شيئاً لم ينقص، ويسمّى ذلك الموجود ناراً.

الاحسان أن تعبد الله كأنّك تراه.

وبالجملة اختلاف مراتب الايمان كمالاً ونقصاناً باختلاف مراتب العلم قوّة وضعفاً، فكلّما ازداد العلم ازداد الايمان والايقان الى أن ينتهي حدّاً لو كشف الغطاء ما ازداد يقيناً، وذلك بتوفيق الله وتأييده، فمن أراد الله أن يكون ايمانه كاملاً، سبّب له الأسباب المؤدّية الى أن يأخذ دينه وايمانه من كتاب الله وسنّة نبيّه بعلم ويقين وبصيرة، فذاك أثبت في ايمانه من الجبال الرواسي، فانّها تزول ولا يزول. والمطلوب في الدعاء من الايمان هو هذه المرتبة منه.

ويمكن أن يكون المراد بقوله «ممّن يؤمن بك» ممّن يتجدّد ويزيد ايمانه شيئاً فشيئاً، فانّ مراتبه غير محصورة، وهو لايقف الى حدّ لا يمكن المزيد عليه؛ لأنّه تابع للعلم ودرجاته غير محدودة، فانّ فوق كلّ ذي علم عليم، ولذلك أمر سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله بطلب العلم وازدياده، حيث قيل له «وقل ربّ زدني علماً»[1] فقال: اللهمّ أرنا الأشياء كما هي.

قوله: قال رئيس المحقّقين نصير الملّة والدين الى آخره.

لعلّه ـقدّس سرّه ـ أراد أن يشير الى أنّ اختلاف مراتب معرفته سبحانه كاختلاف طرقها، وان كان لايحصى كثرة، الّا أنّه ينحصر في ثلاث مراتب أو أربع، تندرج تحت كلّ منها مراتب غير محصورة، وذلك أنّ اختلاف مراتبها

---

(١) سورة طه: ١١٤.

ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة المقلّدين الذين صدقوا بالدين من غير وقوف على الحجّة، وأعلا منها مرتبة من وصل إليه دخان النار وعلم أن لابدّ له من مؤثّر، فحكم بذات لها أثر هو الدخان.

ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة أهل النظر والاستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصانع تعالى، وأعلا منها مرتبة[١] من أحسّ بحرارة النار لسبب مجاورتها وشاهد الموجودات بنورها وانتفع بذلك الأثر.

ونظير هذه المرتبة في معرفة الله سبحانه وتعالى معرفة المؤمنين الخلّص الذين اطمأنت قلوبهم بالله وتيقنوا أنّ الله نور السماوات والأرض، كما وصف به نفسه. وأعلا منها مرتبة من احترق بالنار بكلّيته[٢] وتلاشى فيها بجملته.

شدّة وضعفاً بحسب اختلاف مراتب العقول وهو غير محصور مثلاً مرتبة المعرفة الحاصلة بالانظار والاستدلال بالآثار، وان اشترك فيها جميع الخواصّ المستدلّين حتّى الأنبياء والمرسلين، الّا أنّهم فيها متفاوتون على تفاوت مراتب عقولهم.

الّا ترى أنّك تستدلّ بملكوت السماوات وحركات الكواكب وبزوغها وافولها على صانعها ومدبّرها، كما استدلّ بها خليل الرحمن، لكن لايحصل لك من ذلك الّا معرفة ضعيفة لا يكاد يمازجها ايقان بل ولا ايمان، حتّى لو وقعت في أدنى بيّنة تشبّث بكلّ حشيش، والتي حصلت له عليه السّلام كانت معرفة ثابتة ويقيناً جازماً، حتّى قال له الروح الأمين وقد رمي بالمنجنيق فكان في الهواء مائلاً إلى النار ألك حاجة؟ قال: أمّا اليك فلا، فاعراضه عنه في مثل

---

(١) معرفة: خ ل.

(٢) بالكلية: خ ل.

ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة أهل الشهود والفناء في الله،

هذه الحالة والتجاؤه الى ربّه ليس الّا لأنّه رأى ماسواه مفتقراً خاشعاً لديه خاضعاً بين يديه، بل لم ير موجوداً سواه ولا ملجأ الّا ايّاه، وعليه فقس سائر المراتب.

والأنسب بمسلك الشيخ أن يقال: لمعرفة الله تعالى مراتب متخالفة:

الاولى منها: معرفة أفعاله، أي: تصوّر آلائه والتفكّر في نعمائه.

الثانية: معاينة أفعاله ومكاشفة علوم تجلّيات صفاته.

الثالثة: مشاهدة أنوار كليّات الصفات مع ملاحظة الذات.

الرابعة: مشاهدة جمال الذات مع بقاء الا ثنينيّة.

الخامسة: مشاهدة الذات وهو الشهود الذي بارتفاع الا ثنينيّة ومحو توهّم الغيريّة. وفي هذه المرتبة ترتفع الحجب من البين ويتحقّق الوصول من الأثر الى العين، وهو الشهود الذاتي الذي يحصل بارتفاع الغير عن النظر بالكليّة.

قوله: معرفة أهل الشهود.

وستأتي جملة أحوالهم في أواخر الكتاب في تفسير سورة الفاتحة، والنكتة المختصّة بالالتفات في إيّاك نعبد وإيّاك نستعين.

قوله: والفناء في الله.

من أحبّ الله ذكره، فكلّما اشتدّ حبّه زاد ذكره الى أن يستولي المذكور وهو الله سبحانه على قلبه ويتحلّى فيه، فهو حينئذٍ يحبّه حبّاً شديداً، ويغفل عن جميع ماسواه حتّى عن نفسه، إذ الحبّ المفرط يمنع عن مشاهدة غير المحبوب، وهذا المقام يسمّى مقام الفناء في الله، والواصل اليه لايرى في الوجود الّا هو، وهذا مقام عزيز المثال يعبّر عنه بدار الوصال، ولذا تمنّى الوصول اليه والوقوف عليه.

وهي الدرجة العليا والمرتبة القصوى، رزقنا الله تعالى الوصول إليها والوقوف عليها بمنّه وكرمه. انتهى كلامه أعلى الله مقامه.

فصل

وممّا ينبغي أن يعمل في صدر النهار التصدّق بما تيسّر وإن كان حقيراً.

قوله: التصدّق بما تيسّر وإن كان حقيراً.

كالكسرة من الخبز والتمرة. قال محمَّد بن مسلم: كنت مع أبي جعفر عليه السَّلام في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله، فسقط شرفة من شرف المسجد، فوقعت على رجل فلم تضرّه فأصابت رجله، فقال أبو جعفر عليه السَّلام: سلوه أيّ شيء عمل اليوم؟ فسألوه فقال: خرجت وفي كمّي تمر فمررت بسائل فتصدّقت عليه بتمرة، فقال أبو جعفر عليه السَّلام: بها دفع الله عنه[1].

وفي رواية مسمع بن عبدالملك عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: من تصدّق بصدقة حين يصبح أذهب الله عنه نحس ذلك اليوم[2].

وعنه عليه السَّلام أنّه قال: كان بيني وبين رجل قسمة أرض، وكان الرجل صاحب نجوم، وكان يتوخّي ساعة السعود فيخرج فيها، وأخرج أنا في ساعة النحوس، فاقتسمنا فخرج إليّ خير القسمين، فضرب الرجل بيده اليمنى على اليسرى، ثمّ قال: ما رأيت كاليوم قطّ، قلت: وماذاك ؟ قال: انّي صاحب نجوم أخرجتك في ساعة النحوس وخرجت أنا في ساعة السعود، ثمّ قسّمنا

---

(١) فروع الكافي ٤:٧، ح١١.

(٢) فروع الكافي ٤:٦، ح٧.

روى ثقة الإسلام في الكافي عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: بكّروا بالصدقة فإن البلاء لايتخطّاها[1].

وروي أيضاً عنه عليه السَّلام أنّه قال: بكّروا بالصدقة وارغبوا فيها، فما من مؤمن يتصدّق بصدقة يريد بها ما عندالله ليدفع الله بها شرّ ماينزل من السماء إلى الأرض في ذلك اليوم إلّا وقاه الله شرّ ما ينزل في ذلك اليوم[2].

وممّا يعمل في صدر النهار التمسّح بماء الورد، ففي الحديث عن أصحاب العصمة سلام الله عليهم أجمعين: من مسح وجهه بماء الورد لم يصبه في ذلك اليوم بؤس ولا فقر. وليمسح الوجه واليدين ويصلّي على النبي صلى الله عليه وآله.

فخرج لك خير القسمين.

فقلت: ألا أُحدّثك بحديث حدّثني به أبي عليه السَّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من سرّه أن يدفع نحس يومه فليفتتح يومه بصدقة يذهب الله بها عنه نحس يومه، ومن أحبّ أن يذهب عنه نحس ليلته فليفتتح ليلته بصدقة يدفع نحس ليلته، ثمّ قال: فانّي افتتحت خروجي بصدقة، فهذا خير لك من علم النجوم[3].

قوله: روى ثقة الاسلام.

بسند مجهول.

قوله: وروى أيضاً فيه.

بسند ضعيف.

---

(١) فروع الكافي ٤: ٦، ح٥.

(٢) فروع الكافي ٤: ٥، ح١.

(٣) فروع الكافي ٤: ٦ ـ ٧، ح٩.

وممّا يعمل في صدر النهار غالباً التعمّم ولبس الثياب والخفّ والنعل، فلنذكر بعض آدابها وأدعيتها، فنقول: أما التعمّم، فقد روي أنّه ينبغي أن يقال عنده:

اَللّهُمَّ سَوِّمنِي بِسيمَاء الإِيْمَانِ، وَتَوِّجنِي بِتَاجِ الْكَرَامَةِ، وَقَلِّدْنِي حَبْلَ الإِسْلاَمِ، وَلاَ تَخلَعْ ربْقَةَ الإِيْمَانِ مِنْ عُنقِي.

ولا تتعمّم وأنت جالس، وإذا تعممت فتحنَّك بعمامتك، فإن التحنُّك سنَّة مؤكَّدة.

روى شيخ الطائفة في التهذيب بسند حسن عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: من اعتمّ ولم يُدِر العمامة تحت حنكه فأصابه داء لادواء له، فلا يلومنَّ إلَّا

قوله عليه السَّلام: وتوّجني بتاج الكرامة الى آخره.

التاج: الاكليل، وتوّجه فتتوّج ألبسه إيّاه فلبس، واضافة التاج الى الكرامة اضافة اللجين الى الماء.

«وقلّدني حبل الاسلام» أي: اجعله قلادة في عنقي حتّى لا أُفارقه مادمت حيّاً، شبّه الاسلام بمن له حبل يقيّد ويقلّد به البهائم. والمراد بحبل الاسلام مواثيقه وعهوده وأوامره ونواهيه وأحكامه. وفي الكلام استعارة مكنيّة مرشّحة وتخييل.

والربقة في الأصل عروة في حبل يجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، فاستعارها للايمان، يعني ما يشدّ المؤمن به نفسه من عرى الايمان، أي: حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه.

قوله عليه السَّلام: من اعتمّ ولم يدر العمامة الى آخره.

أي: لبس العمامة لا كوّره ولفّه. وفيه دليل على أنّ المحترز من اصابة

نفسه[١].

وروى رئيس المحدّثين في الفقيه عن الصادق عليه السّلام أنه قال: إني لأعجب ممّن يأخذ في حاجة وهو على وضوء كيف لا تقضى حاجته، وإنّي لأعجب ممّن يأخذ في حاجة وهو معتمّ تحت حنكه كيف لا تقضى حاجته[٢].

والأحاديث في الترغيب في التحنّك كثيرة، وقد انعقد الاجماع منّا عليه. والعجب من مخالفينا كيف ينكرونه؟! مع أنّهم رووا في كتبهم عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه نهى عن الاقتعاط وأمر بالتلحّي.

ذلك الداء الذي لادواء له لابدّ وأن يتحنّك في كلّما اعتمّ، لأنّ الحكم المرتّب على شرط يتكرّر بتكرّره.

وأمّا ما اشتهر في هذا الزمان من التحنّك لمحة بعد الفراغ من تكوّر العمامة والاكتفاء به عن سائر الحالات والأوقات، وان لم يكن المعمّم هو المكوّر، فمّا لم أطّلع في كتب الأخبار بما يدلّ عليه، بل الظاهر منها أنّه لابدّ في تحقّق الاستحباب وترتّب الثواب وسائر فوائد التحنّك من تجديده متى اعتمّ، بل استمراره وبقاؤه على هذه الهيئة مادام متعمّماً.

قوله: كيف لا تقضى حاجته.

يستفاد منه أنّ للتحنّك والوضوء مدخلاً عظيماً في قضاء الحوائج، سواء كانا لذلك بخصوصه أم لا، وهل لبقائهما واستمرارهما إلى زمان قضاء الحاجة مدخل فيه أم يكفي مجرّد تحقّقهما في ابتداء الأخذ فيها وأن يبقيا بعد ذلك ؟

---

(١) تهذيب الاحكام ٢:٢١٦، ح٥٥.

(٢) من لايحضره الفقيه ١:٢٦٦.

قال في الصحاح: الاقتعاط شدّ العمامة على الرأس من غير إدارة تحت الحنك، وفي الحديث أنّه صلّى الله عليه وآله نهى عن الاقتعاط وأمر بالتلحّي[١]. انتهى كلامه. فالتلحّي إدارة العمامة تحت اللَّحيَين.

واعلم أن استحباب التحنّك عامّ في جميع الأوقات والحالات، وليس مختصّاً بحال الصلاة، وإن كانت الصلاة فيه أفضل، بل هو مستحبّ برأسه سواء صلّى فيه أو لم يصلّ، وليس استحبابه للصلاة[٢]، كما يظهر من كلام بعض علمائنا[٣]، ولم أظفر في شيء من الروايات التي تضمّنتها[٤] أُصولنا بما يدلّ على استحبابه للصلاة، بل هي عامّة.

وقد صرّح بهذا العلّامة ـ قدّس الله سرُّه ـ في منتهى المطلب، حيث أورد الأحاديث الدالّة على أن التحنُّك سنَّة في نفسه، ثم قال: قد ظهر بهذه الأحاديث استحباب التحنُّك مطلقاً، سواء كان في الصلاة أو في غيرها. انتهى كلامه.

الظاهر من الحديث هو الثاني، فتأمّل.

قوله: قال في الصحاح.

ومثله في نهاية ابن الأثير حيث قال: فيه «انّه نهى عن الاقتعاط» هو أن يعتمّ بالعمامة ولا يجعل منها شيئاً تحت ذقنه، ويقال للعمامة المقعطة. وقال الزمخشري: المقعطة والمقعط ماتعصّب به رأسك[٥] انتهى كلامه.

---

(١) صحاح اللغة ٣:١١٥٤.

(٢) بل مستحبّ لنفسه لا لغيره (منه).

(٣) لأنّ كلامهم يعطي أن استحبابه للصلاة (منه).

(٤) تضمنها: خ ل.

(٥) نهاية ابن الأثير ٤:٨٨.

فينبغي إذا تحنّكت عند إرادة الصلاة أن تقصد استحبابه لنفسه، كأكثر المستحبات، لا أنّه مستحبّ لغيره أعني: للصلاة، كالرداء مثلاً، وكونه شرطاً في زيادة ثوابها لا يقتضي استحبابه[1] لها، وهذا ظاهر.

وأمّا الآداب في لبس الثياب، فينبغي تقصير الثوب، فقد نقل في تفسير قوله تعالى «وثيابك فطهّر»[2] أي: فقصّر. وينبغي أن لايتجاوز بالكمّ أطراف

وبالجملة لا وجه لاستهجانهم التحنّك وقد ورد في طرقهم الأمر به والنهي عن ضدّه.

قوله: لا أنّه مستحبّ لغيره.

لا منافاة بين استحبابه لغيره وهو الصلاة واستحبابه لنفسه، فيجوز أن يجتمع الاستحبابان، فيكون التحنّك مستحبّاً لأجل الصلاة، وإن كان مستحبّاً في نفسه، ويكون الغرض متعلّقاً بالاستحباب العارض له حين إرادة الصلاة باعتبار التوسّل به الى زيادة ثوابها. وأمّا عموم الأخبار، فانّما دلّ على عدم اختصاص استحبابه بحال الصلاة، وهذا لا ينفي استحبابه لأجل الصلاة، فتأمّل.

قوله: أي فقصّر.

لأنّ تقصيره أبعد من النجاسة. وفي الكافي عن أبي عبدالله عليه السَّلام «فطهّر»[3] أي: فشمّر[4].

---

(١) لأنه يكون استحبابه لنفسه لا لغيره (منه).

(٢و٣) سورة المدثر: ٤.

(٤) فروع الكافي ٦:٤٥٥، ح١.

الأصابع، ولا تبتذل ثوب الصّون،

وفي رواية أُخرى: ارفعها لا تجرّها، فاذا قام قائمنا كان هذا اللباس[١].

وعن عبدالرحمان بن عثمان عن الكاظم عليه السَّلام قال: قال: انّ الله عزّوجلّ قال لنبيّه صلّى الله عليه وآله «وثيابك فطهّر» وكانت ثيابه طاهرة، وانّما أمره بالتشمير[٢].

وعن سلمة بيّاع القلانس، قال: كنت عند أبي جعفر عليه السَّلام إذ دخل عليه أبو عبدالله عليه السَّلام فقال: يابنيّ ألا تطهّر قميصك؟ فذهب فظننّا أنّ ثوبه أصابه شيء، فرجع فقال: انّهنّ هكذا، فقلنا: مالقميصه؟ قال: كان قميصه طويلاً، فأمرته أن يقصّره، انّ الله عزّوجلّ يقول: وثيابك فطهّر[٣].

وفي مجمع البيان عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السَّلام: غسل الثياب يذهب الهمّ والحزن، وهو طهور للصلاة، وتشميرها طهورها، وقد قال الله «وثيابك فطهّر» أي: فشمّر[٤].

وفيه وجوه أُخر تركناها مخافة الاطناب.

قوله: ولا تبتذل ثوب الصون.

سأل اسحاق بن عمّار أبا عبدالله عليه السَّلام عن أدنى الاسراف، فقال: ثوب صونك تبتذله، وفضل الاناء تهريقه، وقذفك النوى هكذا وهكذا[٥].

---

(١) فروع الكافي ٦:٤٥٦، ح٢.

(٢) فروع الكافي ٦:٤٥٦، ح٤.

(٣) فروع الكافي ٦:٤٥٨، ح١٠.

(٤) مجمع البيان ٥:٣٨٥.

(٥) فروع الكافي ٦:٤٦٠، ح١، مع اختلاف يسير.

ولا تلبس ثـوب شـهرة

فلا ينبغي للمرء أن يلبس ثوباً يصون عرضه في البيت و وقت الخدمة، فانّه من السرف، بل ينبغي أن ينزعه في هذه الأوقات ويطويه فانّه أبقى له، وخاصّة بالليل فانّه إذا كان منشوراً لبسته الشياطين.

وعن الاصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السَّلام للمسرف ثلاث علامات: يأكل ماليس له، ويشتري ماليس له، ويلبس ما ليس له[١].

سواء كان حراماً أو كان زائداً على الشبع، أو لم يكن مناسباً له، وكذا في الأخيرين.

قوله: ولا تلبس ثوب شهرة.

في الكافي في صحيحة أبي أيّوب الخزّاز عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: انّ الله يبغض شهرة اللباس[٢].

وفيه عنه عليه السَّلام: كفى بالمرء خزياً أن يلبس ثوباً يشهره، وأن يركب دابّة تشهره[٣].

وعنه عليه السَّلام: الشهرة خيرها وشرّها في النار[٤].

وعن الحسين عليه السَّلام: من لبس ثوباً يشهره كساه الله يوم القيامة ثوباً من النار[٥].

---

(١) الخصال: ٩٨، ح٤٥.

(٢) فروع الكافي ٦: ٤٤٤، ح١.

(٣) فروع الكافي ٦: ٤٤٥، ح٢.

(٤) فروع الكافي ٦: ٤٤٥، ح٣.

(٥) فروع الكافي ٦: ٤٤٥، ح٤.

والبس في الصلاة الأبيض.

فقد روي عن الصادق عليه السَّلام: يُكره السواد إلّا في ثلاثة: الخفّ، والعمامة، والكساء[١].

والمراد بثوب الشهرة كلّ مايوجب شهرة لابسه، غالياً كان في قيمته أم نازلاً. تدلّ عليه صحيحة حمّاد بن عثمان، قال: كنت حاضراً لأبي عبدالله عليه السَّلام إذ قال له رجل أصلحك الله ذكرت أنّ علي بن أبي طالب عليه السَّلام كان يلبس الخشن، يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك، ونرى عليك اللباس الجيّد؟ قال: فقال له: انّ علي بن أبي طالب عليه السَّلام كان يلبس ذلك في زمان لاينكر، ولو لبس مثل ذلك اليوم لشهر به، فخير لباس كلّ زمان لباس أهله، غير أنّ قائمنا إذا قام لبس ثياب علي عليه السَّلام وسار بسيرته[٢].

وفيه عنه عليه السَّلام قال: بينا أنا في الطواف وإذا برجل يجذب ثوبي، وإذا هو عبّاد بن كثير البصري، فقال: ياجعفر بن محمَّد تلبس مثل هذه الثياب وأنت في هذا الموضع مع المكان الذي أنت فيه من علي عليه السَّلام؟ فقلت: ثوب فرقبيّ اشتريته بدينار، وكان علي عليه السَّلام في زمان يستقيم له مالبس فيه، ولو لبست مثل هذا اللباس في زماننا لقال الناس هذا مرائيّ مثل عبّاد[٣].

قوله: والبس في الصلاة الأبيض.

استحباب لبس الأبيض لا اختصاص له بحال الصلاة، كما يظهر من

---

(١) فروع الكافي ٣:٤٠٣، ح٢٩.

(٢) فروع الكافي: ٦:٤٤٤، ح١٥.

(٣) فروع الكافي ٦:٤٤٣، ح٩.

وأمّا الدعاء عند لبس الثوب، فقد روي عن الصادق عليه السَّلام أنّه يقال عند لبس الثوب:

اَللّهُمَّ اجْعَلْهُ ثَوبَ يُمْنٍ وَبَرَكَةٍ، اَللّهُمَّ ارْزُقْنِي فِيهِ شُكرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِكَ. اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي رَزَقَنِي مَا أَسْتُرُ بِهِ عَورَتِي، وأَتَجَمَّلُ بِهِ فِي النَّاس.

كلامه قدّس سرّه، بل هو عامّ في جميع الأوقات والحالات، صلّى فيه أم لم يصلّ، وان كانت الصلاة فيه أفضل. فورد في روايات عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: البسوا البياض فانّه أطيب وأطهر، وكفّنوا فيه موتاكم[1].

وعن صفوان الجمّال قال: حملت أبا عبدالله عليه السَّلام الحملة الثانية الى الكوفة وأبو جعفر المنصور بها، فلمّا أشرف على الهاشميّة ـ مدينة أبي جعفر ـ أخرج رجله من غرز الرجل، ثمّ نزل ودعا ببغلة شهباء ولبس ثياب بيضاء وكمّة بيضاء، فلمّا دخل عليه قال له أبوجعفر: لقد تشبّهت بالأنبياء، فقال له أبوعبدالله عليه السَّلام: وأنّىٰ تبعدني من أبناء الأنبياء الحديث وطوله[2].

قوله عليه السَّلام: الحمد لله الذي رزقني ما أستر به عورتي.

اللباس ثلاثة: لباس يستر به العورة، ولباس يتجمّل به في الناس، ولباس يتّقي به عن الحرّ والبرد والجرح، وكلّ ذلك نعمة من الله أنعم بها على عباده يستحقّ به الحمد.

---

(١) فروع الكافي ٦:٤٤٥، ح ١ و ٢.

(٢) فروع الكافي ٦: ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

وعن الباقر عليه السَّلام أنّه يقال عند لبس الثوب الجديد:

اَللّهُمَّ اجْعَلْهُ ثَوبَ يُمْنٍ وَتَقْوَى وَبَرَكَةٍ، اَللّهُمَّ ارْزُقْنِي فيهِ حُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَعَمَلاً بِطَاعَتِكَ، وأَدَاءَ شُكْرِ نِعْمَتِكَ. الْحَمْدُ للهِ الَّذي كَسَانِي مَا أُوَاري بِهِ عَورَتِي وأَتَجَمَّلُ بِهِ في النّاسِ[١].

وروي أنّه يقال عند لبس السراويل:

اَللّهُمَّ اَسْتُرْ عَوْرَتِي، وَآمِنْ رَوْعَتِي، وأَعِفَّ فَرْجِي، وَلاَ تَجْعَلْ لِلشَّيْطَانِ فِي ذَلِكَ نَصِيباً، وَلاَ لَهُ إلى ذَلِكَ وُصولاً، فَيَضَعُ لِي الْمكَائدَ،

أمّا الأوّل، فلأن ستر العورة واجب، وكشفها قبيح عقلاً ونقلاً.

وأمّا الثاني، فلأنّ التجمّل بين الأمثال والأقران مطلوب للانسان.

وأمّا الثالث، فلأنّ دفع الضرر الممكن واجب. وقد أرشد الله إلى ذلك كلّه في مقام الاحسان والامتنان بقوله «يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم» أي يستر عوراتكم «وريشاً» وهو لباس التجمّل «ولباس التقوى» وهو لباس يتّقى به عن الحرّ والبرد «ذلك خير»[٢] لانّه يحصل به ما يحصل بهما من غير عكس كلّي، فتأمّل.

قوله عليه السَّلام: ما أُواري.

أي: أستر.

قوله عليه السَّلام: وأعفّ فرجي.

أي: واحفظها عن الحرام.

---

(١) فروع الكافي ٦: ٤٥٨، ح ١.

(٢) سورة الاعراف: ٢٦.

وَيُهَيِّجُنِي لِإِرْتِكَابِ مَحَارِمِكَ.

وينبغي أن لايلبس السراويل وهو مستقبل القبلة.

وأما لبس الخفّ والنعل، فليكن وهو جالس ويلبس نعل اليمنى قبل اليسرى وعند الخلع بالعكس وهو قائم، ويقول عند لبس كلّ من الخف والنعل:

بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ اَللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَوَطِّىء قَدَمَيَّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَثَبِّتْهُما عَلىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الأَقْدَامُ.

وتقول عند خَلْعِهما:

بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ اَللّهُمَّ صلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي رَزَقَنِي مَا أُوقِّي بِهِ قَدَمَيَّ مِنَ الأَذىٰ. اَللّهُمَّ ثَبِّتهُمَا عَلىٰ

قوله: ويلبس نعل اليمنى قبل اليسرى الى آخره.

في صحيحة محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السّلام قال: من السنّة خلع الخفّ اليسار قبل اليمين، ولبس اليمين قبل اليسار[١].

وفي ضعيفة ابن القدّاح عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: كان يقول: اذا لبس أحدكم نعله فليلبس اليمين قبل اليسار، واذا خلعها فليخلع اليسرى قبل اليمنى[٢].

قوله: ووطّىء قدميّ في الدنيا والآخرة.

أي: ثبّتهما، فانّ الوطىء الاثبات والغمز في الأرض. والمراد بثبات القدم

---

(١) فروع الكافي ٦:٤٦٧، ح١.

(٢) فروع الكافي ٦:٤٦٧، ح٣.

صِرَاطِكَ ، وَلاَ تُزِلَّهُمَا عَنْ صِرَاطِكَ السَّوِيِّ.

وروي عن الصادق عليه السَّلام كراهة لبس الخفّ الأحمر في الحضر دون السفر[١].

وعنه عليه السَّلام أنّه قال: من السنّة لبس الخف الأسود والنعل الأصفر،

في الدنيا الاستقامة على جادّة النجاة وعدم الميل الى شيء من الباطل، وهذا يستلزم ثباتها في الآخرة.

قوله: كراهة لبس الخف الأحمر.

في الكافي في مرسلة داود الرقّي، قال: خرجت مع أبي عبدالله عليه السَّلام الى ينبع، فلمّا خرج رأيت عليه خفّاً أحمر، فقلت له: جعلت فداك ماهذا الخفّ الأحمر الذي أراه عليك؟ فقال: خفّ اتّخذته للسفر وهو أبقى على الطين والمطر وأحمل له، قلت: فاتّخذها والبسها؟ فقال: أمّا في السفر فنعم، وأمّا في الحضر فلا تعدلنّ بالسواد شيئاً[٢].

وفيه وفي ضعيفة حنان بن سدير، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السَّلام وفي رجلي نعل سوداء، فقال: ياحنان مالك وللسوداء، أما علمت أنّ فيها ثلاث خصال: تضعف البصر، وترخي الذكر، وتورث الهمّ، ومع ذلك لباس الجبّارين، قال: قلت: فما ألبس من النعال؟ فقال: عليك بالصفراء فانّ فيها ثلاث خصال: تجلو البصر، وتشدّ الذكر، وتدرىء الهمّ، وهي مع ذلك من لباس النبيين عليهم السَّلام[٣].

وعن أبي جعفر عليه السَّلام قال: من لبس نعلاً صفراء لم يزل ينظر في

(١ و٢) فروع الكافي ٦:٤٦٦، ح٤.

(٣) فروع الكافي ٦:٤٦٥، ح٢.

وكره عليه السَّلام لبس النعل الأسود[١].

وعنه عليه السَّلام: من لبس نعلاً صفراء كان في سرور حتى يبليها[٢].

وعنه عليه السَّلام: من لبس نعلاً صفراء لم يبلها حتى يستفيد مالاً[٣].

ولنوضح بعض ماتضمّنه هذا الفصل.

«سوِّمني بسيماء الإيمان» أي: علِّمني بعلامته، أي: أظهر علامة الإيمان في أفعالي وأقوالي وسائر أحوالي. وقد بيَّن أمير المؤمنين عليه السَّلام علامة المؤمنين في خطبته المشهورة التي وصفهم فيها عند سؤال همّام[٤] رضي الله عنه ذلك منه عليه السَّلام.

والربقة: بالكسر حبل ذو عرى، والفقر الثلاث استعارات.

«وآمن روعتي» أي: بدِّل[٥] خوفي بالأمن. والروعة: بفتح الراء المهملة الخوف.

فصل

وممّا جرت العادة بفعله في أثناء هذا الوقت ـ أعني: مابين طلوع الشمس

سرور مادامت عليه، لأنّ الله يقول «صفراء فاقع لونها تسرّ الناظرين»[٦].

وفي ضعيفة سدير الصيرفي، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السَّلام وعليّ

---

(١) فروع الكافي ٦: ٤٦٦ ـ ٤٦٧.

(٢) فروع الكافي ٦: ٤٦٦، ح٥.

(٣) تفسير العياشي ١: ٤٧.

(٤) الهمام بفتح الهاء وتشديد الميم رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السَّلام (منه).

(٥) أبدل: خ ل.

(٦) فروع الكافي ٦: ٤٦٦، ح٦.

والزوال ـ الأكل والشرب، فلنذكر نبذة من آدابهما وأدعيتهما المرويّة عن أصحاب العصمة سلام الله عليهم، فنقول:

نعل بيضاء، فقال: ياسدير ما هذه النعل احتذيتها على علم؟ قلت: لا والله جعلت فداك ، فقال: من دخل السوق قاصداً لنعل بيضاء لم يبلها حتّى يكتسب مالاً من حيث لايحتسب، قال أبونعيم: أخبرني سدير أنّه لم يبل تلك النعل حتّى اكتسب مائة دينار من حيث لايحتسب[1].

قوله: الأكل.

لعلّه انّما خصّ التغذّي بالذكر وبنى بنان الآداب عليه دون التعشّي لتقدّمه عليه في قوله تعالى «ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيّاً»[2].

قوله: فلنذكر نبذة من آدابها.

الأدب (نگاه داشتن حدّ هر چيزى)، ولعلّه ـقدّس سرّهـ أراد به هنا مايعمّ الخصال الاثني عشريّة المذكورة في رواية ابراهيم الكرخي، عن أبي عبدالله عليه السّلام عن آبائه عليهم السّلام قال: قال الحسن بن علي عليهما السّلام في المائدة اثنتا عشرة خصلة يجب على كلّ مسلم أن يعرفها، أربع منها فرض، وأربع منها سنّة، وأربع منها تأديب.

فأمّا الفرض، فالمعرفة، والرضاء، والتسمية، والشكر. وأمّا السنّة، فالوضوء قبل الطعام، والجلوس على الجانب الأيسر، والأكل بثلاث أصابع ولعق الأصابع. وأمّا التأديب، فالأكل ممّا يليك ، وتصغير اللقمة، وتجويد المضغ،

---

(١) فروع الكافي ٦: ٤٦٥، ح٣.

(٢) سورة مريم: ٦٢.

إذا أردت الأكل، فاجلس على يسارك ولا تجلس مرتعاً[١]، فإنها جلسة يبغضها[٢] الله تعالى ويمقت صاحبها، كما رُويَ عن أمير المؤمنين عليه السَّلام

وقلّة النظر في وجوه الناس[٣].

والمراد بالمعرفة معرفة حلّه وحرمته، وبالرضا الرضاء بذلك الطعام، وبالفرض ماينبغي أن يهتمّ الانسان به كمال الاهتمام، وبالسنّة ماكان دونه في الاهتمام، وبالتأديب ماكان دون ذلك.

قوله: فاجلس على يسارك ولا تجلس مرتّعاً.

فان قلت: فما تقول فيما روي عن أبي سعيد أنّه رأى أبا عبدالله عليه السَّلام يأكل متربّعاً.

قلت: التربيع يطلق على ثلاث معان: أن يجلس على القدمين والاليتين، وهو المستحبّ في صلاة القاعد حال قراءته. والجلوس المعروف بالمربّع أن يجلس هكذا: يجعل احدى رجليه على الركبة الاخرى، فان كان الأكل في الحالة الاولى فلابأس به، وبالمعنى الثاني خلاف المستحبّ، وبالثالث مكروه، وهو الذي أشار إليه أمير المؤمنين عليه السَّلام، فلو وقع أكل الصادق عليه السَّلام على خلاف المستحبّ لكان: امّا للضرورة، أو لبيان الجواز.

---

(١) متربعاً: خ ل.

(٢) الرواية عنه عليه السَّلام هكذا قال: إذا جلس أحدكم إلى الطعام فليجلس جلسة العبد وليأكل على الأرض ولا يضع إحدى رجليه على الأُخرى يتربع فإنها جلسة يبغضها الله عزَّ وجلَّ ويمقت صاحبها (منه رحمه الله).

(٣) الخصال: ٤٨٥، ح٦٠.

وإذا مددت يدك إلى الأكل فقل:

بِسْمِ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فقد روي عن الصادق عليه السّلام أنّ الرجل إذا أراد أن يطعم، فأهوى بيده وقال:

بِسْمِ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

غفر الله له قبل أن تصير اللقمة إلى فيه[1]. وروي استحباب التسمية على كلّ لون[2]. وروي أيضاً استحبابها على كلّ إناء على المائدة وإن اتحدت ألوان الطعام[3]. ومن نسي التسمية على كل لون فليقل:

بِسْمِ اللهِ عَلَىٰ أَوَّلِهِ وَآخِره.

رواه رئيس المحدّثين في الفقيه[4].

وممّا ينبغي أن يقال عند الشروع في الأكل:

الْحَمْدُ للهِ الَّذي يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ، وَيُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ، وَيَسْتَغْنِي

قوله عليه السّلام: فقل بسم الله والحمد لله ربّ العالمين.

للتسمية وقت الشروع في الأكل، والتحميد بعد الفراغ منه، فوائد أُخرويّة ودنيويّة.

أمّا الاخرويّة، فمنها ما أشار إليه أبوعبدالله الصادق عليه السّلام من غفران الذنوب وستر العيوب. وأمّا الدنيويّة، فمنها ما أشار اليه سيّدنا أمير المؤمنين سلام الله عليه: ضمنت لمن يسمّي على طعامه أن لايشتكي منه، فقال ابن الكوّاء:

---

(١) فروع الكافي ٦:٢٩٣، ح٧.

(٢) فروع الكافي ٦:٢٩٥، ح١٨.

(٣) فروع الكافي ٦:٢٩٥، ح٢٠.

(٤) من لايحضره الفقيه ٣:٣٥٦.

وَيُفْتَقَرُ إلَيْهِ. اَللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ مَا رَزَقْتَنَا مِنْ طَعَامٍ و إدَامٍ في يُسْرٍ وَعَافِيَةٍ، مِنْ غَيْر كَدٍّ مِنَّا وَلاَ مَشقَّةٍ. بِسْمِ الله خَيْرِ الأَسْمَاء، بِسْمِ الله رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاء، بِسْمِ الله الَّذي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيء في الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، اَللّهُمَّ أَسْعِدْنِي في مَطعَمِي هذَا بِخَيْره، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّه، وأَمْتِعْنِي بِنَفْعِهِ وَسَلِّمْني مِنْ ضَرِّه.

يا أمير المؤمنين لقد أكلت البارحة طعاماً فسمّيت عليه ثمّ آذاني، فقال أمير المؤمنين عليه السَّلام: أكلت ألواناً فسمّيت على بعضها ولم تسمّ على بعض يالكع[١]. أي: اللئيم الأحمق.

وقال الصادق عليه السَّلام: ما اتّخمت قطّ وذلك أنّي لم أبدأ بطعام الاّ قلت بسم الله، ولم أفرغ من طعام الاّ قلت الحمد لله[٢].

تقول اتّخمت من الطعام اذا حصل لك به ثقل أو جشاء، وهو الذي يحصل بكثرة الأكل والادخال الذي يحصل به الاسهال واللينة، وهذا منه عليه السَّلام تعليم، والاّ فهو بريء من التخمة التي تحصل للشهوة البهيميّة.

قوله: بسم الله الذي لايضرّ مع اسمه شيء.

أي: لا يصير ضارّاً ولا ينقلب اليه، وهذا انّما يكون إذا كان الشيء نافعاً في ذاته. ويمكن أن يصير ضارّاً بالعرض، فالتسمية تدفع الضرر هذا لامطلقاً، فلا يرد الافراط والقاء النفس الى التهلكة بعدم الاجتناب عن المؤذيات والمهلكات، نقضاً للعموم والكليّة، بأن يقال: انّا كثيراً مانسمّي على كذا

---

(١) فروع الكافي ٦:٢٩٥، ح١٨.

(٢) من لايحضره الفقيه ٣:٣٥٦.

وينبغي أن يكون أوّل ما تأكله كلّ يوم إحدى وعشرين زبيبة حمراء. فعن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: مَن أكل كلّ يوم على الريق إحدى وعشرين زبيبة حمراء لم يَعْتَلّ إلّا علة الموت[١].

وكذا وهو يضرّنا ويؤذينا.

ويؤيّد ما قلناه انّه مع تسمية طلب الاسعاد بخيره، واستعاذ من شرّه، وطلب السلامة من ضرّه، فانّه استعاذة من ضرّه على تقدير كونه ضارّاً، والأوّل المقرون بالتسمية استعاذة من صيرورته ضارّاً، فتأمّل.

قوله صلّى الله عليه وآله: احدى وعشرين زبيبة حمراء.

ومثله ماروي عن سيّدنا أمير المؤمنين سلام الله عليه: من اصطبح باحدى وعشرين زبيبة حمراء لم يمرض الّا مرض الموت[٢].

وعن أبي الحسن عليه السَّلام: من أكل رمّاناً يوم الجمعة على الريق نوّرت قلبه أربعين صباحاً، فان أكل رمّانتين فثمانين يوماً، فان أكل ثلاثاً فمائة وعشرون يوماً، وطردت عنه وسوسة الشيطان ومن طردت عنه وسوسة الشيطان لم يعص الله، ومن لم يعص الله أدخله الله الجنّة[٣].

وعن أبي عبدالله الصادق عليه السَّلام: من أكل سبع تمرة عجوة عند منامه قتلن الديدان من بطنه[٤].

وعن شهاب بن عبد ربّه، قال: شكوت الى أبي عبدالله عليه السَّلام ما ألقى من الأوجاع والتخم، فقال لي: تغدّ وتعشّ ولا تأكل بينهما شيئاً، فانّ فيه فساد البدن، أما سمعت الله يقول «لهم رزقهم فيها بكرة وعشيّاً»[٥].

(١ و٢) فروع الكافي ٦:٣٥١، ح١.
(٣) فروع الكافي ٦:٣٥٥، ح١٦.
(٤) فروع الكافي ٦:٣٤٩، ح٢٠.
(٥) فروع الكافي ٦:٢٨٨، ح٢.

واغسل يديك معاً قبل الطعام وبعده، وإن كان أكلك بيد واحدة. وروى

وعن أمير المؤمنين عليه السَّلام: عشاء الأنبياء بعد العتمة فلا تدعوه، فإنّ ترك العشاء خراب البدن[١].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السَّلام قال: اذا اكتهل الرجل فلا يدع أن يأكل بالليل شيئاً، فانّه أهدى للنوم، وأطيب للنكهة[٢].

وعنه عليه السَّلام: انّ في الجسد عرقاً يقال له العشاء، فاذا ترك الرجل العشاء لم يزل يدعو عليه ذلك العرق الى أن يصبح يقول: أجاعك الله كما أجعتني، وأضمأك الله كما أظمأتني، فلا يدعنّ أحدكم العشاء ولو بلقمة من خبز، أو بشربة من ماء[٣].

وعن أبي عبدالله عليه السَّلام: من ترك العشاء ليلة السبت وليلة الأحد متواليتين، ذهبت عنه قوّته، فلم ترجع اليه أربعين يوماً[٤].

وعنه عليه السَّلام: طعام الليل أنفع من طعام النهار[٥].

وعن الصادق عليه السَّلام: نعم اللقمة الجبن تعذب الفم، وتطيب النكهة، وتشهي الطعام وتهضمه، ومن يتعمّد أكله رأس الشهر أوشك أن لا تردّ له حاجة فيه[٦].

قوله: واغسل يديك معاً.

لا احداهما كما يفعله الجبابرة المتكبّرة، لأنّه أقرب الى التواضع وأبعد عن الكبر.

---

(١) فروع الكافي ٦: ٢٨٨، ح١.

(٢) فروع الكافي ٦: ٢٨٨، ح٤.

(٣) فروع الكافي ٦: ٢٨٩، ح١٢.

(٤) فروع الكافي ٦: ٢٨٩، ح٨.

(٥) فروع الكافي ٦: ٢٨٩، ح١١.

(٦) بحار الأنوار ٦٦: ١٠٥، ح١١.

رئيس المحدّثين في الفقيه عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: من غسل يده[١] قبل الطعام وبعده عاش في سعة وعوفيَ من بلوى في جسده[٢].

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السَّلام أنّه يزيد في العمر ويجلو البصر[٣].

وابدأ إن كنت صاحب الطعام بالغسل الأوّل، ثمّ يغسل بعدك مَن على يمينك، وفي الغسل الثاني تغسل أنت أخيراً ومن على يسارك أولاً. وروي الابتداء في الغسل الثاني بمن على يمين الباب، حرّاً كان أو عبداً[٤].

ولا تمسح يديك بالمنديل بعد الغسل الأول، وامسحهما به بعد الغسل الثاني بعد أن تمسح ببللها عينَيك، ولا تمسحهما بالمنديل وفيها أثر الطعام حتى تمصّها.

وكرّر حمد الله سبحانه في أثناء الأكل. وابدأ بالأكل قبل الحاضرين، إن

قوله: ولا تمسح يديك.

لأنّه يورث البركة مادامت النداوة باقية عليهما.

قوله: بعد أن تمسح ببللهما عينيك.

وكذا حاجبيك ووجهك اذهاباً للكلف، واحمد الله حال المسح بالمأثور «الحمد لله المحسن المجمل المنعم المفضل» ليكون وقاية للعين من الرمد والوجع.

قوله: وكرّر حمد الله سبحانه.

لرواية سماعة قال: كنت آكل مع أبي عبدالله عليه السَّلام فقال: يا

---

(١) يديه: خ ل.

(٢) من لايحضره الفقيه ١:٣٥٨.

(٣) فروع الكافي ٦:٢٩٠، ح٣.

(٤) فروع الكافي ٦:٢٩٠ - ٢٩١.

كنت صاحب الطعام، وارفع يدك منه بعدهم. ولا ينبغي الأكل باليسار ولا الشرب بها، ولا الأكل بإصبعين.

وإذا حضر الخبز، فلا تنتظر حضور غيره من الأطعمة، ولا تضعه تحت القصعة، ولا تقطعه بالسكين، وابدأ بالملح واختم به. وروي الختم بالخلّ أيضاً[١].

سماعة أكلاً وحمداً لا أكلاً وصمتاً[٢].

قوله: لا الأكل باصبعين.

لأنّه خلاف السنّة، بل ينبغي الأكل بثلاث أصابع، كما سبق في رواية الكرخي.

قوله: غيره من الأطعمة.

وكذا لاينتظر الادام.

قوله: ولا تقطعه بالسكّين.

بل يكسره باليد ولا يمسح به، كلّ ذلك لمنافاته الاكرام المأمور به، فورد: أكرموا الخبز فانّ الله أنزله من بركات السماء[٣].

قوله: وروي الختم بالخلّ أيضاً.

قال الصادق عليه السّلام: انّ بني أُميّة يبدأون بالخلّ في أوّل الطعام

---

(١) فروع الكافي ٦: ٣٣٠، ح١٢.

(٢) من لايحضره الفقيه ٣: ٣٥٥.

(٣) بحار الانوار ٦٦: ٢٧١، ح١٤.

ويستحبّ إحضار البقل الأخضر على المائدة ولا تأكل اللحم في يوم واحد مرّتين، وكُلْهُ في كلّ ثلاثة أيّام، ويكره تركه أربعين يوماً. ولا تهتك[١] العظم، بل أبق فيه بقية، فقد روي أن للجنّ فيه نصيباً، وأنّ من فعل ذلك ذهب من بيته ما هو خير من ذلك[٢].

وينبغي إطالتك الجلوس على المائدة إن كنت صاحب الطعام. فقد روى ثقة الإسلام في الكافي بطريق حسن عن زرارة، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السَّلام يقول: ثلاث إذا تعلمهنَّ الرجل[٣] كانت زيادة في عمره وبقاء

ويختمون بالملح، وانّا نبدأ بالملح ونختم بالخلّ[٤].

قوله: ويستحب احضار البقل.

لأنّه يحضر الملائكة ويطرد الشيطان.

قوله: ولا تأكل اللحم في يوم واحد مرّتين.

المراد باليوم هنا، أي في هذه الأحكام الثلاثة مايعمّ الليل أيضاً، وهو ظاهر.

قوله: فقد روي انّ للجنّ فيه نصيباً.

روى ذلك علي بن أسباط عن أبيه، قال: صنع لنا أبو حمزة طعاماً ونحن

---

(١) تنهك: خ ل. يقال نهك العظم بالفتح إذا بالغ في أكل ما عليه من اللحم بحيث لم يبق فيه شيء (منه رحمه الله).

(٢) فروع الكافي ٦: ٣٢٢، ح١.

(٣) في الكافي: المؤمن.

(٤) بحار الانوار ٦٦: ٣٠٣، من لايحضره الفقيه ٣: ٣٥٧.

للنعمة عليه، فقلت: وماهن؟ قال: تطويله في ركوعه وسجوده في صلاته، وتطويله في جلوسه إذا أطعم على مائدته، واصطناعه المعروف إلى أهله[١] [٢].

جماعة، فلمّا حضروا رأى أبو حمزة رجلاً ينهك العظم فصاح به، وقال: لا تفعل فانّي سمعت علي بن الحسين عليهما السَّلام يقول: لا تنهكوا العظام فانّ للجنّ فيها نصيباً، فان فعلتم ذهب من البيت ماهو خير من ذلك[٣].

والظاهر أنّ الجن يشمّون العظم، فاذا استقصي لايبقى منه شيء يشمّونه فيسرقون من البيت.

قوله: واصطناعه المعروف.

الاصطناع افتعال من الصنع، وهو بالضمّ مصدر قولك صنع اليه معروفاً أي فعل، والمعروف اسم جامع لكلّ ماعرف من طاعة الله والتقرّب اليه والاحسان الى الغير.

قوله في الحاشية: الضمير إن عاد الى المعروف الى آخره.

يقرب الأوّل قرب المرجع ويبعده تفكيك الضمير، فانّ الضمائر السابقة عليه كلّها تعود الى الرجل، فهو يؤيّد الثاني. ويؤيّده أيضاً عموم قول الصادق عليه السَّلام: اصنع المعروف الى كلّ أحد، فان كان أهله والّا فأنت أهله[٤].

ولكن يؤيّد الأوّل قوله عليه السَّلام للمفضّل بن عمر: يامفضّل إذا أردت

---

(١) إن عاد الضمير الى المعروف وهو الظاهر فالمراد الإحسان إلى من يستحق الإحسان، وإن عاد إلى الرجل فالمراد أقاربه وعشيرته (بخط المصنف رحمه الله).

(٢) فروع الكافي ٤:٤٩ ـ ٥٠.

(٣) فروع الكافي ٦:٣٢٢، البحار ٦٦:٤٢٦.

(٤) من لايحضره الفقيه ٢:٥٥.

وقل بعد الفراغ من الأكل ماروي عن الصادق عليه السَّلام:
الْحَمْدُ لله الَّذي أَطعَمَنَا فِي جائِعِينَ، وَسَقَانَا فِي ظَامِئِينَ[١]

أن تعلم أشقيّ الرجل أم سعيد، فانظر الى معروفه الى من يصنعه، فان كان يصنعه الى من هو أهله، فاعلم أنّه الى خير، وإن كان يصنعه الى غير أهله، فاعلم أنّه ليس له عندالله عزّوجلّ خير[٢].

ويمكن التوفيق بينهما بأنّ مراده عليه السَّلام في الحديث الأوّل: اصنع المعروف الى كلّ أحد تظنّ أنّه أهله، فان كان أهله والاّ فأنت أهله. وفي الثاني: أنّه يصنعه الى غير أهله وهو يعلم أنّه غير أهله، فهو شقيّ لاخير فيه، وهذا ممّا عليه أكثر أبناء زماننا هذا، نعوذ بالله منه.

قوله: ما روي عن الصادق عليه السَّلام.

القدر الذي يؤدّي به السنّة هو قولنا الحمد لله. وأمّا ما روي عن الصادق عليه السَّلام وما شابهه، فالظاهر أنّ المراد به أفضل أفراد الحمد وأكمله.

يدلّ على ذلك ماروا‌ه عمر بن قيس الماصر، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السَّلام بالمدينة وبين يديه خوان وهو يأكل، فقلت له: ما حدّ هذا الخوان؟ فقال: إذا وضعته فسمّ الله، وإذا رفعته فاحمد الله وقمّ ماحول الخوان فانّ هذا حدّه، قال: فالتفتّ فاذا كوز موضوع فقلت له: ماحدّ هذا الكوز؟ فقال: اشرب ممّا يلي شفتيه وسمّ الله عزّوجلّ، فاذا رفعته عن فيك فاحمد الله، واياك وموضع العروة أن تشرب منها فانّها مقعد الشيطان فهذا حدّه[٣].

---

(١) ظمآنين: خ ل.

(٢) من لايحضره الفقيه ٢:٥٧.

(٣) اختيار معرفة الرجال ٢:٤٨٤، من لايحضره الفقيه ٣:٣٥٦.

وكَسَانَا في عَارِيْنَ، وَهَدانَا في ضَالِّيْنَ، وَحمَلَنَا في رَاجلينَ، وآوانَا في ضَاحينَ، وأَخْدَمَنَا في عانينَ، وَفَضَّلنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعَالَمِينَ.

وأمّا ما اشتهر في هذا الزمان من قراءة الفاتحة[1] بعد الطعام، فلم أطّلع عليه في كتب الحديث. وينبغي أن يغسل الحاضرون أيديهم في طشت واحد، ولا يرفع الطشت ويراق حتى يمتلىء.

قوله: وأمّا ما اشتهر في هذا الزمان.

الظاهر أنّ هذا ممّا قرّره بعض السلف، ثمّ استمرّ في الناس الى هذه الأزمان. والوجه فيه أنّ هذا الحمد بعد الفراغ من الطعام لمّا كان من آداب الأكل وسننه، وكان أكثر الناس وخاصّة عوامهم في أكثر المحافل غافلاً عنه، مشتغلاً بالاختلاط وبأُمور الدنيا، حسن تذكيرهم بذلك وأمرهم بقراءة الفاتحة، لاشتماله على مايؤدّي به السنّة وزيادة.

نعم ما اشتهر في زماننا هذا من مسألة الحاجات والخوض في الدعوات بعد الفراغ من الطعام ثمّ أمر الحاضرين بقراءة الفاتحة ممّا لامأخذ له ولا وجه.

قوله: ولا يرفع الطشت.

هذا وان كان خلاف المتعارف في هذا الزمان، الّا أنّه مورد النصّ، وقد علّل بأنّه ينتج المحبّة.

قوله: ويراق حتّى يمتلىء.

فورد: اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم. فان أمكنهم الاجتماع على الغسل جميعاً في الطشت كان أقرب الى التواضع وأبعد من طول الانتظار.

---

(١) فاتحة الكتاب: خ ل.

ويستحبّ التخليل[١]. ويكره اتّخاذ الخلال من الخوص والقصب والريحان والآس والرُّمان. وينبغي قذف ماخرج من بين الأسنان بالخلال، وابتلاع ماخرج باللسان.

وينبغي أن يكون ما تأكله موافقاً لما تشتهيه عيالك، لا ما تشتهيه أنت دونهم، فقد روى ثقة الإسلام في الكافي، عن أبي عبدالله عليه السَّلام أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: المؤمن يأكل بشهوة أهله، والمنافق يأكل أهلُه بشهوته[٢].

قوله: ويستحبّ التخلّل.

في رواية وهب بن عبد ربّه، قال: رأيت أبا عبدالله عليه السَّلام يتخلّل، فنظرت إليه، فقال: انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يتخلّل وهو يطيّب الفم[٣].

وقال عليه السَّلام: ما أدرت عليه لسانك فأخرجته فابلعه، وما أخرجته بالخلال فارم به[٤].

وفي رواية: من حقّ الضيف أن يعدّ له الخلال[٥].

هذا وخوص النخل ورقه.

قوله صلّى الله عليه وآله: يأكل بشهوة أهله.

إذ لا شهوة له، لكسرة قواه الشهويّة البهيميّة بالرياضات والمجاهدات،

---

(١) التخلّل: خ ل.

(٢) فروع الكافي ٤: ١٢، ح٦.

(٣) من لايحضره الفقيه ٣: ٣٥٧، ح٤٢٦٠.

(٤) من لايحضره الفقيه ٣: ٣٥٧، ح٤٢٦٢.

(٥) من لايحضره الفقيه ٣: ٣٥٧، ح٤٢٦١.

وأما آداب شرب الماء، فإنّه يقول عند شربه:

الْحَمْدُ لله مُنزِّل الْمَاء مِنَ السَّماء، وَمُصَرِّف الأَمْر كَيْفَ يَشاء، بِسْمِ الله خَيْرِ الأَسْمَاء. ويقول بعد شربه:

الْحَمْدُ لله الَّذِي سَقَانِي ماءً عَذْباً، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحاً أُجاجاً بِذُنُوبِي. الحَمْدُ لله الَّذِي سَقَانِي فَأَرْوَانِي، وَأَعْطَانِي فَأَرْضَانِي، وعَافَانِي وكَفَانِي. اللّهُمَّ اجْعَلْنِي مِمَّنْ تَسْقِيهِ في الْمَعادِ، مِنْ حَوْض مُحَمَّدٍ صَلَّى

وملازمة الطاعات ومجانبة المنهيّات. أو لأنّه يؤثّر شهوتهم على شهوته، وان كان مكروهاً له بالطبع، وذلك أنّ شهوته تابعة لعقله، ومن شأن العقل أن يختار دائماً ما هو الأفضل والأصلح في العواقب، وان كانت على النفس منه في المبدأ مؤونة ومشقّة. والمنافق عقله تابع لشهوته، والقواعد الشهويّة على الضدّ من ذلك، فانّها تؤثّر مايدفع المؤذي في الوقت، وان كان يعقّب مضرّة من غير نظر الى العواقب، كالصبيّ الرمد الذي يؤثر أكل الحلاوات واللعب في الشمس على أكل الهليلج والحجامة.

قوله: الذي سقاني ماء عذباً الى آخره.

العذب الطيّب الذي لا ملوحة فيه. وفي القاموس: العذب من الطعام والشراب كلّ مستساغ[1].

والأُجاج بالضمّ الماء الملح الشديد الملوحة «هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أُجاج»[2].[3] والماء إذا كان لطيفاً خفيفاً وزنه لقلّة مايخالطه من

---

(١) القاموس المحيط ١:١٠١.

(٢) سورة الفرقان: ٥٣.

(٣) لسان العرب ٢:٢٠٧.

اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، وَتُسْعِدُهُ بِمُرافَقَتِهِ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

ويستحبّ شربه مصّاً لا عبّاً، فقد روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّ شرب الماء عبّاً يورث الكباد[1].

الأرضيّة، وعدم مايمازجه من الأوساخ المدنيّة، والكيفيّات المعدنيّة الموجبة لفسادها، جارياً على تربة نقيّة غير قابلة للعفونة، وخاصّة الماء الجاري الى المشرق؛ لأنّ الرياح المشرقيّة معتدلة بين الحرارة والبرودة مائلة الى اليبوسة، فتكون مصلحة له، ولا سيّما الماء المنحدر الى أسفل، فانّ حركته أسرع فيزيده لطافة، وخاصّة اذا بعد المنبع، لانّه حينئذٍ يكون ألطف لكثرة حركته بطول المسافة، يرقّق[2] لرقّته ولطافته رطوبة الفم، ويسيّلها وينفذها في جرم اللسان وهو خال عن الطعوم، وبذلك تحصل العذوبة، لأنّ طعم هذه الرطوبة مائل إلى العذوبة، كالبلغم الطبيعي. والعذوبة أوّل درجات الحلاوة، ولذلك يخيّل لشاربه أنّه حلو، والّا فالماء البسيط لا طعم له ولا رائحة بل ولا لون، كما ثبت في محلّه.

قوله صلّى الله عليه وآله: انّ شرب الماء عبّاً يورث الكباد.

عن الصادق عن أبيه عليهما السَّلام قال: كان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله بتبوك يعبّون الماء، فقال: اشربوا في أيديكم، فانّها من خير آنيتكم[3].

---

(١) فروع الكافي ٦:٣٨١، ح١.

(٢) خبر لقوله «والماء» «منه».

(٣) بحار الأنوار ٦٦:٤٦٨، ح٣٤.

وينبغي أن يكون شربك بيدك وبثلاثة أنفاس، واحمد الله سبحانه بعد كلّ نفَس. وسئل الصادق عليه السَّلام عن الشرب بنفَسٍ واحد، فقال: إن كان الذي يناولك الماء مملوكك فاشرب بثلاثة أنفاس، واحمد الله سبحانه عند كلِّ نفَس، وإن كان حرّاً فاشربه بنفَسٍ واحدٍ. فقد روي أنّ من شرب الماء فنحّاه وهو يشتهيه وحمد الله، يفعل ذلك ثلاثاً وجبت له الجنة[1].

قال الجوهري: العبّ شرب الماء من غير مصّ، كما يشرب الحمام والدوابّ[2].

وفي الصراخ: عبّ بردهان خوردن آب، وهو المراد في هذا الحديث. وأمّا ما يورث الكباد، فهو ماذكره الجوهري.

قوله عليه السَّلام: يناولك الماء مملوكك.

لم يبيّن حال عبد الغير من هذا التفصيل. قيل: إن كان عبد الغير مأموراً من مولاه بذلك، كان في حكم عبد الشارب، وإن كان متبرّعاً به مأذوناً عن مولاه، كان في حكم الحرّ.

قوله: وقد روي انّ من شرب الماء فنحّاه الى آخره.

في الكافي: في موثّقة أبي بصير، قال: قال أبوعبدالله عليه السَّلام: انّ الرجل منكم ليشرب الشربة من الماء، فيوجب الله له بها الجنّة، ثمّ قال: انه ليأخذ الاناء فيضعه على فيه فيسمّي، ثمّ يشرب فينحّيه وهو يشتهيه فيحمد الله، ثمّ يعود فيشرب، ثمّ ينحّيه فيحمد الله، ثمّ يعود فيشرب، ثمّ ينحّيه

---

(١) فروع الكافي ٦: ٣٨٤، ح١.

(٢) صحاح اللغة ١: ١٧٥.

وينبغي اجتناب الشرب من جانب العروة ومن موضع الكسر. ولا تكثر شرب الماء، فقد روي عن الصادق عليه السَّلام إيّاك والإكثار من شرب الماء، فإنّه مادّة كل داء[١].

وروي أنّ من شرب الماء فذكر عطش الحسين عليه السَّلام ولعن قاتله كتب الله له مائة ألف حسنة، وحطّ عنه مائة ألف سيّئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكأنّما أعتق مائة ألف نسمة[٢].

ولنوضّح بعض ألفاظ هذا الفصل:

«يا من يجير ولا يجار عليه» أي: ينقذ من هرب إليه ولا ينقذ أحد من

فيحمد الله، فيوجب الله عزّوجلّ بها له الجنّة[٣].

دلّت على أنّ الشرب ينبغي أن يكون ثلاث مرّات، وأن تكون التسمية في أوّل مرّة والحمد بعد كلّ مرّة، وبعض الروايات دلّ على أنّ التسمية في أوّل كلّ مرّة.

قوله عليه السَّلام: فذكر عطش الحسين عليه السَّلام.

بأن يقول: سلام الله على الحسين ولعنة الله على قاتليه.

قوله: يامن يجير ولا يجار عليه.

في القاموس: أجاره أنقذه وأعاذه[٤]. ويجار مضارع منه مبنيّ للمفعول.

---

(١) فروع الكافي ٦: ٣٨٢، ح٤.

(٢) فروع الكافي ٦: ٣٩١، ح٦.

(٣) اصول الكافي ٢: ٩٦ - ٩٧.

(٤) القاموس المحيط ١: ٣٩٤.

هرب منه، فكلاهما من الإجارة، وليس الثاني من الجور.

«وأمتعني» على وزن أكرمني بنفعه، أي: اجعلني ممتّعاً به.

«وآوانا في ضاحين» بالضاد المعجمة والحاء المهملة، أي: أسكننا في المساكن بين جماعة ضاحين، أي: ليس بينهم وبين ضحوة الشمس ستر يحفظهم من حرّها.

«واخدمنا في عانين»[١] اي: جعل لنا من يخدمنا ونحن بين جماعة عانين من العناء، وهو التعب والمشّقة.

وفيه تلميح الى قوله تعالى «قل من بيده ملكوت كلّ شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون الله قل فأنّى تسحرون»[٢].

قال في الكشاف: تقول أجرت فلاناً على فلان اذا أغثته منه ومنعته. يعني: وهو يغيث من يشاء ممّن يشاء، ولا يغيث أحد منه أحداً[٣].

وقال البيضاوي: وتعديته بـ«على» لتضمين معنى النصرة[٤].

وقيل: معناه وهو يقضي ولا يقضى عليه.

---

(١) المراد أنّه سبحانه جعلنا مخدومين بين جماعة هم يخدمون أنفسهم «منه».

(٢) سورة المؤمنون: ٨٨ ـ ٨٩.

(٣) الكشاف ٣: ٤٠.

(٤) انوار التنزيل ٢: ١٢٦.

الباب الثالث

فيما يعمل ما بين زوال الشمس إلى الغروب

وفيه مقدّمة وفصول:

مقدمة

روى رئيس المحدّثين في الفقيه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله أنّه قال: إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء وأبواب الجنان، واستجيب الدعاء، فطوبى لمن رفع له عمل صالح[1].

وروى ـطاب ثراهـ أيضاً عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ الشمس عند الزوال لها حلقة تدخل فيها، فإذا دخلت فيها زالت الشمس، فيسبِّح كلُّ شيء دون العرش بحمد ربي عزَّوجلَّ، وهي الساعة التي يصلِّي

قوله صلّى الله عليه وآله: وهي الساعة التي يصلّى الى آخره.

هذا توقيت لقوله عزّ من قائل «انّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ»[2] فالتجدّد المستفاد من الآية باعتبار تجدّد اللام، فافهم.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٢) سورة الاحزاب: ٥٦.

عليَّ فيها ربِّي جلَّ جلاله، وفرض عليَّ وعلى أُمّتي فيها الصلاة، وقال «أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل» وهي الساعة التي يؤتى فيها بجهنّم يوم القيامة، فما من مؤمن يوافق تلك الساعة أن يكون ساجداً أو راكعاً أو قائماً إلّا حرَّم الله جسده على النار[١].

قوله صلّى الله عليه وآله: وفرض عليّ وعلى أمّتي.

قد ورد في الأخبار الصحيحة عنهم عليهم السَّلام: انّ أوّل صلاة فرضها الله تعالى وصلّاها رسول الله صلّى الله عليه وآله صلاة الظهر[٢].

قوله صلّى الله عليه وآله: وهي الساعة التي يؤتى بجهنّم.

عن أبي سعيد الخدري، قال: لمّا نزلت هذه الآية «وجيء يومئذٍ بجهنّم»[٣] تغيّر وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله وعرف في وجهه حتّى اشتدّ على أصحابه ماراأوا من حاله، وانطلق بعضهم الى علي بن أبي طالب عليه السَّلام، فقالوا: ياعلي لقد حدث أمر قد رأيناه في نبيّ الله، فجاء علي عليه السَّلام فاحتضنه من خلفه وقبّل بين عاتقيه، ثمّ قال: يا نبيّ الله بأبي أنت وأمّي ماالذي حدث اليوم؟ قال: جاء جبرئيل عليه السَّلام فأقرأني «وجيء يومئذٍ بجهنّم» قال: فقلت: كيف يجاء بها؟

قال: يجيء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام، فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع، ثمّ أتعرّض لجهنّم، فتقول: مالي ولك يامحمّد فقد حرّم الله لحمك عليّ، فلا يبقى أحد الاّ قال: نفسي نفسي، وانّ محمّداً

---

(١) من لايحضره الفقيه ١:٢١٢.

(٢) فروع الكافي ٣:٢٧٥، ح١.

(٣) سورة الفجر: ٢٣.

ولا بْأس بتوضيح ما تضمّنه بعض هذا الحديث:

الحلقة: بسكون اللام، وليس في كلام العرب حلقة بفتح اللام إلّا حلقة الشعر فقط جمع حالق، كفجرة جمع فاجر، ولعلّه صلّى الله عليه وآله أراد بالحلقة

يقول: أُمّتي أُمّتي[١].

وفي تفسير علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: لمّا نزلت هذه الآية «وجيء يومئذٍ بجهنّم» سئل عن ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: بذلك أخبرني الروح الأمين، انّ الله لا اله غيره اذا أبرز الخلائق وجمع الأوّلين والآخرين أُتي بجهنّم تقاد بألف زمام، آخذ بكلّ زمام مائة ألف يقودها من الغلاظ الشداد لها هدّة وغضب وزفير وشهيق، وانّها لتزفر الزفرة، فلولا أنّ الله أخّرهم للحساب لأهلكت الجميع، ثمّ يخرج منها عنق فيحيط بالخلائق البرّ منهم والفاجر، فما خلق الله عبداً من عباد الله ملكاً ولا نبيّاً الّا ينادي نفسي نفسي، وأنت يانبيّ الله تنادي أُمّتي أُمّتي الحديث[٢].

قوله: وليس في كلام العرب حلقة الى آخره.

ظاهره يفيد عموم السلب، وعدم ثبوتها في كلامهم مطلقاً، قويّة كانت اللغة أوضعيفة، وليس كذلك بل هومنقول من الشيباني فقط، ومع ذلك فلا وجه لتخصيص فتح اللام بالذكر.

قال ابن الأثير في النهاية: قال الشيباني: ليس في الكلام حلقة بالتحريك

---

(١) مجمع البيان ٥: ٤٨٩.

(٢) تفسير القميّ ٢: ٤٢١.

دائرة نصف النهار، فعبّر عنها بذلك تقريباً الى الأفهام.

ولفظة «دون» في قوله صلّى الله عليه وآله «دون العرش» بمعنى تحت[١].

ولفظة «هي» في قوله صلّى الله عليه وآله «وهي الساعة التي يصلّي عليَّ

الّا جمع حالق، وحكي عن أبي عمرو أنّ الواحد حلقة بالتحريك والجمع حلق بالفتح. وقال ثعلب: كلّهم يجيزه على ضعفه[٢].

وفي القاموس: حلقة الباب والقوم، وقد تفتح لامها وتكسر أو ليس في الكلام حلقة محرّكة الّا جمع حالق، أو لغة ضعيفة[٣].

وهذا منه مأخوذ ممّا سبق.

قوله: فعبّر عنها بذلك تقريباً الى الافهام.

سيأتي في كلام الشيخ ـقدّس سرّهـ أنّ المراد بدائرة نصف النهار منتصف مابين المشرق والمغرب، فلو كان الباعث على التعبير عنها بذلك تقريبها الى الأفهام، لكان التعبير عنها بهذا بأن يقال: انّ الشمس عند الزوال تصل الى منتصف مابين المشرق والمغرب، فاذا وصلت اليه زالت، أقرب الى الأفهام بكثير كما لايخفى.

هذا ولفظة «دون» في قوله «دون العرش» بمعنى عند، ولمّا كان العرش محيطاً بالكلّ كان كلّ شيء عنده، أي: يسبّح مقروناً بحمد ربّي كل شيء العرش ومادونه، لئلا يحصل لهم العجب بالتسبيح، فالباء للملابسة.

---

(١) تحته: خ ل.

(٢) نهاية ابن الأثير ١: ٤٢٦.

(٣) القاموس المحيط ٣: ٢٢٢.

فيها ربي جلّ جلالُه» تعود إلى مادلّ عليه سوق الكلام، أعني: الوقت الذي أوّله[١] الزوال.

«ودلوك الشمس» زوالها، وكأنّهم إنما سمّوه بذلك لأنّهم كانوا إذا نظروا إليها ليعرفوا انتصاف النهار يدلكون عيونهم[٢] بأيديهم، فالإضافة لأدنى ملابسة.

وهذا من قبيل التعبير عن الشيء بأكثر أجزائه، كما قالوا في قوله تعالى «له ما في السماوات وما في الأرض»[٣] أي: له جميع الموجودات. وعلى هذا فلا تخصيص فيه بمادون العرش، ولا حاجة الى أن يقال انّ لتسبيحه وقتاً آخر مقدّماً أو مؤخّراً، فتأمّل فيه.

قوله: أعني الوقت الذي أوّله الزوال.

فتأنيث الضمير باعتبار الخبر، وهو راجع الى الساعة المستفاد من سوق الكلام، أي: ساعة الزوال الساعة التي يصلّي عليّ فيها ربّي، فتدبّر.

قوله: ودلوك الشمس.

قال في الكشاف: دلكت الشمس غربت، وقيل: زالت. وروي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أتاني جبرئيل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلّى بي الظهر. واشتقاقه من الدلك، لأنّ الانسان يدلك عينيه عند النظر اليها[٤] انتهى.

---

(١) أول: خ ل.

(٢) أعينهم: خ ل.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٤) الكشاف ٢: ٤٦٢.

وغسق الليل منتصفه لا ظلمة أوله، كما قاله بعض اللغويين.

روى ثقة الإسلام في الكافي ـ بسند صحيح ـ عن الباقر عليه السَّلام أنّه قال: فيما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل أربع صلوات، إلى أن قال عليه السَّلام: وغسق الليل انتصافه[١].

والمصدر المسبوك من لفظة «إن» ومعمولها في قوله صلّى الله عليه وآله: أن يكون ساجداً أو راكعاً أو قائماً، فاعل الفعل، أعني: يوافق، واسم الإشارة مفعولُه، وجملة الفعل وفاعلُه ومفعولُه نعتٌ للمؤمن.

وفي الصحاح: دلكت الشمس دلوكاً زالت، ويقال دلوكها غروبها[٢].

والرواية المتقدّمة صريحة في أنّ المراد بالدلوك الزوال، ولمّا كان النظر الى الشمس في ذلك الوقت سبباً لدلك العين، أُضيف الدلوك اليها لذلك، أي: الدلوك المسبّب من النظر اليها، فهذه الاضافة مثل الاضافة في قوله:

إذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة   أذاعت غزلها في القرائب

قوله: وغسق الليل.

الغسق محرّكة الظلمة أوّل الليل «ومن شرّ غاسق إذا وقب» أي: الليل إذا دخل، كذا ذكر الفيروزآبادي في القاموس[٣].

وممّا دلّ على أنّ غسق الليل منتصفه صحيحة بكر بن محمّد عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: أوّل وقت العشاء ذهاب الحمرة، وآخر وقتها الى غسق الليل يعني نصف الليل[٤].

---

(١) فروع الكافي ٣: ٢٧١.

(٢) صحاح اللغة ٤: ١٥٨٤.

(٣) القاموس المحيط ٣: ٢٧٢.

(٤) تهذيب الاحكام ٢: ٣٠.

فصل[١]

ينبغي القيام إلى الصلاة في أوّل وقتها، فريضة كانت أو نافلة إلّا ما

ورواية أبي بصير عن أبي جعفر عليه السَّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لولا أنّي أخاف أنّ أشقّ على أُمّتي لأخّرت العتمة الى ثلث الليل، وأنت في رخصة الى نصف الليل وهو غسق الليل[٢].

قوله: ينبغي القيام الى الصلاة في أوّل وقتها.

المشهور استحباب القيام الى الصلاة في أوّل وقتها استحباباً مؤكّداً. وظاهر المفيد في المقنعة[٣] يفيد وجوبه، حيث حكم أنّه لو مات قبل أدائها في الوقت كان مضيّعاً لها، وإن بقي حتّى يؤدّيها في آخر الوقت، أو فيما بين الأوّل والآخر عفي عن ذنبه.

وبعضهم احتج له بقول الصادق عليه السَّلام: أوّل الوقت رضوان الله، وآخره عفو الله[٤]. والعفو لا يكون الّا عن ذنب. والجواب بعد تسليم السند بجواز توجّه العفو بترك الاولى، مثل عفى الله عنك.

وفي صحيحة معاوية بن عمّار عن الصادق عليه السَّلام: لكلّ صلاة وقتان، وأوّل الوقت أفضله[٥].

وفي صحيحة محمَّد بن مسلم: إذا دخل وقت الصلاة فتحت أبواب السماء

---

(١) تبصرة: خ ل.

(٢) تهذيب الاحكام ٢:٢٦١.

(٣) المقنعة: ٩٤.

(٤) من لايحضره الفقيه ١:٢١٧، ح٦٥١.

(٥) فروع الكافي ٣:٢٧٤، ح٤.

استثني، فإنّ فضل أوّل الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا، كما روي عن الصادق عليه السَّلام[١].

وعنه صلّى الله عليه وآله: أوّل الوقت رضوان الله، وآخر الوقت عفو الله[٢].

والظاهر أنّ هذه الفضيلة تدرك بالاشتغال في أوّل الوقت بمقدّمات الصلاة، كالطهارة مثلاً من غير توانٍ، كما قاله شيخنا الشهيد ـ رحمه الله ـ، ولا

لصعود الأعمال، فما أُحبّ أن يصعد عمل أوّل من عملي، ولا يكتب في الصحيفة أحد أوّل منّي[٣].

قوله: فانّ فضل أوّل الوقت.

أي: فضل العبادة الواقعة في أوّل وقتها على العبادة الواقعة في آخره، كفضل هذه على هذه. وكذا ايقاع العبادة في أوّل وقتها يوجب رضوان الله.

وهذا يدلّ على أنّ ادراك هذه الفضيلة والرضوان يتوقّف على الدخول في العبادة في أوّل وقتها تحقيقاً لمعنى الأوّليّة الحقيقيّة، فانّ الاشتغال بالمقدّمات كالطهارة عن الحدث والخبث بالغسل والوضوء وتطهير الثوب والبدن، يجعل الأوّليّة اضافيّة، وهي خلاف المتبادر منها ومن قوله عليه السَّلام «أوّل الوقت أفضله» إذ الأوّليّة الاضافيّة مجاز لتحقّق علامته فيها، حيث يمكن أن يقال: هذا ليس بأوّل الوقت بل هو ممّا بعده، فلا يصار اليه الّا بقرينة ودليل، وليس فليس.

---

(١) فروع الكافي ٣: ٢٧٤، ح٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١: ٢١٧.

(٣) تهذيب الاحكام ٢: ٤١.

يتوقف إدراكها على الدخول في الصلاة في أوّل الوقت.

وأمّا ما تضمّنه بعض الروايات ممّا ظاهره خلاف ذلك، كما روي عنهم عليهم السَّلام: ما وقَّر الصلاة من أخّر الطهارة حتّى يدخل وقتها. فلم أظفر لهذا[1] بسند يعوَّل عليه.

قوله عليه السَّلام: ماوقّر الصلاة من أخّر الطهارة الى آخره.

ظاهر هذه الرواية يدلّ على استحباب تقديم الطهارة، غسلاً كانت أم وضوءً، على دخول وقت الصلاة، فانّه توقير لها، وتوقيرها مندوب اليه شرعاً، فله ثواب. فيدخل العمل بها تحت العمل بمارواه في الكافي بسند صحيح، فانّ ابراهيم بن هاشم القمّي أباعلي، وإن كان حسناً على المشهور، لكنّه صحيح على ماتقرّر عندنا، وأوضحناه في بعض رسائلنا.

والمراد من الحديث أنّ من سمع رواية صادقة بحسب ظنّه دالّة على الثواب المترتّب على فعل شيء أو تركه، فصنع ذلك الشيء وأتى به طلباً لذلك الثواب، كان له أجر ذلك الشيء، وان لم يكن المسموع على ما بلغه، وذلك لأنّ الأعمال البدنيّة لاقدر لها عندالله الاّ بالنيّات الصادقة القلبيّة، ومن يعمل بما سمع أنّه عبادة فانّما يعمل به طاعة لله وانقياداً لرسوله، فيكون عمله مشتملاً على نيّة التقرّب والتسليم، وان كانت نسبته الى رسول الله صلّى الله عليه وآله أو الى أحد من أوصيائه خطأً، وذلك لأنّ هذا الخطأ لم يصدر منه باجتهاده وانّما صدر من غيره، وهو انّما يتّبع ماسمع، فلا ينافي هذا قول الرضا عليه السَّلام «لاقول الاّ بعمل، ولا قول ولا عمل الاّ بنيّة، ولا قول ولا عمل ولا نيّة الاّ باصابة السنّة»[2].

---

(١) لها: خ ل.

(٢) اصول الكافي ١: ٧٠، ح٩.

وعلى تقدير اندراج العمل بها في العمل بما رواه ثقة الإسلام في الكافي ـ بسند حسن ـ عن الصادق عليه السَّلام: مَن سمع شيئاً من الثواب على شيء فصنعه، كان له أجره وإن لم يكن كما بلغه[1]. فذلك لايضرّنا؛ لأنّها إنّما تدلّ على مانعيَّة توسّط الاشتغال بالطهارة بين أوّل الوقت والصلاة من توقيرها، لا على مانعيَّته من إدراك فضيلة الوقت، فإنّه أمرٌ آخر، فتدبَّر.

وينبغي انتظار الصلاة والتطلّع إلى وقتها، كما روي أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله كان ينتظر دخول وقت الصلاة ويقول: أرحنا يا بلال، أي: أدخل علينا الراحة بالإعلام بدخول الوقت. كما قال صلَّى الله عليه وآله:

قوله: فانّه أمر آخر فتدبّر.

توقير الصلاة فريضة كانت أو نافلة موقوف على ايقاعها في أوّل الوقت، وهو الغرض من تقديم الطهارة على دخول الوقت الدالّ على كمال اهتمامه بشأن الصلاة و وقعها في نظره، حتّى أنّه يستعدّ لها قبل أوانها، وهذا انّما يتمّ اذا صلاها في أوّل وقتها، والّا فمجرّد تقديم الطهارة على دخول الوقت وفعلها في آخر الوقت، كمن تطهّر مثلاً قبل طلوع الفجر وصلّى الصلاة قبيل طلوع الشمس ليس من توقيرها في شيء.

وأمّا ادراك فضيلة الوقت، فلا يتوقّف على ايقاعها في أوّل الوقت، لأنّ وقت الفضيلة كما سيأتي له امتداد وسعة، ففي أيّ جزء منه أوقعها فقد أدرك فضيلة الوقت، سواء فيه أوّل وقت الفضيلة وآخره و وسطه. نعم ايقاعها في أوّل وقت الفضيلة أفضل، وذلك كلّه ظاهر بأدنى تأمّل، فتأمّل.

---

(١) اصول الكافي ٢: ٨٧، ح ١.

قرّة عيني في الصلاة.

وأوّل الزوال شروع الظلّ في الازدياد بعد الانتقاص، أو الحدوث بعد الانعدام، فإنّ الشمس كلما ازداد ارتفاعها زاد انتقاصه حتّى إذا بلغت غاية ارتفاعها في ذلك اليوم بلغ غاية انتقاصه فيه أو انعدم، وذلك عند وصولها الى دائرة نصف النهار، أعني: إلى منتصف مابين المشرق والمغرب. ومعلوم أنّها في هذا الوقت بالنسبة إلى سكّان الأقاليم مختلفة الأوضاع، فقد يكون حينئذٍ

قوله صلّى الله عليه وآله: قرّة عيني في الصلاة.

روي أنّه صلّى الله عليه وآله قال: حبّب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وجعلت قرّة عيني في الصلاة[1]. ولا توجد في بعض الروايات لفظة «جعلت» كما أومأ اليه الشيخ قدّس سرّه، فهو: إمّا اشارة الى فاطمة عليها السّلام، لأنّ هذا الكلام صدر منه صلّى الله عليه وآله وهي كانت في الصلاة كما قيل، أو اعراض عن المطلب الاوّل واشارة الى أنّ الامور الاخرويّة اُمور مهمّة.

ويمكن أن يقال: انّ قرّة العين كناية عن السرور والفرح، وهو يحصل في هذه النشأة أيضاً، كما روي أنّه صلّى الله عليه وآله إذا حزنه أمر فزع الى الصلاة، فلا ينافي كونه من الامور الدنيويّة. والوجهان الأخيران يجريان على رواية جعلت أيضاً، فتأمّل.

قوله: ومعلوم أنّها في هذا الوقت الى آخره.

كلّ اقليم عرضه أكثر من الميل كلّه لا تسامت فيه الشمس رؤوس أهله،

---

(١) الخصال: ١٦٥.

بحسب الأوضاع جنوبيّة عن سمت رأس سكّان بعض الأقاليم، وقد تكون شمالية عنه، وقد تكون مسامتة لرؤوسهم.

في الأوّلين لايعدم[1] الظلّ في منتصف النهار، بل يكون ذلك الوقت في منتهى قصره ممتدّاً إلى الشمال، أو إلى الجنوب، وفي هذين الحالين يكون شروعه في الزيادة أوّل وقت الزوال.

وفي الثالث يعدم بالكليّة، ويكون أوّل ظهوره أوّل وقت الزوال، وظلّ الشاخص قبل الزوال يسمّى ظلا، وبعده يسمّى فيئاً من فاء يفيء إذا رجع

بل تكون: امّا جنوبيّة عنها، فيقع الظلّ شمالياً. أو شماليّة عنها، فيقع الظلّ جنوبيّاً وقت كونها ظاهرة على دائرة نصف النهار. وأمّا ما كان عرضه مساوٍ للميل الأعظم،فالشمس فيه تسامت رؤوس أهله في السنة مرّة وقت بلوغها نقطة الانقلاب الصيفي، وهو أطول أيّام السنة.

فحينئذٍ يعدم الظلّ بالكليّة وقت كونها على الدائرة ومن خطّ الاستواء، وهو الموضع المحاذي لمنطقة الفلك الاعظم المسمّاة معدل النهار الى ما لاعرض له، أو له عرض أقلّ من الميل كلّه ذو ظلّين، تارة الى الجنوب، وأُخرى الى الشمال، ففي هذه البقاع يعدم الظلّ يومين من أيّام السنة عند مسامتة الشمس رؤوس أهلها صاعدة وهابطة.

قوله: وبعده يسمّى فيئاً.

هذه تسمية مستحدثة لم تكن في أزمنة الائمّة عليهم السَّلام، لأنّ في كثير من الأخبار سمّي هذا الظلّ فيئاً، منه خبر سماعة، قال: قلت لأبي عبدالله

---

(١) ينعدم: خ ل.

لرجوعه إلى ماكان عليه من قبل شيئاً فشيئاً.

ويمتدّ وقت فضيلة الظهر من الزَّوال إلى أن يصير الفيء ـ أعني: ماحدث بعد الزوال ـ مساوياً للشاخص. ووقت فضيلة العصر إلى أن يصير ظلّ كلّ شيء مثليه[١].

ويستحبّ لك تأخير كلّ من الفريضتين عن أوّل وقتها بمقدار ماتصلي فيه نافلتها، ومن لم يصلّ النافلة فلا ينبغي التأخير عن أوّل وقت الفضيلة.

والمشهور أنّ أوّل وقت نافلة الظهر ـ

عليه السَّلام: جعلت فداك متى وقت الصلاة؟ فأقبل يلتفت يميناً وشمالاً كأنّه يطلب شيئاً، فلمّا رأيت ذلك تناولت عوداً، فقلت: هذا تطلب؟ قال: نعم، فأخذ العود فنصب بحيال الشمس، ثمّ قال: انّ الشمس إذا طلعت كان الفيء طويلاً، ثمّ لايزال ينقص حتّى تزول، فاذا زالت زادت، فاذا استبنت الزيادة فصلّ الظهر، ثمّ تمهّل قدر ذراع وصلّ العصر[٢].

قوله: والمشهور أنّ وقت نافلة الظهر.

مستنده رواية زرارة عن أبي جعفر عليه السَّلام قال: سألته عن وقت الظهر، فقال: ذراع من زوال الشمس، ووقت العصر ذراعان من وقت الظهر، فذاك أربعة أقدام من زوال الشمس، ثمّ قال: انّ حائط مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله كان قامة، وكان إذا مضى منه ذراع صلّى الظهر، وإذا مضى منه ذراعان صلّى العصر.

ثمّ قال: أتدري لم جعل الذراع والذراعان؟ قلت: لم جعل ذلك؟ قال:

---

(١) إلى أن يصير مثليه: خ ل.

(٢) تهذيب الاحكام ٢:٢٧، ح٢٦.

وتسمّى صلاة الأوابين- من الزوال إلى أن يصير الفيء قدمين، أي: بمقدار سُبعي الشاخص، إذ الغالب أنّ قامة كلّ شخص سبعة أقدام بأقدامه[١].

ووقت نافلة العصر -وتسمى السُّبحة- من الفراغ من الظهر إلى أن يصير

لمكان النافلة، لك أن تتنفّل من زوال الشمس الى أن يمضي ذراع، فاذا بلغ فيئك ذراعاً بدأت بالفريضة وتركت النافلة، واذا بلغ فيئك ذراعين بدأت بالفريضة وتركت النافلة[٢].

الذراع الأوّل لنافلة الظهر، والثاني لصلاة الظهر ونافلة العصر، وبعدهما كان يصلّي العصر، وكلّ ذراع قدمان غالباً، فذاك أربعة أقدام.

قوله: صلاة الأوّابين.

جمع أوّاب، وهو كثير الرجوع الى الله بالتوبة، وقيل: هو المطيع، وقيل: المسبّح.

قوله: وتسمّى السبحة.

المستفاد من الأخبار أنّ السبحة تطلق على مطلق صلاة التطوّع والنافلة من غير اختصاص لها بنافلة العصر، وهو الظاهر ممّا في نهاية ابن الأثير[٣]، يقال للذكر ولصلاة النافلة سبحة، والسبحة من التسبيح كالسخرة من التسخير.

وانّما خصّت النافلة بالسبحة وإن شاركتها الفريضة في معنى التسبيح، لأنّ التسبيحات في الفرائض نوافل، فقيل لصلاة النافلة سبحة، لأنّها نافلة

---

(١) بقدمه: خ ل.

(٢) تهذيب الاحكام ٢: ٢٠، ح٦.

(٣) نهاية ابن الأثير٢: ٣٣١.

الفيء أربعة أقدام. وبعض علمائنا على امتدادهما بامتداد وقت فضيلة الفرضين، فنافلة الظهر إلى أن يصير الفيء مثل الشاخص، ونافلة العصر إلى أن يصير مثلَيه، وهو غير بعيد.

وفي الأخبار المعتبرة دلالة عليه، بل في بعضها ما يدلّ بظاهره على مافوق هذه التوسعة، كما رواه شيخ الطائفة في التهذيب ـ بسند صحيح ـ عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: صلاة التطوع بمنزلة الهدية، متى ما أتى بها قُبلت: فقدِّم منها ماشئت وأخِّر ماشئت[1] [2].

لكن لا أعلم أنّ أحداً من علمائنا ـ قدّس الله أرواحهم ـ عمل بما تضمّنه إطلاق هذه الرواية من التوسعة في التقديم والتأخير، ولعلّ المراد بالتقديم الأداء وبالتأخير القضاء، والله أعلم.

والمشهور بين علمائنا ـ قدّس الله أرواحهم ـ أنّه لايجوز التعويل على الظنّ

كالتسبيحات والأذكار في أنّها غير واجبة. وفي الحديث: صلا تكم معهم سبحة[3]. أي: نافلة.

قوله: لا يجوز التعويل على الظنّ.

المشهور عدم جواز التعويل على الظنّ عند التمكّن من العلم، حتّى قيل: لايعلم فيه مخالف. وظاهر الشيخ وكذلك العلّامة في بعض كتبه الجواز، حيث

---

(١) قد يقال المراد صلاة التطوع غير الموقتة والرواتب موقتة. فيه نظر لأن قوله عليه السَّلام فقدِّم منها ماشئت وأخِّر ماشئت يعطي أن الكلام للموقتة، إذ التقديم والتأخير إنما يجري فيها فلا تغفل (منه رحمه الله).

(٢) تهذيب الاحكام ٢: ٢٦٧، ح١٠٣.

(٣) نهاية ابن الأثير ٢: ٣٣١.

بدخول الوقت إلّا مع عدم القدرة على تحصيل العلم، فلا يجوز التعويل على أخبار العدل الواحد بالوقت، ولا على أذان البلد، وإن كان المؤذّن عدلاً إلّا مع العجز عن العلم. فظاهر كلام المحقق في المعتبر جواز التعويل على أذان العدل الواحد. أما أخبار العدلَين وأذانهما، فالظاهر جواز التعويل عليه. وإن قدر على

قال: إن ظنّ حصول الوقت ثمّ دخل وهو فيها، صحّت صلاته وإن كان في آخر جزء منها، ولا يجب عليه الاعادة الّا إذا دخل فيها من غير ظنّ، وإن كان قبل الوقت بتكبيرة الاحرام.

والأوّل أقوى، لرواية علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليهما السَّلام في رجل يسمع الأذان فيصلّي الفجر، ولا يدري أطلع الفجر أم لا، غير أنّه يظنّ لمكان الأذان أنّه طلع، قال: لا يجزيه حتّى يعلم أنّه طلع[1].

لكن اطلاق بعض الأخبار الواردة بالاكتفاء بوقوع جزء من الصلاة في الوقت اذا صلّى ظانّاً دخوله شامل لهذا الفرد.

وأمّا إذا لم يتمكّن من العلم، فالمشهور جوازه وعدم وجوب الصبر الى حصول اليقين، بل نقل بعضهم الاجماع عليه، لكن قال ابن الجنيد: ليس للشاكّ يوم الغيم ولا غيره أن يصلّي الّا عند يقينه بالوقت، وصلاته في آخر الوقت مع اليقين خير من صلاته مع الشكّ.

والمشهور لا يخلو من قوّة، وان كان الاحتياط في الصبر الى أن يتيقّن، فلو صلّى بالظنّ وانكشف وقوع جميع صلاته قبل الوقت أعاد اجماعاً، ولو دخل وهو في صلاته ولو بالتشهّد أجزأ على المشهور.

قوله: جواز التعويل على أذان العدل الواحد.

في رواية سعيد الأعرج، حيث قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السَّلام

---

(١) مسائل علي بن جعفر: ١٦١، ح٢٤٩.

العلم، فإنّ العلم الشرعي حاصل به.

وينبغي لمن له اعتناء بأمر النوافل واهتمام بإدراك فضيلة أوّل الوقت أن

وهو مغضب وعنده نفر من أصحابه، وهو يقول: تصلّون قبل أن تزول الشمس؟ قال: وهم سكوت، فقلت: أصلحك الله ما نصلّي حتّى يؤذّن مؤذّن مكّة، قال: فلابأس أما انّه إذا أذّن فقد زالت الشمس[١]. دلالة على جواز الاعتماد على المؤذّنين في دخول الوقت وإن كانوا مخالفين، بل ربّما يستدلّ بها على العمل بخبر الموثّق، وقد يحمل على ما إذا حصل العلم باتّفاق جماعة من المؤذّنين على الأذان، بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب، وهو بعيد.

وظاهر المعتبر[٢] جواز التعويل على أذان الثقة الذي يعرف الاستظهار عند التمكّن من العلم، لقوله صلّى الله عليه وآله «المؤذّنون أُمناء»[٣] وفي رواية ذريح قال: قال لي أبوعبدالله عليه السَّلام: صلّ الجمعة بأذان هؤلاء، فانّهم أشدّ مواظبة على الوقت[٤]. والأكثر على جواز الاعتماد على شهادة العدلين، وأمّا الواحد فلا. وظاهر المبسوط عدم جواز التعويل على الغير مع عدم المانع، وهو الأحوط.

قوله: وينبغي لمن له اعتناء بأمر النوافل الى آخره.

في رواية علي بن أبي حمزة، قال: ذكر عند أبي عبدالله عليه السَّلام زوال الشمس، فقال أبوعبدالله عليه السَّلام: تأخذون عوداً طوله ثلاثة أشبار، وإن

---

(١) تفسير العياشي ٢: ٣٠٩.

(٢) المعتبر ٢: ٦٣.

(٣) من لايحضره الفقيه ١: ٢٩٢، ح٩٠٥.

(٤) تهذيب الاحكام ٢: ٢٨٤، ح٣٨.

يكـون قد أعـدّ في داره أو على سطحه عـوداً مستقيماً منصـوباً في مـكان مستوٍ، ولكن مـنتصـباً غير مائل إلى جهـة مقسوماً بأسـباع، فإذا[١] انتهى ظلّـه إلى غاية النقصان وابتدأ فَيـؤُه[٢] في الزيادة، أو في الحدوث، فليشرع في نـافلة الزوال إن كان ممّن وفّقه الله تعالى لسعادة القيام بالنوافل، أو في أداء الظهر في أول وقتها إن كان محروماً من تلك السعادة.

زاد فـهو أبين، فيـقـام فمادام تـرى الظـلّ ينقص فـلـم تزل، فـاذا زاد الظـلّ بعد نقصان فقد زالت[٣].

وقد ضبطوا ذلك بالدائرة الهندسيّة، وبها استخرجوا خطّ نصف النهار الذي إذا وقع الظلّ الشاخص المنصـوب في مركـز الدائرة عليـه كان وقـت الاستواء، وإذا مال عنه الى جانب المشرق كان أوّل الزوال.

وطريقها: أن تسوّى الأرض تسـو ية صحيحة، ثمّ يدار عليها دائرة بأيّ بعد كان، وينصـب على مركزها مـقياس مخروط محدّد الرأس، يكـون طوله قدر ربع الـدائرة تقـريباً نصـباً مستقـيماً، بحيـث يحدث عن جـوانبه زوايـا قوائم، ويرصد رأس الظلّ عند وصولـه الى محيطها حين يريـد الدخول فيها، فيـعلّم عليه علامة، ثمّ يرصده بعد الزوال قـبل خروج الظلّ من الدائرة، فاذا أراد الخروج عنها علّم عليه علامة ووصل مابين العلامتين بخط مستقيم، ثمّ ينصّف القوس الشمالي، فيخرج من منتصفه خطّاً مستقيماً يتّصل بالمركز، فذلك خطّ نصف النهار، فاذا ألقى المقيـاس ظلّه على هـذا الخطّ كـانت الشمس في وسط السماء لم تـزل، فاذا ابتدأ رأس الظلّ يخرج عنه فقد زالت.

---

(١) فان: خ ل.

(٢) قد تقدم أنه إنما يسمى فيئاً بعد الزوال لا قبله (منه رحمه الله).

(٣) تهذيب الاحكام ٢:٢٧، ح٢٧.

وليتفقّد الفيء، فإذا صار بقدر سُبعي الشاخص، أو مثله على الخلاف، تحقق المتنفّل خروج وقت نافلة الظهر، فإن لم يكن حينئذٍ قد أكمل منها ركعة تركها واشتغل بالفرض، وإن كان قد أكملها، وذلك بأن يكون قد فرغ من ذكر سجودها الثاني، وإن لم يرفع رأسه منه زاحم بالسبع الباقية الفرض، والأظهر أن الستّ حينئذٍ أداء، فإن الثماني في حكم صلاةٍ واحدة.

قوله: فانّ الثمان في حكم صلاة واحدة.

لو سلّم أنّ الثمان في حكم صلاة واحدة، ففي هذه الصلاة ثلاثة مذاهب: الأوّل: أنّ ما وقعت في الوقت أداء والباقي قضاء. والثاني: أنّها أداء كلّها. والثالث: أنّها قضاء كلّها.

قال السيّد الشريف في حاشيته على شرح مختصر الاصول: فان قيل اذا وقعت ركعة من الصلاة في وقتها وباقيها خارجة، فهل هي أداء أو قضاء؟

قلنا: ماوقعت في الوقت أداء والباقي قضاء في حكم الأداء تبعاً. قيل: والسرّ في جعل الباقي في حكم الأداء أنّ الصلاة فعل واحد تجب فيها نيّة واحدة، ولمّا وقعت الركعة الاولى في الوقت، فحين النيّة لايفوت وقته، فتجب نيّة الأداء نيّة واحدة.

ولا يخفى أنّ هذه النكتة لا يمكن اجراؤها فيما نحن فيه، لأنّ نيّة الستّ الباقية وقعت خارج الوقت، فالوقت حين النيّة قد فات، فلا تصحّ نيّة الأداء.

ويمكن أن يقال: وقت صلاة نافلة الظهر التي وقعت ركعة منها في وقتها والسبع الباقية في وقت الظهر صار بسبب الحديث موسّعاً، وذلك القدر من وقت الظهر صار مشتركاً بين تلك النافلة وبينها.

قيل: ولا يبعد أن يقال: وجب عليه النيّة بهذا التفصيل، وانّ بعضها أداء وبعضها قضاء. وفيه مع عدم جريانه فيما نحن فيه أنّ المصلّي قد لايعلم أنّ أيّ

ثمّ يصلي الظهر ويتفقّد الفيء بعدها، فإن لم يبلغ أربعة أسباع الشاخص، أو مثلَيه على ما مرّ، فليشرع في نافلة العصر، وإن بلغه علم خروج وقتها، ويكون حاله في تركها ومزاحمة الفرض كحاله فيما سبق.

هذا في غير الجمعة، وفيها يزيد على الثمانيتين أربعاً، ويأتي من العشرين بثمانية عشر قبل الزوال ثلاثاً في الانبساط والارتفاع والقيام وبالأخيرتين بعده.

فصل

أوّل ما تفعله عند تحقّق الزوال أن تقول ما رواه رئيس المحدّثين في الفقيه

بعض منها وقع في وقته حتّى ينوي نيّة الأداء فيه، فتأمّل.

قوله: وبالأخيرتين بعده.

يعني: يصلّيان منها اثنتان بعد الزوال، وستّ عند انبساط الشمس، وستّ عند ارتفاعها، وستّ عند قيامها، وينوي فيها نوافل الجمعة. وظاهر كلامه يفيد أنّ الزيادة لا يختصّ بما إذا صلّيت الجمعة.

قوله: ماتفعله عند تحقّق الزوال.

في الفقيه في باب ركود الشمس، سأل محمّد بن مسلم أباجعفر عليه السّلام عن ركود الشمس، فقال: يامحمّد ما أصغر جثّتك وأعضل مسألتك، وانّك لأهل للجواب، انّ الشمس إذا طلعت جذبها سبعون ألف ملك، بعد أن أخذ بكلّ شعاع منها خمسة آلاف من الملائكة من بين جاذب ودافع حتّى إذا بلغت الجوّ وجازت الكوّ، قلّبها ملك النور ظهراً لبطن، فصار مايلي الأرض الى السماء، وبلغ شعاعها تخوم العرش، فعند ذلك نادت الملائكة: سبحان الله الى آخره.

أنّ الباقر عليه السَّلام علَّمه لمحمَّد بن مسلم وقال له: حافظ عليه كما تحافظ على عينيك وهو:

سُبْحَانَ الله وَلاَ إلهَ إلَّا الله، وَالْحَمْدُ لله الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ،

فقال له: جعلت فداك أُحافظ على هذا الكلام عند زوال الشمس؟

فقال: نعم حافظ عليه كما تحافظ على عينيك، فاذا زالت الشمس صارت الملائكة من ورائها، يسبّحون الله في فلك الجو إلى أن تغيب[1]. هذا آخر الحديث.

وقيل في شرح قوله عليه السَّلام «قلّبها ملك النور» أي: حرّكها بأن جعل مايلي الأرض الى السماء وبالعكس، فيمكن أن يكون مجازاً باعتبار أنّها لمّا كانت متحرّكة الى سمت الرأس، فلمّا لم تصل اليه كان متوجّهاً الى العلوّ ظاهراً، فاذا وصل اليه وتجاوز قليلاً عنه، فكأنّما جعل خلفها الى المشرق ووجهها الى المغرب، أو الى سمائها وهي السماء الخامسة التي فوقها وهي سماء الريح، ويمكن أن تكون لها حركة التدوير أيضاً، فانّهم وان لم يثبتوها ولكن لم ينفوها.

وأنت خبير بأنّ هذا وما شاكله تأويل للحديث وصرف له عن ظاهره وحقيقته من غير باعث عليه ولا داع يدعو اليه بعد قطع النظر عن قواعد الفلاسفة. ومن المعلوم أنّه لا يمكن تطبيقه عليها الّا بعد تكلّفات شديدة وتعسّفات بعيدة لا يرتكبها الّا من تفلسف وتعصّب، كصاحب الوافي في الوافي[2]، فارجع اليه وانظر الى ما فيه بعين بصيرة وفكرة غير قصيرة ثم اذعن بما قلناه.

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٢٢٥.

(٢) الوافي ٧: ٢٥٣.

وَلَمْ يكُنْ لَهُ وَليٌّ مِنَ الذُّلِّ، وَ كَبِّرهُ تَكْبِيراً[١].

ثمّ بادر إلى الوضوء، ثمّ تشرع في نافلة الزوال، فتنوي الركعتين الأوّليين، وتأتي بالتكبيرات السبع، مع أدعيتها على النحو الذي تقدّم ذكره في الباب الأول، ثمّ تتعوّذ من الشيطان الرجيم، وتقرأ بعد الفاتحة في الركعة الأولى التوحيد، وفي الثانية الجحد كما رواه ثقة الإسلام في الكافي[٢] بسند حسن، ثمّ تسلم وتأتي بالتكبيرات الثلاث وتسبّح تسبيح الزهراء عليها السَّلام، ثمّ تقول:

اَللّهُمَّ إنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّ في رضَاكَ ضَعْفِي، وَخُذْ إلَى الْخَيْر بِنَاصِيَتِي، وَاجْعَلِ ٱلإيمانَ مُنتَهى رضَايَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا قَسَمْتَ لِي، وَبَلِّغْنِي بِرَحْمَتِكَ كُلَّ الَّذي أَرجُومِنْكَ،

قوله عليه السَّلام: ولم يكن له وليّ.

أي: ناصر يواليه ويناصره ليدفع عنه المذلّة.

قوله: اللهمّ اني ضعيف.

في رضاك أي فيما يرضيك عنّي.

قوله: واجعل الايمان منتهى رضاي.

أي: اجعل رضاي منتهياً الى الايمان والتصديق بماجاء به النبي صلّى الله عليه وآله حتّى لا أرضىٰ بغيره من الأديان، أو بما ينافيه من الفسوق والعصيان.

---

(١) من لايحضره الفقيه ١:٢٢٥.

(٢) فروع الكافي ٣:٣١٦.

وَاجْعَلْ لِي وُدّاً وَسُروراً لِلْمُؤمنينَ، وعَهْداً عِنْدَكَ .

قوله: واجعل لي وداً وسروراً للمؤمنين.

بأن أودّهم وأُسرّ بهم وبرؤيتهم، أو يودّوا ويسرّوا بي وبرؤيتي. والأوّل أظهر، والوجه في طلب هذه الخصلة الحميدة أنّ ودّ المؤمن للمؤمن لايمانه من الايمان، وهو في الحقيقة يؤول الى الحبّ في الله. وقد ورد فيه من الأخبار ما لايحصى.

في الكافي عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الايمان[١].

وفيه في صحيحة صفوان الجمّال عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: ما التقى مؤمنان قطّ الّا كان أفضلهما أشدّهما حبّاً لأخيه[٢].

وفيه في موثّقة سماعة عنه عليه السّلام قال: انّ المسلمين يلتقيان فأفضلهما أشدّهما حبّاً لصاحبه[٣].

وفيه عن أبي جعفر عليه السّلام قال: إذا أردت أن تعلم أنّ فيك خيراً فانظر الى قلبك، فان كان يحبّ أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحبّك، وإذا كان يبغض أهل طاعة الله عزّوجلّ ويحبّ أهل معصيته، فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء مع من أحبّ[٤].

وفيه في صحيحة هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: انّ

---

(١) اصول الكافي ٢:١٢٥، ح٣.

(٢) اصول الكافي ٢:١٢٧، ح١٥.

(٣) اصول الكافي ٢:١٢٧، ح١٤.

(٤) اصول الكافي ٢:١٢٦ - ١٢٧ ح١١.

ثمّ تصلّي ركعتين كذلك سوى التكبيرات الست الافتتاحية وأدعيتها، ثمّ أُخرتين مثلهما، وتأتي بعد كلٍّ بالتعقيب والدعاء المذكورين، وبعد إكمالك ستّ ركعات مع توابعها تقوم وتؤذّن للظهر، وتفصل بين الأذان والإقامة بركعتين على ذلك المنوال، وهاتان الركعتان هما السابعة والثامنة من نافلة الظهر، ثم تُقيم وتقول بعد الإقامة:

اَللّهُمَّ رَبَّ هذِهِ الدَّعْوة التَّامَّة، والصَّلاةِ الْقَائمَةِ، بَلِّغْ مُحَمَّداً صلَّى الله عليْهِ وَآلِهِ الدَّرَجَةَ والْوَسيلَةَ، والْفَضْلَ وَالْفَضِيلَةَ، بالله أَستَفْتِحُ، وَبالله أَسْتَنْجِحُ، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ أَتوَجَّهُ، اَللّهُمَّ صلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ

الرجل ليحبّكم وما يعرف ما أنتم عليه، فيدخله الله الجنّة بحبّكم، وانّ الرجل ليبغضكم وما يعرف ما أنتم عليه، فيدخله الله ببغضكم النار[1].

واذا كان هذا ثمرة محبّة مطلق الشيعة، فما ظنّك بمحبّة الأخيار منهم والعلماء والعبّاد والزهّاد والصلحاء، وخاصّة اذا كان متعلّق المحبّة هدايتهم وعبادتهم وصلاحهم وزهادتهم، فانّه نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء.

قوله: هذه الدعوة التامة.

وصفها بالتامّ لأنّها ذكر الله تعالى ويدعىٰ بها الى عبادة الله، وذلك هو الذي يستحقّ صفة الكمال والتمام.

قوله: بالله استفتح وبالله استنجح.

أي: أطلب الفتح والنصرة في أُموري كلّها من الله خاصّة، وكذلك منه

---

(١) اصول الكافي ٢:١٢٦، ح١٠.

وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْني بِهِمْ وَجيهاً في الدُّنْيا والآخِرَة، وَمنَ الْمُقرَّبين.

ثمّ اشتغل بصلاة الظهر، مراعياً ما راعيته في صلاة الصبح من الأعمال، وخافت بالقراءة بما عدا البسملة، وتقرأ في الركعة الأُولى سورة الأعلى أو الشمس أو ماشابههما في الطول، كما رواه شيخ الطائفة في التهذيب عن الصادق عليه السَّلام بسند صحيح[١].

وانهض من التشهّد الأوّل، آتياً بما مرّ عند نهوضك إلى ثانية الصبح، واقرأ الحمد أو سبّح التسبيحات الأربع ثلاثاً، مضيفاً إليها الاستغفار، ثمّ تكبّر

أطلب النجاح واصابة المطالب وحصول المآرب، وبوساطة نبيّه محمّد صلّى الله عليه وآله أتوجّه اليه، أو الى أُموري كلّها. والوجيه من له وجه وعزّ وجاه في الناس.

قوله: واقرأ الحمد أو سبّح التسبيحات الأربع.

ظاهره يفيد التخيير بينهما، ولا كلام فيه. انّما الكلام في كمّيّته وقدر ما يجزيء من التسبيح، فقيل: أربعاً. وقيل: تسعاً. وقيل: عشراً. وقيل: اثناعشر.

والأوّل أولى ثمّ الثاني، لصحّة مستندهما، مثل صحيحة زرارة، قال: قلت لابي جعفر عليه السَّلام: مايجزيء من القول في الركعتين الأخيرتين؟ قال: أن تقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الاّ الله والله أكبر، وتكبّر وتركع[٢].

وفي رواية أُخرى صحيحة عنه عليه السَّلام قال: ان كنت اماماً أو وحدك فقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الاّ الله ثلاث مرّات تكمل تسع تسبيحات، ثمّ تكبّر وتركع[٣].

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٩٥ - ٩٦.
(٢) فروع الكافي ٣: ٣١٩، ح٢.
(٣) من لايحضره الفقيه ١: ٣٩٢.

للركوع رافعاً كفَّيك كما مرّ، واركع واسجد على قياس مامرّ، ثم انهض واتِ بركعة أُخرى كذلك ، ثم تشهَّد وسلِّم، ثمّ تكبّر التكبيرات الثلاث، ثمّ تقول:
لاَ إلَهَ إلَّا الله إلهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ، إلى آخره.

ثمّ تسبّح تسبيح الزهراء عليهاالسَّلام، وتأتي بما شئت ممّا قدَّمناه في تعقيب صلاة الصبح، سوى الأذكار المختصّة بتعقيب الصبح، والأدعية المتضمّنة لذكر الدخول في الصباح، كالأدعية الثلاثة الأخيرة، ثمّ تقول:
يَا مَنْ أَظهَرَ الْجَميلَ وَستَرَ الْقَبِيح، يَا مَنْ لَمْ يؤاخِذْ بِالجَريرَة وَلَمْ

وأمّا الثالث والرابع وان قال بهما بعض أصحابنا، الّا أنّه لا مستند لهم من الأخبار، ولعلّه كان لهم مستند وما وصل الينا. والمشهور بين المتأخّرين أنّ الكلّ جائز، بناءً على أنّ الواجب أمر كلّي يتأدّى في ضمن أيّ فرد اتّفق.

ثمّ ظاهر الصحيحة المذكورة يفيد أولويّة التسبيح من الحمد في الأخيرتين، وإن كان اماماً. وهو الظاهر من عموم مارواه محمَّد بن عمران عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: قلت له: لأيّ علّة صار التسبيح في الركعتين الاخيرتين أفضل من القراءة؟ قال: لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله لـمّا كان في الأخيرتين ذكر مارأى من عظمة الله عزّوجلّ، فدهش فقال: سبحان الله والحمد لله ولا اله الّا الله والله أكبر، فلذلك صار التسبيح أفضل من القراءة[1]. وهو أيضاً يؤيّد القول الأوّل، فتأمّل.

قوله: يامن أظهر الجميل الى آخره.

في رواية عن النبيّ صلّى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السَّلام في مثل

---

(١) من لايحضره الفقيه ١:٣٠٩.

يَـهْتِك السِّتْرَ، يَا كَـرِيم الصَّـفْحِ، يَا عَظِيمَ الْمَـنِّ، يَـا حَسَنَ التَّجَاوُز، يَا وَاسعَ الْمَغْـفِـرَة، يَا بَاسِطَ الْيَـدَيْـنِ بِالرَّحمَـةِ، يَـا سَامِعَ كُلِّ نَجْـوَى، وَيَا مُنْتَهى كُـلِّ شَـكْوَى، يَا مُبْتَدِئاً بِالنِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهِا، يَا رَبَّاهُ يَا رَبَّاهُ يَا رَبَّاهُ»

هذا الدعاء، قال: «إذا قـال العبد يامـن أظهر الجميـل وستر القبيح» ستره الله ورحمه في الدنيا وحملـه في الآخـرة، وستر الله عليه ألف ستر في الدنـيـا والآخرة، واذا قال «يامن لم يؤاخذ بالجـريرة ولم يهتك الستر» لم يحاسبه الله يوم القيامة ولم يهتك ستره يوم يهتك الستور.

وإذا قال «يا كريم الصفح» أكرمه الله كرامة الأنبياء، وإذا قال «ياعظيم المنّ» أعطاه الله يوم القيامـة منّة ومنّته الخلائـق، وإذا قال «ياحسن التجاوز» تجاوز الله عـنه حتّـى السرقـة وشـرب الخمر وأهـاويـل الدنـيـا وغير ذلك من الكبائر.

وإذا قال «ياواسع المغفرة» فـتح الله عزّوجلّ له سبعين باباً من الرحمة، فهو يخوض في رحمة الله عزّوجـلّ حتّى يخرج من الدنيا، واذا قال «ياباسط اليدين بـالرحمة» بسط الله يـده بالرحمة، واذا قال «ياسامع كلّ نجوى ويـا منتهى كلّ شـكوى» أعطاه الله من الأجر ثواب كـلّ مصـاب وكلّ سالم وكلّ مريض وكلّ ضرير وكـلّ مسكين وكلّ فقير وكـلّ صاحب مصـيبة الى يوم الـقيامـة، واذا قال «يامبتدئاً بالنـعم قبـل استحقـاقها» أعطـاه الله من الأجر بعـدد كلّ من شكر نعماه، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

قوله: ياربّاه ياربّاه ياربّاه.

أصلـه يـاربّي، قلبـت الـيـاء ألفاً؛ لأنّ الألف والفـتـحـة أخفّ من الياء

يَـا سَيِّدَاهُ يَا سَيِّدَاهُ يَا سَيِّدَاهُ، يَـا غَايَـةَ رَغبتَاهُ،يَاذَاالجَلال والاكرَام.
أَسأَلُـكَ بِحَـقِّ مُحَـمَّـدٍ وَعَلِـيٍّ وَفَاطِـمَةَ والْحَسَـنِ والْحُسَيْنِ وَعَـلِيٍّ

والكسرة والنداء موضع تخفيف، ثمّ الحق به الهاء في حالة الوقف فرقاً بين الوقف والوصل، وكذا الحال في ياسيّداه ويا غاية رغبتاه.

قوله: ياسيّداه ياسيّداه ياسيّداه.

يقال لملك القوم وعظيمهم سيّد، وساد فلان قومه يسودهم سوداً بالضمّ وسيادة اذا صار رئيسهم. وقال الزجّاج: السيّد الذي يفوق في الخير قومه.

وقال بعض أهل اللغة: السيّد المالك، أو من في حكمه الذي تجب طاعته، ولذا يقال سيّد الغلام، ولا يقال سيّد الثوب.

وقد يطلق السيّد على الربّ والشريف والفاضل والكريم والحليم والمتحمّل أذى قومه والمقدم والزوج، ومنه «ألفيا سيّدها لدى الباب»[1] وأصله سيود قلبت الواو لأجل الياء الساكنة قبلها ياءً ثمّ أُدغمت، والمراد به هنا: إمّا الملك، أو المالك، أو الشريف، أو الكريم، أو العظيم، أو الحليم، فانّ الكلّ محتمل.

قوله: أسألك بحقّ محمّد الى آخره.

الباء للقسم الاستعطافي، وهو المؤكّد لجملة طلبيّة، نحو بالله هل قام زيد، أي: أسأل مستحلفاً بالله. والتقدير هنا أسألك بحقّهم مستحلفاً هكذا.

قال كثير من النحويّين، منهم ابن جنّي وابن مالك والرضيّ وابن هشام

---

(١) سورة يوسف: ٢٥.

وَمُحَمَّدٍ وَجعْفر وَمُوسى وَعَلِيٍّ ومُحمَّدٍ وَعَليٍّ وَالْحَسَنِ وَمُحَمَّدٍ صَاحِبِ الزَّمَان سَلاَمُ اللهِ عَلَيْهِمْ أجمَعِينَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وأَنْ تَكْشِفَ كَربي، وَتَغْفِرَ ذَنْبِي، وَتُنَفِّسَ هَمِّي، وَتُفرِّجَ غَمِّي، وَتُصْلِحَ شَأنِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وأَنْ تُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، وَلاَ تُشَوِّهُ خَلْقِي بِالنَّار، وَلاَ تَفْعَلَ بِي ما أَنَا أَهلُهُ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

وأكثر المتأخرين على ذلك والمغاربة وجماعة لايسمّون ذلك قسماً بل استعطافاً، لأنّ القسم لايجاب الاّ بجملة خبريّة، وهذا يجاب بالطلب. ووجهه: أنّ القسم يتعلّق به الحنث والبر، ولا يتحقّق ذلك الاّ فيما يدخله الصدق والكذب، ولهذا لا يقولون أقسم بالله هل قام زيد.

وممّن ذهب الى ذلك الزمخشريّ، فانّه قال في تفسير قوله تعالى «ربّ بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين»[١]: وأن يكون استعطافاً، كأنّه قال: ربّ اعصمني بحقّ ما أنعمت به عليّ من المغفرة، فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين[٢].

فجعل الاستعطاف قسيماً للقسم، فدلّ على أنّه ليس عنده بقسم. وعلى هذا فالتقدير أسألك بحقّهم متوسّلاً، والمراد بحقّهم ماثبت لهم عنده تعالى من المنزلة والرتبة الرفيعة، والثواب الذي وجب لهم بوعده الحقّ.

قوله: ومحمّد صاحب الزمان عليهم السّلام.

هذا أيضاً يدلّ على أنّ التصريح باسمه عليه السّلام ممّا لاحرمة فيه ولا كراهة، وقد مرّ مثله مراراً، فتذكّر.

---

(١) سورة القصص: ١٧.

(٢) الكشاف ٣:١٦٩.

ثمّ تقول:

يَـا سَامِعَ كُـلّ صَوْتٍ، يَا جَـامِعَ كُلّ فَوْتٍ، يَـا بَارِىء النُّـفُوس بَعْدَ الْـمَوْت، يَا باعِثُ يَا وَارثُ، يَـا إلـهَ الآلِهَةِ، يَا جَبَّارَ الْـجَبابِرَة، يا مالِكَ الدُّنْيا وَالآخِرَة، يَا ربَّ الأَرباب[1]، يَـا مَالِكَ المُلُوك ، يَا بَطَّاشُ ذَا الْبَطْشِ الشَّدِيدِ، يَا مُبْدِيء يَا مُعِيدُ، يَا فعَّالٌ لِمَـا يُرِيدُ، يَا مُحْصِيَ عَدَدَ الأَنْفَاسِ وَنَقْلَ الأَقْدَام، يَا مَنِ السِّرُّ عِنْدَهُ عَـلاَنِيَةٌ، أَسأَلُكَ بِحَقّ خِيرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ ، وَبحَقِّهِمْ الَّـذِي أَوْجَبْتَ لَهُمْ عَلَى نَفْسِكَ ، أَنْ تُصلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَنْ تَمُـنَّ عَـلَيَّ الساعَةَ بِفَـكـاكِ رَقَـبَتِي مِنَ النَّار، وأَنْ تُـنْـجِزَ لِوَلِيّكَ وَابْنِ نَبِيِّكَ ، الدَّاعِي إلَيْـكَ بإِذْنكَ ، وأَمِينِكَ في أَرْضكَ ، وَعَيْنِكَ في عِبَادِكَ ، وَحُجَّتِكَ عَلى خَلْقِكَ ، عَلَيْهِ صَلَوَاتُكَ وَبرَكَاتُكَ .

قوله: وأن تنجز لوليّك.

الوليّ من تولّى الله تعالى أمره وحفظه من العصيان، ولم يخلّه ونفسه حتّى يبلغه مقام القرب والتمكين، قال الله تعالى «وهو يتولّى الصالحين»[2] فهو فعيل بمعنى مفعول.

وقيل: يجوز أن يكون بمعنى فاعل، فيكون معناه هو من توالت طاعته من غير أن يتخلّلها عصيان.

وقيل: وليّ الله هنا من أخذ النبوّة وراثة من النبي صلّى الله عليه وآله، وهو الامام من أهل بيته عليهم السّلام، الآ أنّ النبوّة غيب وهي للنبيّ صلّى الله عليه وآله شهادة. والأظهر أنّ المراد به جعل له الولاية على خلقه في أرضه، فيكون بمعنى الامام.

---

(١) ويا سيّد السادات: خ ل.

(٢) سورة الاعراف: ١٩٦.

اَللّٰهُمَّ أَيِّدْهُ بِنَصْرِكَ ، وَقَوِّ أَصْحَابَهُ وَصَبِّرْهُمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً، وَعَجِّلْ فَرَجَهُ وَمَكِّنْهُ مِنْ أَعْدَائِكَ وَأَعْدَاءِ رَسُولِكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

ثمّ تقول:

اَللّٰهُمَّ رَبَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الأَرْضِينَ السَّبْعِ، وَمَا فِيهِنَّ وَمَا

قوله: واجعل لهم من لدنك سلطاناً نصيراً.

السلطان: الحجّة الظاهرة والملك والعزّ. والنصير: الناصر. أي: اعطهم من عندك حجّة ظاهرة تنصرهم على جميع من خالفهم، أي: ملكاً وعزّاً ناصراً لهم.

وفي مجمع البيان في قوله تعالى «واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً»[١]. أي: اجعل لي عزّاً أمتنع به ممّن يحاول صدّي عن اقامة فرائضك ، وقوّة تنصرني بها على من عاداني فيك . وقيل: اجعل لي ملكاً عزيزاً أقهر به العصاة. وقيل: حجّة بيّنة أتقوّى بها على سائر الأديان الباطلة، قال: وسمّاه نصيراً لأنّه تقع به النصرة على الأعداء، فهو كالمعين[٢]. وكلّ هذه المعاني محتملة هنا أيضاً.

قوله: وربّ الأرضين السبع.

هذا صريح في أنّ الأرض متعدّدة، وانّها سبع كالسماوات، وهو ظاهر قوله تعالى «الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كلّ شيء قدير»[٣] فذهب بعضهم الى أنّ قوله «مثلهنّ» أي: في الخلق لا في العدد. وهذا خلاف مادلّت عليه الأخبار والأدعية المأثورة عنهم

---

(١) سورة الاسراء: ٨٠.

(٢) مجمع البيان ٣:٤٣٥.

(٣) سورة الطلاق: ١٢.

بَيْنهُنَّ وَمَا تَحْتَهُنَّ، وَرَبَّ الْعَرش الْعَظِيمِ، وَرَبَّ جبْرائيلِ وَمِيكائيلَ

عليهم السّلام.

وقيل: هي الأقاليم السبعة، والدعوة شاملة لجميعها. وهذا مثل سابقه.

وقيل: انّها سبع أرضين متّصل بعضها ببعض، وقد حالت بينهنّ بخار لا يمكن قطعها والدعوة لا تصل اليهم.

وقيل: انّها سبع طبقات بعضها فوق بعض لافرجة بينها، وهذا يشبه قول الفلاسفة، منها: طبقة هي أرض صرفة تجاوز المركز، ومنها: طبقة معدنيّة تتولّد فيها المعادن، ومنها: طبقة تركّبت بغيرها وقد انكشف بعضها، ومنها: طبقة الأبخرة والأدخنة على اختلاف أحوالها، ومنها: طبقة الزمهرير، وقد تعدّ هذه الطبقات من الهواء.

وقيل: انّها سبع أرضين بين كلّ واحدة منها الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام، كما جاء في ذكر السماء، وفي كلّ أرض منها خلق، حتّى قالوا في كلّ منها آدم وحوّاء ونوح وإبراهيم، وهم يشاهدون السماء من جانب أرضهم، ويشهدون الضياء منها، وجعل الله لهم نوراً يستضيئون به.

وفي مجمع البيان: «مثلهنّ» أي في العدد لا في الكيفيّة، لأنّ كيفيّة السماء مخالفة لكيفيّة الأرض، ثمّ قال: وقال قوم: انّها سبع أرضين بعضها فوق بعض كالسماوات، لأنّها لو كانت مصمتة لكانت أرضاً واحدة، وفي كلّ أرض خلق خلقهم الله تعالى كيف شاء[1].

قوله: وما تحتهنّ.

لعلّ المراد بما تحتهنّ هو الصخرة التي عليها الأرض السابعة، أو الثور، أو

---

(١) مجمع البيان ٥: ٣١١.

وَإِسْرَافِيلَ، وَرَبَّ السَّبْعِ الْمَثانِي، وَالْقُرآنِ الْعَظِيمِ، وَرَبَّ مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبيِّينَ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَسأَلُكَ بِاسْمِكَ الأَعْظَمِ الَّذِي بِهِ

الحوت، أو المراد بالأرض السابعة ماجاور البحر من جرم الأرض، وبالذي تحته مابقي من جرمها الى المركز.

قوله: وأسألك باسمك الأعظم.

عن علي بن محمّد النوفلي، قال: سمعته يقول: اسم الله الاعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، وانّما كان عند آصف منه حرف واحد تكلّم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس حتّى صيّره الى سليمان، ثمّ بسطت له الأرض في أقلّ من طرفة عين، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عندالله عزّوجلّ استأثر به في علم الغيب[1].

ويستفاد منه أنّ الاسم الأعظم لايعلمه بعينه الّا من أطلعه الله من أنبيائه وأوليائه عليهم السّلام.

وقيل: هو يا حيّ يا قيّوم، وبالعبرانيّة آهيّا شراهيّاً.

وقيل: هو ياذا الجلال والاكرام.

وقيل: يا هو يا من لا هو الّا هو.

وقيل: هو الله والذي يليه هو الرحمن.

وقيل: يا الهنا واله كلّ شيء الهاً واحداً لا اله الّا أنت.

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله: بسم الله الرحمن الرحيم أقرب الى الاسم الأعظم من سواد العين الى بياضها[2].

---

(١) اصول الكافي ١: ٢٣٠، ح٣.

(٢) بحار الانوار ٩٣: ٢٣٢، ح٤.

تَقُومُ السَّمٰواتُ والْأَرْضُ، وَبِهِ تُحْيِي الْمَوْتَى وَتَرْزُقُ الأَحْياء، وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُجْتَمِعِ وَتَجْمَعُ بَيْنَ الْمُتَفَرِّق، وَبِهِ أَحْصَيْتَ عَدَدَ الآجَالِ[1]،

قوله: وتجمع بين المتفرّق.

كما في المركّبات المجتمعة من الاستقصاءات المتداعية الى الانفكاك لتنافرها طبعاً، وظاهر أنّ الجمع بين المتفرّق مستلزم للتفريق بين المجتمع، لأنّ تلك الفروع كانت مجتمعة مع أُصولها.

قوله في الحاشية: فانّ لكلّ فرد منها مدّة لايتخطاها.

هذا التخصيص انّما يتصوّر له وجه لو قيل بقدم هذه الأنواع الثلاثة وبقائها أبد الآباد بتعاقب الأفراد، كما عليه الفلاسفة ومن يحذو حذوهم القائلون بأنّ ماثبت قدمه امتنع عدمه، والاّ فلكلّ واحد منها أيضاً آجال ومدّة لايتجاوزها، ثمّ يزول ويفنى.

الاّ أن يقال: لفنائها معيّة مع فناء الأفلاك، وحينئذٍ لاوقت ولا مكان ولا حين ولا زمان، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات وزالت السنون والساعات.

وفيه نظر؛ إذ المعيّة في الفناء لا تنافي ضبط آجالها ومدّة أعمارها. والاولى هو التعميم بحيث يشمل أجل كلّ ذي أجل من الأفلاك وما حوته من الأجسام والجسمانيّات بأنواعها وأفرادها، فانّ على القول بالزمان الموهوم أو التقديري لكلّ ماسوى الله تعالى أجل ومدّة، ولبقائه أوّل وآخر، الاّ ما كان أبديّاً من النفوس المجرّدة والجنّة والنار وأهاليهما، فتأمّل حقّه.

---

(١) المراد بالآجال الأعمار، والمراد بها أعمار المواليد الثلاثة من الحيوانات والنباتات والمعادن. فإنّ لكلّ فرد منها مدّة لايتخطّاها ثمّ يزول ويفنى «منه».

وَوَزْنَ الْجِبَالِ، وَكَيْلَ الْبِحَارِ، أَسأَلُكَ يَا مَنْ هُوَ كَذٰلِكَ، أَنْ تُصلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وأن تفعل بي كذا وكذا، ثمّ تسأل حاجتك.

ثمّ تسجد سجدتي الشكر، وتقول فيهما وبعدهما ما مرّ في الباب الأوّل.

فصل

وبعد فراغك ممّا يتعلّق بصلاة الظهر تقوم إلى نافلة العصر، وتُحرم بالركعتين الأُولـيين من دون الإتيان بباقي التكبيرات الستّ الافتتاحيّة، فإنّه لايؤتى بها في شيء من النوافل المرتّبة إلّا في ستّ[1]: أوّل نافلة الزوال، وأوّل نافلة المغرب، والوتيرة، وأوّل صلاة الليل، ومفردة الوتر، وأوّل ركعتي الإحرام. كذا قال بعض الأصحاب.

والأظهر استحبابها[2] في جميع الصلوات فرضها ونفلها، وفاقاً للشهيدين[3]

قوله: وكيل البحار.

البحار ممّا يمكن امتحانه بالكيل والوزن معاً، ولكنّه لمّا خصّ الوزن بالجبال، لأنّها من الموزونات فقط؛ إذ لايمكن امتحان ثقلها الّا به خصّ الكيل بالبحار لا لاختصاصها به، بل ليحصل به المقابلة أو المقارنة، فتأمّل.

قوله: والأظهر استحبابها في جميع الصلوات فرضها ونفلها وفاقاً للشهيدين.

في المتن والشرح، حيث قال: ويستحبّ التوجّه بستّ تكبيرات، قال

---

(١) خمس: خ ل.

(٢) استحباب الإتيان بها: خ ل.

(٣) كما قاله شيخنا في الذكرى لإطلاق الروايات: خ ل.

رحمهما الله تعالى.

وتقرأ في نـافلة العصـر ماشئـت من السور، والأولى أن تقـرأ فيها وفي غيـرها السور المرغَّب فيهـا عن ائمة الهـدى عليهم السَّلام، وتختـار منها مـا لايخرج الوقت بقراءتها.

وقد روي عن الـباقر علـيه السَّلام: من قرأ سورة الصفّ في فـرائضه ونوافله صفَّه الله مع ملائكته وأنبيائه المرسلين(١).

وعنه عليه السَّلام: من أدمن قراءة سورة «ق» في فرائضه ونوافله، وسَّع الله عليه رزقه، وأعطاه كتابه بيمينه، وحاسبه حساباً يسيراً(٢).

الشارح: يعني أوّل الصلاة قبـل تـكـبيرة الاحرام، وهو الأفضل، أو بعـدها، أو بالتفريق في كلّ صلاة فرض ونفل على الأقوى سرّاً مطلقاً(٣).

فاطلاق الماتن وعدم تقييده التكبيرات بصلاة دون صلاة يفيد العموم، كما فهـمه مـنـه الشارح، وهـو لم يخالفـه فيـه، فدلّ ذلك على مـوافقـته له فـيه ونـعم الوفاق، والّا كان عليه أن يشير الى مايوافق رأيه فيه، كما هو دأبه في مواضع من الكتاب.

هـذا ونـقل عـن السيّـد المـرتضـى أنّـه قال بـتخصـيص هـذه الـتكبـيرات بالفرائض. ففيه أقوال ثلاثة: تخصيصها بالفرائض، وتعميمها الى حيث يشمل النوافل الخمس المـذكورة، واستحبابها في جميع الصلوات، وهو الظاهر من عموم بعض الأخبار.

---

(١) ثواب الاعمال: ١٤٥.

(٢) ثواب الاعمال: ١٤٣.

(٣) شرح اللمعة ١:٢٨١.

وعنه عليه السَّلام: أكثروا تلاوة سورة (الحاقة) في الفرائض والنوافل، لأنّ ذلك من الإيمان بالله ورسوله، ولن يسلب قارئها دينه حتى يموت[1].

وبعد فراغك من الركعتين الأُوليين تقول:

اَللّهُمَّ إنَّهُ لاَ إلهَ إلَّا أَنْتَ الْحَيُّ الْقَيُّوم، الْعَلِيُّ العَظِيمُ الحَلِيمُ

قوله: ولن يسلب قارئها دينه.

هذا يدلّ على جواز تعقّب الكفر الايمان، وانّ بعض الأعمال يورث استقراره، وللعلماء فيه خلاف مشهور.

والحقّ أنّ ذلك يختلف باختلاف مراتب الايمان كمالاً ونقصاناً، بحسب اختلاف مراتب العلم قوّة وضعفاً، فكلّما ازداد العلم ازداد الايمان الى أن ينشرح صدره، فيظهر له صدق الأنبياء عليهم السَّلام في جميع ماأخبروا عنه اجمالاً وتفصيلاً على حسب علمه ومقدار انشراح صدره، وذلك بتوفيق الله وخذلانه.

فمن أراد الله توفيقه وأن يكون ايمانه ثابتاً مستقرّاً سبّب له الأسباب المؤدّية الى أخذه دينه من كتاب الله وسنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله بعلم ويقين وبصيرة، فذاك أثبت في دينه من الجبال الرواسي تزول ولا يزول.

ومن أراد خذلانه وأن يكون دينه معاراً مستودعاً سبّب له أسباب الاستحسان والتقليد من غير علم ولا بصيرة، فذاك في مشيئة الله، إن شاء أتمّ ايمانه، وإن شاء سلبه إيّاه.

واليه يشير قول أبي الحسن عليه السَّلام: انّ الله خلق المؤمنين على الايمان، فلا يكونون الّا مؤمنين، وأعار قوماً ايماناً فان شاء تمّمه لهم، وان شاء سلبهم

---

(١) ثواب الاعمال: ١٤٧.

الكَرِيمُ، الْخَالِقُ الرَّازِقُ المُحْيِي المُمِيتُ، الْبَدِيُّ الْبَدِيعُ، لَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ المَنُّ، وَلَكَ الكَرَمُ وَلَكَ الجُودُ، وَلَكَ الأَمْرُ، وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ، يَا فَرْدُ يَا صَمَدُ، يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ

ايّاه، نعوذ بالله منه.

قوله: يا واحد يا أحد.

الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر، والفرق بين الواحد والأحد أنّ الواحد أعمّ مورداً، لأنّه يطلق على من يعقل وغيره، ولا يطلق الأحد الّا على من يعقل، والواحد يدخل[1] في الضرب والعدد، والأحد لايدخل في ذلك.

وقال الأزهري: الفرق بينهما أنّ الأحد بني لنفي مايذكر معه من العدد، تقول: ماجاءني أحد، والواحد اسم بني لمفتتح العدد، تقول: جاءني واحد من الناس ولا تقول أحد. فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير، والأحد منفرد بالمعنى.

وقيل: الواحد الذي لايتجزأ ولا يثنّى، ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل، ولا يجمع هذين الوصفين الّا الله تعالى.

وفي رواية محمّد بن مسلم عن سيّدنا الصادق عليه السَّلام قلت: ما الصمد؟ فقال: الذي ليس بمجوّف[2].

أقول: وذلك لما ثبت في محلّه أنّ كلّ ممكن زوج تركيبيّ فله جوف،

---

(١) في «ن»: يطلق.

(٢) التوحيد: ٩٣، ح٨.

لَهُ كُفُؤاً أَحدٌ، وَلَمْ يتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَداً، صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وافعل بي كذا وكذا.

بخلاف الواجب فانّه فرد واحد أحديّ المعنى، لاينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم.

وعليه فلا حاجة الى ما أفاده ثقة الاسلام الكليني ـرحمه الله ـ في الاصول، بعد أن روى روايتين ضعيفتين دالّتين على أنّ المراد بالصمد السيّد المصمود اليه في القليل والكثير، بقوله: فهذا هو المعنى الصحيح في تأويل الصمد، لا ماذهب اليه المشبّهة أنّ تأويل الصمد المصمت الذي لاجوف له؛ لأنّ ذلك لايكون الاّ من صفة الجسم، والله جلّ ذكره متعال عن ذلك، هو أعظم وأجلّ من أن تقع الأوهام على صفته، أو تدرك كنه عظمته. ولو كان تأويل الصمد في صفة الله المصمت، لكان مخالفاً لقوله عزّوجلّ «ليس كمثله شيء» لأنّ ذلك من صفة الأجسام المصمتة التي لا أجواف لها، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. وأمّا ماجاء في الأخبار من ذلك، فالعالم عليه السَّلام أعلم بما قال[1] انتهى كلامه رفع مقامه.

وذلك لأنّ العالم عليه السَّلام أشار بقوله «الصمد هو الذي لاجوف له» الى ما أشرنا اليه لا الى مافهمه رحمه الله، وذلك مثل ما في كتاب التوحيد عن الباقر عليه السَّلام أنّه قال: حدّثني أبي زين العابدين عن أبيه الحسين عليه السَّلام أنّه قال: الصمد الذي لاجوف له، والصمد الذي لاينام، والصمد الذي لم يزل ولا يزال[2].

---

(١) اصول الكافي ١: ١٢٤.

(٢) التوحيد: ٩٠ ح٣.

ثمّ تصلّي ركعتين وتقول بعدهما: اللهم ربّ السماوات السبع الى آخره.

ثمّ تصلي ركعتين، وتقول بعدهما: اَللّهُمَّ إنّي أدعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ عَبْدُكَ يُونُسَ، إذْ ذَهبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ[١] عَلَيْهِ، فَنَادَى فِي الظُّلُماتِ أَنْ لاَ إلَهَ إلّاَ أَنْتَ، سُبْحَانَكَ إنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينْ، فَاسْتَجَبْنَا[٢] لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ[٣] فَإنَّهُ دَعَاكَ وَهُوَعَبْدُكَ، وأَنَا أدعُوكَ وَأَنَا عَبْدُكَ، وَسأَلكَ وَهُوَعَبْدُكَ، وَأَنَا أَسأَلكَ وَأَنا عَبْدُكَ، أَنْ

وفي رواية ربيع بن مسلم، قال: سمعت أبا الحسن عليه السّلام وسئل عن الصمد، فقال: الصمد الذي لاجوف له[٤].

وفي رواية زرارة عن الصادق عليه السّلام: انّ الله أحد صمد ليس له جوف، وانّما الروح خلق من خلقه نصر وتأييد وقوّة يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين[٥].

وفي رواية أُخرى عنه عليه السّلام: الله نور لا ظلام فيه، وصمد لا مدخل فيه[٦]. الى غير ذلك من الأخبار، وبعضها كالصريح فيما قلناه، فتأمّل.

قوله: أن لا اله الاّ أنت.

الباء مقدّرة أي بأن، أو أي لا اله الاّ أنت، فأن بمعنى أي.

قوله: وأنا أدعوك .

لا يقال هذا قياس مع الفارق، لأنّهم كانوا أنبياء مخلصين أتقياء صالحين

---

(١) ينبغي أن يقرأ تقدر بتاء الخطاب لا بالنون (منه).

(٢) فاستجبت له ونجيته من الغم فإنه: خ ل.

(٣) وكذلك ننجي المؤمنين: خ ل.

(٤) التوحيد: ٩٣، ح٧.

(٥) التوحيد: ١٧١، ح٢.

(٦) التوحيد: ١٣٨.

تُصلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَستَجيبَ لِي كَمَا استجَبْتَ لَهُ، وأَدعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ عَبْدُكَ أَيُّوبُ إذْ مَسَّهُ الضُّرُّ، فَدعَاكَ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وأَنتَ أَرحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَاستَجَبْتَ لَهُ وَكَشَفْتَ مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ، وآتيْتَهُ أَهلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ، فَإِنَّهُ دَعَاكَ وَهُوَعَبدُكَ ، وَأَنَا أَدعُوكَ وَأَنَا عَبدُكَ ، وَسأَلكَ وَهُوَعَبدُكَ ، وَأَنَا أَسأَلُكَ وَأَنَا عَبدُكَ ، أَنْ تُصلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تُفرِّجَ عَنِّي كَمَا فرَّجْتَ عَنْهُ، وَأَن تَستَجيبَ لِي كَمَا اسْتَجَبْتَ لَهُ، وأَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ يُوسُفُ، إِذْ فرَّقْتَ بَينَهُ وَبيْنَ أَهْلِهِ، وَإذْ هُوَ فِي السِّجْنِ، فَإِنَّهُ دَعَاكَ وَهُوَعَبْدُكَ ، وَأَنَا أَدعُوكَ

أصفياء، فليس بلازم من اجابة دعوتهم اجابة دعوة غيرهم ممّن ليس بنبيّ ولا تقيّ، لأنّ الغرض أنّ الدعوة والسؤال وعلّة الاجابة مشتركة بيني وبينهم مع زيادة صلاتي على محمّد وآل محمّد، وهي لا ترد البتّة، فاجابة دعوتهم ملزومة لاجابة دعوتي بطريق أولى، لأنّ في ردّها تبعيض الصفقة الممنوع منه، وهذا المحذور ما كان لازماً من ردّ دعواتهم، فتأمّل.

قوله: ومثلهم معهم.

روي أنّه تعالى ردّ عليه الذين ماتوا قبل البلاء، وردّ عليه أهله الذين ماتوا بعد ما أصابهم البلاء كلّهم أحياهم الله له فعاشوا معه.

قوله: إذ فرّقت بينه وبين أهله.

اسناد التفريق اليه سبحانه اسناد الفعل الى سببه البعيد، لأنّ مقدّماته البعيدة كانت منه سبحانه، كما تقرّر في الأُصول، فيدلّ على أنّ اخوته لم يكونوا مستقلّين فيه، كما هو من لوازم مذهب المفوّضة.

وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَسأَلكَ وَهُوَ عَـبدُكَ ، وَأَنَا أَسأَلُك وَأَنَا عَبْدُكَ ، أَنْ تُصلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تُفرِّجَ عَنِّي كَمَا فرَّجْتَ عَنْهُ، وَأَنْ تَستَجِيبَ لِي كَمَا اسْتَجَبْتَ لَهُ، فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وافعل بي كذا كذا وتذكر حاجتك.

ثمّ تصلّي الركعتين الأخيرتين، وتقول بعدهما: يَا مَنْ أَظْهر الجميل وستر القبيح إلى آخره.

وبعد فراغك من ذلك تؤذّن للعصر وتفصل بين الأذان والإقامة بسجدة وتدعو بما مرّ[١] في الصبح والظهر، ثمّ اشتغل بصلاة العصر، مراعياً جميع الآداب السابقة، وتقرأ في الركعة الأُولى «إذا جاء نصر الله والفتح» أو «ألهاكم التكاثر» ونحوهما في القصر، كما رواه شيخ الطائفة في التهذيب[٢] عن الصادق عليه السَّلام بسند صحيح.

وبعد فراغك من الصلاة تعقّب بما عقّبت به في الظهر، سوى ما يختصّ بها، وتقول بعد ذلك ما يختصّ بالعصر:

فتوهم الجبر مدفوع، لاعتراف اخوته فيه بخطأهم مرّتين: مرّة بتأكيد عنده، وأُخرى بغير تأكيد عند أبيهم؛ إذ المجبور لا يقال له الخاطىء، والفعل انّما يسند حقيقة الى سببه القريب، ولذلك لمّا عاتب موسى عليه السَّلام أخيه هارون في بني اسرائيل، قال في مقام الاعتذار «انّي خشيت أن تقول فرّقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي»[٣].

---

(١) المراد الدعاء بين الأذان والإقامة والدعاء بعد الإقامة (منه).

(٢) تهذيب الأحكام ٢:٩٥، ح١٢٢.

(٣) سورة طه: ٩٤.

أَستَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ، ذَا الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ، وأَسأَلُهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيَّ تَوبَةَ عَبْدٍ ذَليلٍ خَاضِعٍ[1]، فَقيرٍ بائسٍ مُستكِينٍ مُستَجيرٍ، لاَ يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً، وَلاَ مَوْتاً وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُوراً. اَللّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لاَ تَشبَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخشَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لاَ يَنفَعُ[2]

قوله: من نفس لا تشبع.

من الدنيا وزخارفها، بل كلّما أصاب منها شيئاً زاد حرصه وجوعه كجوع البقر.

قوله في الحاشية: أي لايصل نفعه إليّ الى آخره.

أي: لا يصل نفعه إليّ في الآخرة بتركي العمل بمقتضاه، فانّ العلم العملي وحده ليس بنافع بل لاقوام له الّا به، ولا ينتفع به صاحبه في الآخرة إذا لم يعمل به في دارالدنيا، لقوله عليه السّلام: تعلّموا ماشئتم ان تعملوا فلن ينفعكم الله بالعلم حتّى تعملوا به[3]، لأنّ العلماء همّتهم الرعاية، والسفهاء همّتهم الرواية.

فكلّ علم عمليّ لا يعمل به صاحبه فهو وبال عليه، لكدّه فيه وجدّه وجهده في تحصيله وحفظه وصيانته وقراءته ودراسته والمواظبة عليه، وتعبه في استصحابه وحمله، مع حرمان الانتفاع به بترك العمل به، فمثله كمثل الحمار

---

(١) خاشع: خ ل.

(٢) أي: لا يصير نفعه إليّ في الآخرة، كالعلوم التي ليس لها دخل في أمر الدين، فكيف العلوم التي تضرّ بالدين، نعوذ بالله منها (منه).

(٣) كنزالعمال ١٠:١٤١، برقم: ٢٨٧١٨.

وَمِنْ صَلاَة لاَ تُرْفَعُ،

يحمل أسفاراً، بل لانسبة بينهما، فانّ أهل النار يتأذّون من ريح العالم التارك لعلمه، وأنّ الله جعل عقاب العاصيات من نساء النبيّ صلّى الله عليه وآله ضعف ما لغيرهن، لأنّهن لمّا كنّ عالمات بالأحكام الشرعيّة، من حيث معاشرتهنّ واختصاصهنّ بصحبته صلّى الله عليه وآله، كان فعل الواجبات وترك المحرمات عليهنّ آكد.

فظهر أنّ العلم الذي له دخل في الدين، ويسمّى بعلم الشريعة اذا لم يعمل به لاينفع في الآخرة بل يضرّ، وهو الذي وقع الاستعاذة منه، مثلاً عمله بما تضمّنه هذا الكتاب مع تركه العمل به لاينفعه يوم يقوم الحساب، إذ المقصود به العمل، وهو بمنزلة الشجرة والعمل بمنزلة الثمرة، فهو مقصود بالعرض، والمقصود بالذات هو العمل.

وأمّا العلم المقصود لذاته وهو يسمّى بعلم الحقيقة، فلا حاجة به الى العمل، ولا اختصاص له بفنّ دون فنّ، لأنّ علم كلّ شيء خير من جهله، والعالم من يعلم الأشياء وما في الوجود كلّه، شريفاً كان المعلوم أم خسيساً. نعم العمل ببعض هذه العلوم مضرّ بالدين.

وأمّا العلم من حيث هو فلا، كيف والعلم بما هو أشرف من جميع المعقولات، وهو نور يقذفه الله في قلب من يريد هدايته، وهو الأفضل من الأوّل، الاّ أنّه الأقدم، لأنّه الشرط والوسيلة اليه، لقوله: ليس العلم في السماء فينزل اليكم، ولا في تخوم الأرض فيخرج اليكم، بل العلم مجبول في قلوبكم، تأدّبوا بآداب الروحانيين يظهر لكم.

قوله: من صلاة لا ترفع.

الى محلّ القبول.

ومِنْ دُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ. اَللّٰهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ اليُسْرَ بَعْدَ العُسْرِ، وَالْفَرَجَ بَعْدَ الكَرْبِ، والرَّخاء بَعْدَ الشِّدَّةِ. اَللّٰهُمَّ مَا بِنَا مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لا إلٰهَ إلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إلَيْكَ.

ويستحب الاستغفار بعد صلاة العصر سبعين مرّة، وقراءة سورة القدر عشر مرّات، فقد روي عن الصادق عليه السَّلام أنه قال: من استغفر الله بعد صلاة العصر سبعين مرّة غفر الله له سبعمائة ذنب[١].

وعن أبي جعفر الثاني عليه السَّلام أنه قال: من قرأ «إنّا أنزلناه في ليلة القدر» عشر مرّات بعد صلاة العصر مرّت له[٢] على مثل أعمال الخلائق في ذلك اليوم[٣].

ثم اسجد سجدتَي الشكر وادعُ فيهما وبعدهما بما مرَّ، وليكن آخر ما تدعو به أن تقول:

اَللّٰهُمَّ إنِّي وجَّهْتُ وَجهِيَ إلَيْكَ، وأَقبَلْتُ بِدُعَائِي عَلَيْكَ، رَاجِياً

قوله: ومن دعاء لا يسمع.

أي: لا يجاب.

قوله عليه السَّلام: له على مثل أعمال الخلائق.

فيه دلالة على تجسّم الأعمال، فتأمّل.

---

(١) مصباح المتهجّد: ٦٥.

(٢) أي: جرت القراءة المذكورة مشتملة على مثل ثواب الأعمال المسنونة الواقعة من الخلائق في ذلك اليوم، ويجب أن يستثنى من أعمالهم قراءة سورة القدر عشراً، كما لا يخفى (منه رحمه الله).

(٣) مصباح المتهجّد: ٦٥.

إجابَتَكَ ، طَامِعاً في مَغْفِرَتكَ ، طَالِباً ما وَأَيْتَ بِهِ عَلىٰ نَفْسِكَ ، مُستَنْجِزاً وَعْدَكَ إذْ تَقُولُ ادْعُوني أَستَجِبْ لكُمْ، فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَقبِلْ إلَيَّ بِوَجْهِكَ ، وَارْحَمْنِي وَاسْتَجِبْ دُعَائي يا إلَهَ الْعَالَمِينَ.

توضيح:

لا بأس ببيان ما لعلّه يحتاج إلى البيان في هذين الفصلين.

«خذ إلى الخير بناصيتي» أي: اصرف قلبي إلى عمل الخيرات ووجّهني إلى القيام بوظائف الساعات كالذي يجذب بشعر مقدّم رأسه إلى عمل، فالكلام استعارة.

قوله: طالباً ما وأيت به على نفسك.

الوأي: الوعيد الذي يوثّقه الرجل على نفسه ويعزم على الوفاء به، ومنه الحديث «قرأت في الحكمة أنّ الله تعالى يقول: انّي قد وأيت على نفسي أن أذكر من ذكرني» عدّاه بـ«على» لأنّه أعطاه معنى جعلت على نفسك[١].

والاستنجاز: الاستحضار، يقال: نجز ينجز نجزاً إذا حضر وحصل، وأنجز وعده إذا أحضره. والاقبال هنا كناية عن الاعتناء والاكرام، لأنّ من اعتنى بأحد وأكرمه إلتفت اليه وأقبل بوجهه عليه. والوجه الذات «كلّ شيء هالك الّا وجهه»[٢] والاولى أن يحمل على الاستعارة التمثيليّة، فتأمّل.

قوله: فالكلام استعارة.

تمثيليّة حيث شبّه توفيق الله وتوجيهه الأسباب نحو المطلوب: الخير بمن

(١) نهاية ابن الأثير ٥: ١٤٤.

(٢) سورة القصص: ٨٨.

«يا من أظهر الجميل وستر القبيح» روي في تأويله عن الصادق عليه السَّلام أنه قال: ما من مؤمن إلّا وله مثال في العرش، فإذا اشتغل بالركوع والسجود ونحوهما فعل مثاله مثل فعله، فعند ذلك تراه الملائكة فيصلّون

يأخذ بناصية الفرس ليجرّه ويجذبه الى طريق الصواب، أو الى عمل، فانّه بدون ذلك لايعمل ولا يهتدي اليه.

فنفس الانسان بمنزلة ذلك الفرس، وتوفيق الله وتسديده وتذكيره ولطفه والهامه والقيام بوظائف الطاعات ونيل الخيرات بمثابة ذلك الجذب.

گر مى برندت واصلي   گر خود روى بى حاصلى
رفتن كجا بردن كجا   تأييد سبحانى است اين

وفيه اشارة الى بطلان قول من قال بعدم مدخليّة توفيق الله وخذلانه في أفعال العباد، وهم المشهورون بالمفوّضة؛ إذ الانسان بمجرّد جدّه وجهده لايصل اليه ماقدر وصوله اليه بالاجتهاد، فانّ الجهد وحده ليس بسبب موجب، بل يحتاج وصوله اليه الى شرائط. وحسن التوفيق عبارة عن استجماع جميع تلك الشرائط، وسوء التوفيق عبارة عن فقدانها كلّاً أو بعضاً.

سكندر را نمى بخشند جامى   به زور و زر ميسّر نيست اين كار

قوله: روي في تأويله الى آخره.

وفي خبر آخر: لكلّ أحد مثال، كلّما فعله فعل ذلك المثال، فاذا فعل حسناً أطلع الله عليه الملكوت، واذا صنع سوءاً ضرب الله بينه وبين الملكوت حجاباً، فلا يطّلعون عليه.

وعليه ينزّل يامن أظهر الجميل وستر القبيح، ولعلّ هذه الأمثلة القائمة بذواتها هي التي تتعلّق بها النفوس في عالم البرزخ بعد مفارقتها أبدانها

ويستغفرون لـه، وإذا اشتغل العبد بمعصيتـه أرخى الله على مثاله ستراً، لئلا تطّلع الملائكة عليها، فهذا تأويل يا من أظهر الجميل وستر القبيح.

«يا من لم يؤاخذ بالجريرة» قد مرَّ تفسير الجريرة في آخر تعقيب الصبح، والمراد يا من لم يعجّل عقوبة المعصية في الدنيا حلماً وكرماً لعلّ العاصي يتوب منها فيسلم من عقابها.

العنصريّة، ومن جميل صنعه تعالى أنّه يظهر الجميل من عمل العبد تكرّماً وتفضّلاً، كما ورد في بعض وحيه جلّ جلاله: عملك الصالح عليك ستره وعليّ اظهاره. فالعبد يستر الطاعة والمعصية، والله بكرمه يستر عليه المعصية ويظهر له الطاعة، ولا لطف أعظم من ستر القبيح واظهار الجميل.

وعن سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما ستر الله على عبد في الدنيا الّا ستر عليه في الآخرة[1].

قوله عليه السَّلام: أرخى الله على مثاله ستراً.

هذا على القول بأنّ الملائكة أجسام لطيفة نورانيّة ذوات عقول وأفهام مسكنها السماوات، كما ذهب اليه أكثر المسلمين، وفي أخبارنا مايدل عليه محمول على ظاهره.

وأمّا على القول بأنّها نفوس ناطقة بشريّة فارقت أبدانها، كما عليه طوائف من النصارى، أو أنّها عقول مجرّدة ونفوس فلكيّة، كما عليه الفلاسفة، فمحتاج الى ضرب من التأويل، بأن يقال: انّ المراد بالستر مطلق المانع من الادراك والاطّلاع على أمر، لاخصوص الجسم الحاجب بين البصر والمبصر.

---

(١) كنز العمال ٤: ٢٣١، ح ١٠٣٠٠.

والصفح: التجاوز عن الذنب.

والنجوى: الكلام الخفيّ.

«وتنفّس همّي» أي: تريحني منه وتزيله.

«ولا تشوّه خلقي بالنار» بالشين المعجمة والواو المشددة، أي: لا تقبّح خلقي بها.

«يا جامع كلّ فوت» أي: كلّ فائت وما بعده أعني: «يا باريء النفوس» أي: يا خالقها ومعيدها كالتفسير له.

واعلم أنّ الايمان بالملائكة واجب، لقوله تعالى «والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته»[1] وأمّا البحث عن أنّها روحانيّة محضة، أو جسمانيّة محضة، أو مركّبة منهما، أو بتقدير كونها جسمانيّة فلطيفة أو كثيفة، وان كانت لطيفة فنورانيّة أو هوائيّة، أو بعضها نورانيّ وبعضها هوائيّ، كما ذهب الى كلّ طائفة، فليس بواجب؛ لأنّ مدار الايمان بهم أنّهم عباد الله المكرمون، من شأنهم كذا وكذا، وأما العلم بخصوصيّات ذواتهم والايمان بها فلا.

قوله: الصفح التجاوز عن الذنوب.

الصفح: العفو وأصله من الاعراض بصفحة الوجه، كأنّه يعرض بوجهه عن ذنبه، ومنه الصفوح في صفة الله تعالى، وهو العفوّ عن ذنوب العباد، والمعرض عن عقوبتهم تكرّماً.

وقيل: الصفح هو أن تعرض عن الشيء وتوليه بصفحة وجهك، وتبقي له أثراً ما، والعفو أن تعفو فلا تبقي له أثر.

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

«يا بطاش ذا البطش الشديد» البطش الأخذ بعنف، وذا البطش على المعنى الأول.

«خيرتك من خلقك» قد مرَّ تفسير الْخِيرَة في آخر تعقيب الصبح.

«وربّ السبع المثاني» هي سورة فاتحة الكتاب، ولتسميتها بذلك وجوه ذكرتها في تفسيري الموسوم بالعروة الوثقى، فمنها[١] أنّها تثنّى في كلّ صلاة

وقيل: العفو لا تؤاخذ والصفح الاعراض وعدم التثريب والاعتراض، فهو من حيث شموله لعدم تذكّر الخيانة كان أبلغ، والعفو أبلغ من وجه آخر، وهو المحو بالكليّة من عفى الرسم إذا ذهب أثره.

قوله: وربّ السبع المثاني.

جمع مثنى على صيغة المفعول من التثنية بمعنى تردّد وتكرّر[٢]، ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة، سمّيت بذلك لتكرّر سبع ألفاظ فيه: الله، والرحمن، والرحيم، وايّاك ، والصراط، وعليهم، وغير، ومعنىً.

قوله في الحاشية: وستسمع الجواب.

وستعرف مافيه.

قوله: هي سورة الفاتحة.

كما تدلّ عليه رواية محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: سألته

---

(١) وما ذكره الشيخ الطبرسي ـ طاب ثراه ـ في مجمع البيان من أن وجه تسميتها بذلك أنها تثنّى في كل صلاة فرض ونفل فقد اعترض بالوتر وستسمع الجواب عنه عند ذكر صلاة الوتر إن شاء الله تعالى (منه رحمه الله).

(٢) في «ن»: مردّد ومكرّر.

مفروضة. وأمّا صلاة الجنازة، فهي صلاة مجازيّة عندنا، إذ لا صلاة إلّا بطهور، ولا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب. ومنها[١] اشتمال كلٍّ من آياتها السبع على الثناء

عن السبع المثاني والقرآن العظيم هي الفاتحة؟ قال: نعم، قلت: بسم الله الرحمن الرحيم من السبع المثاني؟ قال: نعم هي أفضلهنّ[٢].

قوله: فهي صلاة مجازيّة.

بحسب الشرع وحقيقة بحسب اللغة.

قوله: عندنا.

ردّ على العامّة.

قوله في الحاشية: وذلك لأنّ اشتمال قوله غير المغضوب عليهم.

لا شكّ في اتّصافه تعالى بالغضب، كما قال: سبقت رحمتي غضبي. وهو من صفات الفعل، كالانتقام والسخط والقهر والغلبة، فاتّصافه تعالى به يدلّ على مدحه، لامتناع اتّصافه بما يدلّ على ذمّه لتنزّهه عن النقص، ولا يعني بالثناء الّا ما يدلّ على المدح.

قال في القاموس: الثناء وصف بمدح أو ذمّ أو هو خاصّ بالمدح[٣].

فظهر أنّ قوله «غير المغضوب عليهم ولا الضالّين» لو كان آية برأسها

---

(١) لا يخفى أن هذا الوجه إنما يستقيم على قولنا من أنّ قوله تعالى: «صراط الذين أنعمت عليهم» ليس آية برأسها، وإنما هو جزء الآية الأخيرة، وذلك لأن اشتمال قوله تعالى: «غير المغضوب عليهم ولاالضالّين» عليه غير ظاهر. (منه رحمه الله).

(٢) نورالثقلين ٣:٢٧، ح٩٧ عن التهذيب.

(٣) القاموس المحيط ٤:٣١٠.

على الله تعالى. ومنها أنّها قد تثنّى نزولها، فمرة بمكة حين فرضت الصلاة، وأُخرى بالمدينة حين حوّلت القبلة.

ولا يرد أن تسميتها بالسبع المثاني كان بمكّة قبل تثنية نزولها بالمدينة، فإنّ قوله سبحانه «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني» من سورة الحجر وهي مكية، لجواز أن يكون جلّ شأنه سمّاها بذلك من قبل لعلمه بأنه سيُثنّى نزولها فيما بعد.

«البديء البديع» أي: المبدىء[1] الموجد لما سواه من كتم العدم. والبديع المبدع أي: خالق الخلائق لا على مثال سابق، كما يقال لمن صنع أمراً لم يسبق إلى مثله أنّه ابتدعه.

وقد تقدّم في تعقيب الصبح «حجزت الأعادي عنّي ببديع السماوات والأَرض» وذكرنا هناك أنّ بعضهم توقّف في مجيء فعيل بمعنى مفعل، وجعل

لكانت مشتملة على الثناء على الله تعالى، وكان هذا الوجه مستقيماً على هذا القول أيضاً، فتأمّل.

وانّما لم يسند الغضب اليه سبحانه صريحاً كما أسند اليه النعمة لما سيأتي في آخر الكتاب بعون الله الملك الوهّاب، ولعلّه أيضاً يدلّ على نوع ثناء عليه تعالى، فارجع اليه ثمّ تأمّل فيه.

قوله: حين حوّلت القبلة.

من بيت المقدس الى الكعبة، ولا يتصوّر لنزولها مرّتين فائدة ظاهرة بل معنى ظاهراً، فتأمّل.

قوله: وذكرنا هناك أنّ بعضهم الى آخره.

أقول: ونحن أيضاً قد ذكرنا هنالك أن لاعبرة بمن توقّف في اطلاق البديع

---

(١) المعيد: خ ل.

تلك العبارة من قبيل الوصف بحال المتعلق، ولا يخفى أنّ عدم إضافة فعيل هنا يقتضي حمله على معنى مفعل، فينبغي عدم التوقّف بعد ورود ذلك في الأدعية المأثورة والأسماء التسعة والتسعين.

«إذ ذهب مغاضباً» المراد ـ والله أعلم ـ أنّه ذهب مغاضباً لقومه، لأنّه دعاهم مدّة إلى الإيمان فلم يؤمنوا.

على المبدع.

ويردّه أيضاً صريح مارواه في الكافي عن سدير الصيرفي قال: سمعت حمران بن أعين يسأل أباجعفر عليه السَّلام عن قول الله عزّوجلّ «بديع السماوات والأرض»[١] فقال أبو جعفر عليه السَّلام: انّ الله عزّوجلّ ابتدع الأشياء كلّها بعلمه على غير مثال كان قبله، فابتدع السماوات والأرضين ولم يكن قبلهنّ سماوات ولا أرضون، أما تسمع لقوله تعالى «وكان عرشه على الماء»[٢].

قوله تعالى: إذ ذهب مغاضباً.

اذ ذهب عن قومه حين ضاق خلقه من وعظهم ودعوتهم وعدم اتّعاضهم وقبولهم حال كونه مغضباً، أي: أغضبهم بمفارقته لهم لخوفهم نزول العذاب عليهم عند مفارقته لهم.

ويحتمل أن يكون بمعنى باغضاً لهم مع أنّه ظنّ أنّ ذلك يجوز له، حيث أنّه فعله لله فهو بغض لله. ولعلّه كان الأولى له الصبر وانتظار الاذن والفرج من الله فما صبر.

---

(١) سورة الانعام: ١٠١.

(٢) اصول الكافي ١:٢٥٦، ح٢.

«فظنّ أن لن نقدر عـليه» الظن هنا بمعنى العلم «ولن نقدر عليه» أي: لن

قوله: الظنّ هنا بمعنى العلم.

عن علي بن الجهم في حديث طـويل أخذنا منه موضع الحاجة، قال المأمون لأبي الحسن الرضا عليه السَّلام: أخبرني عن قول الله تعالى «وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظـنّ أن لن نقدر علـيه» فقال الرضـا عليه السَّلام: ذاك يونس بن متى عليه السَّلام ذهب مغاضباً لقومه، فظنّ بمعنى استيقن أن لن نقدر عليه، أي: لن نضيّـق عليـه رزقه، ومـنه قولـه تعالى «وأمّا اذا ما ابـتلاه ربّه فقدر عـليه رزقه» أي: ضيّق وقتّر «فنادى في الظـلمات» ظلمة اللـيل وظلمة البحـر وظلمة بطن الحوت «أن لا اله الاّ أنت سبحانك انّي كنت من الظالمين» بتركي مثل هذه العبادة التي فرغت لها في بطـن الحوت، فاستجاب الله له، قال سبحانه «فلولا أنّه كان من المسبّحين للـبث في بطنه الى يوم يبعثون» فقال المأمون: لله درّك يا أباالحسن[١].

وهذا الـتفسير الذي فسّره الامـام عـليـه السَّـلام وعليـه بـناء كلام الشيخ ـقدّس سرّهـ هو الحقّ الـذي لامحيد عنه، فـلا يعبأ به بـعده بماقيل «فظـنّ أن لن نقدر»[٢] أي: ظنّ أنّ الله ماقـدر وما فرض له المعـاينة والتعـفيف عليه، أو ظنّ أنّه لم يفعل الله مـعه فعل القـادر ولم يستعمل قدرته في عتابه لحسن ظنّه بالله، أو مـثل عدم فعله تـعـالى، بسبب أنّه كان جائـزاً لـه بمن لايقدر عليـه، فـهو تمثيل واستعارة، قاله في الكشّاف[٣].

(١) عيون اخبار الرضا ١:٢٠١.

(٢) سورة الانبياء: ٨٧.

(٣) الكشاف ٢:٥٨١.

نضيّق عليه رزقه. والقدر: الضيق، وقد ذكر في وجه تسمية ليلة القدر أنّ الملائكة ينزلون من السماء إلى الأرض في تلك الليلة، فتضيق الأرض بهم، ومنه قوله تعالى: «وأمّا إذا ما ابتلاه ربّه فقدر عليه رزقه»[١] أي: ضيّق، والمراد[٢] ـوالله أعلمـ أنّ يونس على نبيّنا وعليه السَّلام علم أنّا لانضيّق عليه رزقه إذا خرج عن وطنه وقومه.

والبائس: شديد الحاجة. وكذا المسكين.

فصل

قدّمنا أنّ النهار منقسم إلى اثنتي عشر ساعة، كلّ واحدة منها منسوبة إلى

وقال الجبائي: ضيّق الله عليه الطريق حتّى ألجأه الى ركوب البحر، ثمّ قذف فيه فابتلعته السمكة.

وقيل: استفهام وتقديره أفظنّ أن لن نقدر عليه.

وقيل: هي خطرة شيطانيّة سبقت الى وهمه، فسمّيت ظنّاً للمبالغة، وأمثال ذلك ممّا هو بالاعراض عنه حقيق.

وقالوا في قوله «سبحانك انّي كنت من الظالمين» أي: من الذين وجد منهم الظلم، قاله على سبيل الخشوع والخضوع، لأنّ البشر لايمتنع منه وقوع الظلم، ولم يكن في بطن الحوت على جهة العقوبة، لانّها عداوة والنبيّ ليس بعدوّ لله، بل على جهة التأديب، فانّه يجوز للمكلّف وغيره كالصبيّ ولغير العدوّ، كذا في مجمع البيان[٣].

---

(١) سورة الفجر: ١٦.

(٢) هذا تفسير مولانا وإمامنا الرضا عليه السَّلام لما سأله المأمون عن تفسير هذه الآية وقال: لايجوز على نبي الله أن يظنّ عدم قدرة الله عليه (منه رحمه الله).

(٣) مجمع البيان ٤: ٦٠.

واحد من الائمة الاثني عشر سلام الله عليهم، ولكلّ منها دعاء يختصّ بها، وقد ذكرنا أدعية الساعات الأربع المنسوبة إلى الائمة الأربعة عليهم السَّلام، ونقول هنا:

وأمّا الساعة الخامسة، فهي من زوال الشمس إلى مضي مقدار أربع ركعات، وهي للباقر عليه السَّلام، وهذا دعاؤها، والأحسن أن تدعو به بعد الركعة الثانية[١] من نوافل الزوال:

اَللّهُمَّ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلهَ إِلَّا أَنْتَ، هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ، هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَة، هُوَ الرَّحْمانُ الرَّحِيمُ، هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ،

قوله عليه السَّلام: هو الأوّل والآخر.

فسّرت أوّليّته تعالى وآخريّته بوجوه:

الأوّل: أن يكون المراد الأسبقيّة بحسب الزمان الموهوم، كما ذهب إليه شرذمة من المتكلّمين، وهو باطل كما بيّناه في رسالة لنا مفردة، أو بحسب الزمان التقديري، كما ذكره الطبرسي في مجمع البيان[٢]، وهو الحقّ، ويرجع الى القول بالحدوث الدهري، كما فصّلناه في الرسالة المذكورة، أي: لو فرضنا وقدّرنا قبل حدوث الزمان زماناً آخر كان الله ولم يكن معه شيء، فكان أسبق وأقدم. وعلى هذا فالمراد بالآخريّة أنّه الموجود بعد الأشياء بحسب هذا الزمان المقدّر.

الثاني: أن يكون المراد بالأوّل القديم لا الأسبق، وبالآخر الأبدي، وبه

---

(١) هذا ان صلّيت الأربع مخفّفة والّا فبعد الأوّلتين يقع الدعاء في اثناء الساعة (منه).

(٢) مجمع البيان ٥: ٢٣٠.

وَالظَّاهِرُ والْباطِنُ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، فَالِقُ الإِصْبَاحِ، وَجَاعِلُ اللَّيْلِ

فسّرهما أكثر المحقّقين.

الثالث: أن يكون المراد بالأوّليّة العليّة، أي: هو علّة العلل ومبدأ المبادي. وبالآخريّة الغائيّة، أي: هو غاية الغايات كما عليه الحكماء، أو هو منتهى سلسلة العلل ذهناً، فانّك إذا فتشت عن علّة شيء ثمّ عن علّة علّته، وهكذا ينتهي بالآخرة اليه تعالى، وعلى هذا فأوّليّته عين آخريّته وتختلفان بالاعتبار.

الرابع: أنّه مبدأ سلوك السالك ومنتهاه، فانّ بتوفيقه يبتدأ واليه ينتهى، أو أنّه أوّل الأشياء معرفة وأظهرها، ومنتهى مراتب الكمال بالنظر الى كلّ استعداد وقابليّة، أو هو الأوّل باحسانه والآخر بغفرانه.

وقيل: انّه تعالى يفني جميع العالم ليتحقّق كونه آخراً، ثمّ يوجده ويبقيه أبداً. وزيّف بأنّ هذا حقيق بأن يسمّى توسّطاً لا آخريّة.

وقال النيسابوري: انّه أوّل في ترتيب الوجود، وآخر اذا عكس الترتيب، فانّه ينطبق على السلسلة المترتّبة من العلل الى المعلولات، ومن الأشرف الى الأخسّ، وعلى الآخذ من الوحدة الى الكثرة ممّا يلي الأزل الى ممّا يلي الأبد، وممّا يلي المحيط الى مايقرب من المركز، فهو تعالى أوّل بالترتيب الطبيعي وآخر بالترتيب المنعكس، وبهذا البيان تتضح صحّة اطلاق التقدّمات الخمسة ومقابلاتها عليه سبحانه.

قوله: والظاهر والباطن.

ظاهريّته تعالى باعتبار الأدلّة والبراهين الدالّة على ثبوت ربوبيّته وصحّة وحدانيّته، اذ لا موجود الّا وهو يشهد بوجوده، ولا مشهود الّا وهو يدلّ على توحيده.

سَكَناً،وَالشَّمْسَ وَالْقَمرَ حُسْباناً، ذٰلِكَ تَقدِيرُ الْعَزيزِ الْعَلِيمِ، يَا غَالِباً غَيْرَ مَغْلُوبٍ، وَيَا شَاهِداً لاَ يَغِيبُ، يَا قَرِيبُ يَا مُجِيبُ، ذٰلِكُمُ اللهُ رَبِّي لاَ إلَهَ إلّاَ هُوَ،عَلَيْهِ تَوكَّلْتُ وَإلَيْهِ أُنِيبُ.أَتذَلَّلُ إلَيْكَ تَذلُّلَ الطَّالِبِينَ، وأَخضَعُ بَيْنَ يَدَيْكَ خُضُوعَ الرَّاغِبِينَ،وَأَسأَلُكَ سُؤالَ الْفَقِيرِ الْمِسْكِينِ، وَأَسأَلُكَ وأَدْعُوكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً، إنَّكَ لاَ تُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَأَدْعُوكَ خَوْفاً وَطَمعاً إنَّ رَحمَتَكَ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.

وأَتوَسَّلُ إلَيْكَ بِخيرَتِكَ وَصفْوَتِكَ مِنَ الْعَالَمِينَ، الَّذِي جاء بالصِّدْقِ وَصَدَّقَ الْمُرسَلِينَ، مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ النَّذِيرِ الْمُبِينِ، وَبوَلِيِّكَ وعَبْدِكَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِالْإمامِ مُحَمَّدِ بْنِ

وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد

وأمّا باطنيّته، فباعتبار احتجابه عن ادراك الأبصار وتلوّث الخواطر والأفكار، فهو الظاهر بالدلائل والأعلام، والمحتجب بالكنه عن الأوهام، احتجب بالذات بلا حجاب، وظهر بالآيات بلا اقتراب. وقد يكون الظاهر بمعنى الغالب القادر، والباطن بمعنى العالم بالسرائر.

قوله عليه السّلام: وأدعوك خوفاً وطمعاً.

أي: خائفاً وطامعاً، أي: في حال خوفي من سطوتك وطمعي رحمتك، فانّ رحمتك قريب من المحسنين. والاحسان أن تعبدالله كأنّك تراه.

ويفهم منه أنّ رحمته تعالى عامّة، ولكنّها تختلف بالقرب من المحسنين لاحسانهم، والبعد عن المسيئين لاساءتهم، فالاختلاف منّا لا منه.

هرچه هست ازقامت ناساز بی اندام ماست

ورنه تشريف توبربالای کس کوتاه نيست

عَلِيّ باقِرِ عُلُومِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، والعَالِمِ بِتأويلِ الْكِتابِ الْمُسْتَبِينِ، وأَسأَلُكَ بِمكَانِهِمْ عِنْدَكَ، وأُقَدِّمُهُمْ أَمامِي وَبَيْنَ يَدَيْ حَوَائِجِي، أَنْ تُوزِعَنِي شُكْرَ ما أَوْلَيْتَنِي مِنْ نِعْمَتِكَ، وَتجْعَلَ لِي فَرَجاً ومخرَجاً مِنْ كُلِّ كرْبٍ وغمٍّ، وترْزُقَنِي مِنْ حَيْثُ أَحتَسِبُ وَمِنْ حَيْثُ لاَ أَحتَسِبُ، وَيَسِّرْ (وتُيسِّر ـ خ ل) لِي مِنْ فَضْلِكَ ماتُغْنِيْنِي بِهِ مِن كُلِّ مَطلَبٍ، واقْذِفْ في

قوله: باقر علوم الأولين والآخرين.

البقر: الشقّ والفتح والكشف، بقرت الحديث فتحته وكشفته، وهذا لقب لقّبه رسول الله صلّى الله عليه وآله، كما يظهر من صحيحة أبان بن تغلب، قال: حدّثني أبو عبدالله عليه السّلام قال: انّ جابر بن عبدالله كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، وكان رجلاً منقطعاً الينا أهل البيت، وكان يقعد في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو معتمّ بعمامة سوداء، وكان ينادي يا باقر العلم، فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر، وكان يقول: لا والله لا أهجر ولكن سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: انّك ستدرك رجلاً من أهل بيتي اسمه اسمي وشمائله شمائلي يبقر العلم بقراً، فذاك الذي دعاني الى ما أقول[١]. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

قوله عليه السّلام: ويسّر لي من فضلك.

يسّر لي أي سهّل لي، فانّ اليسر هو السعة والرخاء والسهولة، كما أنّ العسر هو الضيق والشدّة والصعوبة، وهما ضدّان.

قال اسحاق بن بهلول القاضي:

---

(١) اختيار معرفة الرجال ١: ٢١٧ - ٢١٨، ح٨٨.

قَلْبِي رَجاكَ ، واقطَعْ رَجائي عـمَّـنْ[١] سِواكَ ، حتّى لا أَرْجوَ إلّا إيّاكَ ، إنَّكَ تُجيبُ الـدّاعِـي إذَا دَعـاكَ ، وتُغيثُ الملـهوفَ إذَا نـادَاكَ ، وَأَنْتَ أَرحَمُ الرّاحمينَ.

فلا تيأس وان أعسرت يوماً ... فقـد يسّرت في دهـر طـويل

ولا تظنن بـربّك ظـنّ سوء ... فـانّ الله أولى بـالجـمـيـل

وانّ الـعسر يـتبـعـه يسـار ... وقـول الله أصـدق كـل قـيل

والـفضل: الـزيادة والسعة، وأصـله أن يبـقىٰ مـن الشيء زيـادة لايحتاج اليها، وفضله تعـالى افاضة جوده وكرمـه ابتداءً من دون سابـقة استحقـاق، فاذا عرف العبد سـعة رحمته وفيضـه ولطفه ورأفته واحسـانه وجوده وامتنانه، واجراء نعمه عليه ظاهرة وباطنة جليّة وخفيّة ضروريّة وغير ضروريّة منذ كونه جنيناً في بطن اُمّه بلا سبـق استحقاق ولا تقدّم استيهال، كان ذلك موجباً لسكون نفسه اليه، باعثاً على رجائـه دليلاً على توقّع قضاء حاجـته منه واسعافه بما هو له، فلا جرم جعل ذلك سبباً لسؤاله.

وانّما اسـتـدعـىٰ رجـاءه وقطـع رجاء غـيـره، لأنّ مـن أسـبـاب الاجابة أن لايـعتمـد الـداعي على غـيـره تعالى اذا أراد أحـدكم أن لايسأل ربّـه شيئاً الّا أعطاه، فلييـأس من الناس كلّـهم ولا يكون له رجاء الّا من عندالله، فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأل له شيئاً الّا أعطاه.

قوله عليه السّلام: انّك تجيب الداعي اذا دعاك .

فان قلـت: مفـاد هذه العـبارة كـليّة الاجابة، ونحـن كثيراً مانـرى الداعي يدعوه وهو لايجيبه، فكيف هذا؟

---

(١) ممّن: خ ل.

وأمّا الساعة السادسة، فهي من مضيّ أربع ركعات من الزوال إلى صلاة الظهر، وهي للصادق عليه السَّلام، وهذا دعاؤها. ويحسن أن تدعو به بعد السادسة من نافلة الزوال:

اَللّهُمَّ أَنْتَ أَنزَلْتَ الغَيْثَ بِرَحْمَتِكَ، وَعَلِمْتَ الغَيْبَ بِمَشِيئَتِكَ، وَدَبَّرْتَ الأُمورَ بِحِكْمَتِكَ، وَذَلَّلْتَ الصِّعابَ بِعِزَّتِكَ، وأَعجَزْتَ الْعُقُولَ عَنْ عِلْمِ كَيْفِيَّتِكَ، وَحَجَبْتَ الأَبْصارَ عَنْ إدْرَاكِ صِفَتِكَ،

قلت: اللام في «الداعي» للعهد، والمراد به من حمل جميع شرائط اجابة الدعاء، من اخلاص النيّة، وحضور القلب والاستكانة، والخشوع والصدق، وحسن الظنّ بالله، وتعلّق القلب به، وقطعه عن الأسباب، الى غير ذلك من شرائطه، فمن حصلت له تلك الشرائط، فاجابة الله له كليّة، ولو تخلّفت ظاهراً فلا يتخلّف في الواقع، فانّه قد يجيب ويؤخّر لضرب من المصلحة. كما روي أنّ موسى عليه السَّلام دعا على فرعون وملئه، فأجابه الله تعالى وأخّر الى أربعين سنة.

قوله عليه السَّلام: وأعجزت العقول عن علم كيفيّتك.

هذا يدلّ على أنّ له تعالى كيفيّة ذاتيّة هي نفس ذاته المجرّدة البسيطة، ولا يدركها غيره، ولا تكون كالكيفيّات الامكانيّة الحادثة، لامتناع كونه محلاً للحوادث، ولو كانت تلك الكيفيّات أزليّة، والأزلي عندهم لا يكون أثر المختار، لزم استنادها الى الذات على وجه الايجاب.

ولذا قال سيّدنا الصادق عليه السَّلام: انّ الله لا يوصف بالكيف، وكيف أصفه بالكيف وهو الذي كيّف الكيف حتّى صار كيفاً، فعرفت الكيف بما

وَالأَوْهامَ

كيّف لنا من الكيف[١].

ولكن في حديث الزنديق الذي أتاه عليه السَّلام وسأله عن مسائل التوحيد أنّه قال: فله كيفيّة؟ قال: لا، لأنّ الكيفيّة جهة الصفة والاحاطة، ولكن لابدّ من الخروج من جهة التعطيل والتشبيه، لأنّ من نفاه فقد أنكره ورفع ربوبيّته وأبطله، ومن شبّهه بغيره فقد أثبته بصفة المخلوقين المصنوعين الذين لايستحقّون الربوبيّة، ولكن لابدّ من اثبات أنّ له كيفيّة لايستحقّها غيره، ولا يشارك فيها ولا يحاط بها ولا يعلمها غيره الحديث[٢].

قوله عليه السَّلام: والأوهام.

أي: العقول، لأنّها وإن كانت في ادراك ماسوى الله كاملة بالغة كنه الأشياء وحقائق الامور على ماهي عليه في نفس الأمر، الّا أنّها فيما يتعلّق بذات الله تعالى وصفاته كالأوهام، حيث أنّها لا تبلغ كنه الامور وحقيقتها، بل يحكم أحكاماً غير مطابقة للواقع.

قرىء بين يدي العالم عليه السَّلام «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار»[٣] فقال عليه السَّلام: انّما عنى أبصار القلوب وهي الأوهام، فقال: لا تدرك الأوهام كيفيّته، وهو يدرك كلّ وهم.

وأمّا عيون البشر، فلا تلحقه لانّه لايحدّ فلا يوصف، هذا مانحن عليه كلّنا[٤].

---

(١) اصول الكافي ١:١٠٣، ح١٢.

(٢) اصول الكافي ١:٨٥.

(٣) سورة الانعام: ١٠٣.

(٤) راجع اصول الكافي ١:٩٩.

عَنْ حَقيقَةِ مَعْرِفَتِكَ ،وَاضْطَرَرْتَ الأَفهَامَ إِلَى الإِقْرارِ بِوَحْدانِيَّتِكَ ،يا مَنْ يَرْحَمُ الْعَبْرَةَ وَيُقِيلُ العَثْرَةَ، لَكَ العِزَّةُ والقُدْرَة، لا يَعْزُبُ عَنْكَ فِي الأَرض وَلاَ فِي السَّماء مِثْقالُ ذَرَّةٍ، أَتوَسَّلُ إِلَيْكَ بالنَّبِيِّ الأُمِّيِّ مُحَمَّدٍ، رَسُولكَ العَرَبيِّ المكّيِّ الْمَدَنِيِّ الْهاشِمِيِّ، الَّذِي أخرجْتَنَا بِهِ مِن الظلُماتِ إِلَى النور، وَبِأَمِيرِ المؤمنينَ عَلِيِّ بْنِ أَبي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ، الَّذِي شَرَحْتَ بِولاَيَتِهِ الصُّدُور، وَبالإمام جعْفِربنِ مُحمَّدٍ الصَّادِق

قوله عليه السَّلام: حقيقة معرفتك.

هذا أيضاً يؤيّد القول بأنّ وحدته تعالى كوجوده فطريّة اضطراريّة، لاحاجة في اثباته الى دليل، وقد سبق الكلام فيه في الدعاء المسمّى بدعاء الاعتقاد.

قوله عليه السَّلام: من الظلمات الى النور.

من ظلمات الجهل الى نور العلم.

قوله عليه السَّلام: الذي شرحت بولايته الصدور.

الباء للآليّة أو السببيّة، أي: شرحت وفتحت بسبب ولايته صدور المؤمنين، فنوّرت قلوبهم، فميّزوا الحقّ عن الباطل، واهتدوا الى صراط مستقيم.

بيان ذلك: انّ الصدر وعاء القلب، فاذا شرح وفتح دخل النور في القلب، فيرى الأشياء كما هي، ويميّز الحقّ عن الباطل، فيهتدي الى صراط علي عليه السَّلام وهو مستقيم، فمن أراد الله أن يهديه الى الحقّ يشرح صدره بولايته، فيهتدي كما اهتدى سائر أهل ولايته.

هذا وفي حديث سليمان بن خالد، قال: قال لي أبو عبدالله عليه السَّلام: ياسليمان انّ لك قلباً ومسامع، وانّ الله اذا أراد أن يهدي عبداً فتح مسامع

عليه السَّلامُ في الأَخْبار المؤتَمَنِ عَلى مَكْنُون الأَسرَار، صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلى أَهْلِ بَيْتِهِ بالْعَشِيِّ وَالإبْكَار.

اَللّهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ بِهِمْ، وَأَستَشْفِعُ بِمكانِهِمْ لَدَيْكَ، وأُقَدِّمُهُمْ أَمامي وَبينَ يَديْ حَوائجِي، فَأَعْطِني الْفَرَجَ الْهَنِيَّ، والمَخْرَجَ الوَحيَّ،

قلبه، واذا أراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه، فلا يصلح أبداً، وهو قول الله عزّوجلّ «أم على قلوب أقفالها»[1] [2].

قوله عليه السَّلام: اللهمّ انّي أسألك بهم الى آخره.

لمّا كان النبيّ وأهل بيته عليهم السَّلام وسائط بين الله وبين عباده في قضاء حوائجهم ونجاح مطالبهم، وهم أبواب معرفته عزّوجلّ، فلابدّ من التوسّل بذكرهم في عرض الدعاء عليه وقبوله لديه، وذلك كما اذا أراد أحد من الرعيّة اظهار حاجته على السلطان توسّل بمن يعظّمه ولا يردّ قوله، وقد سبق في ذلك وجه آخر عقليّ، فتذكّر.

وعن سلمان المحمّدي، قال: سمعت محمّداً صلّى الله عليه وآله يقول: انّ الله عزّوجلّ يقول: ياعبادي أوليس من له اليكم حوائج كبار لاتجودون بها الّا أن يتحمّل عليكم بأحبّ الخلق اليكم تقضونها كرامة لشيعتهم ألا فاعلموا انّ أكرم الخلق عليّ وأفضلكم لديّ محمّد وأخوه علي ومن بعده من الائمّة الذين هم الوسائل الى الله، ألا فليدعني من همّته حاجة يريد نفعها، أو دهته داهية يريد كشف ضررها بمحمّد وآله الطيّبين الطاهرين، أقضها له بأحسن مايقضيها من تستشفعون بأعزّ الخلق عليه الحديث[3].

---

(١) سورة محمّد (ص): ٢٤.

(٢) نور الثقلين ٥: ٤١، ح٦٥ عن المحاسن.

(٣) بحار الانوار ٩٤: ٢٢، ح٢٠.

والصُّنعَ الْقَرِيبَ، والأَمانَ مِنَ الفَزَعِ في اليَوْمِ الْعَصِيبِ، وأَنْ تَغْفِرَ لِي مُوبِقاتِ الذُّنوبِ، وتَسْتُرَ عَلَيَّ فَاضِحَاتِ العُيوب، فأَنْتَ الرَّبُّ وأَنَا الْمَرْبُوبُ، وأَنَا الطَّالِبُ وأَنْتَ الْمَطْلوبُ[1] وَأَنْتَ الَّذِي بِذِكْرِكَ تَطمَئِنُّ الْقُلوبُ، وأَنْتَ الَّذِي تَقذِفُ بِالْحَقِّ وأَنتَ عَلَّامُ الغيوب، يا أَكْرَمَ

وأيضاً فانّ من باع أمتعة صفقة واحدة، فانّ المشتري لا يسوغ له أخذ الصحيح وردّ المعيب، بل إمّا أن يردّ الجميع أو يقبله، فهنا الداعي مزج الدعاء لنفسه بدعاء غيره من النبي وآله، وعرض الجميع صفقة واحدة على حضرة ذي الجلال والاكرام، فهو جلّ وعزّ أجلّ وأكرم أن يردّ المعيب ويقبل الصحيح، كيف وقد نهى عن ذلك عباده، ولا يليق بكرمه جلّ شأنه ردّ الجميع، لأنّ بعضه مقبول البتّة، فلم يبق الّا قبول الجميع وفيه المطلوب. فهذا وجه ما ورد في تلك الأدعية من التوسّل الى الله بالنبيّ وآله والصلاة عليهم عليهم السّلام.

ويدلّ عليه ما روي عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: اذا كانت لك الى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وآله ثمّ سل حاجتك ، فانّ الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي احداهما ويمنع الاخرى[2] .

قوله عليه السّلام: وأنا الطالب وأنت المطلوب.

أنا الطالب احسانك وجودك وامتنانك وفضلك ورحمتك وغفرانك ، وأنت المطلوب بذلك .

قوله عليه السّلام: وأنت الذي بذكرك تطمئنّ القلوب.

اشارة الى قوله تعالى «ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب»[3] وذلك لأنّ الذاكر

(١) كذا في نسختين وفي نسخة وأنت الطالب وأنا المطلوب.
(٢) بحار الانوار ٩٣: ٣١٢، ح١٧.
(٣) سورة الرعد: ٢٨.

الأَكرَميـنَ، وَيـا خَيْـرَ الْفَاصِـلينَ، وَيا أَحكَـمَ الْـحاكِمِيـنَ، وَيـا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ.

وأمّا الساعـة السابعة فمن صلاة الظهـر إلى مضيّ مقدار أربـع ركعات قبل العصر، وهي للكاظم عليه السّلام وهذا دعاؤها:

اَللّهُمَّ أَنْتَ الْمَـرجُـوُّ إِذَا اشْتَدَّ الأَمْرُ، وأَنْتَ الْمَـدْعُـوُّ إِذَا مَسَّ الضُّرُّ،

في ذكره إذا توجّه الى المذكور وهو الله تعالى غفل عن غيره، فيذهل عن أسباب القـلق والاضطراب وما يدهش الأفئـدة والألـباب، فعند ذلك يطمئنّ قلبه ويسكن.

واعلم أنّ للذكر درجات:

الاولى: أن يكون باللسان مع غفلة القلب.

الثانية: أن يكون بالقلب مع عدم استقراره فيه وعدم توجّهه اليه الاّ بتكلّف واجتهاد.

الثالثة: أن يكون بالقلب مع استقراره فيه، بحيث لايتوجّه القلب الى غيره الاّ بالتكلّف.

الرابعة: أن يكون بالقلب مع استقراره فيه واستيلائه عليه، بحيث لايشغل عنه أصلاً.

وانّما يطمئنّ القلب بذكر الله اذا وقع على أحد الوجوه الثلاثة الأخيرة على اختلاف مراتبها. وأمّا الاوّل فلا، وان كان لايخلو من فائدة، فانّه يمنع من التكلّم بالباطل ويجعل اللسان معتاداً بالخير، فاللائق بحال الذاكر أن يحضر قلبه. وإن لم يحضره، فاللائق به أن لايتركه، فانّ اللسان آلة الذكر كالقلب، ولا يترك أحدهما بترك الآخر، فانّ لكلّ عضو عبادة وما لايدرك كلّه لايترك كلّه.

وَمُجِيبُ الْمَلْهُوف الْمُضطَرِّ، والْمُنْجِي مِنْ ظُلُماتِ البَرِّ وَالبَحْر، وَمَنْ لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ، وَالعالِمُ بِوَساوس الصُّدور[1]، والمَطَّلِعُ عَلَى خفيِّ السرِّ، يا غايَةَ كلِّ نجوَى، وَمنتهى كُلِّ شكْوى، يَا مَنْ لَهُ الْحَمْدُ في الآخِرَة والأُولى، يَا مَنْ خَلَقَ الأَرْضَ والسَّماواتِ العُلَى، الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، لَهُ مَا في السَّمٰواتِ وَما في الأَرْض وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرى،

قوله عليه السَّلام: الرحمن على العرش استوى.

الرحمن مبتدأ وعلى العرش متعلّق بقوله «استوى» وهو خبر المبتدأ، والجملة خبر مبتدأ محذوف، أي: هو الرحمن استولى عليه وملكه ولا شريك له.

والعرش: جميع ماسوى الله، أو هو سرير الملك، جعلوه كناية عن الملك، يقال: فلان على العرش يراد أنّه ملك واستولى، وان لم يقعد على السرير البتّة.

وعن وهب انّ الأرضين السبع على عاتق الملك، والملك قدماه على الصخرة، وهي ياقوتة من الجنّة، والصخرة على قرني ثور من الفردوس، والثور على ظهر حوت من الكوثر، والحوت على البحر، والبحر على جهنّم، وجهنّم على متن الريح، ومتن الريح على حجاب من ظلمة، والحجاب على الثرى، والى الثرى ينتهي علم الخلائق من أهل السماوات وأهل الأرض، فذلك قوله تعالى «له ما في السماوات وما في الأرض ومابينهما وما تحت الثرى»[2].

وقيل: ما تحت الثرى هو التراب الرطب مقدار خمسمائة عام تحت الأرض، ولولا ذلك لأحرقت النار الدنيا ومافيها.

وقيل: هو الصخرة التي تحت الأرض السابعة، وهي صخرة خضراء فيها

---

(١) بوسواس الصدر: خ ل.

(٢) سورة طه: ٦.

وَإنْ تَجْهَرْ بـالقَوْل فـإنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَـى ، أللهُ لا إلَهَ إلّا هُوَ لَهُ الأَسْماء الـحُسْنَى ، أَسـأَلُكَ بِحـقِّ مُـحَمَّدٍ خـاتِمَ النَّـبيِّينَ خِـيرَتكَ مِـنْ خَلْقِكَ ، والـمُـؤتَمَنِ عَلى أداء رِسَالَتِـكَ ، وَبـأَمِـيرِ المُؤمنـيـنَ عَـلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ عَلَـيْـه السَّلامُ، الَّـذِي جَعَلْـتَ ولايَتَهُ مَـفْروضةً معَ ولايَـتِكَ ، وَمحَـبَّـتَهُ

كتب الكفّار اسمها سجّين.

وقيل: انّ الأرض على المـاء، والمـاء على الحوت، وهوعلى الصـخـرة، وهي على قرني الثور، وهوعلى الثرى، ولا يعلم ماتحته الاّ الله تعالى.

قوله عليه السَّلام: وان تجهر بالقول فانّه يعلم السرّ وأخفى.

أي: وان تجـهر بذكر الله ودعائه، فـاعـلم أنّه غنيّ عن جـهـرك ، فانّه يعلم السرّ وأخفى.

والسرّ ما لايرفع به صوته، وأخفى مايحدث به نفسه ولا يلفظ به.

وقيل: السرّ ما حدث به غيره خافضاً به صوته، وأخفى ماخطر بباله أو كلّم به نفسه.

وقيل: السرّ ما يضمره الانسـان ولا يظهره، وأخفى من ذلك ماوسوس الـيه ولم يضمره.

وقيل: السـرّ ما تفكّـرت فيه، وأخفى مـالم يخطر ببالـك وعلم الله أنّ نفسك تحدث به بعد زمان.

قوله عليه السَّلام: الذي جعلت ولايته مفروضة الى آخره.

في قـوله تعالى «انّما وليّكـم الله ورسوله والذين آمنوا الـذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهـم راكعون»[١] فانّها نزلت في حقّ مولانا علي عليه السَّلام عند

---

(١) سورة المائدة: ٥٥.

مَقرُونَةً بِرضاكَ وَمَحَبَّتِكَ، وَبالإمامِ الكاظِمِ مُوسى بْنِ جَعْفَر عَلَيْه السَّلامُ، الَّذي سألكَ أَنْ تُفرِّغَهُ لِعِبادَتِكَ، وتُخْلِيَهُ لِطاعَتِكَ،

المخالف والمؤالف حين سأله سائل وهو راكع في صلاته، فأومى اليه بخنصره اليمنى، فأخذ السائل الخاتم من خنصره.

وعن سيّدنا أبي عبدالله الصادق عليه السّلام انّ الخاتم الذي تصدّق به أمير المؤمنين عليه السّلام وزن حلقته أربعة مثاقيل فضّة، ووزن فصّه خمسة مثاقيل، وهي ياقوتة حمراء، قيمته خراج الشام، وخراجه ستمائة حمل فضّة وأربعة أحمال من الذهب، هو لطوق بن الحرّان[١]، قتله أمير المؤمنين عليه السّلام وأخذ الخاتم من اصبعه وأتى به النبي صلّى الله عليه وآله من جملة الغنائم، فأعطاه النبيّ فجعله في اصبعه صلوات الله عليهما وآلهما[٢].

قال الزمخشري: انّما جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلاً واحداً، ليرغب الناس في مثل فعله، ولينبّه أنّ سجيّة المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البرّ والاحسان[٣] انتهى كلامه.

ولا حاجة اليه، لأنّه قد اشتهر في اللغة التعبير عن الواحد بلفظ الجمع للتعظيم والتكريم، فأيّ حاجة الى الاستدلال عليه، فهذه الآية من أوضح الدلائل على فرض ولايته وصحّة امامته بعد النبي صلّى الله عليه وآله بلا فصل.

نقل أنّه اجتمع نفر من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله في مسجد المدينة، فقال بعضهم لبعض: ان كفرنا بهذه الآية كفرنا بسائرها، وان آمنّا

---

(١) كذا في الأصل وفي البرهان: لمروان بن طوق.

(٢) البرهان ٤٨٥/١.

(٣) الكشاف ٦٢٤/١.

فأَجِبْتَ دَعْوتَهُ، أَنْ تُصلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، صلاةً تَقْضِي بها عَنِّي واجِبَ حقوقِهِمْ، وَتَرْضى بِها في أَداء فرُوضِهِمْ، وأتوَسَّلُ إِلَيْكَ بِهِمْ، وأَسْتَشْفِعُ بِمَنْزِلَتِهِمْ، وأُقَدِّمُهُمْ أمامِي وَبيْنَ يَدَي حَوائجي، أَنْ تُجرِيَنِي على جَمِيلِ عَوائِدِكَ، وَتَمْنَحَنِي جَزيلَ فَوَائِدِكَ، وَتأخُذَ بسَمْعي وَبَصَري وَسرِّي وَعلانِيَتِي، وَناصيَتِي وَقَلْبي وَعَزيمَتِي وَلُبِّي، إِلى مَا تُعِينُنِي، بِهِ عَلَى هوَاكَ، وَتُقرِّبُني مِنْ أَسْبابِ رِضَاكَ، وَتُوجِبُ لِي نَوَافِلَ فَضْلِكَ، وَتَسْتَدِيمُ لي مَنَائحَ طَولكَ، يا أَرْحَم الرَّاحمينَ.

صارت فيما يقول، ولكنّا نتولّى ولا نطيع عليّاً، فنزلت «يعرفون نعمة الله ثمّ ينكرونها»[١].

قوله عليه السّلام: على جميل عوائدك الى آخره.

أي: عوائدك الجميلة وفوائدك الجزيلة أي الكثيرة، من اضافة الصفة الى الموصوف، والظاهر أنّه ضمن الأخذ معنى الميل فعدّاه بـ«الى» أي: تأخذ بهذه الجوارح والقوى وتميلها اليه، بأن تجعلني منخلعاً عن الشهوات ذاهلاً عن الحظوظ واللذّات حتّى أحمي سمعي وبصري وغيرهما عمّا لا تحبّه، وأستعملها فيما ترضاه. والسر جوف كلّ شيء ولبّه، واللبّ هو الخالص سمّي به العقل، لأنّه أشرف وأخصّ في الانسان. والهوى بالقصر العشق والحبّ، ومنه قوله:

هويت السمان فشيّبتني وقد كنت قديماً هويت السمان

وقوله:

هواي مع الركب اليمانين مصعد جنيب و جسماني بمكّة موثق

---

(١) سورة النحل: ٨٣.

توضيح:

«فالق الاصباح» أي: شاقّ عمود الصبح عن ظلمة الليل.

«وجاعل الليل سكناً» بفتح أوّله وثانيه، أي: موجباً للسكون والراحة من التعب.

«والشمس والقمر حسباناً» أي: يحسب بدورانهما الأزمنة.

«وإليه أُنيب» بالنون ثمّ الياء المثناة التحتانية، أي: أرجع بالتوبة.

«واقذف في قلبي رجاك» إقذف بالقاف والذال المعجمة من القذف، وهو الرمي.

«يا من يرحم العبرة» بفتح العين المهملة وإسكان الباء الموحّدة: الدمعة، أو تردّد البكاء في الصدر.

«لايعزب» بالعين المهملة والزاي على وزن يقعد، أي: لا يغيب.

«فاعطني الفرج الهنيّ» أي: الذي ليس فيه تعب.

«والمخرج الوحيّ» بالحاء المهملة وتشديد الياء، أي: السريع.

«والصنع القريب» بالصاد المهملة المضمومة والنون: الإحسان.

قوله: فالق الاصباح.

قال البيضاوي: فالق الاصباح أي شاقّ عمود الصبح عن ظلمة الليل، أو عن بياض النهار. أو شاقّ ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه. والاصباح في الأصل مصدر أصبح اذا دخل في الصبح، وقرىء بفتح الهمزة على الجمع[١].

قوله: والصنع القريب.

الصنع بالضمّ مصدر قولك صنع اليه معروفاً وصنع به صنيعاً قبيحاً أي

---

(١) انوار التنزيل ١: ٣٩٢.

«في اليوم العصيب» بالعين والصاد المهملتين والياء المثناة التحتانية والباء الموحّدة، أي: الشديد الصعب.

«موبقات الذنوب» بالباء الموحّدة والقاف أي: مهلكاتها، من إضافة الصفة الى الموصوف.

«أن تجريني على جميل عوائدك» بالجيم والراء المهملة، أي: تجعلني جارياً على ما عوّدتني عليه من إحسانك.

«وتمنحني» أي: تعطيني من المنحة وهي العطيّة.

«وتوجب لي نوافل فضلك» جمع نافلة، وهي العطيّة.

فعله، كذا في الصحاح[١]، وتبعه في القاموس، فقال: صنع اليه معروفاً كمنع صنعاً بالضمّ فعله والشيء عمله[٢].

وقال الراغب: الصنع اجادة القول، فكلّ صنع فعل وليس كلّ فعل صنعاً، قال الله تعالى «صنع الله الذي أتقن كلّ شيء»[٣] [٤] وانّما فسّر بالاحسان لأنّه فعل معروف.

قوله: من اضافة الصفة الى الموصوف.

كما في جرد قطيفة واخلاق ثياب، أي: الذنوب الموبقة، ومثله قوله «فأصحاب العيوب».

قوله: نوافل فضلك.

أي: زوائد فضلك. والنفل بالسكون وقد يحرّك الزيادة، وبه سمّيت

---

(١) صحاح اللغة ٣:١٢٤٥.

(٢) القاموس المحيط ٣:٥٢.

(٣) سورة النمل: ٨٨.

(٤) مفردات الراغب: ٢٨٦.

«ومنايح طولك» منايح بالنون والياء المثنّاة التحتانيّة جمع منحة وهي العطيّة.

والطَّول: بفتح الطاء يراد به الإحسان.

فصل

وأمّا الساعة الثامنة، فمن مضيّ أربع ركعات قبل العصر إلى صلاة العصر، وهي للرضا عليه السّلام، وهذا دعاؤها:

اَللّهُمَّ أَنْتَ الكَاشِفُ لِلْمُلِمَّاتِ، وَالكَافي لِلْمُهِمَّاتِ، وَالمُفَرِّجُ لِلكُرُباتِ، والسَّامِعُ لِلأَصْوَاتِ، والْمُخرِجُ مِنَ الظُّلماتِ، والْمُجِيبُ

النوافل في العبادات، لأنّها زيادة على الفرائض، كذا في نهاية ابن الأثير[1]، ومنه قوله تعالى «ومن الليل فتهجّد به نافلة لك»[2].

قوله عليه السّلام: اللهمّ أنت الكاشف للملمّات.

كشفته رفعت عنه الستر، والمعنى انّ كشف شيء من النوازل والمصائب لايكون الاّ بقدرته تعالى، كما قال «وإن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له الاّ هو وإن يمسسك بخير فهو على كلّ شيء قدير»[3] فتعريف المسند هنا بلام الجنس لافادة القصر؛ إذ ليس غيره تعالى كاشفاً للملمّات ولا كافياً للمهمّات، كما قال «وإذا مسّكم الضرّ في البحر ضلّ من تدعون الاّ ايّاه»[4].

وقيل للصادق عليه السّلام: يا ابن رسول الله دلّني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيّروني، فقال له: يا عبدالله هل ركبت سفينة قطّ؟ قال: نعم،

---

(١) نهاية ابن الأثير ٥:٩٩.

(٢) سورة الاسراء: ٧٩.

(٣) سورة الانعام: ١٧.

(٤) سورة الاسراء: ٦٧.

لِلدَّعَوَاتِ، الرَّاحِمُ لِلْعَبَرَاتِ، جَبَّارُ الأَرْضِ والسَّماوَاتِ. يَا وَلِيُّ يَا مَوْلَى، يَا عَلِيُّ يا أَعلَى، يَا كَرِيمُ يَا أَكرَمُ، يَا مَنْ لَهُ الاسْمُ الأَعْظَمُ، يَا مَنْ علَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلم، فَاطِرُ السَّمٰواتِ وَالأَرْض، وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطعَمُ، أَسأَلُكَ بِمُحمَّدٍ الْمُصطَفى منَ الخلْقِ، المبْعوث بِالْحَقِّ، وَبأَمير المؤمنينَ الَّذي أَوْلَيْتَهُ فَأَلفَيْتَهُ شَاكراً، وابْتلَيْتَهُ فَوَجدْتَهُ صَابِراً، وَبِالإمام

قال: فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم، قال: فهل تعلّق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على تخليصك من ورطتك؟ قال: نعم، قال: فذلك الشيء هو الله القادر على الانجاء حيث لا منجي، وعلى الاغاثة حيث لا مغيث(١).

قوله عليه السَّلام: وبأمير المؤمنين الذي أوليته الى آخره.

أوليته أي: أنعمت عليه نعمة الامامة والخلافة، وكلّ من أعطيته ابتداءً من غير مكافاة فقد أوليته، فألفيته شاكراً أي: وجدته، قال الشاعر:

* فألفى قولها كذباً وميناً *

وابتليته أي: امتحنته فوجدته صابراً، وهذه جملة لايتّضح معناه حقّ اتّضاحه، الّا بنقل رواية مذكورة في الكافي مرويّة عن موسى بن جعفر عليهما السَّلام، قال قلت لأبي عبدالله عليه السَّلام: أليس أمير المؤمنين عليه السَّلام كاتب الوصيّة ورسول الله المملي عليه، وجبرئيل والملائكة المقرّبون شهوداً؟

قال: فأطرق طويلاً، ثمّ قال: يا أبا الحسن قد كان ماقلت ولكن حين نزل برسول الله صلّى الله عليه وآله الأمر نزلت الوصيّة من عندالله كتاباً

---

(١) التوحيد: ٢٣١.

الرِّضَا عَليٍّ بْنِ مُوسى، الَّـذِي أَوْفى بِعَهْدِكَ وَوَثِقَ بِوَعْدِكَ ، وَأَعرَضَ عنِ

مسجّلاً، نزل به جبرئـيل مع أُمناء الله من الملائكة، فقال جبرئيل: يامحمَّد مر باخراج من عندك الّا وصيّك ليقبضها منّا، وتشهدنا بدفعك ايّاها إليه ضامناً لها يعني عليّاً.

فأمر النبيّ صلّى الله عليه وآله باخراج من كان في البيت ما خلا عليّاً وفاطمة عليهما السَّلام فيما بين الستر والباب، فقال جبرئيل: يامحمَّد ربّك يقرؤك السلام ويقول: هذا كتاب ماكنت عهدت اليك وشرطت عليك وشهدت به عليك، وأشهدت به ملائكتي، وكفى بي يامحمَّد شهيداً.

قال: فارتعدت مفاصل النبي صلّى الله عليه وآله وقال: ياجبرئيل ربّي هو السلام، ومنه السلام، وإليه يعود السلام، صدق عزّوجلّ وبرّ، هات الكتاب فدفعه اليه، وأمره بدفعه الى أمير المؤمنين عليه السَّلام، فقال له: اقرأه، فقرأه حرفاً حرفاً، فقال: ياعلي هذا عهد ربّي تبارك وتعالى إليّ وشرطه عليّ وأمانته، وقد بلّغت ونصحت وأدّيت.

فقال علي عليه السَّلام: وأنا أشهد لك بأبي أنت وأُمّي بالبلاغ والنصيحة والصدق على ماقلت، ويشهد لك به سمعي وبصري ولحمي ودمي، فقال جبرئيل: وأنا لكما على ذلك من الشاهدين، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ياعلي أخذت وصيّتي وعرفتها وضمنت لله ولي الوفاء بما فيها، فقال: نعم بأبي أنت وأُمّي عليّ ضمانها وعلى الله عوني وتوفيقي على أدائها.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ياعلي انّي أُريد أن أُشهد عليك بموافاتي بها يوم القيامة، فقال علي عليه السَّلام: نعم أشهد، فقال النبي صلّى الله عليه وآله: انّ جبرئيل وميكائيل فيما بيني وبينك الآن، وهما حاضران معهما الملائكة المقرّبون لأُشهدهم عليك، فقال: نعم ليشهدوا وأنا بأبي وأُمّي

الدُّنْيا وَقَدْ أَقبَلَتْ إلَيْهِ، وَرَغِبَ عنْ زينَتِها وَقَدْ رَغبَتْ فِيهِ، أَنْ تُصلِّيَ على

أُشهدهم، فأشهدهم رسول الله صلّى الله عليه وآله.

وكان فيما اشترط عليه النبيّ صلّى الله عليه وآله بأمر جبرئيل عليه السَّلام فيما أمر الله عزّوجلّ أن قال له: ياعلي تفيء بما فيها من موالاة من والى الله ورسوله، والبراءة والعداوة لمن عادى الله ورسوله، والبراءة منهم على الصبر منك على كظم الغيظ، وعلى ذهاب حقّك، وغصب خمسك، وانتهاك حرمتك، فقال: نعم يارسول الله.

فقال أمير المؤمنين عليه السَّلام: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لقد سمعت جبرئيل عليه السَّلام يقول للنبيّ صلّى الله عليه وآله: يامحمَّد عرّفه أنّه تنتهك الحرمة، وهي حرمة الله وحرمة رسول الله، وعلى أن تخضب لحيته من رأسه بدم عبيط.

قال أمير المؤمنين عليه السَّلام: فصعقت حين فهمت الكلمة من الأمين جبرئيل عليه السَّلام حتّى سقطت على وجهي، وقلت: نعم قبلت ورضيت وان انتهكت الحرمة، وعطّلت السنن، ومزّق الكتاب، وهدمت الكعبة، وخضبت لحيتي من رأسي بدم عبيط، صابراً محتسباً أبداً حتّى أقدم عليك الحديث[١].

فهذا معنى قوله «وابتليته فوجدته صابراً».

قوله عليه السَّلام: وقد أقبلت إليه.

حيث أنّ المأمون عرض عليه عليه السَّلام أن يتقلّد الأمر والخلافة، فأبى قال: فولاية العهد، فقال: عليّ شروط أسألكها، قال المأمون: سل ماشئت.

---

(١) اصول الكافي ١: ٢٨١ - ٢٨٢.

مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، فـقدْ تَوسَّلتُ بِهِمْ إلَيْكَ ، وَقدَّمتُهُمْ أَمَامِي وَبيْنَ يَدَيْ حَوائِجِي ، أَنْ تَهْدِيَني إلَى سُبُلِ مَرْضَاتِكَ ، وَتُيسِّرَ لي أَسبَابَ طَاعَتِكَ ، وَتُوفِّقنِي لابْتِغَاء الزُّلفَةِ بموالاَةِ أَوليَائِكَ ، و إدْرَاكِ الحُظْوة من مُعادَاة أَعدَائكَ ، وَتُعِينَني عَلَى أَدَاء فُرُوضِكَ وَاسْتِعْمالِ سُنَّتِكَ ، وَتُوفقَني عَلَى المُحَجَّةِ المُؤدِّيَةِ إلى الْعِتْقِ منْ عَذَابِكَ ، والْفَوْز بِرَحْمَتِكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

وأمّا الساعة التاسعة، فمن صلاة العصر إلى أن تمضي ساعتان، وهي للجواد عليه السَّلام، وهذا دعاؤها:

اَللّهُمَّ يَا خَالِقَ الأَنوَار، وَمُقدِّرَ اللَّيْلِ وَالنَّهار، تَعلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ، وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدادُ، وكُلُّ شَيءٍ عِنْدَكَ [١] بِمِقْدَارٍ، إذا

فكتب عليه السَّلام: انّي داخل في ولاية العهد على أن لا آمر ولا أنهي ولا أفتي ولا أقضي ولا أُولّي ولا أعزل، ولا أُغيّر شيئاً ممّا هو قائم، وتعفيني من ذلك كلّه. فأجابه المأمون الى ذلك كلّه، كذا في صحيحة الريّان بن الصلت الطويلة[٢].

قوله عليه السَّلام: وكلّ شيء عندك بمقدار.

اقتباس من قوله تعالى «الله يعلم ماتحمل»[٣] الآية، ولكنّه لمّا غيّر نظم الآية من الغيبة الى الخطاب، كان مقتضى الظاهر أن يقول: وكلّ شيء عندك بمقدار، ولعلّه انّما التفت من الخطاب الى الغيبة، لأنّ فيه مع رعاية نظم

---

(١) عنده: خ.

(٢) عيون اخبار الرضا ٢: ١٤٠.

(٣) سورة الرعد: ٨.

تَفاقَـمَ أمرٌ طُـرِحَ عَلَـيْكَ ، وإذَا غُلِقَـتِ الأَبْـوابُ قُرِعَ بَـابُ فَضْلِكَ ، وَإذا ضَاقَتِ الْحَـاجاتُ فُزِعَ إلى سِـعَةِ طَولكَ ، وإذا انْـقَطَعَ الأَمَلُ مِـنَ الْخَلْقِ اتَّصَلَ بِكَ ، وَإذا وَقعَ الْيَـأسُ مِنَ الـنَّاسِ وَقَفَ الرَّجاء عَـلَيـكَ ، أسأَلُكَ بِـحَقِّ النَّـبـيِّ الأَوابِ، الَّـذي أَنزلْـتَ عَـلَـيْهِ الْـكِـتابَ، وَنصَـرْتَـهُ عَلَى الأَحْـزابِ، وَهَديْـتَنَـا بِـهِ إلى دَار الْـمآبِ، وَبِـأميرِ المُـؤمنيـنَ عَـلِـيِّ بنِ أَبي طالِبِ الْـكَريم النِّصَابِ، المُـتصَدِّقِ بِخَاتَمِهِ في المِحْرَابِ، وَبِالإمام

الآية من رعاية التعظيم ماليس في الخطاب، كما لايخفى على أُولي الألباب.

وحاصل معنى الآية والله يـعلـم: الله يعلم ماتحمل كـلّ أُنثى من ذكر وأُنثى وتـامّ الخلق ونـاقصه واحـداً واثـنين أو أكثر «ومـا تـغيض الأرحـام» أي: وما تنقص من تسعـة أشهر في الحمل ومـاتزاد عليها، فنـقصان الأرحام وضعها لأقلّ من تسعة أشهر وزيادتهـا وضعها لأكثر منها. أو المراد من النقصان السقط، ومن الزيادة تـمام الخـلق، وأقلّ مـدّة الحمـل ستّة أشـهر، فـقد يولـد الولـد لهذه المدّة ويعيش، وكلّ شيء في علمه بقدر معيّن لايجاوزه ولا ينتقص عنه.

هذا ويقال: تـفاقم الأمـر إذا عظم، وفي قوله «قرع باب فضلـك» استعارة مكنيّة مرشّحة وتخييل، وكذا في قوله «فزع الى سعة طولك» وضيق الحاجة عدم قضائها وانجاحها. ولمّا شبّه الرجاء بحيوان طائر، أو انسان سائر، كان دائراً في الـنـاس واحداً بعد واحد، ثـمّ حصـل لـه اليأس منهم، أثبـت لـه الوقوف عليه والعكوف لديه ليحقّقه ويثبته، لأنّه محقّق الرجاء أو مثبته لمن يشاء.

قوله عليه السَّلام: المتصدّق بخاتمه في المحراب.

قد سبق بيان ذلك مفصّلاً في الرواية الخاصيّة.

وأمّا العاميّة، فروى أخطـب خوارزم باسناده أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله

الْفَاضِلِ مُحَمَّدِ بنِ عَليٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ، الَّذِي سُئلَ فوفَّقْتَهُ لِرَدِّ الجَوابِ، وامتُحِنَ فَعضَدْتَهُ بِالتَّوفيقِ وَالصَّوابِ،

خرج الى المسجد والناس بين قائم وراكع، فبصر بسائل، فقال له النبيّ صلّى الله عليه وآله: هل أعطاك أحد شيئاً؟ فقال: نعم خاتماً من ذهب، فقال له النبيّ صلّى الله عليه وآله: من أعطاك ؟ فقال: ذلك القائم وأومى بيده الى علي عليه السّلام، فقال له النبي صلّى الله عليه وآله: على أيّ حال أعطاك ، فقال: أعطاني وهو راكع، فكبّر النبيّ صلّى الله عليه وآله ثمّ قرأ «ومن يتولّى الله ورسوله والذين آمنوا فانّ حزب الله هم الغالبون» فانشد حسّان بن ثابت في ذلك:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي — وكلّ بطيء في الهوى و مسارع
أيذهب مدحي في المحبّين ضايعاً — وما المدح في جنب الاله بضايع
فأنت الذي أعطيت إذكنت راكعاً — فدتك نفوس القوم ياخيرراكع
فأنزل فيك الله خير ولاية — فبيّنها في محكمات الشرائع[1]

قيل: ولعلّ الذهب زيادة غلطاً من الراوي، أومن الناسخ، أومن السائل، ولذا ماوجد في غيره، بل الموجود الفضّة. ويحتمل أن يكون عنده عليه السّلام غير لابس له، أو صار ذهباً لمّا أعطاه السائل.

وأنت خبير بأنّ احتمال كونه عنده عليه السّلام وهو غير لابس له بعيد، لما سبق أنّه عليه السّلام حين سأله السائل وهو راكع في صلاته أومى اليه بخنصره اليمنى، فأخذ السائل الخاتم من خنصره، وكذا احتمال غلط السائل لايخلو من شيء، فتأمّل.

---

(١) مناقب الخوارزمي: ١٨٦ - ١٨٧، ط النجف.

صَلَّى الله عليهِ وعلى أهلِ بيْتِهِ الأطهار[١]، أنْ تَجْعَلَ مُوالاتي لَهُمْ عِصْمَةً مِنَ النَّار، وَمَحجَّةً إلى دَار القَرَار، فَقَدْ تَوسَّلْتُ بِهِمْ إلَيْكَ، وقدَّمتُهُم أمامِي وَبَينَ يَدَيْ حَوائجي، وَأنْ تَعْصِمَني مِنَ التَّعرُّض لِمَواقِفِ سَخَطِكَ، وَتُوفِّقَني لِسُلوكِ سبيلِ مَحبَّتِكَ وَمَرْضاتِكَ، يَا أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ.

وأمّا الساعة العاشرة، فمن ساعتين بعد صلاة العصر إلى قبل[٢] اصفرار الشمس، وهي منسوبة إلى الهادي عليه السَّلام، وهذا دعاؤها:

اللّهُمَّ أنتَ الوَلِيُّ الحَمِيدُ، الغَفُورُ الوَدُودُ المُبْدِىء المعيدُ، ذُو

قوله عليه السَّلام: صلّى الله عليه وعلى أهل بيته.

فيه دلالة على عدم وجوب ايقاع الصلاة عليه وعلى آله إذا ذكر على الفور، الّا أن يقال: انّ هذا القدر من الفصل لاينافي الفوريّة العرفيّة.

وأمّا استدلال بعضهم بقول سيّدنا الصادق عليه السَّلام: اذا ذكر النبي صلّى الله عليه وآله فأكثروا الصلاة عليه[٣]، حيث قال: ترتّب الأمر بالصلاة على الذكر بالفاء التعقيبيّة يدلّ على ايقاعها على الفور، قال: فلو أهمل الفور أثم على القول بالوجوب ولم يسقط، ففيه ماسبق فتذكّر.

قوله عليه السَّلام: اللهمّ أنت الوليّ الحميد الغفور الودود.

وليّ الطفل من يتولّى اصلاح شأنه ويقوم بأوده، والله وليّ المؤمنين، لأنّه المتولّي لاصلاح شؤونهم باليقين، والقائم بمهمّاتهم في أُمور الدنيا والدين، كما

---

(١) الأبرار: خ ل.

(٢) قبيل: خ.

(٣) اصول الكافي ٢: ٤٩٢، ح٦.

العَرْش المَجيدِ، وَالبَطْشِ الشَّدِيدِ، فَعَّالٌ لِمَا يريدُ، يَا مَنْ هُوَ أَقرَبُ إلَيَّ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ، يَا مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيء شَهِيدٌ، يَا مَنْ لا يَتَعاظمُهُ غُفرانُ الذُّنوب، ولا يكْبُرُ عَلَيْهِ الصَّفْحُ عَنِ العُيُوب، أسألُكَ بِجَلالِكَ[1]، وَبنُور وَجْهكَ الَّذِي ملأ أركانَ عَرشكَ، وَبقُدرَتكَ الَّتي قَدِرْتَ بِها عَلى خَلْقِكَ، وَبرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ، وَبقُوَّتكَ الَّتي ضَعُفَ لَها كُلُّ قَويٍّ، وَبعزَّتكَ الَّتي ذَلَّ لَها كُلُّ عَزيز، وَبِمَشيئَتِكَ الَّتي صَغُرَ[2] فِيها كُلُّ كَبير، وبرَسُولكَ الَّذِي رَحِمْتَ بِهِ العِبَادَ، وهدَيْتَ

قال «الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور»[3].

والحميد: المحمود الذي استحقّ الحمد بفعاله في السرّاء والضرّاء والشدّة والرخاء.

والغفور: هو الذي يكثر مغفرة الذنوب في الآخرة ويتجاوز عن العقوبة، مأخوذ من الغفر وهو الستر، ومنه سمّي المغفر لستره الرأس.

والودود من الودّ، أي: يودّ عباده الصالحين ويرضىٰ عنهم ويقبل أعمالهم، أو يودّوهم الى خلقه، كما قال «سيجعل لهم الرحمن ودّاً»[4] وهو فعول بمعنى مفعول، كمهيب بمعنى مهيوب، يريد أنّه مودود أي محبوب.

قوله: من حبل الوريد.

الوريد: عرق في صفحة العنق ينتفخ عند الغضب، واضافة الحبل اليه اضافة المشبّه به الى المشبّه، كما في قولهم «لجين الماء» والله تعالى أقرب الى

---

(١) بجلال وجهك: خ ل.

(٢) ضعف: خ ل.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٧.

(٤) سورة مريم: ٩٦.

بـهِ إلى سُبُل الرَّشادِ، وَبأَمير الـمُـؤمنينَ عَليٍّ بْـنِ أَبي طالِب عليهِ السَّلامُ، أَوَّلَ مَـنْ آمـنَ بِرَسُولكَ وَصَدَّقَ، والَّـذِي وَفـىٰ بِما عـاهَـدَ عَلَيْهِ وَتَصدَّقَ،

الانسان علماً وقدرة من ذلـك الحبل واحتياجه الـيه تعالى في حياته وبقائه أشدّ منه اليه، لأنّه علّـة مبقية له وله، فـهو من حيث افادة الوجـود وبقائه أقرب منه اليه.

قوله: أوّل من آمن برسولك.

أي: مـن الـرجـال، كما قـال ولـيّ ذي الجلال عـلـيـه صلـوات الله الملك المتعال:

سبقـتـكـم الى الاسـلام طرّاً　　　　غلاماً ما بـلغت أوان حلمي

وفي تفسير الثعلبي: اختلف أهل العلم في أوّل من آمن برسول الله صلّى الله عليه وآله بعد امرأته خديجة بنت خويلد، مع اتّفاقهم على أنّها أوّل من آمنت به صلّى الله عليه وآله وصدّقته.

قال بـعضهـم: أوّل ذكر آمن بـالـنـبيّ صلّى الله عليه وآلـه وصدّقه علي بن أبي طالـب عليه السّلام، وهـو قول ابـن عبّاس وجابر وزيـد بن أرقم، ومحمّد بن المنكدر وربيعة الـرأي وأبي حيّان والعرني. قال الكـلبي: أسلم علي عليه السّلام وهو ابن تسـع سنين. وقال مجاهـد وأبواسحاق: أسلم علي عـلـيه السّلام وهو ابن عشر سنين.

ثمّ نقل كلاماً بسيطـاً الى أن قال: ويروى أنّ أباطالب قال: أي بـنـيّ ما هذا الدين الذي أنـت عليه؟ قال: يـا أبة آمنت بالله وبـرسوله وصدّقته فيما جاء به وصلّيت معه لله، فقال له: أما أنّ محمّداً لايدعو الاّ الى خير فألزمه.

وفيه دلالة على ايمان أبي طالب، لأنّـه أمره بلزومه، وأقرّ بأنّه لايدعو الاّ الى

وَبالإمام البَرِّ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ، الَّذِي كَفَيْتَهُ حيلَةَ الأَعدَاء، وأَرَيْتَهُمْ عَجيبَ الآيَةِ إذْ تَوسَّلُوا بِهِ فِي الدُّعاء، أَنْ تُصلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، فَقَدِ استَشْفَعْتُ بِهِمْ إلَيْكَ، وقدَّمْتُهُمْ أَمَامِي وَبَيْنَ يَدَيْ حَوائجي، وأَنْ تَجْعَلَني مِنْ كِفَايَتِكَ في حِرْزٍ حَريزٍ، وَمِنْ كَلاءتِكَ تَحْتَ عِزٍّ عَزيزٍ، وَتُوزِعَني شكْرَ آلائكَ وَمِنَنِكَ، وَتُوَفِّقَنِي لِلاعْتِرَافِ

الخير، واعترف بصحّة دعواه، وليس الايمان الّا التسليم والتصديق بما جاء به النبيّ صلّى الله عليه وآله.

هذا وروى فيه باسناده الى أبي أيّوب الأنصاري، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: صلّت الملائكة عليّ وعلى عليٍّ سبع سنين، وذلك أنّه لم يصلّ معي أحد غيره[1]. ظاهره يفيد العموم لكنّه مخصوص بالرجال.

وفي مسند ابن حنبل عن معمّر بن قتادة عن الحسن وغيره أنّ علياً أوّل من أسلم بعد خديجة[2].

وفيه عن علي عليه السّلام: اللهم انّي لا أعرف عبداً لك من هذه الامّة عبدك قبلي غير نبيّك، قال ذلك ثلاث مرّات، ثمّ قال: لقد صلّينا قبل أن يصلّي أحد سبعاً[3].

قوله: وتوزعني شكر آلائك ومننك.

على طريقة ظلّ ظليل وداهية دهياء وشعر شاعر. وحقيقته أنّهم يشتقّون من لفظ الشيء الذي يريدون المبالغة في وصفه مايتبعونه تأكيداً وتنبيهاً على

---

(١) مناقب ابن المغازلي: ١٤.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٤:٣٦٨.

(٣) راجع احقاق الحق ٧:٥٣٨.

بِأَيادِيكَ وَنِعَمِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

توضيح:

«الكاشف للملمّات» بضمّ الميم الأُولى وتشديد الثانية وكسر اللام بينهما: المصائب والشدائد.

«الراحم للعبرات» بفتحتين جمع عبرة بالسكون، وقد مرّ تفسيرها عن قريب.

«جبّار الأَرض والسماوات» الجبّار هنا بمعنى القهّار المتسلّط، ولا يوصف

تناهيه في ذلك.

والمنن جمع منّة بالكسر النعمة، والمنّ العطاء. وكثيراً مايرد المنّ في كلامهم بمعنى الاحسان الى من لايستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه.

وفي القاموس: منّ عليه منّاً أنعم واصطنع عنده صنيعة ومنّة امتنّ[1].

وقيل: المنّة النعمة الثقيلة، وتطلق على معنيين: أحدهما أن يكون بالفعل، نحو منّ عليه أثقله بالنعمة، ومنه «لقد منّ الله على المؤمنين»[2]. الثاني: أن تكون بالقول، وهو عدّ الاحسان، وهو مستقبح، ولهذا قيل: المنّة تهدم الصنيعة الّا عند الكفران.

ويده تعالى نعمته. وعن الباقر عليه السَّلام اليد في كلام العرب القوّة والنعمة «والسماء بنيناها بأيدٍ»[3] بقوّة[4]. ولفلان عندي أيادي كثيرة فواضل

---

(١) القاموس المحيط ٤: ٢٧٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٤.

(٣) سورة الذاريات: ٤٧.

(٤) معاني الاخبار: ١٦.

بذلك غيره تعالى إلّا على سبيل الذمّ.

«يطعم ولا يطعم» أي: يَرزق ولا يُرزق.

«الذي أوليته» أي: أنعمت عليه.

«إلى سبل» بضمتين جمع سبيل، وهو الطريق.

«لابتغاء الزلفة» أي: لطلب القرب.

«وإدراك الحظوة» بالحاء المهملة المفتوحة والظاء المعجمة الساكنة، أي: بلوغ المرام.

«وتوقفني على المحجّة» أي: تجعلني واقفاً عليها، وهي جادّة الطريق.

«وما تغيض الأرحام» أي: ما تنقص مدّة حملها: من غاض الماء يغيض إذا نقص.

«بحقّ النبيّ الأوّاب» هو بالتشديد بمعنى كثير الرجوع، ووصفه صلّى الله عليه وآله بذلك: إمّا لأنّه كثير الرجوع إلى التسبيح والتقديس، أو إلى الوقت[1] الذي لا يسعه معه ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل.

«الكريم النصاب» بالنون والصاد المهملة بمعنى الأصل.

واحسان، وله عندي يد بيضاء أي نعمة، فالعطف تفسيريّ.

قوله: الكريم النصاب.

الكريم: العليّ الرتبة، ومنه كرائم المواشي لنفائسها.

والنصاب: الأصل والمرجع، على ما في القاموس[2]. فمعنى الكريم النصاب النجيب الأصل والنسب، وذلك لأنّ آباءه عليهم السّلام كلّهم كانوا نجباء

---

(١) الموقف: خ ل.

(٢) القاموس المحيط ١:١٣٣.

«لا يكبر عليه» بالباء الموحدة المضمومة، أي: لايصعب.

«الذي سئل فوفّقته لردّ الجواب» فيه إشارة إلى ما نقله الخاصّة والعامّة من

علماء حلماء فضلاء صلحاء أبرار أتقياء، كما دلّت عليه روايات.

منها: رواية جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: سألت رسول الله صلّى الله عليه وآله عن ميلاد أمير المؤمنين عليه السَّلام فقال: سألتني عن خير مولود ولد بعدي على سنّة عيسى عليه السَّلام، انّ الله خلقني وعليّاً من نور واحد، كنت في جنب آدم الأيمن وعليّ في جنبه الأيسر، نسبّح الله ونقدّسه الى أن نقلنا من صلبه في الأصلاب الطاهرة والأرحام الطيّبة، الى أن أودعني صلب عبدالله وخير رحم وهي آمنة، وأودع عليّاً صلب أبي طالب ورحم فاطمة بنت أسد الحديث[١].

وفي خبر آخر: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في وقت الوصيّة عند الوفاة: أُدعوا لي قريني، قالت حفصة: أُدع أبي، فلمّا جاءه قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: أُدعوا لي قريني، قالت أُمّ سلمة: والله ماعنى الّا عليّاً عليه السَّلام، فلمّا جاءه قال: هذا قريني في الدنيا والآخرة، في ظهر آدم وآدم في الجنّة، وفي ظهر نوح ونوح في السفينة، وكان قريني في ظهر إبراهيم حين اُلقي في النار، وهذا قريني في ظهر اسماعيل حين أُضجع للذبح، ثمّ لم نزل ننقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات، الى أن صرنا الى ظهر عبدالمطلب، فقسّم الله تعالى ذلك النور والنطفة، فجعل نصفه في عبدالله فجئت منه، وجعل نصفه في أبي طالب فجاء منه عليّ.

وفي رواية أُخرى عن الصادق عليه السَّلام: انّ الله كان الله، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نوّرت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي

---

(١) راجع البحار ١١:١٥.

أنّ المأمون ركب يوماً للصيد، فمرَّ ببعض أزقّة بغداد على جماعة من الأطفال،

نوّرت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمّداً وعليّاً عليهما السّلام فلم يزالا نورين أوّلين؛ إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين في الأصلاب الطاهرات حتّى افترقا في أطهر طاهرين في عبدالله وأبي طالب عليهما السّلام[1].

وعن أحمد بن حنبل، قال: حدّثني أبي، قال: علي بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبدالمطلب، واسم عبدالمطلب شيبة الحمد بن هاشم، واسم هاشم عمرو بن عبد مناف، واسم عبد مناف المغيرة بن قصيّ، واسم قصيّ زيد بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن المضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أُدّ ابن الهمسع بن يسحب وقيل اسحب بن نبت بن قيدار بن اسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليهم السّلام الى هنا كلامه.

وذكر بعض النسّابين أنّ في نسب ابراهيم عليه السّلام ثلاث روايات، أشهرها أنّه ابن تارخ بن ناخور بن سروع بن اروع بن فالغ بن عابر بن سالخ ابن أرفخشد بن سام بن نوح.

ثمّ اختلف فيما بين نوح وآدم على خمسة أقوال، أشهرها أنّه نوح بن مشحد ابن لمنك بن متوشلح بن أُخنوخ بن اليازد بن مهلائيل بن قينان بن أُنوش بن شيث بن آدم على نبيّنا وآله وعليهم السّلام. فهؤلاء أُصوله وآباؤه عليه السّلام:

أُولئك آبائي فجئني بمثلهم　　　اذا جمعتنا يا جرير المجامع

قوله: فمرّ ببعض أزقّة بغداد.

الزقاق بالضمّ الطريق، وكونه عليه السّلام فيهم ومعهم في هذا الطريق مدّة

---

(١) اصول الكافي ١: ٤٤٢، ح٩.

فخافوا وهربوا وتفرّقوا، وبقي منهم واحدٌ في مكانه، فتقدّم إليه المأمون، وقال له:

ذهاب المأمون وإيابه، كان من مقتضيات سنّه الشريف ومن لوازم البشريّة، فلا يدلّ على نقصه وجهله وميله الى اللهو واللعب، ولا ينافي عصمته وحكمته وفضيلته.

كيف؟ وهو عليه السَّلام كان يومئذٍ من أعقل العقلاء وأفضل الفضلاء، كما يظهر من مكالمته ومجاوبته مع المأمون ومن اخباره بالغيب، فانّ السمكة كانت في كفّ المأمون وهي مضمومة، فكانت مستورة عن نظره الشريف عليه السَّلام، ولذا أراد المأمون امتحانه، وقال له: قل أي شيء في يدي؟ فأجاب عنه بما أجاب، لأنّه كان مؤيّداً بروح القدس، وكان اماماً وحجّة الله على خلقه، بل كان كذلك قبل ذلك بسنتين أو ثلاث سنين، فانّه يظهر من مواليد الكافي وتواريخه أنّه عليه السَّلام شرّف بمنصب الامامة وهو ابن سبع سنين أو ثمان سنين، وهو يوم المأمون كان ابن أحدعشرسنة أوعشرسنوات، على ماسينقله الشيخ قدّس سرّه.

ولولا أنّ حبّ الخلافة والسلطنة أعمى بصيرة المأمون لكان من الواجب عليه وعلى من حضره من أصحابه وعساكره أن يقرّوا له عليه السَّلام بالامامة، ويذعنوا له بالخلافة والرئاسة، لما ظهر منه عليه السَّلام من الاخبار بالغيب وهو في سنّه هذا، فلولا أنّه كان مؤيّداً من عندالله وموفّقاً منه وحجّة على خلقه، كيف كان يعلم مافي كفّه وهي مضمومة ومافيها مستورة عنه، ثمّ كيف كان يعلم ماسببه وعلّته وهو لغموضه ودقّته قد خفي عن مثل المأمون، مع فطانته وفضيلته المشهورتين، حتّى تعجّب من ذلك لخفاء سببه عليه.

ومن الغريب بل أغرب منه أنّه استقرّ عند علماء عصره بأنّ علمه وعلم آبائه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين لدنّيٌّ لاكسبيّ، وهؤلاء الغفلة قد

كيف لم تهرب كما هرب أصحابك ؟ فقال: لأنّ الطريق ليس ضيّقاً فيتّسع بذهابي، ولا لي عندك ذنب فأخافك لأجله. فلأيٍّ شيء أهرب؟ فأُعجب من كلامه المأمون. فلمّا خرج إلى خارج بغداد أرسل صقره فارتفع في الهواء، ولم يسقط على الأرض حتى رجع وفي منقاره سمكة صغيرة، فتعجّب المأمون من ذلك ، فلمّا رجع تفرّق الأطفال وهربوا، إلّا ذلك الطفل، فإنّه بقي في مكانه، كما في المرّة الأُولى.

فتقدّم إليه المأمون وهو ضامٌّ كفّه على السمكة وقال له: قل أيُّ شيء في يدي؟ فقال عليه السّلام: إن الغيم حين يأخذ من ماء البحر يُداخله سمك

امتحنوه فوجدوه كما وصف به، وقد صدّق عليهم ابليس ظنّه، حيث قال: الآن علمتم صدق مقالتي، ومع ذلك كلّه لم يؤمنوا به ولم يقرّوا له بالامامة وفرض الطاعة، الّا أنّ هذا الأمر شديد وما هو من الظالمين ببعيد، فانّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

قوله عليه السّلام: انّ الغيم حين يأخذ من ماء البحر الى آخره.

في رواية حفص بن البختري عن سيّدنا الصادق عليه السّلام أنّه قال: انّ الله تبارك وتعالى اذا أراد أن ينفع بالمطر أمر السحاب فأخذ الماء من تحت العرش، واذا لم يرد النبات أمر السحاب فأخذ الماء من البحر، قيل: انّ ماء البحر مالح، قال: انّ السحاب يعذّبه[1].

ولا يخفى أنّ هذا وأمثاله من الأخبار يردّ ماخمّنه الطبيعيّون في تكوّن السحاب والمطر، حيث قالوا: انّ الطبقة الثالثة من الهواء المنقطع عنها تأثير

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٥٢٤ - ٥٢٥.

صغار، فتسقط منه، فتصطادها صقور الملوك ، فيمتحنون بها سلالة النبوّة. فأدهش ذلك المأمون، وقال له: من أنت؟ فقال: أنا محمَّد بن علي الرضا، وكان ذلك بعد واقعة الرضا عليه السَّلام. وكان عمره عليه السَّلام في ذلك الوقت إحدى عشرة سنة، وقيل: عشراً. فنزل المأمون عن فرسه وقبَّل رأسه وتذلَّل له ثم زوَّجه ابنته.

«وامتحن فعضدته بالتوفيق والصواب» عضدته بالعين المهملة والضاد المعجمة قوّيته. وفي هذه الفقرة إشارة إلى ما اشتهر من أنّ المأمون لمَّا أراد أن يزوّجه ابنته أُم الفضل، قال له علماء عصره: إنّه صغير السن لم يتعمّق في العلم، فاتركه ليكتسب ما يحتاج إليه من العلم، ثمّ افعل ما بدا لك . فقال المأمون:

شعاع الشمس تبق باردة، فاذا وصل البخار في صعوده اليها تكاثف بواسطة البرد واجتمع، وتقاطر للثقل الحاصل له من التكاثف والانجماد، فالمجتمع هو السحاب، والمتقاطر هو المطر. قالوا: وقد لايصل البخار الى الطبقة الزمهريريّة لقلّة حرارته الموجبة للصعود، فان كان كثيراً فقد ينعقد سحاباً ماطراً اذا أصابه برد.

بل نقول: ويظهر من بعض الأخبار أنّ للسحاب شعوراً، ولعلّه باعتبار ملك وكّل به، أو نفس تعلّقت به. ولكن يشكل الأمر بما حكي عن أبي علي بن سينا أنّه شاهد البخار وقد صعد من أسافل بعض الجبال صعوداً يسيراً وتكاثف حتّى كأنّه مكبة موضوعة على وهدة، فكان هو فوق تلك الغمامة في الشمس، وكان من تحته من أهل القرية التي كانت هناك يمطرون. والحق تكذيبه وتصديق الأخبار المرويّة عن الائمّة الأطهار صلوات الله عليهم ما اختلف الليل والنهار بعدد قطرات الأمطار ومياه البحار.

إن علم هؤلاء علمٌ لدّنيٌّ لاكسبيّ، فإن أردتم أن تعلموا صدق مقالتي فاسألوه عمّا شئتم.

ثمّ عقد المأمون مجلساً عظيماً لإيقاع العقد، وأجلس العلماء وأكابر بني العباس كلّاً في مرتبته، وأجلس الجواد عليه السّلام في صدر المجلس، وجلس هو بين يديه، ثمّ قال: سلوه ماشئتم[١]. فتقدّم يحيى بن أكثم القاضي، وقال له: ما

قوله: انّ علم هؤلاء علم لدنّي لاكسبيّ.

مدار فيضان العلم والحكمة على طهارة النفس وكمالها في نفسها، سواء في ذلك الصغير والكبير، فجاز عقلاً أن ينال الصبيّ مرتبة النبوّة والامامة، كما ثبت نبوّة يحيى بالكتاب، وامامة الجواد والقائم عليهما السّلام بالسنّة المتواترة القاطعة في حدّ الصبا.

روى في الكافي باسناده عن علي بن أسباط، قال: خرج -يعني الجواد عليه السّلام- عليّ، فنظرت الى رأسه ورجليه لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فبينا أنا كذلك حتّى قعد، وقال: يا علي انّ الله احتجّ في الامامة بمثل ما احتجّ به في النبوّة، فقال «وآتيناه الحكم صبيّاً» قال «ولمّا بلغ أشدّه» «وبلغ أربعين سنة» فقد يجوز أن يؤتى الحكمة صبيّاً، ويجوز أن يعطاها وهو ابن أربعين سنة[٢].

ولا استبعاد فيه؛ لأنّه قد تقرّر في الحكمة أنّ النفس اذا صفت عن الكدورات الجسمانيّة، وخلصت عن التعلّقات البدنيّة، واتّصلت بالمبدأ المفيض اتّصالاً ما، يمكن أن يحصل لها علوم جمّة دفعة، كمرآة صقيلة حوذي

---

(١) عما شئتم: خ ل.

(٢) اصول الكافي ١: ٤٩٤، ح٤.

تقول ياابن رسول الله في مُحرم قتل صيداً؟

فقال عليه السَّلام: قتله في حِلٍّ أو حَرَم؟ مُحِلّاً أو مُحرماً؟ عالماً أو جاهلاً؟ خطأً أو عمداً؟ حُرّاً أو عبداً؟ مبتدئاً أو مُعيداً؟ والصيد برّيٌّ أو بحري؟ من الطيور أو من غيرها من صغار الصيد أو كباره؟ فتحيَّر يحيى بن أكثم وتلجلج ولم يَدر مايقول.

بها ما فيه صور كثيرة، فينتقش فيها دفعة من هذه الصور الكثيرة ماتستعدّ لها.

فاذا كان بين المفيض والمستفيض غاية المناسبة ونهاية المجانسة ذاتاً، ثمّ حصل بينهما كمال الارتباط فعلاً وصفاتاً، كما بين أرواحهم صلوات الله على أرواحهم وأجسادهم، ويشير إليه قوله تعالى فيهم «ذريّة بعضها من بعض»[١] يمكن أن يفيض على أحدهما جميع ماحصل للآخر دفعة واحدة.

ويشير اليه قول أبي جعفر عليه السَّلام في صحيحة عمر بن أبان: انّ العلم الذي نزل مع آدم عليه السَّلام لم يرفع، وما مات عالم فذهب علمه[٢].

قوله عليه السَّلام: محلاً أو محرماً.

لمّا أُريد استقصاء جميع الاحتمالات المتصوّرة في المسألة، حسن قوله «محلّاً أو محرماً» والّا فالسؤال كان مخصوصاً بالقاتل المحرم، فالاستفسار من حاله هل كان محلّاً أو محرماً لايخلو عن شيء.

قوله: وتلجلج.

التلجلج: التردّد في الكلام، فهو صفة للمتكلّم اذا ثقل لسانه فلم يقدر على

---

(١) سورة آل عمران: ٣٤.

(٢) اصول الكافي ١: ٢٢٢، ح٥.

ثمّ إنّه عليه السَّلام بَيَّن الجواب في جميع هذه الشقوق، فقال المأمون: الآن علمتم صدق مقالتي، ثمّ قام وخطب، ثمّ قال: اشهدوا أنّي قد زوَّجت ابنتي أُم الفضل بمحمَّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمَّد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السَّلام[1]، فوالله لو تُليت هذه الأسماء الشريفة على صخرة لانفلقت.

تقرير مرامه وتحرير كلامه، لدهشته أو خشيته، أو ماشاكل ذلك، ومنه قولهم: انّ المنكر مايصدر عن الكافر من التلجلج عند سؤال الملكين. وقولهم في المثل السائر «الحقّ أبلج والباطل لجلج» أي: الحقّ ظاهر والباطل متردّد.

وقريب منه الحديث المشهور: خذ الحكمة أنّى كانت، فانّ الحكمة تكون في صدر المنافق، فتلجلج في صدره حتّى تخرج، فتسكن الى صواحبها في صدر المؤمن[2].

قوله: زوّجت ابنتي أُمّ الفضل لمحمَّد الى آخره.

يستفاد منه أنّ التزويج كما يستعمل متعدّياً بنفسه ومتعدّياً بالباء، كذلك يستعمل متعدّياً باللام، ولم أعثر عليه في غير هذا الموضع، ولكنّ المأمون من فصحاء العرب الموثوق بعربيّتهم، فكلامه حجّة وقوله سند.

قوله: والله لو تليت هذه الأسماء الى آخره.

لايبعد أن يكون هذا ناشئاً من صميم قلبه، لعلمه بأنّهم سنام العالم وصفوة الامم، وغرّة العرب، ولباب البشر، ومصاص بني آدم، وزينة الدنيا وحلية

---

(١) صلّى الله عليه وعلى أولاده المعصومين: خ ل.

(٢) نهج البلاغة: ٤٨١، ح٧٩.

هذا ولا يخفى عليك أنه يجوز أن يحمل كل من تينك الفقرتين على كل من هاتين الروايتين.

«لا يكبر عليه» بالباء الموحّدة المضمومة، أي: لا يصعب.

«الذي كفيته حيلة الأعداء» فيه إشارة إلى ما رواه أصحاب السير من الخاصّة والعامّة، من أنّ المتوكّل أمر بعض السحرة أن يعمل ما يوجب خجل الهادي عليه السَّلام، فلما أراد الساحر فعل ذلك أشار عليه السَّلام إلى صورة أسدٍ منقوشة على بعض وسائد المتوكّل، وأمرها بافتراس الساحر، فصارت بإذن الله

الدهر، وطينة البيضاء والمغرس المبارك ، والنصاب الوثيق، ومعدن المكارم، وينبوع الفضائل، وأعلام العلم وايمان الايمان صلوات الله عليهم أجمعين، وان خالف فعله مقتضى قوله وعقله، لحبّ الدنيا الدنيّة، فأضلّه الله على علم وختم على سمعه وبصره وقلبه، فباع الآخرة بالدنيا التي هي رأس كلّ خطيئة.

قوله: ولا يخفى عليك الى آخره.

لا يخفى أنّ حمل الفقرة الثانية على الرواية الاولى أقرب لفظاً وألصق معنى، لقوله عليه السَّلام «فيمتحنون سلالة النبوّة» كما أنّ حمل الفقرة الاولى على الرواية الثانية كذلك ، لقول المأمون في الموضعين «سلوه عمّا شئتم» فتدبّر.

قوله: أشار عليه السَّلام الى صورة أسد منقوشة الى آخره.

ومثله ما صدر عن سيّدنا أبي عبدالله الصادق عليه السَّلام، فانّه كان عنده ناصبيّ يؤذيه بمشهد من المنصور، فأمر عليه السَّلام صورة كانت هناك على وسادة أن خذ عدوّ الله، فصارت أسداً فافترسه ثمّ عادت الى مكانها.

ومثله ما في عيون أخبار الرضا عليه السَّلام في قصّة الحاجب، حيث قال: فان كنت صادقاً فيما توهم فأحيي هذين وسلّطهما عليّ، فانّ ذلك يكون حينئذٍ

أسداً وافترست الساحر، ثمّ عادت إلى ما كانت[١].

«وأريتهم عجيب الآية إذ توسلوا به في الدعاء» المراد بالآية المعجزة، وقد ذكر بعض مشايخنا أنّ هذه الفقرة إشارة إلى ما روي من أنّ المتوكّل أراد الانتقاص بشأنه عليه السَّلام، فركب إلى مكان عيَّنه وأمر جميع الأُمراء والأشراف من بني هاشم وغيرهم أن يمشوا قدّامه وعن جانبيه ولا يركب أحد منهم قطعاً. وكان قصدُه بذلك احتقار شأنه عليه السَّلام، وإنما أمر الجميع بالمشي لئلّا يظن أن مقصوده[٢] إنّما هو الإمام عليه السَّلام. وكان يوماً شديد الحر، وكان عليه السَّلام يتوكأ على عبيده على هذا تارة وعلى ذاك أُخرى لـمّا أصابه من التعب والعرق.

فرآه بعض أصحاب الخليفة على تلك الحالة، فقال له: إنّ هذا الحال ليس مختصّاً بك، والخليفة لم يقصدك بذلك دون غيرك، فقال له الإمام عليه السَّلام: والله ما ناقةُ صالح بأعزَّ مني عندالله تعالى «تمتَّعوا في داركم ثلا ثة

آية معجزة، وكان الحاجب قد أشار الى أسدين مصوّرين على مسند المأمون الذي كان مستنداً اليه، وكانا متقابلين على المسند، فغضب الرضا عليه السَّلام وصاح بالصورتين دونكما الفاجر، فافترساه ولا تبقيا له عيناً ولا أثراً، فوثبت الصورتان وقد عادتا أسدين، فتناولا الحاجب ورضّاه وهشماه وأكلاه ولحسا دمه، والقوم ينظرون متحيّرين ممّا يبصرون.

---

(١) وفي آخر هذه الرواية أنّ المتوكل لما رأى ذلك أُغمي عليه وعلى أهل المجلس. فلما أفاق قال للإمام عليه السَّلام: اردد ذلك الرجل. فقال عليه السَّلام: إن كانت عصاموسى عليه السَّلام ترد حبال السحرة وعصيَّهم فذلك الرجل يُرَدّ (منه رحمه الله).

(٢) مقصده: خ ل.

أيام ذلك وعدٌ غيرُ مكـذوب»[١] فلم تمض إلّا ثلاثة أيّام حتّى قُتل المتوكّل في

فلمّا فرغا منـه أقبلا على الرضا عليه السَّلام وقالا: ياوليّ الله في أرضه ماذا تأمرنا أن نفـعل بهذا ما فعـلنا بهذا، يشيـران الى المأمون، فغشي على المأمون ممّا سمع منهما، فقال عليـه السَّلام: قفا، فوقفا، ثمّ قال عليه السَّلام: صبّوا عليه ماء ورد وطيّبوه، ففـعل ذلك، وعاد الأسدان يـقولان: أتأذن لنا أن نلحقه بصاحبه الذي أفنينـاه؟ فقال: لا، فانّ لله عـزّوجـلّ فيه تدبيـراً هو ممضيه، فقـالا: ماذا تأمرنا؟ فقال: عـودا الى مـقرّكما كما كنتما، فعادا الى المسند وصـارا صورتين كما كانتا[٢].

وفي كشف الغمّة في قصّة الهندي المشعبد وايذائه علي بن محمّد صلوات الله عليهما بمشهد من المتوكّل، فضرب عليه السَّلام بيده صورة أسد كانت هناك على وسادة، وقال: خذي هذا الشقيّ، فـوثبت الصورة وقد عادت أسداً فـبلعته، ثمّ عادت الى مكانها[٣].

ولا يـذهـب عـليـك مـا في هـذه الأخـبار من الـدلالـة على امـكان تجسيم الاعراض ووقوعـه في هذه النشـأة أيضـاً، وقد بيّـنا ذلك في رسـالـة لنا مـفردة، فليطلب من هناك .

قوله: فلم يمض الّا ثلاثة أيّام حتّى قتل الخليفة.

عداوة المتـوكّل بـن المعتصم العـبّاسي لأهل البـيت عليهم السَّلام وشيـعتهم

---

(١) سورة هود: ٦٥.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢: ١٧١ ـ ١٧٢.

(٣) كشف الغمّة ٢: ٣٩٣.

الليلة الرابعة وتشيَّع ذلك الرجل. انتهى كلامه.

مشهورة، وممانعته الناس عن زيارة سيّد الشهداء عليه السَّلام واجراؤه الماء الى مرقده المنوّر، مريداً تخريبه ومحو آثاره في الآثار والأخبار مسطورة.

نقل عن جامع الحكايات أنّ المتوكّل رأى في منامه أنّ إمام البررة وقاتل الكفرة يخاطبه ويعاتبه، ويقول له: أيّها الشقيّ الى متى تؤذيني وتؤذي أولادي، ثمّ ضربه سبعة أسواط، فما مضى عليه الّا يوم أو يومان، حتّى قتله سفّاك ومزّق أعضاءه وقطّعها سبعة أقطاع، وكان ابنه المستنصر مطّلعاً على رؤياه، فقال: أُنظروا اليه كم ضرب سيفاً وقطع أعضاء، قالوا: صارت ستّة أقطاع، قال: لمّا ضربه الامام عليه السَّلام سبعة أسواط، فلابدّ وأن تكون قطعات أعضائه سبعة لاستّة، فلمّا فحصوا وجدوا قطعة من اصبعه، وصحّت بذلك رؤياه.

ومن عداوته أنّه رأى في منامه أنّ سيّدنا أمير المؤمنين سلام الله عليه دخل النار ولم يخرج منها، فامتلأ بذلك سروراً، ودخل عليه أحمد بن حنبل فبشّره بذلك وسأله أن يعبّر الرؤيا له، قال: هاهنا أعمى يعبّر الرؤيا، فأُحضر فقصّ عليه المتوكّل مارأى، فقال: انّي رأيت رجلاً من المسلمين دخل النار ولم يخرج منها، ولم يقل انّه علي عليه السَّلام. فقال الأعمى: لست أُفسّره الّا بعشرة آلاف درهم، فأُحضرت البدرة، فجلس الأعمى عليها واستعاد الرؤيا فأُعيدت عليه، فقال: لاتجوز أن تكون هذه الرؤيا الّا في نبيّ أو وصيّ نبيّ، قال: فاسودّ وجهه، وقال: من أين لك هذا؟ قال: من قول الله عزّوجلّ «فلمّا جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها»[1] فغلظ ذلك على المتوكّل وقال: رأيتها في

---

(١) سورة النمل: ٨.

وأنت خبير بأنّ ما تضمّنته تلك الفقرة من توسّل الأعداء به عليه السّلام في الدعاء لا تناسبه هذه القصّة، والذي يناسب ذلك أن يكونوا توسّلوا به في الدعاء لبعض الأُمور، كنزول المطر مثلاً، فوقع ما دعا به في الحال، كما جرى

علي بن أبي طالب، فقام الأعمى وأخذ البدرة وقال: كأنّكم لم تسمعوه على منبر الكوفة وهو يقول: أنا قسيم الجنّة والنار.

قوله: أن يكونوا توسّلوا به في الدعاء،

الظاهر أنّ توسّلوا بصيغة الجمع والضمير الراجع الى الأعداء غلط نشأ من أقلام النسّاخ، والصحيح توسّل بصيغة المفرد على هيئة المجهول، والمتوسّل هو علي بن جعفر الهميثائي، كما يظهر ممّا ذكره الكشي في ترجمة علي هذا.

حيث روى عن محمّد بن مسعود أنّه قال: قال يوسف بن السخت: كان علي بن جعفر وكيلاً لأبي الحسن عليه السّلام، وكان رجلاً من أهل هميثا، قرية من قرى سواد بغداد، فسعي به الى المتوكّل، فحبسه فطال حبسه، واحتال من قبل عبدالرحمان بن خاقان بمال ضمنه عنه ثلا ثة آلاف دينار، وكلّمه عبيدالله، فعرض جامعه على المتوكّل، فقال: ياعبيدالله لو شككت فيك لقلت انّك رافضيّ، هذا وكيل فلان وأنا على قتله.

قال: فتأدّى الخبر الى علي بن جعفر، فكتب الى أبي الحسن عليه السّلام: ياسيّدي الله الله فيّ فقد والله خفت أن أرتاب، فوقّع في رقعته: أما إذ بلغ بك الأمر ما أرى، فسأقصد الله فيك، وكان هذا في ليلة الجمعة.

فأصبح المتوكّل محموماً، فازدادت علّته حتّى صرخ عليه يوم الا ثنين، فأمر بتخلية كلّ محبوس عرض عليه اسمه، حتّى ذكر هو علي بن جعفر فقال لعبيدالله: لِم لم تعرض عليّ أمره؟ فقال: لا أعود الى ذكره أبداً، قال: خلّ

للرضا عليه السّلام مع المأمون، على ما أورده رئيس المحدّثين في عيون الأخبار والله أعلم بحقائق الأمور.

«من كلاءتك» أي: من حفظك وحمايتك.

فصل

وأمّا الساعة الحادية عشرة، فمن قبل اصفرار الشمس إلى اصفرارها، وهي للعسكري عليه السّلام، وهذا دعاؤها:

اَللّٰهُمَّ إنَّكَ مُنزِّلُ[1] الْقُرآنِ، وَخالِقُ الإنْس وَالْجانِّ، وَجاعِلُ الشَّمْسِ وَالْقَمر بِحُسْبانٍ، الْمُبتَدِئُ بِالطّول وَالامْتِنانِ، وَالمُبْدِئُ

سبيله الساعة وسله أن يجعلني في حلّ، فخلّي سبيله، وصار الى مكّة بأمر أبي الحسن عليه السّلام مجاوراً بها، وبرىء المتوكّل من علّته[2].

وفيه كما ترى آية عجيبة صدرت عن سيّدنا علي بن محمّد، وهو المراد بأبي الحسن أي الثالث عليه السّلام، كما يدلّ عليه ماروواه الكشي أيضاً بسند آخر عن محمّد بن مسعود، عن علي بن محمد القمّي، عن محمّد بن أحمد، عن أبي يعقوب يوسف بن السخت، عن العبّاس، عن علي بن جعفر، قال: عرضت أمري على المتوكّل، فأقبل على عبيدالله بن يحيى بن خاقان، فقال له: لا تتعبنّ نفسك بعرض قصّة هذا وأشباهه، فانّ عمّك أخبرني أنّه رافضيّ، وانّه وكيل علي بن محمّد، وحلف أن لايخرج من الحبس الّا بعد موته، فكتبت الى مولانا أنّ نفسي قد ضاقت وانّي أخاف الزيغ، فكتب اليّ: أما اذ بلغ الأمر منك

---

(١) أنت منزل: خ ل.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٨٦٥ ـ ٨٦٦.

لِلْفَضْلِ وَالإحْسانِ، وضامِنُ الرزْق لِجَميعِ الْحَيْوان، لَكَ المحامِدُ والمَمَادحُ، وَمنْكَ الْعَوائدُ وَالمنائحُ، وَإلَيْكَ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ، وأَنْت الْعالِمُ بِما تُخْفِي الصُّدُورُ والجَوانحُ، أَسأَلُكَ بِمُحَمَّدٍ صلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ، رَسُولكَ إلى الكافَّةِ، وَأمينِكَ المبْعوث بالرَّحْمَةِ والرَّأفَةِ، وَبِأَميرِ المؤمنينَ عَليٍّ بْنِ أَبي طالِبِ عَلَيْهِ السَّلامُ، المُفتَرَض طاعتُهُ عَلَى القَريبِ والْبَعِيدِ، المؤيَّدِ بِنَصْرِكَ فِي كلِّ مَوْقف مَشْهود،

ماأرى فسأقصد الله فيك ، فما عادت الجمعة حتّى أُخرجت من السجن[١] .

قوله: وضامن الرزق.

ولذلك سمّيت نفسك بالرحمن، وهو العاطف على خلقه بالرزق، لايقطع عنهم موارد رزقه وإن انقطعوا عن طاعته، كذا في رواية مذكورة في الفقيه. في السماء رزقكم نشنيده اى.

قوله: وأمينك المبعوث بالرحمة والرأفة.

اشارة إلى قوله تعالى «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم»[٢] وانّما غيّر نظم الآية وقدّم الرحمة على الرأفة لرعاية الفاصلة، وللاشارة إلى أنّ ذلك ممّا يقتضيه النظم الطبيعي، والترقّي من الأضعف الى الأقوى، وذلك لأنّ الرأفة شدّة الرحمة، فهي أبلغ منها، وانّما قدّم الأبلغ منهما في الآية ليطابق قوله عظيم أي: للمحافظة على الفواصل.

---

(١) اختيار معرفة الرجال ٢:٨٦٦، برقم: ١١٣٠.

(٢) سورة التوبة: ١٢٨.

وَبالإمام الْحَسَنِ بْنِ عَليٍّ الذي طُرِحَ لِلسِّباعِ فَخلَّصتَهُ مِنْ مَرَابِضِها، وامْتُحِنَ بالدَّوابِّ الصِّعابِ فَذلَّلتَ لَه مَراكِبِها، أَنْ تُصلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآل مُحَمَّدٍ، فَقَدْ توسَّلْتُ بِهِمْ إلَيْكَ، وَقَدَّمتُهُمْ أَمامي وَبَيْنَ يَدَيْ حَوَائجي، وأَنْ تَرْحَمَني بالتَّوفيقِ لِتَرْكِ مَعاصِيكَ ما أَبقَيْتَني، وَتُعِينَني عَلَى التَّمسُّكِ بِطاعَتِكَ ما أَحْيَيْتَني، وأَنْ تَخْتِمَ لي بالخَيْرات إذا تَوَفَّيتَني، وتَفضَّلَ عَلَيَّ بالمُياسَرة إذا حاسَبْتَني، وَتَهَبَ ليَ العَفْو إذا كاشَفتَني، وَلا تكِلْني إلى نَفسِي فأَضِلَّ، وَلاَ تُحْوجْني إِلَى غَيْرِكَ فأَذِلَّ،

قوله: وأن ترحمني بالتوفيق.

التوفيق لغة: جعل الشيء موافقاً لآخر. وعرفاً: جعل الله تعالى فعل العبيد موافقاً لما يحبّه ويرضاه. والتوفيق ممّا لايستغني الانسان عنه على كلّ حال، كما قيل لحكيم: ماالذي لايستغنى عنه في كلّ حال؟ فقال: التوفيق.

والمراد بتوفيقه تعالى له تسديده وتذكيره ولطفه به والهامه القيام بما فيه رضاه من آداب الأوصياء وأخلاق الأصفياء، من كفّ النفس عن المعاصي، وصدق الانقطاع اليه، وكلّ من كان دائم المراقبة لربّه، مدقّقاً للحساب على نفسه، قد قام معها على ساق مقام الخصم الاله عند الشقاق كان مستوجباً للعصمة من ربّه، مطرحاً لأشعّة أنوار لطفه، فلايرتكب معصية بل لايلتفت اليها.

قوله: وأن تختم لي بالخيرات.

بالايمان والتوبة والاستعداد للموت بردّ المظالم وبراءة الذمّة عن حقوقك وحقوق الناس.

قوله: ولا تحوجني الى غيرك .

أي: فيما فيه ذلّة فأذلّ، والّا فالانسان مدنيّ بالطبع يحتاج بعضهم الى

وَلاَ تُحمِّلْنِي مَا لاَ طاقَةَ لِي بـهِ فأَضعُفَ، وَلاَ تَبـتَلِينِّي[(١)] بما لاَ صَبْرَ لِي عَلَيْهِ فأَعجَزَ، وأَجرْني عَلَى جَمِيلِ عَوائـدِكَ عِنْـدِي، وَلا تُؤاخِذْني بسُوء عَـمَلِي[(٢)]، وَلاَ تُسلِّط عَـلَـيَّ مـنْ لاَ يَـرحَـمْنِـي، بـرَحْـمَـتِكَ يـا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ.

وأمّا الساعة الثانيـة عشرة، فمن اصفرار الشمس إلى غروبها للخلف الحجّة عليه السَّلام، وهذا دعاؤها:

اَللّـهمَّ يَـا خَـالِقَ السَّـقـفِ الْـمرْفُـوعِ، وَالْـمِهـادِ الْـمَوْضوعِ، وَرَازِقَ الْعاصِـي وَالْمُطِـيعِ، الَّـذي لَـيْسَ لَهُ مِنْ دُونـهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَـفِيـعٌ، أَسأَلُكَ بِـأَسْـمائكَ الَّتي إذَا سُـمِّـيَـتْ[(٣)] عَلَى طَـوَارِق الْـعُسْـر عَادَتْ يُسْراً، وإذا وُضـعَتْ عَلَـى الْـجِبَـالِ كَـانَتْ هَـبـاءً مَـنثُـوراً، وإذا رُفـعَتْ إلَى السَّماء تَـفتَّحتْ لَهَا الْـمَـغالِقُ، وَإِذَا هُبطَتْ إلَى ظُـلُـمَاتِ الأَرْض اتَّسعَتْ لَها الْمضَايـقُ، وَإِذَا دُعيَتْ بِهـا الْمَوتَـى انْتشَرَتْ مِنَ الـلحُود، وَإِذَا نُوديَتْ بِها الْمَعدُومَاتُ خَـرَجتْ إلَى الوُجُود، وَإِذَا ذُكرَتْ عَلَى القُلُوب وَجلَتْ

بعض، وإن كـان نبيّاً في أمر مـعاشـه ومعاده، ولا يسلب عـنه ذلـك الاحتياج مادام حيّاً.

قوله: اللهمّ ياخالق السقف المرفوع.

وهـو السماء، كما روي عـن سيّدنـا أمير المؤمـنين علـيـه السَّلام[(٤)] لأنّـها كالسقف للأرض رفعها الله تعالى.

---

(١) تبتلني: خ ل.

(٢) فِعلي: خ ل.

(٣) سميت بها: خ ل.

(٤) نهج البلاغة: ٤٣، ط ١.

خُشُوعاً، وَإذا قَرعَت الأَسمَاعَ فاضَتِ العُيُونُ دُموعاً، أَسأَلُك بِمُحَمَّدٍ رَسُولِكَ المُؤيَّدِ بِالمُعْجِزاتِ، الْمبْعُوث بِمُحكمِ الآياتِ، وَبأَمير الْمُؤمنينَ عَلِيِّ بْنِ أَبي طَالِبٍ، الَّذِي اخْتَرْتَهُ لِمُواخاتِهِ وَوَصيَّتِهِ،

قوله: المؤيّد بالمعجزات المبعوث بمحكم الآيات.

هذا من باب ذكر الخاصّ بعد العامّ، أو من قبيل بدل البعض من الكلّ، وذلك لأنّ عمدة معجزاته صلّى الله عليه وآله هي القرآن المشتمل على آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب.

وأمّا سائر معجزاته وان كان كثيراً، مثل نبوع الماء بين أصابعه، واشباع الخلق الكثير من الطعام اليسير، وتسبيح الحصى، وحنين الجذع، وانشقاق القمر، وشكاية الناقة، وشهادة الشاة المشويّة، وتكلّم الضبّ، وظلّ الغمام، ورؤية من خلفه، وسماع الصوت نائماً، والتكلّم بكلّ لسان، والعلم بألسنة الطيور والوحوش وكلّ مايدبّ الأرض، وما كان من حال أبي جهل وصخرته حين أراد أن يضرب على رأسه، ودعاء الشجرتين في قتال بني قريظة لـمّا أراد قضاء الحاجة، وضمان الظبية من صيّادها، وما كان من شاة أُمّ معبد حين مسح على ضرعها، وقصّة فداء عبّاس لـمّا أسر يوم أُحد، وشفاء رمد ابن عمّه يوم خيبر صلوات الله عليهما وآلهما، الى غير ذلك من المعجزات الغير المحصورة المشهورة، الّا أنّ كلّ واحدة من هذه بخصوصها غير متواترة، وإن كان القدر المشترك بينها متواتر، بخلاف القرآن وآياته المحكمة، فانّه متواتر بالاتّفاق، ولذلك نقل أنّ فرقة من المعتزلة أنكرت معجزاته سوى القرآن.

قوله: الذي اخترته لمؤاخاته ووصيّته.

لمّا كان اختياره صلّى الله عليه وآله بالمؤاخاة بأمر الله ووحيه ورضائه،

واصطَفيْتَهُ لِمُصافَاتِهِ وَمُصاهَرَتِهِ،

لأنّه لاينطق عن الهوى إن هو الّا وحي يوحى، صحّ اختيار مؤاخاته الى الله سبحانه.

روى أحمد بن حنبل في مسنده باسناده الى أنس، قال: لـمّا كان يوم المؤاخاة وآخىٰ النبيّ صلّى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وعلي واقف يراه ويعرف مكانه، ولم يؤاخ بينه وبين أحد، فانصرف علي باكي العين، فافتقده النبيّ صلّى الله عليه وآله، فقال: مافعل أبوالحسن؟ فقالوا: انصرف باكي العين يارسول الله، قال: يابلال اذهب فأتني به، فمضى بلال الى علي عليه السّلام وقد دخل منزله باكي العين، فقالت فاطمة: مايبكيك لا أبكى الله عينيك، قال: يافاطمة آخى رسول الله صلّى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعرف مكاني لم يؤاخ بيني وبين أحد، قالت: لايحزنك الله لعلّه انّما ادّخرك لنفسه، فقال بلال: ياعليّ أجب النبيّ.

فأتى علي عليه السّلام النبيّ صلّى الله عليه وآله، فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: مايبكيك يا أباالحسن؟ قال: آخيت بين المهاجرين والأنصار يارسول الله وأنا واقف تراني وتعرف مكاني لم تؤاخ بيني وبين أحد، قال: انّما ادخرتك لنفسي، ألا يسرّك أن تكون أخا نبيّك؟ قال: بلى يارسول الله أنّى لي بذلك، فأخذ بيده وأرقاه المنبر وقال: اللهمّ انّ هذا منّي وأنا منه، ألّا أنّه منّي بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه. قال: فانصرف علي قرير العين، فاتّبعه عمر بن الخطّاب فقال: بخٍ بخ يا أباالحسن أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم[١].

---

(١) احقاق الحق ٦:٤٦٨.

وَبِصاحِبِ الزَّمَانِ الْمَهْدِيِّ

قوله: وبصاحب الزمان المهديّ.

عدم التصريح باسمه عليه السَّلام مع التصريح بأسماء سائر الائمّة عليهم السَّلام كما سبق في الأدعية السابقة يؤيّد القول بحرمة التصريح، كما دلّت عليه أخبار كثيرة. منها: صحيحة ابن رئاب عن أبي عبدالله عليه السَّلام: قال: صاحب هذا الأمر لايسمّيه باسمه الاّ كافر[١].

وفي رواية أبي عبدالله الصالحي وكيل الناحية المقدّسة، قال: سألني أصحابنا بعد مضيّ أبي محمَّد عليه السَّلام أن أسأل عن الاسم والمكان. فخرج الجواب: إن دللتهم على الاسم أذاعوه، وان عرفوا المكان دلّوا عليه[٢].

قيل: هذه من الحكمة ولا يلزم اطّرادها، للتصريح بامتداد الحرمة الى خروجه عليه السَّلام في عدّة أخبار، منها: حديث الخضر.

ومنها: مارواه الصدوق في كتاب الغيبة عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت أباجعفر عليه السَّلام يقول: سأل عمر أميرالمؤمنين عليه السَّلام عن المهدي، فقال: يابن أبي طالب أخبرني عن المهدي مااسمه؟ قال: أمّا اسمه فلا، انّ حبيبي وخليلي عهد إليّ أن لا أُحدّث باسمه حتّى يبعثه الله عزّوجلّ، وهو ممّا استودع الله رسوله في علمه[٣] انتهى.

ولا شكّ أنّ الأحوط عدم التصريح، بل ينبغي أن يقال: صاحب الزمان، أو المهدي، أو م ح م د، أو الحجّة، كما ورد في عدّة روايات صحاح وحسان وموثّقات.

---

(١) اصول الكافي ١: ٣٣٣، ح٤.

(٢) اصول الكافي ١: ٣٣٣، ح٢.

(٣) كمال الدين: ٦٤٨، ح٣.

الَّـذِي تَجْـمَعُ عَلى طاعَـتِهِ الآراءُ المُتفَـرِّقَة، وَتُؤَلِّفُ بِهِ بَـيْنَ الأَهْواءِ المُخْـتَلِفَةِ،

قوله: الذي تجمع على طاعته الآراء المتفرّقة.

يدلّ على أنّ في زمن ظهور دولته القاهرة وسلطنته الباهرة ليس افتراق آراء، ولا اختلاف أهواء، بل كلمات كلّهم مجموعة على طاعته، وهو رئيس مطاع، والحقوق كلّها يومئذٍ مستخلصة لأهلها، فالخمس يوضع موضعه، وكذلك الزكاة والفيء والأنفال والديات والقصاص والجراحات ونحو ذلك، ويرد فدك الى أهلها، وينتقم من أعداء الله لأوليائه أحياءهم وأمواتهم باحيائهم، كما تدلّ عليه أخبار كثيرة.

منها: أنّ الله سيعيد قوماً عند قيام المهدي عليه السَّلام ممّن تقدّم موتهم من أوليائه وشيعته ممّن محض الايمان محضاً، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته، ويبتهجوا بظهور دولته، ويعيد أيضاً قوماً ممّن محض الكفر لينتقم منهم، وينالوا بعض مايستحقّونه من العقاب في القتل على أيدي شيعته من الذلّ والخزي ممّا يشاهدونه من علوّ كلمته.

وفي ذلك الزمان ينتشر العدل والاحسان في مشارق الأرض ومغاربها، كما أمر الله بهما في كتابه العزيز، ويكون عبادالله موسّعاً عليهم أرزاقهم، ومابه ينتظم أُمور معاشهم ومعادهم، ويومئذٍ يقرّ الحقّ مقرّه عزيزاً محموداً، ويؤوب دين الاسلام بعد ذهابه بالكليّة ويجدّد، فيكون أهله جديد الاسلام، ويومئذٍ يكون الدين كلّه لله، فطوبى لأهله ثمّ طوبى.

اللهمّ عجّل فرجه، وسهّل مخرجه، واجعلنا ممّن يدخلون تحت سرادقات دولته، ويشرّفون برؤية أوليائه ورؤيته، ويقاتلون في ركاب حضرته، فيقتلون ويقتلون لاعلاء كلمته. واعزاز دينه وملّته بمحمّد وآله وعترته صلوات الله عليهم أجمعين.

وَتَستَخْلِصُ بِهِ حُقوقَ أَولِيَائِكَ ، وَتَنتَقِمُ بِهِ مِنْ شَرِّ[١] أَعدائِكَ ، وَتَمْلأُ بِهِ الأَرْضَ عَدلاً وَإِحْساناً، وَتُوسِّعُ عَلَى الْعِبَادِ بِظُهُوره فَضْلاً وَامْتِناناً[٢] وتُعِيدُ الْحَقَّ إِلَى مَكَانِهِ عَزِيزاً حَمِيداً، وَتُرجِعُ الدِّينَ عَلَى يَدَيْهِ غَضّاً جَدِيداً، أَنْ تُصلِّي عَلَى مُحمَّدٍ وَآلِ مُحمَّدٍ، فَقَدِ اسْتَشفَعْتُ بِهِمْ إِلَيْكَ ، وَقَدَّمْتُهُمْ أَمامِي وَبَيْنَ يَدَيْ حَوائِجي ، وَأَنْ تُوزِعَنِي شُكرَ نِعْمَتِكَ ، فِي التَّوفِيقِ لِمَعْرِفَتِهِ، وَالهِدايَةِ إِلَى طاعَتِهِ، وتَزِيدَني قُوَّةً فِي التَّمسُّكِ بِعِصْمَتِهِ، وَالاقْتِداء بِسُنَّتِهِ، وَالْكَون فِي زُمْرَتِهِ، إِنَّكَ سَميع الدُّعاء، بِرَحمَتِكَ يَا أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ.

توضيح:

«جاعل الشمس والقمر بحسبان» أي: مقدّر سير كلّ منهما في البروج والمنازل بحُسبان معيَّن لا يتجاوزانه.

«لك المحامد والممادح» أي: كلّها راجعة إليك ، فأنت المحمود والممدوح في الحقيقة، لأنّك واهب كلّ قدرة واختيار كل محمود وممدوح.

قوله: لك المحامد والممادح.

الحمد انّما يكون على الجميل الاختياري، فالمحمود لا يكون الّا مختاراً، ويلزمه أن يكون حيّاً قادراً مريداً عالماً. وأمّا المدح فهو على الجميل مطلقاً، تقول: حمدت زيداً على كرمه، ولا تقول على حسنه بل مدحته.

ولمّا كانت الفضائل والفواضل والنعم كلّها حقيرها وخطيرها من الله

---

(١) شرار: خ ل.

(٢) نصب فضلاً وامتناناً على المفعول به لتوسع، أو على المفعول لأجله، والتميز أيضاً محتمل (منه).

«ومنك العوائد والمنائح» بالعين المهملة جمع عائدة، وهو التعطّف والإحسان. والمنائح تقدم تفسيرها في آخر دعاء الساعة السابعة.

«إليك يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح» قد يفسّر الصعود إليه جلّ شأنه بالقبول والآية، هكذا: «إلَيْه يَصعَدُ الكَلم الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالحُ يَرفَعُهُ»[1] وضمير يرفعه: إمّا أن يعود إلى العمل الصالح، أي: يتقبّله، كما هو

سبحانه بوسط أو غير وسط، كما قال «وما بكم من نعمة فمن الله»[2] كانت المحامد كلّها وكذلك المادح راجعة اليه جلّ ذكره، ولذا قدّم الظرف وأتى بصيغة الجمع المحلّى باللام في الموضعين، وكون استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع غير مسلّم، بل الجمع المحلّى بلام الاستغراق كالمفرد في شموله الافراد كلّها، لأنّ الجمع إذا دخل عليه اللام بطلت جمعيّته وكان المراد كلّ فرد، كما صرّح به أهل التحقيق من أهل العربيّة.

قوله: وضمير يرفعه الى آخره.

في أُصول الكافي: عن عمّار الأسدي، عن أبي عبدالله عليه السَّلام في قول الله عزّوجلّ «إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه»[3] ولايتنا أهل البيت، وأهوى بيده الى صدره، فمن لم يتولّنا لم يرفع الله له عملاً[4].

ظاهره يفيد أنّ الضمير المستكن في «يرفعه» وهو الضمير الفاعل يعود الى الكلم الطيّب، والبارز الى العمل الصالح، أي: العمل الصالح يرفعه الكلم الطيّب، وهو ولايتنا أهل البيت، فلا حاجة فيه الى القول بالقلب، فافهم.

---

(١) سورة فاطر: ١٠.

(٢) سورة النحل: ٥٣.

(٣) سورة فاطر: ١١.

(٤) اصول الكافي ١: ٤٣٠، ح٨٥.

المراد في هذا الدعاء، وإمّا إلى الكلم الطيب، أي: العمل الصالح يرفع الكلم الطيّب. وقيل: هو من باب القلب، أي: الكلم الطيّب يرفع العمل الصالح. والمراد من الطيّب كلمتا الشهادة.

«بما تخفي الصدور والجوانح» بالجيم والنون ما يَلي الصدر من الأضلاع.

«الذي طُرح للسباع فخلصته من مرابضها» طُرح بالبناء للمجهول. والمراد بالمرابض بالباء الموحّدة والضاد المعجمة مواضع[1] استقرار السباع. وقد ذكر أصحاب السير من الخاصّة والعامّة أنّه كان للخليفة في سامرّاء بركةٌ عظيمة مملوءة بالسّباع الضواري، تسمّى بركة السباع. وكان يلقي من أراد قتله إليها،

ويحتمل أن يكون قوله «ولايتنا» تفسيراً للعمل الصالح، فالمستتر في قوله «يرفعه» راجع اليه والبارز الى الكلم، والمراد به كلمة الاخلاص والدعاء والأذكار كلّها، وبصعوده بلوغه الى محلّ الرضا والقبول، أي: العمل الصالح وهو الولاية يرفع الكلم الطيّب ويبلغه حدّ القبول. والأوّل هو الأظهر، فتأمّل.

قوله: وقد ذكر أصحاب السير الى آخره.

في الكافي عن بعض أصحابنا، قال: سلّم أبو محمّد عليه السّلام الى نحرير، فكان يضيّق عليه ويؤذيه، قال: فقالت له امرأته: ويلك اتّق الله لا تدري من في منزلك وعرّفته صلاحه، وقالت: انّي أخاف عليك منه، فقال: لأرمينّه بين السباع، ثمّ فعل ذلك به، فرأى عليه السّلام قائماً يصلّي وهي حوله[2].

وفي ارشاد المفيد بعد قوله «لأرمينّه بين السباع»: ثمّ استأذن في ذلك،

---

(١) موضع: خ ل.

(٢) اصول الكافي ١:٥١٣، ح٢٦.

فتفترسه في آنٍ واحد، فأمر أتباعه بإلقاء الحسن العسكري عليه السَّلام فيها ليلاً، فلمّا أصبحوا وجدوه عليه السَّلام قائماً يصلّي سالماً من السباع، وهي خاضعة حوله متواضعة لدَيه.

«وامتُحن بالدوابّ الصِّعاب» امتُحن بالبناء للمجهول. وفي هذه الفقرة إشارة إلى ماشاع وذاع من أنّه كان للخليفة بغلٌ صعبٌ شَموسٌ لايقدر أحد على

فأُذن له، فرمى به اليها ولم يشكّوا في أكلها له، فنظروا إلى الموضع ليعرفوا الحال، فوجدوه عليه السَّلام قائماً يصلّي وهي حوله، فأمر باخراجه الى داره[1].

قوله: وامتحن بالدوابّ الصعاب.

هذا يدلّ على تكرّر ذلك الامتحان، لتعدّد الدوابّ الصعاب، والمعروف منه ليس الّا امتحان واحد بدابّة واحدة، كما في الكافي وسيأتي مفصّلاً، ولعلّه اعتبر كل واحد من إلجامه مرّة، واسراجه أُخرى، وركوبه ثالثة امتحاناً على حدة، وهو كذلك. وبهذا الاعتبار يصحّ الا تيان بصيغة الجمع، لأنّ هذه الدابّة بكلّ اعتبار غيرها باعتبار آخر، فكان هناك دوابّ متعدّدة، فتأمّل.

قوله: وفي هذه الفقرة اشارة الى آخره.

في الكافي عن أحمد بن الحارث القزويني، قال: كنت مع أبي بسرّمن رأى، وكان أبي يتعاطى البيطرة في مربط أبي محمَّد عليه السَّلام، قال: وكان عند المستعين بغل لم ير مثله حسناً وكبراً، وكان يمنع ظهره واللجام والسرج، وقد كان جمع عليه الراضة، فلم يمكن لهم حيلة في ركوبه.

قال: فقال له بعض ندمائه: يا أمير المؤمنين ألا تبعث الى الحسن بن الرضا

---

(١) ارشاد المفيد: ٣٤٤ ـ ٣٤٥.

إلجامه، ولا على إسراجه، ولا على رُكوبه، فجاء العسكري عليه السَّلام يوماً إلى رؤية الخليفة، فقال له: أَلتمسُ منك يا أبا محمَّد إلجَامَ هذا البغل وإسراجَه. فقام عليه السَّلام ووضع يده على كفل البغل، فتصبَّب عرقُه وصار في غاية التذلُّل، فأسرجه عليه السَّلام وألجمه، ثمّ ركبه وأركَضه في الدار، فتعجّب الخليفة ممّا رأى ووهبه للإمام عليه السَّلام.

حتّى يجيء، فامّا أن يركبه وإمّا أن يقتله فتستريح منه.

قال: فبعث إلى أبي محمَّد عليه السَّلام ومضى معه أبي، فقال أبي: لمّا دخل أبو محمَّد عليه السَّلام الدار كنت معه، فنظر أبو محمَّد عليه السَّلام الى البغل واقفاً في صحن الدار، فعدل اليه فوضع يده على كفله، قال: فنظرت الى البغل وقد عرق منه، ثمّ صار الى المستعين فسلّم عليه، فرحّب به وقرّب، فقال: يا أبامحمَّد ألجم هذا البغل، فقال أبو محمَّد عليه السَّلام لأبي: ألجمه ياغلام، فقال المستعين: ألجمه أنت، فوضع طيلسانه ثمّ قام فألجمه، ثمّ رجع الى مجلسه وقعد، فقال له: يا أبامحمَّد أسرجه، فقال لأبي: ياغلام أسرجه، فقال: أسرجه أنت، فقام ثانية فأسرجه ورجع.

فقال له: ترى أن تركبه؟ فقال: نعم، فركب من غير أن يمتنع عليه، ثمّ ركضه في الدار، ثمّ حمله على الهملجة، فمشى أحسن مشي يكون، ثمّ رجع فنزل. فقال له المستعين: يا أبامحمَّد كيف رأيته؟ قال: يا أميرالمؤمنين مارأيت مثله حسناً وفراهة، وما يصلح أن يكون مثله الّا لأمير المؤمنين، قال: فقال: يا أبامحمَّد انّ أمير المؤمنين قد حملك عليه، فقال أبو محمَّد عليه السَّلام لأبي: ياغلام خذه فأخذه أبي فقاده[1].

---

(١) اصول الكافي ١:٥٠٧.

«وتفضّل عليَّ بالميـاسرة إذا حاسبتني» تفضّل فعل مضارع محذوف التاء الأُولى. والمياسرة بـالـيـاء المثنّـاة الـتحتانـيّـة والسين المهملة مـفاعلة من الـيسر، والمراد المسامحة في الحساب.

«ولا تحمّلني ما لاطاقة لي به» أي: مـن عقوبات النار التي هي فـوق طاقة البشر، وإن أُريد طلب عدم التكليف بما لايطاق، فالمراد به مافيه شدّة وصعوبة زائـدة، أو هو من قـبيل بسط الـكـلام مع المحبـوب[1]، فلا يضرّ كـون مضـمونه واقعاً، كما في قوله تعالى: «رَبَّنا لا تؤاخذنا إن نَسينا أو أخطأْنا»[2].

«والمهاد الموضوع» المهاد بكسر الميم الفراش، ويراد به الأَرض.

قوله: واقعاً كما في قوله تعالى.

لأنّ الله تعالى قد وعد أن لا يؤاخذ هـذه الامّة بما وقع عنهم نسياناً أو خطأً، كما يدلّ عليه قوله صـلّى الله عليـه وآله: «رفع عـن أُمّتي الخطأ والنسـيان»[3] أي: مؤاخذتها، لئلّا يلزم الاخبار بما هو خلاف الواقع، فـهذا السؤال انّما يكون للواقع، كما في قوله تعالى «ربّ احكم بالحقّ»[4] والغرض منه بسط الكلام مع المحبوب، وعرض الافتقار لديه واظهار الحاجة اليه.

قوله: المهاد بكسر الميم الفراش.

لا دلالة في كونها فراشاً على ما يـنافي كرويّتها، كما أشار اليه في الـكشّاف

---

(١) أي: الغرض من ذكره محض بسط الكلام لاحصول مضمونـه، فإنّه حاصل لـقوله تعالى: «لايكلّف الله نفساً إلا وُسعها». وحيـث إنّ الكلام مع المحبوب لذيذ مطلوب، اقتضى الكلام تطويله كما قاله علماء المعاني في قـول مـوسى عليـه السّـلام: «هِيَ عصايَ أتوكّا عـليها وأهشُّ بها على غَنمِـي ولِي فيها مآربُ أُخرى» (منه).

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٣) عوالي اللئالي ١: ٢٣٢، ح١٣١.

(٤) سورة الانبياء: ١١٢.

«المبعوث بِمُحكم الآيات» قد يراد بالمحكم ما ليس فيه إجمال ويقابله المتشابه.

عند تفسير كريمة «الذي جعل لكم الأَرض فراشاً»[١] حيث قال: فان قلت: هل فيه دليل على أنّ الأَرض مسطّحة وليست بكرويّة؟

قلت: ليس فيه الاّ أنّ الناس يفترشونها، كما يفعلون بالمفارش، سواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة، فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع، لعظم حجمها واتّساع جرمها وتباعد أطرافها، وإذا كان متسهّلاً في الجبل وهو وتد من أوتاد الأَرض، فهو في الأَرض ذات الطول والأرض أسهل[٢].

وفي التفسير الكبير: من الناس من زعم أنّ الشرط في كون الأَرض فراشاً أن لا تكون كرة، فاستدلّ بهذه الآية على أنّ الأَرض ليست كرة، وهو بعيد جدّاً، لأنّ الكرة إذا عظمت جدّاً كانت كلّ قطعة منها كالسطح[٣].

قوله: المبعوث بمحكم الآيات.

من اضافة الصفة الى الموصوف، أي: بالآيات المحكمة، والمحكم هو القدر المشترك بين النصّ والظاهر، والنصّ مالم يحتمل غير مافهم منه بالنظر اليه، مثل قل هو الله أحد؛ إذ لايحتمل غير الوحدانيّة.

والظاهر هو الاحتمال الراجح من احتمالي اللفظ بالنظر اليه أيضاً، مثل «فامسحوا برؤوسكم وأرجلكم»[٤] والمرجوح هو المؤوّل، مثل «يدالله فوق

---

(١) سورة البقرة: ٢٢.

(٢) الكشاف ١:٢٣٤ ط انتشارات آفتاب طهران، و١:٩٤ ط دارالكتاب العربي ـ بيروت.

(٣) التفسير الكبير ٢:١٠٤.

(٤) سورة المائدة: ٦.

«غضّاً جديداً» بالغين المعجمة والضاد المعجمة المشددة، أي: طريّاً، وجديداً كالتفسير له.

أيديهم»[١] في ارادة القدرة. والمجمل ماتساوىٰ فيه الاحتمالان، مثل «والليل إذا عسعس»[٢] في احتمال أقبل وأدبر، والقدر المشترك بين المجمل والمؤوّل هو المتشابه.

---

(١) سورة الفتح: ١٠.

(٢) سورة التكوير: ١٧.

الباب الرابع

فيما يعمل مابين غروب الشمس إلى وقت النوم

أوّل وقت المغرب على المشهور ذهاب الحمرة المشرقيّة، ويمتدّ وقت فضيلتها إلى غيبوبة الشفق، ووقت أدائها إلى أن يبقى لانتصاف الليل قدرُها[1] مع العشاء.

قوله: أوّل المغرب على المشهور الى آخره.

في عرف المتشرّعة ابتداء الليل عند أهل السنّة من زمان مجاوزة جرم الشمس بتمامه عن الأُفق الغربي. وعند الاماميّة على المشهور من زوال الحمرة المشرقيّة وظهور الظلمة في ذلك الجانب.

وقيل: علامته استتار القرص ولا عبرة بالحمرة. والأخبار فيه كالمتعارضة، الاّ أنّ الروايات الدالّة على القول باستتار القرص صحيحة الأسانيد.

منها: صحيحة عبدالله بن سنان، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السّلام يقول: وقت المغرب إذا غربت الشمس فغاب قرصها[2].

وأمّا الدالّة على القول بذهاب الحمرة، فليس فيها ماتعتمد النفس على سنده.

---

(١) قدر أدائها: خ ل.

(٢) فروع الكافي ٣: ٢٨٠، ح٧.

فإذا تحقّقت دخول الوقت تقول عشر مرّات ما رواه رئيس المحدّثين في الفقيه ـ بسند صحيح ـ عن الصادق عليه السّلام، من دعاء نوح على نبيّنا وعليه السّلام[١]، وما رواه ثقة الإسلام في الكافي ـ بسند صحيح أيضاً ـ عن الباقر عليه السّلام[٢]، وقد مرَّ ذكرهما في الأدعية عند طلوع الفجر، وتضع يدك على رأسك ثمّ تُمِرُّها على وجهك وتَقبض على لحيتك وتقول:

أَحطْتُ عَلَى نَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي وَوُلدِي مِنْ غَائبٍ وَشَاهِدٍ، بالله الَّذِي لاَ إلَه إلَّا هوُعَالِمُ الْغَيبِ وَالشَّهادَةِ، الرَّحْمنُ الرَّحيمُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، لاَ تأخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَومٌ، إلى قوله: وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

ولك الاقتصار على أحد هذه الأدعية الثلاثة، ولا سيّما إن خفت ضيق الوقت.

قوله: أحطت على نفسي.

أي: جعلت الله محيطاً على ذلك وحفيظاً عليه.

قوله تعالى: لا تأخذه سنة ولا نوم.

بين السنة والنوم أمد بعيد، وذلك لأنّ أوّل مايعرض الحيوان من مقدّمات النوم وفتوره هو النعاس، ثمّ الوسن وهو ثقل النعاس، ثمّ الترنيق وهو مخالطة النعاس العين، ثمّ الكرى والغمض وهو أن يكون الانسان بين النائم واليقظان، ثمّ التغفيق بالغين المعجمة وبعدها فاء وهو النوم وأنت تسمع كلام القوم، ثمّ الهجوع والهجود وهو النوم الغرق، ثم النشيع وهو أشدّ النوم.

---

(١) من لايحضره الفقيه ١:٣٣٥.

(٢) اصول الكافي ٢:٥٠٦، ح٤.

ثمّ ينبغي المبادرة إلى صلاة المغرب، فإنّ المستفاد من الروايات المعتبرة عن أصحاب العصمة سلام الله عليهم أنّ وقتها مضيّق، والروايات في ذلك متضافرة، كما رواه ثقة الإسلام في الكافي ـ بسند صحيح ـ عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: إنّ جبرئيل عليه السَّلام أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله لكلّ صلاة بوقتين غير صلاة المغرب فإنّ وقتها واحد، ووقتُها وجوبُها[1].

وكما رواه رئيس المحدّثين في المجلس الثاني والستّين من الأمالي عن أبي أُسامة، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السَّلام يقول: مَن أخَّر المغرب حتى تشتبك النجوم فأنا بريء منه[2].

وكما رواه شيخ الطائفة في التهذيب ـ بسندٍ صحيح ـ عن ذريح المحاربي، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السَّلام: إنّ أُناساً من أصحاب أبي الخطاب

قال الأزهري: حقيقة النعاس الوسن من غير نوم.

قوله عليه السَّلام: ووقتها وجوبها.

الوجوب السقوط، يقال: وجبت الشمس، ومنه «وجبت جنوبها»[3] أي: وقت صلاة المغرب حين سقوط الشمس.

قوله: أصحاب أبي الخطّاب.

محمّد بن أبي زينب أبو الخطّاب البراذ الأجذع الأسدي، ويكنّى أيضاً أبا اسماعيل، كذّاب ملعون أمره شهير، وهو للبدعة والقول الزور ظهير.

وفي موثّقة معمّر بن خلاد قال: قال أبو الحسن عليه السَّلام: انّ أبا الخطّاب

---

(١) فروع الكافي ٣: ٢٨٠، ح٨.

(٢) امالي الصدوق: ٣٢٠، ح١.

(٣) سورة الحج: ٣٦.

يُمسون بالمغرب حتى تشتبك النجوم. فقال: أبرأ إلى الله ممَّن فعل ذلك متعمّداً[١].

وكما رواه في التهذيب أيضاً ـ بسندٍ صحيح ـ عنه عليه السَّلام أنّه قال: إنّ جبرئيل أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله بالصلاة، فجعل لكلّ صلاة وقتَين، إلّا صلاة المغرب، فإنّه جعل لها وقتاً واحداً[٢].

وقد ورد أيضاً في الروايات المعتبرة خروج وقتها بذهاب الشفَق[٣]، وعمل بذلك جماعة من علمائنا، وجعلوا مابين الغروب وذهاب الشفق وقتاً للمختار، وما بعده وقتاً للمضطرّ.

والأظهر ما ذهب إليه المتأخّرون من أنّ المضيّق إنّما هو وقت فضيلتها لا وقت أدائها. فيحمل براءة الصادق عليه السَّلام ممّن أخَّرها إلى اشتباك

أفسد أهل الكوفة، فصاروا لايصلّون المغرب حتّى يغيب الشفق ولم يكن ذلك ، انّما ذاك للمسافر وصاحب العلّة[٤].

قوله: لا وقت أدائها.

وتدلّ عليه صحيحة اسماعيل بن همام، قال: رأيت الرضا عليه السَّلام وكنّا عنده لم يصلّ المغرب حتّى ظهرت النجوم قام فصلّى بنا على باب دار ابن أبي محمود[٥].

وصحيحة عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبدالله عليه السَّلام: أكون في

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٣٣، ح٥٣.

(٢) تهذيب الاحكام ٢: ٢٦٠، ح٧٢.

(٣) تهذيب الاحكام ٢: ٢٥٨، ح٦٦.

(٤) اختيار معرفة الرجال ٢: ٥٨٢، ح٥١٨.

(٥) تهذيب الاحكام ٢: ٣٠، ح٤٠.

النجوم على من اعتقد وجوب تأخيرها إلى ذلك الوقت.

وينبغي عدم الإخلال بالأذان والإقامة عندها، فقد قال جماعة من علمائنا، كالسيد المرتضى رضي الله عنه، وابن أبي عقيل، وابن الجنيد، بوجوبهما فيها. بل قال بعضهم ببطلانها بتعمد تركهما.

فإذا أذّنت فافصلْ بينه وبين الإقامة بسكتة أو جلسة، فقد روي عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: مَن جلس فيما بين أذان المغرب والإقامة، كان كالمتشحّط بدمه في سبيل الله[١]. وممّا يقال بين أذان المغرب وإقامته:

جانب المصر فتحضر المغرب وأنا أُريد المنزل، فان أخّرت الصلاة حتّى أُصلّي في المنزل كان أمكن لي وأدركني المساء أفأُصلّي في بعض المساجد؟ قال: فقال: صلّ في منزلك[٢].

وموثّقة عمّار، قال: سألت أبا عبدالله عليه السَّلام عن صلاة المغرب إذا حضرت هل يجوز أن تؤخّر ساعة، قال: لابأس إن كان صائماً أفطر، وإن كانت له حاجة قضاها ثم صلّى[٣]. وغيرها من الاخبار.

قوله: على من اعتقد وجوب تأخيرها الى آخره.

أو تحمل على من اعتقد أنّ فضلها في تأخيرها الى اشتباك النجوم، كما يدلّ عليه مارواه الصدوق ـ رحمه الله ـ في الفقيه عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: ملعون ملعون من أخّر المغرب طلباً لفضلها، وقيل له: انّ أهل العراق يؤخّرون المغرب حتّى تشتبك النجوم، فقال: هذا من عمل عدوّ الله أبي الخطّاب[٤].

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٦٥، ح٢٤.

(٢) تهذيب الاحكام ٢: ٣١، ح٤٣.

(٣) تهذيب الاحكام ٢: ٣١، ح٤٤.

(٤) من لايحضره الفقيه ١: ٢٢٠، ح٦٦١.

اَللّهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ بِإِقْبَالِ لَيْلِكَ وَإِدْبَارِ نَهارِكَ ، وحُضُورِ صَلَواتِكَ ، وأَصْوَاتِ دُعاتِكَ[١] ، وَتسْبيحِ مَلاَئكَتِكَ ، أَنْ تُصلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَتُوبَ عَلَيَّ إنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ.

والمراد بأهل العراق أهل الكوفة كما مرّ فيما نقلناه عن الكاظم عليه السَّلام فتذكّر.

قوله: اللهمّ إنّي أسألك باقبال ليلك الى آخره.

اسناد الاقبال والادبار الى الليل والنهار مجاز، كاسناد الانبات الى الربيع، لانّهما مختصّان بذوي الارادة، فهو كقوله تعالى «والليل إذا عسعس»[٢] أي: أقبل أو أدبر.

وقوله «وحضور صلواتك» أي: أوقاتها بحذف المضاف.

والدعاة كالرماة جمع الداعي، والدعاء بالضمّ والمدّ والنداء متقاربان بل مترادفان، لأنّ الدعاء لغة النداء والاستدعاء، تقول: دعوت فلاناً إذا ناديته وصحت به، لأنّه أصله الصياح، واصطلاحاً طلب الأدنى للفعل من الأعلى على جهة الخضوع والاستكانة.

وقيل: هو الرغبة الى الله تعالى وطلب الرحمة منه على وجه الاستكانة والخضوع. وقد يطلق على التمجيد والتقديس، لما فيه من التعرّض للطلب.

سئل عطا عن معنى قول النبي صلّى الله عليه وآله «خير الدعاء دعائي ودعاء الأنبياء من قبلي، وهو لا اله الّا الله وحده لاشريك له له الملك وله

---

(١) بالتاء الفوقانية جمع داع (منه).

(٢) سورة التكوير: ١٧.

وأمّا الفصل بينهما بالخطوة، فمذكور في كتب الفروع. وقال شيخنا في الذكرى: إنّه لم يوجد به حديث. وتقول بعد الإقامة ما مرَّ. ثمّ افتتح الصلاة مراعياً للآداب السالفة. ويختار من السوَر في الركعة الأُولى سورة النصر أو التكاثر وما شابههما في القصر، كما رواه شيخ الطائفة في التهذيب بسندٍ صحيحٍ[1]. وفي الثانية التوحيد.

وتعقّب بعد الفراغ بالتكبيرات الثلاثة وتسبيح الزهراء عليها السَّلام، ثمّ

الحمد يحيي ويميت وهو حيّ لايموت بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير» وليس هذا دعاء وانّما هو تقديس وتمجيد، فقال: هذا أُميّة بن الصلت يقول في ابن جذعان:

إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء

فيعلم ابن جذعان مايراد منه بالثناء عليه ولا يعلم ربّ العالمين مايراد منه بالثناء عليه. وعليه فتسبيح الملائكة من قبيل ذكر الخاصّ بعد العام، فتدبّر.

قوله: وفي الثانية التوحيد.

أي: سورة الاخلاص، وهي قل هو الله أحد، لما فيها من مزيد الشرف والفضل ماليس لغيرها، حتّى أنّها معادلة لثلث القرآن، ولأنّ الدعاء بعدها مستجاب.

والمشهور بين الأصحاب كراهة تكرار السورة في الركعتين واستحباب مغايرتها فيهما، واستثني من هذا الحكم سورة الاخلاص، لموثّقة زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السَّلام: أُصلّي بقل هو الله أحد؟ فقال: نعم قد صلّى رسول الله صلّى الله عليه وآله في كلتا الركعتين بقل هو الله أحد، لم يصلّ قبلها

---

(١) تهذيب الاحكام ٢:٩٥.

تـقـول ثـلاث مـرّات مـا رواه رئـيس المحـدّثين في الـفـقـيـه[(١)] عـن الصـادق عليه السَّلام:

الْحَمْدُ لله الَّـذِي يَفْعَلُ مايشاء وَلاَ يَفْعَلُ ما يَشاء غَيْرُهُ[(٢)].

ثمّ تقوم إلى النـافلة، وإن أحببـت التطويل في التعقيب، فالأفضل أن تأتي

ولا بعدها بقل هو الله أحد أتمّ منها[(٣)].

وفي صحيحة صفوان الجمّال، قال: سـمعت أباعبـدالله عليه السَّلام يقول: قل هو الله أحد تجزىء في خمسين صلاة[(٤)].

قوله عليه السَّلام: ولا يفعل مايشاء غيره.

فاعل «يفعل» ثانـياً هو الضمير العائد الـيه تعالى، يعني انّه لايفـعل مايشاء غيره اذا لم يكن على وفـق حكمته ومصلحـته، فانّه ليس مقهوراً على مشيّة غيره. وأمّـا احـتـمال أن يكون غـيـره فـاعل يفعل على الـتـنـازع بينه وبين يشاء، كما قيل[(٥)]، أي: ليس غيـره بحيث يفعل كلّ مايشاء، ففيه أنّ هذه الجملة على هذا التقدير ليست وصفاً له تعالى، فكيف يوصف بها ويحمد عليها، فتأمّل.

قوله عليه السَّلام: ثمّ تقوم الى النافلة.

قال شيخنـا المفيد ـ رحمه الله ـ في المقنعة: الاولى القيام الى نافلة المغرب عند

---

(١) في الفقيه قال الصادق عليه السَّلام: من قال إذا صلّى المغرب ثلاث مرات: الحمد لله الذي يفعل ما يشاء ولا يفعل مايشاء غـيره، أُعطي خيراً كثيـراً، وكذا رواه ثقة الإسلام في الكافي عن الصباح بن سيابة عن أبي عبدالله عليه السَّلام. (منه).

(٢) من لايحضره الفقيه ١:٣٢٦.

(٣) تهذيب الاحكام ٢:٩٦، ح١٢٧.

(٤) تهذيب الاحكام ٢:٩٦، ح١٢٨.

(٥) المراد بهذا القائل صاحب البحار قدّس سرّه، وهو منه غريب «منه».

بما زاد على ذلك بعدها إن اتّسع الوقت لذلك، فقد ورد عن أصحاب العصمة سلام الله عليهم الحثُّ على نافلة المغرب، فقد روي عن الصادق عليه السّلام أنّه قال للحارث بن المغيرة: لا تدعْ أربع ركعات بعد المغرب في سفر ولا حضر، وإن طلبتك الخيل[١].

ويكره الكلام بينها وبين المغرب. وفي رواية الخفاف عن الصادق عليه السّلام دلالة على ذلك[٢].

الفراغ منها قبل التعقيب، وتأخيره الى أن يفرغ من النافلة[٣].

وقال شيخنا الشهيد في الذكرى: الأفضل المبادرة بها قبل كلّ شيء سوى التسبيح. ونقل عن المفيد مثله، واستدلّ عليه بأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله فعلها كذلك، فانّه لمّا بشّر بالحسن عليه السّلام صلّى ركعتين بعد المغرب شكراً، فلمّا بشّر بالحسين عليه السّلام صلّى ركعتين ولم يعقّب حتّى فرغ منها[٤].

فمقتضى هذه الرواية أولويّة فعلها قبل التسبيح أيضاً، الّا أنّها غير معلومة الصحّة، ومعارضة بصحيحة ابن سنان قال: قال أبو عبدالله عليه السّلام: من سبّح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السّلام قبل أن يثني رجليه من صلاة الفريضة غفر الله له ويبدأ بالتكبير[٥].

---

(١) تهذيب الاحكام ٢:١١٣، ح١٩١. قوله «وان طلبتك الخيل» أي: وان كنت منهزماً من أعدائك وهم مسرعون خلفك، والغرض شدّة المبالغة (منه).

(٢) تهذيب الاحكام ٢:١١٣، ح١٩٠.

(٣) المقنعة: ١١٧.

(٤) الذكرى: ١٢٤.

(٥) فروع الكافي ٣:٣٤٢، ح٦.

وروى رئيس المحدّثين في الفقيه عن الصادق عليه السَّلام أنه قال: مَن صلّى المغرب ثم عقَّب ولم يتكلّم حتّى يصلّي ركعتين، كُتبتا له في علّيين، فإن

أقول: ويمكن أن يوفّق بينهما بتخصيص صحيحة ابن سنان بغير المتنفّل، أو بمن يظنّ أنّه إن تؤخّر النافلة بقدر زمان التسبيح لايحوجه أمر الى التكلّم، فانّ الكلام بينها وبين المغرب كما سيأتي مكروه، أو بغير صلاة المغرب، فانّ وقت نافلتها على المشهور مضيّق جدّاً، أو بأن يقال: انّ فعل النبيّ صلّى الله عليه وآله وان كان حجّة الّا أنّه كان قبل قضيّة تسبيح الزهراء عليها السَّلام، وفعله قبل أن يثني المصلّي برجليه من صلاة الفريضة، فهو ناسخ له، فتأمّل.

قوله: وروى رئيس المحدّثين الى آخره.

هذا كلام مشوّش ظاهره يفيد أنّ مارواه الصدوق في الفقيه مغاير لما رواه الخفّاف، وليس كذلك بل هو هو، كما يشهد له مارواه الشيخ في التهذيب بسند ضعيف بأبي العلاء الخفّاف هذا عن أبي عبدالله الصادق عليه السَّلام قال: من صلّى المغرب الحديث[١].

قوله عليه السَّلام: من صلّى المغرب الى آخره.

مثله مارواه في الكشّاف عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: من صلّى بعد المغرب قبل أن يتكلّم كتب صلاته في علّيين.

واختلفوا في تفسير علّيين، فقيل: كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين. وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش، أو مراتب

---

(١) تهذيب الاحكام ٢:١١٣، ح١٩٠.

صلّى أربعاً كتبت له حجّة مبرورة[١].

ولم يشتهر كراهية الكلام فيما بين الأربع. ويدل على كراهيته رواية أبي الفوارس، قال: نهاني أبوعبدالله عليه السَّلام عن أن أتكلّم بين الأربع التي بعد المغرب[٢].

وقد استدلّ العلّامة في المنتهى بهذه الرواية على كراهة الكلام بين المغرب وبينها، ووافقه شيخنا في الذكرى على هذا الاستدلال، وهو كما ترى[٣].

وأوّل وقت هذه الأربع الفراغ من الفرض، وآخره على المشهور ذهاب

عالية محفوفة بالجلالة، أو سدرة المنتهى، أو الجنّة، أو لوح من زبرجد أخضر معلّق تحت العرش مكتوب فيه أعمالهم. وقال الفرّاء: أي في ارتفاع بعد ارتفاع لاغاية له، أو المراد أنّ دفتر أعمالهم موضوع في تلك الأمكنة الشريفة، والله يعلم.

قوله: ووافقه شيخنا في الذكرى.

ووافقهما عليه صاحب المدارك ، حيث قال: وكراهة الكلام بين الأربع يقتضي كراهة الكلام بينها وبين المغرب بطريق أولى[٤].

وأنت خبير بعدم أصل هذا الاقتضاء فضلاً عن كونه بطريق أولى، إذ لا علاقة ولا استلزام بين الكراهتين لا عقلاً ولا نقلاً.

نعم يشعر بكراهة الكلام بين المغرب ونافلتها ضعيفة الخفّاف السابقة، بل

---

(١) من لايحضره الفقيه ١:٢٢١.

(٢) تهذيب الاحكام ٢:١١٤، ح١٩٣.

(٣) وجه التضعيف لهذا الاستدلال أن النهي في هذه الرواية ليس عن التكلّم بين المغرب ونافلتها، بل بين أجزاء النافلة (منه).

(٤) مدارك الاحكام ٢:١٤.

الشفق، ولا يزاحم بها العشاء سواء تلبّس بها أو لا، وربما قيل بامتداد وقتها إلى أن يبقى بعد المغرب وقبل الانتصاف مقدار أدائها، وقد مال إليه شيخنا في الذكرى، لكن كلام العلّامة ـ طاب ثراه ـ في المنتهى يدلّ على اتّفاق علمائنا

هو أيضاً ممنوع إذا أُريد بالكراهة ماهو مصطلح الاصوليين، نعم لو أُريد بها كون العبادة أقلّ ثواباً، فهي بمفهومها المخالفة تدلّ عليه، فتأمّل.

قوله: ولا يزاحم بها العشاء.

كيف يزاحم بها العشاء ووقت فضيلتها يمتدّ الى ثلث الليل، ووقت أدائها الى أن يبقى من انتصاف الليل قدر أربع ركعات.

قوله: وقد مال إليه شيخنا الشهيد في الذكرى.

مال الشهيد في الذكرى، وكذا في الدروس الى امتداد وقت نافلة المغرب بامتداد وقت المغرب، لأنّها تابعة لها كالوتيرة. والظاهر معه، لعدم مايدلّ على خروج وقتها بذهاب الشفق.

وما استدلّوا به عليه كلّه مدخول ضعيف لاعبرة به. والأولى هو الاتيان بنافلة المغرب بعدها متى أوقعها المكلّف من غير اعتبار شيء ممّا ذكروه في المشهور.

وتدلّ على ذلك صحيحة أبان بن تغلب، قال: صلّيت خلف أبي عبدالله عليه السَّلام بالمزدلفة، فقام فصلّى المغرب ثمّ صلّى العشاء الآخرة ولم يركع فيما بينهما، ثمّ صلّيت خلفه بعد ذلك بسنة، فلمّا صلّى المغرب قام فتنفّل بأربع ركعات ثمّ قام فصلّى العشاء الآخرة[1].

---

(١) تهذيب الاحكام ٥: ١٩٠، ح٩.

على أنّ آخر وقتها غيبوبة الشفق، فلا عدول حينئذٍ عن المشهور.

و إذا فات وقتها، فينبغي قضاؤها كسائر الرواتب، فعن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى يباهي بالعبد يقضي[1] صلاة الليل بالنهار، يقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي يقضي ما لم أفترض عليه، أُشهدكم أنّي قد غفرت له[2].

وظاهر أنّ من أفاض من عرفة بعد المغرب لا يمكنه الوصول الى المزدلفة والحمرة المغربيّة ـ وهي المراد بالشفق ـ باقية، وخاصّة بعد زمان صلاة المغرب فيها بعد الوصول اليها.

قوله صلّى الله عليه وآله: انّ الله يباهي.

المباهاة المفاخرة، وقوله «يقول يا ملائكتي» بيان للمباهاة.

قوله صلّى الله عليه وآله: يقضي صلاة الليل.

يمكن أن يقال: انّ تقييدها بالقضاء أولى من اطلاقها. أمّا أوّلاً، فلمطابقته الواقع. وأمّا ثانياً، فلأنّه أوفق بقوله «يا ملائكتي أُنظروا الى عبدي يقضي ما لم أفترض عليه» فانّه بيان للمباهاة، ولذلك ترك العاطف، وهو صريح في أنّ المباهاة انّما هي في حال القضاء لامطلقاً. ويمكن أن يجعل قوله «يقول يا ملائكتي» الى آخره استئنافاً بيانيّاً، كأنّه قيل: كيف يباهي الله بالعبد المذكور؟ قال يقول الى آخره.

---

(١) جملة «يقضي» في قوله صلّى الله عليه وآله «يباهي بالعبد يقضي صلاة الليل» صفةٌ للعبد وإن كان معرّفاً باللام، لأنّ المعرف بلام الجنس كالنكرة. ولك أن تجعلها حاليّة، لكنّ الوصفيّة أولى، إذ إطلاق المباهاة أولى من تقييدها بوقت القضاء، كما لا يخفى (منه).

(٢) من لايحضره الفقيه ١:٤٩٨.

وقد روي عنهم عليهم السَّلام في تفسير قوله تعالى: «والذين هم على صلاتهم دائمون»[١] أي: يداومون على صلاة السنَّة، فإن فاتتهم بالليل قضوها بالنهار، وإن فاتتهم بالنهار قضوها بالليل.

ثمّ لايذهب عليك أنّ جملة «يقضي» في قوله «أُنظروا الى عبدي يقضي» صفة للعبد، وهو معرّف بالاضافة، ولا يتمشّى الاعتذار الذي ذكره قدّس سرّه؛ إذ لا يمكن أن يقال: انّ المضاف الى المعرفة بالاضافة المعنويّة، وخاصّة إذا كان المضاف اليه من أعرف المعارف كالنكرة. ولا يمكن هنا جعلها حاليّة كما لايخفى، الّا أن يقال: انّ المقصود بالعبد هنا شخص لابعينه، فيجري مجرى المعّرف باللام الجنسيّة إذا اريد به فرد غير معيّن، كقوله:

* ولقد أمرّ على اللئيم يسبّني *

إذ لا يجوز جعل يسبّني حالاً، لأنّه يفوت الغرض المسوق له الكلام في هذا المقام، وهو الاشارة الى الحلم ورفعة الشأن وعلوّ المكان، فتأمّل.

وقوله «أُشهدكم» كأنه استئناف بيانيّ، قالت الملائكة: فما جزاؤه ياربّنا؟ قال: أُشهدكم أنّي قد غفرت له.

قوله: وقد روي عنهم.

ومثله مارواه الصدوق في الفقيه عن الصادق عليه السَّلام قال: كلّ ما فاتك بالليل فاقضه بالنهار، قال الله تبارك وتعالى «وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكوراً» يعني أن يقضي الرجل مافاته بالليل بالنهار، وما فاته بالنهار بالليل[٢]. وهذا بعمومه شامل للفريضة والنافلة.

---

(١) سورة المعارج: ٢٣.

(٢) من لايحضره الفقيه ١: ٤٩٦، ح١٤٢٥.

وينبغي عند الشروع فيها أن تفتتح الركعة الأُولى بالتكبيرات السبع مع أدعيتها الثلاثة، وتقرأ فيها بعد الحمد التوحيد ثلاثاً، وفي الثانية القدر، وإن شئت قرأت في الأُولى الجحد، وفي الثانية التوحيد، وإن اقتصرت على الحمد أجزأك، كما في سائر الرواتب. وينبغي الجهر بالقراءة فيها وفي جميع النوافل الليلية وتقول[1] بعد فراغك من الأُولين:

اَللّهُمَّ إنَّكَ تَرَى وَلاَ تُرَى، وأَنْتَ بِالمَنْظَرِ الأَعلَى، وَإنَّ إلَيْكَ

وفي تفسير علي بن إبراهيم باسناده عن جميل عنه عليه السَّلام قال: قال له رجل: جعلت فداك يابن رسول الله ربّما فاتتني صلاة الليل الشهر والشهرين والثلاثة، فأقضيها بالنهار أيجوز ذلك؟ قال: قرّة عين لك والله، قرّة عين لك والله، قالها ثلاثاً، انّ الله يقول «وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة» الآية، فهو قضاء صلاة النهار بالليل، وقضاء صلاة الليل بالنهار، وهو من سرّ آل محمَّد المكنون[2].

قوله: اللهمّ انّك تَرى ولا تُرى.

لـمّا كان قوله «ولا ترى» موهماً أنّ عدم رؤيته لخفائه، دفعه بهذه الجملة الحاليّة، فقال: وأنت بالمنظر الأعلى، فكان ينبغي أن ترى قبل كلّ شيء، وانّما لا ترى لا لخفائك بل لقصور في الرأي.

ويمكن أن يكون المراد أنّه تعالى لكونه مجرّداً غير ذي وضع، ولا متحيّز لا بالذات ولا بالعرض، وإن لم تره العيون والأبصار، الّا أنّه من حيث الآثار في غاية الظهور والحضور، حتّى قيل: مارأيت شيئاً قبله أو معه. فهو بهذه الملاحظة

---

(١) رواه ابن طاووس في مهج الدعوات بإسناده عن الباقر عليه السَّلام، قال: قال جبرائيل عليه السَّلام: يانبيّ الله اعلم أني لم أُحب نبيّاً من الانبياء كحبّي ايّاك ،فأكثر أن تقول: اللهم إنك ترى ولا تُرى، إلى قوله: أعوذ بك أن أذل وأُخزى ص ١٧٢.

(٢) تفسير القمّي ٢: ١١٦.

الرُّجْعَى وَالْمُنتَهَى، وَإنَّ لَكَ الْمَمَات وَالْمَحْيَا، وَإنَّ لَكَ الآخِرَة والأُوْلَى. اَللّهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بكَ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى، وَنأْتِيَ ما عَنْهُ تَنْهَى[1]، اَللّهُمَّ إنّي أَسأَلُكَ أَنْ تُصلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآل مُحَمَّدٍ، وأَسأَلُكَ الْجَنَّة بِرَحْمَتِكَ، وأَستَعِيذُ بكَ مِنَ النَّار بِقُدْرَتكَ، وَأَسأَلُكَ مِنَ الْحُور الْعِينِ بِعِزَّتِكَ، وَأَنْ تَجْعَلَ أَوْسَعَ رزْقِي عِنْدَ كِبَر سِنِّي، وَأَحْسنَ عَمَلِي عِنْدَ

يكون بالمنظر الأعلى، حيث يرى قبل كلّ شيء أو معه.

واعلم أنّ رؤيته تعالى ذاته وغيره انّما يكون بالعلم الحضوري الذي هو عبارة عن مشاهدة ذاته وغيره، من غير مسامتة ولا محاذاة، فانّ الرؤية في الحقيقة هي هذه المشاهدة الحضوريّة، ولا يشترط فيها وقوعها بالجارحة المخصوصة، والرؤية بهذا المعنى يجوز أن يحصل لغيره تعالى بالنسبة اليه.

قال المعلّم الثاني في فصوصه: كلّ ادراك يحصل بلا واسطة استدلال، فهو المختصّ باسم المشاهدة، وكلّ ما لايحتاج في ادراكه الى الاستدلال، فهو ليس بغائب بل هو شاهد، فادراك الشاهد هو المشاهدة، والمشاهدة: إمّا بمباشرة وملاقاة، وإمّا من غير مباشرة وملاقاة، وهذا هو الرؤية. والحق الاوّل تعالى لايخفى عليه ذاته، وليس ذلك باستدلال، فجاز على ذاته مشاهدة كماله من ذاته، فاذا تجلّى لغيره مغنياً عن الاستدلال وكان بلا مباشرة ولا مماسّة كان مرئيّاً لذلك الغير،انتهى.

فالمنفيّ من رؤيته تعالى انّما هو الرؤية بالبصر، كما أومأنا اليه فتأمّل.

قوله: وأحسن عملي.

لأنّ ملاك الأمر حسن الخاتمة. كما روي عنه صلّى الله عليه وآله: انّ

---

(١) ننهى: خ ل.

اقْتِراب أَجَلي، وأَطِلْ في طَاعَتِكَ وَمَا يُقرِّبُ مِنْكَ وَيُحظِي عِنْدَكَ وَيُزْلِفُ لَدَيْكَ عُمْري، وَأَحْسِنْ في جَمِيع أَحوالي وَأُموري مَعْرِفَتِي، وَلاَ تكِلْني إلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، وَتَطوَّل عَلَيَّ بِقَضاء جَمِيع حَوَائِجي لِلدُّنْيا وَالآخِرَة، وابْدَأْ بِوَالديَّ وَولدِي وَجَمِيع إخْوانِي المُؤْمنينَ[١] في جمِيع[٢] ما سأَلتُكَ لِنَفْسِي، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ.

العبد ليعمل عمل أهل النار وانّه من أهل الجنّة، وانّه ليعمل عمل أهل الجنّة وانّه من أهل النار، وانّما الأعمال بالخواتيم[٣]. ونعم ما قال العارف الشيرازي في هذا المعنى بالفارسية:

مى ومستورى ومستى همه برعاقبت است	كس ندانست كه آخربه چه حالت برود
گروى آخرعمرازمى ومعشوق بگير	حيف ايام كه يك سربه بطالت برود

قوله: وابدأ بوالديّ وولدي.

قدّم غيره في الدعاء وعمّم ليكون أسرع الى الاجابة، كما ورد: اذا دعا أحدكم فليعمّ لأنّه أوجب للدعاء[٤].

وعنه صلّى الله عليه وآله: ما من مؤمن دعا للمؤمنين الّا ردّ الله عليه مثل الذي دعا لهم به من كلّ مؤمن ومؤمنة مضى من أوّل الدهر، أو هو آت الى يوم القيامة، وانّه ليؤمر به الى النار يوم القيامة فيسحب فيقول المؤمنون والمؤمنات: ياربّ انّ هذا الذي كان يدعو لنا فشفّعنا فيه، فيشفعهم الله فيه فينجو[٥].

---

(١) والمؤمنات: خ ل.

(٢) أي: اعط جميع ما سألتك لنفسي لهؤلاء قبل أن تعطيني (منه).

(٣) كنز العمال ١:١٢٥، ح٥٩٠.

(٤) اصول الكافي ٢:٤٨٧، ح١.

(٥) اصول الكافي ٢:٥٠٨، ح٥.

تتمّة:

وبعد فراغك ممّا يتعلّق بالركعتين الأُوليين من نافلة المغرب تشرع في الركعتين الأخيرتين، وتقرأ في أُولاهما بعد الحمد أوّل سورة الحديد:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّماوَاتِ والأَرضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرض في سِتَّةِ أَيَّام ثُمَّ اسْتَوى عَلَى

وعن سيّدنا الصادق عليه السَّلام: أسرع الدعاء نجاحاً للاجابة دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب، يبدأ بالدعاء لأخيه، فيقول له ملك موكّل به: آمين ولك مثلاه[١].

قوله تعالى: في ستّة أيّام.

انّما خلقهما كذلك مع أنّه كان قادراً على خلقهما في أقصر من لحظ الطرف، تعليماً للعباد أن لا يعجلوا في الأُمور ويتأنّوا فيها، لأنّ من يعلم عواقب الامور كلّها اذا تأنّى فيها كان من لايعلمها أصلاً أولى بذلك. ولذلك ورد انّ العجلة من الشيطان. وهذا دأبه تعالى في جميع أُموره، فانّه ذو أناة لا يعجل.

والمراد بالعرش هنا ماسوى الله تعالى، وبالاستواء الاستيلاء، كما في قوله:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف و دم مهراق

وفي كتاب الاحتجاج عن الحسن بن راشد، قال سئل أبوالحسن موسى

---

(١) اصول الكافي ٢:٥٠٧، ح٤.

الْعَرش يَعْلَمُ مَا يَلجُ في الأَرْض وَمَا يَخْرُجُ مِنْها وَمَا يَنْزلُ مِنَ السَّماء وَمَا يَعْرُجُ فِيها وَهَو مَعكُمْ أينَمَا كُنْتُمْ والله بما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ* لَهُ مُلْكُ السَّمَواتِ وَالأَرْض وَإلَى الله تُرْجَعُ الأمُورُ* يُولجُ اللَّيْلَ في النَّهار وَيُولجُ النَّهارَ في اللَّيْلِ وَهُوَعليمٌ بِذَاتِ الصدُور.

وتقرأ في الثَّانية آخر سورة الحشر: لَوْ أنزَلْنا هذَا القُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ

عليه السَّلام عن قوله تعالى «الرحمن على العرش استوى»[1] فقال: استولى على مادقّ وجلّ[2].

وفي كتاب التوحيد عن أبي عبدالله عليه السَّلام حديث، وفيه سأله السائل عن هذه الآية، قال عليه السَّلام: بذلك وصف نفسه، وكذلك هو مستول على العرش بائن عن خلقه[3].

وفي روايات كثيرة عنه عليه السَّلام بعد أن سئل عن هذه الآية، فقال: استوى من كلّ شيء، فليس شيء أقرب اليه من شيء، لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب[4].

وفي الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السَّلام: يعني استوى تدبيره وعلا أمره[5].

قوله تعالى: لو أنزلنا هذا القرآن الى آخره.

هذا وصف لقساوة قلب الكافر، حيث لم يلن لمواعظ القرآن الذي لو نزل

---

(١) سورة طه: ٥.

(٢) نور الثقلين ٣: ٣٧١، ح٢٧ عن الاحتجاج.

(٣) التوحيد: ٢٤٨.

(٤) التوحيد: ٣١٥، ح٢.

(٥) نورالثقلين ٣: ٣٧٠، ح٢٦ عن الاحتجاج.

خَاشِعاً مُتَصدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُم يَتَفكَّرُونَ ۞ هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ هوَ الرَّحمانُ الرَّحيمُ ۞ هُوَ اللهُ الذي لاَ إِلهَ إِلَّا هُوَ الْمِلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤمِنُ الْمُهيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكبِّرُ سُبْحانَ اللهِ عَمَّا يُشرِكُونَ ۞ هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِىءُ الْمُصوِّرُ لَهُ الأَسْماءُ الْحُسْنَى يُسبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحكِيمُ.

وتقول في السجدة الأخيرة من هاتين الركعتين سبع مرات:

اَللّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَاسْمِكَ الْعَظِيمِ، وَمُلْكِكَ الْقَدِيمِ، أَنْ تُصلِّيَ عَلَى مُحمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وأَنْ تَغْفِرَلِي ذَنْبِيَ الْعَظِيمَ، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذَّنبَ الْعَظِيمَ إِلَّا الْعَظِيمُ.

فإذا فرغت من الركعات الأربع، فلا مانع من إكمال التعقيب ببعض ما مرَّ في تعقيب الصبح، فإنّه ممّا يُدعى به في الصباح والمساء، كما نبّهنا عليه هناك .

فصل

وإن اتَّسع وقتك ، فادعُ عقيب نافلة المغرب بهذا الدعاء:

على جبل وكان له به شعور، لتخشّع لمنزلته وانصدع وتفرّق من خشيته، مع غلظه طبعاً وكبره جسماً، فكان الكافر أحقّ بهذا لو عقل وتدبّر فيما فيه من الاحكام ونصائح الملك العلّام، ولكنّه أخلد في الأرض واتّبع هواه، فصار قلبه أشدّ قسوة من الحجارة، فانّ منها لما يهبط من خشية الله.

هذا وعنه صلّى الله عليه وآله: من قرأ آخر الحشر غفر له ماتقدّم من ذنبه

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ اَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، السِّراجِ الْمُنِيرِ، الطُّهْرِ الطَّاهِرِ، خَاتمِ أَنْبِيَائكَ، وَسَيِّدِ أَصْفِيَائكَ، وَخَالِصِ أَخِلَّائكَ، ذِي الْمَقامِ المَحمودِ، وَالمَنْهَلِ الْمَشْهُودِ، وَالحَوضِ المَوْرُودِ. اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ كَمَا بَلَّغَ رِسَالَتَكَ، وَجاهَدَ فِي سَبِيلِكَ، وَنَصحَ لأُمَّتِهِ حَتَّى أَتاهُ اليَقِينُ، وَصَلِّ عَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ الأَخيَارِ، الأَتقِيَاءِ الأَبرَارِ، الَّذِينَ انْتَجَبْتَهُمْ لِنَفْسِكَ، وَاصْطَفَيْتَهُمْ مِنْ خَلْقِكَ، وَأَمنْتَهُمْ عَلَى وَحْيِكَ، وَجَعلْتَهُمْ خُزَّانَ عِلْمِكَ وَتَراجِمَةَ وَحْيِكَ، وأَعْلامَ نُورِكَ وَحَفَظَةَ سِرِّكَ، وأَذْهبتَ عَنهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرتَهُمْ تَطْهِيراً.

وما تأخّر[١].

وعنه صلّى الله عليه وآله: من قال حين يصبح ثلاث مرّات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر الحشر وكّل الله به سبعين ألف ملك يصلّون عليه حتّى يمسي، فان مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قال حين يمسي كان بتلك المنزلة[٢].

وفي كتاب طبّ الائمّة عن سيّدنا الصادق عليه السّلام: انّ هذه الآية لكلّ ورم في الجسد يخاف الرجل أن يؤول الى شيء، فاذا قرأتها فاقرأها وأنت طاهر قد أعددت وضوءك لصلاة الفريضة، فعوّذ بها ورمك قبل الصلاة ودبرها، وهي «لو أنزلنا» الى آخر السورة، فانّك اذا فعلت ذلك على ماحدّ لك سكن الورم[٣]. وبهذا المعنى روايات أُخر.

---

(١) مجمع البيان ٥:٢٦٦.

(٢) مجمع البيان ٥:٢٦٦.

(٣) نورالثقلين ٥:٢٩٣، ح٧٩ عن طبّ الائمّة.

اَللّهُمَّ انْفَعْنَا بِحُبِّهِمْ واحْشُرنَا فِي زُمْرتِهِمْ، وَتَحْتَ لِوَائِهِمْ، وَلاَ تُفَرِّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، وَاجْعَلْنِي بِهِمْ عِنْدَكَ وَجِيهاً في الدُّنْيَا والآخِرَة، وَمِنَ المُقَرَّبِينَ الَّذِينَ لاَ خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحزَنُونَ. الحَمْدُ لله الَّذِي

قوله: اللهمّ انفعنا بحبّهم.

بأن نموت عليه، فيكون المراد طلب الموافاة والاستمرار على حبّهم الى يوم الوفاة، والّا فحبّهم نافع لاحاجة في نفعه الى استدعائه.

روي في الكشّاف: قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من مات على حبّ آل محمَّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمَّد بشّره ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمَّد يزفّ الى الجنّة كما تزفّ العروس الى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمَّد فتح له في قبره بابان الى الجنّة، ألا ومن مات على حبّ آل محمَّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمَّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمَّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمَّد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمَّد لم يشم رائحة الجنّة[1].

وهذا الحديث الذي رواه هذا الناصبي يدلّ على أنّ المراد بآله عترته الطاهرة من أهل العصمة لا أُمّته ولا عشيرته، ولا من حرّم عليه الزكاة من بني هاشم وعبدالمطّلب، كما عليه علماء العامّة، فانّ حبّ هؤلاء المذكورين لايثمر مثل هذه الثمرات المونقة المذكورة في هذا الحديث الشريف من الشهادة والبشارة والزفّ الى الجنّة زفّ العروس، والفتح في قبره بابين الى الجنّة، وكونه مزار

---

(١) الكشاف ٣:٤٠٣، ط مصر.

أَذهَبَ النَّهارَ بِقُدرَتِهِ، وَجاء باللَّيْلِ برحْمَتِهِ خَلْقاً جَدِيداً، وَجَعَلَهُ لِباساً وَسَكَناً، وَجَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهارَ آيَتيْنِ لِنَعْلَمَ بِهما عَدَدَ السِّنينَ والْحِسابِ. الحَمْدُ لله عَلى إقْبالِ اللَّيْلِ وإدْبَار النَّهار.

ملائكة الرحمة وموته على السنّة والجماعة، وكذلك بغضهم لايورث اليأس من رحمة الله والموت كافراً وعدم شمّ رائحة الجنّة، وهو ظاهر فخذه بيد غير قصيرة وكن من الشاكرين والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على رسوله وآله المعصومين.

قوله: وجاء بالليل برحمته.

الليل هو الزمان الذي يقع مابين غروب الشمس وطلوع الفجر الثاني، أو مابين غروبها وهو مدّة كون مخروط ظلّ الأرض فوق الافق، فكونه خلقاً ظاهر، وكذا كونه من رحمته تعالى، وذلك للحاجة الى الظلمة، لهدوء الحيوان وراحة الأبدان وبرد الهواء على النبات وغيرها من الفوائد المترتّبة على وجوده، فقوله «وجعله لباساً وسكناً» كالتفسير لكونه رحمة.

وقد سبق أنّ الدين اسم لما شرع الله لعباده على لسان الأنبياء، ليتوصّلوا بها الى جوار الله، فاصلاحه بالتوفيق على القيام بلوازمه والاقدام على الأوامر والاحجام عن النواهي: إمّا عين اصلاح الآخرة، أو ملزوم له، فالفقرة الثانية كالتأكيد للأُولى.

وقوله «عصمة أمري» أي: مايعصمني من المهالك يوم القيامة، والمراد بالأمر أمر الآخرة.

وفي ملحقات الصحيفة الكاملة في دعاء يوم الثلاثاء: اللهمّ أصلح لي ديني فانّه عصمة أمري، وأصلح لي آخرتي فانّها دار مقرّي، واليها من مجاورة اللئام

اَللّهُمَّ صلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ[1]، وأَصْلحْ لِي دِينِي الَّذي هُوَ عِصْمَةُ أَمْري، وأصلحْ لِي آخِرَتِي الَّتي إلَيْها مُنقَلَبِي، وَاجْعَلِ الْحيَاة زيَادَة لِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، واجْعَلِ المَوْتَ راحَةً لِي مِن كُلِّ سُوءٍ، واكْفِني أمرَ دُنيَايَ وآخِرَتي، بِمَا كَفيْتَ بِهِ أَوليَاءكَ وَحِزْبَكَ مِنْ عِبادِكَ الصَّالِحينَ، واصْرفْ عَنّي شَرَّهُمَا وَوَفِّقْنِي لِمَا يُرضِيكَ عَنّي ياكَريمُ. أَمْسيْنا والمُلْكُ لله الوَاحِدِ الْقهَّار، وَمَا فِي اللَّيْلِ وَالنَّهار.

اَللّهُمَّ إنِّي وَهذَا اللَّيْلُ وَالنَّهارُ خَلْقَانِ مِنْ خَلْقِكَ، فَاعْصِمْنِي فِيهما بِقُوَّتِكَ، وَلاَ تُرهمَا جُرأَة مِنِّي عَلَى مَعَاصِيكَ، وَلاَ رُكوباً لِمحارمكَ، واجْعَلْ عَمَلِي فِيهِمَا مَقبُولاً، وَسعْيِي مَشكُوراً، وَسَهِّل لي مَا أَخَافُ عُسرَهُ، واقْضِ لِي فِيهِ بِالحُسنَى، وَآمِنِّي مَكْرِكَ، وَلاَ تَهْتِكْ عَنِّي

مفرّي، واجعل الحياة زيادة لي في كلّ خير، والوفاة راحة لي من كلّ شرّ.

فالظاهر أنّ كلمة «من» في قوله «من كلّ خير» بمعنى «في» كما في قوله تعالى «إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة»[2] والظرفيّة مجازيّة، مثل قولهم «النجاة في الصدق».

قوله: ولا ركوباً لمحارمك.

شبّه محارم الله تعالى بالمركوب، وأثبت له الركوب، فالأوّل مكنية، والثاني تخييليّة.

---

(١) وآله: خ ل.

(٢) سورة الجمعة: ٩.

سِتْرِكَ ، وَلاَ تُنْسِنِي ذِكْرَكَ ، وَلاَ تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ حولكَ[١] وَقوّتكَ ، وَلاَ تُلْجِئْنِي إِلَى نَفْسِي طَرفَةَ عَيْنٍ أَبداً، وَلاَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ يَا كَرِيمُ.

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وافْتَحْ مَسامعَ قَلْبِي لِذِكركَ ، حتّى أَعِيَ وَحيَكَ ، وأَتَّبعَ أمرَكَ ، وأَجتنبَ نَهْيَكَ . اَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحمَّدٍ[٢] ، وَلاَ تَصْرفْ عَنِّي وَجْهَكَ ، وَلاَ تمنَعْنِي فَضْلَكَ ، ولاَ تَحرِمْنِي عَفوَكَ ، وَاجْعَلْنِي أُوَالي أَولياءكَ ، وَأُعَادِي أَعداءكَ ، وارْزُقنِي الرَّهبَةَ مِنْكَ ، والرَّغبَةَ إِلَيْكَ ، والتَّسليمَ لأَمركَ ، والتَّصدِيقَ

قوله: وافتح مسامع قلبي.

فتح القلب لذكر الله مجاز عن عدم ذهوله وغفوله عنه وميله اليه واقباله بتوفيق الله عليه، كما أنّ ختمه مجاز عن غفلته واعراضه عنه، وعدم توجّهه والتفاته اليه، والّا فلا فتح ولا ختم على الحقيقة.

وفيه دلالة على أنّ ذكر الله وعدم الغفلة عنه ممّا يعين على فهم الحقائق ودرك الدقائق.

في حديث سليمان بن خالد، قال: قال لي أبوعبدالله عليه السّلام: ياسليمان انّ لك قلباً ومسامع، وإنّ الله إذا أراد أن يهدي عبداً فتح مسامع قلبه، واذا أراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه، فلا يصلح أبداً، وهو قول الله عزّوجلّ «أم على قلوب أقفالها»[٣].

---

(١) قد مرَّ في آخر الباب الأول تفسير أنّ للحول والقوّة في قولنا: «لا حول ولا قوة إلّا بالله» والتفسير الثاني هو المراد هنا، والإضافة في قوتك لأدنى ملابسة فتأمّل (منه).

(٢) وآله: خ ل.

(٣) نورالثقلين ٥: ٤١، ح٦٥.

بِكتابكَ، واتِّباعَ سُنَّةَ نَبيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ.
اَللّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لاَ تَقنَعُ، وَبَطْنٍ لاَ يَشبَعُ، وَعَيْنٍ لاَ

قوله: من نفس لا تقنع الى آخره.

قنع يقنع قنوعاً وقناعة بالكسر إذا رضي، وقنع يقنع بالفتح قنوعاً اذا سأل، واليهما أشار من قال: العبد حرّإن قنع، والحرّ عبدإن قنع، فاقنع ولا تطمع، فما من شيء يشين سوى الطمع[1] قنع الأوّل بالكسر بمعنى رضي، والثاني بالفتح بمعنى سأل.

وقيل: القناعة الرضا بمادون الكفاف. وفسّرها المحقّق الطوسي -قدّس سرّه- بعدما عدّها من الأنواع المندرجة تحت العفّة الحاصلة من الاعتدال في القوّة الشهويّة، بأنّها رضا النفس في المآكل والملابس وغيرهما بما يسدّ الخلل من أيّ جنس اتّفق.

وقد ورد في شأن القناعة والحثّ عليها من الكتاب والسنّة ما لاحاجة الى ذكره. وقد فسّرت في الأخبار بأن تقنع بما تصيب من الدنيا، تقنع بالقليل وتشكر باليسير. وفي الحديث: القناعة كنزلا ينفد، عزّمن قنع، وذل من طمع.

نقل انّ رجلاً من حاشية سلطان رأى حكيماً يأكل ماتساقط على وجه الماء من البقل، فقال له: لو خدمت السلطان لم تحتج الى أكل هذا، فقال الحكيم: وأنت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان.

وبما ذكرناه ظهر أنّ القناعة من فضائل النفس وعدمها من رذائلها، ولذلك استعاذ بالله منه أوّلاً، ثمّ قال: وبطن لايشبع، كبطن معاوية وقصّته مشهورة، هذا اذا حمل على ظاهره. ويمكن حمله على الاستعاذة من شدّة الحرص

---

(١) نهج البلاغة: ٤٧٨، ح٥٧.

تَدْمَعُ، وَقَلْبٍ لاَ يَخشَعُ، وَصَلاةٍ لاَ تُرفَعُ، وَعَمَلٍ لاَ يَنفَعُ، ودُعاءٍ لاَ يُسْمعُ، وأَعوذُ بِكَ مِنْ سوءِ الْقَضاءِ، وَدرَكِ الشَّقَاءِ، وشَماتَةِ الأَعْدَاءِ، وجُهْدِ الْبَلاءِ، وَعمَلٍ لاَ يُرضَى. وَأَعوذُ بكَ مِنَ الْفقْرِ والكُفْرِ، والغَدْرِ

على جمع الدنيا، كما أُشير الى هذا المعنى بالفارسيّة:

حريص را نكند نعمت دو عالم سير چرا كه آتش سوزنده اشتها دارد

ثمّ لـمّا كان البكاء الى الله فرقاً وخوفاً وصفاً محموداً، وفيه دلالة على رقّة القلب التي هي دليل الاخلاص وجمود العين من القساوة المؤذنة بالبعد من الله، ياموسى لايطول في الدنيا أملك فيقسوقلبك وقاسي القلب منّي بعيد.

وقد ورد ما من شيء الاّ وله كيل ووزن الاّ الدموع، فانّ القطرة تطفىء بحاراً من النار، وما من قطرة أحبّ الى الله من قطرة دموع في سواد الليل مخافة من الله ولا يراد بها غيره.

استعاذ بالله من عين لا تدمع، والدمع ماء العين مطلقاً من حزن أو سرور، والمراد به هنا الاوّل، ولمّا كان الخشوع من أسباب الدموع ومن جملة عللها، فانّ من غفل قلبه عن الله كيف تدمع عينه مخافة منه، عقّبه به واستعاذ بالله من قلب لا يخشع. ناظر قلبم اگر خاشع بود.

قوله: وأعوذ بك من الفقر والكفر.

تقديم الاستعاذة من الفقر على الكفر يدلّ على شدّة الاحتراز منه، لأنّ الفقر كاد أن يكون سواد الوجه في الدارين. وفي بعض الآثار: أحسنوا تعهّد المال فانّه ما افتقر أحد قطّ الاّ أصابه ثلاث خلال: رقّة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب من مروّته، والرابعة هي العظمى، وهي استخفاف الناس به.

ومن كلام سيّدنا أمير المؤمنين عليه السّلام لابنه محمّد: يابنيّ انّي أخاف

وضِيقِ الصَّدْر، وسُوءِ الأَمْرِ، وَمِنْ بَلاءٍ لَيْسَ لِي بِهِ صَبْرٌ، وَمِنَ الدَّاءِ العُضَالِ، وَغَلبَةِ الرِّجالِ، وخَيبَةِ المُنقَلَبِ، وَسوءِ المَنظَرِ فِي النَّفْسِ وَالأَهْلِ وَالمالِ، والدِّينِ والوَلَدِ، وَعندَ معاينةِ مَلَكِ المَوْت. وَأَعُوذُ باللهِ مِنْ إنْسَانٍ سَوءٍ، وَجارِ سَوءٍ، وَقَرِينِ سَوءٍ، وساعة سَوءٍ، ومِنْ شَرِّ ما يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخرُجُ مِنْها، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّماء وَمَا يَعرُجُ فِيها، وَمِنْ شَرِّ طَوارق اللَّيْلِ وَالنَّهارِ، إلَّا طَارقاً يَطرُقُ بِخَيْرٍ، ومِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ رَبِّي

الفقر عليك، فاستعذ بالله منه، فانّه منقّصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت[1]. أي: مقت الخلق وبغضهم لصاحبه، كما قيل:

الناس أعداء لكلّ مدقّع ... صفر اليدين و أُخوّة للمكثر

وفي هذا المعنى قال بعض الشعراء:

فصاحة سحبان و خطّ ابن مقلة ... و حكمة لقمان و زهد ابن ادهم

اذا اجتمعت في المرء و المرء مفلس ... فليس له قدر بمقدار درهم

وقال الحكماء: المال يرفع صاحبه، وان كان وضيع النسب، قليل الأدب، وينصره وان كان جباناً، وينبسط لسانه وان كان عيّاً، به تظهر المروّة، وتتمّ الرئاسة، يصلك اذا قطعك الناس، وينصرك اذا خذلك الأقربون، ولولاه مامدح كريم ولا صين حريم، وقال الشاعر:

ولم أر بعد الدين خيراً من الغنى ... ولم أر بعد الكفر شرّاً من الفقر

فنعوذ بالله من الفقر.

قوله: ومن شرّ طوارق الليل والنهار.

أي: أعوذ بالله من شرّ من يدقّ باب داري بالليل والنهار الّا من يدقّه

---

(١) نهج البلاغة: ٥٣١، ح٣١٩.

آخذٌ بِنَاصِيَتِها، إنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاط مُسْتَقيمٌ فَسيكفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. الحَمْدُ للهِ الَّذِي قَضَى عنِّي صَلاةً كانَتْ عَلَى الْمُؤمنينَ كِتَاباً مَوقُوتاً.

ثمّ تقول(١):

اَللّهُمَّ إنِّي أسأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، أَنْ تُصلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآل مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَجعَلَ النُّورَ فِي بَصرَي، والبَصِيرَةَ في دِينِي، وَاليَقِينَ فِي قَلْبِي، والإخْلاصَ فِي عَمَلِي، والسَّلامَةَ فِي نَفْسِي، والسَّعَةَ فِي

بخير. وهذا يدلّ على أنّ الطارق يطلق على مطلق من يأتيك ويدقّ باب دارك بليل أو نهار، والمذكور في كتب اللغة هو الأوّل.

قال في النهاية: كلّ آت بالليل طارق، وقيل: أصل الطروق الطرق وهو الدقّ، وسمّي الآتي بالليل طارقاً لحاجته الى دقّ الباب، ومنه الحديث: أعوذبك من طوارق الليل الّا طارقاً يطرق بخير(٢) انتهى.

وفي القاموس: الطرق الضرب أو بالمطرقة بالكسر والا تيان بالليل(٣).

ويمكن حمل ما في الدعاء على التغليب.

قوله: والسلامة في نفسي.

من الكبر والحقد والحسد والغلّ والغرور والحرص وحبّ المال والجاه،

---

(١) روى ثقة الإسلام في الكافي عن الجعفي عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: كنت كثيراً ما أشكو عيني، فشكوت ذلك إلى أبي عبدالله عليه السَّلام فقال: ألا أُعلّمك دعاء لدنياك وآخرتك وبلاغاً لوجع عينيك؟ قلت: بلى. قال: تقول دبر الفجر ودبر المغرب: اللّهم إني أسألك أن تصلي على محمَّدٍ وآل محمَّد إلى آخر الدعاء.

(٢) نهاية ابن الأثير ٣: ١٢١. (٣) القاموس المحيط ٣: ٢٥٦.

رِزْقِي، والشكْرَ لَكَ أَبَداً مَا أَبقَيْتَنِي.

ثمّ تسجد سجدتَي الشكر وتقول فيها وبعدهما مامرَّ، وأقلّ مايجزي أن تقول في كلّ منها: شُكراً شكراً شكراً[١] وقد روي فعلها بعد نافلة المغرب[٢]، وفي

وغيرها من دواعي النفس ومشتهياتها البهيميّة والسبعيّة. وظاهر أنّ طلب السلامة عن هذه الآفات التي هي بمنزلة الكلاب العادية والحيّات الضارية الموجبة للهلاك الأبدي والعذاب السرمدي أهمّ من سائر المطالب ويستلزم أكثرها، فانّ من سلمت نفسه عن هذه الآفات حصلت له البصيرة في دينه واليقين في قلبه والاخلاص في عمله، والشكر لله في جميع ما أنعم به عليه لرضا نفسه بذلك.

قوله: أبداً ما أبقيتني.

أي: مدّة بقائي، وهو قيد لجميع ماسبق من المطالب الضروريّة التي لاغنى عنها.

قوله: وقد روي فعلها الى آخره.

رواه الشيخ عن حفص الجوهري، قال: صلّى بنا أبوالحسن عليه السَّلام صلاة المغرب، فسجد سجدة الشكر بعد السابعة، فقلت له: كان آباؤك يسجدون بعد الثلاثة، فقال: ماكان أحد من آبائي يسجد الّا بعد السبعة[٣].

---

(١) مائة مرة: خ.

(٢) روى رئيس المحدّثين في الفقيه عن جهم بن أبي جهم، قال: رأيت أباالحسن موسى بن جعفر عليهماالسَّلام وقد سجد بعد الثلاث ركعات من المغرب، فقلت: جعلت فداك رأيتك سجدت بعد الثلاث؟ فقال: ورأيتني؟ قلت: نعم. قال: فلا تدعها فإنّ الدعاء فيها مستجاب.

(٣) تهذيب الاحكام ٢:١١٤، ح١٩٤.

بعض الروايات فعلها قبلها.

وبعد فراغك من ذلك تقوم إلى ركعتَي ساعة الغفلة فتقرأ في الأولى بعد الحمد:

وَذَا النُّون إذْ ذَهَبَ مَغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقدِرَ عَلَيْهِ فَنادَى فِي الظُّلمَاتِ أَنْ لاَ إلهَ إلَّا أَنتَ سُبحَانَكَ إنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمينَ * فَاستَجبْنَا لَهُ وَنَجَّيناهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذلِكَ نُنجي المُؤمنينَ.

وفي الثانية بعد الحمد: وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُها إلَّا هُوَ وَيَعلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْر وَمَا تَسقُطُ مِنْ وَرَقةٍ إلَّا يَعلَمُها وَلاَ حبَّةٍ في ظُلُماتِ ألارْض وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إلَّا في كِتابٍ مُبِين.

ثم تقنتْ، فتقول:

اَللّهُمَّ إنِّي أَسأَلكَ بِمَفاتح الْغَيبِ الَّتي لاَ يَعلَمُها إلَّا أَنتَ، أَنْ تُصلِّيَ عَلى مُحمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وأَنْ تفعلَ بِي كذا وكذا.

ثمّ تقول:

اَللّهُمَّ أَنتَ وَليُّ نِعْمَتِي، وَالقَادرُ عَلَى طَلِبَتِي، تَعلَمُ حاجَتِي،

وفي السند ضعف.

وروى جهم بن أبي جهم، قال: رأيت أباالحسن موسى عليه السَّلام وقد سجد بعد الثلاث الركعات من المغرب، فقلت له: جعلت فداك رأيتك سجدت بعد الثلاث، فقال: ورأيتني؟ فقلت: نعم، قال: فلا تدعها فانّ الدعاء فيها مستجاب[١].

والظاهر أنّ المراد به سجدة الشكر، والكلّ حسن.

---

(١) تهذيب الاحكام ٢:١١٤، ح١٩٥.

فأَسأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلامُ، لَمَّا قَضَيتَها لِي. وتسأل حاجتك.

فقد روى هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السَّلام: أنّ من صلّى هاتين الركعتين بين العشاءين، ودعا بهذا الدعاء، وسأل الله حاجة أعطاه الله ما سأل[١].

واعلم أنّه قد اشتهر تسمية هاتين الركعتين بركعتَي الغفيلة، وركعتي الغفلة، وركعتي ساعة الغفلة. ووجّه ذلك أنّ الساعة التي تصلّى هاتان الركعتان فيها وهي مابين المغرب والعشاء تسمّى ساعة الغفلة.

روى[٢] رئيس المحدّثين في الفقيه عن الباقر عليه السَّلام أنّه قال: إنّ إبليس إنّما يبث جنوده، جنود الليل، من حين تغيب الشمس إلى مغيب الشفق، ويبثّ جنود[٣] النهار من حين يطلع الفجر إلى مطلع الشمس، وذكر أنّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله كان يقول: أكثروا ذكر الله عزّوجلّ في هاتين

قوله في الحاشية: نقل الشيخ في مجمع البيان الى آخره.

ومثله ما في عيون الاخبار باسناده الى علي بن محمّد بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السَّلام، فقال له المأمون: ياابن رسول الله أليس من قولك انّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، قال: فأخبرني عن

---

(١) مصباح المتهجد: ٩٤.

(٢) لا يخفى أن هذا الحديث يدل على أنّ الوقت الموظّف لركعتي الغفيلة آخره مغيب الشفق، كما سيجيء (منه).

(٣) نقل الطبرسي في مجمع البيان عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى حكاية عن موسى: «ودخلَ المدينة على حين غفلة من أهلها» أنّ دخوله عليه السَّلام كان فيما بين المغرب والعشاء (منه).

جنود الليل، فطالت لذلك مدّة بثّهم (منه).

الساعتين، وتعوّذوا بالله عزّوجلّ من شر إبليس وجنوده، وعوّذوا صغاركم في هاتين الساعتين[١]،فإنهما ساعتا غفلة[٢].

قول الله «فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان»[٣] قال الرضا عليه السَّلام: انّ موسى عليه السَّلام دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها، وذلك بين المغرب والعشاء، فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه فقضى عليه السَّلام على العدوّ بحكم الله تعالى ذكره فوكزه فمات، قال: هذا من عمل الشيطان يعنى الاقتتال الذي كان وقع بين الرجلين، لا مافعله موسى عليه السَّلام من قتله،الحديث[٤].

قوله صلّى الله عليه وآله: وتعوّذوا بالله عزّوجلّ.

أي: قولوا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولقّنوا صغار أولادكم أن يقولوها، أو قولوا أنتم نرقيكم ونعيذكم بالله من كلّ شيء يؤذيكم ومن شرّ الشيطان الرجيم.

قوله في الحاشية: انّما صارت ساعة بثّ جنود النهار الى آخره.

الظاهر أنّ جنوده النهاريّة تعود اليه حين تغيب الشمس ليخبروه بما فعلوه في نهارهم هذا من اغواء بني آدم واضلالهم وايقاعهم في المعاصي، فعند ذلك

---

(١) إنّما صار ساعة بثّ جنود النهار أطول من ساعة بثّ جنود الليل، لأنّ إغواء الناس وإيقاعهم في المعاصي بالنهار أكثر منه بالليل، لأنّ أكثرهم ينام، فاحتاج الإغواء في النهار إلى جنود أكثر من

(٢) من لا يحضره الفقيه ١:٥٠١ ـ ٥٠٢.

(٣) سورة القصص: ١٥.

(٤) عيون أخبار الرضا ١:١٩٨ ـ ١٩٩.

وروى شيخ الطائفة في التهذيب عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: قال

يبثّ جنوده الليليّة. وكذا جنوده الليليّة ترجع اليه حين طلوع الفجر ليخبروه بذلك، فيبثّ جنوده النهاريّة.

والأظهر أنّ اللعين يبثّ أوّلاً جنوده النهاريّة مثلاً، فاذا وصلوا مكان الليليّة واشتغلوا بالاغواء والاضلال، عاد هؤلاء الى اللعين. وكذا الكلام في الجنود الليليّة، والّا كان الظاهر أن يكون بنو آدم مدّة بثّه الجنود أقلّ غفلة ممّا بعدها، لفراغهم في مدّة هذه كلّاً أو بعضاً عن سبب الغفلة وهو الاغواء.

وظاهر الحديث يفيد خلافه، حيث سمّاها ساعة الغفلة، وأُمر فيها بالاستعاذة وذكر الله كثيراً، ليدفعوا بذلك شرّ ابليس وجنوده طول الليل والنهار، ويكون جنّة واقية منه، فلا يمكنهم الاغواء والايقاع في المعاصي، فمن غفل عنه في هاتين الساعتين سلّط عليهم ابليس جنوده، ويعدهم ويمنّيهم وما يعدهم الّا غروراً، فنعوذ بالله من شرّه وشرور جنوده.

قوله: عن الصادق عليه السَّلام.

لعلّ هذا ممّا زاغ منه البصر وغفل عنه النظر، والّا فالمذكور في التهذيب في آخر باب فضل الصلاة والمفروض منها والمسنون هو الباقر عليه السَّلام. والرواية ضعيفة السند. روى الشيخ باسناده عن أبي جعفر عن أبيه عن وهب أو عن السكوني عن جعفر عن أبيه عليه السَّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: تنفّلوا في ساعة الغفلة، الحديث[1]. فالمرويّ عنه في هذا السند هو الباقر لا الصادق عليهما السَّلام، والأمر فيه هيّن.

---

(١) تهذيب الاحكام ٢:٢٤٣، ح٣٢.

رسول الله صلّى الله عليه وآله: تنفَّلوا في ساعة الغفلة ولو بركعتين خفيفتين، فإنّهما يورثان دار الكرامة. قيل: يارسول الله وما ساعة الغفلة؟ قال: مابين المغرب والعشاء[١].

ولا يخفى أنّ الظاهر أنّ المراد بما بين المغرب والعشاء مابين وقت المغرب ووقت العشاء، أعني: مابين غروب الشمس وغيبوبة الشفق، كما يرشد إليه الحديث السابق، لا مابين الصلاتين. وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أنّ أول وقت العشاء غيبوبة الشفق كما سيجيء. ومن هذا يستفاد أن وقت أداء

قوله صلّى الله عليه وآله: دار الكرامة.

أي: الجنّة، سمّي به لكرامة أهلها وعزّتهم، والكريم العزيز، كما تقول فلان أكرم عليّ من فلان، أي: أعزّ، وقوله تعالى «انّه لقرآن كريم»[٢] أي: عزيز، والمكرّم المعظّم والمعزّز، أو لأنّ هذه الدار كرامة من الله وهديّة منه على أهلها، من قولهم لا يردّ الكرامة الاّ الحمار، ويقال كرامة لك بالفتح أي: عزّة وقدراً أو هديّة وجائزة.

قوله: انّ أوّل وقت العشاء.

المراد به وقت الفضيلة، والاّ فأوّل وقت العشاء اذا مضى من الغروب قدر صلاة المغرب، كما سيجيء. فعلى مافهمه الشيخ قدّس سرّه لابدّ له في الحديث المذكور من القول بحذف المضافين، أي: مابين وقت فضيلة المغرب ووقت فضيلة العشاء.

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٢٤٣، ح٣٢.

(٢) سورة الواقعة: ٧٧.

ركعتي الغفلة مابين الغروب[١] وذهاب الشفق، فإذا خرج ذلك صارت قضاء.

وممّا يُستحب فعله في ساعة الغفلة ركعتان يقرأ في الأُولى بعد الحمد الزلزال ثلاث عشرة مرّة، وفي الثانية بعد الحمد التوحيد خمس عشرة مرّة، فقد روى شيخ الطائفة عن الصادق عليه السَّلام أنّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله قال: مَن فعل ذلك في كلّ ليلة زاحمني[٢] في الجنّة، ولم يُحص ثوابه إلّا الله تعالى[٣].

وعلى القول بأنّ المراد به مابين الصلاتين، أي: صلاة المغرب وصلاة العشاء، كما يرشد اليه قوله عليه السَّلام في رواية هشام السابقة: من صلّى هاتين الركعتين بين العشائين[٤]. أي: بين الصلاتين صلاة المغرب وصلاة العشاء، كما هو المتبادر منه، ويدلّ عليه صريحاً ما في نهاية ابن الأثير، وقيل لصلاة المغرب والعشاء العشاءان، فالمحذوف مضاف واحد. وهذا يرجّحه على الأوّل بعد تعارض المرشدين وتساقطهما.

ويؤيّده أيضاً الأصل والاستصحاب، فانّ بعد اليقين بدخول وقت الأداء فالأصل بقاؤها وامتداده الى أن يثبت خروجه، ولم يثبت بعد دخول وقت الأداء يقيني، وخروجه بما ذكره مشكوك فيه، والأصل بقاء ماكان على ماكان حتّى يظهر خلافه، فتأمّل.

قوله صلّى الله عليه وآله: زاحمني في الجنّة.

في القاموس: زحمه كمنعه ضايقه[٥]، فمعنى زاحمني في الجنّة ضيّق مكاني

---

(١) المغرب: خ ل.

(٢) المزاحمة في هذا الحديث كناية عن شدة القرب (منه).

(٣) مصباح المتهجّد: ٩٤.

(٤) مصباح المتهجد: ٩٤.

(٥) القاموس المحيط ٤: ١٢٤.

توضيح:

«وأصوات دعاتك» بالتاء الفوقانيّة جمع داعٍ «يُحظي عندك» بالحاء المهملة والظاء المعجمة على وزن يُعطي، أي: يوجب الحظ.

«يُزلف» على وزن يُكرم، أي: يقرِّب.

«والمنهل المشهود» المنهل: موضع النهل بفتحتين، وهو أوّل الشرب، والمراد بالمنهل هنا حوض الكوثر، فعطفُه عليه تفسيري.

فيها، كما أنّي ضيّقت مكانه فيها؛ إذ المفاعلة بين الطرفين. وهذا كمال المبالغة في القرب المكاني بينهما، ولا يكون ذلك الّا بكثرة الثواب، ولذلك لايحصي ثوابه الّا الله.

قوله: جمع داع.

كرماة وهداة جمع رام وهاد.

قوله: أي يوجب الحظ.

الظاهر أنّ يقرّب ويحظي ويزلف ألفاظ مترادفة أو متقاربة، وليس يحظّي من الحظّ.

قال ابن الأثير في النهاية: وفي حديث عائشة «تزوّجني رسول الله صلّى الله عليه وآله في شوّال وبنىٰ بي في شوّال فأيّ نسائه كان أحظى منّي» أي أقرب اليه منّي وأسعد به[1].

وفي خطبة لعليّ عليه السَّلام: وصلّى الله على محمَّد صلاة تزلفه وتحظيه.

---

(١) نهاية ابن الأثير ١:٤٠٥.

«حتّى أتاه اليقين» المراد باليقين الموت. وبه فسّر قوله تعالى: «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين»[١].

«وتراجمة وحيك» بالتاء المثنّاة الفوقانية ثمّ الراء المهملة ثم الألف ثم الجيم

قوله: المراد باليقين الموت.

إمّا لأنّ الموت البدني يقين لا شكّ فيه، لقوله «انّك ميّت وانّهم ميّتون»[٢] وقوله «كلّ نفس ذائقة الموت»[٣] أو لأنّه يكشف به الغطاء فيحصل به اليقين، فيكون من قبيل ذكر المسبّب وارادة السبب، والأوّل أنسب، كذا خطر بخاطري، ثمّ رجعت الى البيضاوي فوجدته مصرّحاً بذلك، حيث قال بعد قوله «واعبد ربّك حتّى يأتيك اليقين»[٤] أي: الموت فانّه متيقّن لحاقه كلّ حيّ مخلوق، والمعنى واعبده مادمت حيّاً ولا تخل بالعبادة لحظة.

قوله: وتراجمة وحيك.

المراد بالوحي هنا القرآن، وبكونهم مترجمين له عالمون به وبما فيه من البطون، كما يدلّ عليه قول سيّدنا أمير المؤمنين عليه السّلام في كلام مذكور في نهج البلاغة وفنون البراعة: انّا لم نحكّم الرجال وانّما حكّمنا القرآن، هذا القرآن انّما هو مسطور[٥] بين الدفّتين، لاينطق بلسان، ولابدّ له من ترجمان، وانّما ينطق عنه الرجال[٦].

---

(١) سورة الحجر: ٩٩.

(٢) سورة الزمر: ٣٠.

(٣) سورة آل عمران: ١٨٥.

(٤) سورة الحجر: ٩٩.

(٥) في النهج: مستور.

(٦) نهج البلاغة: ١٨٢، رقم الكلام: ١٢٥.

مكسورة ثم ميم ثم هاء، جمع ترجمان وهو المترجم، أي: المفسّر للسان بلسان آخر.

وقول سيّد العابدين عليه السَّلام: اللّهم انك أنزلته على نبيّك محمَّد مجملاً، وألهمته علم عجائبه مكمّلاً، و ورثتنا علمه مفسّراً، وفضّلتنا على من جهل علمه، وقوّيتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله، اللهمّ فكما جعلت قلوبنا له حملة وعرّفتنا برحمتك شرفه وفضله، فصلّ على محمَّد الخطيب به وعلى آله الخزّان له الدعاء[١].

وقد انعقد الاجماع منّا على أن أميرالمؤمنين وأوصيائه المعصومين عليهم السَّلام علموا جميع ما في القرآن علماً قطعيّاً بتأييد الهيّ وتعليم نبويّ، والعقل في ذلك طابق النقل، وذلك لأنّ الامام إذا لم يعلم جميع ما في القرآن لزم منه اهمال الخلق وبطلان الشرع وانقطاع الشريعة، وكلّ ذلك باطل.

والأخبار في ذلك من الطريقين أكثر من أن تحصىٰ، فمّا ورد في طريق العامّة مارواه أبو نعيم في حلية الأولياء عن ابن مسعود، قال: انّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، وما منها حرف الاّ وله ظهر وبطن، وإن علي بن أبي طالب عليه السَّلام عنده منه الظاهر والباطن[٢] قال: وفي رواية أُخرى عن علي عليه السَّلام قال: والله مانزلت آية الاّ وقد علمت فيم أُنزلت وأين أُنزلت، انّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً.

وفي الكافي عن الباقر عليه السَّلام: ما يستطيع أحد أن يدّعي أنّ عنده جميع القرآن كلّه ظاهره وباطنه غير الأوصياء.[٣]

وعنه عليه السَّلام من علم ما أُوتينا تفسير القرآن[٤].

---

(١) الصحيفة السجاديّة، رقم الدعاء: ٤٢ عند ختم القرآن.

(٢) حلية الأولياء ١:٦٥.

(٣) اصول الكافي ١:٢٢٨، ح٢.

(٤) اصول الكافي ١:٢٢٩، ح٣.

«وجعله لباساً وسكناً» المراد باللباس الغطاء، لأنّه يغطي ويستر بظلمته، وبه فسّر قوله تعالى: «وجعلنا الليل لباساً»[١] وقد مرَّ تفسير السكن في تفسير دعاء الساعة الخامسة.

«وجعل الليل والنهار آيتين» أي: علامتين دالَّتين على كمال القدرة.

«عصمة أمري» بكسر العين وإسكان الصاد المهملتين أي: وقاية[٢] حالي وحافظي من الشقاء المخلّد.

«واجعل الحياة زيادة لي من كلّ خير» أي: اجعلها موجبة لازديادي من كلّ نوع من أنواع الخيرات.

وعنه عليه السَّلام: والله انّي لأعلم كتاب الله من أوّله الى آخره كأنّه في كفّي،الحديث[٣].

قوله: وجعله لباساً وسكناً.

اللباس على وزن كتاب ما يلبس لبس الثوب من باب تعب لبساً بضمّ اللام. وأمّا اللبس بالكسر، فبمعنى اللباس. شبّه الليل باللباس لستره بظلامه كما يستر اللباس، قال الله تعالى «وهو الذي جعل لكم الليل لباساً»[٤] قال المفسّرون: أي غطاءً، وهو معنى قوله تعالى «يغشي الليل النهار»[٥] أي: يغطّيه به.

---

(١) سورة النبأ: ١٠.

(٢) وقايتي: خ ل.

(٣) اصول الكافي ١:٢٢٩، ح٤.

(٤) سورة الفرقان: ٤٧.

(٥) سورة الأعراف: ٥٤.

«اللهم إنّي وهذا الليل والنهار خلقان» أي: مخلوقان ولمّا كان الليل والنهار عبارة عن مقدار دورة الشمس صحّت تثنية خبر إنّ. ويمكن أن يجعل الخبر عن اسمها محذوفاً، فيكون من عطف الجملة على الجملة، والتقدير: إنّي

قوله: ولمّا كان الليل والنهار.

حاصل السؤال: أنّ خبر «إنّ» يجب مطابقته لاسمه في الوحدة والتعدّد والتثنية والجمع، كما في خبر المبتدأ، وهنا ليس كذلك، لأنّ اسمه ياء المتكلّم وكلّ واحد من الليل والنهار الذي دخل عليه اسم الاشارة، فانّهما بدلان منهما وهما متغايران، كما يقتضيه العطف الدالّ على المغايرة، فكأنّه قال: اللهمّ انّي وهذا خلقان من خلقك، فانتفت المطابقة.

وحاصل الجواب: أنّ مجموع الليل والنهار بمنزلة شيء واحد هو مقدار دورة الشمس، فلا تعدّد فيهما معنى، وانّما التعدّد فيهما بحسب اللفظ فقط، كما في بعض صور تعدّد الخبر، مثل هذا حلو حامض، فاسمه في الحقيقة كخبره تثنية لا جمع.

ويخدشه وجود العاطف، فانّ العطف في هذه الصورة كعطف بعض الشيء على بعض، وكأنّه مبنيّ على مذهب من جوّز العطف، نظراً الى صورة التعدّد واعتباراً لتقدّم العطف، ولو قيل بتقدّم الحكم لزال الاشكال رأساً، فتأمّل.

قوله: اسمها محذوف.

كما في قوله:

و من يك أمسى بالمدينة رحله ‏ ‏ ‏ ‏ فانّي وقيّار بها لغريب

وهذا الوجه أخف مؤونة من الأوّل، وان كان الحذف خلاف الأصل، فتأمّل.

خلقُك، وهذا الليل والنهار خلقان.

«ولا ترهما جرأة منّي» أي: لا تجعلهما بحيث يريان منّي جرأة على الذنوب، والغرض التوفيق لترك الذنوب.

«حتى أعي وحيك» أعي: بالعين المهملة، أي: حتّى أفهمه.

«ودرك الشقاء» مرّ تفسيره في تعقيب الصبح.

«وجهد البلاء» الجهد بفتح أوله وقد يضمّ المشقّة، وجهد البلاء هي الحالة التي يتمنّى الإنسان معها الموت، وقيل: هي كثرة العيال مع الفقر.

«ومن الداء العضال» بالعين المهملة المضمومة والضاد المعجمة المرض الصعب الذي يعجز عنه الطبيب.

قوله: وجهد البلاء.

في القاموس: الجهد الطاقة ويضمّ والمشقّة، وجهد عيشه كفرح نكد واشتدّ، وجهد البلاء الحالة التي يختار عليها الموت، أو كثرة العيال والفقر[1].

والشيخ ـقدّس سرّه- جعل الواو في قوله «والفقر» بمعنى مع، لأنّ كثرة العيال بدون الفقر وبالعكس ليس من جهد البلاء.

وفيه أنّ المفهوم من قوله «جهد البلاء» كثرة العيال والفقر. أنّ المجموع الملفّق منهما من حيث هو مجموع عبارة عنه، فلا حاجة الى جعله بمعنى «مع» فتأمّل.

قوله: ومن الداء العضال.

في نهاية ابن الأثير: أصل العضل المنع والشدّة، يقال: أعضل بي الأمر إذا

---

(١) القاموس المحيط ١: ٢٨٦.

«وخيبة المنقلب» الخيبة بالخاء المعجمة والياء المثناة التحتانيّة والباء الموحدة، من خاب يخيب إذا صار محروماً خاسراً، والمنقلب بفتح اللام مصدر بمعنى الانقلاب، أي: الرجوع. والمراد به الرجوع إلى الله سبحانه يوم القيامة «من إنسان سوء وجار سوء» السَّوء بالفتح مصدر ساءه، أي: فعل به ما يكره، وبالضمّ اسم للمعنى الحاصل بالمصدر، ويقال: إنسان سوء بالإضافة وفتح السين وكذلك جار سوء وقرين سوء وأمثال ذلك.

ضاقت عليك فيه الحيل، ومنه حديث عمر «أعوذ بالله من كلّ معضلة ليس لها أبو حسن» أراد المسألة الصعبة، أو الخطّة الضيّقة المخارج من الاعضال، ويريد بأبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السَّلام.

ومنه حديث معاوية وقد جاء به مسألة مشكلة، فقال: معضلة ولا أباحسن. أبو حسن معرفة وضعت موضع النكرة، كأنّه قال: ولا رجل لها كأبي حسن، لأنّ لا النافية انّما تدخل على النكرات دون المعارف.

ثمّ قال: وفي حديث كعب «لـمّا أراد عمر الخروج الى العراق قال له وبها الداء العضال» هو المرض الذي يعجز الأطبّاء فلا دواء له[١].

قوله: من انسان سوء وجار سوء.

السوء بضمّ السين وفتحها مايسوؤك ويشينك، وقرىء قوله تعالى «عليهم دائرة السوء»[٢] بالوجهين.

وقيل: هما لغتان من ساء يسوء اذا قبح، غير أنّ المفتوح غلب في أن يضاف

---

(١) نهاية ابن الأثير ٣:٢٥٤.

(٢) سورة الفتح: ٦.

«كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً» الكتاب مصدر كالقتال، والمراد منه المكتوب، أي: المفروض والموقوت المحدود بأوقات معيَّنة.

«وذا النون» أي: صاحب الحوت وهو يونس بن متى على نبيِّنا وعليه السَّلام.

«وكذلك نُنجي المؤمنين» ننجي بنونين مضارع أنجينا، فالنون الثانية

اليه مايراد ذمّه، والمضموم جرى مجرى الشرّ، وكلاهما في الأصل مصدر.

وقيل: هو بالفتح مصدر، وبالضمّ اسم منه.

وقيل: المفتوح الرداءة، والمضموم الشرّ والضرر.

قوله: كتاباً موقوتاً.

الوقت المقدار من الدهر «وكتاباً موقوتاً» أي: مفروضاً محدوداً لأوقات لايجوز اخراجها عن أوقاتها في شيء من الأحوال.

قوله: والمراد منه المكتوب.

فيكون مجازاً لغويّاً، حيث ذكر المبدأ وأُريد به المشتقّ.

قوله: وذا النون.

نقل أنّ حيّاً من الأنبياء لهم اسمان ذو النون ويونس، اسرائيل ويعقوب، عيسى ومسيح، محمَّد وأحمد، ذوالكفل والياس. وقيل: ذوالكفل هو زكريّا. وقيل: يوشع بن نون، وكأنّه سمّي بذلك لأنّه ذو الحظّ من الله والجد. وقيل: كان له ضعف عمل الأنبياء في زمانه وضعف ثوابهم.

قوله تعالى: وكذلك ننجي المؤمنين.

أي: ليست النجاة بمخصوصة به، بل ننجّي كلّ مؤمن مبتلى دعا به. وعن

ساكنة، وقرأ ابن عامر وأبو بكر نجّي بالتشديد ونون واحدة على وزن الماضي المبنيّ للمفعول، لكنّه مضارع أصله نُنجي بنونين، فسقطت الثانية كما سقطت التاء الثانية في قوله تعالى: «تَظاهَرون» وقد تقدّم تفسير بقية الآية الكريمة في أدعية نافلة العصر.

«وعنده مفاتح الغيب» أي: خزائنه أو مفاتيحه.

النبيّ صلّى الله عليه وآله: ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الآ استجيب له[١]. وهو صريح في قوله تعالى «وكذلك ننجي المؤمنين».

وفي الكشّاف: عن الحسن: مانجّاه والله الآ إقراره على نفسه بالظلم[٢].

وفي هذه الآية دلالة على الترغيب على الاقرار بالذنب والظلم، وانّ له دخلاً في استجابة الدعاء، وعلى تكرار هذه الآية عند الكرب ودفع الهموم والغموم، كما ورد في الروايات المذكورة في الفقيه وغيره.

قوله تعالى: وعنده مفاتح الغيب.

المفتاح آلة الفتح، وهي ما يفتح به المغلاق، ومفتح مثله، وكأنّه مقصور من الأوّل، وجمع الأوّل مفاتيح، والثاني مفاتح بغير ياء، ثمّ استعير لما يتوصّل به الى الأمر، ومنه قوله تعالى «وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الآ هو»[٣] قال الراغب: يعني ما يتوصّل به الى غيبه المذكور في قوله «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً»[٤] [٥].

---

(١) و (٢) الكشاف ٢:٥٨٢ ط انتشارات آفتاب طهران.

(٣) سورة الانعام: ٥٩.

(٤) سورة الجن: ٢٦.

(٥) مفردات الراغب: ٣٧١.

«إلّا في كتاب مبين» أي: في اللوح المحفوظ، وقيل: في علم الله سبحانه وتعالى.

«والقادر على طلبتي» بفتح الطاء وكسر اللام وفتح الباء، أي: مطلبي، كما مرَّ في تعقيب الصبح.

قوله: أي في اللوح المحفوظ.

قال علي بن ابراهيم في تفسيره: اللوح المحفوظ له طرفان: طرف على عين العرش، وطرف على جبهة اسرافيل، فاذا تكلّم الربّ جلّ ذكره بالوحي ضرب اللوح جبين اسرافيل، فنظر في اللوح فيوحي بما في اللوح الى جبرئيل عليه السَّلام[١].

وفيه عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: بينا رسول الله صلّى الله عليه وآله جالس وعنده جبرئيل عليه السَّلام إذ حانت من جبرئيل نظرة قبل السماء إلى أن قال: قال جبرئيل: انّ هذا اسرافيل صاحب الربّ وأقرب خلق الله منه، واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء، فاذا تكلّم الربّ تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه، ثمّ ألقاه الينا نسعى به في السماوات والأرض[٢].

والصوفيّة يؤوّلون اللوح المحفوظ الوارد في الشريعة المطهّرة بالنفس الكلّي، والفلاسفة بالنفوس الفلكيّة المجرّدة، ولا يعبأبهم ولا بقولهم، إذ لاخلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب، وانّها مسخّرة مدبّرة مصرّفة، وذلك معلوم من الدين ضرورة، وفي كثير من الأخبار

---

(١) تفسير القميّ ٢:٤١٥.

(٢) نورالثقلين ٥:٥٤٨، ح٣٢ عن تفسير القميّ.

«لمّا قضيتَها لي» لمّا بالتشديد بمعنى «إلّا» يقال: أسألك لمّا فعلت كذا، أي: ما أسألك إلّا فِعْل كذا، وقد يقرأ بالتخفيف أيضاً، فلا حاجة إلى تأويل الفعل المثبت بالنفي وتكون لفظة «ما» زائدة، وقد قرىء بالوجهين قوله تعالى: «إنْ كُلُّ نَفس لمّا عَليْها حافِظ»[1].

فصل

وأوّل وقت العشاء الفراغ من المغرب على المشهور، ويمتدّ وقت فضيلتها إلى ثلث الليل. ووقت أدائها إلى أربع ركعات قبل انتصافه.

الصحيحة والموثّقة وغيرهما دلالة عليه.

قوله: وأوّل وقت العشاء الى آخره.

الاولى أن يقال: أوّل وقت العشاء اذا مضى من الغروب قدر صلاة المغرب، صلّاها أم لم يصلّ، فانّ هذا القدر مختصّ بها، ثمّ يشترك الوقت بينهما الى أن يبقى من انتصاف الليل قدر أربع ركعات، فيختصّ الوقت بالعشاء. هذا هو المشهور بين أكثر القدماء والمتأخّرين.

وفي صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السَّلام: ومنها صلا تان أوّل وقتهما من غروب الشمس الى انتصاف الليل الّا أنّ هذه قبل هذه[2].

وفي موثّقة عبيدالله بن علي الحلبي، قال: كنّا نختصم في الطريق في صلاة عشاء الآخرة قبل سقوط الشفق، فقال: لابأس بذلك[3].

---

(١) سورة الطارق: ٤.

(٢) تهذيب الاحكام ٢:٢٥، ح٢٣.

(٣) تهذيب الاحكام ٢:٣٤، ح٥٦.

وينبغي بعد فراغك من ركعتي الغفلة أن تتفقّد الشفق، فإن كان باقياً، فلا ينبغي الشروع في العشاء حتّى يذهب. وقد ذهب الشيخان إلى أنّه لا يدخل وقتها إلا بغيبوبة الشفق.

وفي معناها أخبار أُخر. فما دلّ على أنّ وقتها لا يدخل قبل سقوطه، كصحيحة الحلبي، قال: سألت أباعبدالله عليه السَّلام متى تجب العتمة؟ قال: إذا غاب الشفق، والشفق الحمرة[١].

وصحيحة بكر بن محمَّد عنه عليه السَّلام قال: أوّل وقت العشاء ذهاب الحمرة، وآخر وقتها الى غسق الليل يعني نصف الليل[٢].

ولعلّ هاتين الصحيحتين هما مستندي الشيخين، فمحمول على وقت الفضيلة جمعاً بين الأخبار.

وقيل: وقت فضيلتها يمتدّ الى ثلث الليل، لرواية زرارة عن أبي جعفر عليه السَّلام قال: آخر وقت العشاء ثلث الليل[٣].

ومثلها رواية يزيد بن خليفة عن أبي عبدالله عليه السَّلام[٤].

ولمّا دلّت الأخبار الأُخر على أنّ وقت أدائها يمتدّ الى نصف الليل، فلابدّ من حملها على وقت الفضيلة جمعاً بينها، لكنّهما من حيث السند محلّ نظر.

وفي رواية أبي بصير عن أبي جعفر عليه السَّلام قال: قال سول الله صلّى الله عليه وآله: لولا أنّي أخاف أن أشقّ على أُمّتي لأخّرت العتمة الى ثلث الليل، وأنت في رخصة الى نصف الليل، وهو غسق الليل[٥].

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٣٤، ح٥٤.

(٢) تهذيب الاحكام ٢: ٣٠، ح٣٩.

(٣) تهذيب الاحكام ٢: ٢٦٣.

(٤) تهذيب الاحكام ٢: ٣٢، ح٤٦.

(٥) تهذيب الاحكام ٢: ٢٦٢، ح٧٨.

وروي عن الصادق عليه السَّلام: أنّ أول وقت العشاء الآخرة ذهاب الحمرة. رواه رئيس المحدّثين في الفقيه بسند صحيح[١]. وهو محمول على استحباب تأخيرها إلى ذهاب الشفق.

فإذا تحقّقت ذهابه، فينبغي أن تبادر إلى الأذان والإقامة، آتياً بالأدعية قبل الإقامة وبعدها، ثمّ اشرع في العشاء مفتتحاً داعياً كما مرَّ، وتقرأ في الركعة الأُولى سورة الأعلى أو الشمس أو ما شابههما في الطول، كما رواه شيخ الطائفة في التهذيب[٢] بسندٍ صحيحٍ، وفي الثانية سورة التوحيد كباقي الصلوات، وتكبّر

قوله: كما رواه شيخ الطائفة في التهذيب.

عن محمَّد بن مسلم، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السَّلام: القراءة في الصلاة فيها شيء موقّت؟ قال: لا إلّا الجمعة تقرأ بالجمعة والمنافقين، فقلت له: فأيّ السور نقرأ في الصلوات؟ قال: أمّا الظهر والعشاء الآخرة فتقرأ فيهما سواء، والعصر والمغرب سواء، وأمّا الغداة فأطول، وأمّا الظهر والعشاء الآخرة، فسبّح اسم ربّك الأعلى والشمس وضحاها ونحوهما، وأمّا العصر والمغرب، فاذا جاء نصر الله وألهاكم التكاثر ونحوهما. وأمّا الغداة فعمّ يتساءلون وهل أتاك حديث الغاشية ولا أقسم بيوم القيامة وهل أتى على الانسان حين من الدهر[٣].

وقال الصدوق في الفقيه: وأفضل ما يقرأ في الصلوات في اليوم والليلة في الركعة الاولى الحمد وانّا أنزلناه، وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد، الّا في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة.

ثمّ قال: وانّما يستحبّ قراءة القدر في الاولى والتوحيد في الثانية، لأنّ

---

(١) من لايحضره الفقيه ١:٢١٩.

(٢) تهذيب الشيخ ٢:٩٥.

(٣) تهذيب الاحكام ٢:٩٥، ح١٢٢.

وتقنت بما مرَّ في الباب الأوّل، وبما يأتي في الباب السادس.

وتطيل القنوت والتعقيب، فإنّك في سعة من الوقت، فتأتي بالتعقيبات المشتركة بين الخمس، وبالمشتركة بين الصباح والمساء، ثمّ بما يختص بالعشاء فتقول:

اَللّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَلاَ تُؤمِنَّا مَكْرَكَ ، وَلاَ تُنْسِنَا ذِكْرَكَ ، وَلاَ تَكْشِفْ عَنَّا سِتْرَكَ ، وَلاَ تَحْرِمْنَا

القدر سورة النبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السّلام، فيجعلهم المصلّي وسيلة الى الله، لأنّهم بهم وصل الى معرفته. وأمّا التوحيد، فالدعاء على أثرها مستجاب وهو القنوت[١] انتهى.

ويشهد له ما في الكافي عن أبي علي بن راشد، قال: قلت لأبي الحسن عليه السّلام: جعلت فداك انّك كتبت الى محمّد بن الفرج تعلّمه أنّ أفضل ما يقرأ في الفرائض انّا أنزلناه وقل هو الله أحد، وانّ صدري يضيق بقراءتهما في الفجر، فقال عليه السّلام: لايضيقنّ صدرك بهما، فانّ الفضل والله فيهما[٢].

قوله: ولا تؤمنّا مكرك الى آخره.

مكر الله إردافه النعم مع المخالفة، وابقاؤه الحال مع سوء الأدب، واظهاره الكرامات من غير جهة، واذا غلب الرجاء على الخوف لزم منه الأمن من مكر الله، وهو الأمن في غير موضعه «أفأمنوا مكرالله فلا يأمن مكرالله الّا القوم الخاسرون»[٣].

---

(١) من لايحضره الفقيه ١:٣٠٦ و ٣١٥.

(٢) فروع الكافي ٣:٣١٥، ح١٩.

(٣) سورة الاعراف: ٩٩.

فَضْلكَ ، وَلاَ تُحِلَّ عَلَيْنَا غَضبَكَ ،

وقوله «ولا تنسنا ذكرك » يعني بطول الأمل واتّباع الهوى وترادف النعمة والدعة والصحّة والامنيّة، ونعم ماقيل في هذا المعنى بالفارسيّة:

آسايش تن غافلم از ذكر خدا كرد   هموارى اين راه مرا سر به هوا كرد

ومثله ما قاله الآخر:

ما را غرور عافيت از دست برده بود   بى مهرى زمانه به فرياد ما رسيد

وقال سيّدنا أمير المؤمنين سلام الله عليه: اعلموا أنّ الأمل يسهي العقل، وينسي الذكر، فاكذبوا الأمل فانّه غرور وصاحبه مغرور[1].

وفي حديث قدسي: يا موسى لا تطوّل في الدنيا أملك فيقسو قلبك، وقاسي القلب منّي بعيد.

بيان ذلك: انّ طول توقّع الأُمور المحبوبة الدنيويّة يوجب دوام ملاحظتها، ويستلزم دوام اعراض النفس عن ملاحظة أحوال المبدأ والمعاد، وهو مستعقب لانمحاء ماتصوّر في الذهن منها، وذلك معنى النسيان بها، وبذلك يكون الهلاك الأبدي والشقاء السرمدي، نعوذ بالله منه.

وقوله «ولا تحلّ علينا غضبك » فانّ من يحلل عليه غضبك فقد هوى، وغضبه تعالى انكاره على من عصاه وسخطه عليه واعراضه عنه ومعاقبته له، شبّه غضبه تعالى بالعرض، فأثبت له الحلول. ففي الكلام استعارة مكنيّة وتخييل.

وقوله «ولا تغيّر ما بنا من نعمتك » أي: بتغييرنا ما علينا من فرض طاعتك، كما قلت في كتابك العزيز «لايغيّر الله مابقوم» من نعمة أو صحّة

---

(١) نهج البلاغة: ١١٨، رقم الخطبة: ٨٦.

وَلاَ تُبَاعِدْنَـا مِنْ جوارِكَ، وَلاَ تَنقُصْنا مِنْ رَحْمَتِكَ ،وَلاَ تَنزِعْ عَـنَّا بَرَكَاتِكَ ، وَلاَ تَمْنَعْنا عافِيَتَكَ ، وأَصْلِحْ لَنَا ما أَعْطَيْتَنَا، وَزِدْنَـا مِنْ فَضْلِكَ الْمُـبارك

«حتّى يغيّروا ما بأنفسهم»[١] من خصلة حسنة.

وقوله «ولا تؤيسنا من روحك» يعني بغلبة الخوف على الرجاء، فانّه يستلزم اليأس، كما أنّ غلبة الرجاء على الخوف يستلزم الأمن في غير محلّه، وانّه لاييأس من روح الله الّا القوم الكافرون.

وقوله «ولا تضلّنا بعد اذ هديتنا» هذا حاصل ماحكاه الله عن المؤمنين من قولهم «ربّنا لا تزغ قلوبنا»[٢] أي: لا تملها عن الايمان، فانّ الميل والعدول عنه ضلالة، واضلاله تعالى خذلانه وتركه امرء...[٣] ولعلّه غيّر نظم الآية ليشير الى أنّ هذا حاصل معناه، مع مافيه من مقابلة الضلالة الهداية.

والمشهور أنّ الاضلال يطلق على خلاف الحقّ وفعل الضلالة والاهلاك والهدى يقابله، فيطلق على الحقّ وفعل الهداية، وعدم الاهلاك والاضلال بالمعنيين الأوّلين منتف عنه تعالى لأنّه قبيح. وأمّا الهدى فيجوز أن يسند اليه تعالى بالمعاني الثلاثة، فما ورد من اسناد الاضلال اليه تعالى فهو بمعنى الاهلاك ، وهذا المعنى غير ملائم للمقام، كما لايخفى على ذوي الأفهام.

قوله: ولا تباعدنا من جوارك .

أي: من قربك ، وهو قرب معنويّ أشار إليه سيّدنا زين العابدين عليه السّلام في مناجاته للمحبّين: الهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبّتك فرام

---

(١) سورة الرعد: ١١.

(٢) سورة آل عمران: ٨.

(٣) هنا كلمة لم تقرأ في النسختين.

الطَّيِّبِ الْحَسَنِ الجَمِيْلِ، وَلاَ تُغيِّرْ مَا بنَا مِنْ نِعْمَتِكَ، وَلاَ تُؤْيِسْنَا مِنْ رَوحِكَ، وَلاَ تُهِنَّا بَعْدَ كَرَامَتِكَ، وَلا تُضِلَّنَا[١] بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

ثمّ تقرأ كلاًّ من الفاتحة والتوحيد والمعوذتين عشر مرّات، ثمّ تقول:

سُبحانَ الله وَالحَمْدُ لله وَلاَ إلهَ إلّا الله والله اكْبَرُ، عشر مرّات، ثمّ تقول:

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحمَّدٍ، عشر مرّات، ثمّ تقول:

منك بدلاً، ومن ذا الذي آنس بقربك فابتغى عنك حولاً، الهي فاجعلنا ممّن اصطفيته لقربك وأخلصته لودّك ومحبّتك، وشوّقته الى لقائك، وأرضيته بقضائك، ومنحته بالنظر إلى وجهك، وحبوته برضاك، وأعذته من هجرك وقلاك، وبوّأته مقعد الصدق في جوارك.

وهذا اشارة إلى الجنّة العقليّة التي للمقرّبين، وهي جوار الله وحضرته المشار اليه بقوله «انّ المتّقين في جنّات ونهر * في مقعد صدق عند مليك مقتدر»[٢].

قال صاحب عرائس البيان: وصف الله سبحانه بقوله هذا منازل المتّقين الذين أقبلوا على الله بنعت المعرفة والمحبّة، وخرجوا ممّا دونه من البريّة، وتلك المنازل عالم الشهادة ومقاماته العنديّة، جنانها رفارف الانس، وأنوارها أنوار القدس، أجلسهم الله على بساط الزلفة، والمداناة التي لايتغيّر صاحبها بعلّة القهر، ولايزول عنها بالحجاب والستر، لذلك سمّاه مقعد الصدق، أي: محلّ كرامة دائمة وقربة قائمة، ومواصلة سرمديّة، وزلفة أبديّة.

---

(١) أي: لا تسلبنا التوفيق والإعانة، فيحصل لنا الضلالة بسبب ذلك (منه).

(٢) سورة القمر: ٥٤ ـ ٥٥.

اَللّٰهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ ، وأَسْبِغْ عَلَيَّ مِنْ حَلاَلِ رِزْقِكَ ،

قوله: وأسبغ عليّ من حلال رزقك.

كلمة «من» تبعيضيّة، والحلال ضدّ الحرام، وقد ورد في بعض الأخبار الصحيحة المنع من السؤال عنه، معلّلاً بأنّه قوت النبيّين، ويمكن أن يراد به هنا الطيب توفيقاً بينهما.

في الكافي في صحيحة معمّر بن خلاد عن أبي الحسن عليه السّلام قال: سمعته يقول: نظر أبوجعفر عليه السّلام الى رجل وهو يقول: اللهمّ انّي أسألك من رزقك الحلال، فقال أبو جعفر عليه السّلام: سألت قوت النبيّين قل اللهمّ اني أسألك رزقاً واسعاً طيّباً من رزقك[1].

وهذا يدلّ على أنّ الطيّب غير الحلال. ولكن قال في القاموس: طاب يطيب طاباً وطيبة لذّ، وفيه الطيّب الحلال[2].

قال بعض أصحابنا: الحلال والطيّب وإن كانا متقاربين، بل متساويين في اللغة، الاّ أنّ المستفاد من هذا الحديث أنّ بينهما فرقاً في عرف الائمّة عليهم السّلام. وكأنّ الفرق هو أنّ الطيّب ما هو طيّب في ظاهر الشرع، سواء كان طيّباً في الواقع أم لا، والحلال ما هو حلال وطيّب في الواقع لم تعرضه النجاسة والخباثة قطعاً ولم تتناوله أيدي المتغلبة أصلاً في وقت من الأوقات. ولا ريب في أنّه قوت الأنبياء وانّه نادر جدّاً وطريقه ضيق، والطالب له طالب لضيق معيشته. وأمّا ما وقع في بعض الأدعية من طلبه، فالمراد به ما هو بمعنى الطيب انتهى.

---

(١) فروع الكافي ٥:٨٩، ح٢.

(٢) القاموس المحيط ١:٩٨ ـ ٩٩.

وَمَتِّعْنِي بالعافِيَةِ ما أَبقَيْتَنِي في سَمْعِي وَبَصَري وَجَميعِ جَوارحي. اَللّٰهُمَّ مـابِنَا مِنْ نِعْمَـةٍ فَـمِـنْكَ، لاَ إلهَ إلَّا أَنتَ، أَستَـغْـفِرُكَ وأَتُوبُ إلَيْكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ.

ثمّ تقول، وهو من أدعية طلب الرّزق:

اَللّٰهُـمَّ إنَّهُ لَيْسَ لِي عِـلْمٌ بِمَوضع رزْقي، وإنَّما أَطلُبُـهُ بِخَطَرَاتٍ تَخْطُرُ عَلَـى قَلْبِي، فأَجُـولُ في طـلَـبِهِ البلْدَانَ، وأَنـا فِيما أَطـلُـبُ كَالحَيْرانِ، لاَ أَدْري أَفِي سَهْلٍ هُوَ أمْ فِي جَبَـلٍ، أَمْ في أَرْضٍ حَزْنٍ، أَمْ في سَمَاءٍ، أمْ في

وفي صحيحة أحمد بن محمّد بن أبي نصر، قال: قلت للرضا عليه السّلام: جعلت فداك أُدع الله عزّوجلّ أن يرزقني الحلال، فقال: أتدري ما الحلال؟ قلت: الذي عندنا الكسب الطيّب، فقال: كان علي بن الحسين عليهما السّلام يقول: الحلال هو قوت المصطفين، ثمّ قال: قل أسألك من رزقك الواسع[١].

قوله: لا أدري أفي سهل هو الى آخره.

هذا لا ينافي اليقين والثقة بالله والتوكّل عليه؛ إذ ليس معناه رفع اليد عن الأسباب والوسائط رأساً، بل معناه عدم الاعتماد عليها والوثوق بها، ومن ثمّ اشتهر أنّ التمسّك بالأسباب لاينافي التوكّل.

* با توكّل زانوى اشتر به بند *

فلو طلب طالب للرزق مثلاً رزقه من أسبابه المرزوقة المشروعة، كالتجارة والزراعة، ولم يكن اعتماده على عمله بل على الله، وانّ الرازق عليه إن شاء رزقه من عمله وإن شاء رزقه من غيره، حتّى لو فسد العمل لم يحزن، لم يكن

---

(١) فروع الكافي ٥:٨٩، ح١.

بَرٍّ، أمْ في بَحْرٍ، وعَلَى يَدَيْ مَنْ ومنْ قِبَلِ مَنْ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ عِلْمَهُ عِنْدَكَ ، وأَسبابَهُ بِيَدِكَ ، وأَنْتَ الَّذِي تَقْسِمُهُ بِلُطفِكَ ، وتُسبِّبُهُ بِرَحْمَتِكَ . اَللّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، واجْعَلْ يَا رَبِّ رِزْقَكَ لِي وَاسِعاً، ومَطلَبَهُ سَهْلاً وَمأْخَذَهُ قَريباً، وَلاَ تُعَنِّنِي بِطلَبِ مَا لَمْ تُقدِّرَ لِي فيهِ رزْقاً، فَإنَّكَ غَنِيٌّ عَن عَذَابِي، وأَنا فَقِيرٌ إِلَى رَحْمَتِكَ . اَللّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَجُدْ عَلَى عَبْدِكَ بِفَضْلِكَ ، إِنَّكَ ذُو فَضْلٍ عَظِيْمٍ.

ثمّ تقول:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ. اَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، صلاَةً تُبَلِّغُنا بِها رِضْوانَكَ وَالْجنَّةَ، وتُنْجِينَا بِها مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّار.

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وأَرِني الْحقَّ حقّاً حَتّى أَتَّبِعَهُ،

ذلك منافياً لليقين والثقة بالله والتوكّل عليه.

وبالجملة قلب المتوكّل متوجّه الى الله، وتوجّهه الى الأسباب والوسائط، باعتبار أنّ العالم عالم الأسباب، وانّ الله أبى أن يجري الامور الّا بأسبابها، كما قال «فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه»[١].

قوله: وأرني الحقّ حقّاً.

الامور ثلاثة: أمر بيّن رشده فيتّبع، وأمر بيّن غيّه فيجتنب، وأمر مشكل يردّ حكمه الى الله عزّوجلّ.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: حلال بيّن وحرام بيّن وشبهات بين

---

(١) سورة الملك : ١٥.

وأَرني الْبَاطِلَ بَاطِلاً حتَّى أَجتَنِبَهُ، وَلا تَجعَلْهُ عَلَيَّ مُتَشابِهاً، فأَتَّبِعَ هَوَايَ بِغَيْرِ هُدى مِنْكَ، واجْعَلْ هَوَايَ تَبَعاً لِرِضاكَ وطاعَتِكَ، وخُذْ لِنَفْسِكَ رِضىً مِنْ نَفْسِي، واهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بإذْنِكَ، إنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشاء إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

ذلك، فمن ترك الشبهات نجى من المحرّمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرّمات وهلك من حيث لايعلم[1].

فأمّا الأمر البيّن رشده، فالكتاب والسنّة المتواترة، أو المعلومة، أو الأعمّ بحيث يشمل المظنون بالظنّ القريب من العلم. وأمّا الأمر البيّن غيّه، فكأخبار المجبّرة والغلاة وأمثالها من الفرق المبتدعة. وأمّا الأمر المشكل، فكالشواذ التي ليس على صدقها قرينة، أو لم تكن معلومة الصدور منهم عليهم السَّلام، أو معلومة المراد، كالأوامر الواردة في الأخبار إذا لم تكن معلوم الوجوب أو الندب.

ومنه يعلم أنّ من اتّبع المتشابه فقد اتّبع هواه بغير هدىً من الله، كما قال «فأمّا الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الاّ الله والراسخون في العلم»[2].

وفي عيون أخبار الرضا عليه السَّلام: عنه عليه السَّلام: من ردّ متشابه القرآن الى محكمه هدي الى صراط مستقيم. ثم قال: انّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن، ومحكماً كمحكم القرآن، فردّوا متشابهها الى محكمها ولا تتّبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا[3].

---

(١) من لايحضره الفقيه ٣: ١٠.

(٢) سورة آل عمران: ٧.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السَّلام ١: ٢٩٠.

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، واهْدِني فِيمَنْ هدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عافَيْتَ، وَتولَّني فِيمَنْ تولَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيما أعطَيْتَ، وَقِني شَرَّ ما قَضَيْتَ، إنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ، وَتُجيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْكَ. تَمَّ نُورُكَ اَللّهُمَّ فَهَديْتَ، فَلكَ الحمدُ وَعظُمَ حِلْمُكَ فَعفَوْتَ فَلَكَ الحَمْدُ،

قوله: فلك الحمد وسطت يدك فأعطيت.

كما قلت في كتابك العزيز «بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء»[١] ويده تعالى قدرته ونعمته، وفي الكلام مجاز مرسل وترشيح له وهو قوله «بسطت» والترشيح غير مختصّ بما يقترن بلفظ المشبّه به، ولا بالاستعارة المبتنية على التشبيه، لتصريحهم بأنّ أطولكنّ ترشيح للمجاز المرسل الذي في اليد، ولا تشبيه فيه أصلاً.

وأمّا تفسيرهم له بذكر ما يلائم المشبّه به، فانّما هو في الترشيح الذي في التشبيه، وكذا ما ذكروا من الاقتران بلفظ المشبّه به، فالمراد أنّه كذلك فيما اذا كان في الكلام تشبيه، صرّح بذلك بعض المحقّقين.

والاولى أن يكون ذلك جارياً على سنن التمثيل الذي يسمّيه أهل البيان تمثيلاً تخييليّاً، أي: الايقاع في الخيال بتصوير المعاني العقليّة بصور الأعيان الحسيّة، لكونها أظهر حضوراً وأكثر خطوراً، بأن يكون قد مثّل حال اضافته تعالى الخيرات من غير بخل ومنع على كلّ من يقبلها بقدر مايقبله بحال من له يد مبسوطة، يعطي بها من يشاء لمن يشاء من غير أن يذهب بها الى جهة حقيقة بالنسبة اليه تعالى، كما يذهب اليه المجسّمة، أو مجاز بأن يراد باليد النعمة.

وانّما المراد بالمفردات في مثل ذلك حقائقها في نفسها، كما في قولك أراك

---

(١) سورة المائدة: ٦٤.

وَبَسَطْتَ يَدَكَ فأَعطَيْتَ، فَلَكَ الحَمْدُ، تُطَاعُ رَبَّنا فَتَشكُرُ، وَتُعْصَى رَبَّنا فَتغْفِرُ وَتَستُرُ، أَنْتَ كَما أَثنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِالكَرَمِ وَالجُود، لَبَّيكَ وَسَعدَيْكَ ، تَبارَكْتَ وَتعالَيْتَ، لاَ مَلْجأَ وَلاَ مَنْجَى مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ ، لاَ إلَهَ

تقدّم رجلاً وتؤخّر أُخرى، لكن لا بالنسبة الى الممثّل له، بل بالنسبة الى الممثّل به. وعلى هذا يحمل قوله تعالى «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويّات بيمينه»[(١)] وقوله «والسماء بنيناها بأيد»[(٢)].

قال صاحب الكشّاف: انّ ذلك تمثيل وتصوير لعظمته تعالى، وتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة واليمين والأيدي الى جهة حقيقة أو مجاز، بل يذهب الى آخر الزبدة والخلاصة من الكلام من غير أن يتمحّل بمفرداته حقيقة أو مجازاً، كقوله تعالى «قالت اليهود يد الله مغلولة» أي: هو بخيل «بل يداه مبسوطتان» أي: هو جواد من غير تصوّر يد ولا غلّ ولا بسط[(٣)].

قوله: بالكرم والجود.

بالكرم والجود متعلّقان بـ«أثنيت» والضمير المرفوع مبتدأ، وقوله «كما أثنيت» في موضع الخبر، تقديره: أنت مثني ثناء كما أثنيت على نفسك ، بحذف عامل المصدر واقامة المصدر مقامه، ثمّ اقامة صفة المصدر مقام المصدر، كما قيل في خير مقدم، أي: قدمت قدمها خير مقدم وكلمة «ما»: امّا مصدريّة، أو موصولة، أو موصوفة بحذف العائد الى الموصول أو الموصوف.

---

(١) سورة الزمر: ٦٧.

(٢) سورة الذاريات: ٤٧.

(٣) الكشّاف ٣:٤٠٨ ـ ٤٠٩.

إلَّا أَنـتَ سُـبحَانَكَ اَللّـهُـمَّ وَبِـحَمْدِكَ ، عَمِلْـتُ سوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي ، فاغْـفِرْ لِي وارْحمْنِـي وأَنْتَ أَرْحَـمُ الرَّاحِمينَ، لاَ إلـهَ إلّا أَنْتَ سُبحَانَكَ إنِّـي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِـينَ، لاَ إلَهَ إلَّا أَنتَ سُبْحَانَـكَ اَللّهُمَّ وَبحَمْدِكَ ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظـلَمْتُ نَفْسِي ، فَاغْفِرْ لي يَا خَيْرَ الْغافِرينَ، لاَ إلهَ إلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اَللّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَتبْ عَليَّ إنَّكَ أَنْـتَ التَّـوابُ الـرَّحيـمُ، لاَ إلـهَ إلّا أَنـتَ سُبـحَـانَـكَ إنِّـي كُـنْـتُ مِنَ الظَّـالِـمـيـنَ، سُـبْـحـانَ رَبِّـكَ رَبِّ الْـعِزَّة عَـمَّـا يَصِفُـونَ، وَسـلامٌ عَـلَى المُرسَلينَ، والحمدُ لله رَبِّ الْعالَمِينَ.

اَللّهُـمَّ صَـلِّ عَـلَى مُحَمَّـدٍ وَآلِ مُـحَمَّدٍ، وَبيِّـتـنِي مِنْكَ في عـافِـيَةٍ، وَصبِّحْنِـي مِـنْكَ فِي عَافِـيَـةٍ، وَاسْتُرْني مِنْـكَ في عَـافِيَةٍ، وَارْزُقْني تَـمَامَ الْعافِيَةِ، وَدَوامَ الْعافِيَةِ والشُّكرَ عَلَى الْعافِيَةِ.

قوله: وبيّتني منك في عافية.

أي: أدخلني في الـليل حال كونـه في عافية منك ، أم من بـيّـت يبيّت وكلّ من أدركه الـليل فقـد بات، نام أو لم ينم، ولفظة «في» لظرفيّـة مدخولها لشيء، أعني: حـلـول الشـيء فيه حقـيـقـة أو مجازاً، وظاهر أنّ العـافـيـة لـيست ظرفاً للمعاني، فـامتنع حمل الـلفظ على حقيقـته، فليكـن على طريقة الاستـعارة، على قياس زيد في نـعـمة، بأن يشبّـه الهـيئة المنتـزعة من المعاني والـعافية ومصاحـبة أحدهما الآخر بالهيئـة المنـتزعة من المظروف والظـرف واصطحابهما، فيكون في الكلام استعارة تمـثيليّة تركّب كلّ من طرفيه، لكنّه لم يصرّح ما بازاء المشبّه به من الألفاظ الّا بكلمة «في» فانّ مدلولها هو العمدة في تلك الهيئة.

والحزانة من الحزن، أي: من يوقعني في الحزن اذا نزل به نازل.

اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَستَودِعُكَ نَفْسِي وَدينِي، وأَهْلِي وَمَالي وَوُلْدِي، وأَهْلَ حُزَانَتِي، وكلَّ نِعْمَةٍ أنعَمْتَ بها عَلَيَّ وَتُنْعِمُ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، واجْعَلْنِي في كَنَفِكَ وأَمْنِكَ، وكلاءتكَ وَحفْظِكَ، وَحياطَتِكَ وَكفايَتِكَ، وَسِتْرِكَ وَذِمَّتِكَ، وَجِوارِكَ وَوَدائِعِكَ، يَا مَنْ لاَ تَضِيْعُ وَدَائِعُهُ، وَلاَ يَخِيبُ سائِلُهُ، وَلاَ يَنْفَدُ مَا عِنْدَهُ إنّي أَدرأُ بِكَ فِي نُحُور أَعدَائي، فكِدْ مَنْ كَادَني وَبَغَى عَلَيَّ. اَللّٰهُمَّ مَنْ أَرادَنا[١] فأَرِدْهُ، وَمَنْ

قوله: انّي أدرأ بك في نحور أعدائي.

الدرء: الدفع، ومنه: ادرؤا الحدود بالشبهات. والنحر: أعلى الصدر، وهو موضع الذبح من الابل. أي: باعانتك أو مصاحبتك أدفعهم، أو أضرب صدرهم، أو انحرهم واذبحهم على سبيل الاستعارة. وانّما خصّ النحر لأنّه أسرع وأقوى في الدفع والتمكّن من المدفوع.

قوله: اللهمّ من أرادنا فأرده الى آخره.

أي: من أرادنا بسوء فأرده. والكيد: المكر والخدعة والاحتيال والاجتهاد، وبه سمّيت الحرب كيداً.

وقيل: هو ارادة متضمّنة لاستتار ما يراد عمّن يراد به، لكن أكثر ما يستعمل ذلك في الشرّ، ومتى قصد به شرّ فمذموم، ومتى قصد به خير فممدوح، وعلى الممدوح قال الله تعالى «وكذلك كدنا ليوسف»[٢] والمراد به هنا الأوّل، وكاد الله جازى على الكيد، وسمّي الجزاء كيداً كما سمّي جزاء السيّئة سيّئة

---

(١) بسوء: خ ل.

(٢) سورة يوسف: ٧٦.

كَادَنا فكِدْهُ، وَمَنْ نَصبَ عَلَيْنا عَدَاوَةً فَخُذْهُ يَا رَبِّ أَخذَ عَزيزٍ مُقتَدِرٍ.

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحمَّدٍ، واصرفْ عَنِّي البَلِيَّاتِ وَالآفاتِ والعَاهَاتِ، والنَّقم ولُزُومَ السَّقمِ وَزَوالَ النِّعمِ، وَعواقبَ التَّلفِ وَمَا طَغَى بِهِ الماءُ لِغضَبكَ، وَمَا عَتتْ بِهِ الرِّيحُ عَنْ أَمرِكَ، وَمَا أَعلَمُ وَما لاأَعلَمُ، وَما أَخافُ وَما لا أَخافُ، وَما أَحذَرُ وَما لاَ أَحذَرُ، وَمَا أَنْتَ أَعلَمُ بِهِ.

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَفَرِّجْ عنِّي هَمِّي، وَنَفِّسْ غَمِّي، وَسلِّ حُزْني، وَاكْفِني مَا ضَاقَ بِهِ صَدْري، وَعيلَ بِهِ صَبْري، وقلَّتْ فِيهِ حِيلَتِي، وَضعُفَتْ عَنهُ قُوَّتي، وَعجزَتْ عَنهُ طَاقَتِي، وَرَدَّتنِي

على سبيل مقابلة اللفظ باللفظ ويسمّى مشاكلة. وعلى هذا المعنى تحمل الكيد المطلوب.

وقال بعض العلماء: الكيد ارادة مضرّة الغير خفية، وهو من الخلق الحيلة السيّئة، ومن الله التدبير بالحقّ بمجازاة أعمال الخلق. والمكر من جانب العبد ايصال المكروه الى الانسان من حيث لايشعر، ومن جانب الحقّ هو ارداف النعمة مع المخالفة، وابقاء الحال مع سوء الأدب، واظهار الكرامات من غير جهد.

وقيل: الكيد مبدؤه السعي في الحيلة والخديعة، ونهايته القاء الانسان من حيث لايشعر في أمر مكروه لاسبيل الى دفعه.

والنصب: اقامة الشيء ورفعه، وفي الكلام استعارة شبّه العداوة بجسم، ثمّ أثبت له النصب.

والعزيز: الغالب المنيع.

فِيهِ الضَّرورَةُ عِنْدَ انْقِطاعِ الآمالِ وَخَيبَةِ الرَّجاء مِنَ المَخلُوقينَ إلَيْكَ. فَصلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، واكْفِنيهِ يَا كَافياً مِنْ كُلِّ شَيءٍ، وَلاَ يكْفِي مِنهُ شَيءٌ، اكْفِني كلَّ شَيء حتَّى لاَ يَبْقَى شَيء يَا كَرِيمُ.

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وارْزُقنِي حجَّ بَيْتِكَ الحَرَام، وزيَارة قَبْر نَبيِّكَ صَلوَاتُكَ[1] عَليْهِ وَآلِهِ، مَعَ التَّوبَة والنَّدَم. اَللّهُمَّ إنِّي أَستَوْدعُكَ نَفْسي وَأَهْلِي ووُلدِي وإخْوانِي، وأَستكْفِيكَ ما أهمَّنِي وَما لَمْ يُهمَّني، وأَسأَلكَ بِخِيرَتكَ مِنْ خَلْقِكَ، الَّذي لاَ يَمُنُّ بِهِ سِوَاكَ يَا كَرِيمُ. اَلحَمْدُ للهِ الَّذي قَضَى عنِّي صَلاةً كانَتْ عَلَى المُؤمنينَ كِتَاباً مَوقُوتاً.

ثمّ تسجد سجدتي الشكر، وتقول في الأُولى:

اَللّهُمَّ أَنْتَ أَنتَ، انقَطعَ الرَّجاء إلَّا مِنْكَ، يَا أَحدَ مَنْ لاَ أَحدَ لَهُ، يَا

قوله: اللهمّ أنت أنت الى آخره.

أي: أنت الآن في احسانك وامتنانك كما كنت قبل ذلك الزمان، مثل قوله.

* أنا أبو النجم و شعري شعري *

أي: شعري الآن كما كان، ثمّ بيّن وجه الانقطاع وحصر الرجاء فيه تعالى، أوّلاً بأنّه يعين من لايعينه أحد، وثانياً بأنّ غيره تعالى اذا بالغ في عطائه وأكثر فيه قبض على ما في يده مخافة أن ينفد ما عنده، بخلافه تعالى فانّ كثرة عطائه لايزيده الّا كرماً وجوداً؛ إذ لا أثر للنقصان في خزائن ملكه وعموم جوده، بل جوده غيرمتناه، وكرمه غير محدود، وهو الكريم الجواد، المعطي

---

(١) صلى الله: خ ل.

أَحَدَ مَنْ لاَ أَحَدُ لَهُ، يا أَحَدَ مَنْ لاَ أَحَدَ لَهُ غَيْرُكَ ، يَا مَنْ لا يَزِيدُهُ كَثْرَةُ الْعَطاء إلَّا كَرَماً وَجُوداً، يَا مَنْ لاَ يَزِيدُهُ كَثْرةُ العَطاء إلَّا كَرَماً وَجُوداً، يَا مَنْ لاَ يَزِيدُهُ كَثْرَةَ الْعَطَاء إلَّا كَرماً وَجُوداً، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ. وافعل بي كذا وكذا.

الذي لاينفد عطاؤه، ولا يبخل فيه، ولا يمنع منه، ولا يخيّب سائله عن حاجته وإن عظم خطره وجلّ قدره. ومن هذا شأنه، فينبغي أن يكون موضع الرجاء، ويطلب منه العطاء.

حكى أبو القاسم الدمشقي قال: كنت واقفاً على حلقة الشبلي في جامع المدينة، فوقف سائل على حلقته، وجعل يقول: ياالله ياجواد، فتأوّه الشبلي وصاح، فقال: كيف يمكنني أن أصف الحقّ بالجود ومخلوق يقول في مثله:

تعوّد بسط الكفّ حتّى لو أنّه ... تناهى لقبض لم تطعه أنامله

تراه اذا ما جئته متهلّلاً ... كأنّك تعطيه الذي أنت آمله

ولو لم يكن في كفّه غير روحه ... لجاد بها فليتّق الله سائله

هو البحر من أيّ النواحي أتيته ... فلجّته المعروف والبرّ ساحله

ثمّ بكى وقال: بلى يا جواد أنت الجواد، فانّك أوجدت تلك الجوارح وبسطت تلك الهمم، ثمّ مننت بعد ذلك على قوم بالاستغناء عنهم وعمّا في أيديهم، فأنت الجواد كلّ الجواد، فانّهم يعطون عن محدود، وعطاؤك لاحدّ له، ويفتقرون اذا أُعطوا، ولا تفتقر من العطاء، ولا تعجز من الجزاء، فياجواداً يعلو كلّ جواد، وبه جاد كلّ من جاد.

والكريم: الكثير الخير، ومن كرمه تعالى أنّه يبتدىء بالنعمة من غير

ثمّ تضع خدّك الأيمن على الأرض وتقول مثل ذلك، ثمّ تضع خدّك الأيسر على الأرض وتقول مثل ذلك، ثمّ تعود وتضع جبهتك على الأرض وتقول مثل ذلك، ثمّ تقول، وهو من الأدعية التي تدفع بها الشدائد[١]:

يَا سَابِغَ النِّعم، يَا دَافِعَ النِّقم، يَا بَارِىء النَّسمِ، يَا مُجلِّيَ الْهَمِّ، يَا مُغْشِيَ الظُّلمِ، يَا كَاشِفَ الضُّرِّ والأَلَم، يَا ذَا الْجُود وَالْكَرَم، يَا سَامِعَ

استحقاق، ويغفر الذنوب، ويعفو عن المسيء.

وقيل: الكريم الصفوح.

وقيل: العليّ الرتبة.

وقيل: الكريم اسم جامع لكلّ مايحمد ويستحسن في بابه، فالله تعالى كريم؛ لأنّه محمود في كلّ مايحتاج اليه، والجواد هو المنعم المحسن الكثير الانعام والاحسان. والفرق بينهما أنّ الكريم هو الذي يعطي مع السؤال، والجواد هو الذي يعطي من غير السؤال. وقيل بالعكس.

والمراد بكرمه تعالى فيضان الخير منه تعالى من غير بخل ولا منع وتعويق على كلّ من يقدر أن يقبله بقدر مايقبله. وتكرير الفقرات: إمّا لتأكيد الاعانة والاغاثة، أو لبسط الكلام مع الملك العلّام، فتأمّل.

قوله: ياكاشف الضرّ والألم.

الكشف: رفع الستر والحجاب عن الشيء، وفيه استعارة بالكناية وترشيح، أو استعارة تمثيليّة، بأن يشبّه الهيئة الحاصلة من احاطة الضرّ بالمضطر والألم بالمتألّم، واصطحاب أحدهما بالآخر، بالهيئة الحاصلة من احاطة الستر

---

(١) هذا دعاء عظيم الشأن علّمه النبيّ صلّى الله عليه وآله لموسى بن جعفر عليهما السّلام في السجن فخلص، وله قصة عجيبة مذكورة في مهج الدعوات.

كُلَّ صَوْتٍ، يا مُدْرِكَ كُلَّ فَوْتٍ، يَا مُحْيِيَ الْعظامِ وَهيَ رَميمٌ، ومُنْشِئَهَا بَـعْدَ الْموْت، صَلِّ عَلَـى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحمَّدٍ، وَاجْـعَلْ لِي مِنْ أَمري فَرَجاً وَمَخْرجاً،

المستور، واصطحاب أحدهما الآخر.

ومن أسمـائه تعالى كـاشفُ الضرّ، معناه المفـرّج الذي يجيـب المضطرّ اذا دعاه ويكشـف عنه السوء. والضـرّ بفتح الضاد خلاف النـفع، وبالضمّ الهزال وسوء الحال.

والألم: حالـة متـرتّبة على ادراك المـنافـر من حيث هو مـنافـر، والكرم ضدّ اللوم ويطلق على الجود.

قال ابن الأثير: من أسمائه تـعالى الكريم، وهو الجواد المعطي الذي لاينفد عطاؤه[1].

وقيل: الكريم الـكثير الخير، ونخلة كريمة إذا طاب حملهـا أو كثر، والعرب يسمّي الذي يدوم ويسهل تناوله كريماً، ومن كرمه تعالى أنّه يبتدىء بالنعم من غير استحقاق، ويغفر الذنوب، ويعفو عن المسيء وتقدّم الكلام فيه آنفاً.

قوله: يا محيي العظام وهي رميم.

الـرميم اسـم لما بلي من الـعظـام، وليس بصفة ولـذا لم يـؤنّث، وقد وقع خبر المؤنّث، ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول. وهذا يدلّ على أنّ الأجسام لا تنعدم بالموت، كما يقول بـه من يجوّز اعادة المعـدوم بعينه، بـل تتفرّق أجزاؤهـا وتخرج عن حيّز الانتفاع، كما يقول به من لم يجوّزها.

---

(١) نهاية ابن الأثير ٤:١٦٦.

يَا ذا الْجَلاَلِ والْإكْرامِ.

ثمّ تصلّي ركعتي الوتيـرة جالساً، ويجوز فعلهما قـائماً، والمشهور فيهما الجلوس. وذكر بعض علمائنا أنّه فيهما أفضل من القيام.

وروى شيخ الطائفة في التهذيـب ـبسندٍ صحيحـ عن الصـادق عليه السَّلام

قوله: يا ذا الجلال والاكرام.

أي: ذا العظمة والتكريم.

وقيل: معناه ذا الاستغناء المطلق والفضل التامّ.

وقيل: الذي عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده.

وقيـل: ذا العظمة والكبريـاء. واستحقاق الحمد والمدح باحسانه الذي هو أعلى مراتب الاحسـان، وانعامه الـذي هو أصل كـلّ الانعام، والمكـرم لأنبيائه وأوليائه بألطافه مع عظمته وجلاله.

وقيل: مـعنـاه أنّه أهل أن يـعظّـم ويـنزّه عمّا لايـلـيق بصفاتـه، كما يـقول الانسـان لـغـيره: أنا أُجلّـك عـن كـذا وأُكرمك عنه، كـقـولـه تعالى «هو أهل التقوى»[1] أي: أهل أن يتّقى.

وقيل: ذا الجلال أي صفات التنزيه، نحو لاجوهر ولا عرض ولا شريك له وجهة، والاكرام صفات الوجود، مثل العلم والقدرة.

وقيل: الجلال صفـة ذاته، والاكرام صفة فـعله. وبالجمـلة فهذه الصفة من عظائم صفاته تـعالى. وعنه صلّـى الله عليه وآله أنّه مرّ برجل وهو يصلّي ويقول: ياذاالجلال والاكرام، فقال: قد استجيب لك.

وقيل: انّه اسم الله الأعظم، والله أعلم.

---

(١) سورة المدثر: ٥٦.

أنّـه قال: ركعـتان بعـد الـعشاء، كان أبي يصـلّيها وهو قاعـد، وأنـا أصلّيها وأنا

قوله عليه السَّلام: كان أبي يصلّيها وهو قاعد.

لأنّه عليه السَّلام كان بدناً جسيماً، وكان القيام يشقّ عليه، وكان يتعب به.

هذا وفي رواية سليمان بن خالد عن الصادق عليه السَّلام: ركعتان بعد العشاء الآخرة يقرأ فيهما مائة آية قائماً أو قاعداً، والقيام أفضل[١].

وفي رواية البزنطي عن أبي الحسن عليه السَّلام: وركعتان بعد العشاء من قعود تعدّ بركعة[٢].

والتوفيق بينهما بجوازها من قعود وقيام، والقيام أفضل، كما يدلّ عليه أيضاً ما في الكافي عن الصادق عليه السَّلام: من قرأ حرفاً وهو جالس في صلاته كتب الله له به خمسين حسنة، ومحى عنه خمسين سيّئة، ورفع له خمسين درجة. ومن قرأ حرفاً وهو قائم في صلاته، كتب الله له مائة حسنة، ومحى عنه مائة سيّئة، ورفع له مائة درجة[٣]. ومثله ما في رواية أُخرى عن أبي جعفر عليه السَّلام[٤].

وفي اللمعة الدمشقيّة: وللعشاء ركعتان جالساً، ويجوز قائماً.

قال الشارح الفاضل: بل هو أفضل على الأقوى، للتصريح به في بعض الأخبار، وعدم دلالة مادلّ على فعلهما جالساً على أفضليّته، بل غايته الدلالة على الجواز، مضافاً الى مادلّ على أفضليّة النافلة مطلقاً[٥].

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٥، ح٨.

(٢) فروع الكافي ٣: ٤٤٤، ح٨.

(٣) اصول الكافي ٢: ٦١٢ ـ ٦١٣.

(٤) اصول الكافي ٢: ٦١١، ح١.

(٥) شرح اللمعة ١: ١٦٩ ـ ١٧٠.

قائم[١]. وعملُنا على المشهور، ويمتد وقتها بامتداد وقت العشاء، فهما بعد الانتصاف قضاء.

وتفتتحهما بالتكبيرات السبع، والأدعية الثلاثة، وتقرأ في الأُولى سورة الملك أو الواقعة، وفي الثانية التوحيد، وتدعو بعد الفراغ[٢] بما شئت.

توضيح:

«لا تؤمنّا مكرك» كالاستدراج ونحوه.

«ولا تؤيسنا من روحك» بفتح الراء، أي: من رحمتك. والرَّوح في الأصل بمعنى الراحة.

وقال الفاضل الأردبيلي في آيات أحكامه: وينبغي القراءة متطهّراً وقاعداً إذا لم يكن في الصلاة وقائماً فيها للتأدّب به، ولما قال في عدّة الداعي، قال عليه السّلام كأنّه الصادق عليه السّلام لأنّه تقدّم ذكره: لقارىء القرآن بكلّ حرف يقرأ في الصلاة قائماً مائة حسنة، وقاعداً خمسون حسنة، ومتطهّراً في غير الصلاة خمس وعشرون حسنة، وغير متطهّر عشر حسنات، أما أنّي لا أقول «المر» حرف بل له بالألف عشرة وباللام عشرة وبالميم عشرة وبالراء عشرة.

ثمّ قال قدّس سرّه: وهذه الرواية تدلّ على أنّ القراءة قائماً في الصلاة ضعفها فيها جالساً، فتدلّ على كون الصلاة قائماً أفضل حتّى الوتيرة، وقد بيّنته في محلّه[٣].

يعني في شرحه على الارشاد. فظهر أنّ العمل على غير المشهور هو الأحرى والأفضل، فربّ مشهور لا أصل له.

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٤ ـ ٥.

(٢) فراغك: خ.

(٣) زبدة البيان: ٩٨.

«وأسبغ عليَّ من حلال رزقك» أي: اجعل رزقك الحلال سابغاً، أي: واسعاً، وتعدية الاسباغ بعلى لتضمُّنه معنى الإفاضة.

«ولا تُعنِّني» بالعين المهملة والنونين وأُولاهما مشددة، أي: لا تُتعبني بطلب غير المقدَّر لي، والمراد: ألهمني الإعراض عن طلبه.

«وخذ لنفسك رضىً من نفسي» أي: اجعل نفسي راضية بكلّ ما يَردُ عليها منك.

قوله: وأسبغ عليّ من حلال رزقك.

من اضافة الصفة الى الموصوف، كما أومأ اليه الشيخ قدّس سرّه.

قوله: لتضمّنه معنى الافاضة.

كما في قوله تعالى «وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة»[1].

قوله: وخذ لنفسك رضىً من نفسي.

«من نفسي» متعلّقة بقوله «خذ» أي: خذ لنفسك رضاها من نفسي، بالتوفيق على الأعمال الصالحة والأخلاق الكريمة، وبالاجتناب عن الأعمال السيّئة والأخلاق الذميمة، فانّ بالتخلية والتحلية وباستعمال قوّتي النظريّة والعمليّة تصير نفس الانسان مرضيّة عندالله برضاه عنها.

«انّ الذين آمنوا» باستعمال القوّة النظريّة «وعملوا الصالحات» باستعمال القوّة العمليّة «أُولئك هم خير البريّة * جزاؤهم عند ربّهم جنّات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربّه»[2].

---

(١) سورة لقمان: ٢٠.

(٢) سورة البيّنة: ٧ ـ ٨.

«وأهل حُزانتي» بالحاء المهملة المضمومة والزاي: العيال، لأنّك تحزن لأجلهم.

«واجعلني في كنفك» بفتح النون، أي: في حرزك .

«وحياطتك» بالحاء المهملة المكسورة، أي: تعهدك .

«وصيانتك وذمّتك» أي: عهدك وكفالتك .

«أدرأُ بك في نحور أعدائي» أدرأ بالمهملتين كأدفع وزناً ومعنى. ونحور بضم النون جمع نحر، وهو موضع القلادة. وقد ضمَّن أدرأ معنى أضرب أو أطعن فقال في نحور أعدائي.

«أخذ عزيز مقتدر» المراد بالعزيز هنا الغالب.

«والنَّقمُ ولزوم السَّقم» الأولى قراءة السَّقم هنا بفتحتين ليناسب النَّقمُ، وإن جاء بضمّ أوّله وإسكان ثانيه أيضاً.

«وما طغى به الماء لغضبك» طغى بالطاء المهملة والغين المعجمة، أي: جاوز الحدّ والمراد ما يوجب الهلاك بالماء بسبب غضبه جلَّ شأنه.

«وما عتت به الريح عن أمرك» عتت بالعين المهملة والتاءين الفوقانيتين من العتوّ، وهو مجاوزة الحد، أي: ما عتت بسببه الريح عتوّاً صادراً عن أمرك لها بذلك .

قوله: عن أمرك لها بذلك.

في الفقيه وكذا في روضة الكافي بسند صحيح عن أبي جعفر عليه السَّلام حديث طويل، وفيه يقول عليه السَّلام: انّ الله عزّوجلّ جنوداً من الريح يعذّب بها من عصاه، موكّل بكلّ ريح منهنّ ملك مطاع، فاذا أراد الله عزّوجلّ أن يعذّب قوماً بعذاب، أوحى الله الى الملك الموكّل بذلك النوع من الريح الذي يريد أن يعذّبهم به، فيأمر بها الملك، فتهيج كما يهيج الأسد المغضب، ولكلّ ريح

«وعيل به صبري» بالعين المهملة وبعدها ياء مثناة تحتانيّة على صيغة المجهول من عال إذا غلب.

منهنّ اسم، أما تسمع لقول الله عزّوجلّ «انّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمرّ»[١].

وفي الفقيه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما خرجت ريح قطّ الّا بمكيال الّا زمن عاد، فانّها عتت على خزّانها، فخرجت في مثل خرق الابرة، فأهلكت قوم عاد[٢].

وفي روضة الكافي باسناده الى أبي جعفر عليه السّلام حديث طويل، وفيه: وأمّا الريح العقيم فانّها ريح عذاب لا تلقح شيئاً من الأرحام ولا شيئاً من النبات، وهي ريح تخرج من تحت الأرضين السبع، وما خرجت منها ريح قطّ الّا على قوم عاد حين غضب الله عليهم، فأمر الخزّان أن يخرجوا منها على مقدار سعة الخاتم.

قال: فعتت على الخزّان، فخرج منها على مقدار منخر الثور تغيّظاً منها على قوم عاد، قال: فضجّ الخزّان إلى الله عزّوجلّ من ذلك، فقالوا: ربّنا انّها قد عتت عن أمرنا أنّا نخاف أن تهلك من لم يعصك من خلقك وعمّار بلادك، قال: فبعث الله عزّوجلّ اليها جبرئيل عليه السّلام، فاستقبلها بجناحه، فردّها الى موضعها وقال لها: أُخرجي على ما أُمرت به، قال: فخرجت على ما أُمرت به وأهلكت قوم عاد ومن كان بحضرتهم[٣].

---

(١) من لايحضره الفقيه ١:٥٤٥. روضة الكافي ٨:٩١.

(٢) من لايحضره الفقيه ١:٥٢٥ و ٥٤٥.

(٣) روضة الكافي ٨:٩٢ ـ ٩٣.

«الذي لا يمنُّ به سواك» أي: أسألك الأمن الذي لا يقدر على إعطائه لي والمنّ به عليّ إلّا أنت، كغفران الذنوب والخلود في الجنّة.

«يا سابغ النعم» من قبيل الوصف بحال المتعلّق، وقد عرفت معنى السبوغ.

«يا باريء النسم» الباريء: الخالق. والنسم بالنون والسين[1] المفتوحتين جمع نسمة بفتحتين، وهي الإنسان ويطلق على المملوك، ذكراً كان أو انثى، ويمكن أن يراد به هنا جميع الخلائق من الناس وغيرهم.

ويظهر من هذا الدعاء وهذه الأخبار وأمثالها الكثيرة أنّ الرياح مخزونات مأمورات مطيعات لأمر ربّها ونهيه، وليس أمرها على مازعمه الطبيعيّون من أنّ السحاب إذا ثقل لكثرة البرد واندفع الى اسفل يصير لتسخّنه بالحركة وتحلّل الأجزاء المائيّة في أثنائها هواءً متحرّكاً أي ريحاً.

قالوا: وقد تحدث لانبساط الهواء بالتخلل واندفاعه من جهة الى أُخرى، فتدافع مايجاوره وهكذا فيتموّج الهواء، وقد تحدث من التكاثف، لأنّه إذا صغر حجمه يتحرّك الهواء المجاور له الى جهة، ضرورة امتناع الخلأ، الى غير ذلك ممّا قالوه من أسباب حدوثها، فانّها كلّها خلاف ظاهر الآيات والروايات من غير دليل بل مجرّد احتمال.

قوله: ياسابغ النعم.

أي: يامن سابغة ـ أي كاملة واسعة ـ نعمه، فهو من قبيل ياحسن الغلام، أي يامن حسن غلامه.

---

(١) المهملة: خ.

الباب الخامس

فيما يعمل مابين وقت النوم إلى انتصاف الليل

أوّل ما تعمله عند إرادة النوم الطهارة. روى رئيس المحدّثين في الفقيه عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: من تطهّر[1] ثم آوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجده[2]. وقد ذكر علماؤنا ـ قدّس الله أرواحهم ـ أنّ غير القادر على الماء

قوله في الحاشية: روى شيخ الطائفة في التهذيب.

هذه رواية مرسلة في التهذيب تدلّ على رجحان الوضوء على التيمّم للنوم، وكذا مانقله الشيخ ـ قدّس سرّه ـ عن علمائنا يدلّ عليه. والمشهور من السيّد الداماد ترجيح التيمّم على الوضوء وقت النوم، والأوّل هو الأفضل.

قوله عليه السَّلام: وفراشه كمسجده.

فكأنّه مشغول بالعبادة طول ليله. وفي حديث سلمان رضي الله عنه سمعت حبيبي رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: من بات على طهر فكأنّما

---

(١) روى شيخ الطائفة في التهذيب عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: من تطهّر ثمّ آوى إلى فراشه، بات وفراشهُ كمسجده. فإن ذكر أنّه ليس على وضوء، فتيمّم من دثاره كائناً ما كان، لم يزل في صلاة ما ذكر الله عزّوجلّ (منه رحمه الله).

(٢) من لايحضره الفقيه ١: ٤٦٩.

يجوز له التيمّم للنوم، كالتيمم لصلاة الجنازة.

ومن الأعمال المستحبّة عند النوم، قراءة سورة التوحيد والجحد، رواه رئيس المحدّثين أيضاً في الفقيه بسندٍ صحيح[١]. وورد أيضاً عن أصحاب العصمة سلام الله عليهم قراءة سورة التوحيد مائة مرّة، كما رواه ثقة الإسلام في الكافي بطريق صحيح عن أبي أُسامة، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السَّلام يقول: مَن قرأ «قل هو الله أحد» مائة مرّة حين يأخذ مضجعه غفر الله ماقبل ذلك خمسين عاماً[٢].

وروى فيه أيضاً عنه عليه السَّلام أنّه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: مَن قرأ «أَلهاكُمُ التَّكاثُرُ» عند النوم وُقيَ فتنة القبر[٣].

وينبغي أن تدعو إذا اضطجعت بما رواه رئيس المحدّثين في الفقيه ـ بطريقٍ صحيحٍ ـ عن محمّد بن مسلم، قال: قال لي أبو جعفر عليه السَّلام: إذا توسد الرجل يمينه، فليقل:

بِسْمِ اللهِ اَللّهُمَّ أَسلَمْتُ نَفْسِي إلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجهِي إلَيْكَ،

أحيى الليل[٤].

قوله عليه السَّلام: إذا توسّد الرجل.

أي: اذا وضع يمينه على الوسادة، وهي المتكأ والمخدّة.

قوله عليه السَّلام: اللهمّ انّي أسلمت نفسي اليك.

أي: ألقيتها بين يديك، أو وجّهتها اليك، فالعطف تفسيريّ، يقال: أسلم

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٤٧٠.

(٢) اصول الكافي ٢: ٥٣٩، ح١٥.

(٣) اصول الكافي ٢: ٦٢٣، ح١٤.

(٤) امالي الصدوق: ٣٧، ح٥، ومعاني الاخبار: ٢٣٤.

وَفَوَّضتُ أَمري إِلَيْكَ ، وأَلجَأْتُ ظَهري إِلَيْكَ ، وَتَوَكَّلتُ عَلَيْكَ ، رَهبةً مِنْكَ وَرَغبَةً إِلَيْكَ ، لا مَلجَأَ وَلاَ مَنجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، آمَنتُ بِكتابكَ

فلان فلاناً اذا ألقاه في الهلكة ولم يحمه من عدوّه، وهو عامّ في كلّ من أسلمته الى شيء، لكن غلب عليه الالقاء في الهلكة. ومنه الحديث: انّي وهبت لخالتي غلاماً، فقلت لا تُسلميه حجّاماً ولا صائغاً ولا قصّاباً. أي: لا تعطيه لمن يعلّمه احدى هذه الصنائع[١].

«وفوّضت أمري اليك» أي: رددته، يقال: فوّض الأمر تفويضاً اذا ردّه اليه وجعله حاكماً فيه. والمراد بتفويض الأمر اليه أن يفوّض العبد جميع مايصدر عنه ويرد عليه الى الله تعالى، لأنّه أقوى وأقدر ويصنع ماقدر عليه على أحسن وجه وأكمله، ثمّ يرضى بما فعله، وهو مع ذلك يجهد ويسعى فيما فوّضه اليه، ويعدّ نفسه وعلمه وقدرته وارادته من الأسباب المخصّصة لتعلّق قدرته وارادته تعالى لما صنعه بالنسبة اليه. ومنه يظهر سرّ لاجبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، واليه يرجع معنى التوكّل.

والالجاء الاستناد والاعتضاد، تقول: لجأت الى فلان والتجأت وتلجّأت اذا استندت اليه واعتضدت به، أي: أسندت ظهري الى قوّتك ونصرتك واعانتك لتكون ظهيري ونصيري في أُمور الدنيا والدين.

قوله عليه السَّلام: رهبة منك.

أي: من عذابك بحذف المضاف.

قوله عليه السَّلام: ورغبة اليك.

أي: إلى ثوابك.

---

(١) نهاية ابن الأثير ٢: ٣٩٤.

الَّـذي أَنزَلْتَ، وَبرَسُولكَ الَّـذِي أَرسَلْتَ.

ثم تسبّح تسبيح الزهراء عليهاالسَّلام. هذا آخر الحديث[١].

واعلم أنّ المشهور استحباب تسبيح الزهراء عليهاالسَّلام في وقتين: أحدهما بعد الصلاة، والآخر عند النوم. وظاهر الرواية الواردة به عند النوم تقتضي تقديم التسبيح على التحميد، وظاهر الرواية الصحيحة الواردة في تسبيح الزهراء عليهاالسَّلام على الإطلاق يقتضي تأخيره عنه.

ولا بأس ببسط الكلام[٢] في هذا المقام، وإن كان خارجاً عن موضوع الكتاب، فنقول: قد اختلف علماؤنا ـقدّس الله تعالى أرواحهمـ في ذلك مع اتّفاقهم على الابتداء بالتكبير، لصراحة صحيحة ابن سنان عن الصادق عليه السَّلام في الابتداء به[٣]. فالمشهور الذي عليه العمل في التعقيبات تقديم

قوله: هذا آخر الحديث.

لعلّه ـقدّس سرّهـ انّما صرّح بأنّ هذا آخر الحديث ليردّ به على من قال: انّ الظاهر أنّ قوله «ثمّ تسبّح تسبيح الزهراء عليهاالسَّلام» من كلام الصدوق، ولا بعد فيه، الّا أن يكون هذا الحديث مذكوراً في غير هذا الكتاب، ويكون قوله «ثمّ» الى آخره من تتمّته.

قوله: لصراحة صحيحة ابن سنان.

قد مرّت هذه الصحيحة في الباب الأوّل في تعقيب الصبح، فتذكّر.

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٤٧٠.

(٢) إنما طولنا الكلام في هذا المبحث، لأنّ علماءنا ـقدّس الله أرواحهمـ لم يوفّوه حقّه من النظر (منه رحمه الله).

(٣) تهذيب الاحكام ٣: ٦٦.

التحميد على التسبيح. وقال رئيس المحدّثين وأبوه وابن الجُنيد بتأخيره عنه. والروايات عن ائمة الهدى سلام الله عليهم لاتخلو بحسب الظاهر من اختلاف.

والروايات المعتبرة التي ظاهرها تقديم التحميد شاملة بإطلاقها لما يُفعل بعد الصلاة وما يفعل عند النوم، وهي ما رواه شيخ الطائفة في التهذيب ـ بسندٍ صحيح ـ عن محمَّد بن عذافر، قال: دخلت مع أبي على أبي عبدالله عليه السَّلام، فسأله أبي عن تسبيح الزهراء عليها السَّلام، فقال: الله أكبر حتى أحصى أربعاً وثلاثين مرّة، ثمّ قال: الحمد لله حتّى بلغ سبعاً وستين مرّة، ثمّ قال: سبحان الله حتى بلغ مائة مرّة، يحصيها بيده جملة واحدة[1].

والرواية التي ظاهرها تقديم التسبيح على التحميد مختصّة بما يفعل عند النوم، وهي ما رواه رئيس المحدّثين في الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السَّلام أنّه قال لرجلٍ من بني سعد: ألا أُحدثك عنّي وعن فاطمة عليها السَّلام؟ أنّها

قوله: وهي ماروواه رئيس المحدّثين في الفقيه.

ومثله ماروواه في الكافي عن داود بن فرقد عن أخيه أنّ شهاب بن عبد ربّه سألنا أن نسأل أباعبدالله عليه السَّلام وقال: قل له انّ امرأة تقرعني[2] في المنام بالليل، فقال: قل له اجعل مسباحاً وكبّر الله أربعاً وثلاثين تكبيرة وسبّح الله ثلاثاً وثلاثين، واحمد الله ثلاثاً وثلاثين،الحديث[3].

لكن الأخبار الواردة في تقديم التسبيح كلّها في النوم، وورد فيه تقديم الحمد أيضاً. كخبر هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: تسبيح فاطمة الزهراء عليها السَّلام اذا أخذت مضجعك، فكبّر الله أربعاً وثلاثين،

---

(١) تهذيب الاحكام ٢:١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) في الكافي: تفزعني.

(٣) اصول الكافي ٢:٥٣٦ ـ ٥٣٧، ح٧.

كانت عندي فاستقت بالقربة حتّى أثّر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مَجَلت يداها، وكسحت البيت حتّى اغبرّت ثيابُها، وأوقدت تحت القدر حتى دكِنَت ثيابُها، فأصابها من ذلك ضرر شديد. فقلت لها: لو أتيت أباك فسألِته خادماً يكفيكِ حرّ ما أنت فيه من[1] العمل. فأتت النبيَّ صلّى الله عليه وآله، فوجدت عنده أحداثاً، فاستحيت وانصرفت. فعلم عليه السَّلام أنها جاءت لحاجة فغدا علينا ونحن في لحافنا، فقال: السلام عليكم، فسكتنا واستحيينا[2] لمكاننا. ثمّ قال: السلام عليكم، فسكتنا واستحيينا لمكاننا.

واحمده ثلاثاً وثلاثين، وسبّحه ثلاثاً وثلاثين[3].

فمن المتأخّرين من جمع بينهما، بحمل ماورد في تقديم الحمد على التعقيب والتأخير على النوم، وسيردّه الشيخ ـ قدّس سرّه ـ بأنّه خرق الاجماع. والأظهر تقديم التحميد مطلقاً، لورود الأخبار فيه بلفظة «ثمّ» والواو لاينافيه، لعدم دلالتها على الترتيب.

قوله عليه السَّلام: فغدا علينا ونحن في لحافنا.

لعلّه كان هناك مانع من الخروج عن اللحاف، وإلّا كان عليهما أن يخرجا منه بعد سلامه عليه السَّلام من خارج البيت؛ إذ الوقت كان يسع لأن يتهيّأ لدخوله، ضرورة أنّه عليه السَّلام كان يصبر ويسكت مابين كلّ سلام الى سلام هنيئة، ليستعلم حقيقة الحال من وجود مانع هناك وعدمه، كما هو المقصود من الاستئذان.

---

(١) هذا: خ ل.

(٢) هذا يدل على أن السكوت عن ردّ السلام لغلبة الحياء جائز (منه).

(٣) اصول الكافي ٢: ٥٣٦، ح٦.

ثمّ قـال: السلام عليكـم، فخشـينا إن لم نردّ علـيه أن يـنصرف، وقد كان يفـعل ذلك يسلّم ثـلا ثاً، فإن أُذن له و إلّا انصرف، فقلـت: وعليك السلام يا رسـول الله ادخلْ، فدخـل وجـلس عنـد رؤوسـنا، وقال: يـافـاطمـة مـاكانت حاجـتك أمس عـند محمّـد؟ فخشـيتُ إن لم تُـجبه أن يـقوم فـأخرجـتُ رأسي، وقلـت: والله أنا أُخـبرك [١] يـا رسـول الله، إنّهـا استـقت بالـقربـة حتّـى أثّر في صدرها، وجرت بـالـرَّحى حتّى مجلـت يداها، وكسحت الـبيت حتّى اغـبرَّت

والدليل على وجود المـانع عـدم خروجهما بعد الاذن والدخول أيضـاً، فلولاه لكان ذلك خارجاً عن طريقة الأدب، وحاشاهما عن ذلك ثـمّ حاشاهما.

ثـمّ انّ هذا كأنّه كـان قبـل نزول آية التحـيّة و وجـوب ردّ السلام، أو أنّهما ردّاه عـليـه سرّاً لاجـهراً، فـانّ اسـماع الـردّ غير واجب، كما يـدلّ علـيـه بعض الأخبـار. فمعنى السكوت انّا لم نـرد علـيه ردّاً يسمعه، فـيكـون قرينة الاذن على الدخول. والأوّل أظهر، وبهذا يضعـف الاستدلال به، على أنّ السكوت عن ردّ السلام لغلبة الحياء جائز، فتأمّل فيه.

قوله في الحاشية: فالتأكيد حسن.

كما أنّه قـد يترك تأكيـد الحكـم المنكر، لأنّ نفس المـتكلّم لا تساعده على تأكيده لـكونه غير مـعتقد له، أو لأنّه لايروّج مـنه ولا يتقبّل على لفظ الـتأكيد، فكذا قد يـؤكّـد الحكم المسلـم، لصـدق الرغبة و وفور الـنشاط فيه ورواجه عـند المخاطب.

---

(١) تأكيده علـيه السَّلام بالقسـم مع أنّ الخبر ليس ملقىً إلى منكرٍ ولا متردّدٍ لأنّه خبر ملقىً إلى من هو رائج عنده مقبول لديه، فالتأكيد حسن، كما هو مقرّر بين علماء المعاني (منه).

ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها. فقلت لها: لو أتيتِ أباك، فسألتِه خادماً يكفيكِ حَرَّما أنتِ فيه من هذا العمل.

قال في الكشّاف في قوله تعالى «وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنّا معكم»[١]: ليس ماخاطبوا به المؤمنين جديراً بأقوى الكلامين وأوكدهما، لأنّهم في ادّعاء حدوث الايمان لا في ادّعاء أنّهم أوحديّون فيه، إمّا لأنّ أنفسهم لا تساعدهم عليه، لعدم الباعث والمحرّك من العقائد، وإمّا لأنّه لايروّج ذلك منهم لو قالوا على لفظ التأكيد والمبالغة، وأمّا مخاطبة اخوانهم والاخبار عن أنفسهم بالثبات على اليهوديّة، فهم فيه على صدق رغبة ووفور نشاط، فهو رائج عنهم متقبّل منهم، فكان مظنّة للتحقيق ومئنّة للتوكيد[٢]، هذا كلامه فافهمه.

قوله: فسألته خادماً.

كثيراً ما يطلق الخادم على المملوك والمملوكة، فمنه ماورد في صحيحة يعقوب بن شعيب أنّه سأل سيّدنا أباعبدالله الصادق عليه السَّلام عن الرجل يكون له الخادم، فقال: هي لفلان تخدمه ماعاش، فاذا مات فهي حرّة، فتأبق الأمة قبل أن يموت الرجل بخمس سنين أو ستّ سنين ثمّ يجدها ورثته، ألهم أن يستخدموها بعد ما أبقت؟ فقال: لا إذا مات الرجل فقد عتقت[٣].

وفي نهاية ابن الأثير: وفي حديث فاطمة وعلي عليهماالسَّلام «اسألي أباك خادماً يقيك حرّ ما أنت فيه» الخادم واحد الخدم، ويقع على الذكر والانثى،

---

(١) سورة البقرة: ١٤.

(٢) الكشاف ١:١٨٥ ـ ١٨٦.

(٣) تهذيب الاحكام ٨:٢٦٤، ح٢٨. الاستبصار ٤:٣٢ ـ ٣٣.

فقال صلّى الله عليه وآله: أفلا أُعلِّمكما ما هو خيرٌ لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فكبِّرا أربعاً وثلاثين تكبيرة، وسبِّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين. فأخرجت فاطمة عليها السَّلام رأسها وقالت: رضيت عن الله ورسوله، رضيت عن الله ورسوله[١].

توضيح:

ولا بأس بإيضاح بعض ما تضمّنه هذا الحديث: «حتى مَجَلت يداها» يقال: مجلت يدُه بفتح الجيم وكسرها إذا حصلت فيها من شدّة العمل نقاطة، وهي التي يقال لها بالفارسية آبله.

«وكسحت البيت» بالمهملتين أي: كنسته.

«ودكنت ثيابها» بالدال المهملة والكاف المكسورة والنون، أي: اسودَّت.

«لو أتيت أباك » جواب لو محذوف، لدلالة المقام عليه.

«فسألته خادماً» الخادم يطلق على الغلام والجارية يستوي فيه المذكر والمؤنث.

«يكفيك حرَّ ما أنت فيه» الحرّ بالمهملتين بمعنى التعب والشدّة.

«ووجدت عنده أحداثاً» يقال: رجل حَدَث بفتح الدال، أي: شابّ وأحداث جمعه.

لاجرائه مجرى الأسماء غير المأخوذة من الافعال كحائض وعاتق، ومنه حديث عبدالرحمان «أنه طلّق امرأته فمتّعها بخادم سوداء» أي جارية[٢].

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٣٢٠ - ٣٢١.

(٢) نهاية ابن الأثير ٢: ١٥.

هذا ولا يخفى أنّ هذه الرواية غير صريحة في تقديم التسبيح على التحميد، فإنّ الواو لا تفيد الترتيب، وإنّما هي لمطلق الجمع على الأصح كما بيّن في

قوله: فانّ الواو لا تفيد الترتيب.

القائلون بافادتها الترتيب استدلّوا عليه أوّلاً بقوله تعالى «اركعوا واسجدوا»[١] ففهم منه أنّ السجود بعد الركوع، ولولاه لجاز الأمران.

وأُجيب بأنّ الترتيب أُستفيد من غيره من الاجماع وفعل النبيّ، وقوله: «صلّوا كما رأيتموني أُصلّي»[٢] وثانياً بقوله صلّى الله عليه وآله: «ابدؤا بما بدأ الله به»[٣] لمّا نزل «انّ الصفا والمروة من شعائر الله»[٤] حيث صرّح بوجوب الابتداء بما بدأ الله به. ويفهم منه ترتّب الوجوب على ابتداء الله به، ولولا أنّه للترتيب لما كان كذلك.

وأُجيب بأنّه لو كان للترتيب لفهموه من الآية، فما كانت لهم حاجة الى السؤال والجواب بقوله «ابدؤا» وثالثاً بأنّ اعرابياً خطب عنده صلّى الله عليه وآله، فقال: من أطاع الله ورسوله فقد اهتدى، ومن عصاهما فقد غوى، فقال: بئس خطيب القوم أنت، قل ومن عصى الله ورسوله. ولولا أنّه للترتيب لما كان بينهما فرق، فما كان للردّ والتلقين معنى.

وأُجيب بأنّ الافراد بالذكر فيه من التعظيم ماليس في القرآن، فردّ عليه لتركه التعظيم، فهذا هو الفرق مابينهما.

---

(١) سورة الحج: ٧٧.

(٢) عوالي اللئالي ١:١٩٨، ح٨.

(٣) كنزالعمال ٩:٣٠٧، ح٢٦١٣٧.

(٤) سورة البقرة: ١٥٨.

الأُصول. نعم ظاهر التقديم اللفظي يقتضي ذلك. وكذا الرواية السابقة غير صريحة في تقديم التحميد على التسبيح، فإن لفظة «ثمّ» فيها من كلام الراوي. فلم يبق[١] إلّا ظاهر التقديم اللفظي أيضاً.

فالتنافي بين الروايتين إنّما هو بحسب الظاهر، فينبغي حمل الثانية على الأُولى، لصحة سندها واعتضادها ببعض الروايات الضعيفة، كما رواه أبو بصير عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال في تسبيح الزهراء عليها السَّلام: تبدأ بالتكبير أربعاً وثلاثين مرّة، ثم التحميد ثلاثاً وثلاثين، ثمّ التسبيح ثلاثاً وثلاثين[٢]. وهذه الرواية صريحة في تقديم التحميد، فهي مؤيدة لظاهر لفظ الرواية الصحيحة، فتُحمل الرواية الأُخرى على خلاف ظاهر لفظها ليرتفع التنافي بينهما كما قلنا[٣].

قوله: وكذا الرواية السابقة.

هذه الرواية صريحة في تقديمه عليه، لأنّ لفظة «ثمّ» وإن كانت من كلام الراوي الاّ أنّه حاكٍ لما صدر منه عليه السَّلام في مقام تعليم السائل على الترتيب المذكور، وهو صريح في تقديمه التحميد على التسبيح، ولا معنى لحديث التقديم اللفظي في هذه الرواية، وانّما كان له معنى لو قيل بعد السؤال كبّر كذا

---

(١) لكن يمكن أن يقال: تعبير الراوي بلفظة «ثمّ» يعطي أنّه فهم من الإمام عليه السَّلام تراخي التسبيح عن التحميد، وهذا كافٍ في الترتيب المشهور. فإن قلت: التراخي لم يقل به أحد من الأصحاب، فالرواية متروكة الظاهر؟ قلت: انسلاخ لفظة «ثمّ» من التراخي لايستلزم انسلاخها عن الترتيب، فتأمّل (منه رحمه الله).

(٢) فروع الكافي ٣:٣٤٢، ح٩.

(٣) ان قلت: هنا وجه آخر وهو القول بالتخيير بين تقديم التحميد على التسبيح وتأخيره عنه، وبه يحصل الجمع بين الروايتين. قلت: لم نطّلع على قائل بذلك، فلعلّه خرق للاجماع المركّب أيضاً (منه).

فإن قلت: يمكن العمل بظاهر الروايتين معاً، تحمل الأُولى على الذي يفعل بعد الصلاة، والثانية على الذي يفعل عند النوم، وحينئذٍ لايحتاج إلى صرف الثانية عن ظاهرها، فلم عدلت عنه وكيف لم تقل به؟

قلت: لأنّي لم أجد قائلاً بالفرق بين تسبيح الزهراء عليها السّلام في الحالين، بل الذي يظهر بعد التتبع أنّ كلّاً من الفريقين القائلين بتقديم التحميد وتأخيره قائلٌ به مطلقاً، سواء وقع بعد الصلاة أو قبل النوم. فالقول بالتفصيل إحداث قول ثالثٍ في مقابل الإجماع المركّب.

واحمد كذا وسبّح كذا، كما قيل مثله في الرواية السابقة النبويّة.

نعم يمكن أن يقال: لعلّه عليه السّلام انّما قدّم التحميد على التسبيح ليدلّ به على جواز تقديمه عليه، لا على تعيّنه والكلام فيه.

وفيه أنّه ينافي ما سيصرّح به في الحاشية من أنّ القول بالتخيير بين تقديمه عليه وتأخيره عنه خرق للاجماع المركّب، وبذلك ثبت المطلوب، فتأمّل.

قوله: فالقول بالتفصيل احداث قول ثالث.

قال آية الله العلّامة في النهاية: كلّ مسألة اشتملت على موضوع كلّيّ على الاطلاق، فالحكم فيها: امّا بالايجاب الكلّي، أو السلب الكلّي، أو الايجاب في البعض، والسلب في الباقي، فاذا اختلف أهل العلم على قولين من هذه الاحتمالات الثلاثة، بأن يقول بعضهم بالايجاب الكلّي، والباقون بالسلب الكلّي، أو بالاقتسام، أو قال بعضهم بالسلب الكلّي والباقون بالاقتسام، فهل يجوز لمن بعدهم أن يقول بالثالث؟ منعه الجمهور والاماميّة، وجوّزه أهل الظاهر والحنفيّة، ونقل بعضهم عن بعض الشيعة جوازه، وهو غلط، وحجّتهم في ذلك ظاهرة، لأنّ الامّة إذا اختلفوا على قولين، فالحقّ واحد منهما والثاني باطل، لأنّه

وأمّا ما يقال من أنّ إحداث القول الثالث إنّما يمتنع إذا لزم منه رفع ما اجتمعت عليه الأُمّة، كما يقال في ردّ البكر الموطوءة[١] بعيب مجاناً، لا تّفاق الكلّ على عدمه، بخلاف ما ليس كذلك، كالقول بفسخ النكاح ببعض

لايشتمل على قول المعصوم، فيكون الثالث أولى بالبطلان، وسيشير اليه الشيخ في آخر البحث[٢].

قوله: كالقول بفسخ النكاح.

أي: فسخ النكاح بأحد العيوب الخمسة، وهي: الجنون، والجبّ، والعنّة، والرتق، والقرن. فانّ الأُمّة على قولين:

أحدهما أن لافسخ بشيء منها، وهومذهب أبي حنيفة، لأنّ النكاح لايقبل الفسخ عنده، لكن اذا كان الزوج عنيناً أو مجنوناً رفعت الزوجة الى القاضي ليطلّق.

ثانيهما: أنّه يفسخ بكلّ واحد منها، فالقول بالفسخ ببعضها دون بعض غير رافع لما اتّفقت عليه الامّة، بل موافق لكلّ من القولين في البعض.

وفيه أنّ القول الثالث في هذه الصورة وان وافق كلّاً من القولين في البعض، لكنّه خالفهما معاً في البعض أيضاً، فانّ القول بالسلب الكلّي يبطل القول بالسلب الجزئي، فقد اجتمعت الامّة على بطلان القول بالايجاب والسلب الجزئيّين.

---

(١) المراد إذا وطأ المشتري البكر، ثمّ وجد بها عيباً، فقيل: الوطء يمنع الرد، وقيل: يردّها مع الأرش، فالقول بردّها مجّاناً قول ثالث (منه رحمه الله).

(٢) نهاية الاصول للعلّامة الحلي ـ مخطوط.

العيوب الخمسة دون بعض، لموافقة كلٍّ من الشطرين في شطر وكما نحن فيه، إذ لا مانع منه، مثل القول بصحة بيع الغائب وعدم قتل المسلم بالذمّي بعد قول أحد الشطرين بالثاني ونقيض الأول والشطر الثاني بعكسه؟

فجوابه: أنّ هذا التفصيل إنّما يستقيم على مذهب العامة، كما ذكرتُه في زبدة الأُصول. أمّا على ما قرّره الخاصّة من أنّ حجية الإجماع مسببةٌ عن كشفه عن دخول المعصوم فلا؛ إذ مخالفتُه حاصلةٌ، وإن وافق القائل كلّاً من الشطرين في شطر، وقس عليه مثال البيع والقتل.

ولا يندفع هذا البحث بأنّ عدم القول بالتفصيل ليس قولاً بعدمه، كما في الواقعة المتجدّدة التي لاحكم للسابقين فيها، هذا خلاصة ما في مختصر الحاجي وشرحه للعضدي وما يتعلّق بهما من الحواشي، وانّما ذكرناه أيضاً حال ماذكره الشيخ في الجملة. والأولى ترك هذه الافادات بمثل هذه العبارات في مثل هذه الرسالات.

قوله: وعدم قتل المسلم بالذمّي.

توضيحه: انّه لو قال بعضهم: لا يقتل مسلم بذمّي، ولا يصحّ بيع الغائب، وقال الآخرون: يقتل ويصحّ، فلو جاء ثالث وقال: يقتل ولا يصحّ،أو لايقتل ويصحّ، لم يكن ممتنعاً بالاتّفاق، لأنّهما مسألتان خالف في احداهما بعضاً وفي الاخرى بعضاً، وانّما الممنوع مخالفة الكلّ فيما اتّفقوا عليه.

قوله: إذ مخالفته حاصلة الى آخره.

قال العضدي في شرحه على مختصر الحاجي: إذا اختلف أهل العصر على قولين لايتجاوزونهما، ثمّ أحدث من بعدهم قولاً ثالثاً، فقد منعه الأكثرون وجوّزه الأقلّون.

فصل

وينبغي أن يكون اضطجاعك على جانبك الأيمن، فإنّه نوم المؤمنين، كما رواه ثقة الإسلام في الكافي ـ بسندٍ صحيحٍ ـ عن أحمد بن إسحاق، قال: قلت

وله أمثلة أحدها أن يطأ المشتري البكر، ثم يجد بها عيباً، فقيل: الوطء يمنع الردّ. وقيل: بل يردّها مع أرش النقصان، وهو تفاوت قيمتها بكراً وثيّباً، فالقول بردّها مجّاناً، أي: بلا أرش ولا عوض قول ثالث.

والصحيح عند المصنّف التفصيل، وهو أنّه إن كان الثالث يرفع شيئاً متّفقاً عليه فممنوع، والّا فلا، فالأوّل كمسألة البكر للاتّفاق على المنع من الردّ مجّاناً، والثاني كمسألة فسخ النكاح ببعض العيوب.

قوله: اضطجاعك على جانبك الأيمن.

كما هو الظاهر ممّا مرّ في أوائل هذا الباب من صحيحة محمّد بن مسلم، قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: إذا توسّد الرجل يمينه، فليقل بسم الله الدعاء[1]. فانّ فيه ايماء بل تصريح بأنّه ينبغي أن يتّكىء على يمينه.

قوله: كما رواه ثقة الاسلام في الكافي.

في الكافي عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن اسحاق، قال: دخلت على أبي محمّد، فسألته أن يكتب لأنظر الى خطّه، فأعرفه اذا ورد، فقال: نعم. ثمّ قال: ياأحمد أنّ الخطّ سيختلف عليك من بين القلمين[2] الغليظ الى القلم الدقيق،

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٤٦٩.

(٢) في الكافي: القلم.

لأبي محمّـد يعني الحسن العسكـري عليه السَّلام: جعلـت فداك إني مغتمّ لشيء يصيبني في نفسي، وقد أردت أن أسأل أبـاك عليه السَّلام عنه فـلم يُقض[١] لي ذلك، فقال: وما هو يا أحمـد؟ فقلت: روي لنا عن آبائك عليهم السَّلام أنّ نوم

فلا تشكّنّ، ثمّ دعـا بالدواة فكتـب، فجعل يستـمدّ الى مجرى الدواة، فقلت في نفسي وهو يكـتب: أستوهبـه القلم الذي كـتب به. فلمّا فرغ من الكتابة أقبل يحدّثني وهو يمسـح القـلم بمنديل الـدواة ساعة، ثمّ قال: هـاك يا أحمد فناولـنيه، فقلت: جعلت فداك انّي مغتمّ،الحديث[٢].

قوله: فلم يقض لي ذلك.

المراد بالقضاء هنا الايجاب والالزام، يعني: انّ الله تعالى لم يوجب لي ذلك ولم يـلزمه. وحاصله: انّ ارادة الله في ذلـك خـالفت ارادتي، فحصل مراده دون مرادي.

وظـاهر كلام الشيـخ ـقدّس سـرّهـ في الحاشية يـفيد أنّ الـقضاء والقدر إذا استعملا في الايجاب والالزام، فهما متساوقان فيه، كما ذهب اليه بعضهم.

وقـيـل: انّ القدر هو الايجاد الـذي يـتغيّر ويتبـدّل بـخلاف القضاء. وقيل بالعكس.

والحقّ أنّ القدر مقـدّم على القضـاء، وهو اتمام الأمر الـذي لا يتطـرّق اليه تبديل ولا تغيير، لأنّ القدر من التقدير، وهو جعل الشيء على مقدار غيره. وأمّا الـقضـاء، فمعناه الفـراغ مـن الأمر، وهو يناسب الـقطـع واتمام الخلق، لأنّ من أوجب أمراً بحيث لا يـتطرّق اليه التـغيير اذا تمّ خلقـه فقد فرغ من أمـره «فوكزه

---

(١) أي: لم يساعده القضاء والقدر (منه).

(٢) اصول الكافي ١:٥١٣، ح٢٧.

الأنبياء على أقفيتهم، ونوم المؤمنين على أيمانهم، ونوم المنافقين على شمائلهم، ونوم الشياطين على وجوههم. فقال عليه السَّلام: كذلك هو. فقلت: ياسيدي، فإنّي أجهد أن أنام على يميني، فما يمكنني ولا يأخذني النوم عليها. فسكت ساعة، فقال: ياأحمد، ادنُ منّي. فدنَوت منه، فقال: أدخل يدك تحت ثيابك، فأدخلتها، فأخرج يده من تحت ثيابه فمسح بيده اليمنى على جانبي الأيسر، وبيده

موسى فقضى عليه»[١] أي: قتله، لأنّ من قتل قتيلاً فرغ من أمره.

وقال الرضا عليه السَّلام ليونس: تعلم ما القدر؟ قال: لا، قال: هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء، والقضاء هو الابرام واقامة العين[٢].

وعن الكاظم عليه السَّلام: القدر تقدير الشيء من طوله وعرضه، والقضاء الامضاء[٣].

وقال ابن الأثير: المراد بالقدر التقدير، وبالقضاء الخلق، وهما متلازمان لاينفكّ أحدهما عن الآخر، لأنّ القدر بمنزلة الأساس، والقضاء بمنزلة البناء[٤].

وقال الراغب: القدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والبتّ[٥].

وقال الطيّبي: القدر كتقدير النقّاش الصورة في ذهنه، والقضاء كرسمه تلك الصورة مالم يكن حتماً، فمرجوّ أن يدفعه الله، فاذا قضى فلا مدفع له.

قوله: فأخرج يده من تحت ثيابه.

لعلّه عليه السَّلام أخرج يده أيضاً من الكمّ ليمسّ بجميع يده جنبه ويديه لا

---

(١) سورة القصص: ١٥.

(٢) اصول الكافي ١:١٥٨، ح٤.

(٣) بحار الأنوار ٥:١٢٢، ح٦٨.

(٤) نهاية ابن الأثير ٤:٧٨.

(٥) مفردات الراغب: ٤٠٧.

اليسرى على جانبي الأيمن ثلاث مرّات، فقال أحمد: فما أقدر أن أنام على يساري منذ فعل ذلك بي عليه السَّلام، ولا يأخذني عليها نوم أصلاً[١].

وممّا يُدعى به عند الاضطجاع، ما رواه ثقة الإسلام في الكافي -بطريقٍ صحيحٍ- عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: مَن قال حين يأخذ مضجعه ثلاث مرّات:

اَلْحَمْدُ لله الَّذِي عَلاَ فَقهَرَ، والْحَمْدُ لله الَّذِي بَطن فَخبَرَ، والْحَمْدُ لله الَّذِي مَلكَ فَقدَرَ، والْحَمْدُ لله الَّذِي يُحْيِي الموتَى وَيُمِيتُ الأَحيَاء،

بالكفّ فقط، فتأمّل.

قوله: فما أقدر أن أنام الى آخره.

وكان هذا من جملة كراماته ومعجزاته عليه السَّلام.

قوله عليه السَّلام: الحمد لله الذي علا فقهر الى آخره.

علا في ذاته وصفاته، فقهر العدم وأوجد الأشياء منه، والقهر: الغلبة، والقهّار من صفاته تعالى. أو قهر عباده بالموت والفناء، بمعنى أنّه يجعلهم مقهورين مغلوبين باماتتهم وافنائهم. والتعبير بصيغة الماضي للدلالة على تحقّق الوقوع، كأنّه أمر وقع وتحقّق.

«بطن» أي: نفذ علمه بواطن الأشياء، فخبر بما في سرائرها وضمائرها، وملك الأشياء فقدر على ابقائها وافنائها.

وقوله «خرج من الذنوب» استعارة مكنيّة مرشّحة، شبّه الذنوب بجسم محيط بالمذنب، أو بدار وبيت ونحوهما، ثمّ أثبت له الخروج منه. وظاهر الحديث

---

(١) اصول الكافي ١:٥١٣ ـ ٥١٤.

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

خرج من الذنوب كهيئة ولدته أُمّه[١].

وروى في الكتاب المذكور عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنه قال: مَن قرأ هذه الآية عند منامه:

«قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً».

سطع له نور إلى المسجد الحرام، حَشوَ ذلك النور ملائكةٌ يستغفرون له[٢].

وروى في الكتاب المذكور أيضاً عن الصادق عليه السَّلام أنه قال: ما من عبد يقرأ آخر الكهف حين ينام، إلا استيقظ في الساعة التي يريد[٣].

يفيد عموم غفران الذنوب كبائرها وصغائرها أعمّ من حقوق الله وحقوق الناس، وهو مشكل، فتأمّل فيه.

قوله عليه السَّلام: مامن عبد يقرأ آخر الكهف الى آخره.

قال الفاضل الأردبيلي ـقدّس الله روحهـ في آيات أحكامه ناقلاً عن مجمع البيان: وروى الشيخ أبو جعفر بن بابويه رضي الله عنه باسناده عن عيسى بن عبدالله، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السَّلام، قال: مامن عبد يقرأ «قل انّما أنا بشر» الآية الاّ كان له نور في مضجعه الى بيت الله الحرام، وان كان من أهل بيت الله الحرام كان له نور الى بيت المقدس. وقال أبو عبدالله

---

(١) اصول الكافي ٢: ٥٣٥، ح١.

(٢) من لايحضره الفقيه ١: ٤٧٠ ـ ٤٧١.

(٣) اصول الكافي ٢: ٥٤٠، ح١٧.

قـلت: هـذا من الأسـرار العـجيبـة المجرَّبـة التى لا شكّ فيهـا. والمراد بآخر

عليـه السَّلام: مـا من أحد يقرأ آخـر الكهف عنـد النوم الّا يستيـقظ في الساعة التي يريدها.

ثمّ قال رحمه الله: واعلم أنّا قـد جرّبنا الانتباه في وقـت أردناه بقراءة الآية المـتقدّمـة، وقـد وجدنـاه كما روي غير مـرّة. وأخـبرنـا بـعض من يـوثـق به من الأصحاب أيضـاً بذلك ، فـالخبر صـحيح، فـيكون وجـود الـنور من المضـجع الى البيت الحرام كذلك صحيحاً، فانّهما مرويّان في رواية واحدة، ولا معنى لصدق بعضه وكذب البعض، ولكن مع حشو ذلك النور من الملائكة ويدعون للقارىء الى أن يستيقظ، كما رأيتـه في غير مجمع الـبيان مـثل التهذيـب، وسـيجيء في الكشّاف كذلك ، فلعلّ في مجمع البيان غلطاً ونقصاً.

ويؤيّده مارواه أبو جعفر بن بابـويه في الفقيـه في باب ما يقول الـرجل اذا آوى الى فراشه: وقال النـبيّ صلّى الله عليـه وآله: من قرأ هذه الآية عند منامه «قل انّما أنا بشـر مثلكـم» الآية سطع له نور الى المسجد الحـرام حشو ذلك النور ملائكة يستغفرون له حتّى يصبح، أو يكون في غير هذا المحلّ.

وأيضـاً يكفي للـعمل وحصـول ذلـك الثواب الاجماع والأخبار مـن الـعامّة والخاصّة المنقولين في حصول الثواب لعامل عمل بما روي عنه عليه السَّلام، وان لم يـكـن كما روي، وهو ينفع هـنـا وفي غـيره من الأعمال الـكـثيرة، وفّقنا الله وايّاكم للعلم والعمل الخالصين[١].

قوله: هذا من الأسرار العجيبة.

قـلـت: وأعـجـب مـنـه أنّـه يكفي في ذلـك مجـرّد الـنسبـة الصـادقة وارادة

---

(١) زبدة البيان في أحكام القرآن: ١٣٤ ـ ١٣٦.

الكهف الآية الأخيرة منها، أعني: الآية المقدّمة.

وإذا خفت من عقرب أو نحوها، فقل ماروواه في الكتاب المذكورعن الباقر

الاستيقاظ والانتباه، فمن لم تكن الآية في حفظه، أو لم يمكنه قراءتها عن ظهر القلب وعيّن ساعة ونوى أن يقوم فيها لعبادة الله تعالى وكانت نيّته صادقة، وفّقه الله للانتباه والقيام فيها.

كما تدلّ عليه موثّقة أبي حمزة الثمالي بل صحيحته عن سيّدنا أبي جعفر عليه السّلام أنّه قال: ما نوى عبد أن يقوم أيّة ساعة نوى، فعلم الله تبارك وتعالى ذلك منه الّا وكّل به ملكين يحرّكانه تلك الساعة[1].

وهذا كاد أن يصير لنا مجرّباً إن شاءالله العزيز.

قوله: فقل ماروواه في الكتاب المذكور.

هذا حديث ضعيف مضمر رواه أبو جميلة عن سعد الاسكاف، قال: سمعته يقول: من قال هذه الكلمات فأنا ضامن له أن لايصيبه. الحديث[2].

ولعلّه بقرينة الراوي خصّصه بالباقر عليه السّلام.

هذا وقيل: المراد بكلمات الله علمه. وقيل: كلامه. وقيل: القرآن. وقيل: أسماؤه الحسنى. وقيل: كتبه المنزلة، لخلوّها عن النواقص والعوارض، بخلاف كلمات الآدميّين.

والمراد: إمّا كلّ كلماته، فانّ جميعها تامّة خالية عن النقص، أو بعضها، فالمراد بالتمام أنّها تنفع المتعوّذ بها، كالمعوّذتين وأمثالهما. وقد وردت الكلمات في الأدعية والآيات بمعنى تقديرات الله، وبمعنى مواعيده، وبمعنى صفاته.

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٤٧٩.

(٢) من لايحضره الفقيه ١: ٤٧١.

أنّه قال: مَن قرأ هذه الكلمات، فأنا ضامن أن لا تصيبه عقرب ولا هامّة حتّى يصبح:

أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّات، الَّتي لاَ يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلاَ فاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ وَمِنْ شَرِّ مَا بَرأَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم[1].

وقوله «لايجاوزهنّ» الى آخره إذا كان المراد بالكلمات علمه تعالى، فالمعنى أنّه يشتمل على البرّ والفاجر ويحيط بها. واذا كان المراد القرآن، فالمراد أنّ أوامره ونواهيه ووعده ووعيده يشملهما. واذا كان المراد الأسماء، فالمراد أنّها تؤثّر في البرّ والفاجر، أو المراد أنّ مدلولها يشمل المؤمن والكافر، كالرحمن والرازق والخالق، وكذا إذا كان المراد الصفات.

قوله: ولا هامّة الى آخره.

الهامّة: كلّ ذات سمّ يقتل، والجمع الهوامّ. فأمّا مايسمّ ولا يقتل، فهو السامّة كالعقرب والزنبور. وقد يقع الهوام على مايدبّ من الحيوان وإن لم يقتل كالحشرات.

وذرأ الله الخلق يذرأ ذرءاً خلقهم، وكأنّ الذرأ مختصّ بخلق الذريّة.

وبرأه الله يبرأه خلقه، ويجمع على البرايا، والبريّات من البري التراب.

وفي نهاية ابن الأثير: ولهذه اللفظة من الاختصاص بخلق الحيوان ماليس لها بغيره من المخلوقات، وقلّ مايستعمل في غير الحيوان، فيقال: برأ الله النسمة وخلق السماوات والأرض[2].

---

(١) من لايحضره الفقيه ١:٤٧١.

(٢) نهاية ابن الأثير ١:١١١.

وروى في الكتاب المذكور ـ بسندٍ صحيحٍ ـ لدفع الاحتلام عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: إذا خفت الجنابة فقل في فراشك:

اَللّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الاحْتِلام، وَمِنْ شَرِّ[1] الأَحلاَم،

قوله: لدفع الاحتلام عن الصادق عليه السَّلام.

في الكافي في موثّقة عبدالله بن ميمون عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: اللهمّ انّي أعوذ بك من الاحتلام ومن سوء الأحلام، وأن يلعب بي الشيطان في اليقظة والمنام[2].

والظاهر أنّه كان للتعليم، كما يدلّ عليه أيضاً ما نقله الشيخ ـ قدّس سرّه ـ عن الصادق عليه السَّلام، والّا فكان من خصائصهم عليهم السَّلام أنّهم لم يكونوا يحتلمون، مع أنّ الطلب لاينافي عدم الوقوع، كما أنّهم كانوا يطلبون العصمة من الذنوب.

قوله عليه السَّلام: ومن شرّ الأحلام.

الأحلام جمع الحلم، وهو مايراه النائم في نومه من الأشياء، لكن غلب الحلم على مايراه من الشرّ والقبيح، ومنه قوله تعالى «أضغاث أحلام»[3] كما غلبت الرؤيا على مايراه من الخير والحسن، ولذلك ورد في الحديث: الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان[4]. ويستعمل كلّ واحد منهما موضع الآخر، وتضمّ لام الحلم وتسكن.

---

(١) سوء: خ ل.

(٢) اصول الكافي ٢: ٥٣٦، ح٥.

(٣) سورة يوسف: ٤٤.

(٤) كنز العمال ١٥: ٣٦٤.

وَمنْ أَنْ يَتلاعَبَ بِيَ الشَّيْطَانُ في الْيَقَظَةِ والمنامِ[١].

وروى فيه أيضاً للأمن من أن يسقط عليه البيت عن الرّضا عليه السَّلام أنه قال: لم يقل[٢] أحدٌ إذا أراد أن ينام:

«إنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا، وَلَئِنْ زَالَتَا إنْ أَمسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً»، فسقط عليه البيت[٣].

قوله عليه السَّلام: ومن أن يتلاعب بي الشيطان.

لعلّ المراد بتلاعب الشيطان بالانسان في يقظته تسويله الاستمناء بيده، أو بسائر جسده في نظره وتزيينه له، حتّى يصير جنباً في اليقظة، كما يصير كذلك في المنام. وأراد بالتلاعب اللعب، كما هو المرويّ عن أمير المؤمنين عليه السَّلام، وقد تقدّم.

قوله تعالى: انّ الله يمسك السماوات الى آخره.

فيه دلالة على أنّ الممكن الباقي يحتاج في بقائه الى علّة مبقية.

قوله عليه السَّلام: فسقط عليه البيت.

في الفقيه: في وصيّة النبيّ صلّى الله عليه وآله لعليّ عليه السَّلام: ياعلي أمان لأُمّتي من الهدم «انّ الله يمسك» الآية[٤].

---

(١) من لايحضره للفقيه ١: ٤٧١.

(٢) لفظة «لم» وإن كانت لقلب المضارع ماضياً إلّا أنّ معنى الاستقبال في هذا الحديث مقصود فلا تغفل (منه).

(٣) من لايحضره الفقيه ١: ٤٧١.

(٤) من لايحضره الفقيه ٤: ٣٧٠.

وروى فيه أيضاً أنّ النبي صلّى الله عليه وآله كان إذا آوى إلى فراشه قال:

بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحيَا، وَبِاسْمِك أَمُوتُ. وإذا استيقظ قال: الحَمْدُ لله الَّذِي أَحيَانِي بَعدَمَا أَماتَنِي وإلَيْهِ النُّشُور[١].

وروى فيه أيضاً عن الصادق عليه السَّلام أنه قال: إذا سمعت صوت الديك فقل:

سُبّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ المَلائكَةِ والرُّوحِ، سَبَقتْ رَحْمَتُكَ غَضبَكَ، لاَ إلَهَ إلّاَ أَنْتَ سُبْحانَكَ وَبِحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي إنَّهُ لاَ يَغْفِر الذُّنُوبَ إلَّا أَنْتَ[٢].

وروى العبّاس بن هلال عن أبي الحسن الرضا عن أبيه عليهما السَّلام قال: لم يقل أحد قطّ إذا أراد أن ينام «انّ الله» الآية فيسقط عليه البيت[٣].

أقول: العبّاس بن هلال الشامي مذموم مقدوح، كما يظهر من ترجمة مسلم مولى أبي عبدالله عليه السَّلام[٤]. وترجمة وهب بن وهب أبي البختري[٥].

قوله عليه السَّلام: سبقت رحمتك غضبك.

الرحمة والغضب كلاهما وإن كانا من صفات الفعل، ولا سبق من هذه الجهة لأحدهما على الآخر، الّا أنّ محلّاً إذا كان مستحقّاً للرحمة من جهة وللغضب من جهة أُخرى، ففي هذه الصورة تسبق رحمته تعالى غضبه، فيرحمه ولا يغضب عليه.

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٤٨٠.

(٢) من لايحضره الفقيه ١: ٤٨٢.

(٣) من لايحضره الفقيه ١: ٤٧١.

(٤) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٢٩.

(٥) اختيار معرفة الرجال ٢: ٥٩٧.

ومما ينبغي فعله عند النوم الاكتحال، فقد روي أنّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله كان يكتحل بالإثمد

كما روي أنّ فرعون لمّا استغاث بموسى عليه السَّلام حين أدركه الغرق ولم يستغث بالله، فأوحى اليه ياموسى لم تغث فرعون لأنّك لم تخلقه، لو استغاث بي لأغثته.

وحين أرسل موسى عليه السَّلام الى فرعون ليتوعّده، قال له: أخبره أنّي الى العفو والمغفرة أسرع منّي الى الغضب والعقوبة.

ولمّا صار يونس بن متى إلى البحر الذي فيه قارون، قال له قارون: يايونس ألا تبت إلى ربّك؟ فقال له يونس: ألا تبت أنت الى ربّك؟ قال له قارون: انّ توبتي جعلت الى موسى وقد تبت اليه فلم يقبل، وأنت لو تبت الى الله لوجدته عند أوّل قدم ترجع بها اليه، أو لا تنظر الى حسن صنيعه لعباده، وكيف تعلّقت عنايته بالاحسان اليهم والرحمة لهم.

قوله: فقد روي أن النبيّ صلّى الله عليه وآله.

وفي رواية أُخرى عنه صلّى الله عليه وآله أنّه أمر بالاثمد المروّح عند النوم.

قال ابن الأثير في النهاية: أي المطيّب بالمسك، كأنّه جعل له رائحة تفوح بعد أن لم تكن له رائحة[١].

قوله: كان يكتحل بالاثمد.

قال التفتازاني في شرح تلخيص المفتاح: الأثمد بفتح الهمزة وضمّ الميم موضع وروي بكسرهما.

---

(١) نهاية ابن الأثير ٢: ٢٧٥.

إذا أراد أن يأوي إلى فراشه[١].

وقد روي عن الرِّضا عليه السَّلام أنه قال: من أصابه ضعف في بصره، فليكتحل سبع مراود عند منامه من الإثمد، أربعٌ في اليمنى وثلاثٌ في اليسرى.

وعنه عليه السَّلام أنّه قال: الكحل عند النوم أمانٌ من الماء الذي ينزل في العين.

وروي أنه يدعى بهذا الدعاء عند الاكتحال:

اَللّهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، أَنْ تُصلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ

وقال في شرح الكشّاف: بفتح الهمزة وضمّ الميم اسم موضع وبكسرهما حجر يكتحل به.

وفي شرح السيّد الشريف: بفتح الهمزة وضمّ الميم اسم موضع، وبكسرهما كذلك، ولا ينافي ذلك كونه اسماً لحجر يكتحل به، وهو المراد.

قوله: إذا أراد أن يأوي الى فراشه.

ظاهره يفيد عموم الليالي، فانّ لفظة «اذا» من ألفاظ العموم عرفاً، كقوله تعالى «وإذا حيّيتم بتحيّة فحيّوا»[٢] و«إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا»[٣] ونحوهما، ويؤيّده اطلاق الخبرين الآخرين.

وأمّا ما اشتهر في هذا الزمان من استثناء ليلة الأربعاء والاحتراز فيها من الاكتحال، بل بعضهم يحترزون منه ليلة السبت أيضاً، فلم أطّلع عليه في كتب الحديث.

---

(١) فروع الكافي ٦: ٤٩٣، ح١.

(٢) سورة النساء: ٨٦.

(٣) سورة المائدة: ٦.

وَآلِ مُحَمَّدٍ، وأَنْ تَجعَلَ النُّورَ في بَصَري، والبَصِيرَة في دِينِـي وَالْيقِينَ في قَلْبـي، والإخْلاَصَ في عَمَلي، والسَّلامَـةَ في نَفْسِـي، والسَّعةَ في رزْقي، والشُّكرَ لَكَ أَبَداً مَا أبقَيْتَنِي.

وروى ثقة الإسلام في الكـافي بسنـدٍ حسنٍ عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: إذا رأى الرجل ما يكره في منامه، فليتحوّل عن شقّه الذي كان عليه نائماً وليقرأ:

قوله: وأن تجعل النور في بصري.

جعل البصر ظرفاً للنور والقلب لليقين حقيقة، وأمّا جعل الدين ظرفاً للبصيرة فمجاز. فانّ البصيرة وهي المعرفة والفطنة من صفات القلب، فهو ظرف لها لا الدين.

والمراد اجعلني أكون على علم وبصيرة ومعرفة ويقين من ديني، فانّ ذلك بتوفيقك وتسديدك، فمن أردت توفيقه وأن يكون دينه ثابتاً مستقرّاً تسبّب له الأسباب المؤدّية الى أن يأخذ دينه من كتابك وسنّة نبيّك بعلم ويقين وبصيرة، فهو أثبت في دينه من الجبال الرواسي. ومن أردت خذلانه وأن يكون دينه معاراً مستودعاً تسبّب له أسباب الاستحسان والتقليد من غير علم وبصيرة، فهو يخرج من دينه كما دخل فيه.

يدلّ عليه قوله عليه السَّلام: من أخذ دينه من كتاب الله وسنّة نبيّه زالت الجبال قبل أن يزول، ومن أخذ دينه من أفواه الرجال ردّته الرجال.

وفي رواية أُخرى: من دخل في الايمان بعلم ثبت ونفعه ايمانه، ومن دخل فيه بغير علم خرج منه كما دخل فيه.

قوله عليه السَّلام: اذا رأى الرجل مايكره في منامه.

روى أبو قتادة الحارث بن ربعي، قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه

«إنّما النَّجوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُحْزِنَ الذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيئاً

وآله يقول: الرؤيا الصادقة من الله تعالى، فاذا رأى أحدكم مايحبّ، فلا يحدّث بها الّا من يحبّ. واذا رأى رؤيا مكروهة، فليتفل عن يساره ثلا ثاً وليتعوّذ من شرّ الشيطان وشرّها، ولا يحدّث بها أحداً، فانّها لن تضرّه.

وفي صحيحة أبي بصير عن الصادق عليه السَّلام قال: كان سبب نزول هذه الآية أنّ فاطمة عليها السَّلام رأت في منامها أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله همّ أن يخرج هو وفاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السَّلام من المدينة، فخرجوا حتّى جاوزوا من حيطان المدينة، فعرض لهم طريقان، فأخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله ذات اليمين حتّى انتهى الى موضع فيه نخل وماء، فاشترى رسول الله صلّى الله عليه وآله شاة ذرآء، وهي التي في أحد أُذنيها نقط بيض، فأمر بذبحها، فلمّا أكلوا ماتوا في مكانهم.

فانتبهت فاطمة عليها السَّلام باكية ذعرة، فلم تخبر رسول الله صلّى الله عليه وآله بذلك، فلمّا أصبحت جاء رسول الله صلّى الله عليه وآله بحمار، فأركب عليه فاطمة عليها السَّلام وأمر أن يخرج أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السَّلام من المدينة، كما رأت فاطمة عليها السَّلام في نومها، فلمّا خرجوا من حيطان المدينة عرض لهم طريقان، فأخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله ذات اليمين كما رأت فاطمة عليها السَّلام، حتّى انتهوا الى موضع فيه نخل وماء، فاشترى رسول الله صلّى الله عليه وآله شاة كما رأت فاطمة عليها السَّلام فأمر بذبحها فذبحت وشويت.

فلمّا أرادوا أكلها قامت فاطمة عليها السَّلام وتنحّت ناحية عنهم تبكي مخافة أن يموتوا، فطلبها رسول الله صلّى الله عليه وآله حتّى وقف عليها وهي تبكي، فقال: ماشأنك يابنيّة؟ قالت: يارسول الله رأيت البارحة كذا وكذا في

إلَّا بإذْنِ الله» ثمَّ ليقلْ: عُذْتُ بِمَا عَاذَتْ بِهِ مَلائكةُ الله المقَرَّبُونَ، وأنبيَاؤُه المرْسلُونَ، وَعبَادُهُ الصَّالِحُونَ، مِنْ شَرِّ مَا رأَيْتُ، وَمنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ الرَّجيم[١].

نومي وقد فعلت أنت كما رأيته في نومي فتنحّيت عنكم لئلّا أراكم تموتون.

فقام رسول الله صلّى الله عليه وآله فصلّى ركعتين، ثمّ ناجى ربّه، فنزل عليه جبرئيل عليه السَّلام، فقال: يامحمَّد انّ هذا شيطان يقال له الزها، هو الذي أرى فاطمة هذه الرؤيا، ويؤذي المؤمنين في نومهم مايغتمّون به، فأمر جبرئيل عليه السَّلام فجاء به الى رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال له: أنت الذي أريت فاطمة هذه الرؤيا؟ فقال: نعم يامحمَّد، فبزق عليه ثلاث بزقات فشجه في ثلاث مواضع.

ثمّ قال جبرئيل لمحمَّد صلّى الله عليه وآله: يامحمَّد إذا رأيت في منامك شيئاً تكرهه أو رأى أحد من المؤمنين، فليقل أعوذ بما عاذت به ملائكة الله المقرّبون وأنبياؤه المرسلون وعباده الصالحون من شرّ مارأيت من رؤياي، ويقرأ الحمد والمعوّذتين وقل هو الله أحد، ويتفل عن يساره ثلاث تفلات، فانّه لايضرّه مارأى، فأنزل الله «انّما النجوى من الشيطان»[٢] الآية[٣].

---

(١) روضة الكافي ٨: ١٤٢، ح١٠٦.

(٢) سورة المجادلة: ١٠.

(٣) تفسير القمّي ٢: ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

الباب السادس

فيما يعمل ما بين انتصاف الليل إلى طلوع الفجر

وفيه مقدمة وفصول

مقدمة

قد تظافرت الروايات عن أصحاب العصمة سلام الله عليهم في قيام الليل وبيان فضله. روى ثقة الإسلام في الكافي -بسندٍ صحيحٍ- عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: شرفُ المؤمن قيامه بالليل، وعزُّه استغناؤه عن الناس[١].

وروى فيه -بسندٍ حسنٍ- عن عبدالله بن سنان، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السَّلام يقول: ثلاثٌ هُنَّ فخرُ المؤمن وزينتُه[٢] في الدنيا والآخرة: الصلاة

قوله: في قيام الليل وبيان فضله.

في عدّة الداعي لابن فهد عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: إذا قام العبد من لذيذ مضجعه والنعاس في عينيه ليرضي ربّه جلّ وعزّ لصلاة الليل، باهى الله به ملائكته، فقال: أما ترون عبدي هذا قد قام من لذيذ مضجعه الى صلاة لم أفرضها عليه، أشهدوا أنّي قد غفرت له[٣].

قوله عليه السَّلام: ثلاث هنّ فخر المؤمن.

في الفقيه في باب صلاة الليل: نزل جبرئيل عليه السَّلام على النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال له: ياجبرئيل عظني، قال: يامحمّد عش ماشئت فانّك

---

(١) اصول الكافي ٢: ١٤٨، ح١.

(٢) يقرأ بالهاء وفتح الزاي، وقد يقرأ بالتاء وكسر الزاي (منه).

(٣) عدّة الداعي: ٤٣.

في آخر الليل، ويأسُه ممّا في أيدي الناس، وولاية الإمام من آل محمَّدٍ صلّى الله عليه وآله[١].

وروى فيه ـ بسندٍ حسنٍ أيضاً ـ عنه عليه السَّلام في قول الله تعالى «كانوا قليلاً من الليل ما يَهجعون»[٢] قال: كان أقل الليالي تفوتهم لايقومون فيها[٣].

ميّت، وأحبب من شئت فانّك مفارقه، واعمل ماشئت فانّك ملاقيه، شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزّه كفّ الأذى عن الناس[٤].

الشرف بفتحتين القدر والقيمة والرفعة، والعلوّ، شرف ككرم فهو شريف، وشرّفه تشريفاً أعلاه، وأصله من الشرف وهو المكان المشرف العالي، ثمّ استعمل في القدر والمنزلة مجازاة.

قال في الأساس: ومن المجاز لفلان شرف وهو علوّ المنزلة، وشرّفه الله. وكما أنّ الاستغناء عن الناس قد ينتج العزّة والحرمة، والافتقار اليهم يورث الذلّة والخفّة، كذلك أذيّتهم وكفّ الأذى عنهم قد يوجب ذلك، فلا منافاة بينهما، فانّ العلل الشرعيّة علل ناقصة لامانع من اجتماعها.

قوله تعالى: كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون.

الهجوع النوم بالليل دون النهار، وكلمة «ما» إمّا مصدريّة، أو زائدة، أي:

---

(١) روضة الكافي ٨:٢٣٤، ح٣١١.

(٢) الآية في سورة الذاريات هكذا: «إنَّ المتَّقِينَ فِي جنَّاتٍ وعُيُونٍ * آخِذينَ مَا آتاهُمْ رَبُّهُمْ إنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنين * كَانُوا قَليلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهجَعُونَ * وَبالأَسحارِ هُمْ يَستَغفِرُونَ» وقد فسّروا الهجوع بالنوم القليل، وذكروا في لفظة (ما) وجوهاً. أحدها: أن تكون زائدة. الثاني والثالث: أن تكون مصدرية أو موصولة أي كانوا قليلاً من الليل هجوعُهم أو الذي يهجعون فيه. وارتفاع المصدر أو الموصول بالفاعلية لقليلاً، ولا يجوز أن تكون نافية لأن النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، ولولا هذا لَصحَّ الحمل على النفي فتأمل. (منه رحمه الله).

(٣) فروع الكافي ٣:٤٤٦، ح١٨.

(٤) من لايحضره الفقيه ١:٤٧٢.

وروى فيه أيضاً: أنّه جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السَّلام،فقال: إنّي حُرمت صلاة الليل، فقال أمير المؤمنين عليه السَّلام: أنت رجلٌ قد قيّدتك ذنوبُك[١].

وروى شيخ الطائفة في التهذيب ـ بسندٍ صحيحٍ ـ عن الصادق عليه السَّلام

كان هجوعهم بالليل قليلاً، لأنّهم كانوا يصلّون أكثر الليل، أو كانوا يهجعون هجوعاً قليلاً، فلفظة «من» بمعنى الباء. و«قليلاً» صفة مصدر محذوف.

ويجوز أن تكون «ما» نافية، وقوله «من الليل» متعلّقاً بفعل محذوف يدلّ عليه «يهجعون» أي: كانوا لايهجعون قليلاً من الليل، بل كانوا يحيون كلّه بالصلاة وتلاوة القرآن، وانّما قدّرنا كذلك لأنّ «ما» اذا كان نفياً لما يتقدّمه ما في حيّزه.

قوله عليه السَّلام: أنت رجل قد قيّدتك ذنوبك.

هذا يدلّ على أنّ الذنوب والمعاصي قد تحجب العبد عن فعل الخيرات، وتمنعه عن الا تيان بالطاعات والعبادات، وتوجب خذلانه وسلب توفيقه، نعوذ بالله من ذلك ، كما تدلّ عليه روايات أُخر:

منها: رواية ابن مسعود عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال: اتّقوا الذنوب فانّها ممحقة للخيرات، انّ العبد ليذنب الذنب، فينسى به العلم الذي كان قد علمه، وانّ العبد ليذنب الذنب فيمنع به من قيام الليل، وانّ العبد ليذنب الذنب فيحرم به الرزق وقد كان هنيئاً له، ثمّ تلى «انّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنّة»[٢] الى آخر الآيات.

---

(١) فروع الكافي ٣: ٤٥٠، ح٣٤.

(٢) سورة القلم: ١٧.

في قوله تعالى: «إِنَّ نـاشئَةَ اللَّيْـلِ هِيَ أَشَدُّ وَطأً وأَقْـوَمُ قِـيلاً» قال: قيامُـه عن فراشه لايريد إلّا الله تعالى[١].

وروى ـطاب ثراه ـ فيه بسندٍ صحيحٍ أيضاً عنه عليه السَّلام أنّه قال: ليس من عبدٍ إلّا يوقَظ في كلّ ليلة مرّة أو مرّتين، فإن قام كان[٢] ذلك، وإلّا فحجّ

قوله تعالى: انّ ناشئة الليل الى آخره.

في الكافي عن بعضهم عليهم السَّلام هي ركعتان بعد المغرب، تقرأ في أوّل ركعة بفاتحة الكتاب، وعشراً من أوّل البقرة، وآية السخرة من قوله «والهكم اله واحد لا اله الّا هو الرحمن الرحيم * انّ في خلق السماوات والأرض» الى قوله «لآيات لقوم يعقلون» وخمس عشرة مرّة قل هو الله أحد. وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب وآية الكرسي، وآخر البقرة من قوله «لله ما في السماوات وما في الأرض» الى أن تختم السورة، وخمس عشرة مرّة قل هو الله، ثمّ ادع بعد هذا بماشئت. قال: ومن واضب عليه كتب له بكلّ صلاة ستمائة ألف حجّة[٣].

وهذا يوافق ما في الصحاح أنّ ناشئة الليل أوّل ساعاته، وفيه: ويقال ماتنشأ في الليل من الطاعات.

وفي الفقيه: عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السَّلام أنّها قيام الرجل عن فراشه يريد به وجه الله ولا يريد به غيره[٤].

قوله عليه السَّلام: ليس من عبد الّا يوقظ في كل ليلة مرّة أو مرّتين.

هذا الحديث لا يخلو من اشكال، فانّ ظاهره عموم العبد والليلة، وهو

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ١٢٠، ح٢١٨.

(٢) اسم (كان) في قوله عليه السَّلام كان ذلك، ضمير الشأن، ويجوز أن يجعل (كان) تامة واسم الاشارة اسمها، فكيف كان فالمراد أنّه إن قام حصل له ثواب ذلك. (منه).

(٣) فروع الكافي ٣: ٤٦٨ ـ ٤٦٩.

(٤) من لايحضره الفقيه ١: ٤٧٢.

الشيطان فبال في أُذنه. أولاَ يرى أحدكم أنّه اذا قام ولم يكن ذلك منه قام وهو متخثّرٌ ثقيلٌ كسلان؟(١)

خلاف الواقع، فانّ كثيراً من الناس لايوقظ في كثير من الليالي حتّى يصبح، وخاصّة في الليالي الصيفيّة القصيرة، ولا سيّما اذا نام بعد انقضاء ساعات من الليل.

ويدلّ على ما قلناه عموم الرواية النبويّة السابقة. وخصوص مارواه عمر ابن حنظلة، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السَّلام: انّي مكثت ثمانية عشر ليلة أنوي القيام فلا أقوم، أفأُصلّي أوّل الليل؟ قال: لا اقض بالنهار، فانّي أكره أن يتّخذ ذلك خُلقاً(٢).

وما رواه معاوية بن وهب أنّه قال: قلت له: انّ رجلاً من مواليك من صلحائهم شكا إليّ مايلقى من النوم، وقال: انّي أُريد القيام بالليل، فيغلبني النوم حتّى أصبح، فربّما قضيت صلاتي الشهر المتتابع أو الشهرين أصبر على ثقله، فقال: قرّة عين والله قرة عين والله، ولم يرخّص في الوتر أوّل الليل، وقال: القضاء بالنهار أفضل(٣).

وما رواه سيّدنا أبو جعفر عليه السَّلام عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال: قال الله تعالى: أنا أعلم بما يصلح به أمر عبادي، وانّ من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادته، فيقوم من رقاده ولذيذ وساده، فيجتهد ويتعب نفسه في عبادتي، فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظراً منّي له فينام حتّى يصبح، فيقوم ماقتاً

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٣٣٤، ح٢٣٤.

(٢) من لايحضره الفقيه ١: ٤٧٧، ح١٣٧٧.

(٣) فروع الكافي ٣: ٤٤٧، ح٢٠. من لايحضره الفقيه ١: ٤٧٧ ـ ٤٧٨.

وروى فيه بسندٍ صحيحٍ أيضاً عن عمر بن يزيد أنّه سمع أبا عبدالله عليه السَّلام يقول: إنّ في الليل لَساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلّي ويدعو الله فيها إلّا استجاب له في كلّ ليلة، قلت: أصلحك الله، فأيّة ساعة من الليل؟ قال: إذا مضى نصف الليل إلى الثلث الباقي[1].

لنفسه زارياً عليها، ولو خُلي بينه وبين مايريد من عبادتي لدخله العجب بأعماله، فيأتيه مافيه هلاكه لعجبه بأعماله ورضاه عن نفسه،الحديث.

وأيضاً فانّ نوم النبيّ صلّى الله عليه وآله وأصحابه في المعرس، حتّى أوقظتهم حرارة الشمس ممّا اتّفقت عليه الأُمّة، فتأمّل في التوفيق بينها إن كنت من أهله.

قوله عليه السَّلام: الّا استجاب له في كلّ ليلة.

أي: لا اختصاص لها بليلة الجمعة أو الخميس أو العيد ونحوها، فانّ هذا الأثر وهو اجابة الدعاء انّما يترتّب على وقوعه في ظرف تلك الساعة، فهي من حيث هي شريفة يستجاب فيها الدعاء لشرافتها من أيّة ليلة كانت.

قوله عليه السَّلام: إذا مضى نصف الليل.

أي: هي من النصف الآخر من الثلث الثاني، وهو ظاهر.

قوله عليه السَّلام: الى الثلث الباقي.

في عدّة الداعي: عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: من كان له حاجة

---

(١) هذه الرواية تدلّ على أنّ تلك الساعة بين السدس الرابع من الليل كما لا يخفى (منه). تهذيب الاحكام ٢:١١٧، ح٢٠٩.

وروى رئيس المحدّثين في الفقيه ـ بسندٍ صحيحٍ ـ عن عبدالله بن سنان أنه

فليطلبها في العشاء، فانّها لم يعطها أحد من الامم قبلكم يعني العشاء الآخرة[١].

وفي رواية: في السدس الأوّل من النصف الثاني من الليل[٢]. ويعضدها ماورد من الترغيب والفضل لمن صلّى بالليل، والناس نيام ومن الذكر في الغافلين، ولا شكّ في استيلاء النوم على غالب الناس في ذلك الوقت، بخلاف النصف الأوّل، فانّه ربّما يستصحب الحال فيه النساء، وآخر الوقت ربّما انتشروا فيه لمعاشهم وأسفارهم، وانّما مخّ الليل هو وقت الغفلة وفراغ القلب للعبادة، ولاشتماله على مجاهدة النفس بمهاجرة الرقاد ومباعدة وثير المهاد، والخلوة بمالك العباد وسلطان الدنيا والمعاد، وهو المقصود من جوف الليل.

وهي ماروراه عمر بن أُذينة، قال: سمعت أباعبدالله عليه السّلام يقول: انّ في الليل ساعة مايوافق فيها عبد مؤمن يصلّي ويدعو الله فيها الّا استجاب له، قلت: أصلحك الله وأيّ ساعات الليل هي؟ قال: اذا مضى نصف الليل وبقي السدس من أوّل النصف الثاني[٣].

وأمّا الثلث الأخير فتواتر. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: اذا كان آخر الليل يقول الله سبحانه: هل من داع فأُجيبه، هل من سائل فأُعطيه سؤله، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه[٤] الى هنا كلامه طاب منامه.

وهو كلام جيّد بيّن فيه وجه اختصاص الاجابة بتلك الساعة.

قوله: وروى رئيس المحدّثين.

ومثله ما رواه المفيد في روضة الواعظين عن عبدالله هذا عنه

(١و٢و٣) عدّة الداعي: ٣٩.

(٤) عدّة الداعي: ٤٠.

سأل الصادق عليه السَّلام عن قول الله عزَّوجلَّ: «سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ» قال: هو السهَر[١] في الصلاة[٢]. والروايات عن أصحاب العصمة سلام الله عليهم في قيام الليل كثيرة.

ولنبيِّن بعض ما يحتاج إلى البيان في هذه المقدمة.

«إنّ ناشئة الليل» قد تفسَّر الناشئة بالنفس التي تنشأ من مضجعها للعبادة، وهو قريب ممّا ذكره عليه السَّلام.

«وأشدُّ وطأً» أي: أشدّ كلفةً، أو ثبات قدم. وقرأ بعض السبعة وطاءً بالمدّ، أي: مواطأة القلب اللسان لما فيها من الإخلاص.

«وأقوم قيلاً» أي: أشدّ[٣] قولاً، لحضور القلب في ذلك الوقت.

عليه السَّلام[٤].

قوله تعالى: سيماهم في وجوههم من أثر السجود.

سيماهم أي: علامتهم، وهي التي تحدث في جبهة الساجدين من كثرة السجود وتفسيرها قوله «من أثر السجود» أي: من التأثير الذي أثره السجود، وكان يقال لعلي بن الحسين عليهما السَّلام ذوالثفنات، لأنّه قد ظهر في مواقع سجوده أشباه ثفنات البعير.

والسهر ترك النوم، يقال سهر كفرح أي: لم ينم، ومنه قوله:

قال لي كيف أنت قلت ... عليل سهر دائم وحزن طويل

---

(١) قوله (هو السهر) هذا الضمير: إما عائد إلى أثر السجود، أو إلى سيماهم، وعلى كلٍّ من الوجهين لابدّ من إضمار مضاف في كلامه عليه السَّلام، والتقدير: هو أثر السهر في الصلاة (منه).

(٢) من لايحضره الفقيه ١:٤٧٣.

(٣) أسدّ (خ ل) أسدّ بالسين المهملة من السداد (منه).

(٤) روضة الواعظين: ٣٢١ للشهيد ابن الفتال النيسابوري.

«وإلّا فحج الشيطان» بالحاء المهملة والجيم نوع من المشي رديء، وهو أن يتقارب صدر القدمين ويتباعد العقبان، وهو كناية عن سوء الجيئة ورداءتها، كما أنّ البول في الأُذن كناية عن تلاعب الشيطان به.

«متخثّر» بالتاء الفوقانية والخاء المعجمة والثاء المثلثة. وقوله عليه السَّلام «ثقيل كسلان» كالمفسّر له.

فصل

فإذا انتبهت من نومك، فأوّل ما ينبغي لك فعلُه أن تسجد لله تعالى. فقد روي أنّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله كان إذا انتبه من نومه يسجد. ثمّ قل في سجودك، أو بعد رفع رأسك منه:

اَلحَمْدُ لله الَّذِي أَحيَانِي بَعْدَ مَا أَماتَنِي وإلَيْهِ النُّشُورُ، الحَمْدُ لله

ومن لم ينم في الليل وكان ساهراً فيه يظهر في وجهه منه أثر يدلّ عليه.

قوله: كما أنّ البول في الاذن الى آخره.

قيل: بول الشيطان في الاذن لا يلزم أن يحسّ به الانسان، فانّه نوع آخر من الجسم، كما أنّ الشيطان نفسه نوع آخر لا يحسّ بالبصر.

وقد ورد أنّ المجامع اذا لم يسمّ أدخل الشيطان ذكره مع ذكره في الفرج، فيشاركه في الولد، ولا يحسّ الانسان بذلك أصلاً. ويمكن أن يكون كناية عن جعله ايّاه مهاناً يسخر به بما وسوس في صدره وحرصه على النوم والكسل.

قوله: الحمد لله الذي أحياني الى آخره.

استعارة مصرّحة، شبّه الايقاظ والارقاد بالاحياء والاماتة، ثمّ ذكر المشبّه به وأراد به المشبّه. ولـمّا كانت أسباب النوم واليقظة وايجاد الليل والنهار منه

الَّـذِي رَدَّ عَلَيَّ رُوحي لأَحمَدَهُ وأَعبُدَهُ.

وروى ثقة الإسلام في الكـافي ـ بسنـدٍ حسن ـ عن الباقـر عليـه السَّلام: إذا قمت بالليل فانظر في آفاق السماء وقل:

اَللّـهُـمَّ إنَّهُ لاَ يُواري عَنـك لَيْـلٌ سَـاجٍ، وَلاَ سَماءٌ ذَاتُ أَبرَاجٍ، ولاَ

سبحانه، أسند الفعل في الموضعين اليه مجازاً.

ويحتـمل أن يكون محمـولاً على الحـقيقة، كما تدلّ عليـه مرسلة أبي منصور المذكورة في أُصول الكـافي المرويـة عن أبي عبدالله الصادق عليـه السَّلام قال: ستّة أشياء ليس للعباد فيها صنع: المعرفة، والجهل، والرضا، والغضب، والنوم، واليقظة[١].

والمراد بردّ الروح التـفات النفس الى البـدن واشتغالها بالتصرّف فيه بعدما كانت فارغة عـنه، فانّها لا تـزال مشغولة بالـتفكّر فيما تورده الحواسّ عليها، فاذا وجدت فرصـة الفـراغ بالنـوم التـفتت الى عـالم آخر واشـتغلـت بمافـيه الى زمان الانتباه واليقظة.

قوله: ليل ساج.

أي: ساكن، وهو وصف بحال المتعلّق، أي: ساكن ما فيه.

قوله: ولا سماء ذات أبراج.

البروج المنازل الـعالية، والمراد بهـا هنا منازل الشمس والقمر والكواكب، وهي اثناعشر برجاً يسير القمر في كلّ برج يومين وثلا ثاً، وتسير الشمس في كلّ برج شهراً.

---

(١) اصول الكافي ١: ١٦٤.

أَرضٌ ذَاتُ مِهَادٍ، وَلاَ ظُلُماتٌ بَعضُها فَوْقَ بَعْضٍ، وَلاَ بَحرٌ لُجِّيٌّ، تُدْلجُ بَينَ يَدَي المُدْلج مِنْ خَلْقِكَ، تَعلَمُ خائنة الأَعيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، غَارَتِ النُّجومُ، ونَامَتِ الْعُيُونُ، وأَنْتَ الحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تأخُذُكَ سِنَةٌ وَلاَ نَومٌ، سَبْحانَ[1] الله رَبِّ الْعالَمِينَ وإلهِ المسْلِمِينَ، والحَمْدُ لله رَبِّ الْعالَمِينَ.

ثمّ اقرأ الآيات الخمس من آخر آل عمران:

«إنَّ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ والأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهار لآيَاتٍ لأُولِي الأَلبَابِ * الَّذِينَ يَذكُرُونَ الله قِيَاماً وَقُعوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ والأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذَا بَاطِلاً

قوله: تدلج بين يدي المدلج.

يقال: أدلج بالتخفيف إذا سار من أوّل الليل، وادّلج بالتشديد اذا سار من آخره، ومنهم من يجعل الادلاج لليل كلّه، انشد لعلي عليه السّلام:

أصبر على السير والادلاج في السحر   وفي الرواح على الحاجات والبكر

فجعل الادلاج في السحر.

والمعنى تسير بين يدي السائر اليك وترشده وتهديه الى طريق معرفتك وسبيل طاعتك، فانّ الطريق اليك مخوف، وفيه مهالك ومواقع، والسائر فيه يحتاج الى عناياتك وهداياتك، فانّه مادام في سيره اليك يكون مضطرباً غير مستقرّ الخاطر، لخوف العاقبة ومايعرض في أثناء السير والسلوك من العوارض العائقة، كالانحراف عن القصد عن عبادتك، واستيلاء القوى الشهوانيّة، فانّ هذه وأمثالها تصدّ السائر عن السير اليك، وهو على خوف منها ومن خواطر الشيطان.

---

(١) سُبحانك رَبِّ: خ ل، و سُبْحانَ رَبِّ: خ ل.

سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ* رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ* رَبَّنا إنّنا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإيمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنا مَعَ الأَبرَارِ* رَبَّنا وَآتِنَا مَا وَعدْتَنا عَلَى رُسُلِكَ، وَلاَ تُخزنَا يَومَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادِ». الحديث[1].

توضيح:

«لا يواري عنك ليل ساج» أي: لا يستر عنك من المواراة، وهي الستر. وساج بالسين المهملة وآخره جيم اسم فاعل من سَجَا بمعنى ركد واستقرَّ. والمراد: ليل راكد ظلامُه، مستقرٌّ قد بلغ غايته.

«ولا أرض ذات مهاد» بكسر أوّله جمع ممهود أي: ذات أمكنة مستوية ممهَّدة.

«ولا بحر لُجّي» بضمّ اللام، وقد تكسر وتشديد الجيم المكسورة والياء المشدّدة، أي: عظيم.

«تدلج بين يدي المدلج» الإدلاج: السير بالليل، وربّما يختصّ بالسير في

شب ظلمت وبيابان بكجا توان رسيدن

مگرآن كه شمع رويت برهم چراغ دارد

ونقل عن الشيخ ـقدّس سرّهـ أنّ بعض المحدّثين فسّر الادلاج في هذا الحديث بالطاعات والعبادات في أيّام الشباب، فانّ سواد الشعر يناسب الليل، فالعبادة فيها كأنها ادلاج.

---

(١) فروع الكافي ٣:٤٤٥.

أوّله، وربّما يطلق الإدلاج على العبادة في الليل مجازاً، لأنّ العبادة سيرٌ إلى الله تعالى. وقد فسّر بذلك قولُ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله: مَن[١] خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل. ومعنى تدلج بين يدي المدلج: أنّ رحمتك وتوفيقك وإعانتك لمن توجّه إليك وعبدك صادرة عنك قبل توجُّهه إليك وعبادته لك ؛ إذ لولا رحمتك وتوفيقك وإيقاعك ذلك في قلبه لم يخطر ذلك بباله. فكأنّك سريت إليه قبل أن يسري هو إليك .

«تعلم خائنة الأعين» قد تقدّم تفسيره في الباب الثاني.

«وغارت النجوم» أي: تسفَّلت وأخذت في الهبوط والانخفاض بعد ما كانت آخذة في الصعود والارتفاع. واللام للعهد. ويجوز أن يكون بمعنى غابت.

والسِّنة بالكسر مبادىء النوم، وقد تقدَّم في الباب الأول وجه تقديمها على النوم، مع أنّ القيّاس في النفي الترقّي من الأعلى إلى الأدنى.

«لآيات» أي: علامات عظيمة أو كثيرة دالّة على كمال القدرة.

قوله: لأنّ العبادة سير الى الله تعالى.

كما ورد: انّ الصلاة معراج المؤمن، والنافلة قربان كلّ تقيّ[٢].

قوله: ومعنى تدلج.

قيل: في أكثر النسخ يدلج بالياء المنقّطتين من تحت. وعلى هذا يحتمل أن يكون صفة للبحر، والسائر في البحر يظنّ أنّ البحر يتوجّه اليه ويتحرّك نحوه. ويمكن أن يكون أيضاً التفاتاً، فيرجع الى ماذكره الشيخ رحمه الله.

---

(١) وبعض المحدّثين فسر الإدلاج في هذا الحديث بالطاعات والعبادات في أيام الشباب، فإن سواد الشعر يناسب الليل فالعبادة فيه كأنها إدلاج (منه).

(٢) من لايحضره الفقيه ١: ٢١٠.

«لأُولي الألباب» أي: لذوي العقول الكاملة. وسُمّي العقل لُبّاً لأنّه

وقريب منه ماقيل: انّ المراد بادلاج البحر بين يدي المدلج بسكون الدال فيهما تحرّكه عند حركة السفينة فيه. والمراد ذكر صفات في الامور المذكورة تدلّ على القدرة الباهرة.

قوله: لاولي الألباب.

الذين ينظرون اليك نظر استدلال واعتبار، فيجدونها مضمّنة بأعراض حادثة لا تنفكّ منها، كحركات الأفلاك واجزائها، فيعلمون أنّ ما لاينفكّ عن الحادث حادث، فلابدّ من محدث موجود قادر، ودلّ مافيها من البدائع والامور الجارية على غاية الانتظام ومادبّر فيها ممّا تكلّ بعض بدائعه الافهام على كون محدثه عالماً قديماً؛ إذ لو كان حادثاً لاحتاج الى محدث، فيؤدّي: إمّا الى الدور، أو التسلسل.

هذا واللبّ هو الخالص سمّي العقل به، لأنّه أشرف وأخصّ ما في الانسان، فانّه مجرّد وباقي القوىٰ مادّي، ومعلوم شرف المجرّد على المادّي، ولأنّ سائر القوى مشتركة بينه وبين الحيوان، والنبات بخلافه، فانّه مختصّ به، وبه امتاز عن غيره من المشاركات.

فدلّت الآية على شرف علم الكلام، بل الهيئة أيضاً، إذ هي علم بأحوال الأجرام العلويّة والسفليّة البسيطة كمّاً وكيفاً ووضعاً وحركة لازمة، وما ينضبط به الحركة ويلزم منها، فيعلم منه كيفيّة خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، وانّ خلقها على هذه الوجوه التي هي عليها، مع امكان غيرها من الوجوه الممكنة، لابدّ له من مرجّح مختار، ولابدّ له من العلم والقدرة بالنسبة الى ما يرجّحه، وذلك المرجّح يجب أن يكون واجب الوجود، أو ماينتهي

أنفس ما في الإنسان، فما عداه كأنه قشر.

«ويتفكّرون في خلق السماوات والأرض» قال المفسّرون: في هذا دلالة

اليه. ووجوب الوجود يستلزم الوحدة، بل سائر الصفات، كما بيّن في محلّه من الكلام. ومنه يظهر فضله وشرفه أيضاً.

فان قلت: الهيئة في الأكثر مبنيّة على الأمور الموهومة، كالدوائر الموهومة المبحوث عنها في مباحثها وغير ذلك، فكيف يكون شريفاً، ولا محصّل لأمثال هذه المباحث، بل هي من قبيل أصوات الحيوانات بل الجمادات.

قلت: إن أردت بالامور الموهومة ما لايكون موجوداً في نفس الأمر ويخترعه الوهم، فلا نسلّم ابتناء الهيئة عليها، فانّ الأُمور المذكورة فيها، وان لم تكن موجودة في الخارج، الاّ أنّها أُمور موهومة متخيّلة تخيّلاً صحيحاً مطابقاً للأمر نفسه، كما تشهد به الفطرة، وليست ممّا يخترعه الوهم، كأنياب الأغوال.

وان أردت بها ما لايكون موجوداً في الخارج، وان كان موجوداً في نفس الأمر، فلا نسلّم أنّ الابتناء عليه ينافي شرفه، كيف؟ وينضبط به أحوال تحرّكات من السرعة والبطء، والجهة على الوجه المحسوس والمرصود، وينكشف به أحكام الأفلاك ومافيها من دقائق الحكمة وعجائب الفطرة، بحيث يتحيّر الواقف عليها في عظمة مبدعها، قائلاً: ربّنا ماخلقت هذا باطلاً.

وفي الحقيقة لاعلم أدلّ على عظمته سبحانه وكمال قدرته وجلالته من هذا العلم، ولذلك قيل: من لم يعرف الهيئة والتشريح، فهوعمى في معرفة الله.

وحكى الرازي في تفسيره الكبير أنّ عمر الخيّام كان يقرأ المجسطي على عمر الأثيري[1]، فحضر بعض الأكابر مجلسهم، فقال: ماالذي تدرسونه؟ فقال

---

(١) كذا في النسختين.

على شرف علم الهيئة.

«ربّنا ما خلقت هذا باطلاً» أي: قائلين حال تفكّرهم في تلك المخلوقات العجيبة الشأن: ربّنا ما خلقت هذا عبثاً.

«سبحانك» أي ننزّهك عن فعل العبث تنزيهاً.

«فقنا عذاب النار» لـمّا كان خلق هذه الأشياء لحكم ومصالح، منها أن يكون سبباً لمعاش الإنسان ودليلاً يدلّه على معرفة الصانع ويحثّه على طاعته والقيام بوظائف عباداته لينال الفوز الأبدي، والانسان مخلٌّ في الأغلب بذلك حسن التفريع على الكلام السابق.

«من تدخل النار فقد أخزيته» قال بعض المفسرين: فيه إشعار بأنّ

عمر: أفسّر آية من القرآن، وهي قوله تعالى «أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها»[1] فأنا أفسّر كيفيّة بنائها.

قوله: حسن التفريع على الكلام السابق.

فائدة الفاء هي الدلالة على أنّ مجرّد علمهم بما لأجله خلقت السماوات والأرض، من الاستدلال على وجود الصانع وتوحيده وعلمه وقدرته وارادته، وغير ذلك من صفاته الثبوتيّة والسلبيّة.

ومن كون الأرض مبدأ لوجود الانسان، وسبباً لاستقراره وترتّب الفوائد التي لايحصيها الّا الله سبحانه حملهم على الاستعاذة، لدلالته على استحقاق العبادة، والعقاب بتركها، والتقصير في التفكّر، والانسان في غالب أحواله غير مستعمل لقواه العلميّة والعمليّة فيما لأجله خلقت، هذا.

وفي النهاية الأثيريّة: خزى يخزي خزاية أي استحيىٰ فهو خزيان، وامرأة

---

(١) سورة ق: ٦.

العذاب الروحاني أشدّ من العذاب الجسماني؛ إذ الخزي فضيحة وحقارة نفسانيّة.

«ربّنا إنّنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان» المراد به الرسول صلّى الله عليه وآله، وقيل: القرآن.

«ربّنا فاغفر لنا ذنوبنا» المراد بها الكبائر «وكفّر عنّا سيئاتنا» المراد بها

خزياء وخزي يخزي خزياً أي ذلّ وهان[1].

فهو بهذا المعنى مشعر بأنّ العذاب الروحاني أشدّ من العذاب الجسماني. وقد يكون الخزي بمعنى الهلاك والوقوع في بليّة. وعلى هذا المعنى فلا اشعار فيه بما ذكر، بل يكون معنى قوله «فقد أخزيته» فقد أهلكته وأوقعته في بليّة عظيمة لابليّة فوقها؛ إذ لا عذاب فوق عذاب النار، كما يدلّ عليه بعض الأخبار.

ويمكن أن يراد بالمنادي هنا الأدلّة الأنفسيّة أو الآفاقيّة، أو هما مع العقل. والدعاء بمغفرة الكبائر يتضمّن الدعاء بتوفيق التوبة، فانّه سبب تلك المغفرة، كما أنّ الدعاء بتكفير السيّئات يتضمّن طلب التوفيق للاجتناب عن الصغائر.

والوجه في الجمع بين سؤال المغفرة والتكفير، أنّ تكفير السيّئات يكون بالتوبة، والمغفرة قد تكون ابتداءً من غير توبة.

وقيل: كلّ صلاة تكفّر الصغائر الواقعة بينها وبين سابقتها، بشرط أن يجتنب المصلّي عن الكبائر بين الصلاتين، فمن لم يجتنبها تكون صغائره غير مكفّرة بالصلاة. كما روي عنه صلّى الله عليه وآله: انّ الصلوات كفّارات لما بينهنّ ما اجتنب الكبائر. وذلك لا ينافي كون اجتناب الكبائر جميعها يكفّر الصغائر، فانّ اجتنابها يشمل فعل الصلاة؛ لأنّ تركها من أعظم الكبائر،

---

(١) نهاية ابن الأثير ٢: ٣٠.

الصغائر، أي: اجعلها مكفَّرة عنَّا بتوفيقنا[١] لاجتناب الكبائر.
«وتوفَّنا مع الأبرار» أي: في زمرتهم.
«ربَّنا وآتنا ما وعدتنا على رُسلك» أي: على تصديقهم، أو على ألسنتهم.

فالمراد أنّ فعل الصلوات مع ترك الكبائر يكفّر، فلا منافاة بين الآية والرواية، فتأمّل.

قوله: وتوفّنا مع الابرار.

قيل: معناه وأمتنا موتتهم واجعلنا بعده معهم. وهو منه اشارة الى تضمين معنى الجعل، أي: توفّنا جاعلاً ايّانا بعده معهم، والغرض بيان حاصل المعنى، لابيان ارادة هذين المعنيين من اللفظ، حتّى يقال: انّه بعيد.

وقوله «أمتنا موتتهم» يستلزم مايدلّ عليه قوله «واجعلنا بعده معهم» أي: مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم.

وتوهم عدم اتّحاد زمان الحال والعامل، بأنّ الاختصاص بصحبتهم غير مقارن للتوفّي. مدفوع بأنّ المراد من المقارنة المفهومة من الحال هو كون التوفّي مقارناً لحالة يستحقّ بها صحبتهم. وفي قوله «توفّنا» تنبيه على أنّهم يحبّون لقاء الله، ومن أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه.

قوله: ربّنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك.

من الأجر والثواب. وهذا السؤال ليس لأن يعمل بوعده وعدم الاخلال، لاحتمال أن لايفعل ذلك، لأنّ ذلك محال عليه تعالى عن ذلك، بل طلب

---

(١) لأنّه قد ورد أنّ اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر، كما قال سبحانه: «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيّئاتكم» (منه).

فصل

فإذا انتصف الليل، فقد دخل وقت صلاة الليل، وقد يعبّر عن انتصاف الليل بالزوال أيضاً.

روى رئيس المحدّثين في الفقيه أنّ عمر بن حنظلة سأل الصادق عليه السَّلام فقال: زوال النهار نعرفه بالنهار، فكيف لنا بالليل؟ فقال عليه السَّلام: لِلَّيل زوالٌ كزوال الشمس. قال: فبأي شيء نعرفه؟ قال: بالنجوم إذا انحدرت[1].

والظاهر أنّه عليه السَّلام أراد بالنجوم النجوم التي طلعت عند غروب

لبقائه على استحقاق ذلك بالموت على الايمان والعمل الصالح الذي يستحقّ بهما ذلك الوعد، مخافة أن لايكون من الموعودين بسوء العاقبة، أو لقصور في الامتثال للاخلال بشرائطها من الاخلاص وغيره.

قوله: زوال النهار نعرفه بالنهار.

في رواية الحسين بن علي بن بلال، قال: كتبت اليه في وقت صلاة الليل. فكتب: عند زوال الليل وهو نصفه أفضل، فان فات فأوّله وآخره جائز[2]. وهذه أصرح في اطلاق زوال الليل على انتصافه من رواية ابن حنظلة.

قوله: النجوم التي طلعت.

أي: الطالعة أوّل الليل والغاربة آخرها، فبانحدارها عن دائرة نصف النهار

---

(١) من لايحضره الفقيه ١:٢٢٧.

(٢) تهذيب الاحكام ٢:٣٣٧، ح٢٤٨.

الشمس، كما قاله شيخنا الشهيد ـ رحمه الله ـ والمراد بانحدارها شروعُها في الانخفاض.

وصلاة الليل تُطلق في الأحاديث: تارةً على الثمان، وأُخرى على الإحدى عشرة بإضافة الشفع ومفردة الْوِتْر، وأُخرى على الثلاث عشرة بإضافة ركعتَي الفجر، وهي من النوافل المؤكَّدة.

روى شيخ الطائفة في التهذيب ـ بسند صحيح ـ عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: كان في وصيّة رسول الله صلّى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السَّلام: يا عليّ أُوصيك في نفسك بخصال فاحفظها. ثم قال: اللّهم أعنه. وذكر جملة من الخصال إلى أن قال: وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الزوال، وعليك بصلاة الزوال، وعليك بصلاة الزوال[1].

والظاهر أنّه صلّى الله عليه وآله أراد بصلاة الليل الثلاث عشرة ركعة، وبصلاة الزوال الركعات الثمان

يعرف زوال الليل. وينبغي الملاحظة في كلّ أُسبوع، فانّها تختلف.

قوله: وصلاة الزوال الركعات الثمان.

المتبادر من صلاة الزوال خصوص فريضة الظهر. ويمكن أن يراد بها صلا تا الظهرين ونوافلهما. وانّما خصّها بالنافلة بقرينة سياق الكلام واقتضاء المقام، وهو ذكرها في تلو صلاة الليل، وهي من النوافل الراتبة لا من الفرائض المكتوبة، ولأنّ صلاة الظهر أو الظهرين بخصوصهما لايحتاج الى هذه الوصيّة ولا الى التأكيد والمبالغة؛ اذ الوصيّة بأمر والتأكيد في فعله والمبالغة فيه انّما

(١) روضة الكافي ٨: ٧٩.

التي هي نافلة الزوال، كما قاله بعض علمائنا.

فإذا أردت التوجّه إلى العبادة وكان لك حاجة إلى التخلي، فابدأ به أوّلاً، فإذا أردت الدخول إلى الخلاء، فإن كان في نقش خاتمك، أو معك اسمٌ محترم، فلا تُدخله معك، وكذا الدراهم البيض غير المصرورة. ثم قَدّم رجلَك

تحسن فيما اذا يتصوّر فيه نوع اهمال ومساهلة، وفريضة الظهر ليست كذلك، وخاصّة بالاضافة الى هذا الوصيّ الوفيّ.

الّا أنّ يقال: انّ المقصود بالوصيّة هو غيره من سائر أفراد أُمّته الاجابة المتساهلين في امتثال الأوامر والنواهي، ولكنّ الأولى هو التعميم في النافلة، ليشمل نوافل العصر أيضاً؛ إذ يصدق عليها أيضاً أنّها من صلاة الزوال لوقوعها بعده، والاضافة ممّا يكفيه أدنى ملابسة، كما هو المشهور، فتأمّل.

قوله: التي هي نافلة الزوال.

فصلاة الزوال بمعنى صلاة نافلة الزوال على حذف المضاف.

قوله: فان كان في نقش خاتمك.

في رواية عمّار الساباطي عن أبي عبدالله عليه السَّلام أنّه قال: لايمسّ الجنب درهماً ولا ديناراً عليه اسم الله تعالى، ولا يستنجي وعليه خاتم فيه اسم الله تعالى، ولا يجامع وهو عليه، ولا يدخل المخرج وهو عليه[1].

وأُلحق به ما كان عليه اسم أحد من الأنبياء والائمّة عليهم السَّلام.

قوله: أو معك اسم محترم.

فلا يجوز أن يكون معه المصحف المجيد، ولا الأدعية المشتملة على الأسماء

---

(١) الاستبصار ١:٤٨، ح١.

اليسرى عند أوّل دخولك إن كان بيتاً. وإن تخلّيت في فضاء كالصحراء ونحوها، فقدّمها في موضع جلوسك، وقل:

المحترمة بطريق أولى. وتعميم الحكم بحيث يشمل التعويذات المربوطة بالعضائد لايخلو من شيء، وخاصّة اذا كانت تحت أثواب متعدّدة معقودة عليه وكان وسطه مشدوداً بالمناطيق ونحوها، لصعوبة حلّها وعقدها كلّما يدخل المخرج ويخرج.

ويمكن استثناء هذا ونحوه بقوله تعالى «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر»[١] فالقرآن ونحوه من الأدعية والصحيفة إذا خاف عليه الضياع أو التلف فلابأس أن يكون معه وهو يدخل المخرج.

وتخصيص الحكم بالدراهم البيض؛ لوروده في النصّ كذلك، ولعلّه لكونه أغلب، والّا فلا وجه له، إذ لو كانت معه الدنانير الصفر المنقوشة عليها اسم محترم وهي غيرمصرورة لايجوز أن يكون معه.

ويمكن أن يقال: انّ هذا ونحوه داخل تحت عموم قوله «أو معك اسم محترم» وانّما خصّ الدراهم البيض بعده بالذكر تبعاً للأخبار واقتضاءً للآثار، لورودها فيها بخصوصها. وفي حكم الصرّة إذا كانت في منديل ونحوه؛ إذ الغرض حاصل بذلك كلّه.

قوله: فقدّمها في موضع جلوسك.

وذلك انّما يتعيّن بالقصد والارادة. ثمّ استحباب تقديم الرجل اليسرى عند الدخول في الخلاء، وتقديم اليمنى عند الخروج، حكم مشهور بين الأصحاب.

قال في المعتبر: ولم أجد به حجّة، غير أنّ ماذكره الشيخ وجماعة من

---

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الرِّجْسِ النَّجِسِ، الْخَبِيثِ الْمُخْبِثِ، الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ.

واختر إن تخلّيت في فضاء موضعاً لا يُرى فيه شخصُك . ولكن اعتمادك في حال التخلّي على رجلك اليسرى. وينبغي تفريج اليمنى. ولا تُطل الجلوس، ولا تتكلّم إلا لحاجة تخاف فوتها، أو قراءة آية الكرسي، أو الحمد لله رب العالمين،

الأصحاب حسن[١].

قوله: لا يرى فيه شخصك.

لوجوب ستر العورة.

قوله: على رجلك اليسرى.

لأنّه أعون على الدفع.

قوله: ولا تطل الجلوس.

لأنّه يورث الباسور.

قوله: ولا تتكلّم الاّ لحاجة.

روى الشيخ عن صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن الرضا عليه السَّلام قال: نهى رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يجيب الرجل آخر وهو على الغائط، أو يكلّمه حتّى يفرغ[٢].

---

(١) المعتبر ١:١٣٤.

(٢) تهذيب الاحكام ١:٢٧، ح٨.

أو حكاية الأذان، أو ذكر الله سبحانه. وامسح بطنَك بعد الفراغ بيدك اليمنى قائماً قائلاً:

اَلحَمْدُ للهِ الَّذِي أَماطَ عنِّي الأَذَى، وَهَنَّأَنِي طَعَامِي وَشَرابِي، وَعافَاني مِنَ البَلْوَى.

وروي أنّ من تكلّم على الخلاء لم تقض حاجته[1].

واستثني من ذلك: الذكر، لقول الصادق عليه السَّلام: لا بأس بذكر الله وأنت تبول، فانّ ذكر الله حسن على كلّ حال[2].

وآية الكرسي، لقوله عليه السَّلام في صحيحة عمر بن يزيد: لم يرخّص في الكنيف أكثر من آية الكرسي، ويحمد الله أو آية الحمد لله ربّ العالمين[3].

وحالة الضرورة، لما في المنع عن الكلام معها من الضرر المنفيّ بالآية والرواية.

وحكاية الأذان، لصحيحة محمَّد بن مسلم عن الباقر عليه السَّلام أنّه قال: يا محمَّد لا تدع ذكر الله على كلّ حال، ولو سمعت المنادي ينادي بالأذان وأنت على الخلاء فاذكر الله عزّوجلّ وقل كما يقول المؤذّن[4].

وفي المنتهى أوجب ردّ السلام، واستحبّ الحمد عند العطاس.

قوله: أماط عنّي.

أي: أبعد عنّي.

---

(١) من لايحضره الفقيه ١:٣١، ح٦١.

(٢) اصول الكافي ٢:٤٩٧، ح٦.

(٣) من لايحضره الفقيه ١:٢٨، ح٥٧.

(٤) من لايحضره الفقيه ١:٢٨٨، ح٨٩٢.

واستبرىء بأن تضع الوسطى عند المقعدة، وتمسح بها إلى أصل القضيب ثلاثاً، ثم تضع السبابة تحته والإبهام فوقه، وتنتره ثلاثاً، وتعصر الحشفة ثلاثاً. وتنحنحْ في حال الاستبراء. وإذا أردت الاستنجاء بالماء، فقل:

الحَمْدُ لله الَّذِي جَعَلَ المَاء طَهُوراً وَلَمْ يَجْعَلْهُ نَجِساً.

واستنج بيسارك في الماء وغيره، فإن كان فيها خاتم فصُّه من حجر زمزم[١] فانزعه. ولكن غسل المقعدة ببنصرها، ولا تمسَّ ذكرك بيمينك، وآثرْ في غير المتعدّي[٢] من الغائط الماء على الاستجمار، والجمع بينهما مع التعدّي وغيره

قوله: وتنتره ثلاثاً.

في صحيحة حفص بن البختري عن أبي عبدالله عليه السَّلام في الرجل يبول، قال: ينتره ثلاثاً، ثمّ إن سال حتّى يبلغ الساق فلا يبالي[٣].

قوله: واستنج بيسارك .

فانّ من الجفاء الاستنجاء باليمين، كما روي عنه صلّى الله عليه وآله[٤].

قوله: ولا تمسّ ذكرك بيمينك.

عن الباقر عليه السَّلام أنّه قال: إذا بال الرجل فلا يمسّ ذكره بيمينه[٥].

---

(١) قد جوّزوا جعل الحصاة من زمزم فص الخاتم، واعترض عليه بأن زمزم من المسجد الحرام وإخراج الحصى من المساجد حرام. وأُجيب بأنّ المراد ما أُخرج على سبيل القمامة والتنظيف. وعندي في هذا الجواب نظرٌ (منه).

(٢) إنّما قيّد بغير المتعدي، لأنّ الماء متعينٌ في المتعدّي، والاستجمار لا يطهره اتّفاقاً (نقل من خطه رحمه الله).

(٣) تهذيب الاحكام ١: ٢٧، ح٩.

(٤) من لايحضره الفقيه ١: ٢٧، ح٥١.

(٥) من لايحضره الفقيه ١: ٢٨، ح٥٥.

أولى. واغسل مخرج الغائط إلى أن تحسّ بالصرير، وقل حال الاستنجاء:
اَللّهُمَّ حَصِّنْ فَرجي وأَعفَّهُ، واستُرْ عورَتي، وَحرِّمْني عَلَى النَّار.

وقدِّم غَسلَ الدُّبر على القُبل، وأوترْ عدد الأحجار إن لم ينق بالثلاث. واستوعب المحلّ بكلّ حجرٍ على سبيل الإدارة عليه. فإذا خرجت من الخلاء، فقدّم رجلك اليمنى وقل عند الخروج:

الْحَمْدُ لله الَّذِي عَرَّفَنِي لَذَّتهُ، وأَبقَى في جَسَدِي قُوَّتَهُ، وأَخرَجَ عَنِّي أذَاهُ. يَا لَهَا نِعْمة، يا لَها نِعمَة، يَا لَها نِعمَة لاَ يَقْدِرُ القَادِرُونَ عَدَّها[1].

فصل

فإذا خرجت من الخلاء، فابدأ بالسواك، ثمّ توضّأ الوضوء الكامل، كما مرَّ في الباب الأول.

ثمّ تطيَّب. فقد روي عن الصادق عليه السَّلام أنه قال:

قوله: يا لها نعمة.

اللام للتعجّب والضمير مبهم يفسّر نعمة، وتقديمه لتقرير معناه بعد التفصيل، والمنادى محذوف، أي: ياقوم احضروا وانظروا الى هذه النعمة العظيمة التي لايعظّم المعظّمون حقّ تعظيمها، ومثله قوله تعالى «وما قدروا الله حقّ قدره»[2].

---

(١) قدرها: خ ل.

(٢) سورة الانعام: ٩١.

كانت للنبيّ صلّى الله عليه وآله ممسكةٌ إذا هو توضأ أخذَها بيده وهي رَطبة[١].

وروي عنه أيضاً صلّى الله عليه وآله أنه قال: ركعتان يصليهما متعطّرٌ، أفضلُ من سبعين ركعة يصلّيها غير متعطّر[٢].

واعلم أنّ التعطُّر مستحبٌّ لكلّ صلاة وكلّ دعاء، وليس مختصّاً بصلاة الليل وأدعيته.

قوله عليه السَّلام: كانت للنبيّ صلّى الله عليه وآله ممسكة.

أي: قطعة من المسك. وفي رواية أنّه صلّى الله عليه وآله كان يتطيّب بالمسك، وكان أحبّ الطيب اليه[٣].

ولعلّ فائدة قوله عليه السَّلام «وهي رطبة» هي الاشارة الى طهارة المسك، وهو محلّ وفاق، كما ذكره الشهيد في الذكرى[٤].

نعم اختلفوا في طهارة فأرته، وهي الجلدة الحاوية له إن أُخذت من غير المذكّى. فقال العلّامة في التذكرة: فأرة المسك طاهرة، أُخذت من حيّ أو ميّت. واستقرب في المنتهى نجاستها إن انفصلت بعد الموت.

ويدلّ على الأوّل صحيحة علي بن جعفر عن أخيه عليه السَّلام، قال: سألته عن فأرة المسك تكون مع الرجل وهو يصلّي وهي معه في جيبه أو ثيابه، فقال: لابأس بذلك[٥].

---

(١) فروع الكافي ٦:٥١٥، ح٣.

(٢) ثواب الاعمال: ٦٢.

(٣) فروع الكافي ٦:٥١٥.

(٤) الذكرى: ١٤٩.

(٥) تهذيب الاحكام ٢:٣٦٢، ح٣١.

فإذا توضّأت وتعطّرت، فاجلسْ مستقبلَ القبلة، ثمّ ادعُ بدعاء زين العابدين عليه السَّلام الذي كان يدعو به في جوف اللَّيلْ:

إلهي غارَتْ نُجُومُ سَمَائكَ ، ونامَتْ عُيُونُ أنامِكَ ، وَهَدأَتْ أصواتُ عِبادِكَ وأنعامِكَ ، وغلَّقتِ المُلوك عَلَيْها أبوابَهَا، وَطافَ عَلَيْها حُرَّاسُها(١) واحتَجبُوا عمَّنْ يَسأَلُهُمْ حاجَة، أوْ ينْتَجعُ مِنْهُمْ فائدَة، وأنْتَ إلهي حَيٌّ قيُّومٌ، لاَ تأخُذُكَ سِنةٌ وَلاَ نومٌ، وَلاَ يَشغَلُكَ شَيء عَنْ شَيءٍ،

وعلى الثاني صحيحة عبدالله بن جعفر، قال: كتبت اليه -يعني أبامحمّد عليه السَّلام-: هل يجوز للرجل أن يصلّي ومعه فأرة مسك؟ فكتب: لابأس به اذا كان ذكيّاً(٢).

إذ المستفاد منها أنّ من أفرادها ماليس بذكيّ. وفيه أنّ انتفاء كونها ذكيّاً لايستلزم النجاسة، وكذا المنع من استصحابها في الصلاة، مع أنّه يجوز أن يكون المراد من الذكيّ مالم تعرض له نجاسة من خارج.

قيل: والأحوط عدم استصحابها في الصلاة الآّ مع التذكية، ويكفي شراؤها من المسلم.

والأظهر أنّ الفأرة مستثناة ممّا تحلّه الحياة، ولا استبعاد فيه، كما في الأنفحة من الميتة. وعلى تقدير نجاستها بانقطاعها من حيّ أو ميّت لاينجس مافيها من المسك، كما في اللبن اللاصق لجلد الميّت، للنصّ ولأصالة الطهارة.

قوله عليه السَّلام: وغلّقت الملوك عليها أبوابها.

تأنيث الضمائر بتقدير الطوائف والجماعة ونحوهما، وأمّا تذكيرها فظاهر.

---

(١) حُجّابها: خ ل.

(٢) تهذيب الاحكام ٢: ٣٦٢، ح٣٢.

أَبوَابُ سَمَائكَ لِمَنْ دَعاكَ مُفتَّحاتٌ، وَخَزائنُكَ غَيْرُ مُغلَّقاتٍ، وَأبوابُ رَحْمَتِكَ غَيْرُ مَحْجُوباتٍ، وَفَوائدُكَ لِمَنْ سأَلَكَ غَيْرُ مَحظُوراتٍ، بَلْ هِيَ مَبْذُولاَتٌ. أَنْتَ إلهِي[1] الكَريمُ

قوله عليه السّلام: وأبواب رحمتك غير محجوبات.

الباب مدخل الشيء، وأصله مداخل الأبنية، كباب المدينة والدار، ثمّ تجوّز فيه فاستعمل فيما يتوصّل به الى الشيء، ومنه: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، يعني به يتوصّل اليه.

وأبواب الرحمة والمغفرة هي الأسباب التي بها يتوصّل اليها، وفيه مكنيّة وتخييل وترشيح، أو شبّه المخاطب جلّ طوله وعمّ نواله بالمنعم الجواد المحسن الكريم، فأثبت له باب مفتوح للسائلين ودخول الراغبين، ليستفيضوا من كرمه وينتفعوا من نعمه جلّت نعماؤه وعظمت آلاؤه.

أو يقال: بابه تعالى عبارة عمّا يتوصّل به الى تحصيل فوائده واكتساب عوائده من الأسباب؛ إذ كان الباب في الأصل كما سبق مدخل الدار الذي يتوصّل منه اليها، ثمّ استعير لكلّ مايتوصّل به الى شيء، وذكر عدم المانع من الحجاب تخييل أو ترشيح.

هركه آيد گو بيا وهرچه خواهد گو بگو
گير و دار و حاجب ودربان دراين درگاه نيست

قال محمود الورّاق:

شاد الملوك قصورهم وتحصّنوا	من كلّ طالب حاجة أو راغب
فارغب الى ملك الموت ولا تكن	بادىء الضراعة طالباً من طالب

---

(١) إلهي أنت: خ ل.

الَّـذِي لاَ تَرُدُّ سائـلاً مِنَ المُـؤمـنينَ سأَلكَ ، وَلاَ تَحتَجِبُ عَـنْ أحدٍ مِنْهُمْ أَرادَكَ ، لاَ وَعزَّتكَ وَجَـلالِكَ ، وَلاَ تُختَزلُ حَوائجَهُمْ دُونَكَ ، وَلاَ يَقْضِيها أحدٌ غَيْرُكَ .

اَللّـهُـمَّ وقَدْ تراني وَوُقُـوفي وذُلَّ مَـقَامِي بَـيْنَ يَدَيْـكَ ، تَـعْلَمُ سَـرِيرَتي

قوله عليه السَّلام: الذي لا تردّ سائلاً الى آخره.

فان قـلت: كـثيراً مـا نرى المـؤمن يسأل الله ولا يجيبـه ولا يقضـي حوائجه ومسؤوله، وهل هذا الاّ ردّاً لما سأله، فكيف هذا؟

قلت: لعلّه يجيبه ولا يردّه ولكنّه يؤخّره لضرب من الحكمة والمصلحة، ولو لم يجبه يـعوّضه: امّا في الـدنيا، أو في الآخرة، كما أشار اليه سـيّدنا أمير المؤمنين في وصيّته لابنه الحسن سلام الله عليهما.

حيـث قال: ولا يقنطنّـك ابطاء اجـابته، فانّ العطـيّة على قدر النيّة، وربّما أُخّرت عنك الاجـابة لـيكون ذلك أعظم لأجر السائل، وأجـزل لعطاء الآمل، وربّما سألت الشـيء فلا تـؤتاه، وأُوتـيت خيـراً منـه عاجـلاً أو آجلاً، أو صرف عنك لما هو خير لك ، فلربّ أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أُوتيته[1].

فانظر كيف عـدّ لتأخّر الاجابـة أسباباً، ليلحظها السائل عند تأخّرها، فلا يقنط من رحمته تعالى.

قوله عليه السَّلام: وذلّ مقامي بين يديك.

لـفظ المـقـام مقحم، واسـنـاد الـذلّ اليه مجاز، ولعـلّ الـوجـه في اقحامه هو المبالغة في الذلّ وكماله، حتّى كأنّه سرى منه الى ماليس بعاقل ولا قابل.

---

(١) نهج البلاغة: ٣٩٩.

وتطّلعُ على مَا فِي قَلْبِي، وما يَصْلِحُ بِهِ أمرُ آخِرَتِي وَدُنْيايَ، اَللّهُمَّ إنَّ ذِكْرَ الْمَوتِ وأهْوَالِ[1] الْمُطّلع وَالوُقوف بَيْنَ يَدَيْكَ نَغَّصَنِي مَطعَمِي وَمَشرَبِي، وأغَصَّنِي بِرِيقِي، أقْلَقَنِي عَنْ وسادِي وَمَنَعَنِي رُقَادِي. كَيْفَ يَنامُ مَنْ يَخافُ مَلَكَ الْمَوتِ في طَوارقِ اللَّيْلِ وطَوارقِ النَّهارِ، بَلْ كَيْفَ يَنامُ العَاقِلُ وَمَلَكُ الْمَوتِ لاَ يَنامُ لا بِاللَّيْلِ ولاَ بِالنَّهار، ويطلُبُ

قوله عليه السَّلام: أقلقني عن وسادي.

أقلقه: أزعجه وحرّكه، وقد سبق أنّ كلّ آت بالليل طارق، فلعلّه أراد به هنا الآتي مطلقاً، يعني من يخاف أن يكون ملك الموت في طارقي الليل والنهار، ومن جملتهم وهو قابض الأرواح وطالب لروحه، كيف يأخذه نوم والخوف مانع منه، فكان ينبغي له أن لاينام لابالليل ولا بالنهار، ويستعدّ للموت ومابعده بالتوبة والانابة، ويصرف ليله ونهاره في الطاعات والعبادات، فربّما يأتيه الموت من ساعته بغتة، فيخطفه وهو غافل عنه غير مستعدّ له، فتطول حسرته وندامته في الآخرة.

توقّع هجوم الموت في كلّ ساعة فانّك لا تدري متى الموت نازل

واليه الاشارة بقوله «ويطلب روحه بالبيات» فانّ البيات أن يقصد عدوّك في الليل من غير أن تعلم فيأخذك بغتة، وكلّ من أدركه الليل فقد بات، نام أو لم ينم.

قوله عليه السَّلام: وملك الموت لاينام.

هذا صريح في أنّ الملائكة لاينامون. وقوله تعالى «لا تأخذه سنة ولا

---

(١) أهوال بالجر عطفاً على الموت أو بالنصب عطف على الذكر والأول أقرب (منه).

رُوحَهُ[١] بالْبيَاتِ وَفي آناء السَّاعات.

وكان عليه السَّلام يسجد بعد هذا الدعاء ويُلصق خدّه بالتراب ويقول:
أَسألكَ الرَّوحَ والرَّاحة عِنْدَ الْموْت، وَالعَفوَ عَنِّي حِينَ أَلقَاكَ.

وكان عليه السَّلام يصلّي قبل صلاة الليل ركعتين يقرأ في الأُولى بقل هو الله أحد، وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون، ثمّ يرفع يديه بالتكبير ويدعو. وأنت إذا صلّيت هاتين الركعتين فيحسن أن تدعو بهذا الدعاء الذي رواه رئيس المحدّثين في كتاب الأمالي عن أبي الدرداء أنه سمع أمير المؤمنين عليه السَّلام يدعو به في جوف الليل:

إلـهِي كَمْ مِنْ مُوبقَةٍ حلُمْتَ عَنْ مُقابَلَتِها بِنَقْمَتِكَ[٢]، وكَمْ مِنْ

نوم»[٣] ليس من خصائصه، الاّ أن يكون المراد به أنّه لايمنعه مانع جزئيّ ولا مانع كلّي عن حسن قيامه بحفظ المخلوقات، فانّها في بقائها تحتاج الى علّة مبقية، فحينئذٍ يصير من خواصّه، فتأمّل.

قوله عليه السَّلام: الهي كم من موبقة حلمت الى آخره.

يعني مقابلة السيّئة بالسيّئة ممّا يقتضيه قانون العدل، وانّما يمنع منه الحلم، وهو بالكسر الاناة، وهو سبحانه حليم ذوصفح واناة لايغيّره جهل جاهل وعصيان عاصٍ، وكذا كشف الستر ورفع الحجاب عن الجريرة والذنب والخيانة، وتشهيرها بين الناس ليفتضح به الجرير والجاني، لئلا يعود الى مثلها ويعتبر به المعتبر عدل حسن، الاّ أنّه يمنع منه كرم الكريم، وهو صفحه عن العصيان وعفوه عن الذنوب ومايحره الانسان.

---

(١) قبض روحه: خ ل.

(٢) بنعمتك: خ ل.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٥.

جَرِيرَةٍ تكرَّمتَ عَنْ كَشفِها بِكَرَمِكَ، إلهي إنْ طالَ في عِصْيانِكَ عُمُري، وَعظُمَ فِي الصُّحُفِ ذَنْبِي، فَمَا أَنَا بِمُؤمِّلٍ[١] غَيْرَ غُفْرانِكَ، وَلاَ أنا رَاجٍ[٢] غَيْرَ رِضْوانِكَ، إلهي أُفكِّرُ فِي عَفوكَ فَتهُونُ عَليَّ خَطِيئتِي، ثُمَّ أذكُرُ العَظِيمَ مِنْ أَخذِكَ فَتعْظُمُ عَلَيَّ بَلِيَّتِي، آهٍ إن أَنا قَرَأتُ في الصُّحُفِ[٣] سيِّئةً أنا نَاسِيها، وأَنْتَ مُحْصِيها، فَتقُولُ خُذُوهُ، فيالَهُ مِنْ مأخُوذٍ لاَ تُنجِيهِ عَشيرتُهُ، وَلاَ تَنفَعُهُ قَبيلَتُهُ،

قوله عليه السَّلام: وعظم في الصحف ذنبي.

أي: كثر فيها كتابته، أو كتب فيها أنّ هذا ذنب عظيم.

قوله عليه السَّلام: ثمّ أذكر العظيم من أخذك .

حيث تقول للملائكة «خذوه فغلّوه * ثمّ الجحيم صلّوه * ثمّ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه»[٤] نعوذ بالله منه.

قوله عليه السَّلام: فياله من مأخوذ.

اللام للتعجّب، والضمير مبهم يفسّره «من مأخوذ» والمنادى محذوف، أي: ياقوم احضروا وانظروا الى هذا المأخوذ الذي لاينجيه شيء الّا كرم الله وعفوه وتجاوزه عنه.

وانّما خصّ العشيرة والقبيلة بالذكر، لأنّهم كانوا في دار الدنيا مهتمّين

---

(١) مؤمل: خ ل.

(٢) براج: خ ل.

(٣) الصحيفة: خ.

(٤) سورة الحاقة: ٣٠ ـ ٣٢.

آهٍ مِنْ نَارٍ تُنْضِجُ الأكبَادَ والكُلَى، آهٍ مِنْ نَارٍ نَزَّاعَةٍ لِلشَّوى، آهٍ مِنْ غَمرَةٍ مِنْ لَهَبَاتِ لَظَى.

ثمّ ابك بعد هذا الدعاء وادعُ بما شئت. ثمّ قم إلى صلاة الليل. وقد أجمع علماؤنا على أنّ أول وقتها انتصاف الليل، وأنّها كلّما قربت من الفجر الثاني

بنجاته إذا وقع في بليّة، فأمّا اليوم فيفرّ المرء من أخيه وأمّه وأبيه وصاحبته وبنيه، لكلّ امرىء منهم يومئذٍ شأن يغنيه.

قوله عليه السّلام: آه من نار تنضج الأكباد والكلى.

روي: أنّ النار تأكل أهلها حتّى إذا طلعت على أفئدتهم انتهت، ثمّ تعود كما كانت، ثمّ تستقبل العبد أيضاً فتطلع على فؤاده، فهي كذلك أبداً.

وفي رواية: انّ رجلاً لو كان بالمشرق وجهنّم بالمغرب، ثمّ كشف عن غطاء منها لغلت جمجمته.

وفي أخرى: لو كان أحدكم بالمشرق وكانت النار بالمغرب، ثمّ كشف عنها لخرج دماغ أحدكم من منخريه من شدّة حرّها، نعوذ بالله منها.

قوله عليه السّلام: آه من نار نزّاعة للشوى.

اشارة الى قوله تعالى «كلا انّها لظى * نزّاعة للشوى * تدعو من أدبر وتولّى»[1].

قال علي بن ابراهيم في تفسيره: أي تنزع عينيه وتسوّد وجهه وتجرّه اليها[2].

قوله: وقد أجمع علماؤنا على أن أوّل وقتها الى آخره.

أمّا أنّ مابعد الانتصاف وقت لصلاة الليل، فتدلّ عليه صحيحة فضيل

---

(١) سورة المعارج: ١٥ - ١٧.
(٢) تفسير القمّي ٢: ٣٨٦.

كانت أفضل من تقديمها.

فإن طلع وقد تلبّس بـأربع أتمَّها مخفَّفـة بالحمد أداءً. والمشهور جواز تقديمها على الانتصاف لذِي العُذر، وقضاؤها أفضل من تقديمها، فإذا أردت الشروع في صلاة الليل، فينبغي أن تقول:

عـن أحدهما عليهما السَّـلام انّ رسول الله صلّى الله عليه وآلـه كان يصلّي بعدما ينتصف الليل ثلاث عشرة ركعة[١].

وصحيـحة ابن أُذينـة عن عدّة مـن أصحابنـا سمعـوا أباجعفـر عليـه السَّلام يقول: كان أمير المؤمنين عليه السَّلام لايصلّي من النهار حتى تزول الشمس، ولا من الليل بعدما يصلّي العشاء حتّى ينتصف الليل[٢].

وأمّا أنّه كـلّما قـرب مـن الفجـر كـان أفضـل، فاستدلّ عـليه بقوله تـعالى «وبالأسحار هـم يستغفرون»[٣] والسحر ماقبل الفـجر على مانصّ عليـه أهل اللغـة. وقـد صحّ عن الصادق عـليـه السَّلام أنّه قـال: المراد بـالاستغفـار هـنا الاستغفار في قنوت الوتر[٤].

وصحيحة اسماعيـل بـن سعد الأشعري، قـال: سـألـت أباالحسن الرضا عليـه السَّلام عـن ساعات الـوتر، فـقال: أحبّها إلـيّ الفجر الأوّل، وسألـته عن أفضل ساعات الليل، فقال: الثلث الثاني[٥].

وأمّا أنّه ان تلبّس بأربع تـمّمها مخفّفة ولو طلع الفجر، فتدلّ عليه رواية أبي

---

(١) تهذيب الاحكام ٢:١١٧، ح٢١٠.

(٢) فروع الكافي ٣:٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٣) سورة الذاريات: ١٨.

(٤) تهذيب الاحكام ٢:١٣٠، ح٢٦٦.

(٥) تهذيب الاحكام ٢:٣٣٩، ح٢٥٧.

اَللّهُمَّ إنِّي أَتوَجَّهُ إلَيْكَ بِنَبِيِّكَ نَبِيِّ الرَّحمَةِ وآلِهِ، وأُقَدِّمُهُمْ بَيْنَ يَدَيْ حَوائِجي، فَاجْعلْني بِهِمْ وَجيْهاً فِي الدُّنيَا وَالآخِرَة وَمنَ الْمُقرَّبينَ. اَللّهُمَّ ارْحَمْني بِهِمْ، وَلاَ تُعذِّبْنِي بِهِمْ، وَاهْدِني بِهِمْ، ولاَ تُضِلَّني بِهِمْ، وَارْزُقْنِي بِهِمْ، وَلاَ تَحْرِمْني بِهِمْ، وَاقْضِ لِي حَوائجَ الدُّنْيا وَالآخِرَة إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، وَبِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ.

جعفر الأحول، قال: قال أبوعبدالله عليه السَّلام: إذا أنت صلّيت أربع ركعات من صلاة الليل قبل طلوع الفجر فأتمّ الصلاة، طلع أم لم يطلع(١).

وأمّا أنّه يجوز تقديمها على الانتصاف لذي العذر، فتدلّ عليه صحيحة ليث المرادي، قال: سألت أباعبدالله عليه السَّلام عن الرجل يخاف الجنابة في السفر أو في البرد، فيجعل صلاة الليل والوتر في أوّل الليل؟ قال: نعم(٢).

وصحيحة أبان بن تغلب، قال: خرجت مع أبي عبدالله عليه السَّلام فيما بين مكّة والمدينة، فكان يقول: أما أنتم فشابّ تؤخّرون، وأمّا أنا فشيخ أُعجّل، فكان يصلّي صلاة الليل أوّل الليل(٣).

وأمّا أنّ قضاءها أفضل من تقديمها، فتدلّ عليه صحيحة معاوية بن وهب عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: قلت: انّ رجلاً من مواليك من صلحائهم شكا إليّ مايلقى من النوم، فقال: انّي أُريد القيام لصلاة الليل، فيغلبني النوم حتّى أصبح، فربّما قضيت صلاتي الشهر المتتابع أو الشهرين أصبر على ثقله، قال: قرّة عين له والله، قرّة عين له والله، ولم يرخّص له في الصلاة في أوّل الليل، وقال: القضاء بالنهار أفضل(٤).

---

(١) تهذيب الاحكام ٢:١٢٥، ح٢٤٣.
(٢) من لايحضره الفقيه ١:٤٧٨، ح١٣٨٠.
(٣) فروع الكافي ٣:٤٤٠، ح٦.
(٤) من لايحضره الفقيه ١:٤٧٧ ـ ٤٧٨.

ثمّ تفتتح الركعة الأُولى بالتكبيرات السبع مع أدعيتها الثلاث. والأفضل أن تقرأ فيها بعد الحمد سورة التوحيد ثلاثين مرّة، وفي الثانية سورة الجحد، وفي الركعات الستّ الباقية السور الطوال، (مثل سورة الأنعام، والكهف، والأنبياء، ويس، والحواميم) وما أشبهها في الطول. ويجوز لك في كلّ النوافل قراءة السورة من المصحف وإن كنت تحفظ غيرها. أمّا في الفرائض فلا، إلّا مع عدم الحفظ. وقيل بالجواز فيهما مطلقاً، وهو ضعيف. ولو ضاق وقتُك عن السور الطوال، كفاك الحمد والتوحيد في كلّ ركعة، ولك الاقتصار على الحمد وحدها كسائر النوافل.

واعلم أنّه قد اتّفق علماؤنا على

قوله: وقيل بالجواز فيهما مطلقاً.

أي: في الفرائض والنوافل مطلقاً مع الحفظ وعدمه، لاطلاق الأمر. ولرواية الحسن الصيقل عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: قلت له: ماتقول في الرجل يصلّي وهو ينظر في المصحف، يقرأ فيه يضع السراج قريباً منه؟ قال: لابأس[١].

ولكن الحسن بن زياد الصيقل مهمل، لا مدح فيه ولا قدح.

قوله: انّه قد اتّفق علماؤنا الى آخره.

هذا يدلّ على أنّه مجمع عليه بينهم، وعموم استحبابه في كلّ ثانية من النوافل يشمل ركعتي الشفع، على القول بالفصل بينها وبين مفردة الوتر، كما تدلّ عليه الروايات الصحيحة، لأنّه يصدق عليها الركعتان، فيدخل تحت عموم

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٢٩٤، ح ٤٠.

أنّ القنوت كما يستحب في الفرائض يستحب في كلّ ثانية[١] من النوافل

قوله عليه السَّلام «أُقنت في كلّ ركعتين فريضة ونافلة قبل الركوع».

نعم في صورة الوصل بينهما وبين مفردة الوتر، والاكتفاء بنيّة واحدة وتكبير وتشهّد وتسليم، كما هو ظاهر بعض الروايات وسيأتي، لايبعد القول بسقوط القنوت بعد الركعتين، والاكتفاء بالقنوت في الركعة الثالثة قبل الركوع، فيكون مخصّصاً بالدليل في هذه الصورة، فتأمّل.

قوله: انّ القنوت كما يستحب في الفرائض.

في صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السَّلام قال: القنوت في كلّ صلاة في الركعة الثانية قبل الركوع[٢].

وفي صحيحة الحارث بن المغيرة، قال: قال أبو عبدالله عليه السَّلام: أُقنت في كلّ ركعتين فريضة أو نافلة قبل الركوع[٣].

وفي رواية عبدالرحمان بن الحجّاج عنه عليه السَّلام قال: سألته عن القنوت، فقال: في كلّ صلاة فريضة ونافلة[٤].

وفي ضعيفة ابن مسلم: القنوت في كلّ صلاة في الفريضة والتطوّع[٥].

وعموم هذه الأخبار يعمّ ركعتي الشفع أيضاً.

وفي ضعيفة أبي بصير قال: سألت أباعبدالله عليه السَّلام عن أدنى القنوت،

---

(١) أطلق الأصحاب ـ قدّس الله أرواحهم ـ وقد كان ينبغي استثناء ثانية الشفع إذ لا قنوت فيها. والقنوت إنّما هو في الثالثة، وقد أوضحت ذلك عند ذكر الوتر في الحاشية (منه).

(٢) تهذيب الاحكام ٢: ٨٩، ح٩٨.

(٣) فروع الكافي ٣: ٣٣٩، ح٤.

(٤) فروع الكافي ٣: ٣٣٩، ح٥.

(٥) فروع الكافي ٣: ٣٤٠، ح١٥.

أيضاً، روى ذلك ثقة الإسلام في الكافي بسندٍ صحيحٍ عن الصادق عليه السَّلام[١].
ويجزيك منه أن تقول:

فقال: خمس تسبيحات[٢].

وفي حسنة سعد بن أبي خلف بابراهيم بن هاشم على المشهور وصحيحة على ما تقرّر عندنا عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: يجزئك في القنوت اللهمّ اغفرلنا الدعاء[٣].

وظاهر موثّقة سماعة بن مهران: والوتر ثلاث ركعات ركعتين يسلّم فيهما، ثمّ يقوم فيصلّي واحدة يقنت فيها[٤]. فهذا الوتر يعطي أنّ ركعتي الشفع لاقنوت فيهما، وانّما القنوت في الركعة الاخيرة من الوتر، لكنّه ليس بصريح فيه، لأنّ ذكر القنوت في الأخيرة دون الأُوليين، لعلّه كان لدفع توهّم أنّ الركعة الواحدة لاقنوت فيها، بناء على مارواه محمَّد بن مسلم في الموثّق عن الباقر عليه السَّلام قال: القنوت في كلّ ركعتين في التطوّع أو الفريضة[٥].

وما رواه زرارة في الصحيح عنه عليه السَّلام قال: القنوت في كلّ صلاة في الركعة الثانية قبل الركوع[٦].

لا ليشعر به أنّ ركعتي الشفع لا قنوت فيهما، كيف وصحيحة زرارة وموثّقة محمَّد بعمومهما تدلّان على أنّ القنوت ثابت للركعة الثانية من كلّ صلاة، حتّى

---

(١) فروع الكافي ٣: ٣٣٩.
(٢) فروع الكافي ٣: ٣٤٠، ح١١.
(٣) فروع الكافي ٣: ٣٤٠، ح١٢.
(٤) لم أعثر على خصوص الرواية وراجع تهذيب الأحكام ٢: ١٢٧.
(٥) تهذيب الاحكام ٢: ٩٠، ح١٠٤.
(٦) تهذيب الاحكام ٢: ٨٩، ح٩٨.

اَللّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنا ، وَعَافِنَا واعْفُ عَنَّا فِي الدُّنْيا وَالآخِرَة، إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

كما رواه في الكافي أيضاً عنه عليه السَّلام بسندٍ حسن[١] . وروي الاجتزاء بثلاث تسبيحات. ويستحب الجهر به ولو في نوافل النهار.

وينبغي تطويله ولا سيّما في صلاة الليل، فإنّ وقتك فيها وسيع، وقد روى رئيس المحدّثين في الفقيه عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: أطولكم قنوتاً في دار الدنيا، أطولكم راحة يوم القيامة[٢].

صلاة الاحتياط والشفع.

ويؤكّده موثّقة زرارة عن الباقر عليه السَّلام قال: القنوت في كلّ الصلوات[٣].

فالوجه في تخصيص الركعة الواحدة من الوتر بالقنوت ماقلناه من دفع توهّم أنّ القنوت في الركعة الثانية، كما دلّ عليه كثير من الأخبار، لا لانحصار قنوت الركعات الثلاث فيها، فلا يصحّ تخصيص الأخبار الكثيرة الدالّة على استحباب القنوت في كلّ ركعة ثانية به.

ولكن صحيحة عبدالله بن سنان عن الصادق عليه السَّلام: القنوت في المغرب في الركعة الثانية، وفي العشاء والغداة مثل ذلك ، وفي الوتر في الركعة الثالثة[٤]. صريحة في انحصار قنوت الركعات الثلاث فيها، فهي مؤكّدة لرواية سماعة الدالّة بظاهرها على عدم القنوت في صلاة الشفع.

---

(١) فروع الكافي ٣: ٣٤٠.

(٢) من لايحضره الفقيه ١: ٤٨٧.

(٣) من لايحضره الفقيه ١: ٣١٦، ح٩٣٥.

(٤) تهذيب الاحكام ٢: ٨٩، ح١٠٠.

وقد أورد السيّد الجليل رضي الدين علي بن طاووس ـقدّس الله روحه ـ في كتاب مهج الدعوات نبذةً من القنوتات الطويلة التي كان يقنت بها ائمتنا سلام الله عليهم، ويدعون فيها على أعداء الدين. ولا بأس بأن تقنت في النوافل بما تقرؤه من كتاب ونحوه، وإنّما يمنع من ذلك في الفرائض.

ومن الأدعية المختصرة التي يليق أن تقنت بها في النوافل والفرائض ماروي عن الصادق عليه السَّلام:

إلٰهي كَيْفَ أدْعُوكَ وَقَدْ عَصَيْتُكَ ، وكَيْف لاَ أَدْعُوكَ وَقَدْ عَرفْتُ حُبَّكَ في قَلْبِي ، وان كُنْتُ عاصِياً مدَدْتُ إلَيْكَ يَداً بِالذُّنُوب مَمْلُوءةً،

اللهمّ الاّ أن يمنع دعوى الحصر. أو يقال: انّ المراد نفي القنوت الطويل، فلا ينافي ثبوت القنوت القصير في صلاة الشفع، وهذا كلّه تكلّف.

والأقرب الى قانون العمل بالأخبار أن يقدّم مايقتضيه صحيحة ابن سنان وموثّقة سماعة بن مهران، لأنّهما خاصّتان، وصحيحة زرارة وما شاكلها عامّة، والخاصّ مقدّم على العامّ، وهو مخصّص به، فتأمّل.

قوله عليه السَّلام: مددت اليك يداً بالذنوب مملوّة.

«بالذنوب» متعلّقة بمملوّة، وهي صفة أو حال لليد. والظاهر أن عيناً منصوب بفعل مقدّر، أي: وجّهت اليك عيناً ونحوه، كقولهم: «علّفتها تبناً وماءاً بارداً» أرادوا سقيتها. وقوله «متقلّداً سيفاً ورمحاً» أي: متعلّقاً رمحاً. وكون العين ممدودة بالرجاء عبارة عن مدّ النظر اليه تعالى رجاء أن يغفر تلك الذنوب الماليّة، كما يفعله الراجي بالنظر الى المرجوّ منه.

والباء في قوله «بذنبي» آليّة، شبّه الذنب بالحبل والقدّ الذي يشدّ به الأسير. وكذا الباء في «بجرمي» للآلة. وفيه اشارة الى قوله تعالى «كلّ نفس

وَعيْناً بالرَّجاء مَمدُودَةً، مَولايَ أَنْتَ عَظِيمُ العُظمَاء، وأَنا أَسِيرُ الأُسرَاء، أَنا الأَسِيرُ بِذَنْبِي المُرتَهَنُ بِجُرْمِي. إلهي لَئِنْ طالَبْتَنِي بِذَنبِي لأُطَالِبَنَّكَ بكَرمِكَ، وَلَئِنْ طالَبْتَنِي بِجريرَتِي لأُطَالِبَنَّكَ بعَفْوكَ، وَلَئِنْ أَمرْتَ بي إِلَى النَّار لأُخبرَنَّ أَهلَهَا أَنِّي كُنْتُ أَقُولُ لاَ إِلهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ.

بما كسبت رهينة»[1] وفي ترك التأكيد في جانب مطالبة الله تعالى بالذنب والجرم، وفرضها مع التأكيد الشديد في جانب مطالبة العبد بالكرم والعفو من الدقائق واللطائف ما لايخفى. وما أحسن ماقيل في هذا المعنى بالفارسيّة.

گر تو ما را بجرم ما گیری　　　　كرم و عفو را چه خواهی کرد

قوله عليه السَّلام: ولئن أمرت بي الى النار لأُخبرنّ أهلها الى آخره.

لعلّ فائدة هذا الاخبار أنّهم اذا أخبروا بأنّه كان موحّداً مؤمناً مقرّاً بالتوحيد والرسالة، ومعه يكون معذّباً معهم في النار، صاروا مسرورين بعذابه، بل شامتين بأنّ ايمانه بالله ورسوله لم يدفع عنه العذاب، فكان هو والكفر سواء، بل الكفر أعظم منه وأكثر جدوى، حيث أنّ المؤمن مع مشقّته وكدّه وجدّه وجهده في دار التكليف بالتكاليف الشاقّة ليس له بها عليهم فضل، حيث اشتركوا جميعاً في العذاب، والله أجلّ وأكرم من أن يرضى بسرور أعدائه وحزن أوليائه، وخاصّة في الجحيم والنعيم، لوجوب خلوص الثواب والعقاب من الشوائب، فوجب على الله أن يعفو عنه ويتجاوزَ عن جرمه وجريرته، ولا يأمر به الى النار.

يدلّ على تلك الجملة قول علي بن الحسين عليهما السَّلام في دعاء أبي حمزة

---

(١) سورة المدثر: ٣٨.

....

الثمالي: ولئن أدخلتني النار لأخبرنّ أهل النار بحبّي اياك . وساق الكلام عليه السّلام الى أن قال: الهي ان أدخلتني النار ففي ذلك سرور عدوّك ، وان أدخلتني الجنّة ففي ذلك سرور نبيّك ، وأنا والله أعلم أن سرور نبيّك أحبّ اليك من سرور عدوّك .

وفيها ايماء الى أنّ المؤمن المستقرّ الايمان لايؤمر به الى النار الكبرى، كما هو الظاهر من قول الصادق عليه السّلام: والله لايموت عبد يحبّ الله ورسوله والائمّة فتمسّه النار[1].

وعليه فلابدّ: إمّا من حمل المحبّة الصادقة الكافّة عن ارتكاب مايوجب النار، أو من تخصيص الآيات والروايات الدالّة على عذاب صاحب الكبيرة بالعذاب البرزخي.

هذا وأمّا الاحتمالات الأُخر، كأن يكون المراد بأهلها الملائكة الموكّلين بها، يعني: انّهم إذا سألوه عن سبب عذابه، فيقول في جوابهم: انّه كان مؤمناً ولكنّه خالف الله في أوامره ونواهيه، فصارمعذّباً، فيشفعون له تعظيماً لايمانه. أو يكون الغرض من الاخبار دفع توهّم أنه كان شريكاً مع المعذّبين وأهل النار في سبب العذاب وهو الكفر، فانّهم إذا سألوه عن سببه، فانّه لا محالة يقول في جوابهم: انّه كان مؤمناً، وإذا أجابهم بذلك فالله تعالى يتجاوز عن سيّئاته تفضّلاً، ولا يرضى بأن يكون في النار.

فخلاف بل بعيدة جدّاً، وإن قال بها بعض الأفاضل.

أمّا أوّلاً، فلما ظهر ممّا قرّرناه ونقلناه أنّ المراد بأهل النار الأُمّة المعذّبون

---

(١) بحار الأنوار ٦٨: ١١٥، ح٣٥، عن رجال النجاشي.

اَللّهُمَّ إنَّ الطَّاعَةَ تَسرُّكَ ، والـمَعْصِيَةَ لاَ تَضُرُّكَ ، فَهَبْ لِـي مَا يَسرُّكَ [١]،

بها، أو ابليس وشياطينه الآمرون بما يوجبها، لا الملائكة الموكّلون بها، فانّهم أولياء الله لا أعداؤه.

وأمّا ثانياً، فلأنّ المتبادر من كلامي الامامين الهمامين عليهما السّلام أنّ هذا الاخبار ابتدائي يجعل وسيلة للنجاة من النار وعذابها من دون سابقة سؤال.

وأمّا ثالثاً، فلأنّه لايظهر ممّا أفاده مايكون سبباً لوجوب تجاوزه تعالى عن سيّئاته بمجرّد هذا الاخبار، وهو الظاهر من كلامه عليه السّلام، بخلاف ماقرّرناه ونقلناه من سرور أعداء الله في النار والجحيم وحزن أوليائه في الجنّة والنعيم، الموجب لعدم خلوص العقاب والثواب، فتقتضي الحكمة البالغة أن لايؤمر به الى النار، ولذا أتيا بكلمة «ان» دون إذا، مؤكّدين بلام الموطأة للقسم، وأدخلا اللام في الجزاء المستعملة في جواب لو، ايماءً الى أنّ هذا أمر فرضيّ لا أمر واقعيّ، فيتحقّق وقوعه من الحكيم تعالى، وفيه من الاشعار بحسن الظنّ بالله ما لايخفى.

قوله: اللهمّ انّ الطاعة تسرّك .

ترضيك لأنّ السرور والفرح ممّا لايجوز عليه تعالى، لأنّه كيفيّة نفسانيّة تتبعها حركة الروح الى خارج البدن قليلاً قليلاً، طلباً للوصول الى المطلوب.

ثمّ الوجه في أنّ المعصية لا تضرّه وان كانت كثيرة أو كفراً، لأنّه تعالى غنيّ عن العالمين، لاحاجة له الى طاعتهم حتّى تضرّه معصيتهم.

گر جملهٔ كائنات كافر گردد   بر دامن كبرياش ننشيند گرد

---

(١) مايسرك له تفسيران: الأول أن المراد هب لي الإتيان بما يسرك ، والثاني أن المراد هب لي التقصير في مالا يسرك (منه).

واغْفِرْ لِي مَا لاَ يَضُرُّكَ يَا أَرحَمَ الرَّاحِمينَ.

ومن الأدعيـة المتوسّطة التي يـليق أن يُـدعى بها في القـنوت أيضاً، وهو من أدعية الوسائل إلى المسائل المرويّة عن الرِّضا عليه السَّلام[١].

اَللّـهُـمَّ إنَّ الرَّجاء لسَعَـةِ رَحْـمَـتِكَ أَنطقَنِي بِـاسْـتِـقَالَتِكَ ، والأمَل

قوله عليه السَّلام: اللهمّ انّ الرجاء لسعة رحمتك.

هـذا أي: حسن الظنّ بـالله والاقـرار بالـذنـوب تقديم لـلوسيلـة على طلب الحاجة والمسألة، فانّهما من أسباب الاجابة.

أمّا الأوّل، فلأنّهم عدّوا من الآداب حسن الظنّ بالله في اجابته، كما أشار اليه بقولـه «وادعوه خوفاً وطمعاً»[٢] وبقوله: «أنا عند ظنّ عبدي، فلا يظنّ بي الّا خيراً» وروي أنّه سبحانـه قال لموسى إذ أرسله الى فرعـون ليتوعّده: وأخبره أنّي الى العفو والمغفرة أسرع منّي الى الغضب والعقوبة.

وأمّا الثاني، فلأنّ في الاعتراف بـالذنب قبل السؤال انقطـاع الى الله تعالى ووضع لـلنـفس، ومن تواضـع لله رفعـه، وهوعند المنـكسرة قـلوبهم، وربّما كان سبباً للبكـاء، وهو من الآداب. وبقول الصادق علـيه السَّلام: انّما هي المدحة، ثمّ الـثناء، ثمّ الاقرار بـالذنب، ثمّ المسألة، انه والله مـاخرج عبد من ذنب الّا بالاقرار[٣].

ففي الاقرار بالذنب فـوائد، منها: الانقطاع الى الله، وانـكسار القلب، وربّما تحصل عنده الرقّة، وهي دلـيل الاخلاص، وعنده تكون الاجابة، بل ربّما كان

---

(١) في نسختين: عن الجواد عليه السَّلام.

(٢) سورة الاعراف: ٥٦.

(٣) اصول الكافي ٢: ٤٨٤، ح٣.

لأناتِكَ وَرفْقِكَ شَجَّعَنِي عَلَى طَلَبِ أمانِكَ وعفوكَ ، وَلي يا رَبِّ ذُنُوبٌ قدْ وَاجَهتْها أوْجُهُ الإنْتِقام، وَخَطايا قَدْ لاَحَظتْها أعيُنُ الاصْطِلام، واسْتَوجَبْتُ بها على عَدْلكَ أَليمَ الْعذَاب، واسْتَحقَقْتُ باجْتِرَاحِهَا مُبيرَ الْعِقَاب، وخفْتُ تَعويقَها لإجابَتِي، وَرَدَّها إيّايَ عنْ قَضاء حاجَتي، بإبطالها لِطَلبَتِي، وَقطْعِها لأَسْبَاب رَغْبَتِي، مِنْ أَجْل مَا أَنقَضَ ظَهْري مِنْ ثِقْلِها، وَبهظَني مِنَ الإسْتِقْلال بحَمْلِها، ثُمَّ تَراجَعْتُ رَبّي إلَى حِلْمِكَ عَنِ الْخاطِئينَ، وَعفوِكَ عَنْ المُذْنبينَ، وَرحْمَتِكَ لِلْعاصينَ، فأَقبَلْتُ بِثِقَتِي مُتوكّلاً عَلَيْكَ ، طارحاً نَفْسِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، شاكِياً بَثّي إليْكَ ، سائلاً ما لاَ أَستوجبُهُ منْ تَفْريج الْهَمِّ، وَما لاَ أَستَحِقُّهُ مِنْ تَنْفِيسِ الْغمِّ، مُسْتَقِيلاً[1] إيّاكَ وَاثِقاً مَولاَيَ بكَ .

اَللّهُمَّ فَامْنُنْ عَلَيَّ بالفَرَج، وتَطَوَّلْ عَلَيَّ بِسُهولَةِ الْمخْرَج، وَادْلُلْني

سبب الدمع والبكاء، وهو سيّد الآداب، ولذا عدّ هذا الدعاء من أدعية الوسائل الى المسائل.

ثمّ انّ وصفه تعالى باستجماعه جميع الصفات الكماليّة، وبأنّ رحمته واسعة، وهو ذو اناة لايعجل على عقوبة العاصين، بل يرفق ويداري مع المذنبين مدحة له وثناء كما لايخفى، فاشتمل هذا الدعاء تمام ماسبق في قول الصادق عليه السَّلام فتأمّل.

قوله عليه السَّلام: أليم العذاب.

من اضافة الصفة الى الموصوف، وكذا مبير العقاب.

---

(١) مستقبلاً: خ.

بِرأْفَتِكَ على سَمْتِ الْمَنهَجِ، وأَزْلِقْنِي بِرَحْمَتِكَ [١] عن الطَّريق الأَعْوَج، وخلِّصْني منْ سِجْنِ الكَرْب بإقالَتِكَ ، وأَطلِقْ أَسْري بِرَحْمَتِكَ ، وَطُلْ

قوله عليه السَّلام: وخلّصني من سجن الكرب.

السجن: الحبس، سجنته أي حبسته، ومنه ماورد في الحديث: الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر[٢]. لأنّ المؤمن يسجن نفسه عن الملاذّ ويأخذها بالشدائد، والكافر بعكسه. أو لأنّه ممنوع من الشهوات المحرّمة والمكروهة مكلّف بالطاعات، فاذا مات انقلب الى النعيم الدائم، والكافر بعكسه.

والكرب: الحزن يأخذ بالنفس كالكربة بالضمّ.

والاقالة: التجاوز عن الذنب، وأصلها من أقال عثرته إذا رفعه من سقوطه، ومنه اقالة البيع، لأنّها رفع عقد، واضافة السجن الى الكرب اضافة اللجين الى الماء، لأنّه يسجن النفس ويحبسها، واقالة العثرة استعارة للتجاوز عن الذنوب.

والعثرة: السيّئة والخطيئة، من عثر يعثر من باب قتل عثاراً بالكسر إذا كبا وسقط، لأنّها سقوط في الاثم.

وقيل: هي المرّة من العثار في المشي وهي الزلّة، ومنه العاثور المكان الوعث الخشن، لأنّه يعثر فيه. وفي الحديث: أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم[٣]. وفي آخر: ذوي المروّات.

والحشر: الجمع، ويوم الحشر يوم يحشر الله الموتى الى المحشر، وهو يوم القيامة.

---

(١) بقدرتك : خ.

(٢) اصول الكافي ٢: ٢٥٠، ح٧.

(٣) كنزالعمال ٥: ٣٠٩.

عَليَّ بِرِضْوانِكَ ، وَجُدْ عَلَيَّ بإِحْسانِكَ ، وأَقِلْنِي عَثْرَتي، وَفرِّجْ كُربَتي، وارْحَمْ عَبْرَتي، وَلاَ تَحْجُبْ دَعْوَتي، واشْدُدْ بالإقالَة أَزْري، وقَوِّ بها ظَهْري، وأَصلِحْ بها أَمْري، وأَطِلْ بها عُمُري، وَارْحَمْني يَوْمَ حَشْري ووَقْتَ نَشْري، إنَّكَ جَوادٌ كَريمٌ رَؤوفٌ رَحيمٌ.

وتدعو بين كلّ ركعتين من الركعات الثمان بهذا الدعاء:

اَللّهُمَّ إِنّي أَسأَلكَ وَلَمْ يُسأَلْ مِثْلُكَ ، أَنْتَ مَوضعُ مسأَلةِ السّائلينَ، وَمُنْتَهى رغْبَةِ الرّاغِبينَ، أَدْعُوكَ وَلَمْ يُدْعَ مِثلُكَ ، وأَرغَبُ إِلَيْكَ وَلَمْ يُرغَبْ إلى مِثْلِكَ ، أَنْتَ مُجيْبُ دَعوَةِ المُضطَرّينَ، وأَرْحَمُ الرّاحِمينَ.

ونشر الميّت ينشر نشوراً إذا عاش بعد الموت، وأنشره الله أي أحياه، والنشر ضدّ الطرد، وهو التفريق، والمراد به هنا الأوّل.

وانّما ختم الدعاء بصفات تدلّ على جوده وكرمه ورأفته ورحمته بالخلق، ليدلّ على حسن الظنّ بالله، ويكون أقرب الى الاجابة، وقدّم الأبلغ منهما وهو الرؤوف؛ لأنّ الرأفة شدّة الرحمة محافظة على الفواصل.

قوله: أسألك ولم يُسأل مثلك.

إذ لا مثل لك ، فيكون سالبة بانتفاء الموضوع، والمراد بكونه تعالى منتهى رغبة الراغبين أنّ لكلّ أحد في رغبته مرغوباً حتّى ينتهي اليه تعالى، فليس فوقه مرغوباً.

أو المراد أنّ كلّ من له مطلب وعجز عن تحصيله بسعيه يتوسّل اليه به تعالى.

أو المراد أنّه غاية آمال الخلق يدعونه عند الشدائد بأسمائه العظام.

أَسألكَ بأَفْضَلِ الْمسائلِ وأَنجَحِها وأَعظَمِها، يَا أَللهُ يَا رَحْمانُ يا رَحيمُ، وَبأَسمائكَ الْحُسْنى وأَمثالِكَ الْعُليا، وَنعْمَتِكَ[1] الَّتي لاَ تُحْصَى، وَباكْرمِ أَسمائكَ[2] وَأَحبِّها إِلَيْكَ، وأَقرَبِها مِنكَ وَسيلة، وأَشرفِها عندَكَ منزلةً، وأَجزَلِها لَدَيْكَ ثَواباً، وأَسرَعِها في الأُمورِ إِجَابَةً، وَباسْمِكَ الْمَكْنُونِ الأَكبَرِ، الأَعزِّ الأَجلِّ الأَعظَمِ الأَكرَمِ، الَّذِي تُحِبُّهُ وَتَهْواهُ، وتَرضى بِهِ عَمَّنْ دَعاكَ، فَاستَجَبْتَ[3] لَهُ دُعاءَهُ، وَحقٌّ عَلَيْكَ أَن لاَ تُحرِمَ سائلَكَ وَلاَ تَرُدَّهُ[4]، وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ في التَّوراة وَالإِنْجِيلِ، والزَّبُورِ وَالفُرْقَانِ العَظِيمِ، وَبِكُلِّ اسْمٍ دَعاكَ بِهِ حَملَةُ عَرشِكَ

قوله: أسألك بأفضل المسائل.

كمسألة الصلاة على محمّد وآل محمّد، فانّها أفضلها وأعظمها عندالله وأنجحها حيث لا تردّ البتّة.

قوله: ونعمك التي لا تحصى.

لا تحصر، بل لا تعدّ أنواعها فضلاً عن أفرادها، فانّها غير متناهية، وفيه تلميح لقوله تعالى «إن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها»[5].

قوله: والفرقان العظيم.

ظاهره يفيد أن يكون المراد بالفرقان القرآن، لكنّ المرويّ عن بعض

(١) ونعمك: خ ل.

(٢) عليك: خ ل.

(٣) واستحببت: خ ل.

(٤) أن لا تردّ سائلك: خ ل.

(٥) سورة النحل: ١٨.

وَمَلائـكَتُكَ ، وأَنبيـاؤُكَ وَرُسُلـكَ وأَهْلُ طَاعَتِكَ مِـنْ خَلقِكَ ، أَنْ تُصلِّيَ عَلى مُحَمَّـدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَن تُـعجِّلَ فَـرَجَ وَلِيِّكَ وَابْنِ وَلـيِّكَ ، وَتُعـجِّلَ خِزْيَ أَعدائهِ. وأن تفعل بي كذا وكذا.

ثمّ تسبّح تسبيح الزهراء عليها السّلام وتدعو بعده بما شئت، ثمّ تسجد سجدتي الشكر، ويحسن أن تدعو في إحداهما بهذا الدعاء المنسوب إلى سيّد العابدين عليه السّلام:

إلهي وَعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ وَعظَمَتِكَ ، لَوْ أَنِّي مُنْذُ بَدَعْتَ فِطرَتِي مِنْ أَوّل الدَّهر، عَبَدتُكَ دَوَامَ خُلود رُبوبيَّتِكَ ، بِكُلِّ شَعرَةٍ فِي كُلِّ طَرفة عَيْنٍ سَرْمَدَ الأَبَدِ، بِحَمْدِ الْخَلائقِ وَشُكْرِهِمْ أجمَعِينَ، لَكُنْتُ مُقصِّراً في بُلوغ أَداء شُكْر خَفِيِّ[1] نـعْمَةٍ مِنْ نِعَـمِكَ عليَّ، وَلو أَنِّي كَرِبْتُ

الصادقين عليهم السّلام في الفرق بينهما أنّ القرآن جملة الكتاب، والفرقان المحكم الواجب العمل به، وظاهر اللفظ يدلّ عليه.

قوله: وأن تعجّل فرج وليّك.

أي: كشف غمّه بظهوره وغلبته على أعداء الدين، وتسلّطه على عامّة الظالمين، وبسط يده في أخذ حقّه وحقوق المؤمنين من أيدي الظلمة والغاصبين، ومنه يعلم وجه غمّه عليه السّلام، فرّج الله تعالى غمّه، فانّ ذلك دعاء يشمل البشر.

قوله: شكر خفيّ نعمة من نعمك.

وذلك لأنّ الشكر وآلاته والتوفيق عليه ورفع الموانع عنه الى غير ذلك ،

---

(١) حق: خ ل.

....

كلّها نعم من نعمائه تعالى، فكلّ منها بحياله يوجب شكراً آخر وهلمّ جرّا، فيعجز العبد عن أداء شكر أقلّ نعمة من نعمائه تعالى.

از دست و زبان كه بر آيد كز عهدهٔ شكرش بدر آيد

روي أنّ أيّوب عليه السّلام لمّا ابتلي بما ابتلي، وشمتت به الأعداء، قال: يارب لو جلست مجلس الحكم منك لأدليت بحجّتي، فبعث الله اليه غمامة، فقال: ياأيّوب أدل بحجّتك، فقد أقعدتك مقعد الحكم، وها أنا ذا قريب ولم أزل، فقال: ياربّ انّك لتعلم أنّه لم يعرض أمران قطّ كلاهما لك الاّ أخذت بأشدّهما على نفسي، ألم أحمدك؟ ألم أشكرك؟ ألم أُسبّحك؟

قال: فنودي من الغمامة بعشرة آلاف لسان: يا أيّوب من صيّرك تعبد الله والناس عنه غافلون، وتحمده وتسبّحه وتكبّره والناس عنه غافلون، أتمنّ على الله بما لله فيه المنّية عليك. قال: فأخذ التراب فوضعه في فيه، ثمّ قال: ياربّ أنت فعلت ذلك بي.

وقصّة كليم الله ومكالمته مع الله في باب الشكر مشهورة، وفي الزبر مسطورة.

روي عن سيّدنا الصادق عليه السّلام أنّه قال: أوحى الله الى موسى يا موسى أُشكرني حقّ شكري، فقال: ياربّ وكيف أشكرك حقّ شكرك وليس من شكر أشكرك به الاّ وأنت أنعمت عليّ، قال: ياموسى الآن شكرتني حين علمت أنّ ذلك منّي[1].

وأوحى الله الى داود عليه السّلام ياداود أُشكرني، قال: وكيف أشكرك

---

(١) اصول الكافي ٢:٩٨، ح٢٧.

....

يـارب؟ والشكر من نعمك تستحقّ عليه شكراً، قال: ياداود رضيت بهذا الاعتراف منك شكراً.

والحاصل أنّ العبد وإن بالغ في التنزيه والتمجيد، وينبغي أن يعترف بالقصور عن حقّه في ذلك.

بنده همان به كه زتقصير خويش عـذر بـدرگـاه خـدا آورد
ورنه سزاوار خداونديش كس نتواند كه بجا آورد

قوله أيضاً: شكر خفيّ نعمة من نعمك.

كشربة من ماء، فانّها لو منعت منك ابتداءً، أو حبست عنك بعد شربك ايّاها لهلكت.

نقل أنّ بعض الواعظين دخل يوماً على هارون الرشيد، فقال له: عظني، فقال: يا أميرالمؤمنين أتراك لو منعت شربة من ماء عند عطشك بم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي، قال: أتراها لو حبست عنك عند خروجها بم كنت تشتريها؟ قال: بالنصف الباقي.

قال: فلا يغرّنّك ملكك فانّه قيمة شربة ماء، فاذا كانت مملكة الرشيد قيمة شربة ماء وأنت في يومك وليلتك، بل في كلّ ساعة من ساعاتك وآن من آناتك يصل اليك من نعم الله أضعاف ذلك، كالعافية والصحّة والأمنيّة وغيرها من نعم الله الغير المحصورة، كما قال «وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها»[1] فكيف يمكنك الخروج عن عهدة شكره، وإن شكرته أبد

---

(١) سورة النحل: ١٨.

مَعَادِن حَدِيدِ الدُّنْيَا بأَنيَابِي، وَحَرثتُ أَرضيهَا[١] بأَشفَارِ عَيْنِي، وَبَكَيْتُ مِنْ خَشيَتِكَ مثلَ بُحُور السَّماوات[٢] وَالأَرْضينَ دَماً وَصدِيداً، لكانَ ذَلِكَ

الآبدين بجميع جوارحك وآلاتك وأدواتك ومشاعرك الظاهرة والباطنة، مع أنّها من نعم الله عليك، فيلزمك شكراً آخر وهكذا، فتعجز عن شكر آحاد ماتتصرّف فيه من مأكل ومشرب وملبس.

فان قلت: قد ورد في بعض الأخبار عنهم عليهم السَّلام انّ من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه، فقد أدّى شكرها[٣]. وفي رواية صفوان الجمّال عن سيّدنا أبي عبدالله عليه السَّلام قال: قال لي: ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت، فقال: الحمد لله، الّا أدّى شكرها[٤]. وهذا يناقض مضمون هذا الدعاء، فما وجه التوفيق بينهما؟

قلت: هذا ناظر الى أقلّ ما يجب من الشكر، ولا يلزم منه أن يكون هذا حقّه، والكلام انّما يساق فيه، فلا منافاة بينهما، نظير ماقالوا: إنّ الله لايعبد حقّ عبادته، ومن أدّى فرائضه فقد أدّى مايجب عليه، فتأمّل.

قوله: معادن حديد الدنيا.

يعني لو كان ذلك بأمرك، أو فرض أنّه عبادة، أو تأدية لواجب حقّك، فتأمّل.

قوله: مثل بحور السماوات والأرضين.

فيه دلالة على أنّ في السماء بحوراً، كما أنّ في الأرض بحوراً. وفيه مراغمة

---

(١) أرضها: خ ل.

(٢) المراد ببحور السماوات: الماء الذي يحمله الغيم للأمطار (منه).

(٣) اصول الكافي ٢:٩٦، ح١٥.

(٤) اصول الكافي ٢: ٩٦، ح١٤.

قَلِيلاً مِنْ كثيرِ ما يجبُ مِنْ حَقِّكَ عَلَيَّ، وَلوْ أَنَّكَ إلهي عذَّبتَنِي بعدَ ذَلكَ بعذَابِ الخَلائقِ أَجمَعينَ، وعَظَّمْتَ لِلنَّار خَلْقِي وَجسْمِي، وَملأتَ[١] طَبقَاتِ جَهنَّمَ مِنِّي حتّى لاَ يَكُونَ فِي النَّار مُعذَّبٌ غَيْري، وَلاَ يكُونُ لِجَهنَّمَ حَطبٌ سِوَايَ، لَكانَ ذلِكَ بِعَدْلِكَ عَلَيَّ قَلِيلاً في كَثِيرِ ما أَستَوجبهُ مِنْ عُقُوبَتِكَ.

فإذا فرغت من الركعة الثامنة، فادعُ بهذا الدعاء:

يا الله يا الله (عشراً) صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَارْحَمْنِي وَثَبِّتْنِي عَلَى دِينكَ وَدينِ نَبِيِّكَ، وَلاَ تُزغْ قَلْبِي بَعْدَ إذْ هَديْتَنِي، وَهَبْ لِي منْ لَدُنْكَ رَحمةً إنّك أَنتَ الوَهّابُ.

وتقول أيضاً:

اَللّهُمَّ أَنْتَ الحَيُّ القَيُّومُ، العَلِيُّ العَظِيمُ، الخالِقُ الرَّازقُ، المُحْيِي

لأنوف الفلاسفة ومن يحذو حذوهم. مثله رواية حفص بن البختري عن أبي عبدالله عليه السّلام أنّه قال: انّ الله تبارك وتعالى اذا أراد أن ينفع بالمطر أمر السحاب فأخذ الماء من تحت العرش، واذا لم يرد النبات أمر السحاب فأخذ الماء من البحر. قيل: انّ ماء البحر مالح، قال: انّ السحاب يعذّبه[٢].

قوله: لكان ذلك بعدلك عليّ قليلاً.

وذلك لأنّ خلاف العظيم عظيم بمقدار عظمته، فاذا كانت غير متناهية كان الخلاف وما يوجبه من العقوبة غير متناه.

---

(١) جهنم وأطباقها منّي: خ ل.

(٢) من لايحضره الفقيه ١: ٥٢٤ ـ ٥٢٥.

الْمُمِيتُ، الْبَدِيء الْبَدِيعُ، لَكَ الكَرَمُ وَلَكَ الجُودُ، وَلَكَ الْمَنُّ وَلَكَ الأَمرُ وَحدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ. يَا خَالِقُ يا رَازِقُ، يا مُحْيِي يا مُمِيتُ، يَا بَدِيعُ يا رَفِيعُ، أَسأَلُكَ أَن تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وأَنْ تَرحَمَ ذُلِّي بينَ يَدَيْكَ، وَتَضَرُّعِي إِلَيْكَ، وَوَحشَتِي مِنَ النَّاسِ وأُنسِي بِكَ.

ثمّ تقول ما كان أمير المؤمنين عليه السَّلام يدعو به بعد الثامنة:

اَللّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِحُرمَةِ مَنْ عَاذَ بِكَ وَلَجَأَ إِلَى عِزِّكَ، واستَظَلَّ بِفَيئِكَ وَاعْتَصَمَ بِحَبْلِكَ، وَلَمْ يَثِقْ إِلَّا بِكَ، يا جزيلَ الْعَطايَا، يا مُطْلِقَ الأُسَارَى، يا مَنْ سمَّى نَفْسَهُ مِنْ جُودِهِ وَهَّاباً،

قوله: وأنسي بك.

هذا انّما يصحّ ممّن يكون كذلك، والّا فهو كاذب، الّا أن يخصّ بحال الدعاء، فانّه في هذه الحال متوحّش من الناس وآنس بالله العلي العظيم، فتأمّل. روي عن العسكري عليه السَّلام: انّ من آنس بالله استوحش من الناس، وعلامة الأُنس الوحشة من الناس، اللهمّ اجعلنا من الآنسين بك، والمستوحشين من غيرك.

قوله عليه السَّلام: ياجزيل العطايا.

من اضافة الصفة المشبّهة الى فاعلها للتخفيف، تشبيهاً لها باسم الفاعل، كما في حسن الغلام، أي جزيل عطاؤه أي كثير.

قوله عليه السَّلام: يامن سمّى نفسه من جوده وهّاباً.

المراد بالنفس الذات، كما في قوله تعالى «تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في

أَدعُوكَ رَاغِباً وَراهباً، وخَوفاً وَطمَعاً، وَالْحاحاً، وَتضرُّعاً وَتَملُّقاً، وَقائماً وَقاعِداً، وَراكعاً وَساجِداً، وَراكباً وَماشِياً، وذاهِباً وجائياً، وفي كُلِّ حالاَتِي، أَسأَلكَ أَنْ تُصلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ. وأن تفعل بي كذا وكذا وتذكر حاجتك.

ثم تسجد سجدتي الشكر، وتدعو فيهما وبعدهما بما سبق.

نفسك»[1] وكلمة «من» تعليليّة، كما في قوله تعالى «ممّا خطيئاتهم أُغرقوا»[2].

والهبة: العطيّة الخالية عن الأعواض، فاذا كثرت سمّي صاحبها وهّاباً، وهو من أبنية المبالغة. ولمّا كان الجود الالهي لابخل فيه ولا منع من جهته؛ إذ لا أثر للنقصان في خزائن ملكه وعموم جوده، بل جوده غير متناهٍ وكرمه غير محدود، سمّى نفسه لذلك وهّاباً، أي: كثير الهبة والمفضال في العطيّة.

قوله عليه السَّلام: أدعوك راغباً الى آخره.

هذا أيضاً انّما يصحّ ممّن يدعوه تعالى على هذه الأحوال كلّها، والاّ فهو كاذب، الاّ أن يكون ذلك تمنّياً منه، كقوله: بی یاد تو بر نیاید از دل نفسي.

قوله عليه السَّلام: وفي كلّ حالاتي.

الظاهر أنّه متعلّق بـ«أدعوك» فيكون تعميماً بعد التخصيص، فقوله «أسألك» مستأنف، ويمكن تعلّقه به، فتأمّل.

---

(١) سورة المائدة: ١١٦.

(٢) سورة نوح: ٢٥.

توضيح:

«غارت نجوم سمائك» مرّ معنى غور النجوم في الدعاء عند الانتباه قبيل هذا.

«وهدأت» بالدال المهملة قبل الهمزة، أي: سكنت.

«وينتجع منهم فائدة» الانتجاع بالنون والتاء المثناة الفوقانيّة ثمّ الجيم وآخره عين مهملة طلب الإحسان، ولعلّه هنا بمعنى مطلق الطلب.

«ولا يشغلك» يشغل على وزن يعلم.

«وفوائدك لمن سألك غير محظورات» بالحاء المهملة والظاء المعجمة، أي: غير ممنوعات.

«ولا تُختزل حوائجهم دونك» تُختزل بالبناء للمجهول، والاختزال بالخاء المعجمة والتاء المثنّاة الفوقانيّة والزاي يراد به التعويق.

قوله: أو ينتجع منهم فائدة.

في القاموس: انتجع فلاناً أتاه طالباً معروفه[1]. فلابدّ فيه من القول بالتجريد، بان يراد به مجرّد الطلب؛ لأنّ المعروف مذكور بعده، وهو قوله «فائدة» وهي اسم من الفيد وهو العطاء، تقول: أفدته أي: أعطيته علماً أو مالاً.

قوله: ولا تختزل.

في القاموس: خزله عن حاجته عوّقه[2]. والمراد أنّ حوائجهم لا تعوّق ولا

---

(١) القاموس المحيط ٣: ٨٧.

(٢) القاموس المحيط ٣:٣٦٧.

«وأهوال المُطّلع» بتشديد الطاء المهملة والبناء للمفعول أمر الآخرة الذي يحصل الاطّلاع عليه بعد الموت.

«وأغصّني بريقي» بالغين المعجمة والصاد المهملة المشدّدة من الغصة بالضم، وهي الشَّجى في الحلق. والريق: ماء الفم. وأغصني بريقي كناية عن كمال الخوف والاضطراب، أي: صيَّرني بحيث لا أقدر على أن أبلع ريقي وقد وقف في حلقي.

«ويطلب روحه بالبيات وفي آناء الساعات» البيات بالباء الموحدة والياء المثناة التحتانية وقت البيتوتة.

«كم من موبقة» بالباء الموحّدة المكسورة والقاف، أي: خطيئة مهلكة للدّين هادمة له.

تحبس عندك، بل تقضيها لهم من غير ابطاء ولا تعويق، لقربهم عندك وكرامتهم لديك.

قوله: وأهوال المطّلع.

في نهاية ابن الأثير، المطّلع مكان الاطّلاع من موضع عال، يقال مطّلع هذا الجبل من مكان كذا، أي: مأتاه ومصعده، ومنه حديث عمر: لو أنّ لي ما في الأرض جميعاً لافتديت به من هول المطّلع. يريد به الموقف يوم القيامة، أو مايشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت، فشبّهه بالمطّلع الذي يشرف عليه من موضع عال[1].

قوله: خطيئة مهلكة للدين.

فالموصوف محذوف، ومنه: تأخير الحجّ كبيرة موبقة.

---

(١) نهاية ابن الأثير ٣: ١٣٢ ـ ١٣٣.

«وعظم في الصحف» بضمّتين صحائف الأعمال.

«تنضج الأكباد والكُلى» تنضج على وزن تكرم بالضاد المعجمة والجيم، والكلى بالضمّ جمع كُلية وكلوة.

«آهٍ من نارٍ نزّاعةٍ للشّوى» النزع القلع. والشوى: الأطراف، أو جمع شواة بالضم، وهي جلدة الرأس.

«آهٍ من غمرةٍ من لهبات لظى» الغمرة بالغين المعجمة والراء مايغمر الشيء، أي: يشتمل عليه ويستره.

«ولهبات» جمع لهب بالسكون والفتح: الاشتعال.

«ولظى» اسم من أسماء النار نعوذ بالله منها.

«قد واجهتها أوجه الانتقام» الكلام استعارة، أي: سارت موجبة لسرعة الانتقام ومقربة منه.

«قد لاحظتها أعين الاصطلام» هذا أيضاً استعارة، والمعنى كالأوّل مع زيادة. والاصطلام بالصاد والطاء المهملتين الاستئصال.

«واستحققت باجتراحها مبير العقاب» الاجتراح بالجيم والتاء المثنّاة

قوله: آهٍ من نار.

أوه كلمة يقال عند الشكاية والتوجّع، وهي ساكنة الواو مكسورة الهاء، وربّما قلب الواو ألفاً، فيقال: آهٍ من كذا، ومنه الأوّاه.

قوله: الكلام استعارة.

تشبيه الانتقام بالشخص المواجه مكنيّة، واثبات الوجه له تخييل، والمواجهة ترشيح. وكذا تشبيه الاصطلام بمن له عين مكنيّة، واثباتها له تخييل، والملاحظة ترشيح.

الفوقانيةْ وآخره حاء مهملة: الاكتساب. والمبير بالباء الموحدة والياء المثناة التحتانية والراء: المهلك.

«من أجل ما أنقض ظهري من ثقلها» أنقض بالنون والقاف والضاد المعجمة، أي: حمل ظهري على النقض، وهو صوت عظامه[١] عند حمل ثقيل.

«وبهظني من الاستقلال بحملها» بهظني بالباء الموحدة والظاء المعجمة، أي: أثقلني.

«شاكياً بثّي إليك» البثُّ بالباء الموحدة والثاء المثلثة: الهمّ الذي لا تصبر على كتمانه، فتبثه أي: تظهره.

«من تنفيس الغمّ» أي: إزالته.

«واذْللني برأفتك على سمت المنهج» ادللني على وزن اشكرني. والسمت: الجهة. والمنهج: الطريق.

«وازلقني بقدرتك عن الطريق الأعوج» أزلقني بالزاي والقاف، أي: أبعدني.

قوله: فتبثّه.

ومنه قوله تعالى «انّما أشكو بثّي وحزني الى الله»[٢].

قوله: والمنهج الطريق.

المنهج والمنهاج الطريق الواضح المستقيم، ومنه قولنا: ومنهاج علي صلوات الله عليه.

---

(١) عظام: خ ل.

(٢) سورة يوسف: ٨٦.

«وطُل عليَّ برضوانك» بضم الطاء، أي: تفضَّل عليَّ به.

«واشدد بالإقالة أزري» الأزر بفتح الهمزة وإسكان الزاي: القوة.

«كربت معادن حديد الدنيا» كربت بالراء المهملة والباء الموحّدة كحفرت معنىً ووزناً.

«بأشفار عيني» أشفار جمع شفرة بضم الشين المعجمة وإسكان الفاء طرف الجفن الذي ينبت عليه الشعر.

«واستظل بفيئك» أي: ألتجىء إليك، وهو كنايةَ مشهورة.

قوله: وطل عليّ.

من الطول والتطوّل: التفضّل.

قوله: واشدد بالاقالة أزري.

ومنه قوله تعالى «اشدد به أزري»[1].

قوله: ويطلب روحه بالبيات.

محلّ بيانه قبل بيان قوله «كم من موبقة» ولعلّ هذا النوع من التقديم والتأخير انّما صدر من قلم ناسخ الأصل، لكونه مقرمطاً أو مضروباً على بعضه، ومكتوباً عوضه في الحاشية، وكان لايفهم بسهولة أنّه من حيث يخرج، أو كان الشيخ عوّض بعضه على ورقة خارجة من الكتاب ووضع خلاله، وكان لايعلم ربطه بالأصل الاّ بامعان النظر والفكر، وكان الناسخ مستعجلاً ونحو ذلك، واحتمال صدوره عن الشيخ بعيد لاوجه له.

قوله: وهو كناية مشهورة.

يقال: فلان في ظلّك أو تحت ظلّك، ويراد منه أنّه في كنفك وحمايتك،

---

(١) سورة طه: ٣١.

«وإلحاحاً» بالحائين المهملتين المبالغة في الطلب.

«وإلحافاً» بالحاء المهملة والفاء بمعنى الإلحاح.

«وتضرّعاً وتملّقاً» التضرّع التذلل. والتملّق يطلق تارة على التودّد والتلطف والخضوع التي يطابق فيها اللسان الجنان، وهذا هو المراد هنا، وأُخرى على إظهار هذه الأُمور باللسان مع مخالفة الجنان، كما يفعله[1] أكثر أبناء الزمان نعوذ بالله منه.

ومن أهل رعايتك ، ومن شرّ أعدائه وضرّهم التجأ اليك . ومن هنا يطلقون على سلطان وقتهم ظلّ الله، وأصله أنّ الهارب من حرّ الشمس وضرره وأذيّته يلتجيء الى مايستظلّه ليحميه منه، فصار ظلّ الشمس كناية عن حمايته ورعايته، ومن يستظلّ بفيئه كناية عمّن يلتجيء إليه ممّا يضرّه ويؤذيه.

قوله: والفاء بمعنى الالحاح.

ومنه قوله تعالى «لا يسألون الناس الحافاً»[2].

قوله: وتضرّعاً وتملّقاً.

في القاموس: تملّقه وله تملّقاً وتملاقاً، تودّد اليه وتلطّف له، والملق محركة الودّ واللطف، وأن يعطي باللسان ماليس في القلب[3].

وفي نهاية ابن الأثير: وفيه «ليس من خلق المؤمن الملق» هو بالتحريك الزيادة في التودّد والدعاء والتضرّع فوق ماينبغي[4].

---

(١) يفعل: خ ل.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٣.

(٣) القاموس المحيط ٣:٢٨٤.

(٤) نهاية ابن الأثير ٤:٣٥٨.

فصل

وبعد فراغك من الركعات الثمان تقوم إلى ركعتي الشفع ومفردة الوتر. وأفضل أوقاتها ما بين الفجرين كما مرَّ ذكره في الباب الأول عند ذكر الفجر الصادق والكاذب من ورود الرواية بذلك عن أمير المؤمنين عليه السَّلام.

واعلم أنّ الشائع على ألسنة المتأخّرين إطلاق الوتر على الركعة الثالثة وحدها، لا على مجموع الثلاث. والشائع في الأحاديث الواردة عن أصحاب العصمة سلام الله عليهم عكس ذلك.

فالتملّق على الأوّل نفاق، وعلى الثاني كفر لايجامع الايمان، كما هو ظاهر الخبر، ولذا استعاذ منه الشيخ قدّس سرّه، وهذا التملّق المذموم في أكثر أبناء زماننا هذا: إمّا مثله في أكثر أبناء زمانه، أو أكثر، فنعوذ بالله ممّا استعاذ منه عباده الصالحون.

قوله: وأفضل أوقاتها مابين الفجرين.

أي: أفضل أوقات مفردة الوتر وهو الظاهر، أو أوقات ركعتي الشفع ومفردة الوتر جميعاً، والرواية المذكورة في الباب الأوّل وردت بلفظ الوتر، فان حمل على مجموع الثلث، فالمراد هو الثاني، وان حمل على الركعة الثالثة وحدها، فالمراد هو الأوّل.

قوله: واعلم أنّ الشائع على ألسنة المتأخّرين الى آخره.

اطلاق الشفع على الركعتين منها والوتر على الأخيرة شائع بين القدماء والمتأخّرين.

قال رئيس المحدّثين في الفقيه: وتقرأ في ركعتي الشفع وركعة الوتر قل هو

كما رواه شيخ الطائفة في التهذيب ـ بسندٍ صحيح ـ عن الصادق عليه السَّلام، أنّ أباه الباقر عليه السَّلام كان يقرأ في الوتر بقل هو الله أحد في ثلاثتهن[١].

الله أحد، وافصل بين الشفع والوتر بتسليمة. ثمّ قال: وروي أنّ من قرأ في الوتر بالمعوّذتين وقل هو الله أحد، قيل له: أبشر ياعبدالله فقد قبل الله وترك[٢].

وهذا منه ـ رحمه الله ـ اشارة الى ماورواه في كتاب ثواب الاعمال باسناده عن أبي جعفر عليه السَّلام قال: من أوتر بالمعوّذتين وقل هو الله أحد، قيل له: ياعبدالله أبشر الحديث[٣].

وروى في الفقيه عن عمر بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السَّلام أنّه قال: من قال في وتره إذا أوتر: أستغفر الله ربّي وأتوب اليه سبعين مرّة واظب على ذلك حتّى تمضي سنة كتبه الله عنده من المستغفرين بالأسحار ووجبت له المغفرة من الله عزّوجلّ[٤].

وعن عبدالله بن أبي يعفور عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: استغفر الله في الوتر سبعين مرّة، تنصب يدك اليسرى وتعدّ باليمنى الاستغفار. وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يستغفر الله في الوتر سبعين مرّة ويقول: هذا مقام العائذ بك من النار سبع مرّات[٥].

وروى عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: تدعو في الوتر

---

(١) تهذيب الاحكام ٢:١٢٧، ح٢٥٠.
(٢) من لايحضره الفقيه ١:٤٨٥.
(٣) ثواب الاعمال: ١٥٨.
(٤) من لايحضره الفقيه ١:٤٨٩، ح١٤٠٥.
(٥) من لايحضره الفقيه ١:٤٨٩، ح١٤٠٦.

وكما رواه فيه -بسندٍ موثّقٍ- عنه عليه السَّلام أنّه قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يصلّي ثمان ركعات الزوال، وأربعاً الأُولى، والثمان بعدها، وأربعاً العصر، وثلاثاً المغرب، وأربعاً بعد المغرب، والعشاء الآخرة أربعاً، وثماني صلاة الليل، وثلاثاً الوتر وركعتي الفجر، وصلاة الغداة ركعتين. الحديث[١].

وكما رواه رئيس المحدّثين -بسند صحيح- عن حفص بن سالم الحنّاط، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السَّلام يقول: لا بأس أن يصلّي الرجل ركعتين من الوتر، ثمّ ينصرف فيقضي حاجته، ثمّ يرجع فيصلّي ركعة[٢]. إلى غير ذلك

على العدوّ، وان شئت سمّيتهم وتستغفر، وترفع يديك في الوتر حيال وجهك، وان شئت فتحت ثوبك. وكان علي بن الحسين عليهما السَّلام يقول: العفو العفو ثلاثمائة مرّة في الوتر في السحر[٣].

وروى عبدالرحمان بن أبي عبدالله عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: القنوت في الوتر الاستغفار، وفي الفريضة الدعاء[٤].

وبما قررناه ونقلناه ظهر أنّ اطلاق الوتر على الركعة الثالثة وحدها كما هو المتداول بين القدماء والمتأخّرين، شائع في الأخبار المرويّة عن الصادقين عليهما السَّلام ذائع كثير ليس قليلاً، كما ظنّه شيخ العارفين، وقد ذكر في الفقيه أخباراً كثيرة في هذا المعنى، فليطلب من هنالك.

قوله عليه السَّلام: ثم يرجع فيصلّي ركعة.

ولا بأس أن يصلّي الرجل ركعتين من الوتر، ثمّ يشرب الماء ويتكلّم

---

(١) تهذيب الاحكام ٢:٤، ح٤.

(٢) من لايحضره الفقيه ١:٤٩٣.

(٣) من لايحضره الفقيه ١:٤٨٩ - ٤٩٠.

(٤) من لايحضره الفقيه ١:٤٩١، ح١٤١٢.

من الأحاديث الكثيرة.

وأما إطلاق الوتر على الثالثة وحدها، فهو في الأحاديث قليلٌ جدّاً، لكنّه كثير في عبارات متأخّري علمائنا ـ قدّس الله أرواحهم ـ وأمّا القدماء فأكثر ما

وينكح ويقضي مايشاء من حاجة، ويحدث وضوء ثمّ يصلّي الركعة قبل أن يصلّي الغداة، كذا في الفقيه[1] متصلاً بقوله «فيصلّي ركعة». وفيه أيضاً دلالة على مراد الشيخ، فكان الأولى نقله بتمامه، ولعلّه تركه لعدم يقينه بكونه من تتمّة الخبر.

قوله: من الأحاديث الكثيرة.

كصحيحة معاوية بن عمّار، قال: قال لي: اقرأ في الوتر في ثلاثتهن بقل هو الله أحد وسلّم في الركعتين توقظ الراقد وتأمر بالصلاة[2].

وصحيحة أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: والوتر ثلاث ركعات مفصولة[3].

وصحيحة يعقوب بن شعيب، قال: سألت أبا عبدالله عليه السّلام عن التسليم في ركعتي الوتر، فقال: إن شئت سلّمت وان شئت لم تسلّم[4].

وهذه تدلّ على التخيير بين الفصل والوصل، والشيخ أجاب عنها في التهذيب بأجوبة كلّها خروج عن الظاهر من غير ضرورة؛ إذ لا مانع من القول بالتخيير بين الفصل والوصل واستحباب الفصل، وبه يحصل التوفيق بينهما.

---

(١) من لايحضره الفقيه ١:٤٩٣.

(٢) تهذيب الاحكام ٢:١٢٨، ح٢٥٦.

(٣) تهذيب الاحكام ٢:١٢٧، ح٢٥٣.

(٤) تهذيب الاحكام ٢:١٢٩، ح٢٦٣.

يعبرون عنها بمفردة الوتر، كما عبّر عنها شيخ الطائفة في المصباح وغيره.

ومن هذا يظهر أن من نذر صلاة الوتر الموظّفة لم يخرج عن العهدة بيقين إلّا بالإتيان بالثلاث. إنما ذكره الشيخ الجليل أبو علي الطبرسي ـ عطّر الله مرقده ـ في كتاب مجمع البيان من تعليل تسمية الفاتحة بالسبع المثاني[1] بأنّها تثنّىٰ قراءتها في كلّ صلاة فرض، ونقل كلام مستقيم خال عن القصور، وإنّما أورد

قوله: شيخ الطائفة في المصباح.

وكذا رئيس المحدّثين في الفقيه، حيث قال: ومن السنّة التوجّه في ستّ صلوات، وهي أوّل ركعة من صلاة الليل، والمفردة من الوتر، الى أن قال: كذلك ذكره أبي رضي الله عنه في رسالته إليّ[2].

قوله: الّا بالاتيان بالثلاث.

الّا أن يقصد في نذره خصوص مفردة الوتر، فحينئذٍ يخرج من العهدة بمجرّد الاتيان بها وتبرأ ذمّته به، فتأمّل.

قوله: كلام مستقيم.

ولكن يخدشه أنّ لكلّ واحدة منهما نيّة وتكبيراً وتشهّداً وتسليماً، كما هو ظاهر الروايات الدالّة على الفضل، ويطلق على احداهما الشفع وعلى الأُخرى الوتر، فيصدق على مفردة الوتر أنّها صلاة، ولا تثنّى فيها قراءة الفاتحة، ففي هذه الصورة تنتقض هذه الكليّة. نعم هو كلام مستقيم في صورة الوصل بينهما،

---

(١) قال في الكشاف: انما سمّيت بالسبع المثاني لانها تثنّىٰ في كل ركعة والاعتراض على هذه العبارة مشهور وقد ذكرت الجواب عنه في الحواشي التي علّقتها على تفسير البيضاوي. (منه).

(٢) من لايحضره الفقيه ١: ٤٨٤.

عليه من انتقاض هذه الكليّة بصلاة الوتر[١] غير وارد والله أعلم.

وتقرأ في كلّ من ركعتي الشفع بعد الحمد التوحيد، وإن شئت فاقرأ أُولَى المعوِّذتين[٢] في إحداهما، والأُخرى في الأُخرى. فإذا سلَّمت فادعُ بهذا الدعاء:

والاكتفاء بنيّة واحدة وتكبير وتشهّد وتسليم واحد، كما هو ظاهر بعض الروايات، ولكنّه خلاف المشهور، فتأمّل.

قوله: غير وارد.

لأنّ الوتر كما استفيد من هذه الروايات الصحيحة اسم للركعات الثلاث، لا الركعة الواحدة بعد الشفع، كما يوجد في عبارات المتأخّرين، والناقض غفل عن ذلك وبنى النقض على هذا.

قوله: فاذاسلّمت فادع بهذا الدعاء.

لم يتعرّض للقنوت هنا نفياً واثباتاً، والمذكور في رسالة فارسيّة لبعضهم عدم استحبابه في ركعتي الشفع، ولم يذكر له حجّة.

وهو خلاف ما رواه الصدوق في عيون الأخبار في باب ذكر أخلاق الرضا عليه السَّلام وعباداته: انّه كان إذا قام الى ركعتي الشفع يقرأ في كلّ ركعة منهما الحمد مرّة والتوحيد ثلاث مرّات، ويقنت في الثانية قبل الركوع وبعد القراءة، فاذا سلّم قام وصلّى ركعة الوتر يتوجّه فيها، ويقرأ فيها الحمد مرّة والتوحيد

---

(١) وأمّا ركعة الاحتياط فليست صلاة مستقلة وأمّا صلاة الجنازة فهي صلاة مجازية إذ لاصلاة الآ بفاتحة ولا صلاة إلّا بطهور. (منه).

(٢) المعوِّذتين بكسر الواو على صيغة اسم الفاعل، وما اشتهر على ألسنة بعض الطلبة من فتح الواو على أنّها اسم مفعول من جملة الأغاليط (منه).

إلهي تَعرَّضَ لَكَ فِي هذَا اللَّيْلِ المُتعرِّضُونَ، وَقصَدكَ فِيهِ القَاصِدُونَ، وأَمَّل فَضْلكَ ومعرُوفكَ الطَّالِبُونَ، وَلَكَ فِي هذَا اللَّيْلِ نَفَحاتٌ وَجوائزُ، وَعطايا وَمواهبُ، تَمُنُّ بِها عَلَى مَنْ تَشاء مِنْ عِبادِكَ ، وتَمنَعُها مَنْ لَمْ تَسبقْ لَهُ العِنايَةُ مِنْكَ . وَها أَنا ذَا عَبدُكَ الفَقِيرُ إلَيْكَ ، المُؤمِّلُ فَضْلكَ وَمَعْرُوفَكَ ، فَإن كُنْتَ يَا مَولاَيَ تَفضَّلْتَ فِي هِذهِ اللَّيلَةِ على أَحدٍ مِنْ خَلْقِكَ ، وعُدْتَ عليهِ بعائدةٍ منْ عطفِكَ ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ

ثلاث مرّات والفلق مرّة والناس مرّة.الحديث[1] .

قوله: ولك في هذا الليل نفحات.

نفح الطيب إذا فاح وسطع، ومنه الحديث: انّ لربّكم في أيّام دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها[2]. أي: فيوضات وكرامات ورحمات وعطيّات، والكلام استعارة.

والجائزة: العطيّة، أجازه يجيزه أعطاه، وأصل الجائزة أن تعطي المسافر مايجوز به مسافة يوم وليلة، ويسمّى الجيزة، فاستعير لكلّ عطاء.

والهبة: العطيّة الخالية عن الأعواض، وهبت له شيئاً وهباً وهبة، والاسم الموهب والموهبة بالكسر. والمراد بالعناية المشيئة والارادة.

قوله: وها أنا ذا عبدك الفقير.

جملة «أناذا» مبتدأ وخبر صدّرت بحرف التنبيه لكمال العناية والاهتمام بمضمونها، أي: أنا المتكلّم ذا الموصوف و«عبدك الفقير» بيان للوصف، وهو

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السّلام ٢: ١٨١.

(٢) نهاية ابن الأثير ٥: ٩٠.

وَآلِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهِرِينَ، الخَيِّرِينَ الفاضِلِينَ، وَجُدْ عليَّ بطوْلك وَمَعرُوفكَ، يا رَبَّ العَالَمينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خاتِمِ النَّبيينَ وآلِهِ الطَّاهِرِينَ، الَّذِينَ أَذْهَبَ اللهُ عَنهُمُ الرِّجسَ وَطهَّرهُمْ تَطهِيراً، إنَّ الله

خبر ثان لـ «أنا» أو خبر لـ «ذا» والجملة خبر لـ «أنا».

قوله: الطيّبين الطاهرين.

بتطهير الله ايّاهم من كلّ رذيلة، واذهابه عنهم دنس كلّ كبيرة وصغيرة.

والطهارة: النقاء من الدنس والنجس، والطاهر النقيّ.

وفي اصطلاح أرباب العرفان الطاهر من عصمه الله عن المخالفات، وهو ينقسم: الى طاهر الظاهر، وهو من عصمه الله عن المعاصي، وطاهر الباطن، وهو من عصمه الله عن الوسواس والهواجس. وطاهر السرّ، وهو من لايزيغ عن الله طرفة عين. وطاهر السرّ والعلانية، وهو من قام بتوفية حقوق الحقّ والخلق جميعاً، لسعته برعاية الجانبين.

ولا خفاء في أنّ المراد به هنا لايعمّ جميع هذه الاقسام، وهذه النعوت لهم عليهم السَّلام عين الحقّ ونفس الواقع، كيف لا وهم الذين قال الله تعالى فيهم «انّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً»[١].

قال الطبرسي: استدلّت الشيعة باختصاصها بأصحاب الكساء، بأن قالوا: «انّما» لا ثبات مايذكر بعده ونفي ما سواه، فالارادة في الآية: امّا ارادة محضة، أو ارادة يتبعها التطهير واذهاب الرجس، لا سبيل الى الأوّل، لأنّه تعالى قد أراد من كلّ مكلّف هذه الارادة المطلقة، فلا اختصاص لها بأهل البيت، ولأنّ هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم، ولا مدح في الارادة

---

(١) سورة الاحزاب: ٣٣.

حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اَللّهُمَّ إنِّي أَدعُوكَ كما أمرتَ، فاستَجِبْ لِي كَمَا وعَدْتَ، إنَّك لاَ تُخلِفُ الْمِيعَادَ.

ثمّ قم إلى مفردة الوتر، وتوجّه بالتكبيرات السبع والأدعية الثلاثة، وتقرأ فيها بعد الحمد التوحيد ثلاثاً، والمعوذتين، ثم ترفع يديك وتقنت وأنت تبكي أو تتباكى، بما رواه رئيس المحدّثين في الفقيه بسندٍ صحيحٍ عن معروف بن خربوذ، عن أحدهما، أعني: الباقر أو الصادق عليهما السّلام، قال: قل في قنوت الوتر:

لاَ إلهَ إلّا اللهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ، لاَ إلهَ إلّا اللهُ العَلِيُّ العَظِيمُ، سبحانَ اللهِ رَبِّ السَّماواتِ السَّبعِ، وَرَبِّ الأَرضِينَ السَّبعِ، ومَا فِيهِنَّ وَما بَينَهُنَّ[1]، وَرَبِّ الْعرْشِ الْعَظِيمِ. اَللّهُمَّ أَنْتَ اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ، وأَنْتَ اللهُ زَيْنُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ، وأَنْتَ اللهُ جَمالُ

المجرّدة، فيثبت الثاني، وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيّين بالآية من جميع القبائح، وقد علمنا أنّ من عدا من ذكرنا من أهل البيت غير مقطوع على عصمته، فثبت أنّ الآية مختصّة بهم[2] انتهى.

قوله: التوحيد ثلاثاً والمعوّذتين.

في كتاب ثواب الاعمال: باسناده عن أبي جعفر عليه السّلام قال: من أوتر بالمعوّذتين وقل هو الله أحد، قيل له: ياعبدالله أبشر فقد قبل الله وترك[3].

قوله: اللهمّ أنت نور السماوات والأرض الى آخره.

ذكر المبادي وارادة المشتقّات: امّا مسامحة، أو مبالغة مجاز مشهور. فالمراد

---

(١) وما تحتهن: خ ل.
(٢) مجمع البيان ٤: ٣٥٧.
(٣) ثواب الاعمال: ١٥٨.

السَّمـاواتِ وَالأَرْض، وأَنْتَ اللهُ عِمـادُ السَّمـاواتِ وَالأَرْض، وأَنْتَ اللهُ قِوَامُ السَّماوات والأَرْض، وأَنْتَ اللهُ صَريخُ الـمُستصْرخينَ، وأَنْتَ اللهُ غِيـاثُ المسْتغيثِينَ، وأَنْتَ اللهُ الـمُفرِّجُ عَـنِ الـمَكرُوبيـنَ، وأَنْتَ اللهُ المُرَوِّحُ عنِ المَغمُومينَ، وأَنْتَ اللهُ مُجِيبُ دَعوَة المُصطرِّينَ، وأَنْتَ اللهُ إلهُ الْعـالَمـينَ، وأَنـتَ اللهُ الرَّحمانُ الـرَّحيـمُ، وأَنتَ اللهُ كـاشِفُ السُّوء، وأَنتَ اللهُ بِكَ تُنزَلُ كُلُّ حـاجَـةٍ، يا أَللهُ لَيْسَ يَرُدُّ غَضبَكَ إلَّا حِلْـمُكَ،

أنّه تعـالى منوّر السمـاوات والأَرض ومزيّنهما بالـكواكب وأنوارهـا، وبالملائـكة والأنبياء والأوصياء والصلحاء. وانّما حملناه على ذلك؛ لأنّ النور من الكيفيّات المبصرة، وهو بهذا المعنى لايصلح اطلاقه عليه تعالى.

ويحتمل أن يكـون المراد أنّه موجدهمـا؛ إذ النور ظاهر بـنفسه ومظهر لـغيره، وأصل الظهور هو الوجود، كما أنّ أصـل الخفاء هو العدم، وهو تعالى بذاته موجد لماسواه. أو المراد أنّه ناشر الحقّ فيهما، وهو كالنور في بيانه وظهوره.

ونقل عن ابن عـبّاس أنّ المراد أنّه تعـالى هادي أهل السماوات والأَرض، فهم بنوره الى الحقّ يهتدون، وبهداه عن حيرة الضلال ينجون.

ونقل عن بعضهم ما هو قريب من الهذيان، ولا يقبله أهل الأديان.

قوله: بك تنزل كلّ حاجة يا الله.

«كلّ حاجـة» مبتدأ قـدّم عليـه خبره وهو «تـنزل» من الانزال، و«بك» متعلّق به، وتقديمه عليه للقصر.

وقـوله «ولا ينجي منـك الّا التضرّع» قصر اضافيّ بالـنسبة الى الاستكبار وعدم التضرّع، وليس بحقيقيّ لمكان التفضّل.

«ولا تهلكني غمّاً» أي: لا تمتني حـتّى تغفر لي، ولولا ذلك لتهـلكني غمّاً،

وَلاَ يُنْجِي مِنْ عِقابِكَ إلَّا رَحمَتُكَ، وَلاَ يُنْجِي مِنكَ إلَّا التَّضرُّعُ إلَيْكَ، فَهَبْ لِي مِن لَدُنْكَ يا إلِهي رَحمةً تُغْنِيني بِها عَنْ رَحمةِ مَنْ سِوَاكَ، بالقُدرَةِ الَّتي أَحيَيْتَ بِهَا[1] جميعَ مَا فِي البِلاَدِ، وَبِها تَنشُرُ مَيتَ العِبَادِ، لاَ تُهلِكْنِي غَمّاً حتَّى تَغفِرَ لِي وَتَرحَمَنِي، وتُعرِّفَنِي الإجابَةَ[2] في دُعَائي، وَارْزُقْنِي الْعافِيَةَ إلَى مُنتَهَى أجلِي، وأَقْلنِي عَثْرتي، وَلاَ تُشمِتْ بِي عَدُوِّي، ولاَ تُمكِّنهُ منْ رَقبَتِي.

اَللّهُمَّ[3] إنْ رَفعْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَضعُنِي، وإنْ وَضعْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرفَعُنِي، وإن أهلكْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَحُولُ بَيْنكَ وَبيْنِي، أَوْ

وهو: امّا مفعول له أي للغمّ، أو صفة للمفعول المطلق أي اهلاكاً غمّاً.

قوله: ولا تشمت بي عدوّي.

شماتة الأعداء من أشدّ البلاء. روي أنّ أيّوب عليه السّلام سئل بعدما عافاه الله: أيّ شيء كان أشدّ عليك ممّا مرّ عليك؟ فقال: شماتة الأعداء.

ولعلّ الوجه في ذلك أنّ الألم الحاصل من شماتتهم ألم روحانيّ، والآلام الروحانيّة أشدّ من الآلام الجسمانيّة بكثير، بل لانسبة بينهما.

قوله: اللهمّ إن رفعتني فمن ذا الذي يضعني.

رفعت الشيء علّيته عن مقرّه، وأصله في الأجسام، ثمّ استعير في المنزلة والرتبة، فقيل: رفعه إذا شرف منزلته وأعلى رتبته، ومنه «ورفعنا لك

---

(١) بها أحييت: خ ل.

(٢) الاستجابة: خ ل.

(٣) أنك: خ.

يَتعَرَّضُ لكَ فِي شَيء مِنْ أَمْري، وَقدْ عَلِمْتُ أَنْ لَيْسَ فِي حُكْمِكَ

ذكرك »[١] ويقابله الوضع بمعنى الحطّ، وهو انزال الشيء من علوّ.

و«ذا» في الموضعين مبتدأ، و«من» كذلك خبره قدّم عليه لاقتضائه صدر الكلام، وفيه تحقير لشأنه؛ لأنّ كلمة «من» في الأصل وان كانت للاستفهام الّا أنّها هنا استعملت لمجرّد التحقير، كما في قولك من هذا؟ وكذا في ايراد المسند اليه باسم الاشارة الدالّ على القرب تحقير له، إذ القرب كما يطلق على قرب المنزلة والمرتبة ودناءة المحلّ، فيقال: فلان قريب المحلّ داني المرتبة، اجراء للأُمور العقليّة مجرى الأمور الحسيّة، كذلك قد يطلق اسم الاشارة الدالّ عليه ويراد به مايلابس القرب غالباً، وهو التحقير الرتبي.

وفي الحديث الصحيح عنه صلّى الله عليه وآله: من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبّر خفضه الله[٢].

وروى ثقة الاسلام في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام أنّه قال: انّ في السماء ملكين موكّلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبّر وضعاه[٣].

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله: انّ التواضع يزيد صاحبه رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله[٤].

وعن عمرو بن شيبة، قال: كنت بمكّة بين الصفا والمروة، فرأيت رجلاً راكباً، وبين يديه غلمان، فاذا هم يعنّفون بالناس، ثمّ عدت بعد حين فدخلت بغداد، فكنت على الجسر، فاذا برجل حافٍ حاسر طويل الشعر، فجعلت أنظر

---

(١) سورة الشرح: ٤.

(٢) اصول الكافي ٢:١٢٢، ح٣.

(٣) اصول الكافي ٢:١٢٢، ح٢.

(٤) اصول الكافي ٢:١٢١، ح١.

ظُلم، وَلاَ فِي نَقمَتِكَ عَجلَةٌ، وإنَّما يَعجَلُ مَنْ يَخافُ الْفوْتَ، وَإنَّما يَحْتاجُ إلى الظُّلمِ الضَّعيفُ، وَقَدْ تعالَيْتَ عَنْ ذَلكَ يَا إلهي، فَلاَ تجعلْني لِلْبلاء غَرَضاً، وَلاَ لِنَقْمَتِكَ نَصباً، وَمهِّلْنِي وَنفِّسنِي، وأَقِلْني عَثرَتي، وَلاَ تُتبعْنِي ببَلاءٍ على أثر بَلاءٍ، فَقَدْ تَرَى ضَعْفِي وَقلَّة حِيلَتِي، أَستَعِيذُ بكَ اللَّيْلَةَ فأَعِذْنِي، وأَستَجيرُ بِكَ مِنَ النَّار فأَجِرْني، وأسأَلكَ الجَنَّة فَلاَ تَحرمْنِي.

ثمّ ادعُ الله بما أحببت واستغفر الله سبعين مرة. هذا آخر الحديث[١].

اليه وأتأمّله، فقال لي: مالك تنظر إليّ؟ فقلت له: شبّهتك برجل رأيته بمكّة ووصفت له الصفة، فقال: أنا ذلك الرجل، فقلت: مافعل الله بك؟

فقال: انّي ترفّعت في موضع يتواضع فيه الناس، فوضعني الله حيث ترفع الناس. ورفعه تعالى عبارة عن جعله ايّاه معظماً موقراً، بحيث تميل القلوب الى تعظيمه وتوقيره ومحبّته واجتناب اذلاله واهانته والاستخفاف به ظاهراً وباطناً.

قوله: وانّما يحتاج الى الظلم الضعيف.

لأنّ القوي لقوّته لايضع الشيء في غير موضعه، وانّما يضعه فيه الضعيف لضعفه وعجزه من أن يضعه في موضعه.

قوله: ونفّسني.

أي: نفّس عنّي، أو نفّس كربتي أي فرّجها.

قوله: واستغفر الله سبعين مرّة.

لعلّ وجه اختيار السبعين قوله تعالى «إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٤٩٠ - ٤٩١.

ويستحبّ أن تدعو لأربعين من إخوانك فصاعداً فتقول:
اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِفُلانٍ وفُلاَنٍ إلى آخرهم.

الله لهم»[١] حيث يشعر بكون السبعين أبلغ عدد في الاستغفار. وإن كان المراد من السبعين ـ كما ذكره المحقّقون ـ العدد الكثير، إذ يكفي شيوع السبعين في العدد الكثير، لأنّه ماشاع فيه الّا لكونه عدداً كاملاً تامّاً.

قال بعض المحقّقين: السبعة أكمل الأعداد، لجمعها معاني الاعداد؛ لأنّ الستّة أوّل عدد تامّ، لأنّها تعادل أجزاءها، إذ نصفها ثلاثة، وثلثها اثنان، وسدسها واحد، وجملتها ستة سواء، وهي مع الواحد سبعة، فكانت كاملة، إذ ليس بعد الاتمام سوى الكمال. ولعلّ واضع اللغة سمّى الأسد سبعاً لكمال قوّته، كما أنّه سمّاه أسد الاسادة في السير. ثمّ السبعون غاية الغاية، إذ الآحاد غايتها العشرات، هذا.

وفي الكافي: في حسنة الحارث بن المغيرة عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يستغفر الله في كلّ يوم سبعين مرّة ويتوب الى الله سبعين مرّة، قال: قلت: كان يقول: أستغفر الله وأتوب اليه، قال: كان يقول: أستغفر الله أستغفر الله سبعين مرّة، ويقول: أتوب الى الله أتوب الى الله سبعين مرّة[٢].

ثمّ انّه قيل: إذا عيّن ذكر بعدد مخصوص، فلا ينبغي أن يتجاوز الداعي العدد المخصوص المنصوص عليه ولا ينقص منه، فانّ الظاهر أنّ الثواب أو الأثر المترتّب على عدد معيّن لايترتّب على أكثر منه أو أقلّ، وبه صرّح ابن طاووس

---

(١) سورة التوبة: ٨٠.

(٢) اصول الكافي ٢: ٥٠٥، ح٥.

ثمّ تقول: أَستَغْفِرُ اللهَ رَبِّي وأَتُوبُ إلَيْهِ، سبعين مرّةً.

وينبغي أن تعدّ الاستغفار بيدك اليمنى. وتنصب يدك اليسرى، رواه رئيس المحدّثين في الفقيه بسندٍ صحيحٍ[١] ولو بلغت بالاستغفار المائة كان أفضل. ثمّ تقول سبع مرّات:

وغيره. وقد مثّل له بأنّه إذا قال لك صادق القول: عدّ من هذا المقام عشرة أذرع، فحيث انتهى كان فيه كنز، فلا شبهة في أنّه لا يمكن تحصيله فيما فوق العشرة ولا دونها انتهى. وللنظر فيه مجال واسع.

قوله: رواه رئيس المحدّثين في الفقيه بسند صحيح.

عن عبدالله بن أبي يعفور عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: استغفر الله في الوتر سبعين مرّة، تنصب يدك اليسرى وتعدّ باليمنى الاستغفار الحديث[٢].

وعن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السّلام يقول: مرّ بي رجل وأنا أدعو في صلاتي بيساري، فقال: يا أباعبدالله بيمينك، فقلت: ياعبدالله انّ لله تبارك وتعالى حقّاً على هذه كحقّه على هذه[٣].

ويمكن حمله على أنّ هذه المكالمات كانت بعد الفراغ من الصلاة، وإن كان ظاهر الحديث يفيد خلافه، فتأمّل.

قوله: ولو بلغت بالاستغفار المائة كان أفضل.

لا يحضرني الآن في خصوصه حديث، ولكن روي عن أبي جعفر عليه السّلام أنّه سأله رجل فقال له: جعلت فداك انّي كثير المال وليس يولد لي ولد، فهل من حيلة؟ قال: نعم استغفر ربّك سنة في آخر الليل مائة مرّة، فان

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٤٨٩.

(٢) من لايحضره الفقيه ١: ٤٨٩، ح١٤٠٦.

(٣) اصول الكافي ٢: ٤٨٠، ح٤.

أَستَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لاَ إلهَ إلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، لِجَمِيعِ ظُلمي وَجُرمي، وَاسْرَافِي عَلَى نَفْسِي، وأَتُوبُ إلَيْهِ.

ثمّ تقولُ:

رَبِّ أَسأتُ وَظلَمْتُ نَفْسِي وَبئسَ ما صَنَعْتُ، وهذِهِ يَدَايَ يا رَبِّ جَزَاءً بِما كَسبْتُ، وَهَذِهِ، رقَبَتِي خاضِعَةً لِما أَتيْتُ، وَها أَنا ذَا بَيْنَ يَدَيكَ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي الرِّضا حتَّى تَرضَى لَكَ العُتْبَى لاَ أَعودُ.

ثمّ تقول: العَفوَ الْعَفوَ، ثلاث مائة مرّة. ثمّ تقول:

ضيّعت ذلك بالليل فاقضه بالنهار، فان الله يقول «استغفروا ربّكم انّه كان غفّاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً»[1] الآية[2].

قوله: لك العتبى لا أعود.

هذه رواية رواها أبو حمزة الثمالي، قال: كان علي بن الحسين عليهما السّلام يقول في آخر وتره وهو قائم: ربّ أسأت الى قوله: لك العتبى لا أعود لا أعود لا أعود، قال: وكان والله إذا قال لا أعود لم يعد[3].

قوله «وهذه يداي» أي: هذه الجارحة الخاضعة قد خضعت لأجل الجزاء والتلافي لما صنعت من العصيان. وأفرد المبتدأ على قصد الجنس وتثنية الخبر لتحقّق ذلك الجنس في ضمنهما، وقدّم الخبر على المبتدأ في لك العتبى للقصر.

قوله: العفو العفو ثلاث مائة.

منصوب بتقدير أطلب منك العفو، أو مرفوع بتقدير مطلوبنا العفو، أو العفو

---

(١) سورة نوح: ١١ - ١٢.

(٢) مجمع البيان ٥: ٣٦١.

(٣) من لا يحضره الفقيه ١: ٤٩١، ح ١٤١٠.

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وتُبْ عَلَيَّ ، إنَّكَ أَنتَ التَّوابُ الرَّحيمُ.

ويستحبّ لك التطويل في قنوتك ، فتضيف إليه ما تقدّم ذكره في الركعات الثمان، وإن اتّسع الوقت فأضفْ إلى ذلك ما كان يدعو به سيّد العابدين عليه السَّلام في قنوته، كما رواه رئيس المحدّثين في كتاب الأمالي:

سيِّدي سيِّدي، هذِهِ يَدايَ قَدْ مَدَدتُهُما إلَيْكَ بالذُّنُوب مَمْلوءةً، وعَيْنايَ بالرَّجاء مَمْدودَةً، وَحقٌّ بِمَنْ دَعَاكَ بالنَّدَم تَذلُّلاً، أَنْ تُجيبَهُ بالكَرَم تَفَضُّلاً، سيِّدي أَمِنْ أَهْلِ الشَّقَاء خَلقْتَني فأُطيلُ بُكائي، أَمْ مِنْ

مطلوبنا.

وفي الفقيه: كان علي بن الحسين زين العابدين عليهما السَّلام يقول: العفو العفو ثلاثمائة مرّة في الوتر في السحر[1].

قيل: والظاهر أنّ المراد العدد المكرّر، فيكون العفو ستمائة مرّة، وهو خلاف الظاهر؛ إذ المتبادر من أمثاله كقولهم عليهم السَّلام يارب يارب، أو يا الله يا الله عشر مرّات أنّ كلمة «يا الله» مثلاً تقولها عشر مرّات، لا أنّ هذا العدد المكرّر تقوله عشراً، حتّى يكون يا الله عشرين مرّة، ويؤيّده قولهم يارب يارب حتّى ينقطع نفسك ، فتأمّل.

قوله عليه السَّلام: أمن أهل الشقاء خلقتني الى آخره.

الشقاوة مايوجب دخول النار والعقوبات الأبديّة والآلام الدائمة. والسعادة مايوجب دخول الجنّة والراحة الأبديّة واللذّات الدائمة. وقد يطلق الاولى على كون الخاتمة بالشرّ، والثانية على كونها بالخير. والمراد بالخلق التقدير بتقدير

---

(١) من لايحضره الفقيه ١: ٤٨٩ - ٤٩٠.

أَهْلِ السَّعادَةِ خَلقْتَنِي فأُبشِّرُ رَجَائي، سيِّدِي أَلِلضَرْب الْمقَامِعِ خَلَقْتَ أَعْضائي، أَمْ لشُرب الْحَمِيمِ خَلَقْتَ أمعائي، سيِّدِي لَو أَنَّ عَبْداً استَطاعَ الْهَربَ مِنْ مَوْلاهُ لكُنْتُ أَوَّل الْهَاربينَ مِنْكَ، لكِنِّي أعلَمُ أَنّي لاَ

التكاليف الموجبة لهما. ويظهر منه ومن أمثاله أنّ السعادة والشقاوة الأُخرويّتين انّهما تكونان بحسن العاقبة وسوئها.

روى علي بن حنظلة في الحسن عن أبي عبدالله عليه السَّلام أنّه قال: يسلك بالسعيد في طريق الأشقياء، حتّى يقول الناس: ما أشبهه بهم بل هو منهم، ثمّ يتداركه السعادة. وقد يسلك بالشقي طريق السعداء حتّى يقول الناس: ماأشبهه بهم بل هو منهم ثم يتداركه الشقاء، إنّ من كتبه الله سعيداً وإن لم يبق من الدنيا الّا فواق ناقة ختم له بالسعادة[1].

ولمّا كانت السعادة والشقاوة بحسن العاقبة وسوئها، فينبغي للانسان أن يطلب حسن العاقبة ويسعى فيه، ويتضرّع اليه تعالى أن يرزقه ذلك.

قوله عليه السَّلام: لو أنّ عبداً استطاع الهرب.

«لو» شرطيّة و«أنّ» موصول حرفي و«عبداً» اسمها وقوله «استطاع الهرب» خبرها، وهي وصلتها بعد «لو» في موضع الرفع عند الجميع، لأنّها موضوعة لتكون بتأويل مصدر خبرها مضافاً الى اسمها.

ثمّ اختلفوا في الرفع، فقيل: بالابتداء ولا يحتاج الى خبر، لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه. وقيل: على الابتداء والخبر محذوف يقدّر: امّا مقدّماً والتقدير ولو ثابتة استطاعة عبدالهرب، أو مؤخّراً أي: ولو استطاعة عبد الهرب

---

(١) اصول الكافي ٣:١٥٤، ح٣.

أَفوتُكَ، سيِّدِي لَوْ أَنَّ عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ فِي مُلكِكَ لَسأَلْتُكَ الصَّبرَ عَلَيْهِ، غَيْرَ أَنِّي أَعلَمُ أَنَّهُ لاَ يَزيدُ فِي مُلكِكَ طَاعَةُ المُطِيعِينَ، وَلاَ يَنقُصُ مِنْهُ مَعصِيَةُ الْعاصِينَ، سيِّدِي ما أنا وَمَا خَطَري، هَبْ لِي بِفَضْلِكَ وَجَلِّلنِي بِسِتْرِكَ، واعْفُ عَنْ تَوْبِيخي بِكَرَم وَجْهِكَ، إلهِي وَسَيِّدِي، ارْحَمْنِي مَصْرُوعاً عَلَى الفِراش تُقَلِّبُني أَيدِي أَحِبَّتِي، وَارْحَمْنِي مَطرُوحاً عَلَى

ثابتة. وقيل: على الفاعليّة بـ«ثبت» مقدّراً بعد لو والدالّ عليه «انّ» فانّها تعطي معنى الثبوت، والتقدير ولو ثبت استطاعة عبد الهرب ورجّح بأنّ فيه ابقاء «لو» على الاختصاص بالفعل. والهرب بفتحتين الفرار.

وقوله «من مولاه» من مالكه الحقيقيّ وهو الله تعالى، وحمله على ما هو أعمّ منه لاوجه له، ومفعول «يزيد» محذوف للعلم به، أي: يزيد في ملكك شيئاً، أو مثقال ذرّة، أو يكون «في» زائدة في المفعول، كقوله تعالى «اركبوا فيها»[1].

واللام في «لسألتك الصبر» جواب «لو» أي: لطلبت منك توفيقي للصبر على العذاب، ولم يقل لصبرت عليه، لأنّ الصبر انّما يكون بتوفيقه وتثبيته، كما قال «واصبر وما صبرك الاّ بالله»[2] أي: بتوفيقه وتيسيره.

قوله عليه السَّلام: تقلّبني أيدي أحبّتي.

عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: انّ أشدّ الحالة على الميّت حين يدخل الغسّال داره ليغسل، فيخرج خاتم الشاب من أصابعه، وينزع قميص العروس عن بدنها، ويرفع عمامة المشايخ والفقهاء عن رؤوسهم، فعند ذلك تنادي

---

(١) سورة هود: ٤١.

(٢) سورة النحل: ١٢٧.

المُغتَسَلِ يُغسِّلُنِي صَالِحُ جِيرَتِي، وَارْحَمْنِـي مَحْمُولاً قَدْ تَناوَلَ الأَقرباء أَطـرافَ جَنَازَتِي، وَارْحَـم فِي ذَلِكَ الْـبَـيتِ المُظْـلِم وَحشَتِـي وَغُـربَتِي وَوَحْدَتِي.

وإن ضاق الوقـت عن تطويل الـقنوت، فـلك الاقتصار على مـاشئت مـمّا يسعه الوقت. ومن الأدعية المختصرة التي يحسن القنوت بها في السعة والضيق في الوتر وغيرها:

روحه حين ترى نـفسه عـارياً، صـاح بصوت يسمع كلّ الخـلائق الاّ الـثقلين، فنادى ياغسّال بـالله عليك أن تنـزع ثيابي برفق، فانّي الساعة قد استرحت من محـاربـة ملك الموت، فاذا صـبّ عـليه الماء صاح كذلـك، يـقول: ياغسّال تعد مـاءك عـليّ لاحرّاً ولا بـرداً، فـانّ جسدي مجروح بخـروج الـروح، فاذا غسّلوا فيـقـول: بـالله يـاغسّـال لا تـمسّ قويّـاً فـانّ جسـدي مجـروح بـخـروج الروح، والحديث طويل.

وفيـه: واذا حمل الجـنازة، فيـقول: بـالله يا جماعتي لا تعجّلوني حـتّى اسمع صوت أهلي وأولادي وقرابتي، فانّي أُفارقهم الى يوم القيامة.

وفي الخبر: انّ الـقبر يـنادي كلّ يـوم بـثلاث مرّات أنا بـيـت الوحشة، وأنا بيت الظلمة، وأنا بيت الدود، ماذا أعددت لي.

ويقال: انّ القبر ينوح كلّ يـوم خمس مرّات يقول: أنا بيت الـوحدة فاجعل مونسي قـراءة القـرآن، أنا بيـت الظلـمة فنوّرني بصلاة الـليل، أنا بيـت التراب فـاحمل الفراش وهو العـمـل الصالح، أنا بيت الأفـاعي فاحمل الترياق وهو بسم الله الرحمن الرحيم واهـراق الدموع، أنـا بيت سؤال منكر ونـكير فأكثر في ظهري لا اله الاّ الله محمّد رسول الله علي وليّ الله.

اَللّٰهُمَّ إنَّ كَثرَةَ الذُّنوب تكُفُّ أَيْدِينَا عَن انْبساطِها إلَيْكَ بالسُّؤالِ،

قوله: انّ كثرة الذنوب تكفّ أيدينا الى آخره.

الكفّ: المنع، يقال: كففت الرجل عن الشيء فكفّ، يتعدّى ولا يتعدّى و«تكفّ أيدينا» أي تمنعها حياءً منك، فانّ من خالف غيره وعصاه، فاذا احتاج اليه يمنعه عصيانه من السؤال حياءً منه.

والابتهال في الأصل التضرّع والمبالغة في السؤال، وفي حديث الدعاء: الابتهال أن تمدّ يديك جميعاً، كذا في نهاية ابن الأثير(١).

وفي رواية أبي بصير عن سيّدنا أبي عبدالله الصادق عليه السَّلام: الابتهال أن ترفع يديك تجاوز بهما رأسك(٢).

وفي رواية أخرى: الابتهال بسط يديك وذراعيك الى السماء، والابتهال حين ترى أسباب البكاء(٣).

وفي رواية سعيد بن يسار عنه عليه السَّلام: وهكذا الابتهال مدّ يديه تلقاء وجهه، وقال: لا تبتهل حتّى ترى الدمعة(٤).

والنوال: العطاء، ناله ينوله اذا أعطاه.

وملخّص معنى الدعاء: انّ مقتضى السؤال والتضرّع والابتهال موجود، وهو افتقار العبد الذليل الى سيّده الجليل، بيد أنّ له مانعاً يمنعه من ذلك، وهو مخالفته لسيّده ومداومته على معصيته، الّا أنّ السيّد لمّا كان جليلاً عطوفاً على

---

(١) نهاية ابن الأثير ١:١٦٧.

(٢) اصول الكافي ٢:٤٨١، ح٥.

(٣) اصول الكافي ٢:٤٨٠، ح٤.

(٤) اصول الكافي ٢:٤٨٠، ح٣.

والمُداوَمَةَ عَلَى المَعَاصِي تَمنَعُنا عَن[١] التَّضرُّعِ وَالابْتِهالِ، وَالرَّجاء يَحثُّنا عَلَى سُؤالكَ يَا ذَا الجَلاَل والإكْرام، فَإنْ لَمْ يَعْطِفِ السَّيِّدُ عَلَى

عبده وان كان عاصياً ذليلاً، حثّه ذلك على السؤال مبتغياً منه النوال، ملتمساً منه أن لايردّه الّا ببلوغ الآمال، قائلاً بلسان الحال هذا المقال:

الهي عبدك العاصي أتاكا ... مقرّاً بالذنوب وقد دعاكا

فان ترحم فأنت لذاك أهل ... وان تطرد فمن يرحم سواكا

قوله: والرجاء يحثّنا على سؤالك.

الرجاء ظنّ يقتضي حصول مافيه مسرّة، وقيل: تعلّق النفس بحصول محبوب في المستقبل، وهوعلى أقسام: رجاء لمغفرته تعالى مع عدم التوبة عن السيّئات، ورجاء لقبول الحسنات، ورجاء للتفضّل.

وينبغي أن يكون الرجاء معادلاً للخوف، كما ورد: أنّ ليس من عبد مؤمن الّا وفي قلبه نوران: نور خيفة، ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا[٢].

قيل: وذلك لأنّ المؤمن لا يخلو من قصور أسباب الخوف والرجاء، وتجويز وقوع مقتضى كلّ واحد منهما بدلاً من الآخر، بحيث لايرى أحدهما على الآخر؛ إذ لو رجّح الرجاء لزم الأمن في غير موضعه «أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الّا القوم الخاسرون»[٣] ولو رجّح الخوف لزم اليأس الموجب للهلاك «انّه لا ييأس من روح الله الّا القوم الكافرون»[٤] ومنه ظهر أنّ الخوف غير القنوط،

---

(١) من: خ ل.

(٢) اصول الكافي ٢:٦٧، ح١.

(٣) سورة الاعراف: ٩٩.

(٤) سورة يوسف: ٨٧.

عَبْدِهِ فَمِمَّن يَبتَغِي النَّوالَ، فَلا تَرُدَّ أَكفَّنا الـمُتضَرِّعَةَ إلَيْكَ

وانّه والرجاء ينبغي أن يكونا متساويين مطلقاً، وأمّا الرجاء البحت فمذموم.

قيل لسيّدنا الصادق عليه السّلام: انّ قوماً من مواليك يلمّون المعاصي، ويقولون: نرجوا، فقال: كذبوا أُولئك ليسوا لنا بموال أُولئك قوم رجّحت بهم الأماني، ومن رجا شيئاً عمل له، ومن خاف شيئاً هرب منه[1].

وقال بعض العارفين: الرجاء والخوف كجناح الطائر إذا استوى استوى الطائر وتمّ طيرانه، وإذا نقص أحدهما كان جازياً له، فيسقط على رأسه، واذا ذهب هلك الطائر. والى هذا المعنى أشار بعض شعراء العجم بقوله:

هركه راخوف ورجانيست زمين گيرشود

بكجامى رسد آن مرغ كه يک پر باشد

وقال أبو عثمان المغربي: من حمل نفسه على الرجاء تعطّل، ومن حمل نفسه على الخوف قنط، ولكن ينبغي أن يخاف العبد راجياً ويرجو خائفاً.

قوله: فلا تردّ أكفّنا المتضرّعة اليك.

الأكفّ جمع كف، وهي الراحة مع الأصابع، سمّيت بذلك لأنّها تكفّ الأذى عن البدن.

وفي القاموس: الكف اليد، أوالى الكوع، والجمع أكفّ وكفوف[2] انتهى.

وقال المرقش الأكبر يصف النساء:

النشر منك و الوجوه دنانير وأطـراف الأكـفّ عنم

والعنم: شجرة حجازيّة لها ثمرة حمراء شبّه بها البنان المخضوب[3].

---

(١) اصول الكافي ٢: ٦٨ ـ ٦٩، ح٦.

(٢) القاموس المحيط ٣: ١٩٠.

(٣) القاموس المحيط ٤: ١٥٥.

إِلَّا بِبُلُوغِ الآمالِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى أَشْرَفِ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

فإذا فرغت من القنوت، فاركع وتقول بعد رفع رأسك من الركوع:

هذَا مَقَامُ مَنْ حَسنَاتُهُ نِعْمَةٌ مِنكَ، وَسَيِّئاتُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَنبُهُ عَظِيمٌ وَشُكْرُهُ قَلِيلٌ، إلهِي طُمُوحُ الآمَالِ قَدْ خابَتْ إلَّا لَدَيْكَ، وَمعَاكِفُ الْهِمَمِ قَدْ تَقَطَّعتِ إلَّا عَلَيْكَ، وَمَذاهِبُ العُقُولِ قَدْ سَمَتْ إلَّا إلَيْكَ، فَإلَيْكَ الرَّجاء وَإلَيْكَ المُلتَجأُ، يَا أكرَمَ مَقْصُودٍ، وَيَا أَجْوَدَ مَسؤُولٍ، هَرَبْتُ إلَيْكَ بِنَفْسِي، يَا مَلْجأَ الْهَارِبِينَ بِأَثقَالِ الذُّنُوبِ، أَحْمِلُها عَلَى

هذا واسناد الضراعة الى الأكف اسناد الراضية الى العيشة، أي: المتضرّعة صاحبها.

قوله: الّا ببلوغ الآمال.

الأمل محرّكة الرجاء، وحقيقته ابتهاج النفس لانتظار ماهو محبوب عندها، فهو حالة لها تصدر عن علم ويقتضي عملاً.

وقيل: أكثر ما يستعمل الأمل فيما يستبعد حصوله، فانّ من عزم على سفر الى بلد بعيد يقول: أمّلت الوصول اليه. ولا يقول طمعت الّا اذا قرب منه، فانّ الطمع لايكون الا فيما قرب حصوله، وقد يكون الأمل بمعنى الطمع، والرجاء بين الأمل والطمع، فانّ الراجي قد يخاف أن لايحصل مأموله، ولهذا يستعمل بمعنى الخوف، فان قوي الخوف أُستعمل استعمال الأمل، وعليه قول زهير:

* أرجو وآمل أن تدنو مودّتها *

قوله: ويا أجود مسؤول هربت اليك بنفسي.

الهرب: الفرار، وهما مترادفان.

ظَهْري وَمَا أَجِدُ لي إلَيكَ شَافِعاً سِوَى مَعرفتِي بأنّكَ أَقربُ مَنْ رَجَاهُ الطَّالِبُونَ، وَلَجأَ إلَيْهِ المُضطَرُّونَ، وأَمَلَ مَا لَدَيْهِ الرَّاغِبُونَ، يَا مَنْ فَتَقَ العُقُولَ بِمَعرفَتِهِ، وأَطلَقَ الأَلسُنَ بِحَمْدِهِ، وَجَعَلَ ما امتَنَّ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ

والظاهر أنّ الباء في «بنفسي» للمصاحبة، وهي مؤكّد بهربت، وفي «بأثقال الذنوب» للسببيّة أو المعيّة، والمهروب عنه محذوف، وهو عقاب الله وعذابه وغضبه وسخطه، وكذلك مهروب اليه، وهو رحمته ومغفرته في «اليك» فيكون بحذف المضاف.

وذلك لأنّ هرب العبد الى الله تعالى على مراتب:

فأوّلها: الهرب من بعض آثاره الى بعض، كالهرب من أثر غضبه الى أثر رحمته، كما قال تعالى حكاية عن المؤمنين في التضرّع اليه «ربّنا ولا تحمّلنا ما لاطاقة لنا به واعف عنّا واغفرلنا وارحمنا»[1] الآية، فكأنّهم لم يروا الّا الله تعالى وأفعاله، فهربوا من بعضها الى بعض.

الثانية: أن يفنى العبد عن مشاهدة الأفعال، ويترقّى في درجات القرب والمعرفة الى مصادر الأفعال وهي الصفات، فيهرب من بعضها الى بعض. كما ورد عن زين العابدين عليه السَّلام: اللهمّ اجعلني أُسوة من قد انتهضته بتجاوزك عن مصارع المجرمين، فأصبح طليق عفوك من أثر سخطك. والسخط والعفو صفتان، فاستعاذ باحداهما من الأُخرى.

الثالثة: أن يترقّى عن مقام الصفات الى ملاحظة الذات، فيهرب منها اليها، كقوله تعالى «لاملجأ من الله الّا اليه»[2] وكالوارد في الدعاء في القيام

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٢) سورة التوبة: ١١٨.

كَفاءً لتَأدِيَةِ حَقِّهِ، صلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلاَ تَجْعَلْ لِلهُمُومِ[١] عَلى عَقلِي سَبِيلاً، وَلاَ لِلْباطِلِ عَلَى عَمَلِي دَلِيلاً، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ.

ثمّ تسجد السجدتين وتتشهد، فإذا سلّمت فسبّح تسبيح الزهراء عليها السَّلام، ثمّ تدعو بهذا الدعاء المعروف بدعاء الحزين:

أُناجِيكَ يَا مَوجُودُ فِي كُلِّ مكَانٍ لَعلَّكَ تَسمَعُ نِدَائي، فَقَدْ عَظُمَ

الى الصلاة «منك وبك ولك واليك» أي: منك بدء الوجود، وبك قيامه، ولك ملكه، واليك رجوعه، ثمّ أكّد ذلك بقوله «لا ملجأ ولا منجى ولا مفرّ منك الّا اليك».

ولا يخفى أنّ ما نحن فيه من المرتبة الاولى؛ إذ المراد أنّه هرب من عقاب الذنوب وهو أثر الغضب الى كنف حمايته وهو أثر الرحمة، فتأمّل.

قوله: في كلّ مكان.

الظاهر أنّه متعلّق بموجود. ويمكن تعلّقه بـ«أُناجيك» فتأمّل.

قوله: لعلّك تسمع ندائي.

سماع قبول واجابة، والّا فهو سبحانه سميع لايشغله صوت عن صوت، ولا شأن عن شأن، وهو الذي يسمع السرّ والنجوى، سواء عنده الجهر والخفوت والنطق والسكوت، ونعم ماقال من قال:

آنى تو كه حال دل نالان دانى احوال دل شكسته بالان دانى

---

(١) للهمّ: خ ل.

جُرْمي وَقَلَّ حَيَائي، مَولاَيَ يا مولاَيَ أيَّ الأهْوال أتَذكَّرُ وَأيُّها أنسى، وَلَوْ لَمْ يكُنْ إلَّا المَوْتُ لكَفَى، كَيْفَ وَمَا بَعْدَ الْمَوت أعْظَمُ وأدْهَى. مَولاَيَ يَا مَولاَيَ، حتَّى مَتَى وَإلَى مَتَى أقُولُ لَكَ العُتْبَى مرَّةً بَعْدَ أُخرَى، ثُمَّ لاَ تَجِدُ عِنْدِي صِدْقاً وَلاَ وَفاءً، فَياغَوثَاهُ ثُمَّ وَاغوثَاهُ بكَ يا الله مِنْ هَوىً قَدْ غَلَبَنِي، وَمنْ عَدُوٍّ قَدْ اسْتكلَبَ عَلَيَّ، وَمنْ دُنْياً قَدْ تَزَيَّنتْ

گر خوانمت از سينهٔ سوزان شنوى گــر دم نــزنم زبــان لالان دانى

فيكون المراد بالسماع الاجابة والقبول، وهو في الاستعمال شائع، يقال: فلان سامع، أي: سامع لما يؤمر به كائناً ما كان سمع طاعة وقبول، ومنه قوله تعالى «واتّقوا الله واسمعوا»[1].

وقال بعض العلماء: أصل السماع الاصغاء، لكنّهم استعملوه في الاجابة وقبول الأمر كثيراً، كما تقول: سمع فلان ماقلت له، ومنه قولهم سمع القاضي البيّنة، أي: قبلها، والنداء والدعاء متقاربان بل مترادفان؛ لأنّ الدعاء لغة النداء والاستدعاء، تقول: دعوت فلاناً إذا ناديته وصحت به، لأنّ أصله الصياح.

قوله: من عدوّ قد استكلب عليّ.

الأعداء أربعة: الهوى، والدنيا، والشيطان، والنفس الأمّارة بالسوء. وهذه الأربعة مجموعة في هذا الدعاء، فانظر اليه كيف خرج عند ذكر هؤلاء مخرج الاستغاثة، ولا تكون الاستغاثة الّا ممّن يخاف على نفسه من أشدّ الأعداء القهر والابتلاء، ومن استسلم في قبض عدوّه هلك لامحالة، فعليك بالدعاء

---

(١) سورة المائدة: ١٠٨.

لِي، وَمِنْ نَفْسٍ أَمَّارةٍ بالسُّوء إلَّا مَا رَحِمَ رَبّي، مَولاَيَ يَا مَولاَيَ إنْ

والتضرّع واحياء الليلة، لعلّك تنجو من تلك المهالك.

والمراد بالهوى مايحكم الطبع بملائمته، ولا يراعي فيه المآل، بل يخالف العقل والشرع بمعونة الوهم والخيال، فيختار العاجل وان كان فانياً دون الآجل ولو كان باقياً. وفي الحديث: أبغض اله عبد في الأرض الهوى والشيطان، فعداوته ظاهرة.

فعاص هوى النفس التي ما أطاعه أخو ضلة الّا هوى من عقابه

وأمّا الشيطان، فهو أصل كلّ عدوّ يعادي معاداة جوهريّة، وقد حذّرنا الله منه غاية التحذير، فقال «انّ الشيطان لكم عدوّ فاتّخذوه عدوّاً»[1].

واستكلابه عبارة عن كونه سبعيّ الطبع خبيثاً قاصداً الى الاضرار، عادياً كلّ أحد، بغيضاً الى كلّ نفس، هارشاً كلّ انسان.

وأمّا الدنيا فغرور، وهي رأس كلّ خطيئة، والى زينتها يشير قوله تعالى «زيّن للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضّة والخيل المسوّمة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب»[2].

وأمّا النفس الأمّارة بالسوء الميّالة الى الشرّ، فانّها في حال الشهوة بهيميّة، وفي الغضب سبع، وفي المصيبة طفل، وفي النعمة فرعون، وفي الشبع تراها محتالة، وفي الجوع مجنونة، ان أشبعتها بطرت، وان أجعتها صاحت وجزعت، واذا همّت بمعصية وانبعثت لها شهوة لو تشفّعت اليها بالله ثمّ برسله وأنبيائه

---

(١) سورة فاطر: ٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٤.

كُنْتَ رَحِمْتَ مِثْلِي فَارْحَمْنِي، وَإنْ كُنْتَ قَبِلْتَ مِثْلِي فاقْبَلْنِي، يَا قَابِلَ السَّحرَةِ اقْبِلْنِي، يَا مَنْ لَمْ أَزَلْ أَتعَرَّفُ مِنهُ الحُسْنى، يَا مَنْ يُغذِّيني بالنّعم صَباحاً وَمَساء، ارْحَمْني يومَ آتيكَ فَرداً شاخِصاً إليكَ بَصَري، مُقلَّداً عَمَلِي، قَدْ تبرَّأَ جَمِيعُ الخَلْقِ مِنِّي، نعمْ وأَبِي وَأُمّي، وَمَنْ كَانَ لَهُ كَدّي وَسَعْيي، فَإنْ لَمْ تَرْحَمْنِي فَمَنْ يَرحَمُ فِي القَبْرِ وَحشَتِي، وَمَنْ يُنْطِقُ لِسَانِي إذا خَلَوْتُ بِعَمَلِي وَسأَلتَنِي عَمَّا أَنْتَ أَعلَمُ بِهِ مِنِّي. فَإن قُلْتُ نَعَم فَأَيْنَ المَهرَبُ مِنْ عَدْلِكَ، وإنْ قُلْتُ لَم أَفعَلْ قُلْتَ أَلَمْ أَكُن الشَّاهِدَ عَلَيْكَ، فَعَفوَكَ عَفوَكَ يا مَوْلاَيَ قَبْلَ[1] سَرابيلَ القَطِرَان، عفوَكَ عَفوَكَ يا موْلاَيَ قَبْلَ أَن تُغلَّ الأَيْدِي إلَى الأَعْناقِ، يا أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ وَخَيْرَ الغَافِرِينَ.

وكتبه والملائكة المقرّبين لما أعطتك القيادة، ولا سكنت ولا تركت الشهوة، فايّاك والغفلة عنها طرفة عين أبداً.

قوله: يا قابل السحرة.

أي: سحرة موسى عليه السَّلام، أو مطلقاً بعد رجوعهم وانابتهم.

قوله: مقلّداً عملي.

اشارة الى قوله تعالى «وكلّ انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً»[2].

---

(١) أن تلبس الأبدان: خ ل.

(٢) سورة الاسراء: ١٣.

ثمّ تسجد وتقول:

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وارْحَمْ ذُلِّي بَيْنَ يَدَيْكَ، وتَضَرُّعي إِلَيْكَ، ووَحْشَتِي مِنَ النَّاسِ، وأُنسِي بكَ يا كَرِيمُ، يَا كَائناً قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ، يا مُكَوِّنَ كُلِّ شَيء، يا كَائناً بَعْدَ كُلِّ شَيءٍ، لاَ تَفْضَحْنِي فَإِنَّكَ بِي عَالِمٌ، وَلاَ تُعذِّبنِي فَإِنَّكَ عَلَيَّ قَادِرٌ. اَللّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ

قوله: وارحم ذلّي بين يديك.

حقيقة قول القائل جلست بين يدي فلان، أن يجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريباً منه، فسمّيت الجهتان يدين لكونهما على سمتها مع القرب منهما توسّعاً. والكلام هنا على طريقة التمثيل، شبّه حاله تعالى في اطّلاعه بحال الداعي وذلّه وتضرّعه بحال ملكٍ أُقيم بعض العصاة من رعيّته بين يديه، وهو ذليل متضرّع، فاستعير الكلام الموضوع للهيئة الثانية للأُولى من غير أن يتمحّل في شيء من مفرداته.

قوله: فانّك بي عالم الى آخره.

فان قلت: هذان التعليلان بظاهرهما غير مستقيمين، فانّ التفضيح والتعذيب انّما يكونان بعد العلم والقدرة، فانّ من لم يعلم بفضيحة كيف يفضح بها، ومن لم يقدر على أحد كيف يعذّبه به، فكيف صارا علّة لاستدعاء عدمهما؟

فالجواب عن الأوّل يستفاد ممّا قيل بالفارسيّة.

الهی توئی آگه از حال من	عیان است پیش تو احوال من
مرا شرم ساری ز روی تو بس	دگر شرم سارم مکن پیش کس

كَرب المَوت، وَمنْ سُوء الْمَرجع فِي الْقُبُور، وَمنَ النَّدامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وكذا الجواب عن الثاني يستفاد من قولهم «اذا ملكت فاسجح»[١] فتأمّل تعرف.

قوله: من كرب الموت.

كربة الموت شدّته، والاستعاذة من كربته استعاذة ممّا يوجبها من الذنوب والمعاصي، والاّ فكربته كفّارة للمؤمن من ذنوبه لاينبغي الاستعاذة منها؛ لأنّ عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

قيل لمولانا الصادق عليه السَّلام: إنّ قوماً يقولون: انّ الموت أشدّ من نشر بالمناشير، وقرض بالمقاريض، ورضخ بالحجارة وتدوير قطب الأرحية في الأحداق.

فقال: كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين، ألا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد؟ فذلكم الذي هو أشدّ من هذا ومن عذاب[٢] الدنيا.

قيل: فما لنا نرى كافراً يسهل عليه النزع، فينطفي وهو يتحدّث ويضحك ؟ وفي المؤمنين من يكون أيضاً كذلك، وفي المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد؟

قال: ما كان من راحة هناك للمؤمنين، فهو عاجل ثوابه. وما كان من شدّة، فهو تمحيصه من ذنوبه، ليرد الى الآخرة نقياً مستحقّاً لثواب الله، ليس له مانع دونه. وما كان من سهولة هناك على الكافرين، فليتوفى أجر حسناته في الدنيا، ليرد الى الآخرة وليس له الاّ مايوجب العذاب. وما كان من شدّة

---

(١) أسجح الوالي: أحسن العفو، يقال إذا سألت فاسجح، أي سهّل ألفاظك وارفق.

(٢) في العيون: هو أشدّ من هذا الأمر عذاب الاخرة، فانّه أشد من عذاب.

أَسأَلُكَ عِيشَةً هَنِيئَةً، وَمِيتَةً سَوِيَّةً، وَمُنقَلباً كَرِيماً، غَيرَ مُخْزٍ وَلاَ فَاضِحٍ. اَللّهُمَّ مَغْفِرَتُكَ أَوسَعُ مِنْ ذُنُوبِي، وَرَحْمَتُكَ أَرجَى عِنْدِي مِنْ عَمَلِي، فَصَلِّ عَلَى مُحمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، واغْفِرْ لِي يَا حَيّاً لاَ يَمُوتُ.

هناك على الكافر، فهو ابتداء عقاب الله ونفاد حسناته، ذلكم بأنّ الله عدل لا يجور[١].

وعنه عليه السّلام: انّ الله يأمر ملك الموت، فيردّ نفس المؤمن، ليهوّن عليه ويخرجها من أحسن وجهها، فيقول الناس: لقد شدّد على فلان الموت، وذلك تهوين من الله عليه.

وقال: يصرف عنه اذا كان ممّن سخط الله عليه، أو ممّن أبغض الله أمره، أن يجذب الجذبة التي بلغتكم بمثل السفّود من الصوف المبلول، فيقول الناس: لقد هوّن الله على فلان الموت[٢].

أُريد بردّ النفس ابطاؤه في الاخراج، كأنّه يخرجها تارة ويردّها أُخرى، وبصرفها عنه اخراجها بغتة. والسفّود كتنور حديد يشوى بها.

قوله: أسألك عيشة هنيئة.

كلّ أمر يأتيك من غير تعب فهو هنيء.

قوله: اللهمّ مغفرتك أوسع من ذنوبي.

ونعم ما قال في هذا المعنى بالفارسيّة سيّدنا الأمير نجات.

كنهت سخت عظيم است بچشم تونجات

وسعت رحمت حق راتوچه پنداشته اى

---

(١) عيون اخبار الرضا عليه السّلام ١:٢٧٤ - ٢٧٥.

(٢) فروع الكافي ٣:١٣٥ - ١٣٦.

توضيح:

«تعرّض لك» أي: تصدّى لطلب عفوك وإحسانك. فالفقرة الثانية والثالثة كالمفسّرة للفقرة الأُولى «وعدت عليه بعائدة من عطفك» عدت بضم العين المهملة وبعدها دال مهملة يقال عاد عليه بعائدة تكرّم عليه بمكرمة «وجُدْ عليَّ بطولك» الطول بفتح الطاء المهملة الفضل والغنى والقدرة «وأنت الله عماد السماوات والأَرض» عماد الشيء بالكسر مايقوم ويثبت به الشيء لولاه لسقط وزال.

«وأنت الله قوام السماوات والأَرض» قوام الشيء بالكسر عماده، فهذه الفقرة كالمفسّرة لما قبلها، وهو من قبيل قوله تعالى: «إن الله يمسك السماوات والأَرض أن تزولا»[١] وهو دليل سمعي على احتياج الباقي في البقاء إلى علّة مُبقية.

قوله: وأنت الله عماد السماوات والأَرض.

لـمّا كانت السماوات والأَرض قائمتين بقدرة الله وحفظه، كما قال: «ولا يؤده حفظهما»[٢] قيام السقف بالعمود شبّهه به تشبيهاً بليغاً، كقولك زيد أسد، وهذا معنى قوله «بغير عمدٍ ترونها»[٣] يعني أنّ لهما عمداً ولكنّكم لا ترونها لكونها غير مرئيّة.

قوله: الى علّة مبقية.

فدلّ على أنّ علّة الحاجة الى المؤثّر هي الامكان فقط، كما هو مذهب

---

(١) سورة فاطر: ٤١.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٣) سورة الرعد: ٢.

«وأنت الله المرّوح» بالراء والحاء المهملتين اسم فاعل قريب من معنى المفرّج بالجيم.

«ولا تجعلني للبلاء غرضاً» الغرض بالغين المعجمة والراء المفتوحتين: الهدف.

«ولا لنقمتك نصباً» النصب بالنون والصاد المهملة المفتوحتين قريب من معنى الغرض[١].

«ولا تُتبعني ببلاء على أثر بلاء» تُتبع على وزن تُكرم، وأثر بكسر الهمزة وفتحها وإسكان الثاء المثلثة، يقال: خرجت على أثره أي: بعده بقليل.

«لك العتبى» بضم العين المهملة وإسكان التاء[٢] الفوقانيّة بمعنى المؤاخذة. والمعنى أنت حقيق بأن تؤاخذني بسوء أعمالي.

«أم من أهل السعادة خلقتني فأُبشِّر رجائي» أُبشّر بالباء الموحدة وتشديد

الحكماء ومن يحذو حذوهم، أو الامكان بشرط الحدوث لا الحدوث، والّا لما احتاج اليها بعد حدوثه.

قوله: ولا لنقمتك نصباً.

النقمة بالكسر وبالفتح وكفرحة المكافاة بالعقوبة، نقم منه عافية. وكلّ ما رفع واستقبل به شيء فقد نصب، والنصب بالتحريك العلم المنصوب، شبّه الله تعالى بالرامي ونقمته بالسهم ونفسه بما ينصب ليرمي اليه، ولك أن تقول: في الكلام استعارة تمثيليّة، وكذا الكلام في الفقرة السابقة.

---

(١) الهدف: خ.

(٢) المثناة: خ.

الشين المعجمة من البشارة، والكلام استعارة، وربما يقرأ بالنون الساكنة والشين المعجمة المضمومة، أي: أبسط رجائي وأكثره.

«أم لضرب المقامع خلقت أعضائي» المقامع جمع مقمعة بكسر الميم وإسكان القاف شيء كالعمود يضرب به. قال الله تعالى في صفة عذاب أهل النار: «وَلَهُم مَقامعُ مِنْ حَدِيد»[١].

«أم لشرب الحميم خلقت أمعائي» الحميم: الماء الشديد الحرارة. والأمعاء جمع مِعَى بالكسر، وبالقصر مَعْي، وهو ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة. والظاهر أنّ المراد بالأمعاء هنا مايشمل المعدة وسائر الأحشاء أيضاً.

«ما أنا وما خطري» الخطر بالخاء المعجمة والطاء والراء المهملة المفتوحتين القدر والمنزلة، والاستفهام للتحقير.

قوله: والكلام استعارة.

مكنيّة وتخييليّة، حيث شبّه الرجاء بالمبشّر ثمّ أثبت له البشارة.

قوله: المقامع جمع مقمعة.

في نهاية ابن الأثير: المقمعة بالكسر واحدة المقامع، وهي سياط تعمل من حديد رؤوسها معوجة[٢]، ويقال لها بالفارسيّة كجك.

قوله: ما أنا وما خطري.

هذا استرحام بطريق الذلّة والمسكنة، يعني انّي لا قدر لي ولا منزلة، ومن ليس له قدر ولا منزلة إذا خالف من له قدر عظيم ومنزلة رفيعة لا يؤاخذه بل

---

(١) سورة الحج: ٢١.

(٢) نهاية ابن الأثير ٤: ١٠٩ - ١١٠.

«ارحمني مصروعاً» بالمهملات، أي: مُلقىً على الأرض.

«إلهي طموح الآمال قد خابت إلّا لَديك» طموح بالطاء المهملة المضمومة وآخره حاء مهملة جمع طامح، كقعود جمع قاعد، من طمح بمعنى ارتفع. والمراد

يسامحه، لأنّه ليس من أهل المكافحة؛ بل هو من أهل المسامحة، ولذلك لا يؤاخذ العظماء السفهاء إذا خالفوهم، بل يسامحونهم ويصفحون عنهم، ونعم ماقيل في هذا المعنى بالفارسيّة:

من كيستم و گناه من چيست　　　تا مانع رحمت تو باشد

وليس هذا استصغاراً للذنوب في نفسها، بل هو استصغار لها بالاضافة الى رحمة الله التي وسعت كلّ شيء.

قوله: ارحمني مصروعاً.

الصرعة بفتح الصاد وسكون الراء مصدر صرعه إذا رماه وألقاه على الأرض، ومنه المصروع وهو المخبّل الفاسد العقل، لمرض يعرض له في العقل والفكر، فيورثه اضطراباً كالجنون فيلقيه على الأرض. والعامّة يزعمون أنّ الشيطان يخبطه فيصرع، وبعضهم يظنّون أنّ الجنّي يمسّه فيختلط عقله.

قوله: كقعود جمع قاعد.

وجلوس جمع جالس، ومنه حديث ابن عبّاس: كنّا جلوساً عند رسول الله صلّى الله عليه وآله، الحديث. ومنه قوله تعالى «فاذكروا الله قياماً وقعوداً»[1] أي: قائمين وقاعدين.

---

(١) سورة النساء: ١٠٣.

أنّ الآمال الطامحة، أي: المرتفعة العظيمة قد خابت إلّا آمالنا العظيمة عندك ، كالعفو عن ذنوبنا التي استوجبنا بها أليم العقاب، وإدخالنا الجنّة تفضّلاً من غير استيجاب.

«ومعاكف الهمم قد تقطّعت إلّا عليك» المعاكف جمع معكف، وهو مصدر بمعنى العكوف، أي: الإقامة. والمراد أنّ عكوفات الهمم وإقاماتها على باب كلّ أحد في طلب الإحسان منه قد تقطّعت وخابت إلّا عكوفاتها على باب جودك وإحسانك.

«ومذاهب العقول قد سمت إلّا إليك» المذاهب الطرق، وتطلق على الآراء أيضاً، وسَمَا إلى الشيء ارتفع إليه. والمراد أنّ طُرق العقول والآراء قد ارتفعت إلى الأشياء، أمّا إليك فقد قصرت عن الارتقاء وضلّت في بيداء العظمة والكبرياء.

قوله: انّ الآمال الطامحة.

أشار بذلك الى أنّ طموح الآمال من اضافة الصفة الى الموصوف.

قوله: في بيداء العظمة والكبرياء.

وذلك لأنّ حقيقة ذاته لا يعلم الّا بذكر مقوّماته ولا مقوّم له، إذ لا تركيب فيه، وانّما المعلوم منه سبحانه: امّا السلوب، أو الاضافات، وذاته مغايرة لهما؛ إذ المعلوم من قدرته سبحانه مثلاً أنّها أمر مستلزم للتأثير، فحقيقته مجهولة، والمعلوم منها ليس الّا هذا اللازم، فعلم أنّ صفاته كذاته غير معلومة، وانّ المعلوم منها ليس الّا هذه وهذه.

ولمّا ثبت أنّ العلم بهما لا يستلزم العلم بالحقيقة، ثبت أنّا لانعلم ذاته ولا صفاته التي هي عين ذاته، فلا مذاهب اليهما للعقول والأفهام، ولا يبلغ دون

«وجعل ما امتنّ به على عباده كفؤاً لتأدية حقّه» أي: جعل تكليفنا بعبادته مكافئاً لأداء حقّ نعمائه، مع أنّ تكليفنا بعبادته وتشريفنا بخدمته وجَعلنا أهلاً للقيام بها لطفاً جزيلاً بنا ومنَّة عظيمة علينا.

مبلغهما طائر الأوهام.

قوله: أي جعل تكليفنا بعبادته.

مطلق التكليف الشرعي وتفاصيل ذلك التكليف، كالصلاة والزكاة والحجّ والجهاد، الى غير ذلك من أنواع العبادات، منّة من الله على عباده. وكذلك كلّ عضو من الأعضاء وقوّة من القوى تكليف خاصّ به، كصرف النظر في مصنوعات الله وما أودع فيها من الدقائق والمصالح والحكم، ليستدلّ به على وجود مبدعه وصانعه تعالى شأنه العزيز، وعلى صفاته الثبوتيّة والسلبيّة، وصرف السمع في استماع المواعظ والنصائح، واستماع تلاوة القرآن والأوامر والنواهي، وصرف اللسان في الاذكار والأوراد والتسبيح والتقديس، الى غير ذلك من الأعضاء وتكاليفها، فتلك التكاليف كلّها منّة من الله جلّت منّته وعظمت نعمته على عباده، وجعلها مكافئة لتأدية حقّه.

وقد نبّهوا سلام الله عليهم على ذلك، حيث قالوا: من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه، فقد أدّى شكرها[١] هذا بالنسبة الى الجنان.

وعن صفوان الجمّال عن سيّدنا أبي عبدالله الصادق عليه السّلام قال: قال لي: ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت، فقال: الحمد لله، الاّ أدّى شكرها[٢]. هذا بالاضافة الى اللسان.

---

(١) اصول الكافي ٢:٩٦، ح١٥.

(٢) اصول الكافي ٢:٩٦، ح١٤.

ألا ترى أنّ الملك العظيم إذا شرّف شخصاً بخدمته وجعله أهلاً لمخاطبته، فإنّ ذلك الشخص يعدُّ ذلك من عظيم ألطاف ذلك الملك به وجزيل منّته عليه؟ فهو سبحانه لوُفور كرمه جعل بعض نعمائه التي مَنَّ بها علينا ووفقنا لها شكراً ومكافأةً منّا لبعض نعمائه الأُخرى. ومع ذلك قد وعدنا عليها ثواباً جزيلاً في الآخرة، فسبحانه سبحانه ما أعلى شأنه وأعظم امتنانه.

«ومن عدوّ قد استكلب عليَّ» أي: وثب عليَّ، وفيه تشبيه له بالكلب،

وعن ابن مسكان عنه عليه السَّلام: انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان في سفر يسير على ناقة له، إذ نزل فسجد خمس سجدات. فلمّا ركب قالوا: يارسول الله انّا رأيناك صنعت شيئاً لم تصنعه، فقال: نعم استقبلني جبرئيل عليه السَّلام فبشّرني ببشارات من الله عزّوجلّ، فسجدت لله شكراً لكلّ بشرى سجدة[١].

وعنه عليه السَّلام: إذا ذكر أحدكم نعمة الله عزّوجلّ، فليضع خدّه على التراب شكراً لله، فان كان راكباً فلينزل فليضع خدّه على التراب، وان لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع خدّه على قربوسه، فان لم يقدر فليضع خدّه على كفّه، ثمّ ليحمد الله على ما أنعم الله عليه[٢]. وهذان بالقياس الى اللسان وسائر الأركان.

قوله: من عدوّ قد استكلب عليّ.

قد سبق أنّ المراد بهذا العدوّ الشيطان.

وقوله «قد استكلب عليّ» أي: طلب اللجاج والحرص والشدّة من نفسه

---

(١) اصول الكافي ٢:٩٨، ح٢٤.

(٢) اصول الكافي ٢:٩٨، ح٢٥.

وربما يقال: إنّ فيه إشارة إلى أنّ عـداوته على الأُمور الدنيوية، فـإنّ الدنيا جيفة وطالبوها كلاب.

«قبل سرابيل القطـران» تلميـح إلى قوله تـعالى: «وَتَرى المُجرمِينَ يَومئِذٍ مُقرَّنِينَ فِي الأَصفَاد سَرابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ»[1] والسرابيل جمع سربال وهو القميص. والقطران بكسر الطاء عصارة شديدة النّتن والحدّة يُطلى بها الجمل الأجرب، فتُحرق جَربه لحِدَّتها، ومن شأنه أن تشتعل النار فيما يطلى بها بسرعة. وروي أنّه يطلى بها جلود أهل النار إلى أن تصير لهم بمنزلة القمصان، فيجتمع عليهم لدغها وحدّتها مع احتراق النار نعوذ بالله من ذلك.

«وميتة سوية» بكسر الميم، والمراد بالميتة السوية الموت بعد حصول

عليّ، يقال: كلب الدهر على أهله اذا لجّ عليهم واشتدّ، فلا اشارة فيه الى أنّ متعلّق عداوته الأُمور الدنيويّة، فليتأمّل.

قوله تعالى: سرابيلهم من قطران.

في القاموس: القطران بالفتح والكسر وكظربان عصارة الأبهل والارز ونحوهما[2].

وفيه: الأبهل حمل شجر كبير ورقه كالطرفاء وثمره كالنبق، وليس بالعرعر كما توهّم الجوهري، دخانه يسقط الأجنّة سريعاً، ويبرىء من داء الثعلب، مطلاً بخلّ، وبالعسل ينقي القروح الخبيثة[3]، انتهى.

---

(١) سورة إبراهيم: ٥٠.

(٢) القاموس المحيط ٢: ١١٩.

(٣) القاموس المحيط ٣: ٣٣٩.

الاستعداد لنزوله والتهيّوء لحلوله، من تقديم التوبة، وقضاء الفوائت، والخروج من حقوق الناس الماليّة والعرضيّة وغيرها.

فصل

وبعد فراغك من مفردة الوتر وما يتعلق بها تقوم إلى ركعتي الفجر وتسمّيان الدساستين لدسّهما في صلاة الليل، كما رواه شيخ الطائفة في التهذيب ـ بسندٍ صحيحٍ ـ عن الرّضا عليه السّلام أنّه قال: أُحشوا بهما صلاة الليل[1].

قوله: وقضاء الفوائت الى آخره.

ظاهر كلامه هذا يفيد أنّ قضاء الفوائت وأداء الحقوق والتمكين من القصاص والحدّ ونحو ذلك، ليس شرطاً في صحّة التوبة، بل هذه واجبات برأسها، والتوبة صحيحة بدونها، واليه ذهب أصحابنا الاماميّة، و وافقهم عليه الأشعريّة.

قال الآمدي: إذا أتى بالمظلمة كالقتل والضرب مثلاً، وجب عليه أمران: التوبة، والخروج عن المظلمة، وهو تسليم نفسه مع الامكان ليقتصّ منه، ومن أتى بالتوبة فقد أتى بأحد الواجبين، فلا تكون صحّة ما أتى به متوقفة على الاتيان بالواجب الآخر، كما لو وجب عليه صلاتان فأتى باحداهما دون الأُخرى.

وذهبت المعتزلة الى أنّ ردّ المظالم شرط في صحّة التوبة، فلا تصحّ التوبة عن مظلمة دون الخروج عنها، كردّ المال أو الاستبراء منه، أو الاعتذار الى المغتاب واسترضائه ان بلغته الغيبة ونحو ذلك.

والحقّ ماذهب اليه أصحابنا، كما أشار اليه الشيخ قدّس سرّه.

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ١٣٢.

والظاهر امتداد وقتهما إلى طلوع الحمرة، كما تضمّنه بعض الروايات، وكما قال به جماعة من علمائنا قدّس الله تعالى أرواحهم. وإنّ أفضل أوقاتهما مابين طلوع الفجرين، وتقرأ في الأُولى بعد الحمد سورة الجحد، وفي الثانية التوحيد. فإذا سلّمت فاضطجع على يمينك مستقبلاً القبلة، كالملحود، وضع خدّك الأيمن على يدك اليمنى، وقل:

إسْتَمْسَكْتُ بِعُرْوَةِ اللهِ الْوُثْقَى الَّتِي لاَ انْفِصامَ لَهَا، واعْتَصَمْتُ

قوله: كما تضمّنه بعض الروايات.

كصحيحة علي بن يقطين عن أبي الحسن عليه السّلام[1]. وهذا هو المشهور بين الأصحاب.

وظاهر ابن الجنيد والشيخ في كتابي الأخبار انتهاء الوقت بطلوع الفجر الثاني، كصحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السّلام قال: سألته عن ركعتي الفجر قبل الفجر أو بعد الفجر؟ فقال: قبل الفجر انّهما من صلاة الليل ثلاث عشرة ركعة[2]. وحمل على الاستحباب توفيقاً بين الروايات.

قوله: وان كان أفضل أوقاتها مابين طلوع الفجرين.

قد قدّمنا في فواتح الكتاب أنّ الأفضل تأخيرهما حتّى يطلع الفجر الأوّل، كما تدلّ عليه صحيحة عبدالرحمان بن الحجّاج[3]، فتذكّر.

قوله: استمسكت بعروة الله الوثق.

عروه چوب كجى را گويند كه بر سر ريسمان بار بندند.

---

(١) تهذيب الاحكام ٢: ٣٤٠، ح٢٦٥.

(٢) تهذيب الاحكام ٢: ١٣٣، ح٢٨١.

(٣) تهذيب الاحكام ٢: ١٣٤، ح٢٩١.

بِحَبْلِ الله الْمَتينِ، وأَعُوذُ بالله مِنْ شَرِّ فَسقَةِ العَرب وَالعَجَم، وَمنْ شَرِّ فَسقَةِ الْجِنِّ وَالإنْسِ، رَبِّي الله رَبِّي الله رَبِّي الله، آمَنْتُ بالله، وَتوكَّلتُ

والوثق مؤنّث أوثق، أي: طلبت الامساك من نفسي بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق؛ اذ لو كانت العروة وثيقة والحبل غير وثيق لاينفع التمسّك بعروته، وهي مستعارة لمتمسّك الحقّ من النظر الصحيح والرأي القويم.

«ولا انفصام لها» أي: لا انقطاع، يقال فصمته فانفصم اذا كسرته، والفصم ابانة الشيء من غير انفصال، والقصم ابانته معه، وفيه تلميح الى قوله تعالى «فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها»[1] واشارة الى أنّ التي مضمرة في نظم الآية، فانّ العرب تضمر التي والذي ومن ونحوها، ويكتفى بصلاتها عنها.

والمراد بحبل الله كتابه، كما ورد في صفة القرآن: كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض[2]. أي: نور ممدود، يعني نور هداه. وفي خبر آخر: وهو حبل الله المتين[3]، أي: عهده وأمانه الذي يؤمن من العذاب. والحبل: العهد الميثاق.

وفي الكلام استعارة مصرّحة، حيث أنّه استعار له الحبل، من حيث أنّ التمسّك به سبب للنجاة عن الردى، كما أنّ التمسّك بالحبل سبب للسلامة عن التردّي، واستعار للوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام والتمسّك ترشيحاً للمجاز «فاعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا»[4].

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السّلام ٢: ٣١، ح٤٠.

(٣) نهج البلاغة: ٢١٩، رقم الخطبة: ١٥٦.

(٤) سورة آل عمران: ١٠٣.

عَلَى اللهِ، وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إلَّا بالله، ومَنْ يَتوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسبُهُ، إنَّ الله بَالِغُ أَمره، قَدْ جَعلَ الله لِكُلِّ شَيءٍ قَدْراً، حَسْبِيَ الله ونعمَ الْوَكيلُ. اَللَّهُمَّ مَنْ أَصبحَ وَلَهُ حَاجَةٌ إلَى مَخلُوقٍ، فَإنَّ حاجَتِي ورَغْبَتِي إلَيْكَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْحَمْدُ. الْحمْدُ لله رَبِّ الصَّباحِ،

قوله: ومن يتوكّل على الله فهو حسبه.

التوكّل أن يفوّض العبد جميع مايصدر عنه ويرد عليه على الله تعالى، لأنّه أقوى وأقدر، ويصنع ماقدر عليه على أحسن وأكمل، ثمّ يرضى بما فعل، وهو مع ذلك يسعى ويجهد فيا وكّله اليه، ويعدّ نفسه وعلمه وقدرته وارادته من الأسباب والشروط المخصّصة لتعلّق قدرته تعالى وارادته لما صنعه بالنسبة اليه. «با توكّل زانوى اشتر ببند».

وسئل أبو الحسن الأوّل عليه السّلام عن قوله تعالى «ومن يتوكّل على الله فهو حسبه»[١] فقال: التوكّل على الله درجات، منها أن تتوكّل على الله في أُمورك كلّها، فما فعل بك كنت عنه راضياً، تعلم أنّه لا يألوك خيراً وفضلاً، وتعلم أنّ الحكم في ذلك له، فتوكّل على الله بتفويض ذلك اليه وثق به فيها وفي غيرها[٢].

وفي الحديث: من سرّه أن يكون أقوى الناس فليتوكّل على الله[٣].

«انّ الله بالغ أمره» أي: منفّذ أمره في من يتوكّل عليه «قد جعل الله لكلّ شيء قدراً» أي: مقداراً وأجلاً لا زيادة فيه ولا نقصان.

---

(١) سورة الطلاق: ٣.

(٢) اصول الكافي ٢: ٦٥، ح٥.

(٣) مجمع البيان ٥: ٣٠٦.

الـحَمْدُ لله فَـالِقِ الإِصْبَـاحِ، الْحَمدُ لله نـاشِرِ الأَرْواحِ، الْحَـمْدُ لله قَاسِمِ المَعَاشِ، الـحَـمْدُ لله جاعِلِ اللَّـيْلِ سكَناً، والشَّـمسِ وَالقَمر حُسْبـاناً، ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزيز الْعَلِيم.

اَللّـهُمَّ صلِّ عَلى مُـحَمَّـدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، واجْعَـلْ فِي قَـلْبي نُوراً، وَفي

قوله: واجعل في قلبي نوراً الى آخره.

انّما استـدعىٰ نوراً للقـلـب لـيدرك به الأشياء كما هي، فـانّـها لا تعمى الأبصار ولكن تـعـمـى الـقلوب التي في الصدور. وكـذلـك نـور الـبصر، الّا أنّ الأوّل معقول بعين البصيرة، والثاني محسوس بعين البصر، ونور اللسان لينطق به بالحقّ، ويجتنب به عن الباطل.

وانّما اسـتدعـىٰ أنوار الجـهات السـتّ لـيدرك بها مابها، أو يدرك بـنورها القـدّام والخلـف الأشياء الحـاليّـة والآتيـة والدنيـويّة والاخـرويّة. وبـنور اليمين والشمال ما في جـهتي الجنوب والشـمال. وبنور الفوق والتـحت ما في العلى الى الثرى من السماويّات والأرضيّات.

وبالجملة مـن كان محاطاً بنور الله من جميع الجهات، فهو يدرك به الأشياء من جميع الجهات «ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور»[١].

والمـراد بالنـاس: إمّا الكـامـلون منهم، أو مطـلقاً، فطـلـب النور على الأوّل ليمشي به في مماشهم الروحـاني من ادراك النظريّات، وعلى الثاني لـيعمل به ما لابدّ مـن العمل به في المـعاش، لأنّ الانسـان مدنيّ الطبع، فـلابدّ لـه من عقل المعاش. فـالأوّل اشارة إلى الحكمة النظـريّة، والثـاني الى العملـيّة، ولا يبـعد أن يراد به مايعمّهما.

---

(١) سورة النور: ٤٠.

بَصرَي نُوراً، وَعَلَى لِسَاني نوراً، وَمِنْ بيْن يَدَيَّ نُوراً، وَمنْ خَلْفِي نُوراً، وَعَنْ يَمِيني نُوراً، وَعَنْ شِمَالِي نُوراً، وَمنْ فَوقي نُوراً، وَمنْ تَحْتِي نُوراً، وأَعظِمْ لِيَ النُّورَ، واجْعَلْ لِي نُوراً أَمشِي بهِ فِي النَّاسِ، وَلاَ تَحْرِمْني نُورَكَ يَوْمَ الْقِيامَةِ.

وأمّا نور الله يوم القيامة، فهو ما أشار اليه بقوله «يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم»[١] الآية.

قال الراغب: النور الضوء المنتشر الذي يعين على الابصار، وهو ضربان: دنيويّ وأُخرويّ، فالدنيوي ضربان: ضرب معقول بعين البصيرة، وهو ما انتشر من الأنوار الالهيّة، كنور العقل، ونور القرآن، ومنه «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين»[٢] ومحسوس بعين البصر، وهو ما انتشر من الاجسام النيّرة، كالقمرين والنجوم النيّرات، ومنه قوله تعالى «يسعى نورهم بين أيديهم»[٣].

وظاهر كلامه يفيد أنّ الضوء والنور مترادفان، كما هو في اللغة.

وقيل: هو أقوى من النور، فهو فرط الانارة، وقد تسمّى تلك الكيفيّة ان كانت من ذات الشيء ضوء، وان كانت مستفادة من غيرها نوراً أخذاً من الآية المذكورة.

وقال صاحب الكشف: والتحقيق أنّ الضوء فرع النور، يطلق على الشعاع المنبسط، والنور يطلق على ما للشيء في نفسه، كالنور القائم بنفس الشمس، ولهذا يقع على الذوات الجوهريّة بخلاف الضوء،انتهى.

---

(١) سورة الحديد: ١٢.

(٢) سورة المائدة: ١٥.

(٣) مفردات الراغب: ٥٠٨.

ثمّ اقرأ آية الكرسي، والمعوِّذتين، والخمس من آل عمران «إنَّ فِي خَلق السَّماوات والأَرض، إلى قوله: إنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ». ثمّ تجلس وتسبِّح تسبيح الزهراء عليهاالسَّلام، ثمّ تقول مائة مرّة:

سُبحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِه أَستَغْفِرُ الله رَبِّي وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، ثمّ تقول سبع مرّات:

بِسْمِ الله الرَّحمنِ الرَّحِيمِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بالله الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

ثمّ تسجد سجدتي الشكر وتقول فيهما ما يسنح لك ممّا قدمناه، وادعُ فيهما لإخوانك المؤمنين، فتقول:

اَللّهُمَّ رَبَّ الْفَجْرِ وَاللَّيالِي الْعَشْرِ، والشَّفْعِ وَالوَترِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ، وَرَبَّ كُلِّ شَيءٍ، وَإِلَهَ كُلِّ شَيءٍ، وَخَالِقَ كُلِّ شَيءٍ، وَمَلِيكَ كُلِّ شَيءٍ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَافْعَل بِي وَبِفلانٍ وَبِفلانٍ ما

قوله: ربّ الفجر والليالي العشر.

قيل: أراد بالفجر النهار كلّه، وليال عشر العشر من ذي الحجّة، والشفع الخلق لأنّه قال «وخلقناكم أزواجاً»[١] والوتر هو الله تعالى.

وقيل: الشفع والوتر الصلاة منها شفع ومنها وتر.

وقيل: الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة.

وقيل: الشفع يوم التروية والوتر يوم عرفة، والكلّ مرويّ.

وفي حديث آخر: الشفع الحسن والحسين، والوتر أمير المؤمنين عليهم السَّلام.

والليل إذا يسر قيل: هي ليلة جمع[٢].

---

(١) سورة النبأ: ٨.

(٢) تفسير القمّي ٢: ٤١٩.

أَنْـتَ أَهـلُـهُ، وَلا تَفعَلْ بِنَـا مَـا نَـحْنُ أَهلُهُ، فـإنَّـك أَهـلُ الـتَّقوَى وأَهلُ الْمغْفِرَةِ.

فصل

وينبغي أن تدعو بـعد فراغك من صلاة الليـل، أعني: الثلاث عشرة ركعة، بما كان يدعو به سيّد العابدين عليه السَّلام وهو من أدعية الصحيفة الكاملة:

اَللّهُمَّ يَا ذَا المُلْكِ المُتأبِّدِ بِالخُلُودِ والسُّلطَانِ، المُمتَـنع بِغَيْر جُنُودٍ

قوله: وينبغي أن تدعو بعد فراغك من صلاة الليل.

قد سبق أنّ صلاة الليـل تطلق في الأحـاديث تـارة على الركـعات الثمان، وأُخـرى على الاحدى عشرة باضـافـة الشفع والوتـر، وأُخرى على الثلاث عشرة باضافة ركعتي الفجر.

وعلى هذا فيحـتـمل قراءة هذا الـدعـاء الذي كان يدعو بـه سيّد العابـدين عليه السَّلام بـعد الفراغ من صـلاة الليل بعد الثمان، وبعد الاحدى عشرة، وبعد الثلاث عشرة. فلـو نذر قراءته أو قراءة غـيره بعد صلاة الـليل، برأت ذمّتـه بعد كلّ منها ولم يقصد مـعيّناً. وانّما ذكره الشيخ ـ قدّس سرّه ـ بعد ركعتي الفجر، تبعاً للشيخ الطوسي في المصباح، وذكره الكفعمي بعد صلاة الوتر.

قوله عليه السَّلام: اللهمّ ياذا الملك المتأبّد بالخلود.

الملـك يطلق على السلطنـة، كما يطلـق على المملكة، فـانّ الموجودات كلّها مملكته سبحـانه وهو مالكها. والمـتأبّد الباقي على الأبد، وهو اسـتمرار الوجود في أزمنة غير متناهية في المستقبل.

والخلد: الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع.

وَلاَ أعْوانٍ، وَالْعِزِّ البَاقِي عَلَى مرِّ الدُّهُور وَخَوالِي الأَعْوام، وَمَواضِيَ الأَزْمانِ والأَيَّام، عَزَّ سُلْطانُكَ عِزّاً لاَ حَدَّ لَهُ بأَوَّليةٍ، وَلاَ مُنْتَهى لَهُ بآخِرِيَّةٍ، واستَعْلَى مُلكُكَ عُلوّاً سَقَطتِ الأَشياء دُونَ بُلوغ أَمَدِهِ، وَلاَ يَبْلغُ أَدْنَى مَا استأْثرْتَ بِهِ مِنْ ذٰلِكَ أَقصَى نَعْتِ النَّاعِتينَ، ضَلَّتْ فِيكَ الصِّفاتُ وَتفسَّخَتْ دُونَكَ النُّعُوتُ، وَحارَتْ فِي كِبْرِيائكَ لَطائفُ

وهذا على القول بأبديّة الجنّة والنار وأهاليها، وبقاء النفوس المجرّدة في عالم البرزخ الى يوم يبعثون، وهو الحقّ ظاهر.

وأمّا على القول بأنّ الله يفني الأشياء جميعاً، ثمّ يوجدها، فخلود ملكه باعتبار أن نسبة ذاته الى مملكته قبل انشائها وبعد فنائها نسبة واحدة لا تقدّم فيها ولا تأخر، فالكلّ حاضر عنده أزلاً وأبداً، لا باعتبار الوجود بل باعتبار وحدة نسبته الى الأزل والأبد، لتعاليه عن الزمان والمكان، فهو باعتبار ذاته وعلمه وقدرته على الممكنات وسلطنته عليها سلطان ومالك ، وجدت الموجودات أم لم توجد.

ومعنى كونه سلطاناً ممتنعاً قويّاً في نفسه، من غير جند ونصير، ولا عون وظهير على مرّ الدهور والأعوام الخالية، وكرّ الشهور والأزمان الماضية، ظاهر؛ إذ لا عجز له ولا نقصان، فلا حاجة له الى جند ولا أعوان.

قوله عليه السَّلام: ضلّت فيك الصفات الى آخره.

ضلّت أي عدلت ولم تهتد اليك .

وتفسّخت أي تقطّعت، وذلك لأنّ المعلوم منه سبحانه: أمّا السلوب، أو الاضافات، وذاته مغايرة لها؛ إذ المعلوم من قدرته مثلاً أنّها أمر مستلزم للتأثير، فحقيقتها مجهولة، والمعلوم منها ليس الاّ هذا اللازم. فتبيّن أنّ صفاته كذاته غير

الأَوهَام، كَـذلِكَ أَنْتَ اللهُ الأَوَّلُ فِي أَوَّلِيَّـتِكَ، وَعَلَى ذٰلِكَ أَنْتَ دَائِم لاَ تَزُولُ، وأَنـا الـعَبْدُ الضَّـعِيفُ عَـمَـلاً الْجَسِيـمُ أَمـلاً، خَرجَتْ مِـنْ يَدِي أَسبَابُ الوُصُلات إلَّا ما وَصلَـتْ رَحمَتُكَ، وَتَقطَّعتْ عَني عِصَـمُ الآمَالِ إلَّا مَـا أَنـا مُعتَصِمٌ بِهِ مِـنْ عَـفْوكَ، قَلَّ عِنْدِي ما أَعـتَـدُّ بِهِ منْ طاعَتِكَ،

معلومة، وانّ المعلوم منها ليس الّا السلوب والاضافات.

ولمّا ثبت أنّ العلـم بها لايستلزم العلم بالحقيقة، فثبت أنّا لا نعلم ذاته ولا صفاتـه التي هي عين ذاتـه، فكيـف نصفـه بالصفات أو نـنـعته بالنـعوت؟ وهو موقوف على تعقّلها كما هي، وهو بمراحل عن مدارك العقل الواهي.

والمراد بالأوهام العقـول، لأنّـها وان كانت في ادراك ماسوى الله كـامـلة بـالغة كنه الأشيـاء وحقائق الامور على ماهي عـليه في نفس الأمر، إلّا أنّها فيما يتعلّق بذات الله وصفـاته كالأوهام، حيث أنّهـا لا تبلغ كنه الامور وحـقيقتها، بل يحكم أحكاماً غير مطابقة للواقع.

ولطائف الأوهام من اضافة الصفة الى الموصوف.

قوله عليه السّلام: قلّ عندي ما أعتدّ به من طاعتك.

استئناف بـيانيّ، كأنّه قـيل: كيف خرجـت من يدك أسباب الوصلات وتقطّعت عنـك عصم الآمال؟ فقال: لأنّه ليس عندي ماأحسبه من جملة طاعة الله، لأنّهم كثيراً مايعبّرون بالقلّة عن العدم.

وباء بذنبه رجع، ومنه قوله تعالى «وباؤا بغضب من الله»[1] أي: رجعوا.

وقوله «ولـن يضيـق» أي: يشقّ عليك عـفو. وفيه استـعارة مكنيّـة، حيث

---

(١) سورة آل عمران: ١١٢.

وكَثُر[١] عَلَيَّ ما أبوء بِهِ مِنْ مَعْصِيَتِكَ ، وَلَنْ يَضِيقَ عَلَيْكَ عَفوٌ عَنْ عَبْدِكَ وَإنْ أساءَ، فاعْفُ عَنِّي اَللّـهُمَّ وَقَدْ أَشرَفَ عَلى خَفايا الأعـمالِ عِلْمُكَ ، وانكَشَفَ كُلُّ مَستُورٍ دون خُبركَ ، وَلاَ تَنطَوي عـنكَ دَقائقُ الاُمور، وَلاَ

شبّه العفو بالمكان وجعل الضيق تنبيهاً عليه، وانّما وضع الظاهر موضع الضمير، حيـث لم يقل عنّي لـلاستعطاف، فان لفظ «العـبـد» أدخل فيه من الضمير، وخاصّة إذا أُضيف الى المخـاطب. وفـيه مع ذلك اشارة إلى أنّـه تعـالى لايضيق عليه عفو عمّن اتّصف بعبوديّته أيّ عبد كان، فيكون اظهاراً لسعة عفوه الخاصّ المتـعلّق بالاساءة الخـاصّة، وهـي الاساءة مع الاصرار عليهـا وعدم التوبة منها، فـلا يرد أنّ العفو من غير سـابقة الاساءة، كما يفيده «انّ» الـوصليّة ممّا لامعنى له، فتأمّل.

قوله عليه السَّلام: وقد أشرف على خفايا الأعمال علمك الى آخره.

وقد أشرف أي: اطّلع وانكشف، أي: ظهر دون خبرك ، أي: عند علمك «ولا تنطوي» أي: ولا تختفي دقائق الامور غوامضها.

«ولا تعزب» أي: لا تغيب ولا تخفى.

والسرائر جمع سريرة. وفي الكشّـاف: هي ما أسـرّ في القلوب مـن العقـائد والنيّات وغيرها وما أخفي من الاعمال[٢]. والاضافة بيانيّة، أي: الغائبات من السـرائر. والحاصل أنّ علمـه تـعالى نافذ في كلّ خفـيّ ومستتر بحيث لايشذّ منه فرد منها.

---

(١) وكبر عندي: نسخة.

(٢) الكشاف ٤: ٢٤١.

تَغرُبُ عَنْكَ غَيِّباتُ[١] السَّرائر، وَقَدِ استَحوَذَ عَلَيَّ عَدُوُّكَ الَّذي استَنْظَرَكَ لِغوايَتي[٢] فأنظَرْتَهُ، واستَمهَلَكَ إلَى يَوْم الدِّين لإضلالي فأمهَلتَهُ فأوقَعَني، وَقَدْ هَرَبْتُ إلَيْكَ مِنْ صَغَائر ذُنُوبٍ مُوبقَةٍ، وَكبَائر أعْمَالٍ مُرديَةٍ، حَتّى إذا قارَفْتُ مَعْصِيَتَكَ، واستَوجَبْتُ بِسُوء سَعْيي سَخطَتَكَ[٣]، فَتلَ عنّي عِذارَ[٤] غَدْره، وَتَلقَّاني بِكَلمَةِ كُفره، وَتَولَّى

قوله عليه السَّلام: الذي استنظرك لغوايتي.

أي: غلبني واستمالني الى مايريده منّي، والاستنظار: الاستمهال، والغواية: الضلالة، أي: أستنظرك بقوله: ربّ فانظرني الى يوم يبعثون ليكون داعياً لضلالي. والفقرة الثانية كالتأكيد للأُولى.

والفاء في «فأوقعني» أي: أسقطني عاطفة للجملة على استحوذ، وجملة «وقد هربت» حاليّة، أي: أوقعني حال هربي اليك واقبالي عليك واعراضي عن الذنوب وعزمي على اجتنابها.

شبّه صورة تعويق الشيطان له عن النجاة من الذنوب والمعاصي بالاقبال عليه تعالى والاعراض عنها بصورة تعويق من أسقطه هارباً من مخوف وأوقعه على الأرض عن النجاة ممّا يخافه بالهرب عنه، فالمشبّه به هيئة منتزعة من الهارب، وطرحه على الأرض وتعويقه عن النجاة ممّا هرب عنه، والمشبّه هيئة منتزعة من نفسه.

(١) غائبات: خ.

(٢) لإغوائي: خ.

(٣) سخطك: نسخة.

(٤) عنان: خ.

الْبَرَاءة مِنِّـي، وأدبَـرَ مُولِّياً عنِّـي، فأصحَرَني لِغَضَـبكَ فَريداً، وأخرَجَـنِي إلَى فَناء نَـقْمَتِـكَ طريداً، لاَ شَفـيع يَشفَـعُ لِي إليْكَ، وَلاَ خَفيرَ يُـؤمِنُنِي عَلَيْكَ، وَلاَ حصْنَ يَحجُـبُني عَنكَ، وَلاَ مَلاذٌ أَلجَأُ إليـهِ مِنْكَ. فَهَذا مَقامُ الْعـائذِ بـكَ، وَمَحـلُّ الـمُعـتَرفِ لَـكَ، فَلاَ يَضِـيقَنَّ عَـنِّي فَضـلُكَ، وَلاَ يَقصُرَنَّ[١] دُوني عَفوُكَ، وَلاَ أَكُـنْ أَخيَـبَ عِبادِكَ التَّائبيـنَ، وَلاَ أَقنَطَ وُفُودكَ الآمِلينَ، واغْفِرْلِي إنَّكَ خَيْرُ الغَافِرِينَ.

اَللّهُمَّ إنَّك أمـرتَنِي فَتركْتُ، وَنَهيْتني فَركبْتُ، وَسوَّل لِيَ الْخَطايا[٢]

وفسخ الشيطان عزيمـته عن الفرار الى الله من الذنوب بتسويله وتعويقه عن اجتنابها والخلاص منها. والموبقة: المهلكة، وكذا المردية.

قوله: انّك أمرتني فتركت ونهيتني فركبت الى آخره.

أمرتني بالطاعة فتركتها، ونهيتني عن المعصية فركبتها أي باشرتها.

وسوّل أي: زيّن وحبّب لي الخطأ، وهو ضدّ الصواب، أو المراد به الاثم والذنب.

والخاطر ما يخطر بالبال، وينقسم الى حسن وقبيح، ولذا أضافه الى السوء بالضمّ وهو القبح.

والتفريط التضييع والتقصير، وتقديم المفعول على الفاعل للاعتناء به، لأنّه كان نصب عنه.

والليل والنهار مفعول بهما، أي: لا أطلب من نهار أن يشهد لي على صيامي

---

(١) يقصر: نسخة.

(٢) الخطأ: خ ل.

خَاطِرُ السُّوءِ فَفرَّطتُ، وَلاَ أَستَشْهِدُ عَلَى صِيَامِي نَهَاراً، وَلاَ أَستَجِيرُ بِتَهَجُّدِي لَيْلاً، وَلاَ تُثْنِي عَلَيَّ بإحْيائها سُنَّةٌ، حَاشَا فُرُوضكَ الَّتي مَنْ ضَيَّعها هَلَكَ، ولستُ أَتوسَّلُ إِلَيْكَ بِفَضْلِ نافِلَةٍ، معَ كَثير ما أَغفَلتُ مِنْ وَظائفِ فُرُوضكَ، وَتَعدَّيْتُ عَنْ مُقَاماتِ حُدُودكَ، إلى حُرُماتٍ انْتَهكْتُها، وَكَبائر ذُنُوبٍ اجْتَرَحتُها، كانَتْ عافِيَتُكَ لِي منْ فَضَائِحِها سِتراً. وَهذَا مَقامُ مَنِ استَحْيَا لِنَفْسِهِ مِنكَ، وَسَخِطَ عَلَيْها وَرَضيَ عَنْكَ،

فيه، ولا أطلب من ليل أن يجيزني بسبب تهجّدي فيه. والتهجّد ترك النوم للصلاة، أو الذكر لله تعالى.

والمراد باحياء السنّة اقامتها، وتقديمه على الفاعل للاهتمام، أي: لا تمدح على سنّة باقامتي لها. وانّما استثنى بـ«حاشا» لما فيه من معنى التنزيه.

وهذا منه عليه السّلام اعتراف في مقام التقصير بعد قيامه بالطاعات غير الفرائض.

قوله عليه السّلام: ولست أتوسّل اليك الى آخره.

أي: أتقرّب و«مع كثير» متعلّق به، و«أغفلت» أي: تركت، والعائد الى الموصوف محذوف.

والمراد بوظائف الفروض شرائطها للقبول لا الاجزاء، كالاخلاص والحضور وغيرهما. والمراد بالمقامات المواضع، وحدوده تعالى مامنع مخالفتها.

و«الى حرمات انتهكتها» متعلّق بـ«تعدّيت» وانتهاك الحرمة تناولها بمالايحلّ. واجتراح الذنب اكتسابه، و«كانت عافيتك لي من فضائحها» جملة في محلّ الجرّ صفة للحرمات والكبائر. وقوله «لي» و«من فضائحها» متعلّقان بالعافية. والمراد بالستر الساتر.

فتَلَقَّاكَ [١] بنَفْسٍ خاشِعَةٍ وَرقَبةٍ خاضِعةٍ، وَظهْرٍ مُثقَلٍ منَ الخَطَايا، واقفاً بَيْنَ الرَّغبَةِ إلَيْكَ والرَّهبَةِ مِنْكَ، وأَنْتَ أولَى مَنْ رَجاهُ، وأَحقُّ مَنْ خَشِيَهُ واتَّقَاهُ، فأعطِنِي يارَبِّ مَا رَجوْتُ، وَآمنِّي مَا [٢] حذِرْتُ، وَعدْ عَليَّ بِعَائِدِةِ رَحْمَتِكَ، إنَّكَ أكرَمُ المَسؤُولينَ.

قوله عليه السَّلام: وظهر مثقل من الخطايا.

استعارة مكنيّة مرشّحة، حيث شبّه الخطايا بما يحمل، ورشّحه بالظهر والثقل، وكثيراً ما يشبّه العصيان والذنوب بماله ثقل ووزن، كما قيل بالفارسيّة:

به سنگ كم ترازوى كرم راسر فرونايد

من ازبهرهمين بردوش دارم كوه عصيان را

فانّ قوله «كوه عصيان» من اضافة المشبّه به الى المشبّه، كما في لجين الماء. ويمكن أن يكون استعارة تمثيليّة، بأن يشبّه الخاطىء وخطأه واصطحاب أحدهما الآخر بالحامل والمحمول الثقيل الذي على ظهره واصطحاب أحدهما الآخر.

قوله عليه السَّلام: واقفاً بين الرغبة الى آخره.

أي: بين الرجاء من ثوابك والخوف من عقابك.

قوله عليه السَّلام: وعد عليّ بعائدة.

العائدة المعروف والصلة والمنفعة، والاضافة بتقدير «من» أي: بعائدة من رحمتك.

---

(١) وتلقاك: خ ل.

(٢) ممّا: خ ل.

اَللّهُمَّ وَإذْ سَتَرتَنِي بِعَفْوِكَ ، وتَغمَّدْتَنِي بِفَضْلِكَ فِي دَارِ الفَنَاء بِحَضْرة الإكْفَاء، فأَجِرْني مِنْ فَضِيحَاتِ دَارِ الْبَقاء، عِنْدَ مَوَاقِفِ الأَشْهَادِ مِنَ المَلائكةِ المقرَّبينَ، والرُّسُلِ المُكرَّمينَ، والشُّهَداء والصَّالِحينَ. وَكَمْ مِنْ جَارٍ كُنْتُ أُكَاتِمُهُ سَيِّئاتِي، وَمَنْ ذِي رحمٍ كُنْتُ أَحتَشِمُ مِنهُ في سَريرَتي، لَم أَثِقْ بِهِمْ رَبِّ في السَّترِ عَلَيَّ، ووَثِقْتُ بكَ رَبِّ في المَغْفِرَةِ لِي، وأَنْتَ أَولَى مَنْ وُثِقَ بِهِ، وأَعطَى[1] مَن رُغِبَ إلَيْهِ،وأَرأَفُ مَن استُرحِمَ، فَارْحَمنِي اَللّهُمَّ وأَنْتَ حَدرتَني ماء مَهيناً، مِنْ

قوله عليه السَّلام: من جار كنت أُكاتمه.

من جار متعلّق بـ«أجرني» أي: أجرني وآمنّي من فضيحة جار على حذف المضاف.

قوله عليه السَّلام: وأنت حدرتني ماءً مهيناً الى آخره.

حدرتني أي أنزلتني، واسناد الحدر اليه تعالى من قبيل اسناد الفعل الى السبب، لأنّه تعالى أوّل سبب لوجوده ووجود أسبابه، وماء منصوب على الحال.

والمهين: الحقير، وفيه ايماء الى أنّه من شيء حقير لاقدر له ولا قيمة، وانّما يصير ذا قدر وقيمة بتكميل قوّتي النظريّة والعمليّة.

---

(١) أعطى في قوله عليه السَّلام (أعطى من رغب إليه) اسم تفضيل واستعماله من غير الثلاثي المجرَّد ممنوع عند الأكثر، وجوَّزه بعضهم كسيبويه وأتباعه لما سمع من قول العرب هو أولاهم للمعروف وأعطاهم للدراهم. ووقوعه في كلام الإمام عليه السَّلام حجة قاطعة على جوازه، فالحق ما قاله سيبويه وأتباعه (منه رحمه الله).

صُلبٍ مُتضائقِ الْعِظامِ حَرجِ المَسالِكَ، إلَى رَحمٍ ضَيِّقةٍ سَترتها بالْحُجُب، تُصرِّفُني فِيها حالاً عَنْ حال، حتَّى انْتهَيْتَ بي إلَى تَمام الصُّورة، وأَثبَتَّ فِيَّ الجَوارحَ، كَمَا نَعتَّ فِي كتابكَ نُطفَةً ثُمَّ عَلقَةً ثُمَّ مُضغةً ثُمَّ عظاماً، ثُمَّ كَسوْتَ الْعِظَامَ لَحْماً، ثُمَّ أَنشأْتَنِي خَلْقاً آخرَ كَمَا شِئتَ، حَتّى إذَا احتَجْتُ إلَى رزْقكَ ولَمْ أَستَغْنِ عَنْ غِيَاث فَضْلِكَ،

والصلب: عظم يبتدىء من عظم الرأس المؤخّر، وينتهي الى عظم العصعص، سمّي به لصلابته، وتضايق عظامه اتّصال فقراته ودخول كلّ منها في حفرة معمولة في الأُخرى، حتّى كأنّها عظم واحد.

والمراد بجرح مسالكه ضيق تجاويف فقراته وثقبها.

و«الى رحم ضيّقة» متعلّق بحدرتني.

والمراد بالحجب الأغشية المحيطة بالرحم.

و«تصرفني» أي: تقلّبني في محلّ النصب على الحال و«حتّى انتهيت» متعلّق بـ«تصرفني» والباء للتعدية وتمام الصورة وان كان اثبات الجوارح الّا أنّه خصّها بالذكر لشدّة الاحتياج اليها ومزيد الانتفاع بها.

قوله عليه السَّلام: ولم أستغن عن غياث فضلك.

الغياث اسم من أغاثه الله برحمته إذا كشف عنه شدّته، أي: عن فضلك واحسانك الكاشف عنّي الشدّة، من اضافة الصفة الى الموصوف. والجنين يغتذي مادام في بطن أُمّه بدم الحيض، وبعد خروجه منه باللبن، وهو بعينه دم الحيض يستحيل اليه، وهو فضل من فضول الطعام وشراب يغتذيه أُمّه، وهو يغتذي بأجود مافيه، فانّ دم الحيض في الحامل ينقسم الى ماينصرف في

جَعلْتَ لي قُوتاً مِنْ فَضْلِ طَعامٍ وَشرَابٍ، أَجرَيْتَهُ لأَمتِكَ الَّتي أسكَنتَني جَوفَها، وأَودَعْتَنِي قَرَارَ رَحِمِهَا، وَلَوْ تكِلُنِي يَا رَبِّ فِي تِلْكَ الْحَالاَتِ إِلَى حَولِي، أَوْ تَضْطرُّنِي إِلَى قُوَّتِي، لكَانَ الْحَوْلُ عَنِّي مُعتَزلاً، وَلكَانَتِ القُوَّةُ مِنِّي بَعِيدةً، فَغذَوْتَنِي بِفَضْلِكَ غِذَاء الْبرِّ اللَّطِيف، تَفعَلُ ذلِكَ بِي تَطوُّلاً عَليَّ إِلَى غايَتِي هذِهِ، لا أَعدَمُ بِرّكَ، وَلاَ يُبطئُ بِي[1] حُسنُ

الغذاء، والى مايصعد الى الثدي فيستحيل لبناً، والى ماهو فضل يتوقّف الى أن يأتي وقت النفاس.

قال بعض المتطبّبين: يبدأ غذاء الجنين من الدم في اليوم الخامس والستّين من وقوع المنيّ في الرحم، وذلك في ذكر معتدل، فتتكوّن منه الدمويّات كاللحم.

«وأودعتني قرار رحمها» أي: جعلتني وديعة فيه، والقرار ماقرّ وثبت وسكن فيه الشيء ومقرّ الرحم آخرها ومستقرّ الحمل منه.

قوله عليه السّلام: لكان الحول عنّي معتزلاً.

قد مرّ معاني الحول، والمراد به هنا الاحتيال، أي: تقليب الفكر للاهتداء الى المقصود، أي: لو فوّضت أمري الى حولي، أو الجأتني الى قوّتي، لكان حولي معتزلاً متنحّياً عنّي جانباً، ولكنت عاجزاً عن التصرّف في أمري، فانّ بعد القوّة عبارة عن عدم تأتّيها له، والغرض هو الاعتراف باعتنائه تعالى بأمره في تلك الحالات التي لولا لطفه واحسانه وقيامه بأمره فيما يحتاج اليه لما كانت له قدرة على دفع ضرّ ولا جلب نفع.

---

(١) عنّي: خ ل.

صَنيعِكَ ، وَلاَ تَتاَكَّدُ معَ[١] ذٰلِكَ ثِقَتي، فأَتفرَّغُ لِمَا هُوَ أحظَى لي عِنْدَكَ ، قدْ مَلكَ الشَّيْطانُ عِنَانِي فِي سُوء الظَّنِّ وضَعْفِ اليَقِينِ، فأنا أشكُو سُوء مُجَاوَرَتهِ لِي ، وَطاعَةَ نَفْسِي لَهُ، وأَستَعْصِمُكَ مِنْ مَلَكَتِهِ[٢]، وأَتضَرَّعُ إلَيْكَ فِي أَنْ تُسهِّلَ إلى رزْقِي سَبيلاً. فَلَكَ الحَمْدُ عَلَى ابْتِدائكَ بالنِّعم الجِسَامِ، وإلْهامِكَ الشُّكرَ عَلَى الإحْسانِ وَالإنْعام، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَهِّلْ عَلَيَّ رزْقِي، وَأَنْ تُقَنِّعَنِي بِتَقْدِيرِكَ لِي، وَأَنْ تُرضِيَنِي بِحِصَّتِي فِيمَا قَسمْتَ لي، وَأَنْ تَجْعَلَ ما ذَهَبَ مِنْ جِسْمِي وَعُمُري في سَبِيلِ طَاعَتِكَ ، إنَّكَ خَيْرُ الرَّازقينَ.

اَللّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَارٍ تَغَلَّظْتَ بِها على مَنْ عَصَاكَ ، وتوعَّدْتَ

قوله عليه السَّلام: لما هو أحظى لي عندك .

أحظى أي أقرب لي منزلة عندك .

وقوله «قد ملك الشيطان عناني» استئناف بيانيّ، كأنّه قيل: لم لا تتأكّد مع ذلك ثقتك أجاب بذلك ، وفيه استعارة مكنيّة وترشيحيّة، حيث شبّه الشيطان بالراكب والانسان المطيع له بالمركوب، ثمّ أثبت له العنان، وأثبت للشيطان ملك عنانه، وهو عبارة عن تسلّطه واستيلائه عليه وتمكّنه منه، فانّ من ملك عنان المركوب يعطفه ويصرفه حيث يشاء وأين يريد.

قوله عليه السَّلام: من نار تغلّظت بها على من عصاك الى آخره.

تغلّظت أي: تشدّدت «وتوعّدت» أي: تهدّدت، وصدف عنه أعرض.

---

(١) المراد أنّه كان ينبغي أن يكون وثوقي في إيصال رزقي وكفاية مهماتي مؤكّداً حتّى لا أصرف غالب أوقاتي في السعي في ذلك ، بل أكون فارغاً منه مشتغلاً فيما يوجب زيادة حظي عندك من عبادتك والإنقطاع إليك والعكوف على بابك (منه).

(٢) مهلكته: خ ل.

بها مَن صَدَفَ عَنْ رضاكَ ، وَمِنْ نارٍ ياكُلُ بَعْضُها بَعْضاً ، وَيَصُولُ بَعْضُها عَلَى بَعْضٍ، وَمِنْ نَـارٍ تَذَرُ الْعِظَامَ رَميماً، وتَسْقِي أَهلَها حَميماً، وَمِنْ نَارٍ

و«نوّرها ظلمة» أي لا نور لها كما كـان لنيران الدنيـا، بل هي سوداء مظلمة لايضيء لهبها.

وورد انّ جهنّم سوداء مظلمة لاضوء لها ولا للهبها.

وفي رواية عنه صلّى الله عليه وآله: أُوقد على النار ألف سنة حتّى احمرّت، ثمّ أُوقد عليها ألـف سنة حتّى ابيضّت، ثمّ أُوقد عليها ألف سنة حتّى اسودّت، فهي سوداء مظلمة أشدّ سواداً من الغار.

«وهيّنها» أي: ليّنها وسهلـها أليم مولم موجع، وبعيـدها ظهوراً قريب محلّاً، فانّ الأخلاق الذميمة والملكات الرديّة والأفعال القبيحة المحيطة بـالفاسقين والكافرين، ستظهر في النشأة الآخـرة بصورة النار وعقـاربها وحيّاتها الضـارية، كما بيّناه في رسالة لنا موجزة.

قيل: ومن المجاز أكلت النـار الحطب وايتكلت الـنار، اشتدّ التهابها كأنّما يأكل بعضها بعضاً.

وعنـه صلّـى الله عليـه وآله: اشـتكـت النار الى ربّـها، فـقالت: ربّ أكل بعضي بـعضاً، فجعـل لها نفسين: نـفساً في الشتاء، ونـفساً في الصيـف، فشدّة ماتجدون من البرد من زمهريرها، وشدّة ماتجدون من الحرّ من سمومها.

وصال عليه: حمل.

وعن سيّدنا أمير المؤمنين عـليه السّلام: انّ مالكاً إذا غضـب على النار حطّم بعضها بعضاً لغضبه. أي: كسر أو أكل.

و«تذر» أي: تترك .

والرميم: البالي.

لاَ تُبْقِي على مَنْ تَضرَّعَ إلَيْها، وَلاَ تَرحَمُ مَن استَعطَفَها، وَلاَ تَقدِرُ عَلَى التَّخْفِيفِ عَمَّن خَشعَ لَها واستَسْلَمَ إلَيْها، تَلْقَى سُكَّانَها بأَحرِّ ما لَدَيْها من أَلِيمِ النَّكالِ وَشَديدِ الوَبَالِ، وأَعُوذُ بِكَ من عَقارِبِها الْفاغِرَة أفواهها،

والحميم: الماء الحارّ الشديد الحرارة، واسناد الشقيّ الى النار مجاز، لأنّها سبب لشربهم له.

و«لا تبقي» أي: لا ترحم ولا تشفق.

واستعطفه، أي: سأله أن يعطف عليه.

«ولا تقدر على التخفيف» أي: لا كمّاً ولا كيفاً.

و«خشع لها» ذلّ.

و «استسلم» أذعن وانقاد.

والنكال: العقوبة.

والوبال: سوء العاقبة والشدّة والثقل. وانّما كرّر النار والمراد بها، نار واحدة لاختلافها صفة، فكأنّها باعتبار كلّ صفة منها نار على حدة.

قوله عليه السّلام: وأعوذ بك من عقاربها الى آخره.

ورد: انّ في جهنّم نهراً يسمّى موبقاً، يسيل ناراً على حافّتيه حيّات مثل البغال الدهم، فاذا ثارت اليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالاقتحام في النار.

وفي رواية أُخرى: انّ في جهنّم وادياً يدعى أثاماً فيه حيّات وعقارب في فقارة من ذنب ذلك العقرب من السمّ أربعون قلّة، كلّ عقرب منهنّ قدر البغلة المؤكفة، يلدغ الرجل فينسى حرّ جهنّم من حرارة لدغتها.

وروي أنّ لجهنّم ساحلاً كساحل البحر فيه هوامّ وحيّات كالبخت وعقارب كالبغال الدهم.

وحيَّاتِها الصَّالِقَةِ بأنيَابِها، وَشَرابِها الَّذِي يُقطِّعُ أمعاء وأفئدَة سُكانِها، وَينزعُ قُلُوبَهُمْ، وأستَهدِيكَ لِمَا باعَدَ مِنْها وأَخَّر عَنْها.

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وأَجرْني مِنْها بِفَضْل رَحْمَتِكَ، وأَقِلْنِي عَثراتِي بِحُسْنِ إقالَتِكَ، وَلاَ تَخذُلْنِي يا خَيْرَ المُجِيرِينَ، إنَّكَ تَقِي الكَرِيهة وَتُعْطِي الحَسَنةَ وَتَفْعلُ ما تُرِيدُ، وأَنْت عَلى كُلِّ شَيءٍ قدِيرٌ.

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ إذَا ذُكِرَ الأَبْرَارُ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ما اختَلَفَ اللَّيْلُ والنَّهارُ، صَلاة لاَ يَنقَطِعُ مَدَدُها، وَلاَ يُحْصَى عَدَدُها، صلاةً تَشحَنُ الْهَوَاء، وَتَمْلأُ الأَرْضَ وَالسَّماء، وصلَّى اللهُ عَلَيْهِ حتَّى يَرْضى، وَصلَّى اللهُ علَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَ الرِّضَا، صلاَةً لاَ حَدَّ لها وَلاَ مُنْتَهى، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ.

توضيح:

«السلطان» كما مرَّ في ذيل تعقيب الصبح مصدر كغفران بمعنى التسلط.

«وخوالي الأعوام» بالخاء المعجمة أي: مواضيها، من إضافة الصفة إلى الموصوف.

«استعلى ملكك» الاستفعال هنا بمعنى الفعل، أي: علا.

قوله: بمعنى الفعل أي علا.

علا واستعلى بمعنى قال في القاموس: علا النهار ارتفع كاعتلى واستعلى[1].

---

(١) القاموس المحيط ٤:٣٦٥.

«وتفسّخت دونك النعوت» تفسّخت بالفاء والسين المهملة والخاء المعجمة، أي: تقطعت وبطلت، فإنّك فوق نعت الناعتين.

«خرجت من يدي أسباب الوصلات» بالصاد المهملة جمع وصلة بضمّ الواو، وهي ما يتوصّل به الى المطلوب، والمراد أنّه قد فاتتني الأسباب التي يتوصل بها إلى السعادات الأُخروية إلّا السبب الذي هو رحمتك، فإنّه لايفوت من أحد «وتقطّعت عنّي عصم الآمال» العصم بكسر العين المهملة جمع عصمة، وقد تقدّم تفسيرها.

«ما أبوء به من معصيتك» أبوء بالباء الموحّدة وآخره همزة بمعنى أقرّ وأرجع «فتل عنّي عذار غدره» فتل بالفاء والتاء المثناة الفوقانية، أي: صرف. والمراد بالعذار بكسر العين المهملة بعدها ذال معجمة مايقع على خد الفرس من اللجام والرسن والكلام استعارة. والمراد أنّ الشيطان بعد حصول مراده من إيقاعه لي

قوله: والكلام استعارة.

مكنيّة وترشيحيّة، حيث شبّه العذر بالفرس، ثمّ أثبت له العذار، وعذر الشيطان للانسان عبارة عن تسويله ووسوسته وتزيينه له ماحرّمه الله عليه، ودعوته الى ذلك رجاء أن يغلبه بذلك فيهلكه، كما قال «وما كان لي عليكم من سلطان الّا أن دعوتكم فاستجبتم لي»[1].

وحقيقة عذره أنّ الانسان بينما ذاهل عن الشيء ذكره ذلك، فيحدث له ميل جازم يترتّب الفعل على حصول ذلك الميل، فعذره ذلك التذكير واجابته حصول ذلك الميل الذي هو من شأن النفس.

ولذلك قال المحقّقون: الشيطان الأصلي هو النفس، وذلك أنّ الانسان إذا

---

(١) سورة ابراهيم: ٢٢.

في المعصية بالحيلة والغدر، يصرف عنّي عنان غدره حيث حَصَلَ مني مراده.

«وتلقاني بكلمة كفره» إشارة إلى ما حكاه سبحانه عنه بقوله: «إذْ قالَ للإنْسان اكفُر فلَمّا كَفَرَ قال إنّي بَريء منكَ...»[١].

«فأصحرني لغضبك» أصحرني بالصاد والحاء المهملتين أخرجني الى الصحراء، والمراد هنا جعلني تائهاً في بيداء الضلال، متصدّياً لحلول غضبك عليّ.

«ولا خفير يؤمنني عليك» الخفير بالخاء المعجمة والفاء بمعنى المانع والمجير.

«إلى حرمات انتهكتها» بالنون والتاء الفوقانية، أي: بالغت فيها.

أحسّ بشيء، أو أدركه ترتّب عليه شعوره بكونه ملائماً له أو منافراً، ويتبع هذا الشعور الميل الجازم الى الفعل أو الترك، وكلّ هذه الأشياء من شأن النفس، ولا مدخل للشيطان في شيء من هذه المقامات الّا بأن يذكّره شيئاً، مثل أنّ الانسان كان غافلاً عن صورة امرأة، فيلقي الشيطان حديثها في خاطره.

قال الطبرسي: في الآية المذكورة دلالة على أنّ الشيطان لا يقدر على أكثر من الدعاء والاغواء، وانّه ليس عليه عقاب معاصيهم، وانّما عليه عقاب الدعوة فحسب[٢].

قوله: فأصحرني لغضبك.

فيه استعارة بالكناية، حيث شبّه نفسه بمن أُخرج الى الصحراء في عدم تمكّنه من الاستتار بشيء يقيه، وجعل اثبات الاصحار له تنبيهاً على ذلك. ويمكن حمله على الاستعارة التمثيليّة والتبعيّة أيضاً، فتأمّل.

---

(١) سورة الحشر: ١٦.

(٢) مجمع البيان ٣: ٣١١.

«وكبائر ذنوب اجترحتها» أي: اكتسبتها. وقد قدّمنا في الباب الأوّل ما يحمل عليه أمثال هذا الكلام إذا صدر من المعصوم عليه السَّلام.

«بحضرة الإكفاء» أي: بحضور الأمثال والأشباه كنت أحتشم منه، أي: أستحي منه.

«حدرتني ماء مهيناً» بفتح الميم أي: محقوراً.

«حرج المسالك» بالحاء المهملة المفتوحة والراء المكسورة وآخره جيم صفة مشبّه من الحرج بفتحتين، وهو الضيق.

«نطفة ثمّ علقة» نصبُ النطفة والمعطوفات عليها: إمّا على حكاية ما وقع في القرآن المجيد، أو على إضمار عامل كخلقني ونحوه، فالنطفة مأخوذة من النَّطف وهو الصَّب، والعلقة قطعة جامدة من الدم، وهي أوّل ما تستحيل إليها النطفة.

قوله: فالنطفة مأخوذة من النطف وهو الصبّ.

في الكافي: في صحيحة محمَّد بن مسلم، قال: قلت لأبي جعفر عليه السَّلام: ماصفة النطفة التي تعرف بها؟ فقال: النطفة تكون بيضاء مثل النخامة الغليظة، فتمكث في الرحم إذا صارت فيه أربعين يوماً، ثمّ تصير الى علقة. قلت: فما صفة خلقة العلقة التي تعرف بها؟ قال: هي علقة كعلقة دم المحجمة الجامدة، تمكث في الرحم بعد تحويلها عن النطفة أربعين يوماً، ثمّ تصير مضغة. قلت: فما صفة المضغة وخلقتها التي تعرف بها؟ قال: هي مضغة لحم حمراء فيها عروق خضر مشتبكة، ثمّ تصير الى عظم. قلت: فما صفة خلقته إذا كان عظماً؟ قال: إذا كان عظماً شقّ له السمع والبصر ورتّبت جوارحه، فاذا كان كذلك فان فيه الدية كاملة[1].

---

(١) فروع الكافي ٧:٣٤٥، ح١٠.

«ثمّ مضغة» أي: قطعة من اللحم، وهي في الأصل بقدر ما يمضغ.

«ثمّ عظاماً» تصليب بعض أجزاء المضغة[١]، والإتيان بصيغة الجمع لاختلاف العظام في الهيئة والصلابة.

«ثمّ كسوت العظام لحماً» إمّا ممّا بقي من المضغة، أو لحماً جديداً.

«ثمّ أنشأتني خلقاً آخر» وهو صورة البدن ونفخ الروح فيه. وهذا الكلام

وفي رواية أبي الجارود عنه عليه السَّلام في قوله «ثمّ أنشأناه خلقاً آخر» قال: هو نفخ الروح فيه[٢].

وفي كتاب التوحيد: عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن الرضا عليه السَّلام قلت: جعلت فداك وغير الخالق الجليل خالق؟ قال: انّ الله يقول «تبارك الله أحسن الخالقين» فقد أخبر أنّ في عباده خالقين وغير خالقين، منهم عيسى بن مريم خلق من الطين كهيئة الطير باذن الله، والسامريّ خلق لهم عجلاً جسداً له خوار[٣].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: وزعمت المعتزلة أنّا نخلق أفعالنا، واحتجّوا بقوله عزّوجلّ «أحسن الخالقين» وزعموا أنّ هاهنا خالقين غير الله عزّوجلّ. ومعنى الخلق هاهنا التقدير، ومثل ذلك قول الله عزّوجلّ لعيسى عليه السَّلام، ليس ذلك كما ذهبت اليه المعتزلة أنّهم خالقون لأفعالهم[٤].

وهذا منه ـ رحمه الله ـ غريب، فتأمّل فيه.

قوله: ثمّ أنشأتني خلقاً آخر.

استدلّ بلفظة «ثمّ» المفيدة للتراخي على أنّ خلق الأرواح بعد تكوّن

---

(١) العلقة: خ.

(٢) تفسير القمّي ٢:٩١.

(٣) التوحيد: ٦٣.

(٤) تفسير القمي ٢:٨٩ ـ ٩٠.

منه عليه السّلام إشارة إلى ما تضمّنه قوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعلْناه نُطفَةً في قَرَارٍ مكينٍ * ثُمَّ خَلقْنا النُّطفَةَ عَلقَةً فَخلَقْنا الْعلَقَةَ مُضغَةً فَخلَقْنا المُضغَةَ عظاماً فكسَوْنا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أنشأْناهُ خَلقاً آخرَ فَتبَاركَ الله أَحسَنُ الخَالِقينَ»[١].

«من فضل طعام وشراب أجريته لأمتِك» الفضل بمعنى الفضلة، والمراد به

الأبدان، وهو المشهور بين المشّائين، وأكثر المتأخّرين من المتكلّمين. وذهب قوم من المسلمين الى أنّ حدوثها قبل حدوثها، لقوله: انّ الله خلق الأرواح قبل الاجساد بألفي عام. وذهب اليه من أصحابنا الصدوق ـ رحمه الله ـ حيث قال: انّها الخلق الأوّل، لقول النبيّ صلّى الله عليه وآله: انّ أوّل ما أبدع الله سبحانه هي النفوس المقدّسة المطهّرة، فأنطقها بتوحيده، ثمّ خلق بعد ذلك سائر خلقه[٢].

ولعلّ الأوّل أظهر؛ لأنّ الخبر من الآحاد، فتعارضه الآية وهي قطعيّة المتن لكنّها ظنّية الدلالة، لجواز أن يراد بقوله «ثمّ أنشأناه خلقاً آخر» جعل النفس متعلّقة بالبدن، فيلزم منه حدوث تعلّقها لا حدوث ذاتها، والخبر ظنّي المتن وقطعيّ الدلالة، فلكلّ رجحان من وجه.

قوله: من فضل طعام وشراب الى آخره.

في الكافي: عن أبي جعفر عليه السّلام: ثمّ توضع ـ أي: النطفة ـ في بطنها، فتردّد تسعة أيّام في كلّ عرق ومفصل منها، وللرحم ثلاثة أقفال: قفل في

---

(١) سورة المؤمنون: ١٢ ـ ١٤.

(٢) رسالة الاعتقادات للصدوق.

هنا دم الحيض، فإنّ بعضه يصير غذاء للحَمْل مادام في الرحم، وبعضه يصعد إلى الثديَين ويستحيل لَبناً ليصير غذاء له إذا خرج.

«وأستعصمك من ملكته» بالفتحات أي: تملكه إيّاي واسترقاقه لي.

«من صدف عن رضاك » صدف بالصاد والدال المهملتين والفاء بمعنى خرج وأعرض.

«من أليم النكال» تقدّم تفسير النكال.

«الفاغرة أفواهها» فغر فاه بالفاء والغين المعجمة والراء، أي: فتحه.

«الصالقة بأنيابها» صلق بالصاد المهملة وآخره قاف كضرب وزناً ومعنىً.

«صلاة تشحن الهواء» بالشين المعجمة والحاء المهملة بمعنى تملأ.

«حتى يرضى» بصيغة الغائب، والضمير للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله، وفيه

أعلاها ممّا يلي أعلى الصرّة من الجانب الايمن، والقفل الآخر وسطها، والقفل الآخر أسفل الرحم، فتوضع بعد تسعة أيّام في القفل الاعلى، فتمكث فيه ثلاثة أشهر، فعند ذلك يصيب المرأة خبث النفس والتهوّع، ثمّ ينزل الى القفل الأوسط، فيمكث فيه ثلاثة أشهر، وصرّة الصبيّ فيها مجمع العروق، وعروق المرأة كلّها منها يدخل طعامه وشرابه من تلك العروق، ثمّ ينزل الى القفل الأسفل، فيمكث فيه ثلاثة أشهر، فذلك تسعة أشهر، ثمّ تطلق المرأة، فكلّما طلقت انقطع عرق من صرّة الصبيّ، فأصابها ذلك الوجع ويده على صرّته حتّى يقع على الأرض ويده مبسوطة، فيكون رزقه حينئذٍ من فيه[1].

قوله: كضرب وزناً.

من قولهم «صلقه بالعصا» أي: ضربه بها.

---

(١) فروع الكافي ٦: ١٥ـ ١٦، ح٥.

إشارة إلى ما وعده به سبحانه بقوله جلّ شأنه: «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى». وفي بعض الأحاديث عن أصحاب العصمة سلام الله عليهم، أنه صلّى الله عليه وآله لا يرضى وواحدٌ من أُمّته في النار، وأن هذه الآية أبلغ في الرجاء من آية: «لاَ تَقنَطُوا مِنْ رَحمَةِ الله إنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنوبَ جَمِيعاً إنَّه هُوَ الْغَفُورُ الرَّحيمُ».

قوله: وفي بعض الاحاديث الواردة الى آخره.

قد ذكرنا فيما سبق منّا أنّ الغزالي نقل في الاحياء عن سيّدنا أبي جعفر عليه السَّلام أنّه كان يقول لأصحابه: أنتم أهل العراق تقولون: أرجى آية في كتاب الله عزّوجلّ قوله «ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله»[١] ونحن أهل البيت نقول: أرجى آية في كتاب الله قوله سبحانه «ولسوف يعطيك ربّك فترضى»[٢].[٣] أراد عليه السَّلام أنّه صلّى الله عليه وآله لايرضى و واحد من أُمّته في النار.

چه غم ديوار أُمّت را که دارد چون تو پشتيبان
چه باك از بيم موج آن را که باشد نوح کشتيبان

وروي عن مولانا الصادق عليه السَّلام أنّه قال: رضى جدّي أن لايبقى في النار موحّد[٤].

---

(١) سورة الزمر: ٥٣.

(٢) سورة الضحى: ٥.

(٣) احياء العلوم ٤:١٤٧.

(٤) مجمع البيان ٥:٥٠٥.

خاتمة

ينبغي للمصلّي ملاحظة معاني أذكار الصلاة وأدعيتها وتعقيباتها وما يقرأ فيها، وأن لا يكون ذكرُه ودعاؤه وقراءته مجرَّد تحريكِ اللسان من غير ملاحظة

قوله: مجرّد تحريك اللسان.

ليس المقصود من قراءة الأدعية والأذكار وتلاوة كلام الله الملك الغفّار مجرّد تحريك اللسان مع عدم خطور معانيها بالجنان، بل المقصود منها التدبّر في معانيها والانتقال اليها من مبانيها، ليستفاد منها حكم وحقائق وأسرار ودقائق، فيرغب أو يرهب، ولكن الناس في ذلك على أقسام:

فمنهم: من يحرّك بها لسانه ولا يتدبّر لها قلبه، فهو من المذمومين الموبخين بقوله جلّ وعزّ «أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها»[1].

وبقوله صلّى الله عليه وآله: ويل لمن لاكها بين لحييه ولم يتدبّرها.

ومنهم: من يحرّك بها لسانه ويتبعه قلبه، فيسمع كأنّه يسمعه من غيره، فهو من أصحاب اليمين.

ومنهم: من يسبق قلبه الى المعاني، ثم يخدمه لسانه فيترجمه، فهو من

---

(١) سورة محمّد (ص): ٢٤.

المعاني المقصودة منها، فيكون حاله كحال العربي إذا تلفّظ بكلام الفارسي من غير شعور بمعاني ما يتلفّظ به، أو كحال الساهي أو المصروع إذا تكلّم بشيء من دون أن يخطر معناه بباله، ويكفي في تنبيه المصلّي وحثّه على ملاحظة معاني ما يقوله في الصلاة قوله تعالى: «يَا أَيُّها الَّذِينَ آمنُوا لا تَقرَبُوا الصَّلاة وأَنتُمْ سُكارَى حَتَّى تَعلَمُوا مَا تَقُولُونَ»[١].

المقرّبين، فالمقرّبون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب، كما في أصحاب اليمين، وشتّان بينهما.

ولمّا كان التدبّر في المعاني والتفكّر فيها موقوفاً على بيان مايحتاج الى البيان، بيّن الشيخ ـقدّس سرّهـ في هذا الكتاب المستطاب ماافتقر اليه وناط عليه، ليسهل على الطالبين، ويقرب الى العاملين من أهل الدين واخوانه المؤمنين، عظّم الله أُجوره يوم يسعى بين يديه نوره.

قوله: وحثّه على ملاحظة معاني ما يقول الى آخره.

دلالة الآية والرواية على المقصود محلّ تأمّل؛ إذ الظاهر منهما هو الأمر بالحضور، والحثّ على الاقبال بقلبه وبجميع جوارحه، وانّ المصلّي ينبغي له أن يتحرّز عمّا يلهيه ويشغل قلبه حال الصلاة، وهذا التوجّه والاقبال ممّا لايفيده معرفة معاني تلك الألفاظ، فانّ كثيراً من العارفين بها غافلين عنها، ونعم ماقيل:

ايّاك نعبد بر زبان   دل در خيال ايـن و آن

فالعمدة في ذلك علاج الغفلة بالأدوية القلبيّة، والانصراف عن دار الغرور، والتوجّه الى عالم النور، وتحصيل ملكة الحضور، والله لكلّ خير مستعان.

---

(١) سورة النساء: ٤٣.

وروى رئيس المحدّثين عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال: من صلّى ركعتين يعلم ما يقول فيهما انصرف وليس بينه وبين الله ذنبٌ إلّا غُفر له[١].

ونحن بتوفيق الله تعالى قد بيّنا في الأبواب السالفة[٢] ما يحتاج إلى البيان، وشرحنا ما يفتقر إلى الشرح من أذكار الصلاة وبعض ما يقرأ فيها ويتلى بعدها من التعقيبات.

قوله: وشرحنا ما يفتقر الى الشرح.

أمثال هذه الشروح والبيانات المبتنية على ذكر الغريب من معاني الألفاظ واللغات والتشبيه والاستعارات المكتفية في بيانها بالايماء والاشارات، ممّا لاينتفع الاّ قلائل من المتنسّكين والمتعقّبين، وهم الخواصّ منهم الذين أُوتوا ذهناً ارتفعوا به عن طبقة العامّة. وأمّا هؤلاء، فلا حظّ ولا نصيب لهم منها، فيكون حالهم حال عجميّ تكلّم بكلام عربيّ لاشعور له بمعناه، فالمقصود من البيان غير حاصل منه.

واعلم أنّ معرفة معاني الألفاظ المقصودة منها في الصلوات والأذكار والتعقيبات وسائر الصلوات، ليست بشرط في الاجابة والاثابة، بل الله جلّ وعزّ يجازيه بكرمه على قصده ويثيبه على نيّته، لقوله صلّى الله عليه وآله: «انّما الاعمال بالنيّات»[٣].

وعنه صلّى الله عليه وآله: انّ الرجل الاعجمي من أُمّتي ليقرأ القرآن بعجميّته، فترفعه الملائكة على عربيّته[٤].

---

(١) فروع الكافي ٣:٢٦٦، ح١٢.

(٢) السابقة: خ.

(٣) تهذيب الاحكام ٤:١٨٦، ح٢.

(٤) اصول الكافي ٢:٦١٩، ح١.

وقد ختمنا كتابنا هذا بتفسير الفاتحة رجاءً لحسن الخاتمة، وليكون جميع ما يقال في الصلاة وقبلها وبعدها ممّا ذكرناه في هذا الكتاب مفسَّراً مشروحاً سهل التناول على إخوان الدّين وخلّان اليقين، وعلى الله أتوكّل وبالله أستعين.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الباء: إمّا للاستعانة، أو للمصاحبة، وقد ترجّح الأُولى باشعارها بكون ذكر الاسم الكريم عند ابتداء الفعل وسيلةً إلى وقوعه على الوجه الأكمل الأتمّ، حتّى كأنّه لا يتأتّى ولا يوجد بدون التبرُّك بذكره والمصاحبة عرية عن ذلك الإشعار.

وأمّا متعلق الباء فمقدّر خاصّ أو عام فعل أو اسم مؤخّر أو مقدّم، وأولى

مع أنّا نجد في أدعية أهل البيت عليهم السّلام ألفاظاً لانعرف نحن ولا عامّة الخواصّ معانيها، وذلك كثير، فمنه أسماء واقسامات، ومنه أغراض وحاجات وفوائد وطلبات.

فنسأل من الله بالاسماء، ونطلب منه تلك الأشياء، ونحن غير عارفين بالجميع، ولم يقل أحد انّ مثل هذا الدعاء لايثاب الداعي عليه ولايجاب.

نعم معرفة معاني الأذكار والتعقيبات وسائر الدعوات شرط في فضيلتها وكمال منزلتها وعلوّ درجتها.

قوله: وأمّا متعلّق الباء فمقدّر.

فيه أنّ هذا تفسير بالرأي، لأنّ لمتعلّق الجار والمجرور احتمالات، فاختياره ماذكره يحتاج الى دليل أو نصّ، وهما غير ظاهران.

والجواب أنّ التفسير الممنوع بالرأي هو القطع بالمراد من اللفظ الغير الظاهر

هذه الثمانية أوّلها. أعني: الخاصّ الفعلي المؤخّر، إذ العامّ المطلق الابتدائي يوهم بظاهره قصر الاستعانة على ابتداء الفعل، فيفوت شمولها لجملته[1]، والخاصّ الاسمي كقراءتي مثلاً يوجب زيادة تقدير بإضمار خبره؛ إذ تعلق الظرف به يمنع جعله خبراً عنه، والمقدَّم كاقرأ بسم الله يفوت معه قصر الاستعانة على اسمه جلّ وعلا.

والله: اسم عَلَمٍ شخصيٍّ للذات المقدّسة الجامعة لصفات الكمال، لا اسمٌ

فيه من غير دليل، وهو لم يقطع بأنّ المراد هنا هو هذا المعنى، بل بناء كلامه على الاحتمال والأولويّة، مع أنّ تقدير المتعلّق لايحتاج الى دليل غير قاعدة العربيّة، فما اقتضته فهو دليل.

قوله: والله اسم علم شخصيّ الى آخره.

اختلف فيه هل هو علم شخصيّ، أو من الصفات الغالبة المخصوصة به تعالى بحيث صار كالعلم له، فخليل بن أحمد وسيبويه والمبرّد على أنّه اسم غير مشتقّ، انفرد الحقّ سبحانه به، كأسماء الأعلام، وعليه كثير من العلماء.

وقيل: انّه من الأسماء المشتقّة وعليه جمهور المعتزلة، واستدلّ الامام على كونه علماً بأنّه لو كان صفة مشتقّة غلبت في الاستعمال على المعبود بالحقّ لم يكن قولنا لا اله الاّ الله صريحاً في التوحيد، لأنّ المفهوم من المشتقّ هو الموصوف بالمشتقّ منه.

وهذا مفهوم كلّيّ لا يمنع نفس تصوّره عن وقوع الشركة فيه، فثبت أنّه لو كان صفة لكان كليّاً، ولو كان كليّاً لم يكن قولنا لا اله الاّ الله صريحاً في

---

(١) بجملته: خ ل.

لمفهوم واجب الوجود، وإلّا لم يكن كلمة لا إله إلّا الله مفيدة للتوحيد، لاحتمال تعدّد أفراد ذلك المفهوم في اعتقاد قائلها.

والمعارضة بأنّه لو كان كذلك لم يكن «قل هو الله أحد» مفيداً للتوحيد لجواز كونه عَلَماً لأحد أفراد الواجب مع عدّهم السورة من الدلائل السمعيّة على التوحيد.

مدفوعة بأن الواحديّة تستفاد من آخرها، وأمّا صدرها فيفيد الأحديّة أعني: عدم قبول القسمة بأنحائها.

التوحيد، فعلم أنّه اسم علم وليس من الصفات.

وأُجيب بأنّه وان كان في الأصل وصفاً، الّا أنّه غلب عليه تعالى، بحيث لايستعمل في غيره، وصار كالعلم له في عدم تطرّق احتمال الشركة اليه، فحصل التصريح بالتوحيد.

واستدلّ القائل بكونه صفة، بأنّه لو كان علماً لذات مخصوصة لم يكن للحكم عليه بأنّه أحد فائدة، وقد قال الله تعالى «قل هو الله أحد».

وأُجيب عنه بأنّ المعنى أنّه أحد في المعبوديّة بالحقّ، لا يشاركه فيها أحد، وهذه الصفة لازمة له تعالى، مفهومة من لفظ «الله» كما يقال لزيد الذي هو العالم الكامل في البلد: انّ زيداً واحد في البلد، بمعنى أنّه واحد في العالميّة على وجه الكمال، بحيث لايشاركه فيها أحد في البلد.

على أنّ ماذكره مشترك بين كونه علماً وصفة غالبة الاستعمال في ذاته المخصوصة، بحيث صارت كالعلم له، ولا يطلق على غيره.

وقد يجاب بأنّ المراد من الأحد ما لاجزء له بوجه، لا الوحدانيّة الدالّ عليه الله.

والحقّ أنّ شيئاً من الأدلّة لا تفيد الجزم بكونه علماً أو صفة، فتأمّل.

والرَّحمن الرَّحيم صفتان مشبّهتان من رَحِمَ بالكسر

قوله: والرحمن الرحيم صفتان.

الرحمة رقّة القلب وانعطاف، أي: ميل روحاني يقتضي التفضّل والاحسان، واذا وصف الله تعالى بها كان المراد بها غايتها، وهي التفضّل والاحسان، لأنّ الرقّة من الكيفيّات المزاجيّة التابعة للتأثّر والانفعال، والله منزّه عنها.

وهو: إمّا من باب المجاز المرسل، بذكر السبب وارادة المسبّب؛ إذ الرحمة سبب التفضّل والاحسان. وإمّا على طريقة التمثيل، بأن شبّه حاله تعالى بالقياس الى المرحومين في ايصال الخير اليهم بحال الملك إذا عطف على رعيّته ورقّ لهم، فأصابهم بمعروفه وانعامه، فاستعير الكلام الموضوع للهيئة الثانية للاولى، ومن غير تمحّل في شيء من مفرداته.

وقيل: انّ صفات الله التي على صيغة المبالغة كلّها مجاز؛ لأنّها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها، فانّها في صفات تقبل الزيادة والنقصان، وصفاته تعالى منزّهة عن ذلك.

وفيه أنّ صيغ المبالغة قسمان: قسم تحصل المبالغة فيه بزيادة الفعل، والثاني بتعدّد المفعولات، ولا شكّ أنّ تعدّدها لايوجب للفعل زيادة؛ إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة، وعليه تنزّل صفاته تعالى ويرتفع الاشكال.

والرحمن أبلغ من الرحيم، فعند اعتبار الأبلغيّة فيه باعتبار الكميّة، نظراً الى كثرة أفراد المرحومين، يقال: يارحمن الدنيا ورحيم الآخرة، لشمول رحمة الدنيا للمؤمن والكافر.

وعند اعتبار الأبلغيّة فيه باعتبار الكيفيّة، وهي جلالة الرحمة ودقّتها بالنسبة الى مجموع كلّ من الرحمتين، يقال: يارحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لجلالة

بعد نقله إلى رَحُم بالضمّ، والرحمن أبلغ لدلالة زيادة المباني على زيادة المعاني، وهي هنا: إمّا باعتبار الكميّة، وعليه حملوا ماورد في الدعاء: يا رحمان الدنيا ورحيم الآخرة، لشمول رحمة الدنيا للمؤمن والكافر، واختصاص رحمة الآخرة بالمؤمن.

وإمّا باعتبار الكيفيّة. وعليه حملوا ما ورد في الدعاء أيضاً: يارحمان الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا لجسامة نعم الآخرة بأسرها بخلاف نعم الدنيا.

فمعنى الرَّحمن البالغ في الرحمة غايتها، فلهذا اختصّ به سبحانه ولم يطلق على غيره، لأنّه هو المتفضّل حقيقة، وأمّا من عداه، فطالب بإحسانه: إما ثناء دنيوياً أو ثواباً أُخروياً، أو إزالة رقّة الجنبيّة، أو إزاحة خساسة البخل.

رحمة الآخرة بأسرها، بخلاف رحمة الدنيا.

وباعتبار نسبة بعض أفراد كلّ من رحمة الدنيا والآخرة الى بعض يقال: يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما؛ لأنّ بعضاً من كلّ منهما أجلّ من بعض، وبعضاً من كلّ منهما أدقّ. وقد ورد كلّ ذلك في الأدعية المأثورة عنهم عليهم السَّلام.

قوله: بعد نقله الى رحم بالضمّ.

لأنّ بناء الصفة المشبّهة من الفعل المتعدّي بعد نقله الى فُعل جعل معناه كالطبائع اللازمة على ماصرّحوا به.

قوله: على زيادة المعاني.

أُورد عليه أنّ حاذراً دون حذر مع زيادته.

وأُجيب بأنّ المراد أنّه قد شاع وكثر في كلام العرب أنّ زيادة اللفظ لزيادة المعنى، فلا يعدل عنه الاّ بعد النصّ عنهم بخلافه، وهم قد صرّحوا بوضع حذر لمبالغة حاذر على خلاف القياس.

ثمّ هو كالواسطة فإنّ ذات النعمة وسوقها إلى المنعم وإقداره على إيصالها كلّها صادرة عنه جلّ شأنه وعظم امتنانه، وتقديمُه على الرحيم مع اقتضاء الترقّي العكس لصيرورته بسبب الاختصاص به سبحانه، كالواسطة بين العلم والوصف، فناسب توسّطه بينهما.

وفي ذكر هذه الأسماء في البسملة التي هي مفتتح الكتاب الكريم تأسيس لمباني الجود والكرم، وتشييد لمعالم العفو والرأفة، وإيماء إلى مضمون سبقت رحمتي

قوله: لصيرورته بسبب الاختصاص الى آخره.

حيث لا يطلق على غيره تعالى، لأنّه وان كان في اللغة بمعنى ذي الرحمة مطلقاً، الّا أنّه صار حقيقة عرفيّة في المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة، وهذا لايصدق على غيره تعالى.

ويمكن أن يقال: أُريد اتّصاله بما يناسبه في العلميّة بما يناسبه في الوصفيّة، وذلك انّما يتأتّى بجعله متوسّطاً بينهما.

وقيل: لمّا كان الملتفت اليه بالقصد الأوّل في مقام العظمة والكبرياء جلائل النعم وعظائمها دون دقائقها، قدّم الرحمن وأردف بالرحيم كالتتمّة، تنبيهاً على أنّ الكلّ منه، وانّ عنايته شاملة لذرّات الوجود، كي لا يتوهّم أنّ محقّرات الامور لا تليق بذاته، فيحتشم عنه من سؤالها.

ففيه اشارة الى أنّ العاقل ينبغي له أن يرجع في حوائجه كلّها اليه وينزّلها به، جليلة كانت أو حقيرة، ولا يأنف من رفع المحقّرات اليه، فانّه غاية التوكّل عليه. ياموسى سلني كلّ ما تحتاج اليه حتّى علف شاتك وملح عجينك.

قوله: وفي ذكر هذه الأسماء في البسملة.

دون غيرها، كأن يقال بسم الله الحيّ العليم، أو القادر الحكيم، أو الموجد

غضبي وتنبيه على أنّ الحقيق بأن يستعان بذكره في مجامع الأُمور، هو الجامع لصفات الكمال، البالغ في الرحمة غايتها، المولي للنعم بأسرها، عاجلها وآجلها، جليلها وحقيرها.

«الحمد لله ربّ العالمين» الحمد هو الثناء على مزيّة اختياريّة. وأما حمده سبحانه على بعض صفاته فراجع إلى الحمد على الآثار المرتّبة على نفس الذات المقدّسة، بناء على ما هو الحقّ من عينيّتها لها، وتلك الآثار اختياريّة.

ولامُه: إمّا جنسيّة، أو استغراقية، أو عهديّة، أي: حقيقة الحمد، أو جميع أفراده، أو الفرد الأكمل اللائق به، ثابتٌ له جلّ وعلا ثبوتاً قصريّاً، كما تفيده لام الاختصاص ولو بمعونة المقام.

والرب: إمّا مصدر بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء كماله تدريجاً، وصف به للمبالغة كالعدل، وإمّا صفة مشبّهة من ربّهُ يربّه بعد نقله إلى اللازم، كما مرّ في الرحمن، وإضافته حقيقيّة لانتفاء عمل النصب، فهو مثل كريم البلد، فجاز

القديم ونحوها.

قوله: وأمّا حمده سبحانه على بعض صفاته.

كقول القائل حمدت الله على علمه، فراجع الى الحمد على آثاره المرتّبة عليه من الأفعال المحكمة المتقنة الدالّة على أنّ فاعلها عليم حكيم، وهو عين ذاته المقدّسة.

خلافاً للأشعريّة القائلة بزيادة الصفات على الذات، فهي مستندة الى الذات وصادرة عنه من غير اختيار منه، والّا لزم منه إمّا تقدّم الشيء على نفسه، أو التسلسل، فالحمد عليها ليس هو الثناء على مزيّة اختياريّة، فتأمّل.

قوله: كما مرّ في الرحمن.

قد مرّ أنّ الرحمن الرحيم صفتان مشبّهتان من رحم بالكسر بعد نقله الى

وصف المعرفة، مع أنّ المراد الاستمرار لا التجدّد.

والعالم: اسم لما يعلم به الشيء غلب في كلّ جنس ممّا يعلم به الصانع، كما يقال عالم الأفلاك ، وعالم العناصر، وعالم الحيوان، وعالم النبات.

«الرحمن الرحيم» تكريرهما للإشعار في مفتتح الكتاب المجيد بأنّ اعتناءه

رحم بالضمّ، ولعلّه خصّ هنا ذلك بالرحمن، ليشير بذلك الى عدم الحاجة الى ذلك في الرحيم، لأنّه كما يجيء صفة مشبّهة يجيء مبالغة للفاعل، الّا أنّه أراد هناك كونهما على نحو واحد ليكونا أشدّ تناسباً.

قوله: للاشعار في مفتتح الكتاب المجيد.

هذا يدلّ على أنّ فاتحة الكتاب عنده أوّل السور نزولاً، كما هو مختار كثير من العلماء.

وفي رواية: أوّل ما نزل من القرآن بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربّك ، وآخره «اذا جاء نصر الله»[١].

وقيل: أوّل سورة نزلت هي المدثّر.

وقيل: هي سورة القلم.

وعن سيّدنا أمير المؤمنين عليه السّلام قال: سألت النبي صلّى الله عليه وآله عن ثواب القرآن، فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء، فأوّل مانزل عليه فاتحة الكتاب، ثمّ اقرأ باسم ربّك[٢].

وظاهر الفاضل العلّامة يعطي أنّه نزل بهذا الترتيب المفتتح بالتحميد المختتم بالاستعاذة، حيث قال في جواب مسألة: الحقّ أنّه لا تبديل فيه ولا تقديم ولا

---

(١) اصول الكافي ٢: ٦٢٨، ح٥.

(٢) راجع مجمع البيان ٥: ٥١٤.

جلّ شأنه بالرحمة أشد وأكثر من الاعتناء ببقية الصفات، ولبسط بساط الرجاء بأنّ مالك يوم الجزاء رحمن رحيم، فلا تيأسوا أيّها المذنبون من صفحه عن ذنوبكم في ذلك اليوم الهائل.

«مَالِكِ يَوْمِ الدِّين» قراءة عاصم والكسائي وقرأ الباقون «مَلِكِ» وقد تؤيّد الأولى بموافقة قوله تعالى: «يَومَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيئاً وَالأَمْرُ يَومَئِذٍ لله»[1].

تأخير، وانّه لم يزد ولم ينقص، نعوذ بالله من اعتقاد مثل ذلك، فانّه يوجب التطرّق الى معجزة الرسول المنقولة بالتواتر[2].

وظاهر الكشّاف حيث قال في ديباجته: وجعله بالتحميد مفتتحاً وبالاستعاذة مختتماً[3]. انّه يذهب الى هذا المذهب، وهذا هو الحقّ، وما ينافيه: إمّا مؤوّل، أو مطروح.

قوله: بأنّ مالك يوم الجزاء رحمٰن رحيم.

وللاشارة الى حسن صنيعه فيما بين المبدأ الدالّ عليه ربّ العالمين، والمعاد الدالّ عليه يوم الدين، مع ايماء لطيف الى أنّ المستحقّ للحمد والعبادة من له الرحمة المبالغة والنعمة السابغة، ظاهرة وباطنة، عاجلة وآجلة، خطيرها وحقيرها.

قوله تعالى: مالك يوم الدين.

في نهاية ابن الأثير: قد جاء في القرآن ماقرىء بسبعة وعشرة، كقوله تعالى

---

(١) سورة الانفطار: ١٩.
(٢) أجوبة المسائل المهنائية: ١٢١.
(٣) الكشاف ١: ٥.

والثانية بوجوه خمسة:

الأول: أنها أدخل في التعظيم.

الثاني: أنّها أنسب بالإضافة إلى يوم الدين، كما يقال ملك العصر.

الثالث: أنّها أوفق بقوله تعالى: «لِمَنِ المُلْكُ اليَومَ للهِ الوَاحِدِ القَهَّار»[١].

الرابع: أنّها أشبه بما في خاتمة الكتاب من وصفه سبحانه بالملكيّة بعد الربوبية، فيناسب الافتتاح الاختتام.

«مالك يوم الدين».

أقول: قرأ ابن كثير ونافع وحمزة وقرّاء الشام والبصرة ملك، وفيه من التعظيم ماليس في مالك.

فان قلت: فما تقول في رواية في الكافي عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن الفضيل بن يسار، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السَّلام: انّ الناس يقولون: انّ القرآن نزل على سبعة أحرف، فقال: كذبوا أعداء الله، ولكنّه نزل على حرف واحد من عند الواحد[٢].

وفي رواية أُخرى ضعيفة السند: ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة[٣].

قلت: لعلّ مراده عليه السَّلام في الردّ عليهم، أنّ القرآن انّما نزل على حرف واحد من غير اختلاف فيه، ولا يعلمه الّا أهل الذكر عليهم السَّلام، والاختلاف انّما جاء من قبل الرواة، فالتبس ذلك الحرف بغيره على الأُمّة لأجل ذلك، فيجوز لهم القراءة بأحد هذه الحروف الى زمان حضور صاحبنا

---

(١) سورة غافر: ١٦.

(٢) اصول الكافي ٢: ٦٣٠، ح١٣.

(٣) اصول الكافي ٢: ٦٣٠، ح١٢.

الخامس: أنّها غنيّة عن توجيه وصف المعرفة بما ظاهره التنكير. وإضافة

عليه السّلام، فاذا ظهر حمل الناس على ما أنزله الله على رسوله، كما دلّت عليه روايات أُخر.

وفي حديث سفيان بن الصمت، قال: سألت أباعبدالله عليه السّلام عن تنزيل القرآن، قال: اقرؤا كما علّمتم[١]. ودلّت عليه أيضاً روايات أُخر. ونقل جمّ من أصحابنا الاجماع على تواتر القراءات السبع.

وحكى في الذكرى عن بعض الأصحاب أنّه منع من قراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف، وهي كمال العشر، ثمّ رجّح الجواز، لثبوت تواترها كتواتر السبع[٢].

وقال المحقّق الثاني الشيخ علي ـ رحمه الله ـ بعد نقله ذلك: هذا لايقصر من ثبوت الاجماع بخبر الواحد، فتجوز القراءة بها[٣].

ونقل الشهيد الثاني عن بعض محقّقي القرّاء أنّه أفرد كتاباً في أسماء الرجال الذين نقلوا هذه القراءات في كلّ طبقة، وهم يزيدون عمّا يعتبر في التواتر.

واعلم أنّهم اختلفوا في معنى قوله «سبعة أحرف» فقيل: المراد بالحرف الاعراب. وقيل: الكيفيّات. وقيل: انّها وجوه القراءات، وهي التي اختارها القرّاء. قال صاحب المغرب: هذا أحسن الأقوال فيها.

وقيل غير ذلك، حتّى نقل أنّه بلغ الاختلاف في معنى الأحرف السبعة الى خمسة وثلاثين قولاً.

ونحن قد بسطنا الكلام في الحديث المذكور في بعض رسائلنا، فليطلب من هناك.

---

(١) اصول الكافي ٢: ٦٣١، ح١٥.

(٢) الذكرى: ١٨٧.

(٣) جامع المقاصد ٢: ٢٤٦.

اسم الفاعل إلى الظرف لإجرائه مجرى المفعول به توسعاً، والمراد مالك الأُمور كلّها في ذلك اليوم.

وسوّغ وصف المعرفة به إرادة معنى المضيّ، تنزيلاً لمحقَّق الوقوع منزلة ما وقع، أو إرادة الاستمرار الثبوتي. وأمّا قراءة مَلِك فغنيَّةٌ عن التوحيد لأنّها من قبيل كريم البلد والدين الجزاء، ومنه قولهم «كما تدين تدان»

قوله: لاجرائه مجرى المفعول به توسّعاً.

أي: مجازاً، لأنّه جعل المفعول فيه بمنزلة المفعول به، حيث جعل يوم الدين مملوكاً، وهو مجاز حكميّ، والمعنى على الظرفيّة، والمفعول محذوف للتعميم، أي: مالك الأمر كلّه في يوم الجزاء.

ولما ورد انّ الظرف إذا كان جارياً مجرى المفعول به، فاضافة اسم الفاعل اليه غير حقيقيّة، فكيف يصحّ وصف المعرفة به؟

أجاب عنه بجوابين: الأوّل: أنّ معناه ملك الامور يوم الدين، فأُريد به معنى الماضي، تنزيلاً لمحقّق الوقوع منزلة ماوقع، على طريقة «ونادى أصحاب الجنّة أصحاب النار»[1].

والثاني: أنّ معناه له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار الثبوتي الشامل لجميع الأزمنة، فمن حيث اشتماله على الماضي لايصحّ اعماله، ومن حيث اشتماله على الحال والاستقبال يصحّ، فتكون الاضافة حقيقيّة معدّة لوقوعه صفة للمعرفة.

قوله: ومنه قولهم كما تدين تدان.

هذا المثال من كلام الله الملك المتعال. والأصل فيه انّ امرأة كانت على

---

(١) سورة الاعراف: ٤٤.

وتخصيص يوم الدين بالإضافة مع أنّه سبحانه مَلكٌ و مالكٌ لكلّ الأشياء في كلّ الأوقات، لتعظيم ذلك اليوم، ولأنّ الملك والمُلك حاصلين لبعض الناس

عهد داود النبيّ عليه السَّلام يأتيها رجل يستكرهها على نفسها، فألقى الله عزّوجلّ في قلبها، فقالت: لا تأتيني مرّة الّا وعند أهلك من يأتيها، قال: فذهب الى أهله، فوجد عند أهله رجلاً، فأتى به داود عليه السَّلام، فقال: يانبيّ الله أتى اليّ مالم يؤت الى أحد، فقال: وما ذاك ؟ قال: وجدت هذا الرجل عند أهلي، فأوحى الله الى داود عليه السَّلام قل له: كما تدين تدان.

از مكافات عمل غافل مشو گندم از گندم برويد جو زجو

وفي الحديث القدسي: ابن آدم كن كيف شئت كما تدين تدان، أي: كما تجازي تجازى بفعلك وبحسب ما عملت، وسمّى الأوّل جزاءً للازدواج، كما في قوله تعالى «من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم»[١] وان كان الثاني في الآية مجازاً عكس ما في الحديث.

قوله: وتخصيص يوم الدين بالاضافة.

لمّا وصف الله سبحانه نفسه بالرحمن الرحيم الدالّين على كمال لطفه واحسانه وجوده وامتنانه على العباد في الآخرة والاولى، أوجب ذلك غروراً، وغلب به الرجاء على الخوف، بل صار رجاء بحتاً، فكان موضع طغيان ومحلّ عصيان.

فعقّب ذلك بما يدلّ على غاية قدرته وكمال سطوته في يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذٍ لله دفعاً لذلك الغرور وحسماً لمادّة الشرور.

---

(١) سورة البقرة: ١٩٤.

في هذه النشأة بحسب الظاهر يزولان ويبطلان في ذلك اليوم بطلاناً بيّناً، وينفرد جلّ شأنه بهما انفراداً ظاهراً على كلّ أحد.

وفي ذكر هذه الصفات بعد اسم الذات الدالّ على استجماع صفات الكمال، إشارة إلى أنّ من يحمده الناس ويعظمونه، إنّما يكون حمدُهم وتعظيمهم له لأحد أُمور أربعة: إمّا لكونه كاملاً في ذاته وصفاته، وإمّا لكونه محسناً اليهم ومنعماً عليهم، وإمّا لأنّهم يرجون الفوز في الاستقبال بجزيل إحسانه وجليل

فهذه الاضافة والتخصيص للتهويل والتخويف، وبذلك يصير الرجاء معادلاً للخوف، بحيث لايرجّح أحدهما على الآخر، فهذا في الحقيقة اشارة الى أسباب الخوف والرجاء، فالرحمن الرحيم ينشأ منهما الرجاء ومالك وملك يوم الدين يورثان الخوف لمكان الجزاء.

قوله: وينفرّد جلّ شأنه بها.

كما دلّت عليه الآية السابقة «لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار»(١).

قوله: امّا لكونه كاملاً في ذاته وصفاته الى آخره.

هذه منفصلة مانعة الخلوّ لا مانعة الجمع؛ لأنّ الحمد لمّا عمّ الفضائل والفواضل، فالمحمود لابدّ وأن يكون على أحد من هذه الامور: إمّا كاملاً في ذاته وصفاته، أو محسناً، أو مرجوّ الاحسان، أو يكون ممّن يتّقى منه ويخاف.

فذكر هذه الصفات بعد اسم الذات للاشارة الى أنّ المحمود في هذا المقام جامع للفضائل الكاملة والفواضل الشاملة، فهو أحقّ بالحمد والتعظيم من كلّ من يحمد ويعظّم، لجمعه جميع مايحمد عليه، بخلاف غيره من المحمودين.

---

(١) سورة غافر: ١٦.

امتنـانه، وإمّـا لأنهم يخافون من قـهره وكمال قدرتـه وسطوته، فكأنّـه جلّ وعلا يقول: يا أيّها الناس إن كنتم تحمدون وتعظمون للكمال الذاتي والصفاتي، فإنّي أنـا الله. وإن كـان للإحسان والتربيـة، فـأنا رب العـالمين. وإن كـان للرجاء والطمع في المستقبل، فـأنا الرّحمن الرّحيم. وإن كان للـخوف من كمال القدرة والسطوة فأنا مالك يوم الدين.

«إيـاك نعـبد وإيـاك نسـتعين» العـبادة أعلى مراتـب الخضوع والـتـذلّل، ولـذلـك لا يليق بها إلّا مـن هـو مُولٍ لأعلى النّعم وأعظمِـهـا من الوجود والحياة وتوابعها. والاستعانة طلب المعونة على الفعل.

والمراد هنا طلب المعـونة في المهمّات بأسرهـا، أو في أداء العبادات والقيام بوظائفها من الإخلاص التامّ وحضور القلب.

وفي الآية الكريمة أُمور خمسة لابدّ من بيان النكتة في كل منها:

أولها: تقديم العبادة على الاستعانة.

وثانيها: تقديم المعمول على العامل.

وثالثها: تكرير لفظة إياك .

ورابعها: إيثار صيغة المتكلّم مع الغير على المتكلّم وحده.

وخامسها: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

فنقول: أمّا تقديم العبادة على الاستعانة، فلعلّ النكتة فيه أُمور سبعة:

قوله: أمّا تقديم العبادة على الاستعانة.

أقول: ايّـاك نعبد مدحـة وثناء لله ربّ العالمين، لأنّه بيـان للحمد، وايّاك نسـتعين مسألة ودعاء وطلـب حاجة، لأنّه مبيّن بـاهدنا الصراط المستقيم. ومن شرائط اجابة الدعاء تقديم المدحة لله والثناء عليه قبل المسألة.

كما ورد في غير واحـد مـن الأخـبار: إذا طلب أحـدكـم الحـاجة فليثن ربّه

الأول: رعاية توافق الفواصل كلّها في متلوّ الحرف الأخير، وهذه النكتة إنّما يستقيم على ماهو الأصحّ من كون البسملة آية من الفاتحة[١].

وليمدحه، فانّ الرجل منكم إذا طلب الحاجة من السلطان هيّأ له من الكلام أحسن مايقدر عليه[٢].

وفي حديث سيّدنا أمير المؤمنين سلام الله عليه: المدحة قبل المسألة[٣].

فهذا منه سبحانه تعليم للعباد وارشادهم الى طريق المسألة، وكيفيّة الدعاء وطلب الحاجة منه عزّ اسمه.

قوله: البسملة آية من الفاتحة.

كما دلّت عليه روايات: منها ما روي عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال: فاتحة الكتاب سبع آيات أُولاهن بسم الله الرحمن الرحيم[٤].

ومنها: ما رواه محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: سألته عن السبع المثاني والقرآن العظيم هي الفاتحة؟ قال: نعم، قلت: بسم الله الرحمن الرحيم من السبع المثاني؟ قال: نعم هي أفضلهنّ[٥].

ومنهم من جعلها مع ما بعدها آية، لرواية أُمّ سلمة عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قرأ الفاتحة، وعدّ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين آية[٦].

---

(١) لأنّ من لايجعل البسملة من الفاتحة يجعل صراط الذين أنعمت عليهم آية، لأنّ الفاتحة سبع آيات بإجماع المسلمين (منه).

(٢) اصول الكافي ٢:٤٨٥، ح٦.

(٣) اصول الكافي ٢:٤٨٤، ح٢.

(٤) نور الثقلين ١:٩.

(٥) تهذيب الاحكام ٢:٢٨٩، ح١٣.

(٦) نورالثقلين ١:٩.

الثاني: أنّ العبادة مطلوبه سبحانه من العباد والإعانة مطلوبهم منه، فناسب تقديم مطلوبه تعالى على مطلوبهم.

الثالث: أنّ العبادة أشدّ مناسبة لما ينبيء عن الجزاء، والاستعانة أقوى اتّصالاً بطلب الهداية، فناسب إيلاء كلّ ما يناسبه.

الرابع: أنّ المعونة التامّة ثمرة العبادة، كما يظهر من الحديث القدسي: مايتقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبّ[1] ممّا افترضت عليه، وإنّه ليَتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبّه، فإذا أحببته كنت له سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها. الحديث.

الخامس: أنّ التخصيص بالعبادة أول ما يحصل به الإسلام. وأما التخصيص بالاستعانة، فإنّما يحصل بعد الرسوخ التام في الدين، فهو أحقّ بالتأخير.

السادس: أنّ العبادة وسيلة إلى حصول الحاجة التي هي المعونة، وتقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة.

وبعضهم رواها بوجه لايخالف الاولى، قالت: فعدّ بسم الله الرحمن الرحيم آية الحمد لله ربّ العالمين آية. وهذا هو الأصحّ.

قوله: انّ العبادة مطلوبة.

كما قال «وما خلقت الجنّ والانس الّا ليعبدون»[2].

قوله: التي هي المعونة وتقديم الوسيلة.

الأحسن أن يراد المعونة على أداء العبادة لتكون العبادة له لذاته، لا وسيلة

---

(١) إليَّ: خ.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

السابع: أنّ المتكلّم لـمّا نسب إلى نفسه العبادة، كان في ذلك نوع تبجح واعتداد بما يصدر عنه، فعقبه بقوله «و إياك نستعين» يعني: أنّ العبادة أيضاً لا تتم ولا تستتب إلّا بمعونتك وتوفيقك.

وأمّا تقديم مفعولي العبادة والاستعانة عليهما، فلعلّ النكتة فيه أُمور ثلاثة:

الى طلب الحوائج والاستعانة في المهمّات، ويكون «اهدنا» بياناً للمعونة، كأنّه قيل: كيف أُعينكم؟ فقالوا: اهدنا الصراط المستقيم، ليتناسب الكلام وتنتظم الجمل، حيث وقع ايّاك نعبد بياناً للحمد، وايّاك نستعين طلباً للاعانة على العبادة، واهدنا بياناً للاعانة، فتلاصقت الجمل الأربع التي اشتملت عليها الفاتحة.

ومنه يعلم نكتة أُخرى وهي التاسعة، لتقديم العبادة على الاستعانة، فتأمّل.

قوله: الاّ بمعونتك وتوفيقك.

أي: عبادتنا مقصورة عليك لا تتجاوز الى غيرك، ولذا قال ابن عبّاس: معناه نعبدك ولا نعبد غيرك. ويلزم منه قصر المعبوديّة عليه سبحانه، فيكون من قصر الصفة على الموصوف، وعليه فقس الاستعانة.

قوله: فلعلّ النكتة فيه.

حاصل هذه النكتة أنّ ايّاك نستعين تتميم لايّاك نعبد، ودفع توهّم ينشأ عنه فيستحقّ التأخّر.

فان قيل: سيأتي أنّ العابد ينبغي له أن يتوجّه الى المعبود أوّلاً وبالذات، ولا يكون نظره الى عبادته الاّ من حيث أنّها منتسبة اليه، فكيف يتبجّج ويعتدّ؟

الأوّل: قصرهما عليه سبحانه قصراً حقيقيّاً، أو إضافياً إفراديّاً.

الثاني: تقديم ما هو مقدّم في الوجود.

الثالث: الإيماء إلى أنّ العابد والمستعين ينبغي أن يكون مطمح نظرهما أوّلاً وبالذات هو الحقّ سبحانه، على وتيرة ما رأيت شيئاً إلّا رأيت الله قبله، ثمّ منه إلى أنفسهم لا من حيث ذواتها، بل من حيث أنّها ملاحظة له عزّوجلّ ومنتسبةٌ إليه، ثمّ إلى أعمالهم من العبادة ونحوها، لا من حيث صدورها عنهم، بل من حيث أنّها نسبة شريفة ووصلة لطيفة بينهم وبينه جلّ شأنه.

وأما تكرير الضمير، فلعل النكتة في أُمور أربعة:

الأول: التنصيص على التخصيص بالاستعانة، وإلّا لاحتمل تقدير مفعولها

قلت: لعلّ هذه النسبة الشريفة والوصلة اللطيفة موجبة لتبجّحه.

قوله: تقديم ما هو مقدّم في الوجود.

وقيل: قدّم المفعول للتعظيم والاهتمام به، لأنّه خطاب مع من عظم شأنه وباهر سلطانه، وهو منعم بأنواع النعم.

قوله: الايماء الى أنّ العابد والمستعين.

العبادة نسبة بين العابد والمعبود، فتحقّقها ذهناً وخارجاً موقوف على تحقّقهما، لكنّ المعبود أدخل في ذلك من العابد؛ إذ لولاه لما عبده العابد، فلم تتحقّق العبادة، فتقديمه تقديم ما هو أشرف طرفي النسبة، ومعلوم أنّ التقدّم بالشرف غير ملزوم للتقدّم بالوجود وبالعكس.

قوله: التنصيص على التخصيص بالاستعانة.

إذ لو لم يكرّر لاحتمل حذف المفعول مؤخّراً، فيكون التقدير ونستعينك،

مؤخّراً، فيفوت التنصيص.

الثـاني: رفع ما يُتوهّـم من أنّ الـتخصيص إنّما هو بمجـموع الأمرين لا بكلّ واحد منهما.

الثالث: الاستلذاذ بالخطاب.

وهو لايفيد اختصاص الاستعانة به تعالى.

قوله: التخصيص انّما هو بمجموع الأمرين.

تخصيص المجموع ملزوم تخصيص كـلّ واحد منهما؛ إذ لو لم يكن واحد منهما مختصّـاً به لم يكن المجمـوع مختصّـاً به؛ لأنّ انتفاء الجـزء من حـيث الاختصاص يستلزم انتفاء الكلّ من هذه الحيثيّة.

مثلاً لو لم تكـن الاستعانة مختصّة به، بل كانـت مشتركة بيـنه وبين غيره، بـأن يسـتعان بـه في بـعض الامور وبعض الأحوال دون بـعض، لم يـكن المجموع المركّب منها بجميع أفرادها ومن العبادة كذلك مختصّاً به.

كما أنّ هذه الـدار مثلاً لو لم يكـن جزءٌ منها مختصّاً بزيد، بـل كان معه فيه شريك ، لم يـكن مجمـوع الـدار من حيـث هو مجمـوع مخـتصّاً به، ولا يـقال لا في العرف ولا في اللغة انّها بمجموعها له، وله في جزء منها شريك ، فتأمّل.

قوله: الاستلذاذ بالخطاب.

الاستـلـذاذ بالخطـاب حـاصـل بـدون الـتـكـريـر، وانّما الـتـكـريـر لـزيادة الاستلذاذ، كما في قوله:

* ليلاي منكنّ أم ليلى من البشر *

حيث كرّر الاسم الظاهر ولم يـأت بالضمير وكان الموضع موضـعه، ليحصل له لذّة غبّ لذّة، لأنّ اسم الحبيب كالمسك كلّما كرّرته يتضوّع.

الرابع: بسط الكلام مع المحبوب كما في قول موسى على نبيّنا وعليه السلام: «هِيَ عَصَايَ أتوكَّأ عَلَيْها»[١] الآية. والفرق بين الأخيرين جريان الثاني في ضمير الغيبة دون الأول.

وأما إيثار صيغة المتكلم مع الغير على المتكلم وحده، فلعلّ النكتة فيه أُمور أربعة:

الأول: الإرشاد إلى ملاحظة القارىء دخول الحفظة،

ويمكن حمل الكلام عليه بالعناية، أو بحذف المضاف، فتأمّل.

قوله: الارشاد الى ملاحظة الى آخره.

أي: ارشاد الله تعالى القارىء الى كذا وكذا، لأنّ هذه السورة نزلت لتعليم العباد، وارشادهم الى طريق الاخلاص وسبيل الاختصاص، والاقبال عليه تعالى، فكأنّه قال لهم: قولوا ايّاك نعبد بصيغة المتكلّم مع الغير، أرشدهم الى أنّ عبادته سبحانه لاينبغي أن تكون بمجرّد اللسان، حتّى تكون منزلة صلاة الفذّ، بل به وبالجنان المستلزم لمتابعة القوى والأركان، فيتحقّق به مصداق صيغة المتكلّم مع الغير، فحينئذٍ تكون تلك الصلاة بمثابة صلاة الجماعة.

بيان ذلك: انّه لمّا كانت بين الجوارح والقلب علاقة شديدة يتأثّر كلّ منهما بالآخر، كما إذا حصلت للأعضاء آفة سرى أثرها الى القلب فاضطرب، واذا تألّم القلب بخوف مثلاً سرى أثره الى الجوارح فارتعدت، كان القلب بمنزلة السلطان، والجوارح بمنزلة العسكر، فمتى توجّه القلب الى جناب الله تعالى، كانت كلّ جارحة على الوجه المطلوب في أحوال الصلاة، بأن لايطرق

---

(١) سورة طه: ١٨.

أو حضّار صلاة الجماعة، أو جميع حواسّه وقواه الظاهرة والباطنة، أو جميع ما حوله دائرة الإمكان واتّسم بسمة الوجود، كما قال سبحانه: «وإن مِنْ شَيءٍ إلَّا يُسبِّحُ بِحَمْدِهِ»[١].

رأسه، وينظر حال القيام الى موضع سجوده، ولا يسمع الى كلام أحد غير ما يقوله مع معبوده، وتكون يده ورجله وحركاته وسكناته على الوجه المطلوب، بأن لايلتفت الى غير جنابه الأقدس، وبذلك تصير الصلاة صلاة جماعة، فيتحقّق مساغ نون المتكلّم مع الغير، فيصحّ له أن يقول: ايّاك نعبد وايّاك نستعين.

قوله: وحضّار صلاة الجماعة.

نقل سيّدنا الداماد -قدّس سرّه- في بعض حواشيه على الفقيه عند قوله صلّى الله عليه وآله «المؤمن وحده جماعة»[٢] عن سدرة المنتهى في تفسير قوله عزّوعلا «ايّاك نعبد وايّاك نستعين» أنّ احدى المحتملات أن يكون نون المتكلّم مع الغير كناية عن مجموع جوهر نفس العابد العارف المجرّدة القدسيّة، وجميع جنودها الجسديّة وجيوشها البدنيّة، ومشاعرها القلبيّة والدماغيّة، وقواها الادراكيّة والتحريكيّة، وآلاتها الأدويّة من العضلات والأعصاب والجوارح والأركان.

فانّها باستكمال قوّتها النظريّة والعمليّة، وقاهريّتها واستعلائها على الجثّة الجسديّة، صارت بحيث ينقاد لها جملة ماهو في الجسد، وذرّات مايتعلّق بالبدن، فتشايعها برمزها في التوجّه الى جناب الحقّ، والانصراف عن عالم الطبيعة الى عالم القدس.

---

(١) سورة الاسراء: ٤٤.
(٢) من لايحضره الفقيه ١:٣٧٦، ح١٠٩٦.

الثاني: الإيذان بحقارة نفسه عن عرض العبادة منفرداً وطلب الإعانة مستقلاً، من دون الانضمام والدخول في جملة جماعة يشاركونه في عرض العبادة على باب العظمة والكبرياء، كما هو الدأب في عرض الهدايا على الملوك ، ورفع الحوائج إليهم.

الثالث: أنّ في خطابنا له عزّ وعلا بأنّ خضوعنا التام واستعانتنا في المهام منحصران فيه سبحانه، مع خضوعنا الكامل لأهل الدنيا من الملوك والوزراء ومن يحذو حذوهم، جرأة عظيمة وجسارة ظاهرة، فعدل في الفعلين عن الإفراد إلى الجمع، لأنّه يمكن أن يقصد حينئذٍ تغليب الأصفياء الخلّص على غيرهم،

وهنالك يظهر سرّ قوله صلّى الله عليه وآله المؤمن وحده جماعة. وفي دعاء الركوع: خشع لك سمعي وبصري وشعري وبشري ومخّي وعظامي وعصبي، وما أقلّته الأرض منّي لله ربّ العالمين. وكذلك في دعاء السجود وقد مرّ: سجد لك وجهي وسمعي وبصري وشعري وبشري ومخّي وعصبي وعظامي.

ومثل هذا قيل في قوله صلّى الله عليه وآله: صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذّ بخمس وعشرين درجة في الجنّة[1].

قوله: الايذان بحقارة نفسه الى آخره.

حاصله: انّه انّما اختار صيغة المتكلّم مع الغير على صيغة المتكلّم وحده، ليدلّ بذلك على عظم شأن عبادة الله تعالى، لما فيه من الاشارة الى أنّ هذا الأمر العظيم والخطب الجسيم ممّا لايمكنه أن يتولّاه وحده، بل يحتاج الى معاون ونصير وممدّ وظهير، وكذا الكلام في طلب الاعانة.

---

(١) التهذيب ٣:٢٥.

فيحترز بذلك عن الكذب الظاهر والتهوّر الشنيع.

قوله: فيحترز بذلك عن الكذب الظاهر.

نقل عن مالك بن دينار أنّه قال: لولا أنّي مأمور بقراءة هذه الآية ماكنت قرأتها قطّ، لأنّي كاذب فيها، واليه يشير كلام الشيخ.

أقول: وهذا غير لازم، لأنّ نبيّنا وأوصياءه عليهم السَّلام كانوا يقرأون هذه الآية مع استعانتهم بغير الله تعالى في الأُمور الدينيّة والدنيويّة، وهذا ممّا لا يمكن انكاره.

كيف؟ والانسان مدنيّ بالطبع يحتاج بعضهم في أُمور معاشه ومعاده الى بعض فالاستعانة بغيره تعالى من حيث أنّه جعله سبباً، وأبى أن يجري الأشياء الّا بأسبابها، راجعة الى الاستعانة به تعالى، ولا يلزم منه كذب ولا تهوّر، فانّ لكلّ امرىءٍ مانوى، وانّما الأعمال بالنيّات.

وكذا الكلام في خضوع أهل الدنيا من الملوك والوزراء ونحوهم، فانّه ان كان من باب التقيّة ودفع الضرر، فظاهر أنّه لا ينافي دعوى حصر الخضوع في الله. وان كان من باب التعظيم ورعاية الأدب من حيث أنّ لوجودهم مدخلاً في حفظ بيضة الاسلام وترويج شريعة سيّد الأنام عليه وآله السلام، فكذلك.

ولذلك جوّز بعض علمائنا السجود الذي هو أقصى غاية الخضوع للملوك والأبوين والاخوة، كما وقع في اخوة يوسف على قصد الأدب والتعظيم، واعتقاد أنّهم عبيد مخلوقون.

قال: فان السجود للانسان يقع على وجه الأدب والتعظيم، ويكون راجحاً إذا كان في العرف تركه اهانة والانسان أهل التعظيم، لأنّه عبد الله فتعظيمه تعظيم الله.

وبالجملة الاستعانة بغير الله وتعظيمه وتكريمه بالقيام له بل الخضوع ونحوه

الرابع: أنّ هنا مسألة فقهية هي أنّ من باع أمتعةً مختلفةً صفقةً واحدة، وكان بعضها معيباً، فإنّ المشتري لا يصح أن يقبل الصحيح ويرد المعيب، بل إمّا يقبل الجميع، أو يردّ الجميع. فكأنّ العابد أراد أن يحتال لقبول عبادته الناقصة المعيبة ويتوصّل إلى نجاح حاجته، فأدرج عبادته الناقصة المعيبة في عبادات غيره من الأولياء والمقرّبين، وعرض الجميع صفقة واحدة على حضرة ذي الجود والافضال، فهو عزّ شأنه أجلّ من أن يردّ المعيب ويقبل الصحيح، كيف وقد نهى عباده عن تبعيض الصفقة ولا يليق بكرمه رد الجميع. فلم يبق إلّا قبول الكل وفيه المطلوب.

وأما الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، فقد ذكرت له في تفسيري الموسوم بالعروة الوثقى أربع عشرة نكتة وأقتصر هنا على ست نكات:

الأُولى: التنبيه على أنّ القراءة ينبغي أن تكون عن قلب حاضر وتوجّه

إذا كان أهلاً له، أو من باب التقيّة ودفع الضرر، أو لأنّ له مدخلاً في تحصيل المعاش والمعاد ونحو ذلك، لاينافي دعوى حصر العبادة والاستعانة في الله تعالى، بعد أن كانت نيّته صادقة وغرضه ماذكرناه، فتأمّل.

قوله: من باع أمتعة مختلفة الى آخره.

هذا الكلام أصله من الفخر الرازي في تفسيره الكبير.

قوله: انّ القراءة ينبغي أن يكون عن قلب حاضر الى آخره

هذا منه سبحانه ارشاد للعابد بأنّه ينبغي له أن يعبده كأنّه بحضرته يخاطبه ويراه، فان لم يكن يراه فانّه يراه، كما قال سيّد الأوصياء وسند الأتقياء سلام الله عليه وعلى ذرّيّته الأصفياء: اعبدالله كأنّك تراه، فان لم تكن تراه فانّه يراك .

كامل، بحيث كلّما أجرى القارىء اسماً من تلك الأسماء العليا والنعوت العظمى على لسانه، أو نقشه على صفحة جنانه، حصل للمطلوب مزيد انكشاف وانجلاء، وأحسّ هو بتزايد قرب واعتلاء، وهكذا شيئاً فشيئاً إلى أن يترقّى من مرتبة البرهان إلى درجة الحضور والعيان، فيستدعي المقام حينئذٍ العدول إلى صيغة الخطاب والجري على هذا النمط المستطاب.

الثانية: أنّ من بيده هديّة حقيرة معيبة، وأراد أن يهديها إلى ملك عظيم،

فينبغي لك التبتّل والانقطاع اليه بتجافيك عن دار الغرور، وترقّيك الى عالم النور، ومؤانستك به ومجالستك له ومكالمتك معه، فتكون صلا تك بذلك معراجك تعرج فيها الى سماء الحقيقة.

كما ورد في الخبر عن سيّد البشر صلّى الله عليه وآله عدد قطرات المطر: الصلاة معراج المؤمن. فانّه يعرج فيها بنعت بعد نعت، ووصف بعد وصف، من مرقاة الى مرقاة ودرجة الى درجة، حتّى إذا بلغ محلّ الحضور وعالم النور، يرفع عنه الحجاب، ويقام على الباب، ويرخّص في الخطاب، فيقول بلسان ذليق طليق: ايّاك نعبد وايّاك نستعين.

فيصير جليساً لربّه، دثاراً لخالقه، مقترحاً على رازقه، منادماً لمالك دارالفناء ودارالبقاء، متشرّفاً بحضرة سلطان السماء، فيقول: اهدنا الصراط المستقيم.

فيكون حاله حال راهب لمّا قيل له: ما أصبرك على الوحدة؟ قال: أنا جليس ربّي، إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه، واذا شئت أن أُناجيه صلّيت.

قوله: انّ من بيده هديّة حقيرة الى آخره.

هذه نكتة ناقصة غير تمام؛ إذ لا اشارة فيها الى وجه تقديم حمده وثنائه،

ويجعلها وسيلة إلى نجاح حاجته، فإن عرضها بالمواجهة وطلب منه حاجته بالمشافهة، كان ذلك أقرب إلى قبول الهدية ونجاح الحاجة من العرض بدون المواجهة، فإنّ في ردّ الهدية في وجه المُهدي لها كسراً عظيماً لخاطره، وأما ردها في الغيبة، فليس بهذه المثابة.

الثالثة: الإشارة إلى أنّ حقّ الكلام أن يجري من أوّل الأمر على طريق[1]

ووصفه بصفاته في غيبته، ثمّ الانتقال منها الى حضوره وعرض الهديّة عليه شفاهاً، وطلب الحاجة منه وجاهاً.

فانّ هذا الوجه يجري فيما إذا كان بادئاً بذلك في أوّل الأمر من دون سابقة التحميد والتوصيف في غيبته؛ إذ لامدخل له على هذا الوجه، لا في قبول الهديّة ولا في نجاح الحاجة، حتّى يقال: انّه من باب تقديم الوسيلة على طلب الحاجة، ليكون أدعى الى الاجابة، وانّما الوسيلة الى حصول الحاجة التي هي المعونة، هي العبادة المعبّر عنها بالهديّة، فتقديمه ماقدّمه قبل أوان غرض الهديّة والحاجة ممّا لاحاجة اليه، ولا باعث يحمل عليه، فتأمّل.

قوله: الاشارة الى أنّ حقّ الكلام الى آخره.

للذكر عندهم مراتب: ذكر القلب، وهو ذكر أفعاله تعالى أي تصوّر آلائه والتفكّر في نعمائه. وذكر السرّ، وهو معاينة أفعاله، ومكاشفة علوم تجلّيات صفاته. وذكر الروح، وهو مشاهدة أنوار كليّات الصفات مع ملاحظة نور الذات. وذكر الخفيّ، وهو مشاهدة جمال الذات مع بقاء الاثنينيّة. وذكر الذات، وهو الشهود الذي بارتفاع الاثنينيّة، ومحو توهّم الغيريّة، وفي هذه المرتبة

---

(١) سبيل: خ ل.

الخطاب، لأنّه سبحانه حاضر لايغيب، بل هو أقرب من حبل الوريد، ولكنّه إنّما جرى على طريق الغيبة والبعد عن مقام القرب والحضور، رعايةً لقانون الأدب الذي هو دأب السالكين وشعار العاشقين، كما قيل: طريق[1] العشق كلّها آداب. فلمّا حصل القيام بهذه الوظيفة جرى الكلام على ما كان حقّه أن

ترتفع الحجب من البين، ويتحقّق الوصول من الأثر الى العين، وهو المشهود الذاتي الذي يحصل بارتفاع الغير عن النظر بالكليّة.

قوله: والبعد عن مقام القرب والحضور.

يعني: انّه حمده ووصفه في حضوره وكمال قربه على طريق الغيبة، ولا سامع سواه ولا مخاطب: إمّا هضماً لنفسه واستبعاداً لها عن محلّ القرب والحضور، أو تعظيماً وتبعيداً للحضرة المقدّسة عن قرب الحامد المكدّر بالكدورات البشريّة، كأنّه بعيد عنه غائب غير حاضر، وان كان المحمود والموصوف قريباً حاضراً غير غائب. فلمّا حصلت وظيفة الأدب نقل الكلام عن الغيبة الى الحضور كما كان حقّه هذا.

والوريد: عرق بين العنق والمنكب، وكونه تعالى أقرب منه اليه لأنّه أعلم به منه، ولأنّه علّة له، والعلّة أقرب الى المعلول منه اليه.

قوله: كما قيل طرق العشق كلّها آداب.

ولذلك يقول الداعي وهو في دياره وجواره: ياربّ ياالله، مع كونه أقرب اليه من حبل الوريد، فانّه استقصار منه واستبعاد لنفسه عن مظانّ الزلفى.

فان قلت: انّ الداعي قد يقول في دعائه: يا قريباً غير بعيد، وربّما يقول:

---

(١) طرق: خ ل.

يجري عليه في ابتداء الذكر، في الحديث القدسي: «أنا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَني».

الرابعة: التنبيه على علوّ مرتبة القرآن المجيد، وسيّما آياته المتضمّنة لذكر الله عزّ شأنه، والإرشاد[1] إلى أنّ العبد بإجراء هذا القدر منه على لسانه ونقشه على صفحة جنانه، يصير أهلاً لمجلس الخطاب، فائزاً بسعادة الحضور والاقتراب. فكيف لو لازم وظائف الأذكار وواظب على تلاوته وتدبّر معانيه بالليل والنهار، فلا ريب في ارتفاع الحُجب من البَين، والوصول من الأثر إلى العين.

وقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السّلام أنّه قال: لقد تجلّى الله لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون.

يامن هو أقرب إليّ من حبل الوريد، فأين هذا من الانتصاب في مقام البعد؟

قلت: هذا الكلام من الداعي غير مناف لانتصابه في مقام البعد، ولا بعيد منه، لأنّ المراد استقصار نفسه واستبعادها ممّا يقرّبه الى رضوان الله تعالى.

قوله تعالى: أنا جليس من ذكرني.

أي: أنا حاضر عند من ذكرني غير غائب عنه، أو أنا ذاكر من ذكرني، لأنّ المجالسة تستلزم تذاكر المتجالسين أحدهما الآخر وعدم نسيانه له، ومن ذكر الله فهو ذاكره، فكأنّهما بهذا الاعتبار متجالسين، ولا يعتبر فيه الاجتماع في مكان، كما قيل:

گر دريمنى كه با منى پيش منى ‌‌ ‌ ‌ ‌ گر پيش منى كه بى منى دريمنى

قوله عليه السّلام: لقد تجلّى الله لعباده في كلامه.

معناه أنّه سبحانه لقّنهم في كتابه العزيز أدلّة وجوده ووحدته وذاته

---

(١) والإشارة: خ ل.

وروي أنّه عليه السَّلام كان يصلّي في بعض الأيام فخرّ مغشيّاً عليه في أثناء الصلاة، فسئل بعدها عن سبب غشيته، فقال: مازلت أُردّد هذه الآية حتى سمعتها من قائلها.

قال بعض العارفين عن لسان جعفر الصادق عليه السَّلام كان في ذلك الوقت كشجرة الطور عند قوله: «إنّي أنا الله» وما أحسن قول الشيخ الشبستري بالفارسية نظماً:

روا باشد أنا الله از درختى چرا نبود روا از نيك بختى

وصفاته، ووعدهم وأوعدهم وبشّرهم وأنذرهم بما ينبغي أن يبشّر وينذر، وأمرهم بالطاعات ونهاهم عن السيّئات، ودلّهم على الحسنات، وأرشدهم الى طريق النجاة، وحذّرهم عمّا يؤدّي الى الهلكات.

وبالجملة هداهم النجدين، طريقي الشرور والخيرات، فكأنّه بذلك تجلّى لهم في كلامه، ولكنّهم لعدم تدبّرهم فيه وتفكّرهم لايبصرون، كما قال «أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها»[١].

يدلّ على ذلك كلام سيّدنا أمير المؤمنين سلام الله عليه في بعض خطبه: الحمد لله الذي بعث محمّداً بقرآن قد بيّنه وفرقان قد أحكمه ليعلم العباد ربّهم بعد أن جهلوه، وليقرّوا به بعد أن جحدوه، وليثبتوه بعد أن أنكروه، فتجلّى سبحانه لهم في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما رآهم من قدرته، وخوّفهم من سطوته[٢].

قوله: چرا نبود روا از نيک بختى.

لأنّه يكون من مقولة قول فرعون «أنا ربّكم الأعلى»[٣] بل يكون أقبح منه،

---

(١) سورة محمّد: ٢٤.

(٢) نهج البلاغة: ٢٠٤ ط ١٤٧.

(٣) سورة النازعات: ٢٤.

الخامسة: أنّ العبادة لمّا كان فيها كُلفة ومشقّة، ومن دأب المحبّ أن يتحمّل من المشاقّ العظيمة في حضور المحبوب ما لا يتحمل عُشرَ عُشره في

لأنّ هذا يمكن تأويله بأنّ المراد بالربّ هنا ملك مصر، كما في قوله «ارجع الى ربّك»[1] وبالأعلى أنّه أعلى شأناً من سائر الملوك، بخلاف أنا الله، فانّه علم لذات الواجب الوجود المستجمع لجميع الصفات الكماليّة المستحقّ للعبادة والاستعانة.

والغرض بيان شناعة مقالة المتصوّفة، لا أنّ قول فرعون مؤوّل بذلك، والّا لما أخذه الله نكال الآخرة والاولى.

قوله: ومن دأب المحبّ الى آخره.

يمكن أن يقال: ليس هذا من دأب المحبّ الصادق في المحبّة، بل كلّ من له قدم صدق في طريق المحبّة، فانّه يتحمّل في غيبة المحبوب من المشاقّ مايتحمّله في حضوره، والّا كانت محبّته معلولة، وصداقته مدخولة.

بل يمكن أن يقال: انّ المحبّة الصادقة تقتضي أن يتحمّل المحبّ في غيبة المحبوب من المشقّة ما لايتحمّله في حضوره، أداءً لحقّ المحبّة، وجرياً في مقام الصداقة، وهذا رسم معروف في المحبّين، ودأب مألوف في الصادقين، فانّهم يحافظون الغيب أكثر ممّا يحافظون الحضور.

نعم مشاهدة المحبوب ومعاينة جماله وجلاله، والاستلذاذ بخطابه والدخول في بابه، والانتساب الى جنابه، والانتظام في سلك أحبّائه، ربّما يفيد هيئة وحالة في نفس المحبّ، يهوّن بها عليه تحمّل ما لايتحمّله بدونه.

اين جان عاريت كه به حافظ سپرددوست   روزى رخش به بينم وتسليم وى كنم

---

(١) سورة يوسف: ٥٠.

غيبته، بل لا يحصل لـه بسبب عزّ حضوره إلّا غاية الابتهاج ونهاية السرور، قرن سبحانه العبادة بما يشعر بحضوره ونظره سبحانه إلى العابد، ليحصل بذلك تدارك مافيها من الكلفة، وينجبر به ما يلزمها من المشقة، ويأتي بها العابد عاريةً عن الكلال خاليةً عن الفتور والملال، مقرونة[١] بتمام النشاط ونهاية الانبساط.

قوله: بل لايحصل له بسبب عزّ الحضور الى آخره.

جملة الكلام في هذا المقام أنّهم قالوا: انّ السالك إذا وصل في سلوكه الى مقام الفناء في الله والبقاء بالله، زال عنه الوجود الاعتباري، فلم يبق هناك الّا الله، ولذلك قالوا: إذا تمّ الفقر فهو الله.

وقال الغزالي في تأويل آية النور بعد ايراد كلام العارفين بعد العروج الى سماء الحقيقة: اتّفقوا على أنّهم لايرون في الوجود الّا الواحد الحقّ، لكن منهم من كان هذه الحالة له عرفيّاً علميّاً، ومنهم من صار له ذلك حاليّاً ذوقيّاً، وانتفت عنهم الكثرة بالكليّة، واستغرقوا في الفردانيّة المحضة، واستولت عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه، فلم يبق ثمّ متّسع لا لذكر الله ولا لذكر أنفسهم أيضاً، فثمّ عندهم الله فسكروا سكراً رفع سلطان عقولهم.

فقال أحدهم أنا الحقّ، وقال الآخر: سبحاني ما أعظم شأني، وقال الآخر: ما في جبّتي سوى الله. وكلام العشّاق في حال السكر يطوى ولا يحكى.

فلمّا خفّ عنهم سكرهم وردّوا الى سلطان العقل الذي هو ميزان الله في الأرض، عرفوا أنّ ذلك لم تكن حقيقة الاتّحاد، مثل قول العاشق في حالة فرط عشقه:

---

(١) بما فيه: خ.

السادسة: أنّ الحمـد كما قاله المحققون[١] إظهار مزايا المحمود على الغير، فما دام للأغيار وجود في نظر السالك، فهو يظهر كمالات المحبوب عليهم، ويذكر مزاياه لديهم، وأما إذا آل أمره وترقّى حاله بسبب ملازمة الأذكار وملاحظة

---

* أنا من أهوى ومن أهوى أنا *

ولا يبعد أن يفاجىء الانسان مرآة، فينظر فيها ولم ير المرآة قطّ، فيظنّ أنّ الصورة التي يراها من صورة المرآة متّحدة بها، ويرى الخمر في الزجاج فيظنّ أنّ الخمر لون الزجاج، فاذا صار ذلك عنده مألوفاً ورسخ فيه قدمه استغفر.

وقال:

رقّ الزجاج و رقّت الخمر	وتشابها وتشاكل الأمر
فكأنّما خمر و لا قدح	و كأنّما قدح و لا خمر

وفرق بين أن يقول الخمر قدح، وبين أن يقول كأنّها قدح، وهذه الحالة إذا غلبت سمّيت بالاضافة الى صاحب الحالة فناء الفناء، لأنّه فناء عن نفسه، فانّه ليس يشعر بنفسه في تلك الحالة، ولا بعدم شعوره بنفسه ولو شعر بعدم شعوره بنفسه، تسمّى هذه الحالة بالاضافة الى المستغرق بلسان المجاز اتّحاداً، أو بلسان الحقيقة توحيداً، و وراء هذه الحقائق أسرار، والمقام لايسع الخوض فيها انتهى.

ولنا في بيان سخافة مذهب التصوّف رسالة بيّنا فيها خلاصة أقوالهم ومافيها وما عليها، فليطالع من هنالك، وهنالك يخسر المبطلون.

قوله: وترقّى حاله بسبب ملازمة الأذكار.

اشارة الى الطريق الموصل الى مقام الوحدة، وما يعين السالك عليه وينجرّ

---

(١) من المفسرين: خ.

الآثار إلى ارتفاع الأستار

بالآخرة اليه، وهذا من أوضح الطرق المسلوكة عندهم، وأقربها الى سواحل البحر، وبساط الزلفة والمداناة التي لايتغيّر صاحبها لعلّة القهر، ولا يزول عنها بالحجاب والستر.

وحاصله: انّ الذكر القلبي من أعظم علامات المحبّة، لأنّ من أحبّ أحداً ذكره دائماً أو غالباً، وانّ أصل الذكر عند الطاعة والمعصية سبب لفعل الطاعة وترك المعصية، وهما سببان لزيادة الذكر ورسوخه، وهكذا يتبادلان الى أن يستولي المذكور، وهو الله سبحانه على القلب ويتجلّى فيه، فالذاكر حينئذٍ يحبّه حبّاً شديداً، ويغفل عن جميع ماسواه حتّى نفسه، إذ الحبّ المفرط يمنع عن مشاهدة غير المحبوب.

وهذا المقام يسمّى مقام الفناء في الله، والواصل الى هذا المقام لايرى في الوجود الّا هو، وهذا معنى وحدة الوجود، لا بمعنى أنّه تعالى متّحد مع الكلّ، فانّه محال وزندقة، بل بمعنى أنّ الموجود في نظر الفاني هو لاغير، لأنّه تجاوز عن عالم الكثرة وجعله وراء ظهره وغفل عنه.

قوله: الى ارتفاع الأستار.

في كون المقصود من الالتفات هنا هذا تأمّل، فانّه لايصلح أن يكون نكتة له الّا بالاضافة الى بعض السالكين في بعض أحوال سلوكه، وهو حال عروجه الى سماء الحقيقة.

فانّه والحالة هذه ترتفع عنه الاستار، وتضمحلّ عن نظره الأغيار، فلا يرى في الوجود الّا الواحد الحقّ والجمال المطلق، ولكنّه وقتئذٍ لاستغراقه في الفردانيّة المحضة، واستيلائها على عقله، صار كأنّه مبهوت فيه مغشيّ عليه، كما

واضمحلال جميع الأغيار، لم يبقَ سوى المعبود بالحقّ والجمال المطلق، وعرف

أشار اليه بقوله في بيت هذا مصراعه:

* مات او يم مات او يم مات او *

ولذلك لا يبقى له ثمّ متّسع لا لذكر الله ولا لذكر نفسه أيضاً، فكيف يوجّه الخطاب اليه، أو يذكر شيئاً ماليديه، ولا لسان له يصرف عنانه نحو جنابه، فضلاً أن يصير كلامه منحصراً في خطابه.

وبالجملة عند ارتفاع الأستار واضمحلال الأغيار، لا ذكر ولا ذاكر ولا مذكور، ولا خطاب ولا مخاطِب ولا مخاطَب، فانّ ذلك كلّه فرع الغيريّة وبقاء الاثنينيّة، والمفروض ارتفاعها.

نعم يتصوّر ذلك قبل الوصول الى مقام فناء الفناء، لكنّه حينئذٍ لا معنى لارتفاع الأستار واضمحلال جميع الأغيار، فانّ ذلك كلّه، حتّى شعوره بنفسه وبعدم شعوره بنفس غيره.

فهو ـ قدّس سرّه ـ خلط بين المقامين وأتى بما هو كالنقيضين، بل هو شبيه بالكذب والمين، ولعلّ صدور هذا النحو من الكلام المشتمل على غاية التكلّف والتعسّف من شيخنا الامام العلّام السالك العارف بالحقّ لغاية غلوّه في التصوّف، فيا أيّها الذين آمنوا لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الّا الحقّ، ونعم ماقيل ثمّ نعم ماقيل: حبّك للشيء يعمي ويصم.

ثمّ أنت بعد تأمّلك في كلامه هذا وفي سائر كلماته في مقاماته يبن لك أنّه ماكان صوفيّاً، بل كان متصوّفاً متكلّفاً متعسّفاً، أقول هذا وأستغفر الله لي وله.

قوله: واضمحلال جميع الأغيار.

قال البيضاوي: بني أوّل الكلام على ماهو مبادي حال العارف من الذكر

حقيقة قوله تعالى: «أينما تُولّوا فثَمَّ وَجهُ الله»[١] فبالضرورة لا يصير توجيه الخطاب إلّا إليه، ولم يكن[٢] ذكر الشيء إلّا لَديه، فينصرف عنان لسانه نحو عزّ جنابه، ويصير كلامه منحصراً في خطابه.

وفوق هذا المقام مقام لا يفي بتقريره الكلام، ولا يقدر على تحريره ألسنة

والفكر، والتأمّل في أسمائه، والنظر في آلائه، والاستدلال بصنائعه على عظم شأنه وباهر سلطانه، ثمّ قفى بما هو منتهى أمره، وهو أن يخوض لجّة الوصول، ويصير من أهل المشاهدة، فيراه عياناً ويناجيه شفاهاً،انتهى كلامه.

ولا يرد عليه ماهو وارد على الشيخ قدّس سرّه، فانّ خوضه لجّة الوصول وصيرورته من أهل المشاهدة، غير ملزوم لاضمحلال جميع الأغيار في نظره، حتّى الذُكر والذِكر والشعور بهما، والشعور بعدم الشعور بهما، والّا لم يمكنه أن يناجيه أصلاً، وهو ظاهر.

قوله: وفوق هذا المقام مقام الى آخره.

لعلّه اشارة الى مانقلناه آنفاً عن الغزالي، من أنّ العارفين بعدما استغرقوا في الفردانيّة المحضة، وصاروا كالمبهوتين فيه، لم يبق ثمّ متّسع لا لذكرالله ولا لذكر أنفسهم أيضاً، فثمّ عندهم الله لاغير، وحينئذٍ فيرفع عنهم قلم التكليف، إذ هو فرع الشعور والتذكّر والذكر، وليس لهم في هذه الحالة شعور لا بأنفسهم ولا بعدم شعورهم بأنفسهم، ولعلّهم لذلك يتركون الصلاة وغيرها من العبادات، كما فصّلناه في رسالتنا المذكورة آنفاً.

ولا يذهب عليك أنّ في كلامهم هذا تناقض ظاهراً، فانّ أحدهم اذا ذهل

---

(١) سورة البقرة: ١١٥.

(٢) ولا يمكن: خ ل.

الأقلام، بل لا يـزيده الكشف إلّا ستراً وخفاء، ولا يورثه البيان إلّا غموضاً واعتلاءً:

وإن قميصاً خِيطَ من نسجِ تسعةٍ وعشرين حرفاً عن معاليه قاصرُ

اللّهُم اكشف عن بصائرنا الغواشي الجسمانيّة، واصرف عن ضمائرنا النواشي الهيولانيّة، حتّى لانطمح إلى ماسواك بنظر، ولا نحسّ منه بعين ولا

عن نفسه في هذه الحالة، ولم يكن له شعور بها، فكيف يقول والحالة هذه أنا الله، أو أنا الحقّ، أو سبحاني ما أعظم شأني، وما يجري مجرى ذلك، فانّ هذا التصديق فرع تصوّر موضوعه، والمفروض أنّه لا شعور له به.

فان قلت: لعلّه يقول هذا قول الله أجراه على لسانه وخلقه فيه، كما يشير اليه مانقله سابقاً عن الشيخ الشبستري، وعن بعض العارفين انّ لسان جعفر الصادق عليه السَّلام كان في ذلك الوقت كشجرة الطور.

قلت: فحينئذٍ لا وجه لاستغفارهم والندامة عنه بعد الافاقة وخفّة السكر، كما نقله عنهم الغزالي في كلماته السالفة.

واعلم أنّ غفلة الانسان عن ذاته في حال من الأحوال ممّا أنكره عامّة المتكلّمين، وقاطبة القائلين بتجرّد النفس، فانّهم يصرّحون بأنه لا يخلو عن تصوّر ذاته والتصديق بثبوته في جميع حالاته، حتّى أنّه بعدما تعطّلت حواسّه الظاهرة والباطنة بالسكر لا يعزب ذاته عن ذاته، قالوا: ولا يلزم من تعقّل السكران ذاته حالة السكر أن يبقى ذلك التعقّل على ذكره بعد الافاقة، وهؤلاء يدعون خلافه، فلعلّ سكرهم حال استغراقهم في الله وصفاته فوق ذلك، كما أنّ أكثر ما ادّعوه طور وراء طور العقل.

قوله: واصرف عن ضمائرها النواشي الهيولانيّة.

هذا من شيخنا ـ قدّس سرّه ـ استدعاء للعروج الى سماء الحقيقة، والوصول

أثر، إنّك جواد كريم رؤوف رحيم.

«اهدنا الصراط المستقيم» الهداية مطلق الإرشاد والدلالة بلطف، سواء كان معها وصول إلى البغية أم لا، وسواء تعدّت إلى ثاني المفعولين بنفسها أو بالحرف.

وقيل: إن تعدّت به فكذلك، أو بنفسها فوصلة.

وقيل: بل هي موصلة مطلقاً. ويدفعها قوله تعالى: «وَهَدَيْناهُ النَّجدَيْن»(١) إذ لا امتنان في الإيصال إلى طريق الشر. ويدفع الأوّل بقوله تعالى: «فاستحبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى»(٢).

وأما قوله تعالى شأنه: «إنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحبَبْت»(٣) فأخصّ من مطلوبهم.

واعلم أنّ أصناف هدايته عزّ شأنه وإن كانت ممّا لايُحصر مقدارها، ولا يقدر انحصارها، إلّا أنّها على أربعة أنحاء:

الى مقام الفناء في الله والبقاء بالله، إذ قد سبق ممّا نقلناه عن الغزالي أنّهم بعد العروج والوصول الى هذا المقام لايطمحون الى ماسوى الله بنظر، ولا يحسّون منه بعين ولا أثر.

قوله: إذ لا امتنان في الايصال الى طريق الشرّ الى آخره.

الصحيح أنّ الهداية هي الدلالة على ما من شأنه الايصال الى البغية، من غير أن يشترط في مدلولها الوصول، ولذلك كانت الدلالات التكوينيّة المنصوبة في الآفاق والأنفس والبيّنات الواردة في الكتب السماويّة على الاطلاق

---

(١) سورة البلد: ١٠.

(٢) سورة فصلت: ١٧.

(٣) سورة القصص: ٥٦.

الأول: الهداية إلى جلب المنافع ودفع المضار، بإفاضة المشاعر الظاهرة والمدارك الباطنة والقوّة العاقلة، وإليه يشير قوله تعالى: «أعطَى كُلَّ شَيءٍ خلقهُ ثُمَّ هَدَى»[١].

الثاني: نصب الدلائل العقلية الفارقة بين الحقّ والباطل والصلاح والفساد، وإليه يشير قوله عزّ وعلا: «وَهديْناهُ النَّجْدَيْنِ»[٢].

الثالث: الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وإليه يومىء قوله تعالى: «وأَمَّا ثَمودُ فَهديْناهُمْ فَاستَحبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى»[٣].

الرابع: الهداية إلى طريق السير إلى حضائر القدس، والسلوك إلى مقامات

بالنسبة إلى البريّة كافّة برّها وفاجرها هدايات حقيقيّة فائضة من الله تعالى.

قوله: الهداية الى طريق السير الى آخره.

هذا النحو من هداية الله تعالى انّما يتحقّق باحداثه الشوق في السالك، واهتياجه قلبه وجذبه الى ارادته ومحبّته والمواظبة عليه، فانّ الشوق وهو ادراك لذّة المحبّة اللازمة لفرط الارادة الممتزجة بألم المفارقة يكون في حال السلوك بعد اشتداد الارادة ضروريّاً، وربّما كان حاصلاً قبل السلوك، وذلك إذا حصل الشعور بكمال المطلوب، ولم تنضمّ اليه القدرة على السير، وقلّ الصبر على المفارقة.

وكلّما ترقّى السالك في سلوكه كثر الشوق وقلّ الصبر حتّى يصل الى المطلوب، فتخلص حينئذٍ لذّة نيل الكمال من الألم وينتفي الشوق.

---

(١) سورة طه: ٥٠.

(٢) سورة البلد: ١٠.

(٣) سورة فصلت: ١٧.

الأُنس بانطماس آثار التعلقات البدنيّة، واندراس أكدار الجلابيب الجسميّة، والاستغراق في ملاحظة أسرار الكمال ومطالعة أنوار الجمال. وهذا النوع من الهداية يختصّ به الأولياء ومَن يحذو حذوهم. فإذا تلىٰ هذه الآية أصحاب المرتبة الثالثة، أرادوا بالهداية المرتبة الرابعة، وإن تلاها أصحاب المرتبة الرابعة، أرادوا الثبات على ماهم عليه من الهدى.

ولكن هذا الطريق مع كمال وضوحه مخوف، وفيه مهالك ومواقع، والسالك فيه يحتاج الى العنايات الربّانيّة والهدايات السبحانيّة، فانّه مادام في سيره الى الحقّ يكون مضطرباً غير مستقرّ الخاطر، لخوف العاقبة ومايعرض في أثناء السير والسلوك من العوارض العائقة، كالانحراف عن القصد في عبادة الله، واستيلاء القوى الشهوانيّة بحسب مجرى العادة في استعمال الشهوات المألوفة، فانّ هذه وأمثالها تصدّ السالكين عن السلوك الى الله، وهم على خوف منها ومن خواطر الشيطان، ونعم ماقيل:

كيف الوصول الى سعادة ودونها قلل الجبال ودونهنّ حتوف
والرجل حافية ومالي مركب والكفّ صفر والطريق مخوف

فاذا هبّ نسيم العناية الأزليّة، وارتفعت الحجب الحائلة الظلمانيّة، تنوّر القلب بنور العيان، وحصلت الراحة والاطمئنان، وزال الخوف وظهر تباشير الأمن والأمان.

كما أشار اليه إمام الانس والجانّ سيّدنا أمير المؤمنين عليه سلام الله الملك المنّان، عند ذكر السالك على ما هو المذكور في نهج البلاغة بقوله: قد أحيا عقله، وأمات نفسه، حتّى دقّ جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، وسلك به السبيل، وتدافعته الأبواب الى باب

كما روي عن أمير المؤمنين عليه السَّلام من تفسير (اهدنا) بثبّتنا، أو زيادته. والهداية على الأول مجاز، وكذا على الثاني إن اعتُبر مفهوم الزيادة داخلاً في المعنى المستعمل فيه، وإلّا فحقيقة.

والصراط: الجادّة كأنها تسترط السابلة، أو هم يسترطونه[1] وقراءة ابن

السلامة ودار الاقامة، وثبتت رجلاه بطمأنينة قلبه[2] في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضىٰ به ربّه[3].

قوله: بثبّتنا أو زيادته.

فمعنى اهدنا زدنا هدى بمنح الألطاف. وعن علي عليه السَّلام معناه ثبّتنا. ولفظ الهداية على الثاني مجاز؛ إذ الثبات على الشيء غيره. وأمّا على الأوّل، فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلاً في المعنى المستعمل فيه، فمجاز أيضاً. وان اعتبر خارجاً عنه مدلولاً عليه بالقرائن، فحقيقة؛ إذ الهداية الزائدة هداية، كما أنّ العبادة الزائدة عبادة، فلا جمع فيه بين الحقيقة والمجاز.

قوله: ان اعتبر مفهوم الزيادة الى آخره.

لا وجه لهذا التفصيل، لأنّ كلّهم يريدون بها الثبات على الصراط المستقيم المبيّن بصراط المنعمين عليهم دون المغضوب عليهم ولا الضالّين، وهم النبيّون والصدّيقون والشهداء والصالحون وحسن أُولئك رفيقاً.

وصراطهم في الدنيا ماقصر عن الغلوّ وارتفع عن التقصير واستقام، فلم يعدل الى شيء من الباطل، وهو دين الاسلام الحاصل لكلّ من أصحاب

---

(١) يسترطونها: خ ل.
(٢) في المصدر: بدنه.
(٣) نهج البلاغة ص ٣٣٧، ك ٢٢٠.

كثير بالسين ومن عدا حمزة بالصاد وهو بإشمامها صوت الزاي. والمراد بالصراط المستقيم: إمّا مطلق طريق الحق، أو دين الاسلام.

المرتبتين جميعاً، وان كان حصوله لهم وثباتهم عليه مقولاً بالشدّة والضعف.

ثمّ انّ هذا هو بعينه صراطهم في الآخرة، لأنّه يؤدّيهم الى الجنّة، فيدخلونها خالدين فيها لايبغون عنها حولاً، وماهم منها بمخرجين.

فان قلت: هذه الآية قد تلاها نبيّنا وأوصياؤه عليهم السّلام، فما كانوا يريدون بالهداية المذكورة فيها؟

قلت: كانوا يريدون بها الثبات على الصراط المستقيم، وهو دين الاسلام، لأنّ ميلهم عنه كلّاً أو بعضاً أمر ممكن بالذات، وهذا القدر كاف في طلب الثبات عليه، وذلك لأنّ العصمة البشريّة لاتجعل المعصوم مسلوب القدرة على المعصية، والّا لم يكن له في تركها ثواب، وكان أحدنا اذا كفّ نفسه عن المعصية أكثر ثواباً منه، لأنّ له دواعي وبواعث عليها دونه على ما هو المفروض.

أو يقال: هو بالنسبة اليهم تعبّد محض، أو هو من قبيل بسط الكلام مع المحبوب، فلا يضرّ امتناع ميلهم عنه. والوجه هو الأوّل.

قوله: والمراد بالصراط المستقيم.

سمّي به لأنّه يؤدّي من يسلكه الى الجنّة، كما أنّ الصراط يؤدّي من يسلكه الى المقصد. وروي أنّ المراد به كتاب الله[١]، فالمطلوب الهداية الى فهم معانيه والتدبّر في مقاصده ومبانيه، واستنباط الأحكام منه، والتعمّق في بطون آياته، فانّ لكلّ آية ظهراً وبطناً.

---

(١) مجمع البيان ١:٢٨.

«صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالين» هذه بأجمعها آية واحدة عند من يعدّ البسملة آية من الفاتحة، وهم علماؤنا ومَن

وعن علي عليه السَّلام في «اهدنا الصراط المستقيم» قال: أدم لنا توفيقك الذي به أطعنا في ماضي أيّامنا حتّى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا[١].

والصراط المستقيم هو صراطان: صراط في الدنيا، وهو ما قصر عن الغلوّ وارتفع عن التقصير واستقام، فلم يعدل الى شيء من الباطل. وصراط في الآخرة، وهو طريق المؤمنين الى الجنّة الذي هو مستقيم، لايعدلون عن الجنّة الى النار، ولا الى غير النار سوى الجنّة.

قوله تعالى: صراط الذين أنعمت عليهم الى آخره.

طلب الثبات على دين الاسلام، والاستعاذة من حصول دين المغضوب عليهم، يؤيّد القول بجواز تعقّب الكفر الايمان. والحقّ أنّ الايمان الحقيقي الحاصل بالأدلّة والبراهين المفيدة لليقين، لايجوز أن يتعقّبه الكفر.

ويدلّ عليه من طريق النقل قوله عليه السَّلام: من دخل في الايمان بعلم ثبت ونفعه ايمانه، ومن دخل فيه بغير علم خرج منه كما دخل.

وبهذا يظهر أنّ الايمان إن كان حصوله بمجرّد التقليد من غير دليل يجوز أن يتعقّبه الكفر، ولا يكون ايماناً حقيقيّاً، لعدم حصوله من طريق العلم، وهو الدلائل المؤدّية الى الحقّ، فينقاد صاحبه لأدنى شبهة تعتريه، ولا يمكنه حلّها، وهو الذي يعبدالله على حرف، وهذا حال أكثر الناس.

والى ذلك يشير قوله عزّوعلا «فمستقرّ ومستودع»[٢] وعنهم عليهم السَّلام:

---

(١) معاني الاخبار: ٣٣، ح٤.

(٢) سورة الأنعام: ٩٨.

وافقهم من بقية الفرق، وأمّامن لايعدّها آية منها، فهو يعدّ صراط الذين أنعمت عليهم آية سادسة، وما بعدها آية سابعة، وذلك أنّ الأُمّة متوافقون على أنّ الفاتحة سبع آيات،

جبل الله بعض المؤمنين على الايمان فلا يرتدّون أبداً.

ومنهم من أُعير الايمان عارية، فاذا هو دعا وألحّ في الدعاء مات على الايمان، ولعلّه سبحانه لذلك أوجب هذا الدعاء في كلّ يوم بليلته خمس مرّات، ليكون سبباً لبقاء الداعي على الايمان الى وقت موته.

ونحن قد فصّلنا القول في هذه المسألة في بعض رسائلنا، فليطلب من هناك.

قوله: ان الفاتحة سبع آيات.

دليل أصحابنا ومن شايعهم عليه ماروي عن سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: فاتحة الكتاب سبع آيات أُولاهنّ بسم الله الرحمن الرحيم[١].

وما روته أُمّ سلمة عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قرأ الفاتحة، فعدّ بسم الله الرحمن الرحيم آية، الحمد لله ربّ العالمين آية، الرحمن الرحيم آية، مالك يوم الدين آية، ايّاك نعبد وايّاك نستعين آية، اهدنا الصراط المستقيم آية، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالّين آية[٢].

وما رواه محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: سألته عن السبع المثاني والقرآن العظيم هي الفاتحة؟ قال: نعم قلت: بسم الله الرحمن الرحيم من السبع المثاني؟ قال: نعم هي أفضلهنّ[٣].

---

(١) نورالثقلين ١:٩.

(٢) نفس المصدر.

(٣) تهذيب الاحكام ٢:٢٨٩، ح١٣.

فمن نذر قراءة آية من الفاتحة لا يبر[١] عندنا بقراءة صراط الذين أنعمت عليهم، كما لا يبرّ عندهم بقراءة البسملة. وهذه الآية كالتفسير للصراط المستقيم، وصراط بدل كلٍّ منه.

والمراد بالذين أنعمت عليهم هم المذكورون في قوله تعالى: «فأُولئك مَعَ الَّذينَ أنعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداء والصَّالِحينَ»[٢].

وقيل: المراد بهم المسلمون، فإنّ نعمة الإسلام رأس جميع النعم.

وما رواه يحيى بن عمران الهمداني، عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: كتبت اليه أسأله عن مصلّ قرأ البسملة في الفاتحة، فلمّا صار الى السورة ترك البسملة، فكتب عليه السَّلام بخطّه: يعيدها[٣].

قال بعض أصحابنا: وعلى ما ذهب اليه أصحابنا ينبغي لكاتب المصحف منّا ترك علامة الآية بين صراط الذين أنعمت عليهم وبين غير المغضوب عليهم ولا الضالّين، لأنّهما آية واحدة.

قوله: بقراءة صراط الذين أنعمت عليهم.

والقول بخروجه عن العهدة بقراءتها، لأنّها آية على بعض القراءات المتواترة وهي قراءة من لم يجعل البسملة من الفاتحة، ضعيف عند أصحابنا.

قوله: نعمة الاسلام رأس جميع النعم.

وذلك لأنّ من أنعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الّا أصابته؛ لاشتمالها على سعادة الدارين.

---

(١) لا يبرأ: خ.

(٢) سورة النساء: ٦٩.

(٣) فروع الكافي ٣: ٣١٣، ح٢.

واعلم أن نعمه سبحانه وإن جلّت عن أن يحيط بها نطاق الحصر، كما قال جلَّ شأنه: «وإن تَعدُّوا نِعمَةَ الله لاَ تُحصُوها»[١] لكنّها ثمانية أنواع، لأنها: إما دنيوية، أو أُخروية. وكلٌّ منهما إما موهبيٌّ، أو كسبيّ، وكلّ منهما إمّا روحانيٌّ، أو جسماني. وهذا تفصيلها:

دنيويّ موهبيّ: إما روحاني، كإفاضة العقل والفهم، أو جسماني كخلق الأعضاء.

قوله: كافاضة العقل والفهم.

أجلّ نعمة أنعم الله بها على عباده هي نعمة العقل، ونعني به ما من شأنه أن يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان، ثمّ توفيقه لهم على تحليتهم أنفسهم بالأخلاق الزكيّة، والتخلية عن الملكات الرديّة.

فانّها مستتبعة لجميع الخيرات الدنيويّة، من فعل الطاعات وترك السيّئات وغيرهما والأُخرويّة من الحور والقصور وغيرهما ممّا هو موجود في الجنّة من أنواع الملذّات، فانّها كلّها تنشأ من تلك الأخلاق، الّا أنّها لايلزم آثارها الّا بعد المفارقة الى الآخرة.

وذلك لأنّ الجنّة الصوريّة، وهي الأبواب والجدران ومافيها من الأنهار والأشجار والحور والقصور وغيرها، صورة الأخلاق الحميدة والأفعال الحسنة الناشئة منها، والعلوم والآراء المطابقة للواقع.

كما أنّ النار الصوريّة ومافيها من العقارب والحيّات وغيرهما من أنواع المؤذيات، صورة أضدادها من الأخلاق الذميمة والملكات الرديّة، والعلم بالأشياء على خلاف ماهي عليه. وفوق كلّ ذلك هو المعارف الالهيّة،

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٤.

دنيويّ كسبيّ: إمّا روحانيّ كتحلية النفس بالأخلاق الزكية، أو جسماني

واقتناؤها من فروع العقل.

قال الفاضل العارف كمال الدين بن ميثم البحراني في شرح نهج البلاغة، عند قوله عليه السّلام «درجات متفاضلات»: اعلم أنّ ألذّ ثمار الجنّة هي المعارف الالهيّة، والنظر الى وجه الله ذي الجلال والاكرام، والسعداء في الوصول الى نيل هذه الثمرة على مراتب متفاوتة.

فالاولى من أُوتي الكمال في حدس القوّة النظريّة، حتّى استغنى عن معلّم بشريّ رأساً، وأُوتي مع ذلك ثبات قوّة المفكّرة واستقامة وهمه، منقاداً تحت قلم العقل، فلا يلتفت الى العالم المحسوس بمافيه، حتّى يشاهد عالم المعقول بمافيه من الأحوال، ويستثبتها في اليقظة، فيصير العالم ومايجري فيه متمثّلاً في نفسه، فيكون لقوّته النفسانيّة أن تؤثّر في عالم الطبيعة حتّى تنتهي الى درجة النفوس السماويّة، وتلك هي النفوس القدسيّة، أُولات المعارج، وهم السابقون السابقون أُولئك المقرّبون، وهم أفضل أنواع البشر وأحقّه على درجات السعادة في الجنّة[١].

وبما قرّرناه ظهر أنّ الجنّة بمافيها من أنواع اللذّات والملذّات الجسمانيّة والروحانيّة من توابع العقل والأخلاق الزكيّة وفروعهما، فهما من أجلّ النعم على الانسان.

وأمّا غيرهما من النعم الجسمانيّة والروحانيّة، فانّها خلقت لتكون وصلة ووسيلة اليهما، فهذه الآية اذا تلاها تال، فينبغي له أن يراد بالنعمة المذكورة فيها هاتين النعمتين الجليلتين، فانّهما نعمتان مشتركتان بين جميع المنعمين عليهم

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢:٢٧٧.

كتزيين البدن بالهيئة المطبوعة.

أُخرويّ موهبيّ: إمّا روحاني كغفران ذنوبنا من غير سبق توبة، أو جسمانيّ كالأنهار من اللبن والعسل في الجنة.

أُخرويّ كسبيّ: إما روحاني كغفران الذنوب بعد التوبة، أو جسماني كاللذّات(١) الجسمانية المستجلبة بفعل الطاعات، والمراد هنا الأربعة الأخيرة وما يكون وسيلة إلى نيلها من الأربعة الأُول.

والغضب: ثوران النفس لإرادة الانتقام، وإذا أسند إليه سبحانه، فهو باعتبار الغاية كالرحمة.

والضلال: العدول عن الطريق السويّ ولو خطأً. وقد اشتهر تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالّين بالنصارى، وقد يفسّر المغضوب عليهم بالعصاة في الفروع، والضالّون بالمخالفين في الاعتقاديات. فإن المنعم عليه من وفّق للجمع بين العلم بالأحكام الاعتقاديّة والعمل بالشريعة المطهّرة، فالمقابل له من اختلّ إحدى قوّتيه: أي: العاقلة والعاملة.

ولفظة «غير» إما بدل من الموصول، أو صفة له، إمّا مبيّنة أو مقيّدة.

من الأنبياء والصدّيقين والمقرّبين والشهداء والصالحين.

وأمّا غفران الذنوب بعد التوبة أو بدونها، فليس بنعمة مشتركة بينهم، فكيف يراد من النعمة المذكورة فيها؟ فتأمّل.

قوله: بالهيئات المطبوعة.

مثل تطهيره من الأوساخ، وقصّ الشارب، وتقليم الأظفار، وغير ذلك.

قوله: ولفظ غير امّا بدل من الموصول.

المراد بالموصول هو المسلمون، فلفظة «غير» صفة له، مبنيّة على القول

---

(١) كالمستلذات: خ ل.

فكيف كانت فتوغّلها في النكارة مع تعرّف الموصوف يحوج إلى إخراج أحدهما عن صرافته، إمّا يجعل لفظة «غير» بالإضافة إلى ذي الضدّ الواحد قريبة من المعرفة، أو يجعل الموصول مقصوداً به جماعة لا بأعيانهم، فيجري مجرى المعرَّف باللام الجنسيّة إذا أُريد به فردٌ غير معيَّن، ولفظة «لا» تفيد تأكيد النفي الواقع قبلها مع التصريح بشموله كلّاً من المتعاطفين.

وسوغ مجيئها هنا تضمن «غير» المغايرة والنفي معاً، ولذلك جاز أنا زيداً غير ضارب، رعاية لجانب النفي. فتصير الإضافة بمنزلة العدم، فيجوز تقديم معمول المضاف إليه على المضاف، كما جاز أنا زيداً لا ضارب. وإن لم يجز في أنا مثل ضارب زيداً، أنا زيداً مثل ضارب، لامتناع وقوع المعمول حيث يمتنع وقوع العامل.

بدخول الأعمال في الايمان، ومقيّدة على رأي من لم يقل بدخولها فيه.

قوله: اذا أُريد به فرد غير معيّن.

كقوله:

ولقد أمرّ على اللئيم يسبّني   فمضيت ثمّة قلت لا يعنيني

ولا يجوز جعل يسبّني حالاً، لأنّه يفوت الغرض المسوق له الكلام في هذا المقام، وهو الاشارة الى الحلم ورفعة الشأن وعلوّ المكان.

قوله: أنا زيد غير ضارب.

كلمة «غير» وضعت للمغايرة، وهي مستلزمة للنفي، فتارة يراد بها اثبات المغايرة، كما في غير المغضوب عليهم ولا الضالّين، فتكون اثباتاً في حكم النفي لتضمّنه ايّاه، فيجوز تأكيده بـ«لا» وأُخرى يراد بها النفي، كقولك أنا غير ضارب زيد، أي: لست ضارباً له، لا أنّي مغاير لشخص ضارب له، فلفظة

هذا وفي عدوله سبحانه عن إسناد الغضب إلى نفسه جلّ شأنهُ مع التصريح بإسناد عديله أعني: النعمة إليه عزّ سلطانه تشييد لمعالم العفو والرحمة، وتأسيس لمباني الجود والكرم، حتّى كأنَّ الصادر عنه هو الإنعام لا غير، وأنّ الغضب صادر عن غيره سبحانه، وإلّا فالمناسب بعد قوله عزَّ وعلا: «صراط الذين أنعمت عليهم» أن يقول غير الذين غضبت عليهم.

«لا» مزيدة لتأكيد مافي غير من معنى النفي.

قوله: تشييد لمعالم العفو والرحمة.

ومثله بل أحسن منه قوله عزّ اسمه «نبّيء عبادي أنّي أنا الغفور الرحيم وانّ عذابي هو العذاب الأليم»[1] وفي الخبر عن سيّد البشر صلّى الله عليه وآله أنّه قال: ليغفرنّ الله تعالى يوم القيامة مغفرة ماخطرت قطّ على قلب أحد، حتّى أنّ ابليس ليتطاول لها أن تصيبه[2].

أقول: وكيف لا يكون كذلك، وهو عزّ اسمه كتب على نفسه الرحمة، وآية رحمته «رحمتي وسعت كلّ شيء»[3] وهو الجواد المطلق الذي لايرحم لمنفعة تعود اليه، ولا مضرّة يدفعها عنه، وكلّ رحيم سواه فرحمته لغرض من الأغراض: إمّا ثناءً دنيويّاً، أو أجراً أُخروياً، أو رقّة ناشئة من الجنسيّة، أو نحو ذلك.

وممّا يناسب ايراده في المقام مارواه بعضهم: انّه أُوقف على صبيّ في بعض الغزوات ينادى عليه بمن تريد في يوم صائف شديد الحرّ، فبصرت به امرأة وهو ينادى عليه، فعادت مسرعة اليه وأخذته وألصقته الى بطنها، ثمّ ألقت ظهرها على البطحاء وأجلسته على بطنها تقيه الحرّ، فتقول: ابني ابني،

---

(١) سورة الحجر: ٤٩ - ٥٠.
(٢) بحار الأنوار ٧: ٢٨٧.
(٣) سورة الاعراف: ١٥٦.

وعلى هذا النمط من التصريح في جانب الرحمة والتعريض في جانب العقاب جرى قوله عزَّ وجلَّ: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُم إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد»[١] حيث لم يقل لأُعذّبنّكم، مع أنّه هو مقتضى المقابلة، وكذلك أغلب الآيات المتضمّنة لذكر العفو والانتقام، فإنّك تجدها ظاهرة في ترجيح جانب العفو، كما في قوله تعالى: «يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاء وَيُعذِّبُ مَنْ يَشاء وكانَ اللهُ غَفُوراً رَحيماً»[٢] فإنّ ظاهر المقابلة وكان الله غفوراً معذباً، فعدل سبحانه عن ذلك

فبكى الناس وتركوا ماهم فيه. فأقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله حتّى وقف عليهم، فأخبروه، فقال: أعجبتم من رحمة هذه ابنها؟ انّ الله أرحم بكم من هذه بابنها، فتفرّق المسلمون وهم فرحون مستبشرون.

وهو الذي حين أرسل موسى عليه السَّلام الى فرعون ليتوعّده، قال له: أخبره أنّي الى العفو والمغفرة أسرع منّي الى الغضب والعقوبة.

وروي أنه لما استغاث بموسى عليه السَّلام حين أدركه الغرق ولم يستغث بالله، فأوحى اليه ياموسى لم تغث فرعون لأنّك لم تخلقه، لو استغاث بي لأغثته.

وروي أنّ يونس بن متى لمّا صار الى البحر الذي فيه قارون، قال للملك الموكّل به: ما هذا الدويّ والهول الذي أسمعه؟ قال: يونس الذي حبسه الله في بطن الحوت، فجالت به البحار السبعة حتى صار الى هذا البحر، فهذا الدويّ لمكانه، قال: أفتأذن لي في كلامه؟ فقال: قد أذنت لك، فقال له قارون: يا يونس ألّا تبت الى ربّك ؟ فقال له يونس: ألّا تبت أنت الى ربّك ؟ قال له

---

(١) سورة إبراهيم: ٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٢٦.

إلى تكرير الرحمة ترجيحاً لجانبها، وكما في قوله عزّ سلطانه: «غافِرِ الذَّنب وقابلِ التَّوب شَدِيدِ الْعِقابِ ذِي الطَّول»(١) حيث وحّد صفة الانتقام وجعلها محفوفة بنعوت العفو والإحسان مغمورة في صفات الرحمة والغفران.

ولنقطع الكلام على لفظي الرحمة والغفران سائلين منه جلّ شأنه أن يغمرنا برحمته وغفرانه، ويعاملنا بعفوه وجوده وامتنانه، وأن يوفّقنا وسائر الإخوان للمواظبة على العمل بما تضمّنه هذا الكتاب، وأن يجعله من أحسن الذخائر ليوم الحساب، ونتوسّل إليه سبحانه بسيّد المرسلين وأشرف الأوّلين والآخرين، وعترته الائمة الطاهرين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، أن لا يردّنا عن بابه خائبين، وأن لا يؤاخذنا بسوء أعمالنا يوم الدين، إنّه أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، وسلّم تسليماً كثيراً، برحمتك يا أرحم الراحمين.

قارون: انّ توبتي جعلت الى موسى، وقد تبت اليه فلم يقبل، وأنت لو تبت الى الله لوجدته عند أوّل قدم ترجع بها اليه.

أولا تنظر الى حسن صنيعه بعباده وكيف تعلّقت عنايته بالاحسان اليهم والرحمة لهم.

ولنختم الكلام في هذا المقام على لفظي الرحمة والاحسان، راغبين الى الله أن يحسن الينا والى سائر الاخوان حتّى يغمسنا بفضله ورحمته في بحار الرحمة والغفران، ويخرجنا من الدنيا سالمين غانمين الى الآخرة، مرحومين مبشّرين بالجنّة والرضوان، وأن يسهّل علينا سكرات الموت برؤيتنا من نرجو منهم الشفاعة والسماحة والامتنان، انّه أهل الفضل والرحمة والجود والنعمة، وهو المستعان للدارين وعليه التكلان.

---

(١) سورة غافر: ٣.

فرغت بعون الله من تأليفه، مع تراكم أفواج العلائق، وتلاطم أمواج العوائق، وتوزّع البال بالحلّ والترحال، في أوائل العشر الثالث، من الشهر الثاني، من السنة الخامسة، من العشر الثاني بعد الألف، ببلدة «كنجه» وأنا أقلّ الأنام محمّد المشتهر ببهاء الدين العاملي تجاوز الله عن سيئاته، والحمد لله أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

وتمّ تحقيق الكتاب وتصحيحه والتعليق عليه في أوّل جمادي الاولىٰ سنة (١٤١٣) هـق في بلدة قم المقدّسة على يد العبد السيّد مهدي الرجائي عفي عنه.

وجاء في آخر نسخة «ن»: قد فرغ من تحريره العبد المستغرق في بحار الاثم والعصيان الراجي من عظيم فضل ربّه الوهّاب المنّان، في العشر العاشر من الثلث الأوّل من الثلث الثالث من الربع الأول من الخمس الرابع من السدس الأوّل من العشر الرابع من الألف الثاني، ابن أبي المعالي بن محمّد ابراهيم الكرباسي الخراساني أبو الهدى المكنّى بكمال الدين النجفي الاصفهاني، استنساخاً من خطّ الشريف الفاضل المحشّي، محرّراً على النهج المكتوب، وكان في الأصل مكتوباً في الحواشي، والحمدلله على نعمائه، والصلاة والسّلام على أشرف أنبيائه وأكمل أوصيائه من الآن الى يوم لقائه (سنة ١٣٣٤).

وتم استنساخ التعليقة وتصحيحها وتحقيقها في اليوم الرابع والعشرين من شهر صفر سنة (١٤١٢) هـق في مشهد مولانا الرضا عليه السّلام على يد العبد الفقير السيّد مهدي الرجائي عفي عنه.

محتويات الكتاب

الباب الأوّل

فيما يعمل مابين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس

***

الباب الثاني

فيما يعمل مابين طلوع الشمس إلى الزوال

الباب الثالث

فيما يعمل مابين زوال الشمس إلى الغروب

***

الباب الرابع

فيما يعمل مابين غروب الشمس إلى وقت النوم

الباب الخامس

فيما يعمل مابين وقت النوم إلى انتصاف الليل

الباب السادس

فيما يعمل مابين انتصاف الليل إلى طلوع الفجر